



سيرة حياة

غابرييل

غارسيا

ماركيز



جيرالد مارتين



mohamed khatab

<https://t.me/kotokhatab>

سيرة حياة
غابرييل
غارسيا
ماركيز

Gabriel García Márquez
A Life

تأليف

جيرالد مارتين

Gerald Martin

ترجمة

د. محمد درويش

مراجعة وتحريـر

مركز التعريب والترجمة



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. SA

<https://t.me/kotokhatab>

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْدِيرٍ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Gabriel Garcia Márquez

حقوق الترجمة العربية مخصصة بها قانونياً من الناشر

Bloomsbury Publishing Plc

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين دار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © Gerald Martin 2008

The rights of General Martin to be identified as the author of this Work has been

asserted by him in accordance with the Copyright, Designs & Patents Act 1988

All rights reserved

Arabic Copyright © 2009 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م

رقمك 978-9953-87-892-8

ترجم

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

tarjem@mbrafoundation.ae

www.mbrfoundation.ae

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. sa



عين النينة، شارع المقيت توفيل حائل، بقايا الرجم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (+961-1)

ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: 786230 (+961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

إن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم والدار العربية للعلوم ناشرون غير مسؤولين
عن آراء وأكسار المؤلف. وتعتبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف وليس
بالمؤسسة والدار.

اللتصديق وفرز الأكون: أجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (+9611)

الطبعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (+9611)

<https://t.me/kotokhatab>

إحياء لنكري:

جورج بولارد مارتن وشيلا أوكيف،

ديتيس شاقون ودوروثي ماي أون.

وإلى حقيقتيهما

كاميلا جين وليوني باسمين

المحتويات

- مقدمة المترجم: غابرييل غارسيا ماركيز... من سلطة التاريخ إلى سلطة الرواية.....9
مقدمة المؤلف.....19
تمهيد: من أصول مفهورة 1800-189925

القسم الأول

الوطن: كولومبيا

1899-1955

1. عقائد وقضايا خامسة 1899-1927.....37
2. بيت في أراكاتكا 1927-1928.....58
3. رفقة جده 1929-1937.....76
4. أيام المدرسة: بارانكيا وسوكري وثياكيريا 1938-1946.....98
5. الطالب الجامعي والعنف في بوغوتا 1947-1948.....135
6. العودة إلى السلح: صحفي متمرن في كارثاخينا 1948-1959.....153
7. بارانكيا ويانع كتب وجماعة برهيمية 1950-1953.....173
8. العودة إلى بوغوتا: مراسل صحفي من الطراز الأول 1954-1955.....212

القسم الثاني

خارج الوطن: أوروبا وأمريكا اللاتينية

1955-1967

9. اكتشاف أوروبا: روما 1955.....235
10. جائع في باريس: البرهيمية 1956-1957.....249
11. ما وراء الستار الحديدي: أوروبا الشرقية إثنان الحرب الباردة 1957.....276

12. فنزويلا وكولومبيا: ولادة الأم الكبيرة 1958-1959 293
13. الثورة الكوبية والولايات المتحدة الأمريكية 1959-1961 323
14. هروب إلى المكسيك 1961-1964 338
15. ميكلاندس الفجري: مئة علم من العزلة 1965-1966 368
16. الشهرة أخيراً 1966-1967 388

القسم الثالث

رجل العالم: الشهرة والسياسة

2005-1967

17. برشلونة والانتعاش في أمريكا اللاتينية: بين الأدب والسياسة
1967-1970 405
18. الأديب المستوح يكتب ببعد: خريف البطريق والعالم الأرحب
1971-1975 429
19. تشيلي وكوبا: غارسيا ماركيز يختار الثورة 1973-1979 460
20. عودة إلى الأدب: قصة موت مطن وجائزة نوبل 1980-1982 495
21. نوبة الشهرة وعطر الغواصة: الحب في زمن الكوليرا 1982-1985 536
22. خلافاً للتاريخ الرسمي: بوليفار غارسيا ماركيز (الجنرال في متاهته)
1986-1989 563
23. عودة إلى ماركيز خبر كارثة تاريخية 1990-1996 596
24. غارسيا ماركيز في سن السبعين وما بعدها مذكرات وغانيات حزينات
1996-2005 636
- خاتمة: الخلود ثيربانتس الجديد 2006-2007 675
- ملاحظات 693
- حقوق الصور ونصوصها 771

مقدمة المترجم

غابرييل غارسيا ماركيز...

من سلطة التاريخ إلى سلطة الرواية

في شهر تموز سنة 1966، نشر غابرييل غارسيا ماركيز تأملات داتية يسترجع فيها محته في الكتابة بعنوان مهائب مؤلف كتاب، وفيها يؤكد:

"إن تأليف الكتب مهنة اسحرارية، إذ ما من مهنة غيرها تتطلب قدراً كبيراً من الوقت، وقدراً كبيراً من العمل، وقدراً كبيراً من التفاني مقارنة بموائد الآنية. يعني لا أعتقد أن عدداً كبيراً من القراء يسألون أنفسهم بعد الانتهاء من قراءة كتاب ما عن عدد الساعات المؤلفة والبلايا المسزلية التي مرت على المؤلف في أثناء تأليفه معنى صفحة، أو ما هو المبلغ الذي حصل عليه لقاء عمه... وبعد هذا التقويم المحزون للبلايا، يسأل من الأساسي أن نسأل عن السبب الذي يدفع نحن إلى الكتابة، والإجابة، في آخر الأمر، هي ميوودرامية بقدر ما هي مخلصه. فالمرء بكل بساطة يكون كاتباً مثلاً يكون أسود الشره أو يكون أي شيء آخر. اصبح يحفز المرء، والخطوة عند القراء مشجعة. ولكن ليست هذه الأشياء سوى مكاسب إضافية لأن الكتاب الجيد سيظل، على كل حال، يكتب باستمرار، حتى إذا كان حداؤه بحاجة إلى إصلاح، وحتى إذا كانت كتبه لا تلقى رواجاً".

ثم يستغل غارسيا ماركيز، في موضع آخر، من العم إلى الخاص يكشف لقرائه، ربما للمرة الأولى، ما يدور في ذهنه من أفكار، فيقول:

"اسمي، أبها الساده، هو غابرييل غارسيا ماركيز. آسف. فأنا شخصياً لا بروقي هذا الاسم لأنه سلسلة من كدمات عادية لم أستطع فظ أن أربطها بنفسي. ولدت في بلدة أراكاتاكا في كولومبيا... ولا أزال غير آسف على ذلك. برجي هو

برج الحوت، وروحني هي ميرثيديس. هذا هما أهم حدثين في حياتي لأنني معقلهما تمكنت حتى الآن، على الأف، من اللقاء عني هيد الحياة بالكتابة. إيني كاتب هُباب. مهنتي الحقيقية هي مهنة ساحر، لكني أرتبك ارتباكاً شديداً وأن أحاول القيام ببعض الحيل التي أضطر إلى أن ألود بها من جراء عملة الأدب. على كل حال، إن كلا اسشاطين يقودان إلى الشيء الوحيد الذي أثر اهتمامي سد أن كنت صملاً: أن يحيي أصدقائي أكثر... إن كوي كاتباً من الكتاب ليس سوى إنجاز استثنائي لأنني رديء جداً في الكتابة، وعني أن أخضع نفسي لاضطاط شع كمي أنمر كتبة صفحة واحدة بعد ثلثي ساعات من العمل. إيني أناضل بصلاً جسدياً مع كل كلمة، لكن الكلمة هي التي تغور على الغالب. لكني عند جداً، حتى إيني تمكنت من نشر أربعة كتب خلال عشرين سنة. أما الكتاب الخامس الذي أكتبه الآن، فكتبته أبطأ من كتابة بقية الكتب لأنني لا أملك إلا اسرر ايسير من الوقت بين كثرة لدائنين وحالات الصداق.

هكذا يتحدث غابريل غارسيا ماركيز إلى قرائه في هذه السيرة التي يقول مؤلفها جيرالد مارتن إنه أمضى سبعة عشر عاماً في إعدادها وتأليفها، سبعة عشر عاماً أمضاها في قراءة أعمال ماركيز ومجراته الإبداعية في القصة القصيرة والرواية والمقالات الصحافية والصور السينمائية والسفر إلى عدد كبير من بلدان العالم لقائنة أصدقاء ماركيز من صحافيين وأدباء وروائيين وسياسيين ورعماء أحزاب ورؤساء دول، من ضمنهم الرعم الكوبي فيدل كاسترو، ولرنس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتران، ولريس وراء إسبانيا السديق فب عوثالث، وغيرهم من الشخصيات التي هجت نجماً اشتراكياً في سياستها، بهدف الإطلاع على تدصيل علاقاتهم مع الروائي الكولومبي القدمي الذي عرفه قراء الأدب في عالم العربي ومية أرجاء العالم رائداً للواقعية لسحرية التي يعصّل هو عليها مصطلح الواقعية المأساوية.

غير أن جيرالد مارتن، كما نقرأ في هذا الكتاب القيم، لا يقدم إلينا رواية في سيرة غارسيا ماركيز ما نقله إليه المقربون من غارسيا ماركيز على اختلاف مواقفهم السياسية والفكرية والعمانديه وصلاتهم العائلية به وحب، بل يقدم أيضاً دراسة

نقدية معمقة عن رواياته ومعظم قصصه القصيرة ومقالاته الأدبية والسياسية، المبكرة والمتأخرة، مشموعة بإضاءات لا عني عنها في أي محاولة لفهم عوالم عارسيا ماركيز، فضلاً عن سناطات ماركيز في كتابة النصوص السينمائية.

لقد طرح جورج لو كاش في مجمل كتاباته النظرية حول النص الروائي قصة البطل الإشكالي، وأظهر من خلال هذا المفهوم أن البطل الروائي كفرد إنما هو شخصية نموذجية تشير إلى وعي كلي بالوجود، وهو وجود يحدد الوعي عند مجموعة بشرية تخضع لبيئة اقتصادية واجتماعية متحاسة، وتعبّر عن رؤية للعالم، ترتبط بوح العلاقة التي تحدد وضعه الاجتماعي، وبالتالي التاريخي. وقد نما عارسي ماركيز هذا المبحى، كما نرى، في مؤلفاته الروائية والقصصية حيث خلّد شخصيات كبرى، أكثرها حقيقية، مستمدة من قرى وبلدات كولومبيا بدءاً بمسقط رأسه أراكاتاكا، مروراً بسوكري وباراسكا وكارناخسا وثيباكيرا ومعاني وبوغوتا، وحكى لنا عن فقرها وعزلتها، وعن وجودها خارج التاريخ، وعن اصمحلانها، وعن علاقات أسائها الاجتماعي، وطروفها السياسية والاقتصادية، وما نطوي عليه تلك العلاقات من حب وبغضاء (مئة عام من العزلة)، وقصة موت معلن عن وجه المخصوص) وحروب وانقسام (خريف البطريرك، وليس للعقيد من يكاتبه، والختزال في مناهته وفي ساعة نوحس). في هذا كله، سعى عارسيا ماركيز لتوكيد مكانته الإبداعية وحطابه الأدبي الروائي، سرداً وصعاً، بالرغم من طرورب العاقبة والحرمات التي دفعته يوماً ما إلى أن يفتش في كومة نفايات عن بقايا طعام تسد رمقه، وإلى أن يعتذر من طفله الرضيع ليلاً لعدم امتلاكه المثل اللازم لشراء الحليب لسناوله قبل النوم، وإلى أن يرسل نصف مخطوطة مئة عام من العزلة غير اكبريد إلى الناشر الأرجنتيني لأنه لم يكن يملك ما يكفي من المال لإرسالها كنها. أما النصف الثاني من المخطوطة فقد أرسله بعد أن رهس روجه المدفأة الكهربائية ومجفف الشعر والمفرمة الكهربائي، وهي آخر ما تبقى لهما في البيت من حاجات منزلية بعد أن دابعا أو رها كل ما يملكان.

حاول عارسيا ماركيز أن يوثق الصلة بين التاريخ الاجتماعي - تاريخ السلطات والمدل الأميركية اللاتينية والتاريخ الفردي ممثلاً بتاريخ شخصيات

عسكرية - جدّه العقيد بيكولاس وبوليفار وغيرهما - فحسّد بذلك قدرانه في التمهيدي بالتاريخ وباجتماعه (منه عام من لهزلة على وجه الخصوص)، فأسس بذلك عوالم مفصلة خارج الزمان وحارج المكان، شابتك فيها وقائع الصدم التاريخي - اردهار واضمحلال محجريات الواقع الاجتماعي الفردي عرلة الفرد، البطل وسلطته وسفوطه بكل ما يمثله من دوعمائية/جدلية مدبوه الطقسي يمتد في فصاءات سياسية واقتصادية واجتماعية ومعمارية. هكذا كان بوليفار واليندي وميرودا وفويس وعمر نوريجوس وكورتانار وكاسرو من الذين احنى بهم، وعزّر لهم مواقف السياسية التقدمية ومقارعة الاستعمار والإمبريالية، وبادى بالاشراكية الديمقراطية، وإن راوده قلق شديد وهو يرى في أثناء ريارته الاتحاد السوفياتي الاشتراكية وقد أسيء تطبيقها، فانهلت عن أفكار مؤسسيه الأوائل ومفسمة مصيرها الذين جازوا بها لإبعاد القراء من برائى الاستغلال الرأسمالي.

لعل غارسيا ماركر توجب عليه أن يعتد، وهو ما يوصحه كتاباته. أن التاريخ العلمي/أسطورة، وأن التفسيرات أحادية الجانب غير مجدية، فنجأ إلى نماذج بصرية جماعية لدراسة السيرة لتاريخية المكونة لهذه الجماعات (بمجمع ماكويدو في سنة عام من العزلة، ومجتمع الأم الكيرة في جذرة الأم الكبيرة، ومجمع المتواريات الأفقية في احرال في مناهته) لتحلل ندقة دلالاتها الثقافية في نظام سوسولوجي عام يستند إلى تجربة تاريخية ومظومات ذات معان متعددة من ها جاءت شعبية عارسيا ماركير وهو يكشف عن مثير أطلاله، أحقيتين والمتحيين، من التاريخ البعيد والتاريخ القريب، حتى إن بعض اسقاد قارئه، بالرغم من التباين الواضح بالروائي همعوي⁽¹⁾، وهو الروائي الذي أعجب به عارسيا ماركير قدر إعجابه بروائي آخر هو وليم فوكسر⁽²⁾ الذي حشدت رواياته الجيوب لأمركي في حقبة عصية من تاريخ الولايات المتحدة.

استحماماً مع تمهاتي عارسيا ماركير بالتاريخ والشخصيات، نعهه يكتب أيضاً في موضوعات أخرى ذات صلة مباشرة لها ألا وهي الحب والسلطة والانتصار والأمل، انطلاقاً من قاعته أن الساس في بلده، كولومبيا، كما في بلدان العالم الثالث،

تقوى السلطة وأصحاب السلطة، ونحيا متطرة ولأمل يخلوها في حدوث تغيير قد يأتي، وإن أتى فإنه في معظم الأحيان قد لا يكون تغييراً إيجابياً مناسباً. لقد أثار في مقابلة صحافية إن أنه لو لم يكن كاتباً، لربح في أن يكون عارفاً على لسانه لأنه يريد العرف في المشارب فيسهم بدوره في جعل العشاق بشعرون بحب أكبر عاه أحبائهم. ويؤكد أنه لو أمكنه أن يجعل الآخرين يحب أحدهم لآخر من خلال كتبه، فذلك هو المعنى الذي أرادته حياته. من هنا كانت الكتابة عنده شعوراً باطنياً، ودافعاً لا يقوم، وطموحاً، بل كانت في أحيان كثيرة عذاباً ديداً وسعادة لا توارى سعادته.

بصراره على الكتابة لا يصاحبه إصرار آخر فمن جهة أولى، قل له والده يوماً ما: "ستهي بك المصاف إلى أن تأكل الورد"، وذلك عندما قرر في العام 1949 أن يتخلى عن دراسته الحقوق بسبب رسوبه في السنة الثالثة من دراسته. وعندما حاول أحد أصدقائه أن يذاع عنه أمام أبيه، موضحاً له أن عارسيا ماركيز كانت اليوم واحداً من أفضل كتاب القصة القصيرة في كولومبيا، اعترض الأب صائحاً: "إنه قصاص، حسناً، طالما كان كذاباً مد طموحه!"، من جهة أخرى، نعهه يتلقى في العام 1952 رسالة مدمرة من دار نشر لوسادا في بوس آيرس، التي أرسل إليها مخطوطة رومبه الأولى **عاصفة الأوراق** بعينه شرها، فيها يحوم مسير الدار عيرمو دي توري، وهو أحد أبرز نقاد الأدب الإنسان في المعنى وأحد قراء الأدب الأرجنتيني المعروف جورج لويس بورجس، إنه ليس لسه أي مستقبل في كتابة الرواية، واقترح عليه أن يبحث عن مهنة أخرى. لكن أصدقاء عارسيا ماركيز تخمهموا حبه. وقال له أحدهم: "يُعلم الجميع أن الإنسان أعياء!"

روايات عارسيا ماركيز وقصصه، وهو ما يؤكد في أكثر من مناسبة، ليست سوى صور من حياته لصاحبة، **العاصفة المدوية**، أو هي انعكاسات لحياة من عرفهم وعاش معهم، وهي مريح من السيرة الذاتية والخيال الخامخ، يتداخلان وبشائكان في أنعاد مختلفة. إن مرجعية معجزة الروائي والقصصي هي أماكن وأزمنة متناية، من انصافي العبد والعرب، تنحو في كثير من الأحيان، على ما فيها من تعقيدات، محي فسيماً تريده تعقيداً، من دون ارتباك أو اضطراب،

معالجته الروائية وهو ما يتضح بكل جلاء في منة عام من الغزلة، والجنرال في معاصره، وخريف البطريك، والحب في زمن الكوليرا، رقصة موت معلن، وروايته شبه الوثائقية خير اختطاف. هذا تكون السيرة قد شكّلت أفق الرواية الماركيزية في تمثيل شكل ارتباطها بالواقع والتاريخ، وهما الأمران اللذان سقى للوكاش أن أوضح أنهما يحتلان أبعاد الواقع والتجربة الحياتية وذلك لكون "الكلية المنصرفة للواقع تلتحم وتمازج في الرواية، عبر السيرة، ومن خلال ارتباطها بالشخصية الأساسية".

إننا نرى أن غارسيا ماركيز أعاد بمنجحه الاعتبار لرواية الحداثة، بل أعاد الاعتبار إلى المؤلف بعد أن بشر رولان بارت⁽³⁾ بموته منذ سنوات طويلة منهجه السيوي. لقد ثبت غارسيا ماركيز بهذا العدد الهائل من القراء الذين يقرأون رواياته بمختلف اللغات في جميع أرجاء العالم، واستمرار صدور طبعات جديدة من أعماله. وفي صا أن هذه السيرة متفحة الصنع تكشف للقراء عن جوانب وتفاصيل دقيقة من حياة الأديب الكولومبي مما قد يحفزهم على العودة من جديد إلى قراءة مؤلفاته مرات ومرات من دون أن يسيهم الملل، وخصوصاً إذا ما أخذنا في الحسبان أن مؤلف السيرة جيرالد مارتس، هو الأستاذ الأقدم في جامعة ستروبوليتان لندون، وأستاذ اللغات الحديثة في جامعة بيتسبرغ والمعروف بكتاباته عن اسرد الأميركي اللاتيني خصوصاً في كتابه ذائع الصيت رحلات في المناهضة: الرواية الأميركية اللاتينية في القرن العشرين الصادر سنة 1989. كما أنه يُعدُّ حجة في أدب إسبورياس⁽⁴⁾، وكان رئيساً للمعهد العالمي للأدب الإسباني - الأميركي ومقره الولايات المتحدة، وهو عضو في هيئة تحرير مجلة دراسات في الثقافة الأميركية اللاتينية التي تصدر في لندن. ومن المؤمل أن تُصدر له جامعة كيمبردج كتاباً بعنوان مدخل إلى غارسيا ماركيز.

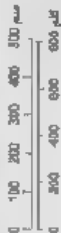
حيراً، لا بد من الإشارة في ختام هذه المقدمة إلى أن مؤلف الكتاب قرر إدخال بعض التعديلات والإضافات والتصويبات على هذه السيرة بعد صورتها مباشرة في 28 تشرين الثاني 2008. وقد وصلتنا هذه التعديلات عن طريق الدار العربية للعلوم - ناشرون في شهر أيار 2009 وكما قد أنجزنا ترجمة أكثر من نصف

الكتاب، فما كان منا إلا الالتزام برأي المؤلف وناشره، ومدأنا إعادة ترجمه الكثير من الفقرات والعبارات بحسب ما تقتضيه الأمانة العلمية والأكاديمية لتكون الترجمة في صيغتها الهائية مطابقة لرغبة المؤلف. وبهذا تفرد الدار العربية للمعروف - ناشرون بتقديم ترجمة عربية كاملة ومفحّحة خدمة للقارئ العربي الحاد.

الدكتور محمد درويش

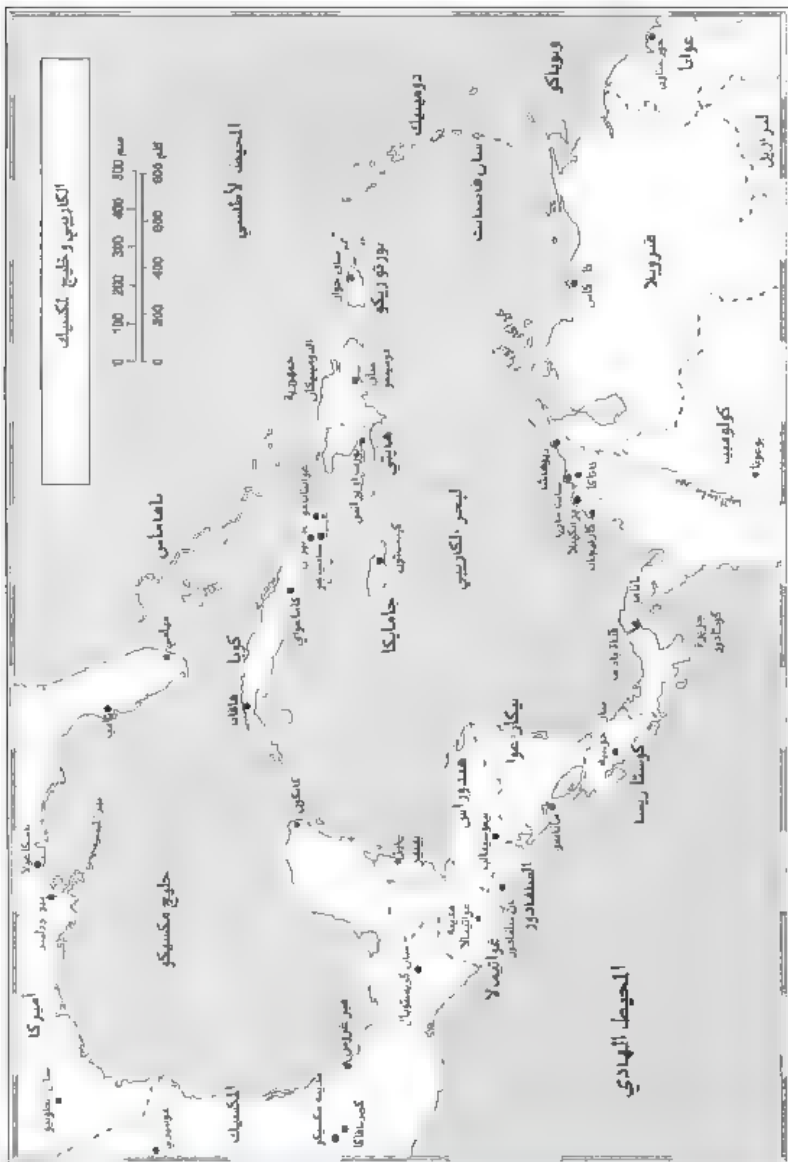
بغداد/آب 2009

الكاريني وخليج بنكينا



البحر الكاريبي

البحر الهادي



مقدمة المؤلف

عابريل عارسيا ماركيز المولود في كولومبيا سنة 1927 هو أشهر أدب يظهر في العالم الثالث، وأشهر ممثّل لأسلوب الواقعة السحرية لأدبي الذي نبت على نحو مذهش أنه أسلوب انتشر في أقطار نامية أخرى وبين روائيين يكتبون عن تلك الأقطار. لعل عارسيا ماركيز هو الروائي الأميركي اللاتيني الأكثر إثارة للإعجاب والأشدّ تشبهاً لكل العصور داخل أميركا اللاتينية معهما. كما أن شهرته في العالم الأول في أوروبا والولايات المتحدة، وفي حقبة بات يصعب فيها العثور على أدباء عصام يتفق الجميع بشأنهم، لا تغلو عليها شهرة حلال العقود الأربعة المصروفة.

لو أُلِمّا نظره على روائي القرن العشرين، لاكتشفنا أن معظم الأسماء الكبرى التي يتفق العقاد اليوم بشأنها تعود إلى السنوات الأربعين الأولى من ذلك القرن (جويس⁽¹⁾، وبروست⁽²⁾، وكافكا⁽³⁾، وفوكر، وولف⁽⁴⁾)، أما في النصف الثاني من القرن، فربما كان عارسيا ماركيز وحده الذي حظي بإجماع حقيقي. ولعل رابعه مئة عام من العزلة، التي صدرت سنة 1967، وكان ظهورها عند دروة التحول بين الرواية الحديثة والرواية ما بعد الحديثة، هي الرواية الوحيدة التي وجدت بين عامي 1950 و2000 عدداً هائلاً من القراء المتحمسين في كل قطر وفي كل ثقافة في هذا العالم. ولهذا المعنى، وفي ضوء موضوعها - وهو عموماً لصراع بين التقليد واخذائنة - والاستقبال الذي حظيت به، فإنه ليس من قبيل المبالغة الادعاء أنها كانت الرواية العالمية الأولى حقاً في العالم.

من جهة أخرى، فإن عارسيا ماركيز طاهره فريده أيضاً. فهو كاتب جاد لكنه شعبي أيضاً - مثله مثل ديكر⁽⁵⁾ أو هوعو⁽⁶⁾ أو هسغوي - يُباع كتيبه

بالملايين، وبقرب شهره من شهرة نجوم الرياضة أو المؤلفين الموسيقيين أو نجوم السينما. في العام 1982 كان ماركيز هو الفائز الأكثر شعبية بجائزة نوبل للأدب خلال السنوات الأخيرة. وفي أمريكا اللاتينية، وهي القارة التي لم تعد مثلما كانت عليه أحوالها منذ أن انكسر عارسا ماركيز مجتمع ماكوندو الصغير، فإنه يُعرف في كل مكان بكنيته غابو شأنه شأن بطل السبما الضامنة تشارلي أو لاعب الكرة بيليه. وبالرغم من أنه واحد من أرمع أو خمس أكبر شخصيات القرن العشرين في قارته، إلا أنه ولد في وسط لا مكاني بات مضرب الأمثال، في بلدة لا يتجاوز عدد سكانها، الأمين عاشاً، عشرة آلاف سمة، ولا تتوفر فيها شوارع ملطخة أو بحارير الصرف الصحي. يثر اسمها آراكاناك ماكوندو ضحك الأهالي عندما يسمعون به للوهلة الأولى (بالرغم من أن تشابه الاسم مع الكلمة أراكادابرا/التعويذة يعني أن يجعلهم حذرين). إن عدداً قليلاً جداً من الأدباء المشهورين في أي بلد من بلدان العالم انحدر من مثل هذه البلدة الصغيرة، بل إن عدداً أقل بكثير عاش حصنه البرمية ثقافياً وسياسياً مثل عيشة هذا الأديب الحميمة الكاملة.

غارسيا ماركيز رجل ثري اليوم، فهو يملك سبعة منازل في أماكن مدهشة في خمس دول مختلفة. وفي العقود الأخيرة كان يستطيع المطالبة بمبلغ خمسين ألف دولار (بل ويرفضه، وهو المؤلف أكثر) لقاء مقابلة لا تتجاوز نصف ساعة. وفي وسعه أن ينشر مقالاته في أي جريدة تقريباً. وكما هو شأن مؤلفات شكسبير، فإن عناوين مؤلفاته تظهر بأسلوب شعبي في العلون الرتيبة للصحف في جميع أرجاء المعمورة (مئة ساعة من العرلة، يوميات كارثة معلنة، خريف الدكتاتور، الحب في زمن المال). ولقد أبحر على مواجهة مستوى مدهش من الشهرة وتحملة على مدى نصف سبي عمره. وسعى الأثرياء والمشاهير وأصحاب السلطة - مثل فرانسوا ميتران، وفيليب غوتاليت، وبييل كلتون، ومعظم رؤساء جمهوريتي كولومبيا والمكسيك، وغيرهم من المشاهير - شيل حظوته وكسب صداقه ولكن بالرغم من نجاحه الأدبي والمالي المذهل، فقد ظل طوال حياته رجلاً من رحلات أيسار التقدمي، ومدافع عن القضايا العدالة، ومؤسساً لمشاريع إنجابية من صممها تأسيس معاهد مؤثرة في الصحافة والسينما وفي الوقت نفسه، فإن صداقته وثيقة العرى

بالرغم السياسي فيدل كاسترو كنت دوماً منظر جدال وقد إنان السنوات الثلاثين المنصرمة.

لقد اشتعلت لإبحار هذه السيرة سبعة عشر عاماً^(*). وبخلاف ما ذكره لي كل من كتبت في الأيام الأولى (لن تتمكن من لقائه، وبدلاً من التفتيته، فس يتعاون وإياك) فقد بدأت ألتقي الرجل بعد صعدة أشهر من بداية العمل، وبالرغم من أنني لا أستطيع القول إنه كان يفيض حماسة ("لماذا نريد أن نكتب سيرة؟ كتابة السيرة تعني الموت")، إلا أنه كان ودوداً حسن الوفادة ومتساهلاً. في الحقيقة، إنني كلما سئلت إن كانت هذه السيرة مرحصاً لها، فإن ردي كان دائماً هو: "لا، إنها ليست سيرة مرحصاً لها، بل هي سيرة مسموح لها" لكي دُهب وشعرت بالامساك عندما أعلن غارسيا ماركيز أمام الصحوة العامة في العام 2006 إنني كاتب سيرته الرسمي. لعل ذلك يجعلني كاتب سيرته الوحيد المسموح به رسمياً! كان ذلك اختياراً استثنائياً.

كما هو معروف تماماً، فإن العلاقة بين كاتب السيرة وصاحب السيرة علاقة صعبة دائماً، لكنني كنت محظوظاً إلى حد بعيد. فقد كان غارسيا ماركيز يتبر بالصبر، وهو أقل ما يقال في هذا الصدد، وهو الصحافي المحترف والأدب الذي يلجأ إلى حياة أولئك الذين عرفهم في الإسهاب في رواياته. وعندما التفتيته أول مرة في هافانا في كانون الأول من العام 1990 أخبرني أنه سيمضي وإياي في اقترحي بشرط واحد: "لا تجعلني أغير كتابك". وأظنه يوافقني على أنني لم أجعله يحرق عملي وأسه استجاب لمدة يومين لي عندما كنت حقاً بحاجة إلى مساعدته. قد أحرقت دهاء ثلاثين مقابلة كي أنجز هذه السيرة، للعديد منها مع شخصيات مهمة لم يعودوا بين طهر نيبا، لكنني أدركت أن فيدل كاسترو وهيب غونزاليث ربما لم يكونا ليبدرا ضمن اللائحة لو لم يُبد غابو إشارة ما يعني لها إنني طيب. إن الأمل ليحلوني في أنه لا يزال يعتقد أنني طيب بعد أن بات الآن في وضع يمكنه من قراءة الكتاب. فقد امتنع دائماً عن إعطائي ذلك النوع من الحديث الصريح الذي علم به كتاب السيرة على أسس أن مثل هذا التفاعل يسم عن عدم كياسة، إلا أننا لا بد من أساءة مضياً ما مجموعه شهر كامل معاً في أوقات متباعدة وفي أماكن مختلفة إنان السنوات

السبع عشرة الماضية، خاصة وعامه، وإني لأجزم أن عدداً قليلاً جداً من الناس سمع بعض الأشياء التي قالها ي. ولكنه بالرغم من ذلك كله، لم يسم قط إلى التأثير في بأي حال من الأحوال، وإنه قال دوماً مريح من الأحلاقيات والسحرية التي يتصف بها الصحافي المطري: "اكتب ما تراه وحسب؛ فكل ما تكتبه هو ما سأكون أنا عليه".

لقد أثمر البحث في هذه السيرة باللغة الإسبانية، وفُرت كل المؤلفات باللغة الإسبانية، وأحرث معظم المقابلات باللغة الإسبانية، إلا أنها كنت كلها، وها هي تنشر الآن، بالإنكليزية (بالرغم من أن الترجمة الإسبانية ستصدر في العام 2009). علاوة على ذلك، فمن نافله القول، إن الإجراء الاعيادي الأصح هو أن يكتب السيرة، وبخاصة السيرة الأولى الكاملة، مواطنٌ يعرف البلد اسماً والموضوع معه ويفهم دقائق الأمور في كل انصب، وهذه ليست حالتي. يضاف إلى ذلك أن عارمياً ماركيز شخصية عالمية وليس إسبانياً كولومبياً مشهوراً وحسب بل، وكما تهتد الرجل ذات مرة، وإن لم تكن تهيدته حالصة تماماً ربما، عندما ذكر اسمي في أثناء الحديث: "أه، حسناً. أعتقد أن كل أديب يحترم نفسه لا بد له من كتاب سيرة إنكليزي". وإني لا أظن أن قصيتي الوحيدة أمام عينيه تتمثل في حبي اندائم والواضح وارتباطي بالقارة التي وُلد فيها.

لم يكن من السهل عليّ تلخيص طريقي وسط التعسفات المتعددة التي قدّمها عارمياً ماركيز لكل اللحظات المهمة تقريباً في حياته. فهو، شأنه شأن مارك توين الذي يمكن أن يُقارن به مقارنة معيدة، يعشق الحكاية الجيدة، فضلاً عن الفصاة الطويلة، ويروقه أن تكون القصة مصقولة، ليس في الأقل الأحداث ذات الأثر الفعال في تكوين قصة حياته، وفي الوقت عينه، هو مرح، وماهض، هو أكاديمي، ومؤثر يستأراً تماماً الموازية والمضاعفة عندما يخص الأمر تصليل الأثر بين الصحافيين ولأساندة وحتى عندما يكون متأكداً من أن أي حكاية ستند إلى شيء ما حدث حقاً، فإنك لا تزال غير قادر على اختزاله إلى شكل واحد لأنك ستجد أنه ذكر معظم القصص المشهورة عن حياته بأعطاء متعددة ومتباينة، يخوي كل عطفها جاساً من الحقيقة. ولقد مررت شخصياً شجرة مثل هذا السروع الأسطوري

المفرط إلى المبالغة وقد أصابني عدواه إصابة شديدة أيضاً (في حياتي وليس في هذا الكتاب كما أرحو). كما حُلِّف عنادي واستعدادي للانغماس في كل الأبحاث التي لا تسهمك فيها إلا الكلاب المسعورة والإنكلير أثراً قوياً في نفوس أسرة عارسيا ماركيز وهكذا وجدت أنه من المسجل الفصاء على الأسطورة التي شرها عارسي ماركيز منه ويعتمد بها كدليل، حتى إنني - وهذا من مرايا هوسي المفرط - أصبحت لسلة غطلت فيها الأمطار متداراً وأنا جالس على مصطبة في املدان في أراكاتكا كي أتشبع عو البلده التي وُلِد فيها موضوعي كما يفترض

إنني بعد كل هذه السنوات الطويلة أكاد لا أصدق أن الكتاب بات حاصراً في نهاية المطاف، وإنني أكتب هذا مقدمته. لقد خلّص العديد من كتاب السير المستهلكين والأكثر شهرة مني في آن واحد إن أن الوقت والجهد المبذولين في مثل هذا العمل لا يستحقان الشمعة، وأن الحمقى والواهمين هم وحدهم الذين يُقدّمون على مثل هذه المهمة التي ربما يدفعهم إليها احسان التحدث إلى العظام والطيبين أو المشهورين والتماهي معهم ربما قد يعوحي مثل هذا الاستباح، لكن إن كان هناك موضوع واحد يستحق أن تخصص له المرء ربع حياته، فإنه بلا ريب سيكون موضوع حياة عابريس عارسيا ماركيز وسيرته العجيبة.

جيرالد هارتن

تموز 2008

تمهيد

من أصول مغمورة

1899-1800

في صباح يوم قاطط وحاش في مطلع ثلاثينيات القرن العشرين، جلست في الإقليم لمداري الساحلي شمالي كولومبيا امرأة شابة وهي تحلق من ناحية قطار شركة الماكهة المتحدة إلى مزارع الموز التي يمر بها، فتتراءى صفاً صفاً تحت سعة الشمس. كانت قد اسفلت ليلاً سفينة تجارية يطوقها العوض من مرأى بارنكيا على ساحل البحر الكاريبي لعبور مستنقع ثياغا، وهي الآن في طريقها إلى الحبوب، وسط مزارع الموز، نحو مدينة آراكاتانكا الصغيرة والبعيدة عن الساحل حيث كانت قد تركت قبل بضعة أعوام أول مولود لها، وهو غابرييل، مع أبيها الكهلين، وكان آنذاك لا يزال طفلاً صغيراً. ومنذ ذلك الزمان، كادت لوبسا سانتياغا ماركيز إغواران دي غارسيا قد أنجبت ثلاثة أطفال آخرين، وهذه هي عودتها الأولى إلى آراكاتانكا منذ أن أحدها روحها غابرييل إليحيو غارسيا بعيداً عنها كي تغطي في بارنكيا تاركة غابيتو الصغير برعاية جدته لأمه وهما ترانكيلينا إغواران كوتيس دي ماركيز وافييد نيكولاس ماركيز ميجيا. كان العقيد ماركيز غارباً قديماً شارك في حرب الألف يوم المرة التي اندلعت عند مطلع القرن، ونصراً طوال حياته للحزب الليبرالي الكولومبي، وعد في ما بعد مدير خربة بلديه آراكاتانكا.

استهجن العقيد ماركيز ودونا ترانكيلينا بعض المودة بين لوبسا سانتياغا وغارسيا الواسم. فهو لم يكن رجلاً فقيراً وغريباً وحسب، بل كان غير سرعي أبصاً وهجيناً، ورغم، وهذا أسوأ ما في الأمر، مؤيداً قوياً للحرب المحافظ لبعض.

ولم يكن قد مضى على عمه في مكب نلغراف أراكاتاكا سوى بضعة أيام عندما وقمت أنظاره عى لوباء، أجل النساء الشابات الصالحات للزواج في البلده. فأرسلها وادها كي تعيش مع أقرباء لها لما تبقى من السنة كي تبعد عن ذهها ذلك الهيام الجامح بالفادام الجديد المعوي، لكن بلا طائل. أما بخصوص عارسيا نفسه، فقد أصيب بخيبة أمل إذ كان يأمل جمع ثروة من رواجه بابة العقيد، لكن والذي العروس رفضا حضور حفل الزفاف الذي تمكن أخيراً من تنظيمه في العاصمة الإقليمية سانتا مارتا، وقد وظيفته في اراكاتاكا.

فيم كانت لوباء تفكر وهي تحرق حارج نافذة انقطاع؟ لعلها سبت أن الرحلة ستكون غير مريحة. أكانت تفكر في البيت الذي أمضت فيه طفولتها وشبابها؟ ما رد فعل كل فرد إزاء زيارتها؟ والداه عماها؟ الطلال اللناد لم نشاهدما منذ زمن بعيد: غابيتو، الأكبر سناً، ومارغريتا شقيقته الأصغر سناً منه، واما يعيشان حالياً مع جدتيهما. صمّر الفطار وهو يمر غزرة الموز الصغيرة ماكوبلو التي تذكرها منذ أيام طفولتها. وبعد مرور بصح دقائق نالت أراكاتاكا للعبان، ولاح والدها العقيد وهو ينتظرها تحت الطلال... كيف سيحيها؟

لا أحد يعرف ماذا قال، لكننا نعرف ما ادي حدث بعد ذلك⁽¹⁾. في بيت العقيد القديم، الرحب، اعمكت لنساء في إعداد غابيتو الصغير لذلك اليوم ادي لى ينسائه: "ها قد وصلت. لقد وصلت والدتك يا غابيتو. ها هنا. أمك. ألا يمكنك سماع صوت القطار؟"، وهنا بدأ صغير اخر من المحطة القريبة.

بعد مرور الأيام يدكر غابيتو أنه لا يمكن ذكريات عن أمه، فقد تركته قبل أن يتمكن من الاحتفاظ بأي ذكريات. وإذا كان لوجودها الآن أي معنى، فإنه أشه بغياب معاجي لم يشرحه له جداه، فلق كأه هناك خطأ، ربما من جانب. أين لجد؟ كان الجد يوضح كل شيء دوماً. لكن جدّه توارى عن الأنظار.

ثم سمعهم غابيتو وقد وصلوا عند الطرف الآخر من المنزل. جاءت إحدى حالاته، وأمسكت يده. كل شيء أشه بحلم. قالت الحالة "ها قد دحت أمك". بعد لحظة شاهد امرأة لم يعرفها في الطرف القصي من العرفة وقد جلست مولية طهرها نافذة معلقة. كانت امرأة جميلة تعمر قبة من قش مجدول، وترتدي ثوباً

طويلاً فصفاً يصل كمامه إلى رصعيه. كانت تنفس بصعوبة بسبب حرارة منتصف الظهيرة، فلارمه اضطراب عريب لأنها كانت سيدة يحلو له انطر إليها. إلا أنه سرعان ما أدرك أنه لا يحبها على النحو الذي ظنوا أنه أن يحب فيه أمه، وهو حب لا ينه فيه لحده وجدنه ولا حتى حبه لحالاه.

قالت السيدة: "ألن تعاقب أمك؟"، ثم جدته نحوها وحسنه. كانت تموج منها رائحة ركية لن يساه. كان عمره أقل من ستة عندما تركته أمه. أما الآن هذا بات في السبعة من عمره تقريباً. ولأنها عادت أدراجها، فإنه لم يدرك إلا الآن أن أمه قد تركته. ولم يتمكن عايتو من تجاوز ذلك التفكير، ليس عني الأقل لأنه لا يستطيع أن يحمل نفسه عني مواجهة ما كان يشعر به. لكنها سرعان ما تركته مرة أخرى.

* * *

نويسا سانتيجا، أسة العقيد المتمردة ووالدة عايتو الصغير، ولدت في الخامس والعشرين من شهر تموز عام 1905 في بلدة نارنكاس الصغيرة الواقعة بين براري عواحرا وإقليم بدنياً اجلي شرقي سيرا بيادا² عندما ولدت لويسا، كان والدها أحد أفراد الجيش المهزوم، جيش الحزب البيرالي الذي هزمه المحافظون في الحرب الأهلية الكوبومية العظمى: حرب الألف يوم (1899-1902).

أما نيكولاس ريكاردو ماركيز ميخيا، وهو جد عابرييل عارسيا ماركيز، فقد ولد في السابع من شهر شباط عام 1864 في ريوهاتشا، عواحرا، وهي مدينة مغيرة لادعة أحرقها الشمس على ساحل كولومبيا الشمالي المطل على محيط الأطلسي والعاصمه الصغيرة لإقليمها الأكثر قفراً وموطن هود عواحرا وملاد المهرين المروعين منذ الحقبة الاستعمارية وحتى يومنا هذا ولا يُعرف القدر الكبير عن حياة ماركيز المبكرة سوى أنه تلقى تعيماً أولياً استفاد منه، وأُرسل بعد ذلك إلى جهة العرب، لبعض الوقت، ليعيش مع قريبته فراسيسكا سيمودوسيا ميخيا في بلدة إل كارمن دي تولفار الواقعة جنوبي مدينة كارثاحسا الاستعمارية المهية. وهناك نرى الاثنان على يدي حذته لأنه نيكولاس حوسيفا فراسيسكا هيدال. وانصمت فراسيسكا بعد ذلك، إثر قصية نيكولاس بضعة أعوام متجولاً في جميع أنحاء الإقليم

الساحلي، إلى أسرته ليعيش بح سقفه عاساً للبقية الباقية من حياها. سكن بيكولاس بعض الوقت في كامارويس وهي بلدة قريه من التريط الساحلي لإهيم غواخيرا على بعد خمسة عشر ميلاً تقريباً من ريوهاتشا. وتفيد الأسطورة أنه كان مشاركاً قبل الأوان في إحدى الحروب الأهلية التي كانت تقطع بانتظام الحياة في كولومبيا إبان القرن التاسع عشر. ولما قفل راجعاً إلى ريوهاتشا وهو في اساعة عشرة من عمره، اشتعل صانعاً تحت إرشاد أبيه بيكولاس دل كارمن ماركيز هيرنانديز. تلك هي مهمة الأسرة التقليدية. وإذا كان بيكولاس قد أكمل دراسته الابتدائية، فإن أسرته البالغة إلى لقود لن تقدر على الإصاق عليه كي بمضي شوطاً أبعد في تعهيد.

غير أن بيكولاس ماركيز كان منحنياً وافر الإنتاج في أوجه أخرى: بعد عامين من رجوعه من غواخيرا، بات هذا الرخالة المراهق الطائش أباً بولدين غير شرعيين - تُطلق في كولومبيا صفة لأبناء الطبيعيين على الأبناء غير الشرعيين - وهما حوسيه ماريا المولود في العام 1882 وكارلوس ألبرتو المولود في العام 1884⁽³⁾، وكانت أمهما عاساً غرية الأطوار من بلدة ريوهاتشا تدعى التاعرتا بالديلاتكيت عسى صلة بأسرة محافضة ودات نفوذ، وأكر ساً من بيكولاس نفسه. ولا تعلم السب الذي حل بين بيكولاس والرواج لها. وقد مُنح الصبيان كبة أمهما ونشأ نشأة كاثوليكية محافضة بالرغم من لير ليه بيكولاس للحيشة؛ ولما كان العرف السائد في كولومبيا حتى وقت قريب هو أن يعنق الأولاد الولاء السياسي لأبويهما، فإن الصبيان لم يشأ في كنف بيكولاس بل في كنف أسرة أمهما، وقاتل الاثنان في ما بعد صد الليبراليين، وبالتالي ضد والدهما، في حرب الألف يوم.

بعد سنة واحدة من ولادة كارلوس ألبرتو، تروح بيكولاس وهو في الحادية والعشرين من عمره من فتاة في مثل سنه تدعى مراكيلينا إغواران كوتيس، وكنت قد وادت بدورها في ريوهاتشا في الخامس من شهر تموز عام 1863. وبالرغم من أن ترانكيلينا كانت ابنة غير شرعية، إلا أن كنيستها تعود إلى أسرين بارريس في حرب المحافضين في تلك المنطقة. كان من الواضح أن سكولاس وتاركيلينا يتحدران

من أسرقى أوروبيس من البيض، وأن نيكولاس - وهو كارانوا فاسد لا سبيل لإصلاحه - كان يعدل النساء من كل عرق ولون.

هكذا بدأ بتلمس طريق العودة إلى متاحف السبب السري والعاصم التي عرفها معرفة جيدة قراء هنة عام من العزلة، وهي أشهر رواية كتبها غابريل غارسيا ماركيز فهي تلك الرواية يحد عن طريقه في عدم مساعدة قرائه بذكريات عن تفاصيل العلاقات الأسرية؛ فلا يقدم سوى الأسماء الأولى فتكرر هذه الأسماء بنفسه تكراراً كثيراً خلال الأجيال، فيعبدو هذا جزءاً من تحدي الكتاب الخفي للقارئ، إلا أنه بلا ريب يعيد إنتاج الإرتباك والقلق اللذين مرّ بهما المؤلف عندما حاول، وهو طفل، أن يفهم الشيكات التاريخية المعقدة لإرث أسرته.

لأحد نيكولاس الذي ولد ولادة شرعية لكنه تربى في كنف جدته لا في كنف والديه، صحيح أنه لا يوجد ما يثير الاستغراب في هذا الشأن في مجتمع متاحم للحدود يدعمه مفهوم الأسرة الكبيرة طلباً للأمن. وكما رأينا، فقد بات لديه ولدان غير شرعيين قبل أن يبلغ العشرين من عمره. وليس هناك ما يثير الاستعراب في هذا الشأن أيضاً. لكنه تروج إثر ذلك مباشرة بترانكيينا، وهي، شأنها شأن التاغراثا، تنتمي إلى طفة أعلى من طبقته بالرغم من أنها سبي، كي نوارن الأمور، ألها كانت غير شرعية. يضاف إلى ذلك، فقد كانت قريبته من الدرجة الأولى، وهذا شائع في كولومبيا، بل هو في أميركا اللاتينية أكثر شيوعاً من أي مكان آخر في العالم بالرغم من أنه، شأنه شأن اللاشرعية، لا يزال موسوماً بسمعة خاصة. فقد كان لزوجين اجلة معها وهي حوايتا هيرنامدير التي سافرت من إسبانيا إلى كولومبيا في عشرينيات القرن التاسع عشر وكان نيكولاس ثمرة زواجها الشرعي الأول، في حين أن ترانكيينا ولدت من علاقتها غير الشرعية الثانية، إثر ترحلها، بأحد الكريوليين⁽⁴⁾ وكان قد ولد في ريوهاتشا ويدعى نلاس إغواران الذي يصورها معترة أعوام. وهكذا يتبين بعد جيلين لا أكثر أن اثنين من أحفاد حوايتا، وهم نيكولاس ماركيز مبعثاً وترانكلينا إغواران كوتس، تزوجا في ريوهاتشا. وبالرغم من أن كنههما لا تتفقان، فالحقيقة هي أن والده ووالدتها كانا طفلين، أح غير شقيق وأخت غير شقيقة لحوايتا المولعة بالمعامرة. لا يمكن للمرء أن يتأكد من الشخص الذي يتزوج

به. وقد تسرل مثل هذه الخطيئة اللعة، أو - وهذا هو الأسوأ كما حشي أفراد أسرة بوينديا على امتداد صفحات مئة عام من العزلة - تنهي بطل دي صميره بضع حداً لسلالة الأسرة.

من الطبيعي أن يصيف شبح السباح، الذي يظهر طنه حساً مثل ذلك الزواج بين بيكولاس وترانكيليا، بعداً آخر أشد عموصاً لفهوم اللاشريعة. بعد ذلك الزواج، ربما أنجب بيكولاس عشرات الأاطمال غير الشرعيين، لكنه ظل يعيش في مجتمع كاثولكي صرف بكل ما فيه من أساق هرمة تقليدية واردة للطقة الاجتماعية التي يقع في أسملها السود أو اليهود (الذين لا ترغب طبعاً أي أسرة محترمة في الانتساب إليهم بأي شكل من الأشكال بالرغم من أن معظم الأسر في كولومبيا، من صممها أكثر الأسر مدعاة للاحترام، لها مثل ذلك الانتساب). إن هذا الخلبط الغوصوي من العرق والطقة الذي يتنوي على أساليب كثيرة لظهور اللاشريعة وعلى طريق واحد مستقيم ومحدود نحو الاحترام الحقيقي، هو العالم نفسه الذي سينشأ فيه بعد سنوات كثيرة لاحقة الطفل الرضيع غارسيا ماركيز ويشاطره تعقيداته ونمائه.

ما إن تزوح بيكولاس ماركيز بترانكيلينا إغواران حتى تركها وهي حامل - وهذه أفضل طريقة لترك المرأة من وجهة النظر الأبوية - وأقصى بضعة أشهر في باتاما، التي كانت لا تزال يومذاك جزءاً من كولومبيا، للعمل مع أحد أحواله وهو حوسيه ماري ميخيا بيدال حيث أنجب فيها طفلة أخرى غير شرعية، وهي ماريا غريغوريا رويث، من إيرابيل رويث، تلك المرأة التي يمكن أن تكون حب حياته الحقيقي، قبل أن يعود إلى عواحيها بعد مرور وقت قصير على ولادة ابنه غير الشرعي الأول خوان دي ديوس في العام 1886⁽⁵⁾. ثم أنجب بيكولاس وترانكيليا طفلتين أخريين عمر شرعيتين وهما مارغريتا، المولودة في سنة 1889، ولويسا سانتياغا، التي ولدت في باراكاس في شهر تموز عام 1905 بالرغم من إصرارها حتى نهاية حياتها تقريباً على أنها هي الأخرى ولدت في ريوهاتشا لأنها شعرت أن لديها ما تريد إخماده كما سرى في ما بعد. ثم تزوج بدورها بزوج غير شرعي، وسحب منه في نهاية المطاف ابناً غير شرعي اسمه غابرييل حوسيه غارسيا ماركيز، وهذا فانه

مما لا يسبعت على الدهشة أن تحفل أعمال غابريل القصصية بحسن الانشروية وبصرف النظر عن الأسلوب الفكاهي الذي يطرحه به.

لم يمض أطفال نيكولاس غير الشرعيين مئة مربعة إبان الحرب الأهلية كما يحلو حميد العقيد للمصل أن يتخيل في روايته (التي يأتي فيها على ذكر سبعة عشر طفلاً⁽⁶⁾). فعلى سبيل المثال، كانت سارا نوريفا ابنة طبيعية لنيكولاس وبيتسا نوريفا وأصبحت هي الأخرى معروفة باسمها لاباتشا نوريفا وتزوجت بنوريفو بوسا ورحلت لتسكن في فوندانيون وهي المحطة التالية على امتداد خط السكة الحديدية من مدينة أراكاتاكا. في العام 1993، كانت حميدتها إيدا نوريفا التي ألقتها في بارانكاس وحدها التي تحتفظ في تلك البلدة بوحدة من تلك الأسماك ذهبية اللون صغيرة الحجم التي صنعها نيكولاس ماركيز. وقالت أنابوس ب. سار، وهي ابنة أرسيب كاريو التي تزوجت في العام 1917 بآن أخت نيكولاس وصدقه الرودود أوجيبو ريوس (الذي يرتبط بربط القراءة بفراسيبك سيمودوسيا ميخيا التي عاشت مع سكولاس) إن سارا كانت تشبه لويسا إلى حد كبير، "ودات مشرة تشبه التوتة وعادة في العذوبة"⁽⁷⁾. وقد توفيت في جلود العام 1988، أما استيبان كاريو والفيرا كاريو فكانا توأمين غير شرعيين لأمه سارا مانويلا كاريو. وبعد أن سكنت الفيرا، حلة عاينيو المحبوبة بـ، مع نيكولاس في أراكاتاكا، تنقلت في نهاية المطاف إلى كارتاخينا في أواخر سني حياتها حيث أوتها أختها غير الشقيقة الأصغر سناً منها وغير الشرعية لويسا سانتياغا وساعدتها وهي تختصر، بحسب ما أفادت به آنا ريوس. أم نيكولاس عومث فكان ابن إميليا عومث وبحسب ما قاله شخص آخر، ويدعى أوربانو سولانو، فقد ذهب الابن ليعيش في فوندانيون شأنه شأن سارا نوريفا.

نما نجل نيكولاس الأكبر، غير شرعي، وهو خوسيه ماري بالديلاتيكيت، فبات أكثر أولاده نجاحاً، إذ أصبح بطلاً من أبطال الحرب وسياسياً ومزرعاً، وتزوج منويلا مورو وهو في ريعان الشباب، وأنجب منها ابناً وخمس بنات وكان من إحدى هذه البنات وهي مارغوت، قد أصبح أديباً آخر هو خوسيه لويس دياب غرانادوس⁽⁸⁾.

انسقل نيكولاس ماركير من العاصمة الساحية القاحلة ريوهاتشا إلى باراكاس فيل أن يعدو عميداً بزم طويلاً لأنه كان يطمح إلى أن يصبح من ملاك الأراضي، وكانت الأرض آنذاك أرخص ثمناً وأكثر حصوبة في الليل المحيصة سارامكاس، (يقول عارسيا ماركير، بالرغم من أنه لا يُعتمد عليه في مثل هذه القصص)، إن والد نيكولاس ترك له قطعة أرض في تلك المنطقة. وسرعان ما اشترى مزرعة من أحد الأصدقاء في منطقة تدعى إل بوتريرو على سفوح جبال سييرا. كانت المزرعة تدعى مرعة إل عواسيمو، وقد سميت على اسم شجرة نفاخ محلية. وانطلق ماركيز لرعاية قصب السكر الذي صنع منه شراباً بالنمطير المنزلي. ويعتقد أنه تاجر بالمشروب سرّاً شأنه شأن معظم زملائه من ملاك الأراضي واشترى بعد ذلك مرعة أخرى قريبة من البدة ونجاش نهر راتشوتا أطلق عليها اسم إن إيسمو (البرخ) لأنك لا بد من أن تعم المياه حيث أردت الوصول إليها. وزرع فيها التبغ والدرة وقصب السكر والفاصولياء وليكة⁹¹ والبن والموز. وبمكس اليوم زيارة المزرعة، لكنها شه مهجورة، مانيها حربة، وقد نالشي بعضها من الوجود، لكن لا تزال ثمة شجرة مانجا عتيقة شامخة كأها يروق أسرة مهلهل، ونظمي عسى المشهد المداري كله مسحة من الحرور والحسين. ربما كانت هذه الصورة الحافلة بالذكريات خيال رائر محص لأن مثل هذا الرائر يعلم أن المقيد ماركير رحل عن ناراكاس بعد أن فقد الحصوة التي لا تزال تبدو شجيمة على المنطقة بأسرها، لكن حتى قبل حدوث ذلك الشيء، فإن وجود العقيد المقيم هناك ظللته ظلال الخراب.

* * *

ولا يُعرف أيضاً إلا اندر ايسير عن والد عابرييل عارسيا ماركير، بل أقل مما هو معروف عن حده. فقد ولد عابرييل إليحيو عارسيا في سيبي، في بوفيتار، في الأول من شهر كانون الأول عام 1901 بعيداً وراء المستعم الكبير، بل حتى وراء هر محديسا وذلك إبان احرب الأهلية العظمى التي أبلى فيها نيكولاس ماركير بلاءً حسناً وضع اسمه فيها. يبدو أن والد حد غارسيا كان يدعى يدررو عارسيو غوردون ويقال إنه ولد في مدريد في مطلع القرن التاسع عشر. ولا نعلم كيف انتهى المطاف

عارسيا عوردن في بو غرانادا ولا حتى سبب ذلك ولا المرأة الي نروح بها، نكه كان لديه ابن يدعى أمساداب عارسب في كاتميوتو، في بوليمار (هي مطعة سوكري الأب). وعارسب ليحيا غارسيا ماركير، فإن أمساداب نروح ثلاث سماء أعين به ثلاثة أطفال. وبعد أن ترسل، التقى مريا دي لوس أنجيليس باتريسا بوساماني مولودة في سبتيليجو عام 1855 وهي أصغر منه بإحدى وعشرين سنة، وأنجا ثلاثة أطفال آخرين وهم ألبسار وحليبي وأرحيميرا. وبالرغم من أن الاثنين لم يتزوجا، فإن أمساداب اعترف بأبوتة هؤلاء الأطفال ومجهم اسمه وقد ولدت الطعمة أرحيميرا عارسيا باتريث في أبول عام 1887 في بلدة كيتيو، وهي مسقط رأس أبيها، وهي التي تنصبح في ما بعد والدة عابرييل إليحيو غارسيا وهي في سن اربعة عشرة وجدة أديا عابرييل عارسيا ماركيز لأبيه⁽¹⁰⁾.

أصغت أرحيميرا معظم حياتها في بلدة ماشية سينتي، وكان يطلق عليها في الثقافة الإسبانية امرأة الشعب. كانت هارعة المصول، كانتال في روعتها، مليحة البشرة، ولم تتزوج استة، لكنها عاشرت عدداً لا يحصى من الرجال وأنجت سبعة أطفال غير شرعيين من ثلاثة من هؤلاء الرجال ونحاصه من أحدهم واسمه بيخارابو⁽¹¹⁾، (وقد حمل الأولاد جميعهم اسمها عارسيا). غير أن أول عشاقها كان عابرييل ماريثيث عريبدو الذي كان معلماً يومذاك وورث أسرة من ملاك الأراضي المحافظين، وكان يتمر بعناية الأطوار التي تصل في بعض الأحيان إلى درجة الهديان حتى إنه بدد معظم ميراثه⁽¹²⁾ وقد أغوى أرحيميرا وهي في الثالثة عشرة من عمرها فيما كان هو في السابعة والعشرين؛ وسوء الحظ كان عابرييل ماريثيث عابريبدو متزوجاً آنذاك بروسامينا المولودة في سينتي أسوة بروحها، وأنجا خمسة أطفال غير شرعيين لا يعمل أي منهم اسم عابرييل.

هكذا بات والد عابرييل غارسيا ماركير معروفاً طوال حياته بالاسم عابرييل إليحيو غارسيا وليس عابرييل إليحيو ماريثيث غارسيا⁽¹³⁾، إن من يهتم بكل هذه الأشياء لا بد من أنه سيدرك على الفور تقريباً أنه ولد غير شرعي وعلى كل حال، فهي أواخر عقد العشرينيات من القرن الماضي، نرى عابرييل إليحيو يعوض عن هذه العيوب. وكما اكتسب بيكولاس ماركير ربة عسكرية مرموقة إبان

الحرب وأصبح عقيداً، فإن عامريل إيلخيو، ذلك العصامي الذي تعلم المعالجة بالطب التجاسي، بدأ يصيب لقب دكتور إلى اسمه. العقيد ماركيز والدكتور عارسا.

* * *

القِسْمُ الأوَّل

الوطن: كولومبيا

1899-1955

-1-

عقداء وقضايا خاسرة

1927 1899

عالمًا ما تلو قارة أميركا اللاتينية حية أمل لسكانها بعد خمسة ستة من اجتاح الأوروبي لها. ويبدو أن تاريخها قد رسمه كولومبوس، ذلك القبطان العظيم ادي اكتشف القارة الجديدة خطأً وأخطأ في إطلاق اسم المسد عليها، ثم مات بعد أن شعر بالمرارة والخيبة في بواكير القرن لسادس عشر، أو رسمه المحرر الكبير سيمون بوليفار الذي وضع حدًا لحكم الاستعماري الإسباني في مطلع القرن التاسع عشر، لكنه توفي هو الآخر وهو جرح لملكك القارة التي تحررت حديثًا وللمكرة التي معادها أن من يصع ثورة بحرث المحر. وفي الحفنة الحديثة سبياً بدا مصير أرسنو تشي عيمارا، وهو أكثر الرموز الثورية رومانسية في القرن لعشرين والدي توفي شهيداً في بوليفيا في العام 1967، يؤكد فكرة أن أميركا اللاتينية، التي لا تزال قارة مجهولة وبلاد المستنفل في آن واحد، هي موئل الأحلام العضة والإخفاقات الكارثية⁽¹⁾

قل أن شيع اسم عيمارا في أنحاء لأرض بزمان طويل، كان ثمة صبي صغير في بلدة كولومبة صغيرة لم يلمع تاريخها إلا بدن تلك السنوات التي احتارت فيها شركة الفاكهة المتحدة ومقرها مدينة بوسطن أن تزرع المور فيها في بواكير القرن العشرين، يصمي إلى جده وهو يقص عليه حكايات الحرب التي دامت ألف يوم والتي شعر في محاسنها بمرارة الوحلة التي يشعر فيها المهرومون، وحكايات عن الأفعال العظيمة التي حدثت في الأيام الحوالي وعن لأبطال والأوعاد الأنبح، وهي كتبها قصص علمت الطفل أن العدالة ليست مبنية في سبيح الحياة بقاءً اعنيادياً، وأن

الحق لا يتصور دوماً في هذا العالم، وأن المثل التي تملأ قلوب وعقول العديد من النساء والرجال يمكن أن تحقق بها الهزيمة، بل حتى نزول عن وجه الأرض، المهم إلا إذا بقيت محفورة في ذاكرة أوتك الذين يقفون على قيد الحياة ويعيشون ليروها.

* * *

في أواخر القرن التاسع عشر، أي بعد سبعين سنة من استقلال جمهورية كولومبيا عن إسبانيا، كانت كولومبيا دولة لا يتجاوز عدد سكانها الخمسة ملايين نسمة تسيطر عليه بحجة أقلية من ثلاثة آلاف رجل من مالكي المزارع الكبيرة ومعظمهم من السياسيين ورجال الأعمال وعدد كبير من المحامين والكتاب أو الصحفيين؛ وهذا هو السبب الذي جعل العاصمة بوغوتا تُعرف بأنها "أثينا أمريكا الجنوبية". لقد كانت حرب الألف يوم هي الحرب الأخيرة والأكثر دمارة من سلسلة من الحروب برية على عشرين حرباً وطنية وأهلية مرتقت كولومبيا إبان القرن التاسع عشر، دارت رحاها بين الليبراليين والمحافظين، الوسطيين والليبراليين، الليبراليين وملاك الأراضي، لعاصمة والأقاليم. أما معظم الأقطار فقد شهدت في القرن التاسع عشر، وعلى نحو تدريجي، انتصار الليبراليين أو من يوازهم في المعركة التاريخية، في حين ظل المحافظون يهيمنون على كولومبيا حتى العام 1930، وبعد فترة حكم ليبرالي امتد من العام 1930 وحتى العام 1946، عاد المحافظون مرة أخرى إلى مقاليد الحكم حتى أواسط عقد الخمسينيات، وظنوا قوة مؤثرة حتى يومنا هذا. من المؤكد أن كولومبيا هي للدولة الوحيدة التي كانت فيها الانتخابات العامة محوّر صراع حتى أواخر القرن العشرين بين الحزب الليبرالي التقليدي وحزب المحافظين التقليدي من دون أن يمكن أي حرب آخر من الحصول على موطن قدم⁽²⁾، لكن الوضع تبدل في السنوات العشر الأخيرة.

بالرغم من أن الصراع أطلق عليه تعبير حرب الألف يوم، إلا أنه انتهى حتى قبل أن يبدأ. فقد كانت حكومة المحافظين تملك موارد أعظم شأنًا، وكلا الليبراليين تحسنت رحمة زعيمهم رافاييل أوربيبي أوربيبي المهم على نحو غريب والمعتق إلى الكفاءة في آن واحد. على كل حال، استمرت الحرب رهاء ثلاثة أعوام، وردادت مرور الأيام قسوتها ومرارتها وعشتها. ومن شهر تشرين الأول من العام 1900 لم

يستمكن أي من الطرفين من أسر أحد، إذ أعلن الطرفان أن الحرب ستكون حرباً حتى الموت مما يعني أن كولومبيا تحيا في ظل العصمت. وعندما انتهى كل شيء في شهر تشرين الثاني عام 902 كانت البلاد في حالة حراب وفقر، وكان إقيم بانام يوشك أن يعص ويصيع إلى لأبد، وربما لقي سنة ألف كولومسي مصرعهم. غير أن أعمال النار والاسقام الساحقة عن الأسوب لذي دارت به الحرب ستمرت بعدة عقود من الزمان، مما جعل كولومبيا بلداً عجيباً حيث إن الحريين الرئيسيين يقب عدوين لعدوين طوال قريين. لكنهما اتفقا صمماً على ألا يحظى السكان بمثيل حميمي. ولم يشهد أي مد في أميركا اللاتينية انقلابات أو ديكتاتوريات مثل ما شهدته كولومبيا في القرن العشرين. لكن النسب الكولومبي دفع ثمناً عالياً لقاء هذا الاستمرار المؤسساتي الطاهري.

نقد دارت رحي حرب آلاف يوم في شتى أرجاء اللولة، لكن مركز اجذب تحول تدريجياً شمالاً إلى الأقاليم الواقعة على ساحل الأطلسي. فمن جهة، م يصنع مركز الحكومة في بوغوتا إلى قديد خطير من المتمردين الليبراليين. ومن جهة أخرى، تراجع الليبراليون في حماة المصاف صوب الدروب الساحلية التي عالياً ما كان ينجأ إليها زعماءهم نثناً عن ملاد آخر في دول مجاورة متعاطفة أو في الولايات المتحدة، حيث يحاولون هناك جمع الأموال وشراء الأسلحة استعداداً للحمولة التالية من الحرب. في هذا الوقت، كان الثلث الشمالي من البلاد المعروف باسم الساحل، ويطلق على سكبه اسم سكان الساحل، يألف من مديريين رئيسيين: بوليفار إلى جهة العرب وعاصمتها مرفأ كارثخيا، ومدييا إلى جهة الشرق وعاصمتها مرفأ سانتا مارنا، المكففة تحت جبال سيرا بيفادا اعطيمة وكانت المديتان الرئيسيتان تقعان على حاسي سيرا بيفاد - سانتا مارتا إلى جهة العرب وريوهانسا إلى جهة الشرق - أما بقية المدن الأخرى الواقعة بينهما إذ ما النف المرء حول سيرا - وهي تيباعا، وآراكاتاكا، وماينديبار، وهيلانويفا، وسال خوان، وفوسيك، وبارانكاس فقد انتقلت من طرف إلى آخر إبان الحرب وهي التي وفرت سياريو غندتم بكولاس ماركيز وولديه غير اشترعين الأكبر سناً وهما خوسه ماري بالديلانكث وكارنوس ألبرتو بالديلانكث.

في وقت ما من أوائل تسعينيات القرن التاسع عشر نقل بيكولاس ماركيز وتراكييلينا إغوارال طفلتهما جوان دي ديوس ومارغريتا إلى بلدة بارانكلير الصغيرة في غوجيرا الكولومبية، واستأجرا منزلاً في كاي دل توتومو على بعد خطوات قليلة من الميدان. ولا يزال البيت قائماً حتى يومنا هذا. واشتغل السبور ماركيز جوهراً، بصنع ويبيع مصوغاته من الفولاذ والحواتم والأساور والسلاسل علاوة على تخصصه في الأملاك الذهبية الصمغ، ويبدو أنه أسس لتجارة رائجة حولته إلى عضو محترم في المجتمع. وكان تلميذه، وبالتالي شريكه رجلاً شاباً يدعى أوجيوربوس وأصبح كان تكفل بترتيه، وكان قد اشتغل وإياه في ريوهاتشا بعد أن اشترده من آل كارمن دي بوليفار. كان ريوس أخاً غير شقيق لقرية بيكولاس فرانسيسكو سيمودوسيا ميخيا التي كان بيكولاس قد تربي وإياه عند آل كارمن ثم أحدها معه في وقت لاحق إلى أراكاتاكا. عندما اندلعت حرب الألف يوم، بعد مرور سنوات من الإحباط للبرالي، كان بيكولاس ماركيز، وهو ابن الخامسة والثلاثين، قد تخلو من المعامرت. أضف إلى ذلك، أنه أسس حاة سريعة ومنتجة ومستساغة في بارانكلير، وكان يطمح إلى تحرير رفهته المتنامية. مع هذا، فقد انضم إلى جيش أوريسي أوريسي وحارب في أقاليم عواجوا وبادياً ومجديسا، وثمة دلائل تشير إلى أنه حارب عني نحو أشد وأطول من غيره من المؤكد أنه كان مشاركاً منذ البداية عندما كان أمراً وجرعاً من الجيش البرالي الذي احتل مسقط رأسه ريوهاتشا وطن على تلك الحال حتى انتهى النراع في تشرين الأول 1902

خلول نهاية شهر آب سنة 1902 تقدم الجيش البرالي الذي تلقى تعزيزات حديثة وباب تحت إمرة أوريسي أوريسي الذي ظهر مرة أخرى عني نحو غير متوقع، صوب لعرب، وشق طريقه من حول سيرا بدءاً من ريوهاتشا حتى قرية أراكاتاكا الصغيرة التي كانت معروفة بصفتها معقلاً من معازل الحزب البرالي، هوصلها في الخامس من أيلول وهناك عمد أوريسي أوريسي محادثات له يومين مع الجنرالين كلود روميرو كاسيلو وخوسيه روساريو ديوران وغيرهما من الضباط ممن فيهم بيكولاس ماركيز نفسه. وفي أراكاتاكا اتخذ قراراً مصيرياً يقضي بمحوص معركة أخرى أدت في نهاية المطاف إلى هزيمتهم هزيمة نكراء في معركة ثياعا.

تقدم أوربيسي أوربيسي نحو ثياغا في باكورة صباح الرابع عشر من تشرين الأول عام 1902، وكانت المعركة قاسية على الليبراليين مد اللحظة التي بدأت فيها إحدى السفن الحربية الحكومية يقصف مواقعهم من البحر. وقد أطلقت بعض الإطلاقات على أوربيسي أوربيسي واحترق بعضها سرته لكنها لم تُصيب جسده بأعجوبة (و لم يكن ذلك هي المرة الأولى). فصاح مندهشاً، وهو أمر مألوف من عفا عارسيه ماركيز المعروف أوريليانو بونديا: "كم مرة يعتقد هؤلاء العوثيون أنني أمتلك؟" (تعتبر العوثيون يطلقه الليبراليون على المحافظين). ومات ابن بيكولاس ماركيز كارلوس ألييرو مبتة، الأبطال، أما الأح الأكبر حوسيه ماري الذي كان تسلسله في قيادة فرقة جيش المحافظين المعروفة باسم فرقة كارروا، يأتي في المرتبة الرابعة، فقد نجا.

بعد مصي بومين خرج حوسيه ماري من ثياغا محطم المزود إثر وفاة كارلوس ألييرو، وقصد غيم الليبراليين المهزومين حيث كان أبوه يعالج جروحته شأنه شأن آخرين غيره. كان حوسيه ماري يحمل عرضاً لسلام من محافظين وفيما يعله بتقدم من خيام الليبراليين المهزومين، اعترضت طريقه مجموعة معدة، وسبق معصوب العنسى ليشرح شروط المحافظين على أوربيسي أوربيسي. إننا لن نعرف أبناً ما جرى بين الابن غير الشرعي البالغ من العمر تسعة عشر عاماً وأبيه المتمرد في مناسبة تاريخية جيم فيها ظل موت الابن الصغير عليهم. وناهى أوربيسي أوربيسي شروط المحافظين مع كبار ضباطه، وقرروا في نهاية المطاف القبول بها. فعاد المبعوث الشاب إلى ثياغا وفي وقت متأخر من الليل وصل محطة السكة الحديدية حيث حياه حشد من المهلوسين، ورفعهو عالياً ليُبلع النأ السار بعد مرور عشرة أيام، أي في الرابع والعشرين من شهر كانون الأول عام 1902، انقضى قادة المحافظين وأوربيسي وأوربيسي مع رؤساء أركانهم في إحدى مزارع الموز وتدعى مزرعة بيرلاندبا، وهي غير بعيدة عن ثياغا، لتوقيع معاهدة السلام. ولم تكس إلا أكبر قبلاً من ورقة تين صممي تحتها حقيقة مرّة وهي أن الليبراليين هزموا هزيمة نكراء.

في وقت متأخر من العام 1902، رجع نيكولاس ماركيز إلى بارانكاس وإن زوجته تراكيلينا، وبدأ ينهض بأعاء حياته. وفي العام 1905 ولدت طمتمهما الثالثة لويسا ساتياغا، وبدأت الأمور وكأنها عادت إلى محراها الطبيعي⁽³⁾، لكن نيكولاس تورط في العام 1908 في مزاحمة عيفة بغير جرأها قدر أسرته إلى الأبد، واضطر إلى الرحيل عن بارانكاس. وعندما مررت ببلدة بارانكاس بعد مرور خمس وثماني عشر عاماً على الحادثة، أي أواخر العام 1993، كان الجميع يذكرون ما جرى، لكن لسوء الحظ روى لي كل شخص حكاية مختلفة، ومع هذا فلم تُذكر إحدى الحقائق التالية: عند الساعة الخامسة من عصر يوم الاثنين الماطر في التاسع عشر من تشرين الأول عام 1908، وهو اليوم الأخير من أسبوع مهرجان عذراء بيلار، وفيما كان الموكب الذي يحمل صورة العذراء بشق طريقه صوب الكبة الواقعة على بعد بضعة شوارع لا أكثر، أطلق العقيد نيكولاس ماركيز، وكان آنذاك سياسياً محلياً محترماً، ومالك أرض، وصانعاً، وصاحب أسرة في الأربعين من عمره، النار على شاب يدعى ميناردو وهو ابن أخت صديقه ورفيقه في السلاح الجرال فرنسيسكو روميرو، وأرداه قتيلاً. ومن احقائق التي لم يكرها أحد هي أن نيكولاس كان زير ساء تبدو هذه الصفة لدى بعض القراء في أماكن أخرى من لعالم معاصرة لتصوره كرجل محترم له مكانة مرموقة بين جوارحه. لكن هناك على الأقل نغطين من الشهرة يحصل عليهما امرء في مثل هذا المجتمع: الأول هو سمعته الطنة، وهي سمعة تقليدية تقترن دوماً بالمهابة التي يعصم كيف يعرضها على غيره. أما الآخر فهو سمعته بوصفه زير ساء أو قاتلاً فيشرها عنه الآخرون بدعائه، ويكمن الهدف في صمان تعزيز هذين النمطين من الشهرة أحدهما لآخر.

كان التفسير الأول الذي سمعته مقعاً مثل أي تفسير آخر سمعته. فقد ولد فيليمون إيستر في اسنة نفسها التي وقعت فيها الأحداث وقد فقد بصره الاب تماماً، وقد أكسبته تلك القصة الموعلة في اقدم حيوية انتقدتها بقية الشهادات. فقد ذكر فيليمون أن نيكولاس كان لديه عدد من الأطفال غير الشرعيين وأنه أعوى ميناردو روميرو، وهي شقيقة صديقه لعلم الجرال روميرو، ثم تجمع بذلك محموراً في الميدان. ودار الكثير من القين وانتقال معظمه بحصى ميناردو لكن بعضه يخص

تراكيكيا وقالت ميدارد، لا بها "لا بد من غسل هذا لافتراء على السمعة بالدم يا وبدي وليست هناك وسيلة أخرى، وإذا كنت لا تريد رؤيته فلا بد لي من أن أليس بسنطالك وأن نلس أنت تنوري!". كان ميداردو رامياً بارعاً خاص مع بيكولاس عمال الحرب ويعيش اليوم في نابايال الغريبة، فتحدى مراراً وعلانية قائده السابق، وشمعه فأحد هد تلك الحدييات على يحمل الجدد، وفي وقت لاحق كمن للشباب الأصغر سناً منه. امتطى ميداردو صهوة جواده، وذهب إلى المدينة في يوم الاحتمال مرندياً معطفاً مطرياً من قماش القبردين الأبيض ومضى في رفق - لم يعد له اليوم وجود - ليختصر الطريق. وفيما هو يترجل عن صهوة جواده حاملاً حرمة من الحشائش في يد وشمعة متقدة في اليد الأخرى، قال له بيكولاس: "أنت مسلح يا ميداردو؟" فردّ ميداردو: "لا"، فما كان من بيكولاس إلا أن أضاف قائلاً: "لا بأس أتذكر ما قلته لك؟"، ثم أطلق عليه إطلاقاً واحدة فصاح آخرون بإطلاقين. فحرجت امرأة سكى في ذلك الرفاق وقالت: "إدأ، لقد قتله أخيراً". فأجاب بيكولاس: "إن رصاصة الحق نعلو على رصاصة القوة". وقال فيلعيون: "وبعد ذلك انطلق بيكولاس ماركيز العجور على امتداد الطريق وهو يقفز فوق البرك المائية وفي إحدى يديه بندقية وفي الثانية مظلمة وبحث عن إشييه لوريشو سولانو عوميت، الذي رافقه ليسم نفسه. ثم أودع السجن إلا أن ابنه حوسيه ماريا بالديلانكيث، الذي كان محامياً دكياً، أخرجه من السجن. وبما أن ميداردو كان ابناً غير شرعي، فإنه ليس واضحاً إن كانت كنيته هي باتشيكو أو روميرو، لهذا قال بالديلانكيث إن هوية المقتول ليست واضحة تماماً. لقصة فنية كما ترون" وهكذا ساعده بالديلانكيث على النجاة.

لم يكن هناك أحد غير آما ريوس، ابنة أختينيو شريك بيكولاس، تعرف أنهض من الآخرين، فأخبرتني أن تراكيكيا كانت منورطة تماماً في محمل تلك المأساة⁽⁴⁾. وذكرت أن تراكيكيا كانت تشعل غيرة، ولها ما يبرر ذلك، لأن بيكولاس كان بحوه دالماً. كانت ميداردا أرملة والحديث عن الأرمل لا يتوقف في البلدات الصغيرة، وانتشرت شائعات أنها كانت عشيق بيكولاس المنظمة، فبات مراكيل مسكونة بحاس هذا الاحتمال. ربما لأن ميداردا كانت تنتمي إلى طبقة أعلى شأنًا،

وهذا فهي أكثر خطراً من أي من مغامراته الأخرى. وقيل إن تراكيليا لحأت إلى المشعومات طلباً للمشورة، وأتت بالماء من النهر لتنظيف عتبتها، ورشت عصير الليمون في أرجاء المنزل. وفي يوم ما هكذا قيل خرج إلى الشارع وهتفت: "ثم حريق في منزل الأرملة ميداردا، حريق، حريق"، وشرع صبي أعطه بعض المال لينتظر في برج كيسة سان جوسيه بقرع نفوس الإنذار، وسرعان ما شرهد بيكولاس وهو يتلألأ خارجاً من منزل ميداردا في ضوء النهار (في حين يفترض بصديقه لجرال أن يكون خارجاً).

عندما قدّم بيكولاس إهادته أمام السلطات سُئل إن كان يُقر بقتله ميداردو رومرو باتشيكيكو فقال. "نعم، وإذا ما نُعت مرة أخرى إلى الحياة، فسأقتله مرة أخرى". فقرر العمدة، وهو من حزب المحافظين، أن يجمي بيكولاس، وأرسل معوثين لإحصار حنة ميداردو الذي كان مطروحاً ووجهه على الأرض تحت المطر مقلّب اليدين وراء ظهره قل أُن ينقلوه من ذلك المكان. يتفق معظم الناس على أن ميداردو كان يسعى لمواجهة وأنه كان يتطلع إلى ما حدث. ربما هكذا كانت الأمور بالرغم من أن الحقائق المجردة نلّو مشورة إلى أن بيكولاس هو الذي اختار زمان المصاراة الأخيرة ومكانها وأسبوعها. ولا تنوّر أي معنومات كافية لتقدير مبررات فعله أو شجبه. إلا أنه وضح تمام الوضوح أن الحدث يحلو من أي بقولة، في بيكولاس ليس بذلك العلاج المقيم، بل كان محارباً قديماً ومتمرساً، وأن الرجز الذي رُده قتيلاً حسنة كان أقل منه في الرتبة العسكرية وأصغر سنّاً.

رأى الكثيرون في بارانكاس أن ما حدث كان مقدراً، وكانت الكلمة الإسبانية التي توصف لها مثل تلك الحادثة توافق اعظ السبب أكثر مما توافق كلمة عار، ويقال إن العديد من أفراد أسرة ميداردو تعاطفوا مع الحقيد في محنته. لكن ثمة حديثاً يدور حول إعدام من غير محاكمة قانونية وعن خشية من اندلاع نظهرات، ولهذا السبب، وبعد أن بات تحريره أمراً سهلاً، رُسلوه تحت حماية مسحة إلى مسقط رأسه ريوهاتشا، لكن حتى في تلك البلدة ساد الاعتقاد أنه ليس بمن، فُتس إلى سجن آخر من سانتا ماريا على الجانب الآخر من جبال سيرا بيغادا⁽⁹⁾. ويبدو أن قريباً مؤثراً من أقرباء تراكيليا تمكن من الحصول على تخفيض للحكم إلى ستة

واحدة في السج في سائنا مارتا عني أن تكون البلدة نفسها سجنه لسة ذية
وحقت به تراكيبيا والأولاد وعدد آخر من أفراد الأسرة بعد مرور بضعة أشهر.
يقول البعض إنه تمكن من شراء إطلاق سراحه عما يحصل عليه من حرقته، إذ كان
يشتمل في صناعة الخلي والمجوهرات والسمك الذهبي والعراسات والكورس د.ح
السج ويسمونها حتى دفع رشوة لقاء إطلاق سراحه. لكن م يعتبر أحد عني أي
وشقة تحصر هذه القصة.

لم نواجه أسرة عارسيا ماركير ما تطوي عليه من احتمالات تلك الحادثة،
هنا لجأت إلى تي تير مصحح لرواية. واستاداً إن هذا التفسير راجت شائعة
لبعض الوقف بعد أن ميداردا، التي لم تكن شخصاً سادحاً، كانت تحسن صيغاً
إلى أحد السكان محيين مرة أخرى. وقد لاحظ أحد أصدقاء بيكولاس بخصوص
هذه الأقاويل وهي يتحسبان الشراب في الميدان العام إذ قال بيكولاس "أفكر ب
كانت الأقاويل صحيحة"، وسمعت ميداردا الرواية عني عو يشير إلى أن بيكولاس
كان يروح لتلك الشائعة فطلت من اسها أن يدافع عن شرفها وفي سنوات لاحقة
تذكر عالماً لويسا ذلك بالقول إن تراكيبيا تقول عد السج إلى هذه الحادثة على
أنه يحصر قصته بسيطه وبهذا التفسير، فإن اقتل كان مارتا وإن الرجل الميت يلقى
ما يستحقه ويصبح القابل صحيحة حقيقية للجريمة".

في العام 967 ، وفي أعقاب نجاح منه عام من العزلة (الذي بطرح به عارسا
ماركر نفسياً للجريمة أقل مثالية من بقية أفراد أسرته) سأل ماريو هارغاس يوسا
المؤلف عن الشخصيه الأساسيه في طفولته، فردّ عارسيا ماركير - "إنه جدي. وإني
اكتشفت في ما بعد في مؤلفاتي أنه رجل نبيل، فقد اضطر إلى قتل إنسان عندما كان
في ريعان الشباب وكان يحمي في بلدته ويبدو أن فيها رجلاً يعصه دائماً ويتحداه، لكنه
لم يعره أي اهتمام حتى نزع السبل الرب، فأرداه فتياً ويبدو أن البلدة كانت متفقة
مع ما فعله إلى الحد الذي دفع أحد أخوه الرجل الميت إلى اسوم في تلك الليلة أمام
باب البيت، أمام حجرة جدي وذلك كي لا تأتي أسرة القبل وتنقم وهكذا ذهب
جدي إلى مكان حر بعد أن صعب عليه تحمل التهديد في تلك البلده، أي أنه لم
يذهب إلى بلدة أخرى وحسب، بل ذهب بعيداً برفقة أسرته وأسس بلدة جديدة.

نعم، لقد مضى وأسس بلدة، لكن أكثر ما أتذكره عن حدي قوله لي: *إليك لا تعلم وزن ينسان ميت* ⁽⁷⁾. بعد مرور سنوات طويلة على ذلك، يقول عارسيا ماركيز لي: "لا أدري ما الذي جعل حدي ينورط في كل ذلك، ولهذا حدث ما حدث، لكن الأوقات كانت عصيبة بعد الحرب. لا أزال أعتقد أنه اضطر إلى فعل ذلك" ⁽⁸⁾. ربما هي مصادفة محضة، لكن شهر قشرين الأول هو أكثر اشتهور مدعاة للاكتشاف دائماً، وهو وقت الكهانة في روايات غابرييل عارسيا ماركيز.

* * *

يلف العموض تحركات سيكولاس ماركيز بعد رحيله المحري عن بارانكاس ⁽⁹⁾. عمر أن لويسا والدة عارسيا ماركيز أعطت تفسيرات متباينة لمختلف المحاورين ⁽¹⁰⁾. فقد أخبرني أنها أخبرت برعمة تراكيبيلا من ربوهاش إلى سات مارت بعد مرور بضعة أشهر على نقل سيكولاس إلى سجن تلك البلدة (كانت لويسا آنذاك في الرابعة من عمرها)، وأن سيكولاس أطلق سراحه بعد مرور عام واحد، وأن الأسرة انتقلت إثر ذلك إلى بلدة ثيباغا القريبة، وعاشت فيها عاماً آخر ثم ذهبت إلى أراكاتاكا في العام 1910. لقد نالت هذه الرواية رسمية، لكن الأهالي في ثيباغا يصرون على أن سيكولاس وأفراد أسرته أمضوا ثلاث سنوات هناك بعد إطلاق سراحه من السجن وذلك في الفترة بين 1910-1913 ولم يتقلوا إلى أراكاتاكا إلا في العام 1913 ⁽¹¹⁾. ربما استخدم سيكولاس ثيباغا قاعدة يطبق منها لاستكشاف الإقليم عناءً عن مرض جديدة. وإذا كان الأمر كذلك، فربما يكون قد طوّر اهتماماته اسياسية والتجارية بأراكاتاكا التي تعد عموماً بلدة منصوبة تحت لواء الليبراليين، ودلت قبل أن يقل أسرته إليها. يبدو مرجحاً أيضاً أن أحد الأسباب التي دفعت إلى الإقامة في ثيباغا، سواء أكانت الإقامة لمدة عام أو ثلاثة أعوام، يتمثل في أن ثيباغا يابن آنذاك موطن إيرايل رويث التي التقاها سيكولاس في باناما في العام 1885، وهي من رواجه تراكيبيلا، والتي أنجبت له ابنته ماريا غريغوريا روير في العام 1886.

على العكس من بلدة ساتا مارنا المستعمرة، فإن بلدة ثيباغا كانت بلدة حديثة، وتجارية، وعموية وحشنة، وكانت أيضاً محور النفس الإقليمي بحكم موقعها

على شواطئ الكاريبي وكانت ترتبط بشياغا غراندي، أي المستنقع الكبير الذي تُحسّر عليه المراكب التجارية وهي في طريقها للوصول إلى اطرافات البرية المنجحة إما إلى هر مجدليا وبوغوتا أو إلى مدينة باراكيا الآحنة بالسمو عمراً تجارياً سريعاً وكان أول خط للسكة الحديدية في الإقليم يمتد من سانتا مارتا إلى ثيناعا فبدأ بعد العام 1887 وثم مُتَّ بين عامي 1906 و 1908 وسط العمود الفقري لمنطقة المور إلى أراكاتاكا ومرداثيون.

تقع منطقة المور جنوب بلدة سانتا مارتا بين ثيناعا غراندي وهر مجدليا غرباً، والبحر الكاريبي أو المحيط الأطلسي شمالاً، وجبال سيرا مبادا التي تدعى قسب كولومبوس وبوفار شرقاً⁽¹²⁾. وتقع في السهل المنسط بين الحجاب الغربي للجبال والمستنقع الكبير مستنقعة صغيرة تُدعى أراكاتاكا مسقط رأس غابرييل عارسيا ماركيز وتنمخ من فوقها جبال سيرا سفادا موطن هود الكوحي المحيى للسلام الذين يعيشون في عزلة كان مؤسسو أراكاتاكا الأوائل هوماً مختلطين تماماً يُعرفون باسم تشيبلا، وكذبوا مولعين بالحرب ومن قبائل راواك اسديبة. كان يطلق على القبيلة ورعيم اسم كاناكا ويعني الماء لصافي. وهكذا أطلقوا على النهر اسم كاناكا أيضاً، وأطلقوا على قريتهم اسم أراكاتاكا (ويعني المقطع أرا النهر بلعة هود تشيبلا) أي المنطقة ذات المياه الصافية⁽¹³⁾.

في العام 1887 قام المزارعون من سانتا مارتا برراعة مور في الإقليم، وفي العام 1905 جاءت إلى المنطقة شركة الماكهة المتحدة ومقرها مدينة بوسطن. وهاجر العمال من جميع أرجاء منطقة الكاريبي ومن بينهم الكاتشاكو (وهو الاسم السحار لذي يطلقه سكان الداخل ولا سيما بوغوتا، على سكان الساحل)⁽¹⁴⁾، وكذلك آخرون من موروبلا وأوروبا وحتى من النرويج الأوسط والأقصى. وهم الذين أسلمهم بظال رواية عارسيا ماركيز الأول عاصفة الأوراي باسم ساحر هو ورق البات المنعم وفي غضون بضع سنوات تحولت أراكاتاكا من مستعمرة صغيرة إلى بلدة مزدهرة، إلى بلدة مزدهرة في العرب الوحش بحسب تعبير عارسيا ماركيز وأصبحت في العام 1915 ذات مجلس بلدي، وهو جزء لا يتجزأ من النظام السياسي الوطني في كولومبيا.

لم يكن الرعيه المعلي في البلدة هو العقيد ماركير، وهو ما يرمعه حقيقه في عائله الأحيان، بل الجنرال حوسيه روساريو ديوران⁽¹⁵⁾ الذي كان يملك عدداً من المزارع الكبيرة في أنحاء آراكاتاكا، وقاد القوات الليبرالية في عدد من الحروب الإقليميه على مدى عشرين من الزمان، وكان القائد المؤثر لسياسيين في آراكاتاكا رهاء نصف قرن. كان يكولاس ماركير أحد مؤسسيه العسكريين المبرزين، ولعله أصبح أكثر الحلفاء السياسيين مدعاة للثقة في آراكاتاكا خلال اعتره الوافعة بين عامي 1910 و1913. كان ديوران نفسه هو الذي ساعد ماركير على تفقد منصب في البلدة، وعلى شراء أرض في منطقته أريغواي وممتلكات أخرى في البلدة نفسها، وعسى الاستحواذ على وطني جاسي الصرصة وبالتالي المسؤول عن الحرية في المديرية⁽¹⁶⁾. وما لا ريب فيه أن هذه المسؤوليات، إضافة إلى السمعة العسكرية، جعلت من العقيد ماركير واحداً من أكثر أساء المنطقة قوة ومدعاة للاحترام بالرغم من أنه كان دائم الاعتماد على حسيه ديوران ومعرضاً للضغط من الموظفين السياسيين الذين يحكمون المحافظين ومن مديري شركة العاكهة المتحدة.

أخبرتني لويسا، أم غارسب ماركير، أن يكولاس بات "جاسي الصرصة في المديرية" في آراكاتاكا في مطلع القرن⁽¹⁷⁾، ربما في العام 1919، إلا أنه لم يصحبه أسرته إلى هناك على الفور بسبب ظروف الصرف الصحي اليائسه في البلدة المدارية والتي بدأت تردهر حديثاً، وكانت آنذاك قرية عدد سكانها لا يربو على ألفي نسمة ومع هذا، فلتحليل أفراد لأسرة العقيد ماركير ودونا تراكيليا وأطفالهم الشرعوب الثلاثة جوان دي ديوس، ومارغريتا، ولويسا، وابنه غير الشرعي ألفير ريوس، وشقيقه وينفريد، ماركير، ورفيقه فرانسيسكا سيمودوسيا ميخيا، وخدمه الضود الثلاثة أليريو وأولبار وميمي الذين كان اشترى كل واحد منهم عنه سرو في عواجر - وقد وصرو كلهم بقطار شركة المور المصوغ باللون الأصفر، كان العقيد معيماً بالأمل وهو يقوم برعاية استشفائه في آب 1910. لكن لسوء الحظ كانت المنطقة المحيطة بآراكاتاكا لا تزال غير صحيّة وموبوءة بالأمراض، كما أن المأساة حلت بالوافدين الجدد على الفور عندما توفيت مارغريتا، وهي ابنة المهادية والعشرين، بمرض التيفوئيد. لقد كانت مارغريتا بشحوها الدائم وشعرها الأشقر

المصنوع ضفرتين مبعث فخر العقيد ومجته، ورعاً فسر هو وأسرته التي تعتقد بالحرقات موقها على أنه نوع من عقاب آخر بسبب خطاياها في باراكاس. وم تعد فادرة الان على رواج كذلك الذي كان يحلم به الولدان وأصبح كن أمهما معصه بلويسا الصغيرة. وتفيد أعراف الأسرة أن مارغريتا جلست في سريرها قبل وفاتك تطير إلى أسيها وتقول: "إن عيون بيتك تصفي" ⁽¹⁸⁾. وقد صل وجودها الشاحب حياً في الذاكرة الجمعة وبخاصة، وهذه معارفه، في صور انصطت عند كانت في العاشرة من عمرها، ولم يعد أحد تحتل بذكرى موبدها المصنوع في الحادي والثلاثين من شهر كانون الأول في البيت الرحب المريح الذي بدأ العقيد بنسده قرب ميدان بولغار.

بات بيكولاس ماركيز، وإك لم يكن فاحش الثراء البتة وبأمل دوماً وبلا طائل بالرتب القاعدية الذي وعد به كل احرارين القدامى في الحرب الأهلية، واحداً من وجهاء المجتمع المحلي مزقناً، وسمكه كبيرة في بركة صغيرة، إذ أصبح المالك الفعلي لمسكن حششي وسع الأرجاء بأرضية إسمنتية، وهو ما يعد في أراكاناك - وبمعدّه حميده عابرين أيضاً - بيتاً حقيقياً مقدرة بالأكواح والزرائب التي سكنها معظم رملاتهم من أبناء البلد.

* * *

كانت بنة العقيد لوسيا في نحو التاسعة عشرة من عمرها حين بلغ والدها عمر المستر عندما وصل في شهر تموز من عام 1924 عامس تلغراف جديد اسمه عابرين إلى البحيو عارسب إلى البلدة قادماً من موطنه سيثي ⁽¹⁹⁾ كانت أراكاتاكا آنذاك تسميع بالرف والسبح مد بصعة أعوام، وأرسب لويسا إلى كلية دي لا بريسنتيون، وهي أكثر مدارس الرهات مدعاه للاحترام في سانتا ماريا المكهمه، بالرع من أنما رحل عنها حين بلغ السابعة عشرة من عمرها بسبب عتلال صحتها. وتذكر: "منها ليحيا قائله: "إنما لم تعد إلى ذلك المكان لأن حديثاً قالوا إننا بدت هريئة جداً ومرهقة، وكانا يحشيان أن تقصي نحبها مثل أعنها مارغريتا" ⁽²⁰⁾. كانت لويسا تحيط الثياب، وعزف على آلة البيانو، وسقت علومها كي تحسد المتطور الحاصل في المرة الاجتماعية التي كان نكولاس وترانكلسا سبداها

يتكون عراءً لهما عندما انتقلا من عواحيهما إلى منطقة المور هكنا صعد العقيد
بصكرة أن انتة امرئاة نربية لاثقة قد تُغرم بعض تلماف أسود البشرة على الأهلية
من مكان آخر! برجل بلا أب بمكايات قليلة لم يكن هناك ما يجمع بين نيكولاس
مار كبير وحطبت انتة عامريل إليجو عارسا عندما التقا سوى مجموعة من الأطفال
غير الشرعيين، وهي مفارقة كافية وقصبة يردد موضوعها في أعمال غابريل عارسيا
مار كبير. وبالرغم من أن نيكولاس كان قد ولد في نطاق الروحية وأن عامريل
إليجو ولد خارج نطاق الروحية (غير شرعي)، فإن كليهما تركا وراءهما أكثر من
طفل غير شرعي عندما تزوجا وهما في بواكير العقد الثاني من عمريهما.

كان عامريل إليجو قد عاش سنوات طفولته وشبابه فقيراً بالرغم من عدم
معرفة أي شيء عن مراحل الأولى من حياته سوى بعض لتفاصيل المبيلة. في
الحقيقة إن التفاصيل القليلة كان قد طنلها منه أولاده. ولذا دُعماً أن حسب
مار كبير هو الأهم، وكذلك صلتة بعواحيها⁽²¹⁾. إنا نعم تماماً أنه كان لديه
أنصاف أشقاء وأنصاف شقيقات وهم: لويس إريكسي، وستا، وحولو، وينا
ماركسستا، وادان ريباندو، وأيسار. كما أننا نعم أيضاً، وبمساعدة الأقارب، أنه
أكمل دراسته الثانوية وهو إخبار مهم في أي بقعة من بقاع العالم آنذاك

وسمع أنه أفلح في بواكير عشرينيات القرن العشرين في الالتحاق ببعض الـروس
في كلية الطب في جامعة كارثاجيا، إلا أنه اضطر إلى تركها. وبعد ذلك
بسنوات، يخبّر 'سائه بأن والده، وكان معلماً، أحد على عاتقه مهمة دفع عقبات
تعليمه إلا أنه مرَّ بصاقله ماله واضطر إلى عدم الوفاء بعهده. ولما وجد نفسه بلا
معين يساعده على إكمال درسه قرر الرحيل عن البيت، وبدأ يبحث عن عمل
في الإقليمين الواقعين على البحر الكاريبي وهما قرطبة وبوليغار، حيث اشتغل
عموماً عامل تلغراف في بلدة صغيرة، وطساً ومسافراً على امتداد الأقاليم
الحدودية ذات الأهمار والمستنقعات والعبات. وعله أصبح أول عامل تلغراف في
ماعاغني، بعد ذلك اشتغل في تولو وشيشيخو وغيرهما من البلدات لقد كتب
مرته عامل تلغراف في تلك الأيام دت سمعة طيبة بلا أدنى ريب وسط الطبقات
الأدنى، معتمدة على ما يبدو على التكنولوجيا الحديثة في المكسة ومعرفة العاس

الفرقة والكتابة. كان العمل شاقاً وكثير المتطلبات أيضاً. وفي آتشي، وهي بلدة صغيرة على ضفاف نهر كاوكا جوسي سوكري، ولد له أول ابن من أبنائه الأربعة غير الشرعيين وهو أيلاردو، وكان غابريل إليخيو في التاسعة عشرة من عمره وحسب. وفي العام 1924 تورط في متاعب أخرى في آيايل الواقعة على حدود إقليم قرطية، والتي تعرف اليوم باسم إقليم سوكري على صفة مسقع وسع. وفي آب من العام 1924 طلب من حبيبته الحقيقية الأولى كارمبيليا هيرومسيلو أن تتزوج به بعد أن أنجبت طفلة أخرى هي كرمس روسا وفي أثناء رحلة إلى ماراكيا لإعداد الترتيبات، يبدو أن قريبه كارلوس هيريك بارينغا يح في ثيابه عن انعاد مثل هذا القرار السادس⁽²²⁾. فهرب إلى مدينته المزارع في أراكاتاكا حيث تمسك من العثور على عمل بصفة عامل تلغراف. في ذلك الوقت، كان قد أصبح معوفاً متمسكاً على العوادة، متعصباً إلى معاصرة النساء، معلفاً ذلك كله بالشعر وأغاني الحب، أو، كما أوضح بعد زمن أنه المشهور بأنه كان غنى كاريبياً نموذجياً من فتيات المرحلة، وهذا يعني من بين ما يعنيه أنه ثرثار واسطلي ويتسم بالعلو، ودو بشرة سمراء أو سمراء جداً.

وصل مرل العقيد بيكولاس ماركيز في أراكاتاكا ومعه رسالة توصية من فسر في جامعة كارثاجيا وكان يعرف العقيد ماركيز منذ أيام سائفة. لهذا السبب، واستناداً إلى تفسير غابريل إليخيو نفسه، فإن العقيد، المعروف بحسن صيافته، حياء خبة حارة ودعاه لتناول الطعام، وفي اليوم التالي رافقه إلى سانتا مارنا حيث كانت زوجته تر نكيلينا وابنتهما الوحيدة لويسا تمصيان فصل الضيف على شاطئ البحر. وفي محطة قطار سانتا مارنا اشترى العقيد قفزة داخل قمص وأعطاهما لغابريل إليخيو ليعطيها بدوره للويسا كهدية. كان هذا انتصرف الذي يبدو تصرفاً لا يبحث على الرض أول أخطاء العقيد لكنه بالرغم من ذلك، وحسب غابريل إليخيو أيضاً، لم يُعزم بـلويسا من أول نظره. ويتذكر 'لأكن صريحاً، فأنا لم ترفقي لويسا قط، بالرغم من أنها كانت جد جميلة'⁽²³⁾.

لم يعد لويسا معجبة بغابريل إليخيو مثلما لم يعد هو معجباً بها. وقد أصررت على أنهما لم يلقيا أول مرة في سانتا مارنا بل في أراكاتاكا في أعقاب السهر على

جنة طفل توفي في البلدة، وأنها كانت هي وسواها من النساء الشابات يشدن للعمل المتوقى كمي ير حل إلى مكان أفضل عندما انقسم صوت رجل إلى الحقوة، ولما التفت جميعهن لرؤية صاحب الصوت، شاهدن شاباً هي الطلة يرتدي سترة سوداء مزررة بأربعة أزرار. ومنعت العتبات الأربع: "ستزوجه"، غير أن لويسا قالت إنه يبدو ها "شخصاً غريباً وحسب"⁽²⁴⁾. لقد كانت لويسا التي لم تكن حصماً سهلاً التعلب عليه، بالرغم من انغمارها إلى التجربة، حدره وظلت رماً طويلاً نصد كل محاولة من محاولاته للتقرب منها.

كانت دائرة التعرف قبلة الكنيسة وحلف الميذان العام في أراكاتاكا وعلى مقربة من المقرة وعلى بعد شارعين من منزل العقيد⁽²⁵⁾. كان الؤافد الجديد يعمل رسالة توصية ثابتة موجهة إلى قسّ الأبرشية لكن، إذا كان لأب اطلب قد لاحظ أن الؤافد الجديد استقل رائرات في أعب الأحيان في ساعات متقدمة من الليل، فهذا ما لا نعرفه، لكن يقال إن غابرييل إليخيو لم تكن لديه أرجوحة يوم لرحله من كان يملك سريراً مريئاً تزيئاً جيداً لعشيقاته في الحجرة الخلفية من دائرة التعرف. لقد كان عارف كمان باصفاً وموهوباً، وكانت معزوفة حفلته هي بعد الحفل، وهي مقطوعة فالس حلوة وسرة من العصر الذهبي لأميركا اندي كان ينصح الشبان بعدم إضاعة فرصهم، ودعاه القس للعرف على الكمان مع الحقوة الموسيقية لما يعرف بعتبات العذراء. كان الأمر يشبه إطلاق التعلب للعب مع الدجاج. وكانت إحدى مغارلاته مع معلمة مدرسة ابتدائية محلية تخرجت حديثاً وتدعى روسا إليا فيرغسون قبل إنها تزوجت، وإنه ماوح في أثناء حفلة أقيمت في منزل لويسا ابنة العقيد قائلاً إنها ستكون عرابه أو عشقته الأولى. إن هذه المرحه التي أطلقت فلا شك لإثارة عيرة لويسا، إن كانت سحلبة بأي حال من الأحوال إلى غابرييل إليخيو، سمحت للامني بأن يطق كل منهما على الآخر لقب عرابي وابن العموديه لإخفاء المودة المتنامية بينهما تحت ستار علاقة رسمية متخيلة لم يأخذها أي منهما على محمل الجد.

كان غابرييل إليخيو رجلاً يعرف كيف يبال النساء فصلاً عن أنه كان وسيماً هي الطلة. بالرغم من أنه لم يكن إنساناً ساحراً، إلا أنه كان وقحاً قليل الحياء، وأثفاً

أكثر من أي شخص آخر، له حذوره ومؤهلاته ومواهبه التي له الحق في الوثوق بها وقد كان الناس القاطنون في ذلك الجزء الذي يقطر فيه هو أيضاً، وهي منطقة السافانا من إقليم بوليفار، معروفين بأنهم ودُّيون، غير متحفظين وصاحبون، على العكس من انتوجس والاستيطان والشتك الواضح الذي يتصف به أولئك القادمون من الأراضي الحدودية لبلدة عواجيرا، شأن بيكولاس ماركيز وترانكييس، التي لا تزال يُعطر إليها عني أنها أرضٌ هندية في مطلع القرن العشرين. كانت علوية معشر العقيد العلية نخسي ورائه، سرعة عشائرية غواخيرية عميقة الجدور ورتبطت بالأملاك والأزملة القديمة وحدرات من العرباء. رد عني ذلك، فإن آخر ما كان يحتاج إليه هو صهر غير مؤهل يعنو عبثاً إصافياً، في حين كان يبحث عن الإرباب بأسرة أفضل ذات مكانة محترمة كأسرته.

كانت لويسا رفيقه الخائب، مدللة إلى حدٍّ ما، ومتعة حياة أبيها، صورده الأساطير، ربما عني نحو مبالغ فيه، عني أنها حسنة آراكاكاكا⁽²⁶⁾.

في الحقيقة، م تكن ذات جمال تقليدي، لكنها كانت جذابة، مفعمة بالحياة ومهددة، بالرغم من أنها كانت عربية الأطوار إلى حدٍّ ما، ولكنها امرأة حاملة مؤكدة. كانت أسيرة بينها وطقتها الاجتماعية عني أيدي أبيها وأنها المدين أحسنهما واحترمتهما، لكن اشغالها بأمرها الاجتماعي والعاطفي عرره على نحو عريب ناريج والدها الشكس⁽²⁷⁾، علاوة عني ذلك، بشير عابته لاحقاً إلى أن الأسيرة كانت قد بدأت مد رمس بعيد تعدي موروثاً سفاحياً متناقضاً يتخصص برفض كل الحاطين العرباء ما جعل الرجال يتحولون إلى صيادي شوارع ماكري والساء إلى عانسات في أغلب الأحيان. على كل حال، كانت لويسا أقل خبرة من الرجل الذي رتكر بعد ثمانية أشهر من وصوله إلى آراكاتاكا جل اهتمامه عليها وعزم عني أن تكون زوجته.

بدأ الاثنان بتبادلان نظرات متقدده في قداس يوم الأحد، وفي آذار سنة 1925 سعي غابريل إلهيو للعثور عني وسيدة لئقش مشاعره إليها ومعاتبتها بالزواج. فكان يعم تحت أشجار اللوز أمام البيت، حيث كانت لويسا وعمتها فرانسيسكا سيمودوسيا ميخيا يجلسان وتحيطان وقت القبول أو بداية المساء. وكان يحطى في

بعض الأحيان يحدث تحت شجرة كستناء عظيمة داخل الحديقة في حين نخوم من حولهما العمة فرانسيسكا، معدبة العديد من الحاصيريين الذين تقدموا لخطبة بوياس، كأهنا وصيفة مصاحبة تشبه العمة إيسكولاستيكا في رواية الحب في زمن الكوليرا⁽²⁸⁾. وفي آخر الأمر، ومن تحت تلك الشجرة العملاقة، أطلق واحده من أقل العبارات بسالة المدونة في المكلور الرومانسي "أصغي يا سيموريتا ماركيز، كنت ساهراً طوال الليل أفكر في أنني بحاجة إلى الزواج، وأن المرأة التي سكنت فؤادي هي أنت، ولا أحب أي امرأة أخرى، فأخبريني إن كانت لديك أي مشاعر روحية تجاهي، لكن لا نظلي أنك مضطره إلى الموافقة لأني على وجه التأكيد لا أموت حباً فيك، وسأضحك أربعاً وعشرين ساعة للتفكير في الأمر"⁽²⁹⁾. وقد فاضلته العمة فرانسيسكا المهية. غير أن لويسا أرسلت في غضون الأربع والعشرين ساعة ملاحظته مع أحد خدمها المهود بقرح فيها عقد فناء سري، وقال إنها تريب في مدى حديثه، وإنه بنو لها عاتقاً ومعارلاً مسرفاً، فأحبرها بأنه لا يريد الانتظار، فهناك أسماءك أخرى في البركة. فطلبت منه أن يُطمئنها بجدد، فأقسم لها أنها إذا قبلت به، فليس يحب امرأة أخرى. فوافق الاثنان على أن يتزوج أحدهما الآخر وليس أي شخص آخر، وأن الموت وحده هو الذي سيحول دوهما.

سرعان ما رأى العقيد إشارات مقابلة سم عن هوى مشترك، فقرر أن يقضي على العلاقة في مهدها من دون أن يدرك أن تلك العلاقة باتت متفتحة الآن، فأوصد الباب أمام عامل التعرف، ورفض أن يكلمه بخدداً. لقد كان تودد غارسيا لامتئها كأس المر والعلقم الذي لم يكن نكولاس ولا ترانكلينا على استعداد لتجرعه. في إحدى امرات، عندما كان العقيد يحكي حملة اجتماعية لم يستطع فيها استئذ عابرييل إليخيو، كان هو الشخص الوحيد في الحجرة الذي لم يُطلب منه الجلوس. فشر الشاب بإهانة شديدة حتى به اشترى بدقية، لكنه لم يكن عازماً على الرحيل عن السلة. وأخيراً، الوالد لويسا ألما لا تزال صغيرة السن بالرغم من أنها بلغت العشرين آنذاك وكان عابرييل إليخيو في الرابعة والعشرين مما لا ريب فيه ألما أشارا إلى أنه ذاكر البشارة وأنه غير شرعي، وأنه موظف حكومي مرتبط بنظام حزب المحافظين المقيت الذي حارب العقيد صده في الحرب، وأنه عضو في الورقة

المتفلسة، وأنه اسفاة البشرية التي طوّحت ها الريح من خارج البلدة لكن العلاقة استمرت سرّاً بالرغم من ذلك: حارح الكيسة بعد القدس، أو في الطريق إلى السيمما، أو عند نافذة بيت العقيد عندما يكون الشاطئ حلياً.

أحبرت العمة فرانسيسكا مربيها المعيد عن هذه اسارات الحبيده، فما كان منه إلا أن اتخذ إجر عاب صرمة، فأرسل لويسا برفقة ترانكيس وأحد الحدم في رحلة طوبية إلى عواخيرا حيث بقيتا مع الحادم عند بعض الأصدقاء والأهراء الذين يقضون في سبوت على امتداد لصربو. ويصل هذا السفر حتى في يوما هنا سرّاً صوبلاً في أرض وعرة ويعتبر إلى الراحة لعدم وجود طريق حديث مكمل. فهي تلك الأيام كان الطريق بطوي على ممرات صيقة نطل على أصراف هاوية تمتد على السوح السفلى لحال سيرا بغداد، كما أن لويسا م تركب على طهر نعل من قبل.

كس حطة العقد منبت بعشل دريع، إذ تعوقت لويسا على ترانكيسنا في دكانها. فالحارب القدم الذي حاص غمار عديد المعارث م يحسب حساب عابرين إلىحيو وهو يحفظ استراتيجية حملته، وما كان يسعى به أب يقلل من شأن مصادر عامل التلغراف. إب رواية الحب في زمن الكوليرا دروي لنا بحمل قصة الرسائل المستمرة التي مررها عامل سغراف متعاطفون في كل سدة مرت بها الأم وابنتها. ونسذكر أما ريوس كيف ألها سمعت أن الاتصال التلغرافي كان بالغ لأثير، حتى إب لويسا، عندما دُعيت إلى الرقص في ماناوري طلست من روح المستقبل السماح ها بالذهاب، وقد جاء، احرب بالإنخاب في اليوم نفسه، وضت رقص حتى الساعة السابعة صباحاً⁽³⁰⁾ ويعود الفضل إلى نضام رملاته عامل التلغراف، إذ لدى وصول الأم واسها إلى شاطئ ساسا مارنا في مطلع اعام 1926 كان غابرين إلىحيو في الانتظار ليرحب بحبسته وهي نزل من المركب مرديبه توباً وردياً روماسية.

من الواضح أن لويسا رفضت العودة إلى اراكناكا، ومكنت في سات مارنا برهفة أحبها حواء دي ريوس وروجه ديليا في شارع دل بورو. وربما يمكن تخيل ثمر هذا التحدي في ضوء الأحذاب الدراميه التي أُلئت بالأسرة. فقد مرثب ديليا نفسها بالأهوان نتيجة العداء الذي نكته أسرة ماركير إغواران للعرب، وكانت فرحة جداً لمساعدة أخت روجه بالرغم من أن حواء دي ريوس تبقى عسه

مفتوحين على كلتا المراتين بالإجابة عن أبيه وكان غابريل إليجو يرور لويسا في أثناء عطلات نهاية الأسبوع في ظل ظروف من الحرية النسبية إلى أن انتقل في الوقت الملائم إلى ريوهاتشا التي كانت بعيدة جداً ما جعل الزيارات في أثناء عطلات نهاية الأسبوع عابرة في الصعوبة. تكلمت لويسا مع راعي الأبرشية في سانتا مارتا المونسييور بيدرو إسبيلو، وكان في ما مضى في أراكاتاكا وصديقاً حميماً للعقيد ماركو. فكتب القسيس رسالة إلى العقيد في الرابع عشر من أيار سنة 1926 بيقعه بأن الاثنين معرمان ببعضهما بعضاً، وأن الروح من شأنه أن تحب حلوث ما اسماء باكمهرار مصائب اسوأ⁽³¹⁾. فرق قلب العقيد - لا بد من أنه كان يدرك أن لويسا لم يبق لها سوى بضعة أسابيع وتبلغ الحادية والعشرين من عمرها - وتروح الاثنين في كاتدرائية سانتا ماريا وذلك عند الساعة السابعة من صباح يوم اتحادي عشر من شهر حزيران سنة 1926. وكان ذلك اليوم هو يوم القرب المبارك، شعار المدينة.

يقول غابريل إليجو إنه رفض دعوة حمويه الخليليين لحضور حفل الزفاف بسبب حلم راوده، غير أن السبب الأرجح هو أنهما رفضا الحضور. ويقول ماريو فارغاس يوسا، الذي تلقى معظم معلوماته من عارسيا مراكز مباشرة بمحدود عامي 1969 و1970، إن العقيد نفسه أصّر على أن يحيا الروحاني بعيداً عن أراكاتاكا⁽³²⁾. وعندما ذكر هذا الموضوع، أفاد غابريل إليجو أنه كان يسعده الحضور، واعترف أمام عروسه، وهما يحبران ويصاiban بلوار اسحر إلى ريوهاتشا، أنه أعوى خمس عداوات في سنواته الأولى بوصفه كازانوفا البلاد، وأنه ترك وراءه طفليين غير شرعيين. أما إذا كان قد أحرها بأي شيء عن سجن والدته الخاص بحباها العاطفية فهذا ما يعني لنا أن نرتاب فيه، لكن لا بد من أن هذا الاعتراف من زوجها الخليل بأفعاله السيئة كان مفاجأة غير سارة تماماً. على كل حال، تذكر لويسا طوا أيامها الأشهر التي أمضتها مع غابريل إليجو في المنزل الذي استأجره في ريوهاتشا بوصفها أجهل أوقات عمرها⁽³³⁾.

ربما حملت لويسا في الليلة الثانية التي أعقبت الزفاف إن لم تكن قد حملت قبل الزفاف نفسه - وتعيد قصص الأسرة أن أثناء هذه الحالة بشرت بدويان جيد العلاقة بين غابريل إليجو والعقيد. ويقال إن الهدايا أرسلت إليهما مع حوسيه ماري

بالديلانكيث. ومع هدد، فإن قلب عابرييل إليحيو لم يرق إلى أن وصل ذات يوم حوال دي ديوس قادمًا من سانتا مارتا ليخبره أن ترانكيليا تعلق الأمل على حمل ابنتها، فسمح عابريين إليحيو لها بالسفر والعودة إلى أراكاتاكا للولادة فيها⁽³⁴⁾

* * *

وصلت لويسا ذات الحادية والعشرين من عمرها عائدة إلى مسقط رأسها أراكاتاكا صباح أحد أيام شهر شباط من دون مراقبة روحها بعد أن أمضت حوال ثمانية عشر شهراً بعيدة عنها كانت في الشهر الثامن من حملها، مصابة بدوار البحر إثر رحلة بحرية عاصفة أخرى إلى سانتا مارتا على متن مركب من ريوهانشا وبعد مضي أسابيع قليلة، أي يوم الأحد السادس من آذار سنة 1927، وبعد الساعة التاسعة صباحاً، ووسط عاصفة مطيرة في غير أوانها، ودد الابن عيريل عارسيه مار كير. وقد أبحرني لويسا إن أناها كان في صريضة إلى المداس عندما سارت الأمور إلى الأسوأ، لكن عندما قفل راجعاً إلى منزله كان كل شيء قد انتهى.

ولد الطفل، وكان حمل السرة مستمراً حول عفه - ويعود بعد ذلك نسرعته إلى الخوف المرص من الأماكن المغلقة إلى هذا الحس - وورنه، كما قيل، ثلاثة كيلوغرامات ومئة وخمسين غراماً. واقتُرحت العمة فرانسيكا سيمودوسيا ميجاً أن يرشوا عليه الشراب وماء التعميد خشية حدوث مضاعفات أخرى. في الحقيقة، الطفل لم يعتد رسمياً إلا بعد ثلاث سنوات ونصف السنة تقريباً مع أخته مارغوت (مارغريتا) التي عُزلت مع الخدئين (يذكر عابيتو التعميد بكل وضوح، إذ أجراه الأب فرانسيكو أنغاريثا في كنيسة سان جوسيه في أراكاتاكا في السابع والعشرين من شهر تموز سنة 1930، وكان العرابان هما الشاهدين الذين شهدا في حفل زفاف والديه: حالة حوال دي ديوس وعمة أمه فرانسيكا سيمودوسيا).

احصل العقيد مار كير يوم الميلاد، وأصبحت ابنته الحبيبة قصة حاسرة أخرى، إلا أنه عزم على أن يطر إلى تلك الكنيسة على أنها معركة لا أكثر، وعزم على ربح الحرب، فالحياة سيمسر، وسيوظف كل طاقاته التي لا تزال عطيفة في طفنها الأول، حميدة المولود حديثاً، "نابوليوي الصغير".

* * *

بيت في آراكاتاكا

1928-1927

أليست الذكرى الأكثر ديمومة وحيوية عدي هي ذكرى اساس، بل هي ذكرى البيت الحقيقي في آراكاتاكا الذي عشت فيه مع الجدتين. إنه حلم لا يزال يراودني حتى الآن. فضلاً عن ذلك، فإني في كل يوم من أيام حبي، أستيقظ فيه وثة شعور يلازمي، حقيقياً كالأم خيالاً، بأني حلمت بأني في ذلك البيت الكبير العتيق. أنا لم أذهب إليه، بل أنا موجود فيه في سن غير محددة، ولسب غير محدد، وكأنني لم أعادته قط. ولا يزال يتأبني حتى الآن في أحلامي ذلك لإحساس للندر بالشعر ليلاً الذي يحيم على جعل طفولي. إنه إحساس لا سبيل إلى السيطرة عليه، بدأ في وقت مبكر من كل مساء وظل يؤرقني في منامي حتى أرى اصغر يرع من حلال الباب المتصدع⁽¹⁾.

هكذا، وبعد مرور نصف قرن من الزمان، يندكر عابريل غارسيا ماركيز، وهو يتحدث إلى صديقه نلسو أبوليو مندوتا في باريس، الصورة الهيمية لطفولته المدهنة في بلدة آراكاتاكا الكولومبية الصغيرة. ولم يمض عايتو السنوات العشر من عمره برفقة أمه وأبيه وعدد كبير من إخوانه وأخواته الذين تعاقبوا من بعده إلى هذا العالم بل أمصاها في البيت الكبير لجدته لأمه العقيد بيكولاس ماركيز مبيحاً وترامكيلينا إغواران كوتيس.

كان بيتاً يحشد بالاس من أجداد وخالات وضيوف وقتيين وخدم وهود - لكنه كان أيضاً مسموماً بالأشباح (ربما قل كل شيء شح أمه العاتية)⁽²⁾. وبعد مرور سنوات طويلة ظل الشبح هاجمه عندما كان بعيداً جداً زماناً ومكاناً، وكانت

محاولة استعادته وحلقه من جديد والسيطرة على ذكرياته الحاضرة به جزءاً كبيراً من ذلك الشيء الذي سيصنع منه أديباً في المستقبل. كان ذلك كتاباً حمل في أعمقه منذ طفولته: يتذكر الأصدقاء أن غابيتو كان يكتب، وهو لم يبلغ العشرين من عمره بعد، رواية لا تفسد عند حد أسماها البيت. ظل ذلك البيت القديم المنفرد في آراكاتاكا بيت الأسرة حتى أواخر الخمسينيات من القرن العشرين على الرغم من أن أسرة أخرى استأجرت بعد أن صاحب غابريل إليخيو زوجته وأولاده بعيداً عن آراكاتاكا مرة أخرى في سنة 1937. وعاد للظهور أخيراً على حاله الأصلية وإب كاد متسماً بالهوس في رواية غارسيا ماركيز الأولى عاصفة الأوراق، التي كتبها عام 1950 لكن الهوس لم يكن قوياً ولم يفسد نفسه إلا في ما بعد في رواية منة عام من العزلة (1967) وعلى نحو أصبحت معه طفولة غاستو المعبدة بالنشاط، وإن كانت تنطوي على معاناة وفي أغلب الأحيان على جرح، ياديه بحسب العالم كله في صورة عالم ماكوندو. وفي تلك المرحلة يات المشهد في منزل العقيد ماركيز لا يحيط بلدة آراكاتاكا الصغيرة وحدها، بل يحيط أيضاً عموم بلدة كولومبيا، بل وكل أميركا اللاتينية وما وراءها.

وبعد ولادة غابيتو، انتظر غابريل إليخيو بضعة أشهر يقوم برحلته الأولى إلى آراكاتاكا. فاستقال من وظيفته في ريوهاشا وعُلى عن دائرة التعرف هاتياً، وروده الأمل في أن يكسب قوته من الطب النجاسي في آراكاتاكا. لكن بما أنه لم تكن لديه مؤهلات، ولم يكن لديه إلا القليل من المال، وعلى حين بدأ أنه غير مرحب به في بيت العقيد، لخلاف رؤية الأسرة الأممية، فقد قرر أخيراً الانتقال بلوميسا إلى بارانكيا، وبعد معاضات عامصة تحت الموافقة على بقاء غابيتو مع جدته⁽³⁾.

كاتب مثل هذه الترتيبات أمراً شائعاً بعد موافقة الزوجين في المجتمعات التقليدية ذات الأسر الكبيرة. لكن لا يزال عصباً على العظم ترك لويسا طفلها الأول ورائها وهو لا يزال في مرحلة من عمره يعتمد فيها على الرضاعة الطبيعية لأشهر أخرى. لكن الأمر الذي يبدو مؤكداً هو أن التزامها بزوجها كان التراب شديداً. وبالرغم من كل النقد الذي وجهه والدها إليها، وبالرغم من كل أخطاء غابريل

إليخيو وغرابة أضواؤه، لا بد من أنها أحب رجبتها وترك نفسها، من دون تردد على ما يبدو، في حمايته. وفوق هذا كله، فضّنته على اسها لأول.

إننا لن نعرف ما الذي كانت تفكر فيه لويسا وغابرييل إليخيو، أو ما اندي قاله كل واحد منهما للآخر وهما يستقلان القطار الصاعد من أراكاتاكا إلى بارانكيا ناركين طفلهما الأول ورائهما. لكننا نعلم أن أول هجمة على الشاوي جاءت ممثلة بالمشغل المالي، لكن بعد مرور أشهر قليلة، كانت ولويسا قد عدت حاملاً مرة أخرى، وعادت إلى أراكاتاكا كي تلد طفلها الثاني لويس إيريكي في الثامن من أيلول سنة 1928، وهذا يعني أنها هي والطفل الثاني كما في أراكاتاكا في أثناء الفترة الرممية التي أدت إلى مدحمة عمان المور في ثيباغا في شهر كانون الأول من ذلك العام وأعمال القتل العديدة التي ارتكبت في أراكاتاكا ومن حولها بعد ذلك. وكانت إحدى ذكريات غابيتو الأولى عن جنود يحرون أمام بيت العقيد. وعندما جاء غابرييل إليخيو ليأخذ الأم وابنها الجديد إلى بارانكيا في كانون الثاني من سنة 1929، فإن ما يدعو إلى العرابية هو تعمد الطفل بحالة قل الرجب في حين أن غابيتو لم يعمد إلا في شهر تموز سنة 1930⁴⁴.

ننظر إلى صورة غابيتو وتعديداً إلى وجه الطفل الصغير وعمره سنة واحدة وهي مطبوعة على علاف مذكرات غارسيا ماركيز عشت لأروي. لقد تركته أمه في رعاية جدّيه قبل التقاط لصورة لصحة شهر، وعادت الآ بعد مرور بضعة أشهر على التقاطها لحدّها وقد وقعت في شرك أحداث الإصراب وما أعقبها من مدحمة. لم تكن تلك المدحمة حدثاً مهماً وحاسماً وهائلاً وحسب، فقد كان من شأنه أن يعبر تاريخ كولومبيا إذ أدى إلى عودة حكومة الليبراليين في آب 1930 بعد مرور نصف قرن من الحرب الأهلية والنهميش، فتوحّد الصفي الصغير بتريخ بلاده. بن كاتب أيضاً مراممة مع اللحظة التي كان في وسع أم الصفي أن نعيده إلى بارانكيا برهقتها. لكنها عوضاً عن ذلك، رافقت طفلها الجديد لويس إيريكي الذي عُمد حديثاً، وتركت غابيتو ورائها في البيت الكبير برفقة جدّيه، فصمت بذلك قدرته على استيعاب عرته والعيش في ظل هذا العياب وبوصيح هذه اسلسلة من الأحداث التي يتعدى تفسيرها لنفسه، وبذلك يتمكن من خلال تطور مش هذه

القصة أن يشكل هويته تربط، شأنها شأن كل الهويات، بين ظروفه الشخصية، بكل ما تطوي عليه من قسوة ومحنة، وقسوة العالم الخارجي وبمحنته.

* * *

على الرغم من ذكريات غاييو عن العزلة، فإنه لم يكن الطفل الوحيد في البيت، لكنه كاد الصبي الوحيد فيه. فقد كانت أخته مارغريتا تسكن في بيت مد أن كان عمره ثلاث سنوات ونصف السنة، وكذلك أراهقة سارا إميليا ماركيز - وهي ابنة حوال دي ديوس عمر الشرعية التي رفضتها زوجته ديليا (نقول البعض إن ديليا أوضحت أن العناية كانت امة خوسيه ماري بالديلانكيث وبيست ابنة زوجها) - التي نشأت أيضاً في ذلك البيت برفقتها. ولم يكن لبيت هو ذلك المنزل الذي رعم غارميا ماركيز أنه هو البيت المقصود⁵¹. الحق أن البيت م يكن في آذار سنة 1927 بيتاً واحداً، بل ثلاثة مبانٍ مفصلة مشيدة بوجه عام بالحسب وبالقليل من اللّس (الطوب) فضلاً عن المائي الإضافية الخارجية (كالمرافق الصحية). وفي الوقت الذي وُلد فيه غاييتو، كانت هذه المائي الثلاثة الرئيسية ذات أرضيات إسمنتية على الطريقة الأميركية وبواحد مولادية ذات واقبات من نسيج شفاف ورقيق لتحول دون دخول البعوض، وسطوح مسقفة مطلية بالبرك الأحمر عنى الرغم من أن بعض المباني الخارجية لا تزال تحتط بالسقف الكولومبية التقليدية المصنوعة من سعف النخيل. وثمة أشجار لور خارج هذا المبنى تطلّس المدخل. وبحسب ذكريات غارسيا ماركيز المبكرة جداً، فقد كان هالك مينيان إلى سار المدخل، بصمّ أوهما مكتب العفيد، وحجرة استقبال صغيرة مرتبطة به، وفاءً جميلاً، وحديقة فيها شجرة ياسمين - كانت هذه الحديقة التي نحتشد بورد الباسمين، والباردين، ورفيق الشمس، وإبرة الراعي، تنعج أيضاً بالمراشات صفرء النون - وجاحاً آخر يتألف من ثلاث حجرات.

كانت أول هذه الحجرات الثلاث الخاصة هي حجرة نوم المخدم، التي اكتمل بناؤها في وقت لاحق يصل إلى العام 1925 حيث ولد غاييتو بعد ذلك بستين⁵². وإلى جانب تلك الحجرة، ثمة ما يُطلق عليه اسم غرفة القديسين التي أصبح ينام فيها غاييو عادةً - على أرجوحة شيكية بعد أن ضاق عليه المهد - في أثناء المسواب

العشر مع جدته، وفي بعض الأحيان، وعلى نحو متغير أو في آن واحد، برفقة ختنة الأسم سا مارغريتا وعمة أمه مراسيسكا سيغودوسيا وابنة خاله سارا ماركيز ومعهم مجموعة لا تتغير من القديسين نصاء ليلاً وهاراً مصابيح نستخدم ريت الحيل، وكل واحد منها في عهدة أحد أفراد الأسرة حمايتها وذلك 'للاعتناء بالحد ومراقبة الأحفاد وحماية البيت كي لا يدهام أحد المرضى وهكذا؛ وتلك عادة موروثه عن جده جدتنا لأما⁽⁷⁾، أمضت عمه أمه مراسيسكا لعديد من الساعات من حياتها وهي جاثية على ركبتها نصي هناك. أما الحجرة الأخيرة فهي 'حجرة الحقائق' وهي حجرة سقط اللثاع ليمثله ممتلكات الأسلاف وتذكارات الأسره جلبت عد الحروح من عواحيرو⁽⁸⁾.

وعلى الجهة اليمنى من المبنى، وإلى ما وراء المر، ثمة جناح من ست حجرات أمامها شرفة وضعت فيها أصص الزهور الكبيرة وكانت الأسرة تدعوها "شرفة التبغوسية" لوجود هذه العشة الأسترالية فيها. وإذا عدنا القهقري إلى المدخل، فإن الحجرات الثلاث الأولى من المبنى الواقع إلى جهة اليمين تشكل هي والملكت وحجرة الاستقبال المقابلة ما يمكن تسميته بالجناح الرسمي من البيت، إذ كانت الحجرة الأولى حاصة بالصيوف حيث يملك روار مهموم من ضمهم، على سبيل المثال، مونسنيور إسيخو نفسه. أما رفاق الأسرة ورفاق الحرب من جميع أرجاء عواحيرو، وبادياً ومجدلياً فكانوا يقيمون هناك، ومن صنعهم بطلا لحرب الليراليان رفايل أوريبسي أوريبسي وأخيرا يسجامير هويرا⁽⁹⁾. وتقع بعد هذه الحجرة ورشة صياغة العقيد حيث ظل يواصل ممارسة حرفته حتى وقت قصير قبل وفاته، على الرغم من أن مهامه في البداية اضطرنه إلى جعل مهنة الأولى هواية⁽¹⁰⁾. وإلى الخلف حجرة الطعام الرحة وهي المركز المؤثر في البيت، والأهم عد بيكولاس من الورشة الكائنة على امتدادها. كانت حجرة الطعام المفتوحة على الهواء تسمع لعشرة أشخاص يتحلقون حول مائدة الصعام وفيها يصعه كراسي هزارة من الخيزران لتناول المشروبات قبل الطعام أو بعده متى ما تستدعي الضرورة.

تأتي بعدها حجرة اليوم لثالثة المعروفة باسم "حجرة المرأة العمياء" التي موفيت فيها فل بضع سنوات أكثر أشاح المنزل شهرة ألا وهي العمه بيتر كونس

شقيقة تراكيبيبا⁽¹¹⁾، ممعاً مثلما كان قد توفي فيها انعم لارارو، وبانت اليوم منوى واحدة من العمات. ثم هناك حجرة جمعت أدوات الطعام التي يمكن أن يأوي اليها صيوف أقل شأناً عند الاضطراب وأحياناً، مطبخ تراكيبيبا الكبير الذي يحتوي على انعم الكبر والمفتوح أمام مختلف العناصر شأنه شأن حجرة الطعام. وكنت الحدة والعمات تحزن الحزن ويعدون قوالب الحوى والحويوت من كل نوع لصيوفهم كي يستعملوها، ولحمود المسر ليعمها في اشارة فيتعز بذلك دخل الأسرة⁽¹²⁾.

ثمة ماء آخر وراء حجرتي القديسين والحفائب وفيه حمام وخزان ماء كبير حيث جمعت تراكيبيبا عايتو بمس من ماء لراميل الخمسة التي يأتي بها كل يوم المعهد خوسيه كوبريس. وفي إحدى المناسبات التي لا يمكن أن تُنسى، كان عايتو الصغير يسألني نحو لسطح عندما شاهدته إحدى عماته وهي تنحني غاربه. وسلاً من أن تصرح أو تعطي جسدها، وهو ما توقعه، لوحث له بيدها، أو هذا هو ما تذكره لاحقاً مؤلف مئة عام من العزلة. كان الماء المخاور للمحمام بطن على الخارج: من جهة اليمن قطعته أرض فيها شجرة مانجا، وكووح كبير في ركن من الأركان يستعمل ورشة بخارة، وهي لقاعدة التي يقوم فيها العقيد بتحديثات استراتيجية للنيب.

وفي الجزء الخلفي من بيتي، إلى ما وراء حمام وشجرة الدنجد، تقع بلدة أراكاتاكا الحديثة وسريعة النمو والتي يمثلها عنى نحو واضح ثراء هذا البيت الراسع وطموحه، فتدور البلدة كأنها تتجه نحو الريف في فضاء واسع شبه بري يدعى لارورا، أي مسحة لأرض⁽¹³⁾ وفي هذه النقطة نمو أشجار العوافة التي تلجأ تراكيبيبا إلى استخدام ثمارها في صنع اخلويات في دلو معدني كبير، فجعل رائحتها الركية عايتو يرتد بينها وبين طموته الكاريسه إن الأند. كما تحببها شجره الكسساء الأسطورية التي يرتد بها خوسيه اركاديو بوينديا في ما بعد في رواية مئة عام من العزلة. وتحت شجرة الكسساء انوارفه كال عسريل إليحيو عارسب قد طلب من لويسا يدها في حين صرح "كلب الحراسة"، العمدة فرسيسكا، في وجهه من بين الطلائ. كانت على هذه الأشجار العلووات وطيور الأقطروس، وأحد الحيوانات الكسولة المعقفة بين أعصان شجرة اخر. وتقع على أحد جاسي امواة

اخلفية الإصابات حيث كان العقيد يحتفظ فيها بخواده ويعالهم وحيث يربط رورده جيادهم المعدة لتركوب لدى وصولهم إلى هذا المكان، لا لتناول طعام العدة وحسب، وذلك عندما يتركوها في الشارع، بل للمكوث مدة أطول.

وكان يخاور ليت مئى طين الأطفال بطون أنه بت الأهل، وأسموه "بيت الرجل الميت"، وأهمكك البلدة كلها في سرد رويات عنه نقشعر لها الأبدان لأن رجلاً هروبياً يدعى أنطونيو مرراً عاش فيه بعد أن شق نفسه، وكانت تُسمع أصوات سعال وصفير تبعث من داخله⁽¹⁴⁾.

وفي الوقت الذي ترسخت فيه ذكريات عارسا ماركيز الأولى، كانت أراكاتاكا لا تزال ببدء حدودية عيفة راجعة بالأحداث. فقد كان كل شخص تمرّب يحمل مدّة وكانت السدق كثيرة. وكانت إحدى ذكريات الصبي لصغير المربكة متمشيه بالعيب في انحاء اأخارجي عند مرور سيدة من أمام البيت ورأس زوجها في قصبة قماش وبقية الجسد محمول في الخلف، ويتذكر الصبي أنه شع بحية أمل لأن الجسد كان معطى بثياب مبهمة⁽¹⁵⁾.

كان النهار يأتي بعالم مغمم بالحوية، منير، كثير السحولات، ويصبح في بعض الأحيان عالماً سحرياً عسفاً. أما الليل فملي عسى حاله، وكان مثمر للفرع. ويتذكر: "كان البيت تنعم الأسرار، جذبي متوترة جداً، أشياء كثيرة تظهر لها فتحمري بها بيلاً...".

كانت الحياة اليومية تقيس في نراكيلا أو "هيا"، كما كان يدعوها زوجها أو بعض النساء الأخريات، فهي امرأة مخلدة ذات عيين رماديتين قلقتين وشعر قصي معروق من الوسط، فيشكل وجهاً إنسانياً لا سبيل إلى الخطأ فيه، وينتهي بعقدة على شكل كعكة فوق مؤخر العنق⁽¹⁶⁾. ويتذكر عرساً ماركيز: "لو أفدمت على تحليل شكل الأشياء، فإن سيد البيت الحقيقي هو جدي، ولم يكن هي وحدها، بل كانت معها القوى العاترة التي كانت دائمة الاتصال بها والتي كانت تقر ما الذي يمكن وما الذي لا يمكن عمله في ذلك اليوم، لأنه كانت تفسر أحلامها ونظم البيت بحسب ما يمكن وما لا يمكن تناوله من الطعام. كان است أشه بالإمبراطورية الرومانية تحكمها لصور وقصف الرعد وعثره من العلامات الخاصة

بالطقس، مما يُفسر أي تعبير في لحو والمراج لقد كنا في أيدي قوى غير مرئية على الرغم من أن الجميع كانوا من الكاثوليك المترممين¹⁷.

كانت ترانكيليا تطوف في أرجاء البيت منذ الفجر وحتى الغروب مرتدية ثياب حذاء أو شبه حذاء وتوشك أن تصل إلى حالة من الهستيريا، لتعني وتعاول أن تنشر جواً من الهلواء والسكينة. متبهة بامتداد إلى ضرورة حمية مسؤولياتها من المحاطر المخذقة بها على الدوام: أروح معدية (أسرعوا شخص يموت) حشرات رايقطوا الأطفال ولا يسمتون أيضاً، كانت تذكر الأطفال هذه المحاطر وهو آخر ما تفعله لئلاً.

تذكرت روسا فرعون، وهي معلمة عارسيا ماركيز الأولى، أن ترانكيليا كانت تعتمد اعتماداً شديداً بالحرافات. فقد كانت روسا وشقيقتها باتين في وقت مبكر من المساء يقولن السيدة "تعلّمن أيي سمعت ساحرة في الليلة العاتية... لقد سقطت على سطح ذلك المنزل"⁽¹⁸⁾ وكان من دأبها أن تروي أحلامها مرات ومرات، شأنها شأن العديد لشخصيات في روايات عارسيا ماركيز وفي يوم ما، أخبرت الجميع عندها بأنها حلمت بوجود حشد من الراعيت، هذا فطعت رأسها ووضعته بين ساقها وبدأت تفتل الراعيت واحداً واحداً⁽¹⁹⁾.

وكانت العمة فرانسيسكا سيمردوسيا ميجيا، المعروفة باسم العمة ماما، أكثر مهابة من بقية النساء اللواتي كن حاضرات في أثناء طفولة عابنو، وكانت، خلافاً لترانكيليا، معروفة بعدم حشيتها من أي شيء طبيعياً كان أم حرافياً، وكانت احتاً غير شائعة لأوغوسو ريوس شريك العقد في باراكاس، وبشأت مع قرسها العفيد في باراكاس إلى كارمن دي بوليفر وانتقلت من باراكاس إلى أراكاتكا برفقته بعد مقتل ميداردو. كانت داكنة البشرة، متنة الساق، سوداء الشعر شأنها شأن هود غواخيروا، بصعائر تربطها إلى الخيف عندما يسير في الشوارع. كانت ترتدي ثياباً سوداء اللون، وتتعل جرمه مربوطاً بإحكام ويدخل سماتر قوية، نشيطة باستمرار، توجه الأسئلة بصوت عالٍ، وتصدر الأوامر بصوتها القوي الصادح، وتضم أيام الأضغال. كانت تعني بالجميع، من أفراد الأسرة والمتشردين واللقضاء. كانت تعد أنواعاً خاصة من الحلوى والكعك للضيوف، وكانت تأخذ الأضغال إلى الهر

للاستحمام بصابون يحتوي على مادة الكاربوليك إذا كان لديهم قمل، وترافقهم إلى المدرسة وإلى الكنيسة، وتأويهم إلى أسرهم وتجعلهم يتبنون صلاتهم قبل أن تتركهم لترانكيليا التي تلزم عليهم ملاحظاتها الختامية. وكانت تودع لديها مفاتيح الكنيسة والمقبرة وتزين المسح في الأيام المقدسة. وكانت تصنع حصى الكنيسة أيضاً وكان الفس رائراً مستظماً من روار البيت - وكان الأطفال يتطلعون بحماسة إلى تناول ما يتبقى من الطعام المبارك. عاشت العمة ماما وماتت وهي عانس. وعندما فكرت في أنها ستموت، بدأت تخطط كهها الخاص بها، كما فعلت أمارتا في سنة عام من العزلة.

أما المرأة الثانية من حيث الأهمية فكنتها الحائلة با، واسمها ألفيرا كاريو التي ولدت في بارانكاس في نهاية القرن التاسع عشر، وكانت إحدى بنت العميد الطبيعيات والأخت التوأم لايستيبان كاريو. ثم انتقلت إلى أراكاتاكا وهي في العشرين من عمرها. وعلى الرغم من التوتر المختوم في أول الأمر، فقد علمتها ترانكيليا كلها إحدى سافها، اهتمت هي بدورها بترانكيليا حتى وفاتها في سوكري بعد مرور سوات طويلة. كانت رافهة المراح، دنة الأخلاق، مدمة عسى العس الشاق، تقوم دائماً بأعمال التطييف والخياطة وتصنع الحلوى لبيع بالرغم من أنها كانت تفصل عدم البيع في الشارع.

وهناك العمة وبغيرها التي تطلق عليها العمة نانا، وهي أخت نيكولاس الشرعية الوحيدة، كانت دائمة الحضور، بالرغم من أنها كانت تسكن بيتاً خاصاً بها. وكانت قد انتقلت إلى أراكاتاكا برفقة زوجها رافائيل كيتيرو ليموت بعد ذلك في منرل نيكولاس - بعد أن أمضت أيامها الأخيرة في مكتبه - قبل وفاة العميد نفسه بوقت قصير.

وهناك أيضاً عدد لا يحصى من الخدم، أغلبهم يعملون من دون نقرع نام، ينظمون حول البيت ويعملون الثياب والأواني. والحق أن البيت كان يجتشد بالنساء، وتلك حقيقة أدت بعديتو من ناحية إلى إقامة علاقة وثيقة وحسنة مع الذكر الوحيد الآخر في البيت وهو جده، ومن ناحية أخرى إلى الاصمثنان إلى النساء، وإلى الاعتماد عليهن اعتماداً يستمر طوال حياته. كان الرجال في بضر عابيتو

إما رجلاً يسعى محاكمهم، مثل حده، أو الخوف منهم مثل أبيه. كانت علاقاه المكرة بالنساء أكثر تنوعاً وأشد تعقيداً. (فئة عدد كبير من الخدمات المنديات في البيت وكن في حفيقة الأمر من العبد أما الصبي أبويسار، فلا يمكن عده ذكر لأنه لم يكن رجلاً متكاملًا).

عندما قرأ عارسيا ماركير قصص الحيات، لا بد من أنه صعد بحقيقة مفادها أن العديد من تلك القصص يتضمن فتى وفتاة وأجداداً أجداداً دائماً، كحالهما تماماً؛ هو ومارعوت وبيكولاس وترانكيليب. لقد كان العالم معقداً من الناحية السياسية وهو م أوصحه في ما بعد لصديقه بلييو ميلوثا: "الأمر العريب هو أنني أردت أن أكون مثل جدي - واقعياً وشجاعاً وأماً - لكنني لم أستطع مقاومة الإغراء الدائم في التلصص على مقاطعه جدي"⁽²⁰⁾. لقد كان "نانا ليو" أسداً عطيفاً في ذاكرة أحفاده، يعرض النظام والانضباط على كبرياء الإذات، على بيت يمتد بساء أنى هن إلى أراكاناك في أثناء بحثه عن الاحرام اتحدد والأس. كان محادعاً وصرحاً، حاسماً وماشراً في آرائه. ويدو أن عاييتو شعر أنه خلعه المباشر وأنه ورثه أصلاً.

واضطحبت العقيد حميدة الصغير إلى كل مكان، وشرح له كل شيء، وبذا ما راوده اشك، يأحده إلى البيت ويمسك بمعجم الأسرة ويؤثر سلطته بحسب التعريف الذي يحده فيه⁽²¹⁾ كان في الثالثة والستين من عمره عندما ولد عاييتو، له ملامح الأوروبيين، يشبه زوجته من حيث قامته متوسطة الطول وجسمه المعتلى. وكان عريض الحين، مائلاً إلى الصلع، كث الشاربين، بصع نظارة ذات إطار ذهبي، وكانت عيه البمي قد أصبحت بالعمى في ذلك الوقت بسبب الماء الأورقي⁽²²⁾. وكان يرتدي في معظم الأيام بدلة مدارية بيضاء بطيعة، لا تشوها شائبة، ويعتمر فعة حفيقة من عش ملون وبصع ثمالي بطلال راهيتي الألوان. كان رجلاً صريحاً، طيب القلب، سلطه وثقة وسمحة يُصغي عليها بربو عيه شيئاً من الحبويه فتم عن فهم لهذا المنحع الذي يعيش فيه، وبذل مصارى جهله في كل الظروف التي مر بها، لكن من جهة أخرى، لم يكن معرطاً في الاحتشام.

وبعد مرور سنوات عدة، عندما أفلح عارسيا ماركير في إعادة تشكيل هاتين الطريقتين في تفسير الواقع وسرده، وتطوي كندا الطريقتين على لهجة وثافة تمام

الثقة - تكثف حده الديني والعقلي في حكمه ومواعظه وحماسه جدته الحظية الأخرى العينة - تشوفا مسحة من روح دعابة هي سبيح وحدها، بذلك تمكّن من تطوير نظرة عالمية وأسلوب سردي موافها سرعان ما يدركه القراء مع كل كتاب جديد له.

* * *

بالرغم من أن العفيد ماركيز هُزم في حرب الألف يوم، إلا أن اتوفيق حاله في وقت السلم أيضاً بعد انتهاء الحرب، فتحت حكومه المحفظين أربب الجمهورية أمام لاستثمار الأجنبي وازداد الاقتصاد الوطني حجماً بسعة غير مسبوقة، لا في أثناء الحرب ولا بعدها. واستثمر رجال المال الأميركيين استماراً واسعاً في التفج عس السط والتعدين والموز، ودعمت حكومة الولايات المتحدة في حماية المصاف للحكومة الكولومبية خمسة وعشرين مليون دولار للتعويض عن خسارها باناما. واستثمرت هذه الأموال في مختلف الأشغال العامة التي كان يراد منها تحديث البلاد. وازدادت القروض من بعد ذلك، ودارت كل تلك الدولارات والبيروسات هن وهناك، فخففت هستيربا مالية أطلق عليها المؤرخون الكولومبيون بعبء "رقصة الملايين". ويتذكر الكثيرون في ما بعد تلك السنوات الفضية التي شهدت أموالاً متسيرة بفائده ضئيلة على أنها سنوات ازدهار لا تضاهي وفرصة ساعة على شاطئ الكاريبي.

المور فأكهة مدارية يستغرق نموها ما بين سعة إلى ثمانية شهور، ويعكس حي الثمار وتسويقها محراً في أي وقت من أوقات السنة وطرأ إلى حدثة وسائل الررعة والنقل، فقد ساعد الموز على تحويل العادات العداية والاقتصادية لكثيرات مدن العالم الرأسمالية وفد وجد ملاك لأراضي المحييون أنفسهم، وهم الذين فتحوا الأقاليم الساحية الشمالية من كولومبيا في وقت متأخر أمام لاستثمار، أن الأحداث قد سقتهم. فهي أواسط سبعينيات القرن التاسع عشر، بدأ رجل الأعمال الأمير كي ماسور كت شراء الأراضي المحيطة بسانتا مارتا، وكان قبل ذلك يملك ماضى واسعة من أميركا الوسطى ومن جامايكا. وفي سنة 1899 أسس شركة الفواكه المتحدة التي تقع مكاتبها في مدينة بوسطن ومبائها الرئيس في

بيو أورليانسر وفي الوقت نفسه الذي اشترى فيه الأرض، اشترى أيضاً أسهماً في شركة سكة حديد سانتا مارتا، وفي نهاية المطاف لم تعد شركة العواكه ندير خط سكة الحديد وحسب، بل امتلكت أيضاً 25.500 سهم من مجموع أسهمها البالغ عندها 60.000 سهم⁽²³⁾.

وأشار أحد اسقاد إلى أن أسهم مايبور كيث في كولومبيا ترقى إلى "لائحة فر صان"⁽²⁴⁾. هي أواسط عشرينيات القرن العشرين، أصبحت المنطقة ثالث أكبر مطلقه لتصدير الموز في العالم، إذ كان أكثر من عشرة ملايين عقود مور يعادر سورياً أرضة انوائي في سانتا مارتا. وكان خط سكة الحديد فيها يمتد ستمين ميلاً من سانتا مارتا إلى فويدانويون، وتقع على امتداد هذه المسافة انسان وثلاثون محطة. وكانت تحتكر تقريباً حمل الأرض، وأنظمة الري، والتصدير بحراً، والصل إلى خارج سانتا مارتا وإلى ما وراء ثياغا عرادي، ونظام لتلغراف، وإت ح الإنترنت واللحوم وغيرها من المواد الغذائية، واهاتف والتلج⁽²⁵⁾. لقد كانت شركة العواكه المتحدة تملكها المزارع وخط سكة الحديد تسيطر سيطرة فعلية على بلدات المنطقة التسع. كما أنها سيطرت سيطرة غير مباشرة على الشرطة المحلية والساسين والصحة المحلية⁽²⁶⁾. وكانت إحدى أكبر المزارع المملوكة لشركة العواكه المتحدة تدعى ماكودنو، وتمتد على مساحة قدرها 135 إيكار على جانبي هر إشبيلة في عواكامايال المستصلحة.

كانت لطبقات العليا من الأسر الحاكمة في سانتا مارتا صلات بنيويورث ولندن وباريس، وكانت ذات مستوى ثقافي رفيع على الرغم من أنها محافظة سياسياً. غير أن الأسطول العظيم الأبيض لشركة العواكه المتحدة، قد ساعد الجميع على إجراء اتصالات بالولايات المتحدة وأوروبا وبقية دول البحر الكاريبي وفي الوقت نفسه، اندفع المهاجرون من بقية أنحاء كولومبيا، بما فيها شبه جزيرة غواخيرا ومناطق أخرى من العالم، للعمل في مزارع الموز أو لإقامته مشاريع تجارية صغيرة لخدمة المزارع والأهالي العاملين فيها. فظهر بذلك الصان والتجار والمراكبيون ونات الهوى والعسلات والموسيقيون وسقاء الحانات. كما حل العجر فيها ورحلوا عنها، لكن إن شئنا الحقيقة، فإن جميع سكان منطقة الموز كانوا من العجر في تلك

الأيام. وأصبح هذه اجتماعات المتسامية مصلة بسوق البضائع العالمية وبدور السيسما التي تغير أعلامها مرتين أو ثلاث مرات أسبوعياً، وتوفر العديد من الأشياء التي نحتاجها في نيويورك أو لندن، مثل كاتالوغات مونتغمري وارد، والشوفان علامة كويكر، وفيكس فابو رت، وأملاج إيو، ومصحون كولميت للأسود.

كان عدد سكان أراكاتاكا صاع مئات سنة 900 يسثرون حول الريف ويتركرون على صغتي شهر. وبحلول عام 1913 ارتفع العدد إلى ثلاثة آلاف ليرداد بعد ذلك أيضاً إلى ما يقارب العشرة آلاف نسمة في أواخر عشرينيات لقرن العشرين. ولما كانت البلدة الأشد حرارة ورطوبة في المنطقة كلها، فقد كانت تنتج أكبر أنواع المور حجماً، وكان إنتاج المور تتطلب صراعاً محمياً يوماً بين العمال م دام جوس معظم الناس أو حتى استلقاؤهم على الأرض تحت أشعة شمس أراكاتاكا أمراً مهلكاً وخلون سنة 1910، عندما كان العقيد قد بدأ بنقل أسرته إلى تلك البلدة، كان حصه سكة الحديد يمتد نرولاً من سائنا مارتا مرور شيناغا وأراكاتاكا حتى يصل إلى فونديون، وهي آخر مدد المنطقة، وكانت مزارع المور تنتشر على حاسي خط سكة الحديد على مسافة ستين ميلاً تقريباً

كانت أراكاتاكا بلدة مزدهرة ونصف بحماسة السلدات المزدهرة. فقد كان اليانصيب يقام في أيام الاحاد في أثناء عرف حرفة موسيقية في الميدان العام أما مهرجان أراكاتاكا، الذي أقيم أول مره عام 1915، فقد كانت له جادية خاصة حيث تنتشر سويماً على الميدان الحوايب التي تقام احتفاءً بالمناسبة وتقدم معها أيضاً الأكشاك وباحات الرقص، والتجار والمعالجون والعشايون والساء الدواق يرتدين أزياء عربية وأقعة، وبحال رجال البلدة وهم يرتدون بطبونات من الحاكي وقمصان ررقاء، ونلمهم سحب دحان السيجار فيما تحب رائحة الزم والعرق في جميع أرجاء المكان بفعل نسمة لادعة قادمة من شيناغا عريدي. وقد قيل إن كل شيء كان يباع في تلك السنوات الذهبية: لا السلع الاستهلاكية المادمة من جميع أنحاء العالم وحسب، من حتى شركاء الرقص والأصوات الانتعائية والأحلاف العربية⁽²⁷⁾.

لكن المدينة، حتى في أوج أيامها، لم يكن فيها سوى عشرة شوارع ذات اتجاه واحد. ولولا حرارة الشمس اللاهية، فإن في وسع أي فرد اعتيادي أن يقطعها سيراً

على قدميه من جهة إلى أخرى في غضون عشرين دقيقة. ولم يكن هناك سوى مجموعة من السيارات. وكانت مكاتب شركة الفواكه المتحدة قبالة منزل العفيد نيكولاس ماركيز تماماً، وعلى مقربة من صيدلية صديقه الفروملي الدكتور ألفريدو باربوسا. وإلى الجهة الأخرى من حط سكة الحديد، ثمة جماعة أخرى قوامها عظيم إداري الشركة الأمريكية، على امتداد باد ريفي يحوي على أرض مرروعة بالحشيش، وملاعب للتنس، وبركة ساحة حيث يمكن مشاهدة نساء جميلات مسترخيات يرتدين ثياباً من المولسلي ويعتمرن قبعات عريضة من نسج رفيق وشعاف يقطعن الأزهار في حدائقهن بمقاصٍ ذهبية⁽²⁸⁾.

في أثناء حقبة المور كانت بلدة آراكاتاكا لا تحترم الدين أو القانون إلا قليلاً. واستجابة لطلب قدمه مواطنو البلدة، أُرست مطارية سانتا ماريا أول أسقف إلى البلدة وهو بيلرو إسيخو من بلدة ريواتشا يعمل فيها مؤقتاً. وكان هو صاحب فكرة بناء كنيسة أبرشية استغرق بناؤها أكثر من عشرين عاماً⁽²⁹⁾. كما أنه هو الذي أصبح صديق أسرة ماركيز إغوارن الرثيق. وكان يقيم عندها كلما جاء إلى آراكاتاكا. واليوم، بعد مرور العديد من السنين، فإن الشارع الذي كان فيه ذلك البيت مشيداً يطلق عليه اسم "شارح المونسنيور إسبجو".

* * *

وفي أواخر سنة 1928، انتهى عصر آراكاتاكا الذهبي نهاية عيمة. فقد احتاجت شركة الفواكه المتحدة إلى العمالة لبناء خطوط سكة الحديد وقنوات الري، ولاستصلاح الأرض وعرس الأشجار وجني الفاكهة، ولتحميل القطارات والسفر بالمور لتصديرها. وقد أفلح في بداية الأمر في اتباع سياسة "فرق تُسد" بين العمال بكل يسر وسهولة، إلا أن هؤلاء العمال سرعان ما انتظموا في نقابات في أثناء عقد العشرينيات، وفي تشرين الثاني من عام 1928 قدموا مطالب مسوعة تضمن ريادة في الأجر وحفصاً لساعات العمل اليومي وتعيين ظروفهم. غير أن الإدارة رفضت تلك المطالب، فأعلن ثلاثون ألف عامل الإضراب في منطقة اموز وذلك في اليوم الثاني عشر من شهر تشرين الثاني 1928، وكان الطفل غارسيا ماركيز قد بلغ عشرين شهراً من عمره.

انفس المتظاهرون لاحتلال المزارع في اليوم نفسه، فرضت حكومة الرئيس ميغيل أناديا مبيدات الحفافة بيرسال الجمران كارلوس كورتيس فارغاس إلى المنطقة في اليوم التالي بوصفه القائد المدني والعسكري برفقة 1800 عنصر من الأراضي المرتفعة، ولدى وصول كورتيس فارغاس إلى بيده سائتا مرتا كرمته إداره شركة الفواكه المتحدة، وأسكب الجمران في ثكنات الشركة وعندما المتشرة على امتداد المنطقة. وهل آتلك إن مسؤولي الشركة أقاموا بلصاط حملات ماجة انتهكت فيها حرمان سيدات المنطقة وعرض فيها للإهانة، كما امطت سات اهوى وهن عاريات الجهاد العسكرية واستحمس عاريات أيضاً في قوات ري الشركة⁽³⁰⁾.

وفي فجر الخامس من كانون الأول سنة 1928 وصل ثلاثة آلاف عامس إلى ثياع لاحتلال الميدان، وإذا ما تمكروا من احتلال ثياعا، فإنهم سيسرون على طرقات مواصلات سكة الحديد في جميع أرجاء الإقليم. (إصافه إل ثياعا، فإن أراكناكا كانت بدورها إحدى المناطق التي تدعم الإصرار أشد الدعم. وكما هو شأن ثياعا ثياعا، فقد قدم أصحاب ائناحر المحليون وملاك الأراضي دعماً مادياً حيوياً إلى المصريين حتى يوم المراجعة⁽³¹⁾). وكان المعروف عن الجمران حوسبه روساريو ديوران أنه موظف محترم حاول أن يكون له صلات طيبة بالنفاية. واحتق أن العديد من محافظين شعروا أنهم ودودون "بلاشتر، كيين" أكثر مما يعني⁽³²⁾ وعند منتصف طهيرة الخامس من كانون الأول، أرسل الجمران ديوران الذي وضعته البلاعات العسكرية يومذاك بأنه "الرعيم الليراني لجميع أرجاء لإقليم⁽³³⁾". بريقة إلى سائتا مرتا بطلب فيها فطاراً لئلقه هو ورجاله إليها حيث كان يأمل في التوسط بين العمال والشركة بمساعدة احاكم نويث روكا. فوافق كورتيس فارغاس، على مقصص ملا ريب، وأرسل لفصار في حية⁽³⁴⁾. وأخيراً، وصل ديوران ووعده، ومن ضمنه اعقيد بيكولاس ماركير، إلى ثياعا عند الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم، فحيّاه اعمال بكل حماسة، وواصلوا طريقهم إلى سائتا مارت للتفاوض من أجل التوصل إلى تسوية، لكنهم وجدوا أنفسهم رهن لاعتقال حال وصولهم. يبدو أن أفراد الإدارة حافظه وشركة الفواكه المتحدة والجيش الكولومبي كانوا جميعاً عارمين على سفك الدماء لتفريق العمال درساً.

وفي ثياعا، واجه حشد قوامه أكثر من ثلاثة آلاف شخص الجيش⁽³⁵⁾. وكان كل جندي مروداً بتدقية وحرية ونصت ثلاثة مدفع رشاشة أمام المخططة ودوى صوت بوق وتقدم النقيب عرافيتو إلى الأمام وقرأ بصوت عال: "رسوم رقم ()"، وبدأ عرض الحصار وأعلن عن حالة مع التجوال على القور وحظر بجمع أربعة أشخاص أو أكثر، وإذا لم يتفرق الجمع الحشد في غضون خمس دقائق فسوف تطبق البراءة. وهما بدأ الحشد بإطلاق الشتائم وصحات الاستكثار على الحش بعد أن كان يحيه في البداية ويشد الشعارات الوطنية. وبعد مرور بعض الوقت، تقدم كورتيس فارغاس بنفسه إلى الأمام وناشد الأهالي بالانصراف، وإلا سنطلق النار عليهم، ومنحهم دقيقة لإصافيه واحدة. وفي تلك اللحظة صاح صوت من بين الأهالي مجاً شك الإجابة التي لا تسي ونبي سجت في مئة عام من العزلة: "تلك لدقبه هدية ما لكم!" فصاح كورتيس فارغاس: "اطفئوا النار!" فاضلق هدبر مدعبي رشاشين (إد بعصل المدفع الرشش الثالث) ومعهما مقنا أو ثلاثته بدقيه من جميع أنحاء اميدان. وسقط عدد كبير من الناس على الأرض وهرب من أبلح في الحرب⁽³⁶⁾. أما سلفادور ديوران، وهو ابن الجرار بنسه، وكان أساك في ينة القريب من اميدان، فقال إن إطلاق الرصاص استمر خمس دقائق كاملة، وبعدها ساد هدوء حتى كان في الوسع سماع صوت البعوض في عرقته⁽³⁷⁾. وقيل إن الجيش أجهز على المرحى باستخدام الحراب⁽³⁸⁾. كما قيل أيضاً إن كورتيس فارغاس هدد الجنود بإعدامات صورية إذا لم يفعلوا الأوامر في تلك الليلة⁽³⁹⁾ ولم تبدأ السلطات إلا عند الساعة السادسة صباحاً بالتخلص من اثنت موصحه رسمياً أن عدد القتلى تسعة والمجرى ثلاثة.

كم عدد الذين ماتوا؟ بعد مرور أربعين سنة على تلك الحادثة، يخترع غارسيا ماركيس في روايته مئة عام من العزلة رقماً هو ثلاثة آلاف، وهي حصيلة هائلة يأخذها العديد من قرائه كمعاً لطاهري. وفي التاسع عشر من أيار سنة 1929 ورد في صحيفة الاسيكادور الصادرة في بوعوتا أن عدد القتلى تجاوز الألف. كما أن مثل الولايات المتحدة في بوعوتا جيمسون كلفري قال في رسالة مؤرخة في الخامس عشر من كانون الثاني سنة 1929، ولكنها لم تنشر إلا بعد مرور سواب

طويلة. إن هاتك "أكثر من ألف قتيل" بحسب نوماس برادشو المدير الإداري لشركة العواكة المتحدة، (ويقول نائب رئيس شركة العواكة المتحدة آنذاك لأحد لاحتين في سنة 1959، إن 410 أشخاص قتلوا في المذبحة وإن أكثر من ألف تُوفوا في الأسابيع اللاحقة)⁽⁴⁰⁾. ولا تزال هذه الأرقام موضع نقاش وخلاف حتى هذا اليوم. كان غابريل إلحيو عارسيا مهماً في عمله بعيداً عن أسرته في بلدة بارانكيا، بالرغم من أن عامل التعرف في أراكاناكا أرفق إليه مشيراً إلى أن الجميع بحير وأمدن كانت لويسا قد أنجبت مؤخراً نوبس إيريكي، وكان غابريل إيجيو ليعود بالأسرة إلى بارانكيا. وكان ينرم دائماً بتفديرات الحكومة، من اعتذر عن كورتيس فارعاس قائلاً إن روح عمه غابيو في ثياعا أخيره أن عدد اصحابها لا يزيد عن بضعة أفراد ما دام "لا يوجد أي موقوف".

وأعدم السجاء إعداماً صورياً في الأيام التي تلت المذبحة، فقد ذهبت إحدى كتائب الجيش سموعة موظفي شركة العواكة المتحدة الذين عملوا مرشدين ها، إن أراكاناكا "وأطلقت النار في كل مكان وعلى الجميع"⁽⁴¹⁾. وفي ليلة واحدة احتوى مئة وعشرون عاملاً في أراكاناكا، وأنفظ الجود أسقف الأبرشية الأب أنعاريت وأحدوا منه مفاتيح لمقبرة⁽⁴²⁾. وظل الأب أنعاريت يقظاً طوال الليلة التالية كي يتأكد من عدم إعدام تسعة وسبعين سجيناً آخرين⁽⁴³⁾. وفي غضون الأشهر الثلاثة التي أعقبت المذبحة، اتعت السلطات وكنار المقيمين في أراكاناكا، ومن ضمنهم مدير حرية بيكولاس آر ماركير وصديقه الصيدلاني ألفريو باربوسا والجنرال الممي ماركو فريتييس، إضافة إلى جميع أعضاء المجلس البلدي، بإرسال رسائل يُعلن فيها أن العسكر تصرهوا تصرفاً لا يشوبه أي عيب في أثناء حالة احصر، وأهم عملوا من أجل مصلحة الجماعة⁽⁴⁴⁾. لا بد من أن هذا الأمر انطوى على انقلاب أخلاقي مؤلم وإحساس لا يحتمل إلى حد ما بالهانة. واستغرق حالة الحصار ثلاثة أشهر.

ترك الإصرار والمرارة التي أعقبت مذبحة على الإفليم، ويظل اليوم واحداً من أكثر الأحداث المثيرة للجدل في تاريخ كولومبيا. وفي العام 1929، أصبح حورحه إليسير عاينان، السياسي الذي أدى مصرعه إلى إشعال شرارة تمرد مدي قصير الأمد،

وبكته كان مدمراً وعرف باسم "العمى"، رعيماً رصياً وهو في السادسة والعشرين من عمره، وذلك من خلال الحملة البرلمانية الكبيرة التي أطيح بها ضد الحكومة والعسكر وشركة البعواكه المتحدة. وبعد ردة موقع المدخنة وأحدثت إلى عشرات الألاف، قدم تقريراً إلى مجلس النواب في بوعونا، وكلهم لمدة أربعة أيام في أيلول سنة 1929 وكانت أشد الدلائل إثارة تلك الخاصة بمحنة طفل رسالة تشير بأصابع الاتهام موجهة من الأب أنديرا، ذلك الرجل الذي سعمد غابريل غارسيا ماركيز بعد مرور بضعة أشهر⁴⁵ ونتيجة شهادة غايتان الثيرة ألغيت 'حكام السجن التي صدرت ضد أعمال في نيبعا. أما الليبراليون، فبالرغم من ضعفهم وسوء تنظيمهم على المستوى القومي، فقد استمروا إلى العمل وأصبحت لهم اليد الطولى في السياسة، وشرعوا في ارتقاء سلم السلطة حتى وصلوا الحكم في سنة 1930. إلا أن تلك المرحلة انتهت بمصرع غايتان في نيسان سنة 1948، وهو الحدث لأهم والأبعد مدى في تاريخ كولومبيا في القرن العشرين.

في الكساد العظيم تدهور العلاقات بين شركة البعواكه المتحدة وعمالها، وتضرر المدخنة في منطقة المور، وهو الكساد الذي سيمم الإقليم ومجمل نظام التجارة العالمي. وقد أدى ذلك الكساد المدمر بالشركة إلى تقليص عمداها إلى حد كبير، فرحل المديرين التنفيذيين والإداريين، وبدأت آراكاتاكا بغير كبير يتعدى وقعه، وتلك حقبة تتزامن بداياتها مع طفولة غارسيا ماركيز والسواب الأخيرة من حياة جديده.

رفقة جدّه

1937-1929

بالرغم من أن بدور اهبّار آراكاتاكّا كانت قد رُعت، إلّا أنّها استغرقت سنوات قبل أن تصبح مصاصها للكامله، فيما سارت الحياة على حثا كما في اسماو في مرل العقيد. وفي ما وراء المسفع الكبير، في بارانكيا، كان عابريل إليخيو يعمل مُاراً في محرن أدوات معديه تقديره شركة سعر، لكنه فتح الآن صيلبيه المتواضعة الأولى التي كان يحضر إليها مساءً وفي عطلات نهاية الأسبوع وتساعد فيه لوييس. لقد تحمل لشدائد فقراً طاحناً، ولا بد من أن نوبس المدللة انني ألعت اهتمام الأم والعمات والخدم وحدثت الحياة بالعة الصعوبة.

اصطحب العقيد وبرانكيليا عابتر إلى بارانكيا في شهرين الثاني عام 1929، بعد ولاده لوييسا وهي ثالث أطفال مارغريتا في التاسع من ذلك اشهر كانت ذاكرة الطفل لذي لم يتجاوز عمره الستين ونصف السنة تحصر اساساً في رؤية إشارات لمرور الصوثة أول مرة. ثم عاد جداه إلى بارانكيا مرة أخرى في شهر كانون الأول عام 930 بسبب ولاده غايبا روسا، وشاهد أول طائره في مدينة كانت رائدة في الرحلات الجوية في كولومبيا⁽¹⁾. كما أنه جمع كسفة بولغار للمرة الأولى لأن عابتر روسا قد ولدت في السبع عشر من كانون الأول، أي بعد مئة سنة تماماً من اليوم الذي توفي فيه ابحرر الكبير. وكانت بارانكيا، شأن شأن أميركا الثلاثية كنها، تمتعي بذكرى وفاته. ولم يحتف عابنو بأي ذكريات كاملة عن أنه أو أبيه، إلّا أن تلك الارباب لا بد من أنّها كانت مفقدة لطفل نحول أن يفهم معنى العالم ومكانه فيه⁽²⁾. وفي هذه المسة الأخيرة أصبحت ترانكيلينا، وهي بربى مارغريتا

الصغيرة طفلة رفيقة الصحة منطوية على نفسها، عني إعادتها إلى أراكاتاكا كي تنشأ برفقة عابيتو⁽³⁾.

هكذا امتدت فترة تكوين عابيتو ونشأته مد من الثانية، عندما خرجت أمه للمرة الثانية، سبع سنوات، بعد أن عاد والده وأطاعها إلى أراكاتاكا. تلك هي السنوات الخمس لي تشكل ذكرياتي أساس ماكوندو الميثولوجي التي عرفها القراء في ما بعد في جميع أنحاء العالم. وبالرغم من عدم صحة وجود صلة له بأبيه، فإن الصحيح عني وجه التأكيد هو أنه لم تكن له صلة مستدامة بأي منهما ولا بأي من أحواله وإخوانه الجدد بعد العام 1928، لهذا ليس لمة سبب لتكون لديه ذكريات دائمة عنهم. لقد كان أبواه الوحيدان هما جدّه وجدته وأما أخته الوحيدة فهي مارغريتا التي تدعى الآن مارغوت، والتي لم تعد رفيقاً يعث عني الرضا إلا بعد بدوعها سن الثالثة أو الرابعة، وفي تلك السن كانت بقية أفراد الأسرة قد أخذت بالعودة إلى أراكاتاكا بحلول أواخر العام 1933. ويبدو من الواضح أن نيكولاس ونسراكيلينا قررا أن يوضحا لغابيتو أن والده قد سافرا (لكن، ما سب سفرهما؟ وإذا كان قد سافرا، فمتى سيعودان؟) أو يلتزما الصمت تجاه جلوده. إن التفسير الأخير هو الأقل مدعاة للألم على المدى بعيد. لا بد من أن هناك أطفالاً آخرين طرحوا الأسئلة، ومن غير المحتمل أن يكون عارسيا ماركير جاهلاً كما ظل برعم دائماً. في الحقيقة من الصعب أن نتصور أنه لم يتذكر لويسا في أثناء أدعية ما قبل النوم على سبيل المثال. لكن من الواضح أن قضية أمه وأبيه كانت منطقة محظورة تتعلم كيف يقترب منها بأهل ما يمكن.

جرى العرف في إسبانيا وأميركا اللاتينية أن يكون مكان النساء هو البيت ومكان الرجال هو الشارع. ولكن جده العقيد هو الذي أتمده تدريجياً من عالم النساء الراخر بالخراعات وهو اجس الداخلي وتلك الحكايات التي كانت تدور نابعة من طلعة الطبيعة نفسها، ووضعها في عالم الرجال الخاص بالسيسة والتاريخ، أي أنه أخرجه إلى ضوء النهار، إن جار التعبير (أود القول إن العلاقة يجدي كانت علاقة الحبل السري الذي أبقاني متصلاً بالواقع حتى بلغت الثامنة من عمري)⁽⁴⁾. وفي فترة لاحقة من حياته يذكر بسداحة مؤثرة جده عني أنه "بطيريك البلدة الطسمي"⁽⁵⁾.

في الحقيقة، إن الرجال الذين كانوا يتمتعون بالسلطة فعلياً، مثل كبار ملاك الأراضي، لم يخلوا إلا نادراً مواقع سياسية إقليمية، مثل مدير الحرية أو حامي الضريبة، إذ كانوا يفضلون تركها لأقرباء لهم أقل أهمية أو لمثنيين سياسيين من الطبقة الوسطى يجهلون القانون عادة⁽⁶⁾. لقد كان من يُعيّن أي عمدة بلدية حكام يرضخهم السياسيون في بوغوتا بحسب مقتضيات المصالح المحلية، وكان يعيّن على البيرويين من أمثال بيكولاس ماركيز، أن يتعاملوا، بأساليب مذلة عادة، مع حزب المحافظين وغيره من القوى المحلية مثل شركة الماكاهة المتحدة. لقد كان يحمل النظام السياسي فاسداً جلياً ويعتمد على العلاقات الشخصية وعلى مختلف أشكال الوصاية. وقد حصلت شخصيات محلية مهمة، مثل ماركيز، على امتيازات حامية كاللحوم الطازجة وغيرها من الكماليات المرغوبة فيها من محجر شركة الماكاهة المتحدة لقاء الاعتماد عليه في المحافظة على النظام وكانت أكثر ذكريات غايتو ومارغوت الحيوية تمثل بحملات جده صوب المخزن الذي كان يقع على الجهة المقابلة من بيتهم. لقد كان ذلك المخزن أشبه بكهف علاء الدين الذي يعود منه العقيد وغايتو منتصرين ليفاحتا مارغوت ويحلان لها المواد السحرية المصنوعة علياً والمستوردة من الولايات المتحدة⁽⁷⁾.

تحتصر مهمة مدير خربة البلدية وحامي الضرائب بالحصول على الدخل البلدي - وفي بعض الأحيان الدخل الشخصي - من الأتباط المهمة للضريبة السائدة آنذاك، وخاصة استهلاك الكحول، بمعنى أن دخل العقيد نفسه اعتمد اعتماداً كبيراً على الرفاهية المادية والشوة الحسدية وما ينجم عنهما من تعدد الزوجات. ولا نعرف كيف كان بيكولاس يقوم بمهامه، غير أن النظام لم يكن يسمح بحرية كبيرة في الاستقامة الشخصية⁽⁸⁾. وبعد عام 1930، وتحجى الحزب الليبرالي إلى السلطة للمرة الأولى في خلال خمسين سنة، لا بد من أن الأمور تحسنت باسمية إن بيكولاس الذي اهتم بكل نشاط في الحملة لانتخاب المرشح الليبرالي إترينكي ميريرا، لكن كل المعلومات المتوفرة لدينا تشير إلى أن أموره ازدادت سوءاً.

يتذكر عارسيا ماركيز: "لقد كان الشخص الوحيد في البيت الذي لم أكن أعشاه، وكنت أشعر دوماً أنه تعهمي وأنه يهتم بوظيفتي مستقلاً"⁽⁹⁾. لقد كان

العقيد معجباً بالحميد الصغير أينما إعجاب، وكان يحتفل بذكرى مولد نابوليوني الصغير كل شهر، ملئاً له كل طب من طلائه، لكن غابته لم يرغب في أن يكون محارباً، ولا حتى رياضياً، وكانت تسيطر عليه طوال حياته أشياء مرعبة كالأشباح والحشرات والصلام والعف والرمض⁽¹⁰⁾. وكانت هذه كلها عميقة المخدور في أراكاتاكا أيام طفولته المضطربة والمؤلمة وبالرغم من ذلك، فإن ذكائه ورفاهة أحاسيسه، بل حتى نوبات عضه بين حين وآخر، أنست كلها لحده المبهكت أن الطفل جدير به وربما كان من المقدر له أن يصبح رجلاً عظيماً⁽¹¹⁾.

من المؤكد أن الطفل كان يستحق التعليم، فهو الذي سيرث ذكريات الرجل العجور وفلسفته في الحياة والأخلاقيات السياسية ووجهة نظره عن العالم. أما العقيد نفسه، فسيحيا حياته من خلاله. فهو نفسه الذي أحبره عن حرب الألف يوم، وعن أفعاله وأعمال أصدقائه، وكانوا كلهم أبطالاً ليرالين. كما أن العقيد هو الذي أحبره عن وجود مزارع المور، وشركة الماكهة المتحدة، وبيوت الشركة ومحازم، وملاعب التنس، وأحواض الساحة، وأهوال إضراب عام 1928: معارك، بلوب، مشاجرات. عف وموت. وحتى في ظل الأمن السسي للدة اراكاتاكا، كان الرجل العجور يام دوماً ومسدسه تحت وسادته بالرغم من أنه توقف عن حمله في أثناء خروجه إلى الشارع إثر مقتل ميلاردو⁽¹²⁾.

عندما بلغ غابيتو السادسة أو السابعة من عمره، بات كولومبياً بكل ما للكلمة من معنى. وفكر في أن حده كان بطلاً، لكن حتى هذا البطل نفسه كان معرضاً لسزوات المديرين الأميركيين والسياسيين المحافظين. لقد حسر الحرب ولم يكسيها، ولا بد من أن الصبي الصغير اعتقد، وإن على نحو بسيط، أن الشجار ليس عملاً بصولياً كما كان الآخرون يريدون منه أن يظن. فبعد مرور سنوات عديدة، كانت إحدى القصص الكثيرة التي تداولها الأسرة تدور عن غابيتو وهو جالس يصغي إلى حده، فترمش عيناه باستمرار ويسى أين كان⁽¹³⁾. وتذكر مارغوت: "كان غابيتو يقف دائماً إلى جانب حدي، يصغي إلى جميع حكاياته وفي يوم ما أتى أحد الأصدقاء من بُنيغا، وكان رجلاً عجوراً من شاركوا في حرب الألف يوم مع الجدد، ووقف غابيتو والدموع تنهمر من عيه بجانب المسد النس،

ونيمون أن لكرسي التي أعطوها للرجل ليجلس عليها قد انعرت في حذاء غايو كل ما فعله هو أنه التزم الصمت وتعمل الألم ووقف ساكناً إلى أن انتهت ارباره، لأنه فكر في سره: لو قلب شيئاً ما، فسيتبها إلى ويتردني حاراً⁽¹⁴⁾.

تخبرني والدته بعد أن تعذب بها العسر: "كان عابث كبيراً دائماً، فعندما كان طفلاً كان يعرف أشياء كثيرة حتى بدا وكأنه رجل عجور صغير. لقد أسمياه ارجل العجور الصغير". كان معظم أصدفائه، طوال حياته، أكبر سناً وأكثر تجربة منه، وبالرغم من أفكاره الساسة اللبرالية التي انتهت أخيراً بالاشتراكية، فإنه كان يحدد دوماً، راعياً أو غير راعٍ، إلى مريح من الحكمه والقوة والسلطة بين رملاته. وليس من فيس التحيل الاستنتاج بأن أحد أقوى الدواعي في حياة عارسيا ماركير التأخرة هي اربعة في إعادة عسه إلى عالم جد.

عبر أن فكر الأشياء دوماً وحسماً هي أن العقد وقر عددًا من لمعارات الرمرية والحوادث المطبعة في الناكرة التي منطل مستقرة في حبال الحديد حتى يصهرها كلها، بعد مرور سنوات طويلة، في صورة محددة الملامح في السطر الأزور من أكثر رواياته شهرة. وفي يوم ما، وكان الفصل لا يزال صغير السن، اصططحه الرجل العجور إلى مخزن الشركة ليشاهد السمك لتحميد في الثلج وبعد سويت طويلة يتذكر عارسيا ماركير 'لمست السمكة، وشعرت وكأنها تحرق. لقد احتجت إلى ثلج في أول حملة من رواية مئة عام من العزلة لأن الثلج سحري في أشد مدن لعالم حرارة، ولو لم يكن الجو حاراً لما نجح الكتاب، ولما كانت قد أصبحت بذلك حارة جداً. فإنه لم يعد ضرورياً، أن أذكره مرة أخرى، فهو في قلب الطقس⁽¹⁵⁾'. كذلك: "فإن الصورة الأولى في مئة عام من العزلة موحدة أساساً في روايته البيت وهي محاولة عارسيا ماركير الأولى في كتابه الرواية، ثم في عصفه الأوراق كان كل يوم يُعد اكتشافاً من خلال ريداته لشركة المور ورياراته عصه سكه الحديد. أذحت شركة المور السينما والمديع وغيرهما. ووصل السيرك مع جسر عربي، والأسواق الخيرية، ودولاب الحظ، وسكة حديد مدينة الملاهي، وحفلات المور. وكان جدي يمسك بيدي دائماً ويأخذني لمشاهدة العروض: أأخذني إلى دار السينما، وبالرغم من أنني لا أتذكر الأفلام، إلا أنني أتذكر المقطعات.

لم يكن لجدي أي فكرة عن الرقابة، ولهذا شاهدت كل أنواع الصور، لكن أكثر الصور الحية والتي ضلت تتكرر في تخيلتي هي صورة رجل عجور يقود طبعاً بيده⁽¹⁶⁾. في آخر الأمر، وفي ذلك السطر الأول من أشهر رواياته - عد سنوات طويلة، وأمام فصل الإعداد، تذكر انعقد أوريانو بوينديا عصر ذلك اليوم العبد الذي اصطاحه فيه أبوه كي يرى الثلج - وقد حوّل المؤلف مختلف الصور الخاصة بحملاته برفقة جده إلى تجربة تحديد هوية الدات، تجربة يملكها ابن متخيل مع أبيه، وهذا يؤكد بسمو، أن بيكولاس لم يكن حده وحسب، بل كان أيضاً الأب الذي شعر أنه لم يحظ به البتة.

هكذا عاش الصبي رهاء عقد من الزمان مع الرجل العجور، وكان في معظم الأيام يخرج ليتجول معه في أرجاء البلدة. وكان أحد الأماكن المفضلة لبي بذهاب إليها سراً على الأقدام في أي يوم تلاتاء هو دائرة البريد للمأكد من وجود أي أخبار عن تقاعد العقيد من الحرب التي دارت رحاه قبل خمس وعشرين سنة، لكن لم تكن هناك أي أخبار، وتلت حقيقة ولدت اضطباعاً كبيراً لدى الصبي⁽¹⁷⁾. أما المكان المفضل الآخر فهو الذهاب إلى محطة العطار لتسلم الرسالة اليومية من الخال حوايتو خوان دي ديوس ابن العقيد لأن الرجدي كانا يرسلان يومياً؛ عموماً عن الأعمال التجارية وحركة الأقرناء والمعارف المشتركين⁽¹⁸⁾. كانا يطلقان من المحطة ليعودا أدراجهما سراً على الأقدام صوب شارع قصير سمي باسم اليوم الوطني للبلاد وهو كامبون 20 ثور حيث تقع فيه مدرسة مونيسوري (وكان الجيرال غومسه ديوران صديق بيكولاس الطيب هو الذي تبرع بقطعة الأرض لسائها عليها)⁽¹⁹⁾ ثم يسيران صوب شارع الأتراك وجران بالأركان الأربعة وبصيدلية ألفريدو باربوسا يبعودا بعد ذلك إلى منزل في الدور السادس بين الشرعين السادس والسابع، أو قد يواصلان سراً من أمام المنزل ومقر الحرب الليبرالي نحو أنرشية سان جيمر، التي لا تزال هيد الإنشاء، ذات الصحن الثلاثة والمقاعد الخشبية الثمانية والثلاثين. (كان عايينو صبي المديح يومئذ، يذهب إلى القدس دائماً ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بأمور الكنيسة طوال سبي طفولته)⁽²⁰⁾. وكانا يسيران أيضاً على الجهة الأخرى من ميدان بوليفر حيث تخط العقبان على المناب المحيطة، وبوجهان صوب دائرة التعرف

حيث كان غابرييل (الحيو بعن)، بالرغم من أن لا نلري إن كانت هذه حقيقة سبق أن ذكرت أم لا. وعلى مسافة غير بعيدة تقع البعرة على متداد شارع نصفه أشجار الخيل حيث دفن فيها الجنرال ديوران والجر الخلي حوسيه فيدال داكروتي، والعمه وينفريدا - كما أصبح ذلك الريف المتنوح يوماً ما بقاباته، ثم بمراعي الماضي، ريفاً مغلقاً بسبب استئثار مراعي المور اللامناهية وهندسية الشكل تماماً.

لقد ساعدت سيدة فروبلية عابستو على دخول العالم، وتدعى هذه السيدة حوانا دي فريتيس وهي روجه الجنرال المتقي ماركوس فريتيس الذي اصطدم بالدكتاتور فايست غوميث، فأصبح مدير مخار شركة الفاكية المتحدة وكان مرله جزءاً من مجمع مكتب الشركة. ولم تكن السيدة فريتيس حاضرة حضوراً لا يقدر بئس عند ولادة عابستو وحسب، وإنما قصت في ما بعد أيضاً عليه وعلى أصدقائه حكايات كلاسيكية عن الجينات - وكلها تقع في كاراكس! - مما أسهم في حبه اندي يأخذ يكثره طوال حياته للعاصمه الفسروبية⁽²¹⁾. وثمة فنزويلي آخر يقطع في الجهة الأخرى من الشارع الطيني الذي يقع فيه بيت عابستو، وهو الصيدلاني ألفريدو باربوسا، وكان صحبة من ضحايا غوميث وكان يشتغل بصفة طبيب البلدة إثر وصوله قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى وتزوج بامرأة من أهالي المنطقة تدعى أديانا بيردوعو. وكنت صينلته هي الصينلية الرئيسية في البلدة إبان ازدهار زراعة المور، لكنه تعرض في أواخر العقد الثاني من القرن العشرين لتوبان من الكآبة، وأمضى أياماً طويلة متكاسلاً بتأرجح في أرجوحته⁽²²⁾.

هناك أيضاً حضور أكثر بعداً وبرودة يمثل بالأحباب العاملين في شركة الفاكية المتحدة والذين يسكنون في المكال الذي سيصطلح على تسميته غارسب ماركبر في ما بعد اسم بيت الدجاج المكهرب اسابع مجمع الشركة الذي تنتشر فيه بيوت مكيفه الهواء، وأحواض الساحة، وملاعب التنس، والحشائش الخيلة. لقد عبرت هذه المخلوقات القادمة من العالم الآخر بحرى النهر وأشعلت شرارة إصرار عام 1928 وما أعقبه من مدخ. كما أن هؤلاء الناس هم الذين شقوا قناة بير خريس تسميت في أثناء العوصف المطيرة التي هبت في تشرين الأول عام 1913 بميضات

مدمرة حُدِّقَ إليها عانيتو، بن السنوات الخمس، وهو هسمر في مكانه من فوق شرفة بيت جده⁽²³⁾.

كان أنصويو د كوتني هاما، الإيطالي، قد وصل المطفة عقب الحرب العالمية الأولى، وأحضر معه الأفلام الصامتة وعرضها في دار عرض أرسنبا السيمائية لثاعة له، كما أحضر أيضاً العرافون والمدايع وحقن الدراجات الهوائية التي كان يؤجرها للسكان المدهلين لمرآها. لقد عاش أنصويو د كوتني بالساوب مع شقيقين اثنتين، لم ننجب أو لاهما له إلا الأبناء ولم تحب الأخرى سوى البنات⁽²⁴⁾. ولا يزال يعيش في أراكاتاكا العديد من آل د كوتني حتى هذا اليوم.

كانت بعض ذكريات عانيتو العالقة في ذهنه أكثر من سواها هي تلك التي تخص الرجل الفرنسي، لكنه بلجيكي حقاً يعرف باسم دون إميليو، حط رحاله بدوره عقب الحرب العالمية الأولى معتمداً على عكايرين، وكان مصاباً بظنن ناري لا يزال أثره واضحاً على سافه. كان دون إميليو جوهرياً موهوباً وصانع حرائق، وبدأ يلعب التنس بروج والورق مع لعقيد د ب مساء إلى أن حل يوم توجه به لمشاهدة اشتريط السيمائي، "كل شيء هادئ عني الجبهة الغربية"، وبعد عودته إلى بيته انخر باستعمال مادة السبايد⁽²⁵⁾. مرتب العقيد الحمار وانتهت كنه بمعاصفة الأوراق (حيث يمتد الطب المتناثر جرئياً مع الصبلي المرويلي المتير للاكتتاب ألفريسو بربوسا) وباحب في زمن الكوليرا (حيث يمتد إرمبا دي سانت أمور). ويستذكر عاريا ماركير، "أسع جدي بأ مناره يوم أحد من شهر اب حيسا كما نخرج من حضور قداس الساعة الثامنة. وجدني إلى بيت البلجيكي حيث كان العمدة وشرطبان يتطرون. وكان أول شيء أثار انتباهي في الحجرة المهملة غير المربعة هي لرائحة العادة بلوز المر المسعث من السبايد الذي تشفه كي يقتل نفسه. كانت الحقة فوق سرير يُطوى معطاة ببطابه، وإلى جانب السرير كرسي حشسي وضعت فوقه صبة كان قد تبخر عنها المُم، وقصاصة ورق حُطَّت عليها بعناية رسالة جاء فيها: "لا أحد يتحمل اللوم. فقد نتحرت لأبني غير نافع". بي أندكر الواقعة وكأها حدثت بالأمس عندما دفع جدي البطانة. كان الجسد عارياً، محشياً وملوياً، شرته شاحبة، وثمة صمادة صفراء اللون أما عيناها العائمتان فكانت

تظن ان إلى كانه لا يرال على قيد الحياة. عندما شاهدت جدي الملامح التي كانت مرتسمة على وجهي إثر عودتي إلى البيت توقعت قائلة: "لن يتمكن هذا الطفل المسكين من أن يدم نوماً هائلاً طوال حياته"⁽²⁶⁾.

ليس ثمه سبب يدفع للاعتقاد أن جثة دون إميليو سكنت خيال الصبي الحساس في أثناء طفولته، والتحمت مع جثث أخرى شاهدها أو تخيلها لا أكثر. صحيح أنها حاضرة في أول قصة مشورة له عندما كب عن تأملات في حاله وهو جثة فوية (أو ربما جثة سابقة). وحتى بعد صدور عاصفة الأوراق التي يُشكل فيها موضوع المدفن المثير للخلاف جوهر العنصر الدرامي في الرواية، تظهر مرات ومرات من تحت سطح وعيه المصدوم. ربما كان ذلك الحجاب الذي يستر جثة العقيد نفسه التي لن يراها عابيتو.

كان العقيد يصطحب أحياناً غابيتو في جولة أحيرة قبيل موعد بومه "كانت جدي تحقق معي كثيراً عندما أعود إلى البيت إثر السير مع جدي مساءً كانت نسائي عرس لمكان الذي ذهبنا إليه وعن العمل الذي قضا به. أتذكر أنني مررت بأحد المنازل مع أناس آخرين وشاهدت جدي يجلس في الردهة. شاهدته عن بعد مسافة جالماً وكأنه في منزله. ولسبب ما، لم أذكر لجدي شيئاً عن الأمر. لكنني أعلم الآن أن المنزل كان منزل إحدى عشيقاته وهي امرأة كانت تريد رؤيته عندما توفي غير أن جدي حالت دون دخولها البيت قائلة إن الحث محصنة للزوجات الشرعيات وحسب"⁽²⁷⁾. المؤكد تقريباً أن المرأة التي لم تسمح لها بالدخول لرؤية جثة نيكولاس هي يواويل رويث التي يلو أنها انتقلت إلى أراكاتاكا في عشرينيات القرن العشرين"⁽²⁸⁾. وكانت ثمة فتاة في صفه في المدرسة قالت له تراكيبييا إن عليه أن يقطع صلته بها: "لا ينبغي لكما الزواج أبداً" غير أن الصبي لم يفهم هذا التحذير حتى وقت متأخر من حياته"⁽²⁹⁾.

في حين كان غابيتو والعقيد بحضبان سراً على الأقدام ويسلمان على رفاق العفد ومعارفه، كانت النساء في الست منهمكات في ترتب الصفاة التي ينص بعضها وصول لوجهاء ورفاق العقيد منذ أيام الحرب أو رفاق حربه اللبرلي. كان الشيء الكثير يتعلق بكيفية التعامل مع غمار أعماله السيئة الماضية، في حين كان

القادمون يمدون على البعال، ثم يترجلون عنها ويربطوها خارج البيت في الجهة الخلفية، ويأمنون فوق أرجوحات في المسحة⁽³¹⁾. عموماً الكثير من الضيوف كانوا يأتون بالقصار: "كان الفطار يصل عند الساعة الحادية عشرة من صباح كل يوم، وكانت جدتي تقول دائماً: يجب أن يعد السمك واللحم لأنك لن تعرف إن كان القادمون يفصلون اللحم أم السمك، وهكذا كنا منحمسين دائماً لمشاهدة هؤلاء الراعدين"⁽³²⁾.

لكن مع نداسة عقد الثلاثينيات من القرن العشرين بدأ كل شيء يتغير، فإصرار عمال مزرع المور والمدعة والكساد العظيم في العام 1929 كلها قوت موارد الأمور، وانحصرت تلك الفترة القصيرة من الازدهار التي شهدتها أراكاتاكا لتتحل محلها بدايات الازهار. وبالرغم من المدعة والامتصاص الذي شعر به الجميع إزاء العظيمة العامة لشركة المور، فإن وجود الشركة في أراكاتاكا ظل الس يتذكرونه بعين طوال نصف قرن. وكانت هناك أحداث كثيرة يتدولها الناس عن احتمالات عودتها مُعيدة معها الأيام الخوالي الطيبة التي كان سهل فيها الحصول على المال وعلى الحماسة الدائمة⁽³³⁾. وانحصر دخل نيكولاس من المشروبات وغيرها من المصادر انخفاضاً كارثياً، ولم يمض وقت طويل حتى تحول مصدر الدخل إلى فطرات ضئيلة بعد أن كان قرماً سيالاً. أما محصوص أسرة ماركيز إغواران، فإن الإحساس السدائم أن أفضل أيام أراكاتاكا هي الأيام الماضية. وبدأ العوز والعافة يلوحان على وجهي نيكولاس وتراكيما، اللذين لم يكن لهما أي مرتب تقاعدي، وهما يدخلان مرحلة الشيخوخة القنقة والمحبة.

* * *

في مطلع العام 1924، عادت لويسا إلى أراكاتاكا لرؤية ابها البكر واستنها ولتحدث إلى والديها. لم يكن لقاءهما مهما لقاءً سهلاً في كل الأحوال. إذ لم يعرف لها والداها قط عصياتهما إياهما وتلطّيح سمعتهما وإحصار صهر غير مقبول إلى الأسرة. وفي العام 1933 أصبح الأمور لا تبعت على أي أمل في بارانكي، ولعنها أقعت غابريل إليجير بالسماح لها بالتفاوض من أجل الرجوع إلى أراكاتاكا. فوصلت في وقت متأخر من صباح أحد الأيام مستغلة الفطار القادم من نياما.

كانت مدرّعات حرّة بسبب أمها المجهولة، وحافت أن تأخذها بعيناً⁽³³⁾ فاحسّأت حين ملابس جدّها. أما عايتو الذي سمع السادسة من عمره، وشعر بالحرج عندما رأى خمس أو سب ساء في الحجرة ولم تكن لديه فكرة عمّن تكون أمه إلى أن أشارت إليه أن يتقدم نحوها⁽³⁴⁾.

في الوقت الذي تعرف فيه عايتو إلى لويسا، كان قد بدأ تعليمه في المدرسة الجديدة التي سميت باسم ماريا موتيسوري وتستند إلى مبادئها - على مقربة من محطة سكة الحديد في شارع كامبيون 20 محور. لم يكن نظام موتيسوري، المحدد أصلاً بنشاطات أطفال الروضة، مؤدياً إلا قليلاً ما دهم اتّبع المكاتوليكي الجديد بدءاً من مستوى الابتدائي. وتؤكد المادّات على قدرات الطفل الإبداعية ولعبة القطرية في النمو والتّعبير وعلى التّفرد. كانت تعلّم الأطفال أسادة وتوجيه الدين من خلال وسط يخصّ مشاعر الطفل نفسه. ويقول عدرسا ماركر في وقت لاحق إن الأمر كان "يشبه اللعب على حيوية الفرد"⁽³⁵⁾.

كما حدث، كانت معلّمة عايتو الأولى روسا إليا فيرغسون هي عشيقته والده الأولى في أراكاتاكا (أو هكذا زعم غابرييل إليخيو) ولعلّ عايتو لم يعرف بهذا الأمر أيضاً ويقال إن روسا إليا المولودة في ريوهاتشا كانت سليلّة أول فصل بريصاني في المدينة. وإها تنصّ بصلّة قريب بالعقيد إليه فيرغسون أحد موظفي بوليفار. وكانت قد تلقّت تعليمها في كتيبة التّعليم في سانتا ماريا ولحقّت بأسرتها إلى أراكاتاكا حيث اشتعل والدها وجرّها في شركة المأكلة المتحدّة وأصبح أحد أقربائها عمدة⁽³⁶⁾، هناك افتتحت مدرسة موتيسوري في العام 1933 واضطرّ عايتو إلى إعادة الدراسة في السنة الأولى لأن المدرسة أغلقت لأسباب عمليّاتية في منتصف السنة، لذلك لم يتعلّم القراءة والكتابة حتّى سمع التّام من عمره في العام 1935.

توّجت روسا إليا، وهي العتاة الرشيقة والرفيعة والحسيلة، مرتين ملكة جمال المهرجان في أراكاتاكا. كانت متيمة بالشعر الإسباني في العصر النّهبي وهو الشعر الذي أصبح فيه نمطها المكرّ الصّبح شعوراً به طوّار حياته⁽³⁷⁾. وكانت حبه الصّغوليّ الأول - وكان يشعر بالسّوء والحرج في أن واحد عندما يكون قريباً

منها جسدياً وشجعتة على حب اللغة والشعر. بعد ستين سنة تستذكر روسا إيلسا بكل حيوية تلميذها السابق المشهور: "كان غايبو أشبه بدمية، شعره بون السكر السي المحروق، بشرته ناحة وورديه في آن واحد، وهو بون عربي في اراكاتاكا، وكان بطبعاً ومرتباً دائماً"⁽³⁸⁾. أما عارسي مدر كير فقال من جهة إن الآسة فيرعسون 'ررعت في متع الذهاب إلى المدرسه رؤيتها وحسب"⁽³⁹⁾. وعندما كانت تطوقه مدرستها لتمسك بيده وتساعدته على الكتابة كانت تنأه أحاسيس مضحكة "لا سليل إلى تفسيرها"⁽⁴⁰⁾. وتذكر الآسة فيرعسون: "كان هادئاً، ندر الكلام، حجواً جداً جداً. وكان رملأؤه في الصف يحرموه لاسكابه عني للدرس وانافه ودكائه، لكنه لم يعشق الرياضة قط. واهجر كثيراً كونه أول من يهد التعليمات"⁽⁴¹⁾. هذا وقد علّمت عابتر عاتن مهنين: الدقة في المواعيد، وتقليم أوراق مكتوبة بلا أي خطأ، وهما هاجسان لارماه طوان حياته.

لم يصهر عابتر سافاً قدراً كبيراً من الشاط في القراءة و الكتابة وأخفق في التعلم في الست⁽⁴²⁾ لكن قل أن يبدأ تعلم القراءة والكتابة نرمن طويل، علم بعسه الرسم وظل هذا الشاط أثيراً إلى بعسه حتى بلغ الثالثة عشرة من عمره. وعلمه كان لا يزال طفلاً صغيراً جداً، سمح له الرجل العجور بالرسم على جدران اسرل والأهم من هذا كله، أنه أحب رسم المصوّرات الهربلة - والفصص القصيرة - نقلاً عن صحف جده⁽⁴³⁾. كما أنه أعاد سرد موضوعات الأشرطة السيمائية التي كان اعقيد بصطحيه لمشاهدتها "كان بصطحيي لمشاهدة كل أنواع لأشرطة السيمائية، وأتذكر على وجه الخصوص دراكولا. وفي اليوم التالي يصب مي أن أروي له قصة الشرط ليتأكد إن كب مسهاً أم لا. لهذا، فاني م أرسح الأشرطة في ذهني وحسب، بل اهتمت أيضاً بمعرفه الطريقه التي أرويهما لها لأنني كب أعلم انه سيصصري إلى أن أحكيها له حدثاً حدثاً ليتأكد من فهمي"⁽⁴⁴⁾. وهكذا أحدث النشوه الطفل الصغير وهو يشاهد الأشرطة لسيمائية، وكان أحد أفراد الحبل الأول في التاريخ الذي كانت السماء، بما فيها الأشرطة السيمائية الطاقه، تمثل له تجربه سنن الأدب المكتوب. ثم علمه لعقيد بعد ذلك احترام الكلمات والمعجم لدي كان عرم كل شيء وكان أكثر عصمة عن الخطأ من

الباب في روما⁽⁴⁵⁾ ولا بد من أن الشعور الدائم بالاستكشاف والتقصي الذي عرّره نظام مدرسة مونتيسوري كان مكتملاً تماماً بشعور بيكولاس الأشد تقليدية باليقين والمرتكر في السلطة والقوة الشخصية

لكن حدث لأن تحول عم متوقع في حياة غابيتو ومارغريتا، إذ لم يكن غابرييل إليخيو، بلع الحيوية دائماً والمسرح أبداً والمفتقر إلى الموهبة في الشؤون المالية، قادراً على السوء من العصر في مدينة حيوية مثل نارانكيا وهي تعم بأول موجة من الازدهار عند انتقل للعيش فيها. لهذا، فمن المرجح أكثر أن تسير الأمور نحو الحضيض عندما يؤثر الكساد في كولومبيا. لقد أفلح في الحصول على رخصة صيدي، وترك عمله في مخزن الأدوات المعدنية ليؤسس له متجر ولبس محجراً واحداً سبيع الأدوية في وسط المدينة أسماها بامتور الأول وبامتور الثاني⁽⁴⁶⁾. لكن هذا المشروع أخفق، فعادت الأسرة إلى أراكاناكا مشتتة. فقد وصلت بوبس أول الأمر برفقة لويس إيريكي وغايدة روسا وسكوا في بيت العقيد. وبالرغم من أن ثلاث سنوات كانت قد مرّت على لويسا كاستراخه بن حبها الأخير حيث كانت قد أنجبت أربعة أطفال في أقل من أربعة أعوام وبس حملها بعابدة روسا في كانون الأول سنة 1930، فإنها الآن حامل مرة أخرى وكان غابرييل إليخيو، الذي كان مشغلاً دوماً بأعمال أخرى، بعيداً عن لينده لأشهر طويلة حتى عاد آخر الأمر لحضور ذكرى ميلاده في الأول من كانون الأول سنة 1934، بعد ولادة الطفلة الثالثة ليحيا في شهر آب⁽⁴⁷⁾.

شكل وصوله واحداً من التواريخ القليلة لتلك السنوات المكرة التي يمكن تحديدها تحديداً صحيحاً لأن غارسيا ماركيز يتذكر جيداً وصول رجل غريب: "رجل رشيق واسمر اللون ومهزّز ويعت على السرور بدلة بيضاء وقبعة من نقش تدور كل بوصة فيه على أنه كاريبي من ثلاثينيات القرن العشرين"⁽⁴⁸⁾. كان ذلك الغريب والله، ويرجع السبب في قدرة غارسيا ماركيز على تحديد التاريخ تحديداً ناماً إلى أن شخصاً ما تمى لغابرييل إليخيو ذكرى ميلاد سعيدة، وسأله عن عمره فأجابته غابرييل إليخيو المولود في الأول من كانون الأول 1901 "عمرى بعمر المسيح". وبعد مرور بضعة أيام كانت أول رحلة للصبي مع أبيه الجديد لشراء

هذابا ليلاد من سوق لجميع الأطفال ربما احتار غاييتو أن يشعر أنه يتمتع باعتير لهذه التجربة، إلا أن الشيء الذي يندكره على نحو جيد عوضاً عن ذلك هو إحساسه بالحياة لإدراكه أن من يأتي بالهذابا في ايلاد ليس سائنا وإنما الوالدان⁽⁴⁵⁾. هذا وسيخسب لأب طرأه مراراً في السنوات والعقود التالية، وس تكون علاقتهما علاقة سببه ولا حتى وثيقة

افتتح غابريل إليخيو صيدليته الحديثة بالاسم 'ع. خ' (غابرييل غارسيا) في مطلع العام 1939، وأهلح في إقاع السلطات انطية بمحه رخصة محددة لممارسة الطب التجاسي الذي كان يسمح له بتشخيص المرضى ومعالجتهم ووصف علاجاته المشعورة ويبيعها بوصفها العلاج الشافي الوحيد للألام التي يشحصها وكان يستقب في المحلات والجرائد الطبية، وخرى تحاربه التي يقشعر ه البد. وسرعان ما ابتكر ما أسماه المريخ الطمئي تعب عوان "ع. خ." وهي مكتة مبتدة جديدة موسيه أركاديو بوندرا في مئة عام من العزلة ذلك الحالم العاجر الذي يعمل، عني نحو لا يصل الخطأ، العديد من آثار جد غارسيا ماركيز المصيرة وغير العملية التي بالرغم من ذلك لا يمكن كبحه. لم يكن سوى بقاء فلق معروف بالمخاطر، وكانت الإعانات المتواصلة من العقيد ماركيز، الذي ازداد عوره، مهية ولكنها صرورية. وقبل رجوع غابريل إليخيو، كانت لويسا قد انتقلت إلى هذا المكاد لتقيم بصورة مؤقتة مع أبويها في ظل عياب زوجها صعب المرس وغريب الأطوار⁽⁵⁰⁾. وتذكرت روسا إليسا فيرغسون أن ييكولاس بدأ يوسع اليد كي يكفي القادمين لجدد؛ ربما مؤملاً ألا يرجع صهره غير المرعوب فيه⁽⁶¹⁾. لكن بعد عودة غابريل إليخيو، استأحر وروحه مرراً يفصله عن منزل العقيد شارعان وفي ذلك المزل ولد افضل السادس عوستافو في السابع والعشرين من شهر أيلول سنة 1935.

في بيت الوالدين الشابين الكادحين شأ لويس إيريكي وعابدة روسا شاة الأطفال انطيعيين المرفوري الصحة الذين لا يصاعون إلى نظم، وكذا حيويين حابين من العفد. أما غاييتو ومارعوب فشأ في ظل أناس كار السن، واكتسا وجهات نظر مختلفة، خرافية، قدرية، معرفة ومتسلطة عني العقل والتفكير ولكنها

فعالة أيضاً. وسلك الاثنان سلوكاً حساساً وإن كانا وجليين، هيايين، بمضيان وقتهم في البيت أكثر من بمضيانه في الشارع محلاف لويس وعائده اللذين كانا بمضيان أكثر الوقت في فناء البيت والشارع⁽⁵²⁾. ولا بد من أن عابيتو ومارغريتا شعرا على الفور أن والديهما نكحاهما على نحو يتعدى تفسيره - لِمَ أنا؟ لِمَ نحن؟ لكنهما كانا مماران برعاية داخل بيت الجددين المحبوبين والمحترمين كثير. إن هذين العريوس، مارغريت وعابيتو، هما اللذان سيتمكنان من تدبير أمور أسرهما عارسياً وماركيز من دون اللجوء إلى الاستدانة.

كان التكيف مع الوضع الجديد بلعب الصعوبة⁽⁵³⁾. وتذكر عائدة أن عابيتو كان غوراً جلاً من مودة جدّيه وكان يراقب كل شيء وكل فرد عندما تزوره درجته في البيت محاولاً الاطمئنان إلى أنهم سيمكثون أقل مدة ممكنة. ما من أحد سيجول فيه ويرى حده. ويتذكره أنطونيو باربوسا، ابن الصدلي الذي يقض في الجهة المقابلة، ويكبر عابيتو بعشر سنوات، ولكنه صديق الأسرة الطيب، عندما كان صبياً وجلاً بلعب مع المتعوقين بالطائرات الورقية، ولكنه لم يعب قط لعبة كرة القدم مع أطفال الشارع⁽⁵⁴⁾.

عندما لم يبقَ عابيتو التشجيع ليصبح معامراً الممك في دينا الخيال؛ من خلال الرسم والقرعة والذهاب إلى دور السينما وصلاته بالكبار. ويبدو أنه أصبح مختلاً من غط ما، يحاول دائماً أن يثير إعجاب الزوار بأفكاره الحياتية وحكاياته اسلبية، تلك الحكايات التي من شأنها أن تغدو حكايات طويلة كي تحقق الأثر المقصود. وكانت ترانكيليا مقتنعة كل لاقتناع أنه مشعور. وقد فسّر بعض الدافين شغفه بمسرد الحكايات وانساناريا على أنه ميل إلى الخداع وعدم الأمانة. ولهذا السبب ظلت تلامر عارب ماركيز طوال حياته مشكلة استفسار الناس الآخرين عن صحة أقواله⁽⁵⁵⁾. وربما ما من أديب معاصر تطرح مؤلفاته مثل هذا الطرح القوي والعامض العلاقة بين الخفيف والخيال، والاحتمال واليقين، التي اتصفت بها أعماله.

ظل الطفال الأكبر سناً ملكاً لجديهما، وهو ما توضحه حكاية بليغة من مارغريت: "لم يسمح الجد لأي شخص أن يطلب منا الخروج. وأندكر أننا في يوم من الأيام، وكنا أكبر سنّاً، أنه سمح لنا بالذهاب إلى منزل أمنا وحدنا. وعندما

انطلقا عند الساعة العاشرة تقريباً من صباح ذلك اليوم، كانت جدتي تقطع الجبل مطبعا منها قطعة. ووصلنا البيت ولا حظاً أن لويس إنريكي وعائدة ممتنعين عن الطعام لأهما تناولوا دواءً مضاداً للطعليات ولا يمكنهما تناول أي طعام لبضع ساعات. من الطبيعي أنهما كانا يتضوران جوعاً، وعندما شاهدنا قطعة الجبل طلع قليلاً منها. ولما اكتشف والدي الأمر ثارت ثائره وبدت يشتما، وقل غايينو: *أمرسي يا مارغوت مسيضرنا، تم أمسك بيدي، وأطلقنا سيقاننا للريح. وصلد المرل فرعون وكنت أنا أبكي.* ولما أحبرنا جدتي بما حدث ذهب ليسأل أبي عن سبب صراحه في وجهينا، ولماذا هلدنا⁽⁵⁶⁾

في العام 1935، بدأ العالم القديم يصل إلى نهاية مطافه حقاً. ففي يوم ما، وكانت الساعة السادسة صباحاً، تسق بيكولاس، وكان قد تجاوز السبعين من عمره، سماً على أحد جوانب البيت بعيد بيعاء الأسرة الذي انحسر بين الأكيس الموصوعه فوق حرائات الماء الكيرة التي وصعت كي تحول دون سقوط أوراق شجر المانجا داخل الحرائات. لكنه أخطأ في وضع قدمه، فركت وسقط على الأرض بكاد لا يُسمع له نفس. وتذكر مارغوت أن الجميع بدأوا يصرحون قائلين: *لقد سقط!*⁽⁵⁷⁾ ومنذ تلك اللحظة بدأت صحة الرجل العجور الجسدية تتراجع بالرغم من أنه كان حتى ذلك الوقت موفور الصحة والعافية إلى درجة معقولة. وهناك شاهد عابيتو، وهو تجسس عد زيارة الطب، أثر رصاصه في منطقة ما بين الفخذين، دليلاً لا ميل إلى نكرانه على أنه كان محارباً. لكن المحارب القديم لم يعد كما كان منذ تلك السقطة، إذ بدأ يسير متكئاً على عصا، وبدأ يعاني سلسلة من الأمراض التي ستؤدي في نهاية المطاف إلى وفاته. وبعد تلك الحادثة، توفعت حالات المشي في أرجاء البلدة فجأة، وبدأ سحر تلك العلاقة التي تربط الصبي بجده - المستدة قبل كل شيء إلى الشعور بالأمان - يفقد بريقه. ووصل الأمر بالعقيد إلى أن يطلب من غابرييل إينجيو ولويسا حباية الضرائب وغيرها من المبالغ واجبة الدفع بالإتااة عنه، فكان ذلك ضربة مؤلمة لكبريائه.

في مطلع العام 1936 انتفى عابيتو إلى المدرسة الرسمية في آراكاتاكا⁽⁵⁸⁾، وكان قد باب فحاة قارئاً لهما. يذكر أن جده والآسة هيرسون فتحا عييه على المعرفة،

وبدأ المعجم يرسم القانون له، إلا أن أكثر كتاب حفز حياله كان كتاب ألف لينة وليلة الذي عثر عليه في أحد صناديق جدّه القديمة. ويبدو أن ذلك الكتاب وضع تفسيره لأشياء كثيرة مرّها في آراكاتاكا في تلك الأيام التي كانت مزيجاً من سوف فارسية وعرب قنر. ولم يعرف عنوان الكتاب لمدة طويلة لأن علامه كان مفقوداً، ولم اكتشف العنوان، لا بد من أنه وجد الصلة بين كتاب ألف لينة وليلة لصريف والميثولوجي وحرب الألف يوم ذات المسحة المحلية والتاريخية الكبرى⁽⁵⁴⁾.

وبعد أن أصحى العقيد مريضاً فعلاً، شعر غابرييل إلبخيو أنه فاقدر على أن يرسخ حقوقه لطفليه. وهكذا، ما إن تعلّم عاستو القراءة والكتابة، بما تصويان عليه من أعاجيب، حتى قرر والده المعاصر الذي لا يعرف الراحة أن يقتل بالأسرة بعيداً صوب سيثي، البلدة التي ولد فيها. وسيتنل في هذه المرة أيضاً غابيتو، (يبتعد عن بينه مع جدّه وأخته مارغوت حيث سيصطحبهما هدد الرجل الذي نادراً ما عرفاه والذي قرر أن سحبه ابنه الوحيدة هي أنه وُلد كدباً، وُلد "ليذهب إلى مكان ما ويشاهد شيئاً ما ليعود بعد ذلك إلى البيت فيحككي قصه مختلفة تماماً. لقد بالغ في قول كل شيء"⁽⁶⁰⁾. وفي شهر كانون الأول من العام 1936، أخذ هدد الأب المثير للهلح غابيتو ولويس إيريكي في رحله استكشافية إلى سيثي ليري إن كانت الآفاق فيها أرحب من واقع آراكاتاكا الموغل في الكتابة⁽⁶¹⁾.

أعدّ غابرييل إلبخيو الولدين للدراسة عند أحد معلمي البلدة بالرغم من أن السلطات لا تعترف بذلك التعليم، وبدلت صاعته منه أخرى من عديتو. ويس هناك ما يعث على الدهشة إذ قرر في نهاية الأمر أن يغير عمره ليكون أصغر سنّاً كي يعوض عن كل سنوات المدرسة التي ضاعت منه! وبدأ الصبيان الآن يتعرفان بعرفاً أعمق إلى جلتهم لأبيهما أرجيميرا غارسيا باتريسا الماصة بالحوية والتي لا تزال غير متروجة بالرغم من أنها كانت في العقد الرابع من عمرها. وكانت قد أنجبت غابرييل إلبخيو وهي في الرابعة عشرة من عمرها. ومنذ تلك الولادة أنحست على الأقل ستة أطفال من ثلاثة رجال آخرين يقول غارسيا ماركيز بعد ستين سنة من ذلك "أدرك الآن أنه كانت امرأة مدهلة، وكانت من أكثر الناس الذين عرفتهم تمهراً. وكان لديها سرير إضافي على أهوة الاستعداد دوماً لكل من يريد معاشرته من يرغب. كان

لديها قانونها الأخلاقي الخاص بها، ولم تكن تعير أي اهتمام لكل من يرى غير ما تراه. كما نزل أن الأمر طسعي أمأك. لقد كان بعض أولادها، أي أعمامي، أصغر سنًا مني، وكنت ألعب وإياهم، إذ كما عرج لاصطياد العصافير وما أشبه. لم أفكر التفة تمكبيراً ملباً في ذلك انعام الاجتماعي الذي عشنا فيه. ومن الطسعي أن يعوي ملاك الأراضي فنيات في الثالثة عشرة من أعمارهن أو يقتصوهن في تلك الأيام ثم يتبوهن. لقد رجع أسي لرؤيتها رجلاً بالغاً برفقة أسرته، وكانت في العقد الرابع من عمرها، ونارت ثالثته عندما وحلها حاملاً مرة أخرى. لكنها لم تفعل شيئاً سوى أن ضحككت وقالت: "ما يعني ذلك لك؟ كيف تظن أنك أتيت إلى هذا العالم؟"⁽⁶²⁾

ذكريات عايتو عن بقائه هناك محتزاة، بل مولة بلا ريب، بالرعم من مكانته في سنوات عمره اللاحقة. إذ ليس من الصعب أن تتخيل عدايه وهو يترك جده مريضاً والصدمة الحضارية التي صدمها عندما التقى أفراداً من أسرته لا يحطون إلا باحترام قليل. كانت سينشي، شأنها شأن أراكاتاكا، مدينة صغيرة مترابطة ذات ميدان مركزي أكثر رحابة، وكيسة مألوفة، وتمثال بوليمار المألوف أيضاً، وعدد من السكان لا يحاور ربما أئسة آلاف سمة. وكان اقتصادها يعتمد أساساً على المناشية والأرر والسفرة، وكان الخط السياسي السائد فيها هو أساساً خط حزب المحافظين شأنها في ذلك شأن معظم المناطق التي تكثر فيها المناشية. عاشت الجدة أرحمبيرا، المعروفة بالكئنة منما حجمي، في مساحة صغيرة من الأرض على مسافة بعيدة عن الميدان العام، في منزل خشبي صغير يحتوي على حجرتين، دُهي بدون أبيض وجُعل سقفه من الحيل. وكان جل أولادها في ذلك المنزل⁽⁶³⁾. لا بد من أن تلك التجربة كشفت لعائيتو عن عام مختلف. ولم بعد بعد الآن طفل العقيد ماركيز الذي كان يوفر له الحماية، ولا بد من أنه اضطر إلى أن يكيف نفسه مع أساليب أعمامه غير الشرعيين وأولادهم فضلاً عن أخيه لويس إريكي الأصغر سنًا منه، المتمرد والطاش على نحو متزايد.

في غضون ذلك أصبح الحياة أصعب فأصعب في اليب الكائن في أراكاتاكا. وازدادت الأمور سوءاً في مطلع شهر آذار من العام 1937 عندما توفي العقيد ماركيز، بعد سنتين من الحادثة التي ألت به، في بلدة سانانا مارتا إثر إصابته

عرض ذات الرئة ولم يكن قد شفى من آثار سقطته عن السلم في العام 1935، وكان الرجل المحجوز قد تعظم عاطفياً بسبب وفاه أخته وينمريدا في سرله في الحادي والعشرين من كانون الثاني سنة 1937 ولا يمكن إلا أن نتخيل ما أحدثه رحيل مابوليوني الصغير المحبوب في مصوبات المهندي المعلم. وبذكر أن لاس نتوان دي ديوس نقل والده العقيد إلى ساسا مارتا في مطلع العام 1937 لإجراء عملية جراحية له في الحنجرة، وفي شهر آذار أصيب بمعرض ذات الرئة وتوفي في الرابع من ذلك الشهر وقد بلغ الثالثة والسبعين من عمره في المدة التي كان قد نوي عهد محارب آخر هو سيمون بوليمار ودهي في كاتدرائيتها.

دُفن العقيد ماركيز في اليوم نفسه في مقبرة مدسة ساننا مارتا، وشرت جريدة إل إيستادو خبر وفاته في معي مقتضب. وتذكر مارعوت جيلاً الجارة في سات مارتا: "بكت ثم سكبت طوال النهار، لكن عابيتو كان برفقة أبي ولويس إيريكي حيث ذهبوا إلى معامرة أخرى في بلدة سيثي. ولم يرجع عابيتو حيث أمضى هناك شهراً، هذا لا أتذكر رد فعله، وهو رد فعل لا بد من أن يكون معمماً بالأسى العميق لأحدهما كانا يحبان أحدهما الآخر، كانا لا يهترقان" (٦٤).

علم عابيتو وهو في سيثي خبر الوفاة بصورة غير مباشرة وهو يسترق السمع إلى محادثة بين أبيه وجدته. ويقول بعد سنوات طويلة إنه لم يستطع البكاء لدى سماعه الخبر، ولم يدرك أهمية الرجل المحجوز له إلا بعد أن بلغ من الرشد. كما أنه قلل من أهمية المحضة. "كانت لدي مشاعر أخرى. أتذكر أبي كنت أعاني يومذاك من القمل الذي كان يثير حفيظتي جداً. كانوا يقولون إن القمل لا يرسل عن امرء إلا بعد وفاته. أتذكر أن قلقاً شديداً عصفت بي: "لو أنني مت الآن، فسيعرف الجميع بوجود القمل! لهذا، فإني لم أنأثر كثيراً في ذلك الوقت لراحة جسدي. لقد كان قلبي اعظم سببه القمل. لكنني لم أبدأ بافئاد جدي إلا في مرة لاحقة عندما أصبحت متي بالاً ولم أتمكن من العثور على من يحل محله لأن أبي لم يكن فظ ساسياً لعوض عنه" (٦٥).

تحفي هذه الذكريات المواربة والمعالجة الاستفرارية وهنا الإبلاغ غير مباشر عن العواطف الشخصية والكران المنظر حقيقة أكثر بساطة وأشد قسوة؛ فالصبي

لم يستصع قط أن يخرز من أجل المحروق الذي أحبه أكثر من أي شخص آخر في أثناء طفولته المؤلمة والتي كانت متعمدة على انهم غالباً؛ المحروق الذي كان معيّن للحكمة كلها وأساساً لكن الأمان. لقد 'مسي غاييتو الصغير الآن مصحوحاً بفقدان جده وهو محاصر بأفراد من أسرته الصغيرة، أسرته الحقيقية، الأسره التي هجرته وهو طفل صغير. وفي شهر نيسان من العام 1971 ردّ عارسيا ماركير على سؤال وجهه إليه صحفي عن وفاه جده أمام أبيه، فقال بمغفلة مميّه ولكها فاسية في هذا الشأن: "كنت في الثامنة عندما توفي، ولم يحدث بي أي شيء له أهمية تذكر منذ ذلك اليوم. كان كثر شيء عديم النكهة"⁽⁶⁶⁾.

اصطحب عابريين إليحيو الصبين وعاد بهما إلى أراكاتاكا لمصيفة بعض الوقت لإقاع لويسا بالانضمام إليهم في سيثي. غير أن لويسا لم تكن منحمرسه بلرحله قط. وفي العام 1993 قالت لي: "لم أرفع في الذهاب. محيل لا أكثر، أسرة صغيرة وكل حاجياتنا: من قطار إلى ثبعا، ومركب إلى كارثاحيا، إلى طريق بري نحو سيثي. لكنني كنت دائماً أفعد ما يريد، وكان رحالة ومغامراً عظيماً. أستأجرنا شاحنتين، استقل لويس إريكوي وغاييتو الشاحنة الأولى، واستقل والدهما الشاحنة الثانية خلفهما فانقلبت حالماً انطلقت"⁽⁶⁷⁾. ولم يبق أحد في البيت القديم في أراكاتاكا مع تراكيبيا والعمة فراسيسكا سوى قريتهما سارا ماركيز التي تزوجت مؤخراً

كان رد فعل مارغوت إزاء كل هذه المنعرجات في مصائر الأسرة مريراً: "عشا في منزل جدي إلى أن بدأت الفجود تشع واضطرت إلى العيش على ما كان يرسله إليها العم حوايتو، وعدت تقرر أن أنتقل أنا وغاييتو إلى بيت أبي في سيثي... كان ذلك قصيماً: أن تنتقل من مكان هادئ كي تعيش مع هؤلاء، إخواني وأخواني، إضافة إلى شخصية أينا الذي كان فظ الطباع صاحباً. لم يكن يصرف أي شيء من دمه. وكان يضرب عابدة ضرباً مبرحاً بكها لم تكن تقسم، أما أنا فقد فكرت في أنه إذا لمسي، فسألني نفسي في الهر. ولم أكن أنا أو غاييتو نقوى على مواجهته، فكانا نعمل ما بطله منا"⁽⁶⁸⁾.

غير أن الأحوال ساءت في سيثي. فقد استثمر عابريين إليحيو ماله في المواشي، وبخاصة في قطع من الماعز، غير أن المشروع فشل فشلاً كارثياً، وعادت

الأسرة إلى أراكاتاكا في غضون بضعة أشهر ولم يرافق غابرييل إليخيو روحته وأطفله صوال الرحلة، بل توقف في بارانكيا، وهناك بدأ يحاول إبعاد وسيلة ما لفتح صيدلية أخرى وفي أراكاتاكا، أحرق بقية أفراد الأسرة ملابس العقيد في باحة المسر وتراءى الرجل المحجور حياً لعائيتو على نحو ما وسط اللهب. بحلول عايتو الانسجام والكيف مع حال فقدانه حذّه وتدهور صحة حدته التي بدأت تفقد نبرها، وأصبح من المتصور مواساتها برجل زوجها بعد ما يريد عن تخسب عاماً من الحياة معاً، وكذلك الإهيار الذي حلّ بالعمة فرانسيسكا المهية والتي عاشت مع سكولاس أطول مما عاشت معه روحته. أما عايتو، فقد مثل كل ذلك نهاية العالم بالسة إليه. وفي عمرة عرقه في هذا الحزن الذي لم يكن يقوى حتى على فهمه، ووجوده الآن بين يدي الأسرة التي أهملته من قس لسوات طولته، بات متردداً في الاندماج في حياة الأولاد الآخرين في أراكاتاكا.

أما لويس إيريكي، الأقل تأملاً والذي ليس له ما يحمله من متاعب أخيه الصباية، فقد رمى نفسه في أحضان حياة مسقط رأسهم في تلك البلدة الكاريبة، ملك الحياة التي لم يتمكن عايتو مفرط الحساسية من إعطائها حتى قدرها إلا بعد مرور سنوات طويلة وهو يتطلع بحزن وأسى لا إلى العالم الذي فقدته وحسب، بل إلى الدهو الذي يشاقق إليه والتحق الصبيان بـ مدرسة رسمه للسن. ويتذكر لويس إيريكي أن العجر ولاعسي السيوك توقفوا عن المرور بالبلدة وأخذ العديد من الأهالي، شأنهم شأن عارسيا ماركيز، يعدون العدة للرحيل. "حتى بات الهوى رحل، أولئك اللواتي مارسن مهتهن في الأكاديمية، كية بيت المنعة... والحق أي لم أذهب إليه، لكن أصدقائي أحبروني بكل شيء عنه" (99).

ظل عايتو سوات طويلة بظن إلى أراكاتاكا مظرة أشد سودويه من بهرة أحبه الأصغر سناً المعروف بطيفه وصحبه، وهذا ما توصحه صورته الأدبية الأول في عاصفة الأوراق. وبالرغم من أنه سيتحدث بعد مدة طويلة بحررة عن تلك السدة، إلا أنه ظل يحشى العودة إليها، ولم يقصع مسافة إليها إلا بعد أن بلغ الأربعين من عمره ليراهما من خلال مطور غريب كان لويس إيريكي قد طوره وهو صبي.

لقد حلت النهاية بالنسبة إليهم جميعاً، وأوشك عابيتو وهو في الحادية عشرة من عمره على الرحيل عن "تلك البلد الخاره المعمره التي أكد لي والدائي أنني ولدت فيها ولتي أحسم فيها وأنا بريء ومجهول وسعيد في كل ليله. وفي هذه الحاله، فإني لست أكون الشخص نفسه الذي هو أنا الآن، لكن ربما كان يمكن أن أكون أفضل: مجرد شخصيه في إحدى الروايات التي لم أكتبها قط"⁽¹⁰⁾.

* * *

أيلام المدرسة:

بارانكيا وسوكري وثيباكيرا

1946-1938

أحمد عابرييل إليخو ولده عابتر وحده معه إلى بارانكب لمتح الصيدلية والدء
خسبة جديدة. استغرق ذلك شهرين. وهناك وجد عابتر أن والده يعدمه معاملة
أفضل عندما لا يكون هناك أحد سواهما، لكنه ترك وحيداً وقت طويلاً، وفي أغلب
الأحيان أهمل عابرييل إليخو إصعاهم وفي يوم من الأيام وجد الصبي نفسه يسير
نائماً على امتداد شارع في وسط البلدة مما شير إلى اضطراب عاطفي خطير⁽¹⁾.

تقع بارانكيا على صفة هر تحدها في المنطقة التي يبدأ فيها النهر بالانفتاح على
البحر الكاريبي وفي غضون نصف قرن من الرمد تحولت من قرية صغيرة تقع
بين الميسعين التاريخيين من حقبة الاستعمار كارتاجب وسانتا مارتا لتعمر ربما أكثر
مدن البلاد حيوية. فقد كانت أمل كولومبيا في صناعة النفس ولما كان الذي بدأ به
عروها. وكانت البلدة الوحيدة التي يأتي إليها المهاجرون من الخارج بأعداد مهمة،
مما جعلها أشبه بعاصمة ذات إحساس عالٍ بتحدثاتها المؤقتة مقارنة بالطابع التقليدي
الأنديري الكيب الذي صنع العاصمة بوغوتا، والطابع المحافظ الذي طبع حارتها
كارتاجيبا الأكثر أرمستقراطية. كانت البلدة تعج بأعمال التصدير والاستيراد
السجارية الأجنبية والوطنية والمعامل والورش، ومبها خطوط جوية ألمانية وأصحاب
مصانع هوسديون ومسحو مواد غذائية إيطاليون ومتاجر غربية ومستثمرون
أميركيون، وعدد كبير من المصارف والمؤسسات لتجارية والمدارس وكان العديد
من الشركات قد أسسها يهود هاجروا من جرر الأتيل الهولندية. كانت بارانكيا

قطعة دخول المسافرين القادمين من خارج البلاد ومطعم حروح للمسافرين الناهيين إلى بوغوتا سواء عن طريق الجو أو عن طريق البحر. وكان مهرجاناتها هو الأشهر في البلاد، ولا يزال عديد الأهالي من المدينة يعيشون السنة كلها وهم ينتظرون بسلام صير ذلك الأسبوع من شهر شباط الذي يُراح فيه الستار عن صحتهم.

في بلدة سينتي، وفي أثناء العودة القصيرة إلى أراكاتاكا، تحسّنت العلاقات إلى حدّ ما بوجود أعداد لا تُحصى من أفراد الأسر الكبيرة. لكن عند وصول أفراد أسرهم عارسياً ماركيز الصغيرة إلى بارانكيا في العام 1938 بعد أن تركوا تراكيلينا وللمسات وراءهم في أراكاتاكا، وجدوا أنفسهم وحيدس للمرة الأولى في حياتهم. ووجد غابيو ومارغوب اللذان حرما حزناً صاعقاً على جدّهما وعسى عيب جدّهما المريضة صعبه في التأميم لا يندران عليها. لكن لا بدّ لهما من تحمل ذلك. وكان كل واحد منهما يعرف أن الآخر يعذب بسبب ذلك، لكنهما لم يتكلما عنه قط. إصابة إلى ذلك، كانت ولدتما تعاني هوماً مشدّدة، وعادت إلى بارانكيا وقد بد عليها التردد الشديد والاستياء الواضح. كانت الصيدلية في مركز المدينة والبيت في باريسو اباجو أو الحي الأدنى، وهو أشهر الأحياء الشعبية في بارانكيا. كان البيت صغيراً لكنه يطوي عسى ماهرة مذهشة. وأدرك غابرييل، لخي أو لوبسا، التي كانت تنتظر إجاب طفل آخر. لا تتمتع بسحية الرزاة. وبالرغم من أن البيت كان فيه حجرنا يوم لا غير. فإن حجرة المعيشة الرئيسة كانت تحتوي على أربعة أعمدة دورية^(١٠)، وعسى السطح برج صغير مطلي باللونين الأحمر والأبيض. وكان الأهالي يطبقون عليه اسم القلعة.

بدا واضحاً منذ البداية أن الصيدلية الجديدة ستحقق إخفاقاً كارثياً آخر وبعد أن قهرت المصائب غابرييل إليحيو، قرر الاطلاق مرة أخرى صوب الحقول الباعة الخضراء تاركاً زوجته الحامل بلا أي معين لمساعدتها هي وأطفالها. وهذا حلّت أسوأ الأيام على الأسره. إذ بدأ غابرييل إليحيو يساهم على امتداد هر محديسا والأصراف المحيطة به يعالج المرضى معالجة عشوائية، ويشغل في أعمال وقية ويبحث عن أفكار جديدة. ولا بد من أن لوبسا ساءلت مراراً إن كان سيعود، فطفتها السبعة، ريت، ستولد في تمور من العام 1939، وسافرت احالة نا إلى بارانكيا لمساعدة لوبسا في

أثناء غياب غابرييل إليخيو، وبدون غارسيا ماركيز في ملاحظاته أو الطلمبة سُميت ريتا تيمناً باسم ريتا عديسة كاسيف التي كانت شهرتها الأخلاقية متشابهة بالصبر الذي واجهه به لسوك السيئ لزوجها صعب المراس⁽²⁾ هذا واستحب لويسا بعد ذلك أربعة أطفال آخرين وكلهم من البنين.

اضطرب إلى الاعتماد على كرم أخيها خوان دي ديوس وكان محاسباً في سانتا مارتا ويساعد تر نكلييا والحالات في أراكاتاكا⁽³⁾. وتبين أن للويسا ما يساعدها على التحمل مثل الواقع والفترة، وهما صمان لم يفلح غابرييل إليخيو في تطويرهما. كانت امرأة هادئة ورقيفة وندو سلبية، من حتى طفولية، لكنها بالرغم من ذلك وجدت طريقاً لربية أفعالها الأحد عشر وحمائهم من دون أن تمك ما يكفي من المال لإصعابهم وكسائهم وتعليمهم على نحو مريح. وفي حين كان حسن غابرييل إليخيو، المكاهي لا يعرف حلاً وقيداً ويتصف بالعراة دائماً، فإن لويسا كانت تتمتع بحسن السحرة واضح المعالم - لكنها أبقته تحت سيطرتها المحكمة - وبمسن المكاهة يتراوح بين السخرة نفسها والبهجة الواضحة وهو ما تحلله الآن في عدد من الشخصيات الأثوية، لا سيما شخصية أورسولا غوران تلك الشخصية الأكثر شهرة والتي يتعدى بساها في فئة عام من العرلة. لقد أسست مرحلة ماراكيبا، التي كافع فيها غابريو وأمه معاً ضد الفقر الحقيقي، صلة جديدة بينهما لا تفصم عراها يؤكد غارسيا ماركيز أهميتها له، ولكنه يجهي له منها فقول إن صلته بها كانت صلة جادة، بل لعلها أكثر جدية من أي صلة أخرى⁽⁴⁾.

بالرغم من الصعوبات، قررت لويسا أن تلحق غابريو بالمدرسة كي يكمن تعليمه الابتدائي. كان أكبر إخوته، وكان أدكاهم من اناحية المدرسية، وبما، فقد مثل أفضل أمل لمستقبل الأسرة. وعمد خوان فيتورا كسالييس مدير مدرسة كارناحيسا دي إندياس إلى حماية هذا التلميذ الجديد، ولا شك في أن تشجيع هذا المدير المتعاطف وإياه كان مناسبة سعيدة. وبالرغم من ذلك، فإن ذكريات غارسيا ماركيز عن أيام المدرسة لا تتجاوز الوحده والتعب على البلايا والحق. فأغرق نفسه في قراءة الكتب مثل جزيرة الكوز والكونت دي مونت كريستو.

اصطر أيضاً إلى البحث عن عمل حقيقي وحصل على بضعة بيزوست لقاء رسم لوحات المتجر إلى توكيو الذي كان ولا يزال محاور البيت القديم. كما حط الصبي ملاحظات لصاحب المتجر مثل إذا لم نأخذ الشيء، فأنا سأكون عنه أو الرجل الذي يجمع الثقة يرحل للبحث عن نفوده. وفي إحدى الماسسات التي لا تُسى، دفعوا له خمسة وعشرين بيروس لقاء رسم لوحة على الحفلة (الحفلات الكولومبية هي لأكثر مفرحة وترويقاً في أميركا اللاتينية). وفي مناسبة أخرى، شارك في مسابقه إذاعية خاصة بالكتشف عن المواهب يذكر إنه عى فيها أغنية البجعة وهي رقصة هالس مشهورة، لكن لسوء الحظ جاء ترتيبه الثاني، ويذكر أيضاً أن أمه السي عثرت من كل أصدقائها وأقربائها وكانت تأمل نجاثة البيروسات الخمسة، وجدت صعوبه في إخماء خيه أمله. كما حصل على مهة في مضعة محلية تنصص بورع عيسيت في الشوارع، إلا أنه ترك العمل بعد أن التقى والدته أحد أصدقائه من أراكاناكا وهي نصيح وراءه بصوت عالٍ: "أحمر لويسا ماركيز عما قد يقوله والباها إذا ما شاهدنا حميدهما المخبوب وهو يورع المشورات على المستهلكين في السوق" (5).

كان عابيتو طفلاً معتلاً الصحة في تلك السن، شاحب الوجه، مسيخ التعدي، ناقص النمو جسدياً، حاولت لويسا حمايته من مرض السل بعطائه ريت كبد اخوت في حين كان روحها بعيداً، ولما عاد غابريل إلحيو إلى البيت قال إن عابيتو نفوح منه رائحة السمك. وكانت إحدى ذكريات طفولة الصبي الماترة عن عاملة في معمل ألان كانت عالماً ما ترور البيت وقالت بحرم دت يوم للويسا ساتياغا أمام الطفل نفسه: "إني أكره ما سأقوله يا سينتي لكني لا أخص أن اسك سيكبر" (6).

في أثناء إحدى الاتصالات الهاتفية الأسرية بالأب المفقود مد رس بعيد، قالت لويسا إن لصحته لم ترقها، وفي المكالمه التاليه حصته على الرجوع إلى البيت كدت الحرب العالميه الثانية قد اندلعت توأ وربما شعرت بالافتقار إلى الأمان، فأرسل غابريل إلحيو برقية يقول فيها بكل بساطة: "متردد". وهنا حادها الشك، فطرحت عليه خياراً فظاً: إما أن يعود إلى الست على العور أو ستمضي إليه حشما

يكسود مع كل الأطفال أذعن غابرييل إليخيو، وعاد إلى بارانكبا في بحر أسبوع واحد. وفي عطلة عين بدأ يعكّر في مشاريع جديدة. وتذكر شحين بدلة تقع على هر صغير تدعى سوكري رارها وهو في ريعان الصبا. مما لا ريب فيه أن هناك امرأة تداعب خياله. وهكذا حصل مره أخرى على قرص من مستودع أدوية كان يتروّد منه بالأدوية. وفي غضون أسبوعين كانت الأسرة تشق طريقها من أحدث مدن كولومبيا إلى منطقة ريفية رتيبة وصغيرة.

ذهب غابرييل إليخيو في بادئ الأمر كذابه إلى المكان الجديد وحده بارك لويسا وهي حاس مرة أخرى، كي ينقل ممتلكات الأسرة أو يبيعها - لكن لويسا باع معظمها هذه المرة - وبأني بالأطفال السبعة. ووجد غاييو نفسه في دور معرر بوصفه مسؤولاً عن الأسرة بعد أن أسطب به مهام تموى مه عندما صحبه والده إلى بارانكبا قبل عام ونصف العام. وهناك، أئمر كن الترتيبات تقريباً بما فيه توصيب الحقائق، وحجر اشاحا، وشراء تذاكر السمية التجارية لقل الأسرة عن طريق النهر صعوداً إلى سوكري. لكن بائع التذاكر غير لسوء الحظ الفوايين في منتصف عميه الشراء لتجد لويسا أن ما لديها من مال لا يكفي، لأن شركة انقل أوصحت أن على الأطفال دفع ثمن التذاكر كاملة. وفي عمرة يأسها عدت لويسا اعتصاماً وحدها وحصلت على بغيتها. وبعد مرور سوات طويلة مدكرت لويسا تلك الأوديسه في أثناء حديثها معي في بارانكبا عندما ملعت النامة ولئدس من عمرها: "اضطر غاييتو في سن الثانية عشرة إلى تنصيم الرحلة لأنه كان الأكبر مس لا يرال في وسعي أن أراه واقعاً على سطح السفينة البخارية بعد الأطفال ثم يتاه الرعب ويصبح: هاك واحد ناقص. وكان المقصود هو، إذ لم يعد نفسه"⁶⁷.

رحلت هم السفينة البخارية جنوباً صوب معامعي، أكبر بداب المسم الشمي من محلدنيا. ومن ها نعين عليهم الانتقال إلى رورق حاري بنقلهم صعوداً نحو هر سان نوحه الأصغر ومن هناك على امتداد هر مو حانا الصين الذي تقع المستقعات والأدغال من كلا جانبيه، وهي مغامرة وسعت كثيراً من خيال الأطفال. كان غوستافو الابن الأصغر في الرابعة من عمره، وكان الوصول إلى سوكري في تشرين الثاني عام 1939 يمثل واحدة من أكثر الذكريات المبكرة حيوية:

"دهسا إلى سوكري نزورق بحاري ونرحلنا عن الزورق ومشيا على امتداد لوح حششي لا يزال المشهد مطووعاً في ذهني: ترجلت أمي، وسارت فوق اللوح الحششي مرندية ثوباً أسود اللون بأزرار لؤلؤية. لا ندأها كانت في اربعة ولستاتين من عمرها. لقد تذكرت تلك المرحلة بعد مرور سنوات طويلة عندما كنت شخصياً في الثلاثين من عمري. كنت كمن يطر إلى لوحة، وأدركت ملائح استسلام وتسمت على وجهها. من السهل جداً فهم ذلك لأن أمي تلقت عومها في مدرسة الدير، وكانت طعنة مدللة لواحدة من أهم أسر اللده، طعنة صعيرة لم نخس على نفسها في التمتع بشيء، تنقني دروساً في الرسم وفي العرف على البيانو لسجد نفسها مضطرة فجأة إلى العيش في بلدة حيث الأهاعي تدحل ابيوت ولا تتوفر فيها الكهرباء؛ سده تكتسحها المبصانات شدة فتحتي الأرض تحت سطح الماء، ونظهر سحب العوص"⁽⁸⁾.

كانت سوكري بلدة صعيرة يسكنها زهاء ثلاثة آلاف نسمة لا تربصها أي طريق أو خطوط سكة حديد بأي مكان آخر. إنها أشبه جريرة عديمة تاهت في شكة الأهوار والحدائل وسط مصقة كانت يوماً ما غابة مدارنه كثيفة الأشجار كسها أصبحت الآن أحف مما كانت عليه حسب مساعي اشتر المتوصله وإن لا تزال معظاة بالأشجار والأدغال الاسمية تحنّها، وفيها مساحات واسعة ترعي الدشية ووراعة الأزر وقصب السكر والدرة. ومن الخاصص الأخرى لمور والكاكاو والشكة والبطاطا الحلوة والقطن. وكان المشهد العام دائم التغير، يتحول من شعيرات قصيرة وكثيفة إلى سفانا، معتدلاً على موسم الأمطار وارتفاع مد الأهوار. وجاءها المهاجرون من مصر وسوريا ولسان وإيطاليا وألمانيا بين عام 1900 وحتى أواسط عشرينيات القرن العشرين. وسكن الأهالي المرفهون أكثر من غيرهم حول الميذاك الكبير الذي لم يكن ساحة اعتيادية بن مساحة من الأرض طولها أكثر من مئة وخمسين ياردة وعرضها ربما يبلغ الثلاثين يارده، يحلها النهر من طرف ولكيسة من الطرف الآخر، فيما انتشر على كلا الجانبين صف من بيوت ذات طابقين مطلية بطلاء براني. في هذا المكان استأجر غابريل إليخبو منرله الجديد وفتح له صيدله في الطابق الأرضي.

بعد وصول الأسرة مباشرة، 'صُرتْ لويسا على طرح سؤال يخص دراسة عايسو في المدرسة الثانوية، وأُقيمت روحها المتردد بصوررة إرساله إلى مدرسة سان حوسيه في بارانكيا التي استمرت عليها فيل رحيلها وقالت 'إنها مدرسة تصنع الحكم' (9). 'لكن عايسو نفسه شعر أنه منود مره أخرى لكنه قرر أن يواجه الأمور: "فكرت في المدرسة كأنها سجن، وانسابي أطلع من فكرة العيش تحت رحمة الباقوس، لكنها كانت أيضاً أمسي الوحيد في الاستمتاع بحياة مسخرة منذ سن الثانية عشرة، والبقاء على علاقة جيدة مع أسرتي ولكن بعيداً عن سيطرتها" (10).

وصف أحد الأصدقاء ظهوره في تلك الأيام: "كان رأسه ضخماً، أشعث الشعر يشبه السلك شكلاً ومروية، عيط الأنف طويله كأنه رعدة سمكة قرش. كانت لديه شامة أحدث نمو إلى يمين أنفه، وقد شكله نصف هذي ونصف عجري. كان متي محلاً، قليل الكلام، انحنى بالمدرسة لأنه كان مضطراً إلى ذلك" (11). كان في عمر الثالثة عشرة من عمره وكان تربيته قد بدأ متأخراً. وفي الأشهر الخمسة عشر الأولى في المدة اساحلية، مكث عايسو مع ابن عمه حوسيه ماريا بالديلاكيث وزوجه هورتيسا وطفلهما الصغيرة، وكان سام على أريكه في الصالة.

بالرغم من شكوكه الذاتية ومفاسه غيره من نصيبان الموهوبين، فإن أدائه في المدرسة كان ممتازاً باستمرار، وبات دافع الصمت بسبب غمساته الأدبية أو هامي الحمقاء وهي مجموعة قصائد هجائية ساحرة عن رملاته في المدرسة وعن قوانين المدرسة الفاسية أو السخيفة التي ما إن جذبت انتباه معلميه حتى طلبوا منه باستمرار أن يبقيا عليهم (12). كما نشر أيضاً عدداً من النصوص القصيرة والقصائد الأخرى في مجلة المدرسة الشيبية. وفي غضون السنوات الثلاث من وجوده في المدرسة مُنح سلسلة من مواقع الثقة والمسؤولية فعلى سبيل المثال، يتولى التمدد الذي يحصل على أفضل الدرجات خلال أسوع رفع العلم الوطني أمام النصف صباحاً، وتلك مهمة أقيمت على عائق عايسو لمدة طويلة من السنة الدراسية. وثمة صورة له في مجلة المدرسة مع 'ومنته، يطر إلى الجانب قليلاً وقد بدا عليه الحجل إلى حد ما كأن لديه سماً ما للارتياب في عدالة نجاحه. وكان ذلك شعوراً سيظل يلازمه على مدى السنين.

في هايه السه الأولى، عاد المراهق غارسيا ماركيز إلى بيته لتعصيه إعطيه السوية وأمداه شهران هما كانون الأول و كانون الثاني. وكما هو محتم. فقد ولد طفل آخر، خديج، في الشهر السابع من عمره وهو أخوه جيمي الذي قُدِّر له أن يعيش معتل الصحة لسبع سنوات. وأصبح عابثو عراب أسرته وبعد عمر طويل يصبح جيمي أقرب الأحوة إلى عابثو. بابت الأسرة الآن مستقرة في البيئة الجديدة وكان أمام عابثو، كمعهده دائماً، الكثير من الأمور التي سمي له إنجازها. وبدأ إخوته من باب وصيين يظرون إليه نظرة الأح المؤق الذي يرورهم غالباً وهو هادئ وحجول ومستوحى الأكر سناً والأعبد. كان هذا الشاب المنتظم مد مصلع المراهقة قد عمق الهوة التي تفصل الابن عن أبيه الذي لم يفهمه ولم يحاول فهمه الله. إلا أنه لم يسر أخته مرعوب التي كانت مثله نحشى واندها، في حين لم تكن الأم متفرعة لها فقط. فافتقده كثيراً كما تشبه بتوأمين. وبسبب إدراك عابثو عزلتها فقد كان يرسل إليها الرسائل في كل أسوء وهو بعيد عنها¹¹.

كان عابثو يعرف من الذهاب إلى الست. وإذا أردنا أن نعرف عن سوكري بالاضطرار إلى الاعتماد على الملاحظات التي أنداها غارمسا ماركيز بين سنة 1967 وسيرته الدانية الصادرة سنة 2002، فإننا لن نعرف شيئاً سوى شك الإشارة غير المباشرة الواردة في رواياته مثل في ساعة نحس، وليس للعقيد من يكتابه الكثير كتبهما في خمسينيات القرن العشرين وقصة موت معلن التي كتبها في مطلع ثمانينيات القرن العشرين. إن تلك الملاحظات المطوية عن صغية تؤكد الانصاع الكعب ولسوداوي الذي خلعت تلك الروايات. كانت سوكري بلدة مبهمة، تولم مكدونو الشريه والعبيسة. ولم يشر إليها باسمها عندما كان يذكرها لوالده في بعض الأحيان حين كانت نندو واضحة تماماً في ذهنه. (كان العنوان الأصلي لرواية في ساعة نحس هو كومة برار عنه البلدة). وبالرغم من ذلك، فقد كانت اسندة في نظر الأطفال الأصغر سناً منه، لا سيما ريتا والأربعة الذين ولدو هب هردوساً مداربة قوماها النهر، والأدعال، والحوانات المهرجة، والحرية.

كانت تلك المرحلة الأكثر نجاحاً بالنسبة إلى غابرييل إليحير بوصفه صيدلاباً وممارساً للطب التجانسي، ولم يعمل بمفرده وحسب، بل ارتبط بالتوصف اعلي.

وراء مثل هذه الامتيازات، يعيد المرء أن يكون محافظاً لأن سوكري، خلاف أراكاتاكا، كانت بلدة محفظة إلى حد كبير. وفي الوقت نفسه، لم يكن العصف بعيداً عن السطح. ففي اليوم الذي عمّد فيه حيمي، حرّرت رقبة عارف على البوق من أهل المنصقة في اللحظة نفسها التي كان يمهّد نفسه فيها لبضخ أعلى بعمق وأقواها. وقال بعض الناس إن اندم ارتفع إلى علو ثلاثة أمتار. وسمع بوبس إنريكي بالحانة عسى الغور، مهرع لمشاهدة ما حدث لكن الرجل النائم كان قد غدّ دمه عند وصوله بالرغم من أن قلبه كان لا يزال يبص⁽¹⁴⁾. وم يحدث ما يوارى ذلك الحدث اندر مي مرة أخرى إلى أن اعتيل صديق الأسرة وجارها كاتانو نختيلي أمم أنظار أهل البلدة كبهم في كابون الثاني عام 1951، فغيرت لذلك حياتهم جميعاً تبعاً لا سبل إلى معالجته.

في بطر غاييتو كان التعبير المفاجئ في ترتيبات لأسرة سبه والده المولع بالرحلات. وعندما خرج من اقارب لدى رجوعه إلى سوكري في أواخر العام 1940 طوقته شاة نزعها وأحبرته أما أخيه كارمن روسا. وفي مساء ذلك اليوم نفسه، اكتشف غاييتو أيضاً أن بده أحاً غير شقيق، هو أيلاردو، الأمر كان به وقع الصدمة عليه لأن عزاءه الوحيد في وجوده وسط هذه الأمرة المعمورة تقريباً كان يتمثل في أنه الولد الأكبر سناً، وإذا هذا العزاء يُنتزع منه: فهو ليس أكبر أبناء أبيه، بل هو أكبر أبناء أمه.

نفسر لنا احاطات غابرييل إليخيو في حياته وإحساسه بالدونية من ناحية المهمة جزءاً من المشكلة بنه وبين غاييتو الذي كان يطر إليه دوماً بعين غريبة. كان معظم أطفال غابرييل إليخيو لا يأخذون قصصه عن مشروعه وانخارته الطيبة على محمل الجد⁽¹⁵⁾. كان غاييتو الذي تعرف إلى العالم المحيط به على نحو أوسع أكثر ارتباباً من إخوانه وأخواته. من الواضح أن غابرييل إليخيو قرأ الكثير وعرف الكثير أيضاً، تماماً مثلما كان لديه الكثير من الوقاحة والثبات والمثّلد ليسر وراء حدسه وبصيرته العظيمة على حين يتحمل مرضاه المخاطرة. فحصل على إجابة بوصفه طبيباً متمرساً في الطب التناسلي في باراكيبا، وفي حين كان يشتغل صيدلاً كافي من أجل الحصول على مؤهل من جامعة كارتاجينا ليؤمن لنفسه الاعتراف الكامل

أنه طبيب وفي نهاية المطاف، وبعد مفاوضات مطولة مُنح لقب دكتور في العلوم الطبيعية، إلا إنه أطلق على نفسه لقب دكتور قبل ذلك برمس طويل⁽¹⁶⁾. لكن عاينته، على ما يبدو، لم يأخذ اللقب الذي اقترحه والده لنفسه على محمل الجد. يضاف إلى ذلك، فإن لقب العقيد كان مفصلاً عنه كثيراً بلا أدنى ريب. وعالمياً ما كان غابريل إلخيو يتباهى بأن وسائله تختلف الاختلاف كنه عن الوسائل التقليدية والمألوفة. "عندما كنت أذهب لعبادة مريض، كانت دقائق قلبه هي التي تجعلني أعرف ما يعانيه، فكنت أصغي إلى الدقات بحرص متناه. وكأن القلب كان يقول لي: هذه مشكلة في الكبد. هذا الرجل سيموت من كثرة الكلام. فكت أقول لأقربائه: هذا الرجل سيموت من كثرة الكلام. وهكذا، سيموت الرجل من كثرة الكلام، لكي فهدت حينئذ في نهاية الأمر"⁽¹⁷⁾.

ليس مما يدعو للدهشة أن كل أطباء الطب الجاسي معروفون بهمهم في كولومبيا في تلك الأيام، فهم خبراء منقلوب لا تربطهم رابطة بمعظم الأماكن التي يجرؤون بها، ولهم قدرة لا تُضاهى في الوصول إلى الجنس الآخر مع الاستعداد الكامل للإجابة على أي سلوك مريب يسلكونه. وقد وُكِّلَ إحدى النساء في مستوطنة قرية محامية أهم غابريل إلخيو باعتصامها وهي تحت تأثير المخدر، وبالرغم من إنكاره قلة الاعتصاب شديدة الخطورة، إلا أنه عترف بأبونه لطفل⁽¹⁸⁾ كانت العلاقة الجنسية بالمريض جنحة حائية، إلا أنه تمكن من تخليص نفسه مما قد نكون أحصاه لحظة في حياته المهنية، وربما أدى ذلك إلى فقدانه كل شيء. وفي وقت لاحق، حضرت امرأة أخرى لتقول إن حميلتها حملت من الدكتور غارسيا وإنما لا تستطيع العناية بها. وبعد مشاجرات وتأنيب، فعلت لويسا ما فعلته أمها من قبل ووافقت على أن تكون ذرية زوجها ذريتها أيضاً. وكما يقول غارسيا ماركيز: "كانت غاصة، لكنها أوت الأطفال عندها وسمعتها تردد: إني لا أريد أن يطوف دم الأسرة في جميع أنحاء العالم"⁽¹⁹⁾.

في أثناء العطلة السنوية الأولى، لم يضطر غابريو إلى استعاب ظهور أبيلاودو وكرام من روس والأخبار التي يُهمس بها همساً غير واضح عن أح غير شقيق آخر وغير شرعي وحسب، بل أحد رسالة من أبيه ليوصلها إلى ما يعرف باسم الساعة

وهو المبعي العام في المنطقة قلب فيه المرأة التي تحت له الباب الطر وقلت: "آه، نعم. تعال من هنا". ثم قادتني إلى حجرة معتمة، ونزعت عنه ثيابه واعتصمته على حذّ تعبيرة علانية للمرة الأولى. ويتذكر الحادثة في ما بعد فيقول "كان ذلك أقطع شيء يحدث لي لأنني لم أكن أعرف ما كان يحدث. كنت متأكداً من أنني سأموت"²⁰. ولزيادة الطين بلة، أثيرت الساقطة عايتو بقصاصة أن يطلب من 'حبه الأصغر' سأن يقبه دروساً، من الواضح أن الأخ الأصغر كان ربوياً مستطفاً. لا بد من أنه لام أباه على هذه التجربة القذرة والمريعة والمهينة. لكن يبدو أن غابريل إلحيو أعد العدة لكل ما حدث، وهو ما يتلاءم مع الموروث اموعلي في القدم في أميركا اللاتينية والذي يصطلح البرازيليون على تسميته بإرسال الصبي لشراء اخوى

بدأت السنة الثانية في سان خوسيه كساعتها، وطل عارسيا ماركيز جماً أدياً في المدرسة، وتمتع بشعبية هائلة، وكتب تقريراً مسلياً عن رحلة مدرسية إلى شاطئ البحر في آذار سنة 1914 وهو تقرير بعث على السرور عند قراءته لما فيه من فكاهة وحماسة وحيوية: "طلب منا الأب نالديار في الحافلة أن شند للعدراء، فأشدد بالرعيم من أن بعض الصبيان اقترحوا أن يعي بدلاً منها أغنية من أغاني مورور"²¹ الأفريقية الكولومبية مثل البقرة العجور أو الدجاجة المساء. وينتهي التقرير بحملة: على من يرغب في معرفة كتاب هذه الحبال الساذجة، عنه إرسال رسالة إلى عايتو". كان واحداً من التلاميذ المحدثين، لا ترقه الرياضة ولا شجار، بل يروق له الخلوس والقراءة تحت الظل في أثناء الاستراحة في حين يتشغل الآخرون بلعبة كرة القدم. لكنه تعلم شأنه شأن العديد من التلاميذ المجهدين غير المولعين بالرياضة، أن يكون مرحاً وأن يدافع عن نفسه بلسانه.

كس هناك ما هو أكثر مما يلوح على هذا المراهق العاصف فقد انقطعت دراسة عايتو في العام 1914 بسبب عيانه الطويل عن سان خوسيه إذ فاته النصف الثاني من العام الدراسي إثر اضطراب نفسي وصل دروته في شهر أيار. وقد تحدث عابريل إلحيو الطائش آنذا عن ذلك في مقاله العام 1969 بعد أن دعت شهرة ابنه: "لقد أصيب بما يشبه انفصام الشخصية وصاحبه نوبات غصب قسيرة وغرف.

وفي يوم ما، فذوف دواة حبر في وجه أحد القسيسين، وكان يسرعياً معروهاً، فكثيراً، بلّى لإبلاهي أن أخرجه من المدرسة، فأخرجته⁽²²⁾. وقد راحت شائعات من أفراد الأسرة تفيد أن غابريل إلبيو عزم على أن يتف رأس ابنه في المكان الذي يقع فيه الوعسي والذاكرة، لكن تهديد لويسا بالكشف عن مسعاه وحده الذي حال دون ذلك⁽²³⁾. وليس صعباً التأثير القطيع مثل هذه الحطة في صبي لا يعتقد هذا الطبيب العائلي في كل الأحوال، والذي يبدو أنه دهن عندما فُكر في أن أباه يريد أن يبرق رأسه.

عندما وصل غابيتو الناس إلى سوكري، قال له أخوه نصف الشقيق أميلاردو، وبحدة، أن ما يحتاج إليه هو معايشة امرأة، وهو له عددٌ من الشابات الراعات في المعايشة اللواتي مثلن تجربته الجنسية الأولى في حين كان بنية الصبيان في سان خوسيه مشغولين بالتضرع إلى مريم العذراء. لقد محب تلك المعارف المبكرة غارسيا ماركيز، الذي كان يشعر أنه أقل فحولة من بقية الذكور في مجتمع ذكوري تماماً، الشعور بأنه مطلع على القضايا الجنسية، وطل ذلك الشعور مصاحباً له بعض النظر عن بقية التعقيدات، ولازمه عدد لا يحصى من الشواغل النمسية والكسات⁽²⁴⁾.

في هذه اللحظة، يظهر لنا في المشهد شخص يدعى خوسيه بانثيا، وهو ابن أحد ملاك الأراضي في المنطقة. كان خوسيه يشبه لويس إريكي شقيق غابيتو؛ كان عارفاً موسيقياً موهوباً وكان أيضاً معنياً وسكراً ومعوباً، احتفظ بصداقة طيبة مع غابيتو طوال مدة إقامته في بوغوتا. كان هي الطلة ورافصاً نارعاً، وهو ما لم يكن يتفه غابيتو بعد بالرغم من أنه كان مغماً مختاراً. وبقى بالشيا بطل العديد من الحكايات الملبودرامية وقصص الصعدكة طوال سنوات قبل أن يحطمه الموت فجأة. لقد كان وجود مثل هذا الصديق عوباً كبيراً لمرهق يتقدم في السن.

بعد رجوع الشاب غارسيا ماركيز إلى المدرسة في شهر شباط سنة 1942 حينئذ التلاميذ والمعلمون بحية حارة. وبالرغم من أن ماركيز لا ينطرق كثيراً في مذكراته إلى هذه التجربة، إلا أنه لا بد من أن يكون قد شعر بالحرج والإذلال بسبب غيابه، وبسبب الإيضاحات التي اضطر إلى اختراعها. وقد منح الأب لقرار

الكبير من ثقة لعلهم. ولم يبقَ بعد ذلك برفقة حوسيه ماريا وهورنيسيا بالديلامكيث ليّ أصبح لديها طفلان حينها، بل بقي مع شقيق جدته لأبيه إليسير عارسيا باتريسياء ذلك الموظف المصري المعروف باسمه وأمانه وعسقه الكبير للغة الإنكليزية. وكانت فالتيا، به إليسير، هارنه مختاره مثل عايتو، لذلك صطحبت لحضور اجتماعات جماعة من الشعراء تدعى رمل وسما²⁵.

في يوم ما، وفي حين كان تنظر في بيت أحد الشعراء، جاءت امرأة بيضاء سريارة الشاعر، اسمها مارتيا هوسبكا وكانت مبروجة بقطان مغطاة أسود يلمع طوله الست أقدام. كان عايتو في الخامسة عشرة، نحيل أحسم بالنسبة إلى سنه، وتحدثت وإياها على مدى ساعة في أثناء انتظار الشاعر، ويقول إنه رآها مرة أخرى تنظره وهي جالسة فوق مصطبة في حديقة عامه بعد أن ذهباً معها إلى الكبسة في أربعماء الرماد. فدعته إلى مرلها حيث اهتمكا في المعاشرة لي كانت "حياً سرياً تآجج مثل نار محبوه" تواصل حتى نهاية السنة الدراسية كان انقطاع عظمي اثني عشر يوماً بعيداً عن المرل، وكان عايتو يتظاهر أيام السبت، التي يصطر فيها إلى العودة إلى مرل إليسير عند الساعة الثامنة، بأنه كان محضر عروض سياسية بعد ظهر تلك الأيام في دار سيما ريكس. لكن مارتيا عالت بعد بضعة أشهر إن لم الأفصل لو ذهب إلى مكان آخر بدراسة "لأنك سدرت عندئذ أن علاقتك لم تكون أكثر مما هي عليه قل الآن"²⁶. فرحل باكياً، وعندما رجع إلى سوكرى قال إنه لم يعود إلى سان حوسيه ولا إلى ماريانكا لأن أمه قالت له طبعاً هذه لرواية "علست أن يذهب إلى بوغوتا". لكن والده قال به لا علت المال للدهاب، فأدرك عايتو فجأة أنه يريد مواصلة تعليمه في كل الأحوال فهتف: ثمه بعثات دراسة، وبعد بضعة أيام قل له غابرييل إليخيو: 'جهّز نفسك، فسيذهب إلى بوغوتا'²⁷.

* * *

انطلق عاستو إلى العاصمة في كانون الثاني سنة 1943 محاولاً أن يجرب حظّه، لكن دهاه كان معامرة بالنسبة إلى الأسرة لأن الرحلة إلى بوغوتا كانت استثماراً سامط لنمى لمعنى قد يحقق بسهولة في امتحان القبول. كانت بوغوتا في الواقع سداً

آخر وكانت الرحلة إليها طويلة ومرعبة. وهَيَّأت له أمه بذلة سوداء قديمة من بدلات أبيه وودَّعه أفراد الأسرة عند الممشى الحشيشي. ولما لم يكن غابريل إيجبو من الذين يفوتون فرصة مثل هذه، فإنه، لذلك بدأ الرحلة مع عاييتو في قارب صغير نقلهما على امتداد نهري موشانا وسان خورخه وبعد ذلك إلى مقر محدلتنا الكبير بمدينة ماعانجي حيث ودَّع عاييتو فيها والده واستقل السفينة البخارية دافيد أراغو باتجاه الجنوب نحو مرفأ بويرتو سالاعار، وكانت رحلة هورية تستغرق أسبوعاً واحداً عادةً وفي بعض الأحيان ثلاثة أسابيع إذا كان ماء النهر مخمضاً فتعلق السفينة في الشاطئ الرملّي. بالرغم من أن عاييتو درف النموع في اللينة الأولى، إلا أن ما كان يشبط المهمة بات مفاجأة⁽²⁸⁾. فقد كات السفينة نخشد بعدد كبير من سكان الساحل الشان وكان يبدو عليهم أنهم منته يبحون عن منح دراسية أو ربما كانوا نلاميذ مدرسة وطلاب جامعة محطوطيين وهم الآن يعودون بعد تمضية عطلة طويلة. ويتذكر عارسيا ماركير تلك الرحلات على أنها حفلات عاتمة عني هيها نقبة الشثيان مختلف الأعالي لتنتهج بعوسهم وليحصلوا على نصعه بيروسات عسي"تلك السفينة الحشيشية المملولة التي واصلت سيرها بركة ورائها أثراً من آثار الفلاس التي يعزفها عارف بيانو وسط عطر فواح من رهور العاردينيا والسيدر التنن في الروافد المدارية"⁽²⁹⁾

بعد مرور بضعة أيام، وفي الوقت الذي كان عاييتو يترجل من السفينة النهرية إثر انتهاء الرحلة، قام وملاؤه الأكثر حيرة منه بانتراع صُرة مدارية أجيروته أمه على أن يأخذها معه وتحتوي على حصيرة للوم مصبوعة من سعف النخيل، وأرجوحة من الأكليف، وبطانية صوفية حششة، ومبولة طوارئ وقدموا لها في النهر وهم يصحكون دليلاً على أن هذا القادم من لسحل قد سلق سلم الحصار، مما يعني أنهم كانوا كلهم من ذوي الطبع الفظ، جدهيين وغير قادرين على معرفة السنوك الحسن من السلوك السيئ⁽³⁰⁾. لذا ذلك وكأن ما من شيء يعرفه أو يملكه يمكن أن يفسده في بوغوتا وسط أهالي الهضبة المعروفين باسم الكاتشاكو المخادعين والمتشائعين. وفي بويرتو سالاعار الواقعة عند سفوح جبال الإنديز الشرقية، استقل الركاب القطار ليقبلهم إلى بوغوتا. وفي حين بدأ القطار يصعد الإنديز تغير طبع

سكان الساحل، فمع كل معطف من معطفات سكة الحديد ازداد الجو برودة ونخلة حتى بات الشمس شافاً³¹. وأخذ الجميع يرتعشون وأصيبوا بالصاع. و على ارتفاع ثمانية آلاف قدم وصلوا إلى ميسينا، وبدأ القطر يبرد من سرعته صوب العاصمة فوق سهل بوغوتا الذي يسع ملوله ثلاثمائة ميل، عرصه خمسين ميلاً. كان سهلاً مكفهرًا، يميل لونه إلى الأخضر الداكن، ويمد تحت أمطار تغطي على مدار السنة، لكنه يتحول إلى اللون الأخضر الرمدي البزج عندما تشرق عليه شمس الإندوس من سمائها الفضة. وكان السهل مردناً يقرى هدية صغيرة تتألف من أكرح رمادية مشيدة باللّس وذات سفوف معقوده صنعت من شجر الصفصاف والوكاليتوس. وكانت الأرهاق تربي حتى أكثر الأكواح تواضعاً.

وصل القطار العاصمة عند الساعة الرابعة عصراً. وغالبا ما كان عارسي ماركيز يقولون تلك الملحظة كانت أسوأ حضة في حياته. لقد كان يتحي إلى عالم الشمس والبحر والحياة المنارية والعادات الاجتماعية المرسة على سحبتها والغياب النسبي للنياب ولتعصب. وكان كل فرد في السهل يلتف بما ينسب انعاء الكولومبي بدت له بوغوتا المكفهرة تحت المطر، المتكة على حبال الإندوس على ارتفاع ثمانية آلاف وستمئة وستين قدماً أشد برودة من لسهل نفسه وكانت الشوارع تحتشد برجال يرتدون بدلات وصديريات ومعاصف داكنة اللون مثل الإكلير في حي الدل في لندن. ولا تُشاهد أي ساء في أي مكان. نهتد الصبي تهيدة من القلب واعتمر بتردد قبعة من الجوخ للعغم الأسود قل له إن كل فرد في بوغوتا يعتمرها، وترجل من العربة ووضع صندوقه لمعدني الثقل على الرصيف³².

لم يكن هناك من ببطوره، وأدرك أنه يمس بصعوبة، إذ كانت تبعث رائحة السحام غير المؤنفة من كل مكان حوله. وعند بدأت المحطة والشارع يغلوان من المارة، بكى عابيتو من أجل العالم الذي تركه وراءه. كان وحيداً: بلا أسرة، بلا أشعه شمس، لا يدري ما يفعل. أخيراً وصل أحد أقربائه البعيدين، ومضى به في سارة أحرة إلى بيت قريب من مركز المدينة. إذا كان جميع الناس في الشارع يرتدون الثياب السوداء، فإنهم يرتدون دحل يتوهم العباءات وأتواب النوم. عند أوى عابيتو ماركيز إلى سريريه في تلك الليلة الأولى، وثب عنه، وصرح قائلاً إن

شخصاً ما قد ملل فرشه، لكنهم قالوا له: "لا. هكذا هي بوغوتا ولا بد من أن تتعاد عليها". لكنه ظل يفتأ طوال الليل يكي من أجل العالم الذي فقده.

بعد مرور أربعة أيام، وفي وقت مبكر من الصباح، كان يقف في صف المتظرفين سارح مبي ودارة الترس في شارع خيمست ذي كساداء، ذلك الشارع العظيم الذي سمي باسم فانج كولومبيا الإسباني ومؤسس العاصمة بوغوتا⁽³³⁾ وبدأ نصف طويلاً لانساهياً. نهاية الطابق الثالث من مبنى لورارة يمد على طول صف من البيوت والمحال التجارية في شارع خيمبيث. كان غارسيا ماركيز في نهاية الصف تقريباً، وازداد بأسه مرور ساعات الصباح. وبعد منتصف النهار يقليل شعر بتريئة خفيفة على كتفه. عندما كان على ظهر السفينة البحرية القادمة من بلده ماعنمي تعرف إلى محامي اساحل واسمه أدومو غوميث تامار، الذي كان يعرف الكتب بهم طوال الرحلة، ومن بين تلك الكتب الهديل بدوستويفسكي والبولن الكبير لهورييه. كان غوميث تامار قد أعجب بعاء غارسيا ماركيز فطلب منه أن يكتب له كميات إحدى أعالي البويرو كي يعيها خبيته في بوغوتا. وأهداه نسخة من كتاب الهديل لقاء ذلك. وها أعلن الشاب، وهو يرتعش، عن هذه الياثس قائلاً: "أريد الحصول على محبة دراسة". ونسى على نحو لا يصدق أن ذلك المحامي الأسبق لم يكن سوى المدير الوطني للمنح الدراسية، وفاد المتقدم الداهل إلى مقدمة الصف ومنه إلى مكتب كبير، حيث سئلوا طلب تقديم غارسيا ماركيز، وشارك في الامتحان الذي جرى في مدرسة سان بارنولومي الكائنة في الجزء القديم من بوغوتا، وهي المدرسة التي درس فيها الكولومبيون من أبناء الطبقة اراقية مد أيم الاستعمار. نصح غارسيا ماركيز في الامتحان، وحصل على مقعد في المدرسة الجديدة وهي المدرسة الوطنية لسير في بلدة ثياكير العرية الواقعة على بعد ثلاثين ميلاً، غير أن غارسيا ماركيز كان يفضل الدراسة في مدرسة سان بارنولومي في بوغوتا، لكنه كأمح لإحماء حبيه أمه.

لم يكن يملك ما يكفي من المال للعودة إلى البيت والاحتفال برفقة عائلته المتشوقة والمتهجة. ولم يكن قد سمع من قبل باسم بلدة ثياكير، ولكنه بالرغم من ذلك سافر إليها بالقطار مباشرة، ووصلها في الثامن من آذار عام 1943، أي بعد

ذكرى ميلاده السادسة عشرة يومين. كانت ثياكيرا بلدة صغيرة يعود إلى حقبة الاستعمار، وهي مودح لنبذات جبال الإندير، وطقسها شبيه بطقس بوعوتا. وكانت امركز التجاري لإمبراطورية هود الشيكا وفيها ساحم الملح التي لا تزال حتى اليوم تحدد السّاح إليها. وكانت الساحة الرئيسية فيها محاطة سيوت صحمة تعود إلى حقبة لاستعمار وفيها شرفات مطلية باللون الأزرق وسطوح سميكة من القرميد الأحمر المعلقة وكاتدرائية صحمة باهنة الملون، برجين، تدر معها عبر مناسمة للبلدة التي م تكن في تلك الأيام أكثر من قرية صغيرة. كان ثياكيرا تحشد بالوروش وانداسخ اسوداء التي تعامل الملح بالتحجير، بعدها يباع للحكومة. وكانت دراب الملح تشاهد في كل مكان متظاهرة فوق البلدة كأنها رماد. وشعر الصبي القادم من الساحل أن الطقس والبيئة يتصمان بالروضة والكأبة والوحشة.

كانت المدرسة حديثة التأسيس، لكنها تقع في مبنى قديم يعود إلى أيام الاستعمار. وكانت في ما مضى من الزمان مدرسة سان لويس غوشعد، وهي مسمى تألف من طابقين يرجع تاريخه إلى القرن السابع عشر وفيه ماء داخلي تحفه أقواس من العهد الاستعماري⁽³⁴⁾. كان المبنى يضم مكتب المدير، ومساكن خاصة، ومكتب السكرتارية، ومكتبة ممتازة، وستة صفوف دراسية، ومختبراً، ومحرراً، ومطبخاً، وحجرة طعام، ودورات مياه، وحمامات، وقاعة نوم كبيرة في الطابق الأول تتسع لثمانين أو نحو ذلك من الطلاب الذين كانوا ينامون في المدرسة. ويقول عارسيا ماركيز بعد سبعين، ملاحظاً عد حصوله على محه دراسية في ثياكيرا، إن الأمر يشبه 'ريح عمر في بانصب'. لقد كانت المدرسة عقاباً وكانت "ثلث لبلدة المنجمله ظلماً"⁽³⁵⁾.

بالرغم من أن عارسيا ماركيز لم ترقه ابلدة تذاك. إلا أنه استفاد من ظرفين سادربين في تاريخ كولومبيا. فالحافظون تحلوا عن التعليم الثانوي الحكومي في العام 1927 وسلموه إلى القطاع الخاص، وخاصة إلى الكنيسة، لكن عندما انتخب ألفونسو لوبيث بومارينجو رئيس لبلاد في العام 1934 أعلن عن توره راجعة. ولمرة الأولى والوحيدة في مجمل تاريخ الأمة، انطلعت الحكومة بمدى من الثورة المكسيكية من جهة وإصلاحات لاشتراكيين غير المستقرة في جمهورية ساناب من جهة أخرى

من أجل توحيد البلاد ودمقرطتها وإنتاج نموذج جديد للمواطن. وكنت إحدى الأدوات الأساسية في عملية التحول هي أن يكون هناك نظام تعليمي وطني حقاً، وهكذا أسست أول مدرسة وطنية وهي مدرسة ثيباكيلا الوطنية. ولم يكن آنذاك سوى أربعين ألف طالب ثانوي في عموم كولومبيا، ولم يخرج في ذلك العام سوى ستمئة طالب منهم (لم يكن من بينهم سوى تسع عشرة فتاة) في الحقيقة، إن معظم الكولومبيين كانوا لا يملكون إلا فكرة بسيطة عن التعقيد الإقليمي الذي يكسف بلادهم، لكن الأولاد في ثيباكيلا كانوا قد وعدوا من كل حذب وصوب⁽³⁶⁾.

كان المصنوع في ثيباكيلا بارزاً، كان العديد منهم قد رفضتهم مدارس أخرى بسبب توجهاتهم التقدمية. وكانوا يميلون إلى أن يكونوا مثاليين محترفين من الليبراليين الراديكاليين أو حتى الماركسيين، وأرسلوا إلى ثيباكيلا لمعهم من تلويت عضول حسان الطمقة العليا في بوغوتا. وكانوا جميعاً محبطين في الموضوعات التي يدرسونها، واجتاز معظمهم دار المعلمين العليا التي كان يديرها خوسيه فرسيسكو سوكاراس، وهو عالم نفس ساحلي وقريب أحد رفاق العقيد ماركيز منذ أيام الحرب القديمة وقريب ترانكيليا روجيه العقيد⁽³⁷⁾. كان سوكاراس يعتمد بصورة أن يطعم الكولومبيون الشباب على كل الأفكار بما فيها التيارات الاشتراكية، وكان العديد من المعلمين قد نخرجوا حديثاً من الدار، فأقاموا علاقات غير رسمية وبلا يكلف مع الطلاب

كانت الأيام المدرسة شاقة ممطلة لها. فكان آخر من يرون عند الساعة السادسة صباحاً كي يمتطيت التلاميذ، وعند الساعة السادسة والنصف يكون غارسيا ماركيز قد أكمل استحمامه بماء بارد وليس ثيابه ولمع حذاءه ونظف أطرافه ورب سريره. ولم يكن الطلاب يرتدون رداءً موحداً، بل كان معظمهم يرتدون سترات فضفاضة رداء اللون ونظايل رمادية ويتعلون أحذية سوداء اللون. واضطر غارسيا ماركيز إلى أن يبدل قصاري جهده وهو يعيش على ما يرسه إليه أبوه، وانتابه الإحساس بالخروج في السنوات التالية بسبب تفرق حاجات سترته ذات الكمين الطويل التي بالرغم من ذلك ساعدته على الأقل على تدفئة نفسه في مدرسة تعمر إلى وسائل التدفئة. وعند الساعة التاسعة ليلاً، وبعد أن يكون الأولاد قد تركوا وراءهم يوماً وفروصاً مدرسة، تتجهون صوب قاعات النوم حيث بدأ نوصون

غارسيا ماركيز تقليد مدرسي لا يُسى. ففي قاعة النوم، ثمة مقصورة صغيرة يجلس فيها المعلمون وهم يغالبون النعاس، وقبل أن تُطعم الأنوار يبدأ أحد المعلمين بالقراءة بصوت عالٍ أمام الأولاد حتى يستسلموا للنوم. وكانت القراءة في كتاب الرجل ذو القناع الحديدى الكلاسيكي المشهور عادة، وفي كتب جادة أيضاً مثل الجبل السحري⁽³⁸⁾. ونحسب غارسيا ماركيز، كان أول المؤلفين هو مارك توين. وكانت ذكرياته عنه ذكريات ملائمة لرجل فُتّر له أن يكون - من بين صفات أخرى - مارك توين كولومبيا نفسها: فهو رمز البلاد، وهو الذي حدّد لها حساً وطنياً بالمكاهة وهو مرتقٍ العلاقة بين الأقاليم والعاصمة. كانت قاعة النوم تصم أسرة معبنة مرودة بالأواح. وكانت ثلث الألواح مادة يسرقها الأولاد أحدهم من الآخر. وشهر غارسيا ماركيز بالكوايس المزججة التي تراوده في منتصف الليل فتدفعه إلى أن يوقظ بصرحاته كل النائمى في القاعة. لقد ورث هذا المل من أمه لويسا. "ولم تحدث أسوأ كوايسه هيئة روى ممرعة بل يفترات رمنية بهجة وأشخاص اعتياديين أو أماكن تكشف له عن معلومات رهيبة بلمحة بصر بريئة"⁽³⁹⁾. المؤكد أن قرائنه لرواية البديل لنوستوفسكي لم تكن مفيدة له.

كانت الدراسة أيام السبت تستمر حتى الظهيرة وبعدها يتمتع الأولاد باستراحة حرة حتى الساعة السادسة مساءً يذهبون خلال هذه الفترة إلى البلدة أو يستأهذون شريطاً سينمائياً في دار السينما أو يظمون رقصات - هذا إن كانوا محظوظين - في بيوت طالبات المطقة. وكان في وسعهم أن يمارسوا لعبة كرة القدم أيام السبت بالرغم من أن الساحليين كانوا يفصلون لعبة البيسبول. أما يوم الأحد فكان يوم إجازة تماماً حتى الساعة السادسة مساءً. وبالرغم من أن المدرسة كانت تعلم الأولاد الفروض الدينية على يد أحد القساوسة، إلا أنه لم تكن هناك صلاة يومية ولم يكن الحضور إلى الكنيسة إلزامياً حتى أيام الأحد بالرغم من أن غارسي ماركيز كان يتوجه إلى الكنيسة، وربما كان سبب حضوره إلى الكنيسة كي لا يضطر إلى أن يكذب على أمه في الرسائل التي يرسلها إلى أهله. كانت هذه الحرة أمراً استثنائياً عربياً في كولومبيا في عقد الأربعينيات من القرن العشرين. وكما يتذكر غارسيا ماركيز في وقت لاحق، فإن هناك الشيء الكثير الذي يمكن قوله عن

الحياة في ثياكيرا عدا وجبات الطعام اليومية الثلاث والحريفة، التي هي نمط من أنماط الاستقلال الذاتي وإن تحت المراقبة، والتي تفوق حدود الحرية في سته.

وسبطل عارسيب ماركيز يشعر بالامتنان للمدرسة لما قدعت إليه من معومات عن تاريخ كولومبيا وأميركا اللاتينية، إلا أن الأدب كان حتماً موضوعه الأثير، هذا الكتب على دراسة كل شيء منذ الإغريق والرومان وحتى النصوص الكولومبية الحديثة. لكن إملاءه كان غريباً جداً منذ تلك الأيام وحتى اليوم، وإن لم يكن ضعفاً ضعف مهاراته في لرياضيات. وعزى نفسه بفكرة مفادها أن سيمون بوليفر أشتيع عنه أنه كان كثير الأخطاء في الإملاء. ويقول عارسيبا ماركيز بعد ذلك إن أمه كانت أفضل معلم له في الإملاء، إذ كانت تعيد إليه الرسائل التي كان يرسلها إليها وقد أحرث عليها تصحيحات إملائية.

في عطلات نهاية الأسبوع كان عارسيبا ماركيز يمارس بعض الألعاب. فكان يلعب كرة القدم مع أصدقائه إلى حد ما في هاء المدرسة، أو يذهب إلى دار السيماء، أو يطوف في لشورع أو المروح المرتفعة في ثياكيرا ونحج أنجار اليوكالبوس. وفي بعض الأحيان كان يسافر في يوم من أيام الأحاد بالقطار إلى بوعوتا التي تبعد ثلاثين ميلاً بريارة أقربائه الساحليين. وفي إحدى تلك الريارات عرقه أحد الأصلاء في الشارع إلى قريب بعيد هو عوشالو عوشاليت وكان يشتغل في صحيفة الاسيكاندور. وقد ترك لما عوشاليت المولود أيضاً في مدينة اراكاتاكا صورة نادرة عن الشاب عارسيبا ماركيز آنذاك: "لا بد من أنه كان في سن السابعة عشرة ولم يكن وده يريد على خمسين كينوغراماً. لم يقترب مني. ولم يقل شيئاً قبل أن أناذر بالكلام. وعلى الفور أدركت أن هذا العلام منهجي ومصبط وكثير التأمل. ولم ينقل من المكان الذي كان فيه، وكان يسير بحذاء قدمي، ولكن نظف، على الرصيف نارة وعلى امتداد إسفلت الشارع السابع نارة أخرى. لعله كان شخصاً محملاً لم يُرد أن يُظهر جرعه. كان حذراً، تلوح عليه مسحة حزن، مستوحداً ومغموراً. ولكن ما إن تغلب على تحفظه المبني حتى بدأ بالتواصل ونظهر عليه انفعالات منضبطة حتى إني سمعته يقول في ما بعد عن ذلك المظهر إنه "مظهر الرجل الطيف". وبعد دقيقة أو دقيقتين يبدأ بالحديث عن الكتب..." (40)

القراءة هي النشاط الرئيسي لهذا الشاب العاض في ثيباكيرا. في بارانكيا قرأ كل رواية رخيصة حصل عليها من روايات حول هير و أميليو سالغاري وما يكفي من الشعر الرديء وكلاسيكيات العصر الذهبي الإسباني. وكان يحفظ عن ظهر قلب تلك لقصائد والآن، شرع المراهق المستوح بقرأة كل كتاب يستطيع وضع يده عليه، فعكف على قراءة مكتبة الأدب، ثم تحول عنها إلى كتب الماريش وعلم المس والمركبية وخاصة مؤلّفات إنغلز - وحتى مؤلّفات فرويد وتوفعات بومستر داموس. وفي الوقت عينه، شعر بالملل من متطلبات تعليمه الرسمي الصارمة، وأمضى الوقت وهو يحلم أحلام يفظه حتى كاد الأمر أن يصل به إلى إضاعة منحنه الدراسية. لكنه بعد أسبوع واحد أو أسبوعين من الدراسة أثار دهشة زملائه في الصف ومعلميه عندما أصبح الأول في صفه.

في أواخر العام 1943 عاد غايتر إلى سوكري مرة أخرى. كان عليه أن يعود إدراجه إلى هذه البدة الهرية النائية من المدرسة في بارانكيا و ثيباكيرا، ومن الجامعة في بوغوتا، ومن أعماله في كارناحسا وبارانكا إلى أن انتقلت الأسرة إلى كارناحيب في العام 1951. في هذه البدة، وفي غيرها من البدات القريبة، يلتقي بنماذج لعدد من أشهر شخصياته. من فيها إيريديرا الرينة النعية التي سطلق عليها اسم ماري ألباندرينا ثيردشس في قصة موت معلن. في حين كان بعيداً في ثيباكيرا في تلك السنة الأولى، كان الطفل التاسع هيرناندو (مانتشي) قد ولد في أواخر شهر أذار. وفي حين كانت الروجة حاملاً، كان اعماك غابريس إينخو في المعركة قد أوقعه في شر أعماله مرة أخرى إذ ولد له طفل آخر غير شرعي. في هذه المرة ثرت نائرة لويسا وابنتها الكبرى مارغوت، وخيّل لغابريل إينخو أنه ربما تحاور جدوده، لكنه كعادته، أفلح في استئمانها إلى رأي⁽⁴¹⁾.

مرّ عارسيا ماركير في أثناء تلك انعطلة بتجربة عاطفية منقّدة أخرى، وكانت هذه المرة مع شابة سوداء شهوانية سماها بيرماتا (وهو الاسم الذي سيسمى لامرأة سوداء فاسقة تظهر في الفصل ما قبل الأخير من رواية سنة عام من العزلة) يعمل زوجها شرطياً. ويروي لويس إيريكي جزءاً من الحكاية فيقول: "في منتصف إحدى الليالي القبي عابيو شرطياً على جسر العاريت بلدة سوكري، وكان

الشرطي في صريقه إلى بيته هيمبا كان عايتو عائداً من بيت زوجة الشرطي. حين أحدهما الآخر. واستفسر الشرطي عن أحوال أسرة عايو في حين استفسر عايتو عن أحوال زوجة الشرطي. وإذا كانت تلك القصة تروى بها أمي، فيمكنك أن تحيل القصة التي تعرفها ولا تروي شيئاً عنها. كما أنها لا تروي تلك القصة كاملة أيضاً لأنها انتهت عندما طلب الشرطي من عايتو أن يشعل له سيجارة وعندما اقترب اكفهر وجهه وقال: اللعبة علمك يا عايتو. لا بد من أنك كنت في المعنى لأن رائحة عاهره سمعت منك لا طاقة حتى تذكر الماعر بها⁽⁴²⁾. وبعد مرور أسبوع - وعقب رؤيته عارسياً ماركير - صطه الشرطي متلصصاً في العرائش مع زوجته (وكان قد استلهم لنوم لسوء الحظ) وهدده أن يلعب معه الروليت الروسية وأنه سيكون اللاعب الوحيد لكن رجل القانون رفقاً له، لا لأن لديه نفس السرعات السياسية التي لدى والد عارسيا ماركير وحسب، بل لأنه تذكر أيضاً، وبكل العرفان، مدسة مرت عندما عالجه عابريين إليحبو وشعاه من نوبة مرض اسيلان التي لم يستطيع أي طبيب آخر أن يسهبه منها⁽⁴³⁾.

كسر عايتو وبدا مناسباً لسه. ويتذكره رفاقه في ثيباكيرا أنه كان نحيماً، مهنجاً، يرتفع ويشكو دوماً من شدة برودة الجو، ونحو شعره الذي كان يمنعه وبصرقه من منصف رأسه إلى أسلاك حديدية لم يتمكن من السيطرة عليها بعدئذ⁽⁴⁴⁾. ولم يعد يحاول الظهور بمظهر الكاتشاكو؛ ررياً، بنشاب أيقه وشعر مدهون ومرتب في كل الأوقات، وبدأ يظهر حقيقه نفسه وماهيتها. فظهر شارب ساحبي فوق شفته المراهقة وتركه سمو كيهمبا شاء. واستبدل المدير لسائق مشاعر شاب يدعى كارلوس مارنس. لم ينحاور من الثلاثين، بدا وسيماً مثل نجوم حفلات مع بعد الظهيرة السيمائية والمسرحية. وكان عضواً في حركة رمل وسماء الشعرية العصرية والتي كانت دائمة الصب في بوعو. لم يكن يُنظر إلى هؤلاء لشعراء على أنهم توريون في معظم جمهوريات أميركا اللاتينية في ذلك الوقت. وكانوا قد استمدوا اسم الحركة من ديوان شعر الشاعر الإسباني جوا. رامون خيميث. لكن كولومبيا كانت دوماً موطن الشعر أكثر مما هي موطن الشعر؛ باستثناء لحص التي كانت سمة من سمات البلاد الوطنية وكانت أيضاً بلد الثورات المحافظة في الأدب.

كان موروثها الشعري ثرياً، بل كان الموروث الأقوى في قدرة اشتهرت بشعراتها المعطام لكنه كان موروثاً يعمل في نطاق ضيق، وكانت الواعية الاجتماعية والتدريسية للبلاد عاتية تقريباً على أدب البلاد في تلك الأيام. كان شعراء كولومبيا احدد مثل إدواردو كارانشا، وأرتور كامات راميرث، وجورخه روجاس، وكارلوس مارتى، يعكسون أعمال جيمييث وحين الشعراء الإسبان المتأخرين في العام 1927 وشعراء أميركا اللاتينية لصليعين مثل نابلو بيرودا الذي رار يوعوتا واتصل بالحركة في أبلول من العام 1943.

في الأشهر الستة التالية، حلّ اشاعر مارتى محل المعلم التلمث كارلوس كالدبرون هيرميذا بصفته معلم عارسيا ماركير في مادة الأدب الإسباني. كان عارسيا ماركير قد شرع بكتابه الشعر بالاسم المستعمل حايبير عثرنس، وكان كارلوس مارتى قد ركز، وبخاصة في مؤلفات روبن داريو شاعر بيكرافوا الكبير الذي أحدث وحده تقريباً تغييرات ثورية في اللغة الشعرية في كل من إسبانيا وأميركا اللاتينية بين عام 1888، اندي صدر له فيه كتاب أزرق، وعام 1916 الذي توفي فيه. وقد بات داريو الذي كانت طفولة تشبه طفولة عارسيا ماركير شهراً خفياً واحداً من النجوم الأساسيين في أوتب الشعر الكولومبي⁴⁵. وبدأ ينظم فصائده على عرار الآثار الفنية لكبار الإسبان مثل عارثيلا دي لايبعا وكيفيدو ووركا والأميركيين اللاتيين مثل داريو وبيرودا. ونظم سونيات بناء على طلب فتمن بقدموها إلى صديقاهم وفي يوم ما، قرأت إحداها واحدة من تلك السونيات أمامه وهي لا تدرى أن عارسيا ماركير هو نفسه الذي كتبها⁴⁶. ونظم أيضاً فصائد حب أهمها علاقاته بفتيات المنطقة وقد ظن عارسيا ماركير بشعر بالبحر بعد أن تقدم به اعمر لتلك المحاولات البدائية حتى كاد الأمر أن يصل به إلى حد إكثار كتاباته العديد منها.

نظم الطلاب الساحليون حملات الرقص في ابليله كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. فالتقى عبر هذا الطريق وغير غيره بعدد من الشباب وكانت إحداها وهي بيريس مارتينيث شريكته في حفلة حب رومانية قصيرة، لكنها عبقه على ما يبدو، وذلك في الأيام الأخيرة من إقامته في ثيباكيرا.

كانت قد ولدت في الشهر نفسه الذي ولد به عاريسا ماركيز. نتذكر في العام، 2002 وهي أرملة ولها ستة أطفال وتعش في الولايات المتحدة، أن عاريسا ماركيز أغرم بها من النظرة الأولى وأن لحماسه القوية التي جمعت بينهما تمثلت في أعالي البولير لشائعة يومئذ، فكنا أحدهما يعني للأخر مفاطع منها في أثناء قصة حبهما الرومانسية⁴⁷ ومن الفتات المواني تعلو عليه سيهاش سيسيليا غوناليت يثاغو "التي لم تكن حبيبة أحد، وإنما عروسة لكل مدمني الشعر، وكانت ذكية، بل شديدة الذكاء، ذات شخصية فائقة وروح متحررة، وتنتمي إلى أسرة قديمة مولية لحرب المحفظين فضلاً عن ذاكرة مخارقة في حفظ الشعر"⁴⁸. كانت سيسيليا تُدعى ذات الذراع الرحلة الصغيرة لأنها كانت فتاة شقراء جميلة مقفلة بالخيرة والشاط، يجاد غاينو وإياها الحديث عن الشعر باستمرار. وظل معظم القراء أم صديقه.

لما معامرات أخرى كالهروب ليلاً إلى المسرح والتسلل تحت جح الظلام للماءات غير مشروعة، ولم يبدُ بواب المدرسة قدراً على أن يصط أيًا من العاريس سرًا، فاستنتج الفتات أنه متواطئ معهم صمًا. ثم أقام عاريسا ماركيز علاقة مع امرأة مسنة متزوجة بغيث، وكان في أثناء عياب زوجها يتسلل ليلاً إلى مخدعها في هاية متاهة من الحجرات والمخبرات في أحد بيوت ثيباكير التي ترفق إلى عهد الاستعمار. ويدون عاريسا ماركيز هذه التجربة التي تستحق أن تكون رواية من تأليف بوكاشيو، في مشهد لا ينسى في مطلع رواية منه عدم من العرلة حيث يمارس حوسيه آر كاديو الشاب تجربته العاطفية للمرة الأولى بعد أن يتحسس حريقه في الظلمة في بيت يعج بأجساد عليها النوم على أراجيح شبكية⁴⁹.

كان كارلوس مارس يعرف جميع الشعراء الكبار من أبناء جيله. وبعد مرور بضعة أشهر على وصوله دعا اثنين من أكثر أولئك الشعراء تأثيراً، وهما إدواردو كارانزا وخورخه روجلس لإلقاء محاضرة في ثيباكير، وتشرف عاريسا ماركيز وأحد أصدقائه بإجراء مقابلة معهما في الصالة الكبرى في ذلك السات المعاند إلى الحقنة الاستعمارية والذي استأجره مارتن في الميدان العام في البلدة. كانت تلك المقابلة هي أول اتصال يجربه مع الأدب الحي بأعلى مستوياته. وعلمه شعور بالهجنة والخرح

عندما عرّفه مارتن إبن الرائين المشهورين على أنه شاعر عظيم⁽⁵⁰⁾. لكن لسوء الحظ أصبحت الحريده الأدبية التي أسسها الفتيان صحبة غير محتملة لتصورات السياسة الوطنية وكذلك تجربة غارسيا ماركيز الأولى في العنف الذي أخذ يهدد كولومبيا الجديدة والذي كان الرئيس لويس بومارينجو يحاول نشره. وفي العاشر من شهر تموز عام 1944 أُحطف بوبيت بومارينجو، وكانت قد مضت سنان على فترة رئاسته الثانية، في ملده ساستو في محاولة انقلابية دعمها السياسي المحافظ المتطرف لوريانو غوميث الذي اشتهر في أوساط البيرويين باسم المسح. واضطر لوبيت بومارينجو إلى الاستقالة تحت ضغط متزايد في الحادي والثلاثين من شهر تموز عام 1945 وحلّ محله ليبرالي آخر هو أليخاندرو بيراس كامارغو الذي أمضى السنة الأخيرة من الحكم في جو يسوده بوترة مترايد. وأرسل كارلوس مارتين بصفته مدير المدرسة بركة تأييد إلى القصر الحكومي بعد مرور بضعة أيام على المحاولة الانقلابية. بعد ذلك عدة فصول، وصل إلى المدرسة عمدة نيكاراغوا المحافظ برفقة كتيبة من رجال الشرطة، وصادرو نسخة العدد الأول كتبها من الحريده الأدبية التي طُبعت خصيصاً في ورشة طباعة في بوغوتا. وبعد مرور بضعة أيام انصل وزير التربية هاتماً بالمدير الجديد، و استدعاه إلى مكتبه، وطلب منه الاستقالة.

عاد غارسيا ماركيز إلى صفوف اليسور كالديرون هيرميدي واستأنف قراءاته. وأشار إلى أنه وجد مؤلفات فرويد تنسب لمؤلفات جون هير من ناحية تأملاتها وتحليلاتها⁽⁵¹⁾، فأقنمته في تقديم مقالة بعنوان **الذهان المفرط كتيبة**، ويا للمفارقة، وهو رهن المدرسة⁽⁵²⁾، وكانت عن فتاة، تحولت إلى هراشة، وطارت بعيداً ومرت بسلسلة من المعاصرات العجيبة. عندما سخر زملاء غارسيا ماركيز في الصف من مثل هذه التبحرات، أشرح المعلم بمساعدته وتشجيعه وقدم إليه نصيحة عملية بشأن تنظيم أدوائه الثرية والبلاعية التي يمكن له أن يلجأ إليها. طاف القصة في جميع أرجاء المدرسة حتى وصلت إلى سكرتير المدرسة الذي قال إن القصة ذكرته بقصة كافكا المسح.

كانت العاصيب مدهلة لأن غارسيا ماركيز ظل يردد أنه سيع عن كوك أو مرة في بوغوتا عام 1947، وأن تأثيره به دفعه مباشرة لشر أول مجموعة قصصيه له⁽⁵³⁾. لكن بالرغم من ذلك، يبدو أنه ربما قرأ أعمال كافكا في المدرسة. ولما بشر

الانتباه أن روايه البديل التي قلّمها إليه غوميث تامارا لا تعدّ واحدة من أغرب مؤلفات دوستويفسكي وحسب، كما أشار إلى ذلك غوميث نفسه في ذلك الوقت، بل تعدّ أيضاً واحدة من أكثر مؤلفات الروائي غير المشهورة أهمية. على كل حال، كان أحد قراء الرواية هو فرائر كافكا. ولا بد من أن الفكرة المتمثلة بأنه لدا أكثر من شخصية واحدة وأكثر من هوية واحدة، هي فكرة مريحة من مختلف أرجاء العلاج النفسي لشباب مثل عارسيا ماركير الذي كان مضطرباً أكثر مما كان يبدو عليه، ومراً بمشكلات عاطفية حد حصره في مدرسته السابقة، وها هو الآن لا يواجه تحدياً أكبر وحسب لثفته وإحساسه بالدات على وجه العموم، بل حاجته إلى الاستجابة لأعراف بوعونا الثقافية في ما يخص السلطة والدوق والمدينة. ورغم اسيرور كاندبسون في ما بعد أنه أحرر تلميذه المحيب، الذي ظن معظم المراقبين في ذلك الوقت أنه كان تصويري أكثر مما هو كاتب، أن في مكانه أن يعلن "أفضل روايتي في كولومبيا"⁽⁵⁴⁾. مما لا ريب فيه أن مثل ذلك الدعم المعوي ما كان ليقدّر بنمن.

بالرغم من نشاط عارسيا ماركير خارج الصف المدرسي واهتمامه المتقطع بالتراماتة المدرسية، فإن امتباره في المدرسة استمر في النمو، ففي اليوم الأخير من العام 1944 وفي نهاية السنة انتابه من دراسته، نُشرت في صحيفة اليتيمو، وهي أهم صحيفة في كولومبيا، إحدى قصائده في ملحقة الأدبي بالاسم المستعار حاير عارتيس. وكان ذلك مصدر حرج شديد لمؤلفها على مدى ستين سنة، لكنه كانت حينها اعترافاً منهضاً بالفق ذي السعة عشر عاماً والذي لا تزال أمامه سنتان قبل أن ينهي دراسته في المدرسة الثانوية⁽⁵⁵⁾. كانت قصيدة أغنية مهداة لصديقة اسمها لوليتا بوراس ماتت ميتة مأساوية قبل مدة غير طويلة، وكان مطلع القصيدة بيتاً للشاعر إدواردو كاراشا زعيم جماعة حجر وسما، وكانت تبدأ على هذا النحو:

أغنية

"السماء ماطرة في هذه القصيدة"

إ. ل.

* * *

السما ماطرة. العصر نصل سحابة
مطر.

العصر مشيع

بحزنك

أحياناً، تأتي الرياح

بأغيتها، وأحياناً..

أشعر بروحي ملتصقة

بصوت الغائب.

* * *

مطر

وأنا أفكر فيك وأحلم

لا أحد يأتى عصر اليوم

إلى أحزائي،

المغلقة بقوة.

لا أحد. غيابك وحده

هو الذي يعذبني ساعة فساعة

وعداً، يأتي حضورك

بمجيء الأزهار

* * *

أفكر - والمطر بنهم -

في نظرتك البرققة.

خاتة مثل فاكهة طازجة،

بهيجة كحفل،

اليوم يبرغ اسمك

ها في قصيدي⁽⁵⁶⁾.

يحكمم عارسيا ماركير على أشعاره التي نطمها أنام مدرسته قافلاً: "كانت
نمارين في الأسلوب وحسب، نفتقر إلى لإهام أو الطموح، ولم أعزّل على قيمتها
المسنة لأهما م تصدر عن أعماق نمسي"⁽⁵⁷⁾. في الحقيقة، إن أول قراءة للقصيدة

باهيك عن موضوعها - تشير بلا أدنى ريب إلى أن شحتها الوجدانية قوية إلى حد ما. أما الجانب النفسي فهو اشتقاقي وهو أثر من آثار نيرودا في عشرينيات القرن الماضي وليس شيئاً - لكنه جانب ثانوي. يبدو الحقيقة أن غارسيا ماركيز يشعر بالمرح، في أكثر جمهوريات أميركا اللاتينية نظماً لشعر، لا بسبب عبورها الفسة غير المفهومة في بداياته الشعرية المبكرة وحسب، بل بسبب العواطف التي لم يعر عنها ولكنه شعر بها عندما كان مرافقاً. لا يدل له من أن يفسر لنا تعوقه الأدبي المتنامي والذي يُعدّ استمراراً لبراعته الفنية في بارانكيا، والسبب الذي جعل غارسيا ماركيز يلقي كلمة التحرح الاحتمالية في السابع عشر من تشرين الثاني عام 1944 التي ودّع فيها الطلاب الذين كانوا يسبقونه لمرحلتين دراسيتين. وكان موضوع الكلمة هو الصداقة، وهي إحدى الأفكار المهيمنة والتكررة في حياته المستقلة.

في العام 1944 لم تأخذه رحلة العودة إلى البيت إلا إلى ماعاني. لقد كانت أسرة غارسيا ماركيز سعيدة كما ظنت واستقرت في سوكري، غير أن السعادة كانت دائماً تجربة مؤهنة ورائلة لغابرييل إليخيو الذي قرر فجأة أن يقل أفراد أسرته على مصبص إلى ماعاني، تلك المدينة الواقعة على امتداد النهر، الحارة والممتدة بعيد انتظام، والمنسطة التي تحيط بها المستنقعات، على تنوء جلي يطل على بحر مجدليا، وهي أهم بلدة نهرية بين مجدليا وعرع البلاد. ثم سبب بدوع للاعتقاد أن غابرييل إليخيو كان يهرب من موقع ثغاره وإحراجاته الجنسية، لكن هذا الخروب لم يبعده من اتخاذ موقف تأديسي من أفعال ابنه الثاني لويس إريكلي الذي أرسل بعيداً إلى مدرسة إصلاحية في ميدلين تمضية ثمانية عشر شهراً فيها

في ماعاني تذكرت أخوات غابينو لقاء ميرثيديس بارتشا التي ستعلو زوجته مستقبلاً. وقد رعم غارسيا ماركيز مراراً أنها كانت في سن التاسعة عندما التقاه، مما يجعل لقاءه، لأول بين تشرين الثاني 1941 وتشرين الثاني 1942 - حتى حين سفره إلى ثيباكيرا - وأنه كان يعلم حتى في ذلك الوقت (وهو في سن الرابعة عشرة) أنه سيتزوج بها⁽⁵⁸⁾، أما ميرثيديس التي تزعم أنها "لا تتذكر شيئاً مبرياً عن الماضي"، فأكدت أنها التقت أول مرة الرجل الذي سيعود روحها مستقبلاً عندما

كانت صغيرة جداً⁽⁵⁹⁾. والآن، وفي مطلع العام 1945 يكتب قصيدة بعنوان سوناتا الصباح إلى تلميذة مدمسة روحية. ولما سب موي للزعم أن تلميذه المدرسة المشار إليها لم تكن سوى ميرثيديس بارتشا، وكانت قد ألقت توأ السسة الأخيرة من دراستها في المدرسة الابتدائية. وانتشرت القصيدة في مختلف أحياء ثيياكيرا وماعافي وكانت أثيراً حماسياً آخر من شعر بيرودا، وكانت النسخة المطولة بعنوان فتاة وحسب، وتوقيع خايبير غارنيس:

فتاة

تُسَلِّم علي وهي ثمر، وكانت
أنفاسها المنيعة مع صوتها
في باكورة ذلك الصباح، تلقى بالمشاورة،
لا على جواب الضوء الأربعة في حجرتي وحسب، بل على أنفاسي
ودروحي.

* * *

هي مبكرة كالصباح،
لا تصدق مثل أي رواية،
وفيما هي تقطع الطريق وسط اللحظات
يبقي الصباح قطرات من دم أبهى نقي.
* * *
إن ارتدت الأوراق فهي ذاهبة إلى المدرسة،
لا أحد يعرف إن كانت تسير أو تطير،
خطواتها وثيدة، أنبه بومة.

* * *

في زرقه الصباح لا أحد يقول
من من الثلاثة هو لصباح،
من هي السسة، ومن هي الفتاة⁽⁶⁰⁾.

* * *

إن كانت السوناتا من أجل ميرثيديس حقاً، فإنها واحدة من الأشياء القليلة جداً التي تفوه بها غارسيا ماركيز علانية عنها من دون أي لمسة فكاهة أو مفارقة.

لا بد من أنه رجع إلى المدرسة تخامره مختلف المشاعر في شاط من العام 1945 فقد بدأ يدعى رهاء أربعين أو خمسين سجارة يوماً، وهي عادة سحتفظ بي على مدى العقود الثلاثة التالية⁽⁶¹⁾ وكان يجد في أثناء الدروس سبباً كافياً للحواء إلى دورة الماء وكان ينتظر بهمة فترة الاستراحة تصرف إلى حد ما نصرف متمرد حذله السطام، أو مثل شاعر لا يصبر به أي نظام وبدأ يشعر بالصبر من جميع الدروس باستثناء درس الأدب، ووجد صعوبة في دراسة موضوعات لا تثير اهتمامه. وطالما عثر عن دهسته إزاء نجاحه المدرسي وتوقع أن يفهمه معلّموه استناداً إلى دكانه المفترض لا إلى معجراته لحقيقة.

بالرغم من شعوره بالاعترا، فإن سلوكه وسجله يهددان أنه احتير واحداً من ثلاثة صبيان يراهمون مدير المدرسة عند سفره إلى القصر الوطني في بوغوتا لصلب مساعدة مالية من الرئيس يراس كامدعو الذي حل محل لويث، بوماريجو في فترة الطوارئ، وذلك للقيام برعاية دراسية إلى اساحل. ولم يوافق يراس وحسب، بل حصر أيضاً جعل التخرج في نهاية السنة. وبدأ غارسيا ماركيز تتعرف عن كتب إلى هذا السياسي اليساري الدرع في السنوات التالية، وبقيم معه واحدة من تلك العلاقات المتكافئة تكافؤاً عرياً وهو رجل بوغوتا القوي. مما لا ريب فيه أن سن الثامنة عشرة هي سن صوح مبكر إذ يلتقي فيها المرء أول ما يلتقي مع رئيس الجمهورية، ويتصل فيها أول ما يتصل بكرسي الحكومة. وفي تلك السنة ألقى غارسيا ماركيز أعظم كلماته نجاحاً، وهي الكلمة المرنجلة الوحيدة. وعندما وصعت الحرب العالمية أوارها ساد شعور من الحيوية والشاط في المدرسة، وطُلب منه أن يقول شيئاً ما. فأعس أن فرانكلين دي. روزفتمكن، شأنه شأن البطل الإساني العظيم السيد، من أن "يجر الانتصارات حتى بعد وفاته". وأصحت تلك العبارة موضع حقوة واحتفال لا في المدرسة وحدها، بل حتى في جميع أرجاء البلاد، فتمزت بذلك شهرة غارسيا ماركيز الخطابية⁽⁶²⁾.

في أواخر العام 1945 عاد إلى سوكري. وكان والده قد أعلق الصيدلية في ماعامي، وعاد إلى أساليه القديمة في التجوال، دركاً لويسا وهي حامل مرة أخرى (إذا لم تكس حاملاً، فإنها فلما سُمح لها بالخروج من البيت) لترعى شؤون العائلة

الكبيرة في بيت متنقل. ولدى رجوعه، عاد بالأسرة محدداً إلى سوكري ليسكنوا بيتاً غير ذلك البيت الأولي على بعد مسافة من الميدان، وند الصيلة، ووجه نفسه للصب التجاسي. وولد الطفل العاشر ألفريدو (كوكي) في شهر شاط، وتولت ماريوت تربيته تربية فعيلة.

سمع عابيو لنفسه الان أن تنقاد تماماً وراء طبع أخيه الأصغر سناً، دي القلب الطيب الذي لا سبيل إلى تقويمه في الوقت عيبه. فالتحق على الفور بفرقة لوييس إريكسي الموسيقية، وبدأ يسهر طوال الليل خارج البيت، ويراد المخرج المحبة، ويمس آخره الأعظم من نصبه من المال الذي تحصل عليه الفرقة في العربة لمره الأولى في حياته. وفي أيام الميلاد، وبدلاً من أن يساهم بصيه في المال المحصص لاحتفالات هامة اسف، فإنه كان يتوارى عن الأنظار في بلدة ماحاتوال القريبة ييمضي عشرة أيام في المبعي، "يرجع الخطأ كله إلى ماري أليخاندريا ثيرياتس، تلك المرأة الاستثنائية التي التقيتها في أول ليلة وفقدت بسببها عقلي في أصول حفلات المسر والأكس وأشدّها صحواً وعريضة في حياتي" (63).

بعد حشرات كثيرة وفترات صمت طويلة سألت بويسا عنها الكرك عما يجري، فردّ عليها بالقول "لم أعد أتخيل أي شيء. هذا هو الذي يجري". "ماذا؟ سس؟"، "بسبب كل شيء" أحرها أنه برم بالحياة، برم بالدرسة، وبرم بالأمال التي تعلق عليه. لكن لم يكن ذلك هو الرد الذي يمكن لأمه أن تنقله إلى أبيه عابريو إليخيوي، لهذا وصلت الكلام برهة من الزمن، وأخيراً اقترحت أن الحل بالنسبة إلى عابينو هو أن يدرس الحقوق، شأنه في ذلك شأن كل الشبان الطموحين تقريباً في أميركا اللاتينية في تلك الأيام وقالت له بدهاء: "على كل حال، إن دراسة الحقوق مفيدة لتعلم الكتابة، وقد ذكر الناس أن بي وسعك أن تصبح كاتباً جيداً". ونحسب ما أوضح عابينو في مذكراته، فإن رده الأول على أمه بخصوص الموضوع كان ردّاً سلبيّاً: "إذا كان على المرء أن يصير كاتباً، فلا بد له من أن يكون كاتباً كبيراً، لكن صناعة مثل هؤلاء الكتب توقفت". إن القارئ يواجه ادراكاً مدهشاً وهو أن الشدب، وإن لم يكن قد مرّ بعد مؤلفات جويس أو فوكس، إلا أنه لم يكن مهتماً بأن يكون كاتباً، كأولئك الكتاب اللاتينيين الذين قد يمثلون القرن العشرين. لقد

كان يعني من أعماق قلبه أن يكون داني أو ثيرباتس! ولم تستسلم لويسا أمام استحيائه، لذلك أفلحت في الأيام القليلة المقبلة في عقد مفاوضات ممتازة حتى من دون أن ينقش الأب والابن الموضوع وجهاً لوجه: لقد وافق عابرييل بإيجوب، بالمرغم من مأساوية التصرف، على ألا يسير الابن في مهمة أبيه في القطب، ووافق عابيتو على ألا ينهي دراسته ويحصل على شهادة الكالوريا، وإنما يلتحق بالجامعة الوطنية للدراسة الحقوق. وهكذا تم تعادي ثمرد مراهق وأرمة أسرة كارثية^(١٤).

لا بد من أن غارسيا ماركيز، الذي أصبح الآن أشبه بالفاقد الأخلاقي، قد اتانته الدهشة عندما وجد مع اقتراب الميلاد أن تلميذة المدرسة الروحية القادمة من ماغامي قد انتقلت إلى سوكري. وكان اسمها الكامل هو ميرثيديس راكيل بارتشا باردو، وهي ابنة صيدلي سنو لعابرييل إيجوب أن تعرف إليه على مدى سير طويلة مد كان شاباً يقطع الأمار والأدعال في حوص يحدليها في مطلع عشرينيات القرن العشرين. وندت في السادس من تشرين الثاني عام 1932 وكانت، شأنها شأن عابيتو، الامة البكر، جميلة عني نحو عامض، داب وجسود باردو وعين سوداوين محمرتين، ورقة طويلة نحيفة وجسد رشيق. كانت تقطن في الميدان العام بمالكا كاتانو حتمي الذي كان بدوره يسكن بجانب ابنت الذي سكن فيه آل غارسيا ماركيز قبل اسعالمهم إلى ماغامي.

تخلرت راكيل باردو لويث، والدة ميرثيديس، من أسرة صاحبة مرعة لتربية الماشية، مثل أبيها تماماً، غير أن أرومة الأب ديميرو بارتشا فيلثا كانت من اسطقه الشرقية الوسطى بالرغم من أنه ولد في كورونال، وأنه كان كاثوليكياً، وكان إلياس بارتشا فاجوري والد ديميتريو قد جاء من مدينة الإسكندرية وربما من لبنان. ومن هنا جاء جمال ميرثيديس "السري الشبيه بجمال أفعى الليل"^(١٥). واكتسب إلياس الجنسية الكولومبية في الثالث والعشرين من شهر أيار عام 1932، أي قبل ولادة ميرثيديس بستة أشهر، وعاش زهاء مئة عام، وقرأ بحوم الأهالي في حيات الفهوة. وقلت لي: "كان حدي مصرياً فحاً، وكان معتاداً على أن يُرَقصي على ركنيه، ويعني بي باللغة العربية. وكان يردي دائماً بدلة من الكتان الأبيض ويضع رطله عبق سوداء اللون، وساعة ذهبية في معصمه، ويعتمر قعة من القش مثل موريس شيمالييه. لقد توفي وأنا في سن الرابعة تقريباً"^(١٦).

كانت ميرثيديس راكيل، التي سميت باسم أمها وجلتها، أكبر أولاد ديميتريو وراكيل الستة. انتقلت أسرتها إلى ماحاوال بعد ولادتها، لتعود بعد ذلك إلى ماعاي وفي نهاية المطاف إلى سوكرى. كان ديميتريو يشتغل في مهنة متعددة بما فيها التبرينات العامة، لكنه كان، شأنه شأن غابريل إلبيريو عارسياء، متخصصاً في الصبغة. وكانت ميرثيديس قد أنهت سنها الأول في مدرسة اقلب الأقدس لدير الرهبانيات المراسيسكانيات في بلدة مومكس الواقعة على الجهة الأخرى من النهر القادم من ماعاي. كانت على بعد شارع واحد من الريح المثلث المشهور لكنيسة ساننا باربارا في اليندان العام لما يعرف بأكثر المدن الكولومبية الصغيرة احتفظت بعملها التي ترقى إلى حقبة الاستعمار⁽⁶⁷⁾.

في بلدة ماعاي، أخبرني إحدى صديقات «طمولة قاتنة»: «لقد كانت ميرثيديس موضع اهتمام شديد، ممشوقة القوام، فارعة الطول، ورشقة بالرغم من أن شقيقها ماريا روسا أكثر جمالاً منها»⁽⁶⁸⁾. وكانت تساعد في صيدلية الأسرة في تلك الأيام، وكان أولاد غارسيا ماركيز^(*) يشاهلونها في أغلب الأحيان عندما كانوا يخرجون لقضاء حاجات أبهم. وكانوا كههم يدركون. لذلك وبعد فترة لاحقة، أن ميرثيديس تتمتع بإحساس قوي بشخصيتها وبسلطانها. وكان عابيتو الذي قنما حرج من أجل أي شيء على نحو مباشر، يتكأ ويتجادب أطراف الحديث مع والد ميرثيديس ديميتريو نارتشا: كان عابيتو يفضل دوماً كبار السن وكانت فصيلة ديميتريو الكبرى أنه كان يبرالياً بالرغم من صداقته بعابريو إلبيريو. وكانت ميرثيديس تنصر دائماً على أنها م تكن تدرك بيات معصها المعرم. وكانت عادة لا تفر بوجود عابيتو، فكان والدها يظر من فوق نظارته وهي تمر من أمامهما ببطء وتشامخ فيوسها بركة: «قولي مرحباً». وأخبرت عابيتو أن والدها كان يقول لها دائماً: «إن الأمير الذي سينزوحك لم يولد بعد». وقالت لي إنها ظلت تمكّر طيلة سنوات في أن عابيتو كان مُعرباً بالدها

على امتداد عطلة الميلاد 1945/1946، واته الفرصة للاقترب أكثر من هذه الفتاة طادنة والارادة عند لقائهما في أثناء الحفلات ويستذكر الراوي في قصة موت معلن: «عرف عديد من الناس أنني طلبت في عمرة إحدى الحفلات من

ميرثيس أن تتزوجي بمجرد أن أكملت تعليمها الابتدائي وهو ما دكرتني به عندما تزوجنا بعد أربع عشرة سنة⁽⁶⁹⁾. وورها بعد مرور بضعة أيام على الحفلة في الشارع ثمشي مع طفلين صغيرين وقالت صاحكة: "نعم، إلهما طفلاي". فتلقى هذه البكة الساخنة من هذه الشابة العاضة على أنها علامة سرية تعيد إلهما متفقان في الميول والشارب، فجعلته يتواصل معها على امتداد سنوات.

فعل غارسيا ماركيز راجعاً إلى ثياكيرا لإكمال تعلمه في السنة الأخيرة، وبدأت عودته بملاحظة جدية، إذ أخذ على عاتقه أن يسعد صديقه الطائش حوسيه بالثيا على الالتحاق بالمدرسة الوطنية بعد أن أحقق بالنيا في المرحلة الأولى من دراسته في مدرسته في كارتاجينا. ولقاء ذلك اشترى له بالثيا تذكرة سفر بالطائرة وسافرا جواً إلى بوغوتا بعثاه دي سي، ثري غير مكيفة، وستعرفت الرحلة أربع ساعات بدلاً من ثمانية عشر يوماً⁽⁷⁰⁾. أساجر بالثيا عرفة مسيحة في أفصل مرل في الميدان نطل نافدتها على الكاتدرائية. وقد وفرت هذه الأرضية لغارسيا ماركيز مأوى نافعاً يستمتع فيه بمكانته المتقدمة في المدرسة كطالب في الصف الثاني عشر. واشترى له بالثيا بدلة سوداء تعبر عن امتنانه. وبذلك انتهى حرح غارسيا ماركيز الذي كان يشعر به بسبب ثياه غير المرتبة التي لارمته طوال ميني مدرسة.

في وقت مكر من هذه السنة الأخيرة، بيع غارسيا ماركيز التاسعة عشرة من عمره، وكان أصبح شاعراً له قصائد مشورة، ويعطى بامتيار كبير وسط رملاء صعه الذين كان يسيهم بانتظام بقصائد هرليه أو هجائية، أو رسومات كاريكاتورية يرسمها عن رملاء صعه ومعلميه. وكان يطم قصائد خاصة لصديقاهم. لكنه ظل حتى وهو في هذه السن صحيه الكوايس التي أرعبت رملاء ومعلميه في قعدة لوم بانقدر عسه تقريباً الذي أرعبته وفي هذه السنة الأخيرة جرى معه إلى قاعة نوم صغيره حيث الذين يصطربون من صرخاته أهل عدد.

بالت كولومبيا الآن في حالة من التوتر. فقد هرم حرب المحافظين، كما كان متوقعاً، الحرب الليبرالي في الانتخابات الوطنية، وفي الوقت الذي تخرج فيه غارسيا ماركيز من المدرسة في تشرين الثاني عام 1946، بدأ المحافظون يشنون حملة انتقام

مطبوعة ضد أعدائهم السياسيين ومن كان يؤيدهم، وخاصة في المناطق الريفية حيث منح الملاحون بعض الأساب للأمل في أن إصلاح الأراضي قد يكون على جدول الأعمال السياسي. لكن هذا الشيء لم يحصل. واردادات هيستورية رد الخاضعين سبب نامي شعبية حورعه إليسير عايتان صاحب الصوت الأعلى الذي بات الآن رعيم للبراليين بلا جدال، ومرشحهم المجلس لاسخابات العام 1960. وتؤرخ مريحة العمق الهرمية التي أودت بحياه ربع مليون كولومبي من الأربعينيات وحتى الستينيات في شهر نيسان عام 1948، لكنها كانت قد بدأت فعلاً عندما كان عارسيا ماركيز في لسة الأخيرة من دراسته في بياكير.

اتاب الفلق عارسيا ماركيز بسبب امحاناته، وكان يحرق من أجل تعيد وعده لأمه، فحقق في هامة المطاف نتيجة باهرة في الامتحان النهائي، بسجته كانت تستحقه موهته غير أنه كان محطوطاً، فهي أثناء فترة مراجعته التي يسبق الامتحان سهر مع بالنبي طوال الليل، وشرب حتى اشمالة، وعرضاً إلى حظر الطرد من المدرسة، وحرماً من أداء الامتحانات مما يعني أنهما لن يتخرجا بدرجة "الكالورن" حتى العام المقبل. لكن المدير أدرت أن مثل ذلك القرار سيكون مُخرجاً وبعثاً على الأسف إذا ما انتهت حياة أفضل تلاميدته المدرسية مثل هذه النهاية. فقص القرار. ورافق نفسه المقصّرين ليؤدي الامتحانات في موعوداً بعد فوات موعدها⁽⁷⁾. وقرر عارسيا ماركيز بعد ذلك: "إن أي شيء، تعلمته هو الشكر بشهادة الكالوريا التي ملتها في بياكير"⁽⁷²⁾.

هكذا عاد اسطل إلى البيت وهو لا يزال مفتعلاً بأن إنجازاته تمثل حصة واسعة تطوي على الثقة، وبعد فهو يعتقد إلى الثقة لذلك السبب بسجته لكنه أدرك إدراكاً وهاً أن درّ الرماد في عيني أي شخص. وهو ما شعر أنه أقدم عليه فعلاً، ربما كان يعني أنه أكثر موهبة مما كانوا يظنون. فقد وطد العزم أحر، بالرغم من كل مشاعر دسب التي حمرته، على أن يصلح الأسرة وأن يتظاهر بالولاء والاحترام مشروء الحصول على شهادة في القانون، في حين أنه كان في حقيقة الأمر يسير في الطريق الذي رسمه بنفسه لحياته.

بعد مدة قصيره جداً من رجوعه إلى سوكري قادماً من ماعاني، شرع عابرييل إليخو، وهو الذي أسأجر بيماً آخر على مسافة قريبة من ميدان البلدة،

ببناء بيت خاص به، بيت مثالي من طابق واحد وسط أشجار المانجا وعلى مسافة خمسين ياردة من موعانا وعلى الضفة الشمالية. أيمكن أن يكون قد قرر أن يستقر في نهاية الأمر؟ أطلقت الأسرة اسم البيت الرمزي على ذلك البيت، بيد أن غايتو الذي كان لا يرى في العالم كله سوى بيت واحد أطلق عليه اسم "المستشفى"، لأن أباه فتح له في ذلك البيت عيادة استشارية ومختبراً، ولأن البيت كان مطلياً بطلاء أبيض اللون، ولأنه صمَّم على الرجل في أصغر إنجازاته.

لكن بما بعث على الدهشة أن البيت الجديد كان واسعاً قياساً إلى معايير بلدة سوكري، بالرغم من أنه لم يكن من المناسب مقارنته بالبيوت المصممة بسياً في ميدان البلدة. وتحسب ذكريات حيمي غارسيا ماركيز، كان البيت حياً بالرغم من عدم توفر الكهرباء فيه وتوفرها في أراكاتاكا، ولم يكن هناك ماء صالح للشرب ولا مجاري صرف صحي (فيما كان هناك مجاري صرف صحي تعمل بانتظام في أراكاتاكا). ولجأت الأسرة إلى استعمال المصابيح الزيتية التي كانت تعج من خوف الحشرات المنارية. وكان من الممكن مشاهدة الأفاعي عالياً وقد التفت على عتبات الوافد ليلاً. وكانت ثمرة حارة، وهي فتاة تدعى الأنسة حوانا، تطبخ وتنظف وتلعب مع الأطفال وتقصّ عليهم قصصاً مرعبة مصدرها الأساطير المحلية.

ثم حدث تحول كبير آخر في ظروف الأسرة حسبما تتذكر ليجيا: "جاءت أخت نرانكيسا والخالة با، وهي أخت أُمي غير الشقيقة، لتقيم معنا في البيت الجديد. وكان في وسع الخالة با أن تتوقع حدوث الجفاف وسقوط المطر لأنها كانت مطبعة على كل أسرار الطبيعة التي تعتمدها من هود عواجرا. وكما حبيماً نجبها لأنها ساعدت على تربيتها، وكانت هي التي قصّت عليّ كل القصص عن أسلاف الأسرة... ولم يوهب جدينا، أشأت أننا حديقة جميلة، وررعت الورود والأقحوان كي تأخذها إلى فورها"⁽⁷³⁾. ويستذكر غارسيا ماركيز أن ترانكيليا كانت قد أصيبت بالعمى والخرف، وكانت ترفض خلع ثيابها إذا كان المذياع مُشغلاً لأنها كانت تتخيل أن الناس الذين يتكلمون من خلاله وتسمعهم قد يراقبونها⁽⁷⁴⁾.

بما لا ريب فيه أن ثمرة رواية مثيرة للحزن والألم تخص البيت الجديد. وقد شعر غايتو بالحزن الشديد بسبب الاحتفاء بعودته إلى سوكري 'واخر العام 1946. فيها

ها والسدة الذي كانت علاقته به علاقة صعبة وكان قد عقد لعزم على غشه وحذائه وتطيئته في المستمل الصريب، وعلى المدى البعيد في الحصة انتصار مشترك وكبير: فقد أصبح عابيتو يحمل شهادة، وذلك النحر نادر في تلك الأيام حتى في أوساط الصفات الوسطى وشيد عابريل إلبيجو منزلاً جديداً جميلاً وكان قد عقد العزم على أن يذكر كمن فرد بذلك الإنجاز في الوقت نفسه لذي كان يحتفل فيه بنجاح ابنه في دراسته. وتذكر عابطة روسا: "لن أنسى الحفلة التي أقمناها بـي في سوكري عندما تخرج عابيتو من المدرسة الثانوية. فقد ذهب من دون عابريل إلبيجو إلى لينة ودعا جميع أبناء سوكري، وذبح ديبحة، وحطى الجميع بالشراب، وظلنا برقص طوال الليل" (75).

أمضى غارسيا ماركيز أكثر وقته بعيداً عن الأسرة في أثناء تلك العطلة الاجتماعية، وأنهاها بأسوأ ما يستطيع. لقد أنهى دراسته الثانوية وجمع، من دون أن يقدر على التخمين، أكثر قدر من التعليم الرسمي الذي سيحتاج إليه في حياته. إلا أنه كان لا يزال غير متأكد مما سيعمله، لكنه كان يرى أنه سيعود إلى مدينة بوعونا المثيرة للكتابة على جمال الإنديز، وسيدرس لسنوات من أجل الحصول على شهادة جامعية ووظيفة شُعر مقدماً أنه غريب عنها عربة تامة، وكان يحمي لو أنه من يزاولها أبداً

-5-

الطالب الجامعي والعنف في بوغوتا

1947-1948

التحق غابريل غارسيا ماركيز بجامعة كولومبيا الوطنية في الخامس والعشرين من شهر شباط عام 1947، مما يعني تخفية أربع أو خمس سنوات في بوغوتا، سنوات تطوي عني أيام كسبة حصاً لنشاب الذي عُرف من قبل أنه يكره المدينة. لم تكن الرحلة الملحمية من سوكري إلى العاصمة المرتفعة عن سطح الأرض بأسفلة اختيارية وبالمطار حصلاً ملؤه الأمن الذي كان يتوقعه في مناسبات سابقة. فقد كانت كولومبيا نفسها في حالة من التوجس الرهيب حيث حكومة أقيية من المحافظين تخبت حديثاً وعقدت العزم على التثبت بالسلطة فيما كان الحرب المبرالي، وهو حرب الأعليية، في نوبة إحباط شديدة بسبب خطأ تقدير الحرب في السماح لمرشحين هما صربيه وعائبان بالتنافس ضد المرشح المحافظ أوسيا بريت. أراد غابريل إنخيو أن يخرج منه طبييا، وإذا لم يتمكن من أن يصبح طبيياً فلا بأس من أن يعدو قسيساً أو محمياً لقد أرسنه للدراسة في العاصمة من أجل التفوق الاجتماعي والعكس المادي ومن المؤكد جمع ثروة مالية بوجود المحافظين في الحكم. أما الأدب فليس سوى مشهد حاسي محموف بالمحاطرة. لقد أفلح غابرييل في معادي المواجهة في الوقت الراهن، لكن شهادته الحقوق، التي كثر حوادم، عدت الابدريعة وسيرغم غابريو في هدية المظاف على أن يصبح ذلك الكذاب الذي صنما تحدث عنه والده

شيد المستكشف الأندلسي كولالو خيميبيث دي كيساندا مدينة بوغوتا في السادس من آب عام 1538 فوق منطقة جبلية عامرة بالملح والذهب والرمد

وأصبحت موطناً أسطورياً للباحثين عن الذهب، وقد أسماها دي كيسادا باسم سالتا بي، إذ عُرفت في نائي الأمر بالاسم سالتا بي دي باكاتا، ثم أصبحت سالتا بي دي بوعوتا. وظلت على مدى عقود رمزية طويلة مدنية مبددة إلا أنها استعادت شأنها في أواخر القرن العشرين وكأن البصمة الدينية لاسمها قد تخلص المدينة وترفعها مرة أخرى فوق مستوى البلد النوحش الذي تظل عليه عن عرشها الأخضر الرمدي كانت بوعوتا على امتداد التاريخ على صواب، أما بقية البلد فعلى خطأ. وبالرغم من ذلك، وعلى ارتفاع ثمانية آلاف قدم عن مستوى سطح البحر، غدت هذه المدينة الباردة عالماً والمضرة عادةً عاصمة غريبه لمثل هذا البلد المتروك والباري أصلاً. وفي العام 1947، بلغ عدد سكانها مسعمنة ألف نسمة من الكاتشاكو (وهي كلمة يمكن أن تُرجم إلى غندور أو محادع)⁽¹⁾.

عدت بوعوتا نفسها على مر التاريخ مدينة الملعة الإنسانية الأوضح بطقاً في جميع أنحاء العالم بما فيه إسبانيا نفسها⁽²⁾. فهي أربعينيات القرن العشرين كان معظم السياسيين في كولومبيا محامين، درس الكثيرون منهم، لا سيما المحامين الليبراليين، في الجامعة الوطنية. ووقع المدينة الجامعة الجديدة، التي تعد معلماً من معالم العمارة، وشيدت في العام 1940 ولم تكتمل إلا في العام 1946، في ضواحي بوعوتا التي تحيط بها السافانا من الجهة الخلفية. وفي ركن عارسيا ماركيز كان عدد طلابها يربو على الأربعة آلاف، نصفهم من الأقاليم. وقد نظر اليمين السياسي إلى الجامعة على أنها مرتع للشيوعية.

عثر الطالب الجديد على ثرل في شارع فلوريان سابقاً، الدور الثامن الآن قرب معطف شارع جيميث دي كيسادا، وهو ثرل سكن فيه عدد كبير من الطلاب الساحليين. كان شارع فلوريان واحداً من أقدم الشوارع في المدينة وفصلها، ويواري أشهر الشوارع هطة "سيتيما" أو الشارع السابع. ربما كان ثرل عارسيا ماركيز يبعد ثلاثمائة ياردة عن تقاطع الشارع السابع وشارع جيميث دي كيسادا وهي مظنة تعد عموماً مركز المدينة الاستراتيجي، ووصل الأمر ببعض الرصيين إلى أن يصغوها بأنها "أفضل معطف شارع في العالم".

شارك عارسيا ماركيز إحدى غرف الطابق الثاني من الثرل مع عدد من الطلاب الساحليين من صهم حوسه بالثيا. كانت الغرف مريخة بالرعم من أنها لم

تكن بادحة ووجد عرسب ماركيز صعوبة في تدبير أموره بالرغم من كلفة السكن لامصاوية، فكان حاجة إلى القود دائما "كان لإحساس يحلم في دوماً بأن آخر خمسة ستافو نقصي". ولم يندمر كثيراً فقط بسبب المظاهر المؤلة هذا الأمر، لكن بالرغم من جهود عابرييل إلحيو، التي كانت تعني أن الأسره دائماً تود مستوى الفلاحين والبروليتاريا، فإن الفقر المدلل كان ممحاً مصلأ من ملامح طفولة غاييو وشانه. وما بعد ذلك أيضاً.

تعيد ذكر به المؤمة عن تلك الفترة إلى الأدهان إحدى ملاحظات كافكا ألا وهي: "إن درسه الحقوق كانت أنه بالعيش عن بشارة الحشب، بالمعي العطي، بشارة حشب سبق أن لأكها ي أفواه الآلاف من الناس". وكان من صعب المعلمين ابن الرئيس السابق ألفوسو لوبيث متشيلسين الذي سيعود بدوره رئيساً مستقلاً. في تلك السنة الأولى يحق عرسب ماركيز في الإحصاء والديموغرافيا ولا يحق في القانون الدسوري الذي درسه عبي يد بويث متشيلسين الذي قال في بعد خمسة وأربعين عاماً: "لا، لم يكن طالباً جيداً، لكن سبب انحداري من أسرة ساحبة، فإن كل الطلاب القادمين من ناديا ومجذلسا أرادوا أن يدرسوا للمهح الذي كنت أدرسه لأنهم كانوا يعلمون أنني سأجعلهم يختارون الامتحان عبي وجه التأكيـد"⁽⁴⁾

ويستذكر أحد رملاء نصف وهو لويس بيثار بوردا "التفت عابو في الأيام الأولى رمى كان هناك منه طالب حديد في قسم الحقوق ولم يكن من بينهم سوى ثلاث هيات. كان الطلاب قد انظموا في مجموعتين بحسب بحروف اصحابية. فكان عابو في المجموعة الأولى وكسب في المجموعة الثانية، وكنت حقاً مولعاً بالمادة الدراسية، على حين لم يوقع بها عابو قط. بدأت تقوته الكثير من الحصص الدراسية منذ البداية، وكما تتحدث أصراف الحديث في موضوع الأدب. دوس باسوس، دهمبراي، دموكر، وهس، ومان، والأدباء الروس. وقلما تحدثنا عن الأدب الكولومبي باستثناء حديث عن بعض اشعراء مثل باربا خاكوب ودي عريف، وديس كاربوس لويث. وكما بعد منتصف الظهر يعود القهقري إلى مركز المديه لجلس في المقاهي التي كما كنا ندرس فيها، لأنك إذا ما عشت في بُرل، فلن تنور

لك المكان للدراسة. وكان أصحاب المقاهي يسمحون لطلاب بالحبوس في أحد الأركان كأنهم رباتن منظمون^(٩).

كان عارسيا ماركير وأصدقائه الساحليون منظمون في بعض الأحيان حفلات راقصه مرتتبه في أمسيات السبت. في التاسع من صباح يوم الأحد التالي كان الشبان الساحليون يمشون صوب السارغ السابع ولشارغ الرابع عشر حيث در الإداعه التي تدعى الساعة الساحية هيدأون بالرقص في الشارع. في تلك الأثناء نأت عارسيا ماركير مثلاً ينأهى ثقافته وعوَّض عن فقره بارتداء ثياب صارحة لألوان أكثر من تلك التي ارتداها عندما كان في مدرسة سان حوسيه. كانت الحقبة هي أول حقبة عظيمة للموسيقى اللاتينية، وكان عارسيا ماركير يعيشها في أعماقه^(١٠).

عقد صداقات أيضاً مع لكاتشاكو المتوترين دوماً أسين سيؤدي بعضهم دوراً مهماً في حياته. وكان أحدهم عوشلو مالاريو الذي سترت والدته مكاناً مرحاً في ما بعد لهذا الساحلي الصغير الخرس الخشيه بشابس^(١١). ومن اساحليين الآخرين بيتر بوردا، وكاميو تورييس الذي سيحقق في ما بعد شهرة في جميع أرجاء القارة بصفته فسيح اعضبات الشهيد^(١٢)، ولبيسو أبوليو ميدونا أحد رفاق حياته العظام ومن المرميم السياسي من بويكو بلييو ميدونا بيررا - الذي ربما كان يمداك قرب حلفاء عديان السياسيين - والذي يصغر عارسيا ماركير بصع سواب.

يلدو أن بعض معاصري عارسيا ماركير نظروا إليه نصره إشفاق. ويقول بلييو ميدونا إن الكثيرين احتفروه لأنه قصة خاسرة. ويتذكر اليوم الذي عرفه فيه بيتر بوردا في مقهى إستورياس إلى ساحلي شاب "شق طريقه وسط اماضد المكسبة والقمع السودة ليدلهل بيرين بدلته المنارية البضاء لني نخطف لأبصار". لكنه فوجئ أيضاً بتصرف الوافد الجديد وسلوكه العام. وعندما اقتربت اسادلة من المضدة حدجها الساحلي بظرة شاملة وهمس مقترحاً. "ليلة؟"، ثم وضع يده على مؤخرته، غير أنه دفعته جانباً وانضرفت بامعاض مسرعي^(١٣).

كان عارسي ماركير الساحلي^(١٤) نفي وراء ثيابه المبهرجة وتكره المرافق شأناً مستوحداً جداً ذا مشاعر متناقضة جداً عن جدارته للآتية. فحياته بالرغم من صداقاته، هي حياة توحد واعتراب وتسبب تفقر إلى الإحساس بأداء واجب ما.

لكيها كانت حياة نحد أيضاً فمن أجل حياته نفسه أدى دور الساحلي الثائر. وبسبب شعوره بالعزلة في أيام الأحاد، تراه يستقل قطارات إلى ما لانهاية، فتأخذه وسط المدينة الكثيرة الرتية وهو يقرأ ويتأمل⁽¹¹⁾ في بعض الأحيان يقبل دعوة من عوثالو مالاريو وهو صديق كل من كامبلو نوريس وسيار بوردا. كان مالاريو قد ولد بعد عارسيا ماركيز بأربعة أيام لأسرة معروفة قبل لي. "يمكن أن تكون عضلات نهاية الأسوخ في بوغوتا طويلة جداً في نظر الغريب، وكان عابو يكثر من رباتي في البيت أيام الاحاد، ويفصل شرب الكاكاو، وساور كعكة الذرة. وشعرت أمي الأرملة منذ كنت في التاسعة من عمري بالشمقة عنه، إذ بدا ع مستوحداً، فكانت تحن عليه دائماً لأنها احدثت من الأقليم، مثله تماماً، وكان يمران بالمصره كيف يتحدث أحدهما إلى الآخر"⁽¹²⁾.

كما حن مالاريو وبيار بوردا، فإن عارسيا ماركيز كان مد بد، درسه في الجامعة بطور يسب شخصيته الساحلية الحمائية، موهته الأدبية حتى لو كان متروداً في الاعتراف بمثل هذا الطموح خشية الإحفاق. مما لا ريب فيه أن لا مجال للمناقسة بين الأدب والحقوق. فهو في بيئة لم تخلق لها شعوره بطويل وبطاله لمهمل وقصاه ذات المربعات العربية ومترده الوعي بذاته عند كل خطوة خرقاء بخطوها.

حرر بيار بوردا وكاميو توريس صفحة أدبية عوامها الحياة الجامعية، وهي ملحق أسوعي لصحيفة لاراتون التي نشرت قصيدتين لغارسيا ماركيز تتهجان فح حركة حجر وساء الشعرية⁽¹³⁾. فقد نشرت قصيدة من قوقعة بحر في الثاني والعشرين من حزيران قبل بضعة أسابيع من اخاد نوريس قراره انصوري بترك الجامعة ليصبح قسيساً⁽¹⁴⁾. ومن تلك القصيدة نقرأ هذين المقطعين:

8

بسبب بحري البحر خالد،

بحر الطفولة، الذي لا نسي،

المعلق من أحلامنا

مثل حمامة في الهواء .

12

إله بحر حيناً الأول
في تلك العيون الخريفية ..
يوماً ما أحببت رؤيته ذلك البحر
- بحر الطفولة - لكنني كنت متأخراً⁽¹⁵⁾.

هي فصيحة عظمها صبي يعي وعياً عميقاً أنه لم يفقد طعموله وحسب، وإنما فقد وطنه الآخر، الساحل الكاريبي، بلاد الحر والشمس.
لقد كان غارسيا ماركر شديداً شيئاً ما شبيهاً بكافكا في تلك المدينة، مدينة الأشباح المرتفعة، في أحقيته، إن ما عثر عليه في نهاية الأمر هو كافكا فهي عصر سوم من الأيام، أعاره أحد الأصدقاء نسخة من قصة المسخ ترحها أدب أرجنتيني يدعى حورخه بويرس بورخس⁽¹⁶⁾. عاد غارسيا ماركيرز إلى السرل، وصعد إلى غرفه، وجمع حذائه، واستمعى على سريرته. وقرأ السطر الأول: "حين استقظ عرصور سامسا في صباح يوم من الأيام إثر أحلام مضطربة، وجد نفسه وقد تحول في سريرته إلى حشرة هائلة". يتذكر غارسيا ماركيرز وهو داهل أنه قال في نفسه: "اللغة، إن نسه الأسلوب الذي كانت تحدث به جدي!"⁽¹⁷⁾.

لما لا ريب فيه أن كافكا وشع من مخيته (وما في ذلك قدرته على تخيل نفسه وقد بات أديماً) وأظهر له على المدى البعيد أن في الإمكان رواية أشد انفصافاً فانتازية بأسلوب واقعي. لكن الشيء الأول الذي تعلمه غارسيا ماركيرز من كافكا، كتب يندو، يختلف عما ذكره في أسطانه. أولاً، الواضح أن كافكا كان يعالج موضوع الاعتراق في الوجود الحصري. لكنه كان يعالج على نحو موارب، وفي كل ما كتب، رعه من سلطة أخرى مثلت بآية: امتعاضه وتقديره في الوقت نفسه لأبيه الطاعية.

كان غارسيا ماركيرز قد قرأ رواية الجبل لسوستوفسكي التي تدور أحداثها في سان بطرسبرغ التي تتصف بمقع أكبر، وذلك فس أربعة أعوام على وصوله إلى بوغوتا. كانت رؤية كافكا تهل مباشرة من تلك الرواية، وليس ثمة شك في تأثيرها الكبير في الأديب الشاب. لقد اكتشف غارسيا ماركيرز الحداثه الأوروبية، والأكثر من ذلك اكتشف أن مشكرات الحداثه، بالرغم من تعقدها وتحجتها، ولدت من

روح العصر، من بية الرقوع كما هو مُدرَك حاليًا، ويمكن أن تكون ملائمة، حتى في عاصمته النائية في أميركا اللاتينية.

إن بطيَّ البديل والمسخ صحبيان لانقسام الشخصية، وهما شخصيتان معرفتان في حساسيتهما، نرهبهما السطة. ومن خلال التماهي بالشبهات الحادثة في العالم الخارجي، يستحان ألغما مريضان ومشوهان ومحروران وفي غير يشهما. هناك العديد من الأشخاص الذين يصرفون وفق الدوافع المتنافضة والتصورات الدعاوية؛ الاعتبارية عن قناعاتهم وعلاقاتهم بالآخرين. بيد أن النجوة بين ثقة غارسيب ماركيز بنفسه التي تبلغ حدَّ اللامألوف، وفي بعض الأحيان تصل إلى حدَّ العطرسة (فهو حميد العقيد وملامم لها)، وشعوره نفسه بالعدم الأمن والدونية (فهو ابن الطبيب الدجال الذي أهمله ولكنه ربما حلَّا حلوه)، هي فجوة عريضة بلا أدنى ريب، وأنتجت قوة مؤثرة سمحت له أن يطور طموحاً خماً سرعان ما تآجج في أعمله مثل لحب عنف لا ينطفيئ.

بعد يوم واحد على قراءته المسخ، جلس غارسيب ماركيز ليكتب قصة ختار لها عنوان الاستسلام الثالث، فكانت بذلك أول عمل أدبي له بصمته شخصاً مُهتاً لينصر إلى نفسه على أنه مؤلف لديه ما يطرحة من كتابة جلادة. وأصبحت القصة على الفور تردد صدى غارسيبا ماركيز نفسه، إذ كانت مذهشة بأفاقها، عميقة بذاتيتها، يشيع فيها العت والعزلة والموت. وكانت تدش بذلك ما أصبح ملارم لغارسيبا ماركيز: حكاية قصة حول فكرة رئيسية أولية عن جثة غير مدبونة⁽¹⁸⁾. ويكتشف قراء غارسيبا ماركيز في نهاية الأمر أنه مرَّ بثلاثة أهوال مرتبطة ارتباطاً عضويًا لكنها بالرغم من ذلك، متنافضة تنافصاً أولياً: هول الموت والندس (أو الأسوأ من هذ، الدفن حيًا)، وهول دفن لآخرين، وهول بقاء أي فرد بلا دفن "يمكن للإنسان الميت أن يحيا حياة سعيدة في ظل وضعه الذي يتعدى علاجه"، وهكذا يحدث راوي هذه القصة الأولى، وهو شخص غير متأكد إن كان حيًا أو ميتاً، إن كان في كستا لحالتين في الوقت نفسه أو بالتناوب. (غير أن الشحصر الحي لا يستطيع أن يفسس للدم وهو على قيد الحياة. لكن أطرافه لن تسحب بدائه بالرغم من ذلك. فهو لا يفدر على التصبر عن نفسه، وهذا هو الأمر الذي شرهه، إنه أعظم الأهوال في حياته وفي مماته: أن يُدفن حيًا⁽¹⁹⁾.

تبدو قصة عارسيا ماركير، وهي تشير عن طريق التعويض إلى ما يشبه الأرصه الأميركية الجديدة، أي علم أساطير تاريخي أسس على مفهوم شجرة العائلة:

قُطع مثلما تُقَطع شجرة عمرها خمس وعشرون سنة ربما سيظهر في ما بعد بحثن طفيف، حسن ليس لأنه حفة شكلية تشويحية، بل جنة محيلة ومجردة لا تعيش إلا في ذاكرة أقربائه الضبابية .. عندئذ سيعرف أنه مينهض من خلال الأوهية الدموية لشاحه ما ويجد نفسه وقد ألهمه حوح طفل في صباح يوم خريفي رسي عرف عندئذ - وهذه فكرة تشير حزنه أنه فقد وحدته⁽²⁰⁾

من الواضح أن المذبح من الانحسار في بيت ما، بين الحياة والموت، كما هي الحان في التابوت (وربما كما في الذاكرة)، تسهله فكرة انصهار فردانية المرء انصاعاً في شجرة بوصفها رمز الطبيعة والنازح (شجرة العائلة التوليدية). إن عثمان مثل هذا الدافع الاسيائي أو السلافي عند شاب فصل بعد ولادته مباشرة عن أمه وأبيه وأخوته وإخوانه الطبيعيين الذين سيلحقون به لا يتطلب أي إيضاح. كما لا ضرورة لامتلاك مؤهل في التحليل النفسي للاستمرار عمّا إذا كان هذا الأدب الشاب لم يشعر على نحو غير واضح، وهو ينظر متأملًا حياته الماضية، بأن أبويه دفناه حيًا في اليبس في آراكاتاكا، وأن داته الحقيقية ذهب في داب ثانية، هوية ثانية يسغي له أن بينها مثل هامست ليحيي نفسه من مشاعره الحقيقية تحه أمه وربما مشاعره الفاتلة نحاه المغتصب غابريل إليحيو الذي ادعى في وف مأسر أنه والده؛ على حين كان عاينيو يعرف تمام المعرفة أن أباه الحقيقي هو العقيد بيكولاس ماركير الرجل الذي كان يحظى ببغجاب واحترام كل الذين عرفوه، والذي أشرف إشرافاً عديداً عليه في سنوات عمره المبكرة ثم احتفى. وثلا ذلك ما قد يكون إما عاصفة أدبية (وهي تعد من أنماط تحقيق الرعدة) وإحساساً أصيلاً أن الأديب وصل الحكمة ("والاسسلام")؛ "كل ذلك لواقع لم يُتر قلقه. بل على العكس، كان سعيداً، ووحيداً في عركته"

وبالرغم من أن القصة كانت مُربكة، إلا أنها ذات أثر ينسب أثر التوهم لله اطيبي، تُروى بثقة لا جدال فيها وليس مجرد ثقة أدبية، وبها ثبات يشير الدهشة في أديب ناشئ. أما مايتما، فهي مودح لهايات قصص عارسيا ماركير:

سيستمع مستسلماً إلى الأدعية الأخيرة، وإلى العبارات لأخيرة وهي تُلقي باللاتينية ويرددها صبيان المذبح ترديداً أخرق يستعرق برودة تراب المقبرة والعظام عظامه، وربما تنتشر تلك الرائحة. من يدري؟! ستخرجه آنية تلك اللحظة من ذلك السبات علنها يشعر أنه يسبح في عرقه، في سائل كثيف لروح، مثلما سح قبل أن يولد في رحم أمه ربما سيكون حباً في تلك اللحظة لكنه بحلول ذلك الوقت سيستسلم للموت حتى يبدو ميتاً من شدة استسلامه⁽²¹⁾.

سيتعرف قراء فئة عام من العزلة، وخريف البطريق، والجنرال في متاهته المكتوبة بعد ذلك عشرين وخمسة وعشرين وأربعين عاماً إلى النعمة والمصوغات والصباغات الأدبية. إنها محاولة للحصول على السلطة على نحو واضح ومتناقص (في ضوء طبيعة الصوت السردية للتهافت).

في الثاني والعشرين من شهر آب، بعد أسبوع أو أسبوعين من مناعته هذه القصة، قرأ في العمود اليومي لإدواردو ثالاميا بوردا مقالة المدنية والعالم في صحيفه الاسكتادور إن ثالاميا بوردا كان "متلهماً لأن يسمع من الشعراء والقصاصين الحدود المجهولين أو المهملين سيحة الافتقار إلى تطبيق أعماطهم تطبيقاً دقيقاً وعادلاً"⁽²²⁾. لقد كان ثالاميا بوردا المتعاطف مع اليسار واحداً من أكثر كتّاب الأعمدة الصحفية مدعاة للإحرام. أرسل غارسيا ماركيز القصة إلى الصحيفة، وبعد أسبوعين كان يجلس في مقهى مولينو، ولدهشته وهرجته شاهد عنوان قصته يعطي صفحة كاملة من ملحق عطلة نهاية الأسبوع، فانتشى حماسة، وخرج يشتري نسخة ليكتشف، كمهده، أنه "لا يملك الخمسة سينافو"، فعاد أدراجه إلى الرب، واستجد بأحد أصدقائه فخرجا معاً لشراء الصحيفة، صحيفة الاسكتادور ليوم السبت الثالث عشر من أيلول عام 1947، فوجد على الصفحة الثانية عشرة قصة الاستسلام الثالث لغاريين غارسيا ماركيز مع رسم توضيحي للفنان هيرنان ميريو

كان في حالة سرور وشوة، جديلاً. وبعد ستة أسابيع، أي في الخامس والعشرين من شهر تشرين الأول، نشرت صحيفة الاسكتادور قصة أخرى له بعنوان **يفافا تقمص قطتها** وموضوعها الموت مره أخرى وما بعده من تحسد، وهي عن امرأة تدعى إيفافا يسطر عليها هاجس تناول برتقالة، لا تقاها، لتجد نفسها بعد

ثلاثة آلاف سنة داخل شَرَك - مدفونة - في عالم جديد ومُربك إنها امرأة حميدة، تعمل في وسعها للنأي بعسها عن اهتمام الرجال بها، امرأة بدأت فتيتها الجسدية بعدها مثل ورم سرطاني. وأصبحت يدرك أن شرايينها تحتشد بحشرات صغيرة. كانت تعسم ألفاً تأتي من هناك، من الخلف، وأن كل من يحمل كينيتها لا يد من أن يحملها، وأن يعاينها منها عانت الأرق الذي لا يُقهر حتى لفجر كانت تلك الحشرات هي التي رسمت ذلك التعبير المرير، ذلك الحزن الذي لا سبيل إلى مواساته على وجوه أسلافها لقد شاهدتم وهم يتطلعون من خلف وجودهم المنطفيء، من وراء لوحاتهم الموغلة في القدم، ضحايا العذاب نفسه... (23).

يمكس أن تُؤطر في العفرة المدهشة السابقة كل من مئة عام من العزلة التي تُظهر اهتزاز بالأسباب، وساحتها البدائية البيت التي ستولد عما قريب (أو رى وُدت تواء).

بعد ثلاثة أيام فقط من ستر هذه القصة الثانية أعلى رابعه الأدبي غير المتوقع في عموده اليومي عن ظهور موهبة أدبية جديدة على المشهد الوطني، تتمثل بنحصر لم يبلغ الحادية والعشرين من عمره ولكنه طالب في سنته الدراسية الأولى. وأعلى تالاميا بكل وصوح: "بنا مشهد ولادة أديب مدهش في غارسيا ماركيز" (24). وكان أحد الآثار اجابية لهذه الثقة التي أوكلت إلى غارسيا ماركيز هو أنه شعر أن هناك ما يبرر إهماله لدراساته ألا وهو حبه الجنون للقراءة والكتابة. وبعد مرور أكثر من نصف قرن على ذلك، يلاحظ الأديب الذي اجنارت شهرته حدود العالم أن قصصه الأولى كانت "غير منطقية ومجردة، وأن بعضها عشية، ولا نستد أي واحدة منها إلى مشاعر حقيقية" (25) مرة أخرى، ثمة تفسير مغاير يكشف عن نفسه وهو أنه كَرَّة قصائده وخصصه اسكرة لأنها كانت تستند حقاً إلى مشاعر حقيقية، وأنه تعلم في فترة لاحقة كيف يحفي - وإن لم يكن كياً - اروماسة وسوعة لعاطفية المتفرغ إلى الحكمة التي تركته مكتشفاً بكل ضعفه وربما تحصى عنه بعد ذلك وربما كانت الحالة منمثلة بأنه عبر رابع في منح بوعوتا الامتياز إذ أصبح أديباً (26).

مكث غارسيا ماركيز في بوعوتا لثمصية إجازته الميلاد في العام 1947. لقد كان يقاؤه في الشُّرل يكلفه الكثير من المال، لكن أحرة العودة إلى سوكري تكلف

أكثر من ذلك وظلت ميريديس غير مدرجة لعروضه رد على ذلك، أن جدته قد توفيت وأنه توشك أن تنجب صبلاً آخر. لكن بالرغم من هذا كله، ومع أنه احتذر الالتفات بصعوبة بالغة، ولم يحقق إلا في الإحصاء والديموغرافيا، فإنه علم الآن أنه لن يهب نفسه للحقوق وأنه متردد في مواجهة عابريل إلغو في هذا الموضوع. لقد أشّر كاح قصته الأوليين أن ثمة طريقاً آخر للحياة أمامه، وأنه ربما أثر الاستفادة إلى أقصى حد ممكن من استقلاله الموقت.

عنه بدأ في أثناء هذه العطلة بقصته الثانية "الجانب الآخر من الموت" وإذا كانت القصة لأولى تصور نأمل الإنسان في موته، فإن هذه القصة كانت تأملاً في موت الآخرين (أو ربما في موت الشخص الآخر للإنسان، لئدله، وهو الأح في هذه المرة). لهذا، كان الصوت السردي يتناوب الأسلوب الحداثوي بين صمير الغائب المفرد المذكور وصمير المتكلم المفرد تناوباً ملائماً. مرة أخرى يجد أنفساً صناً في مدينة، لكن موضوعات الهوية التوأم، والبدل، والمرأة (بما في ذلك المرأة لداعلة، والرعي) هي المهمة. لقد تحول هذا الأح الذي توفي عمره السرطان، والذي يرغب الروي رعباً لا حد له، إلى جسد آخر:

إنه قادم من وراء جسده، وسبق له أن غار معه في الظلمة السائلة لرحم الأم. وتسلق معه أعضان السلالة العريقة، معه في دعاء أربعة أزواج من أجداد الأجداد والتي جاءت من بعيد، من بداية العالم، وقد استندمت مع ثقلا وحضورها الغامض كل التوارن الكوي... إنه أخوه الآخر الذي ولد وكمل بعقبه، والذي جاء مترنحاً جيلاً إثر جيل، ليلة إثر ليلة، من قلة إلى قلة، من هوى إلى هوى، وهو يسير وسط الشرابين والحصيتين إلى أن وصل إلى رحم أمه الأخيرة كأنه كان في رحلة بيلة⁽²⁷⁾.

هذا الطوس بالسلالة والنسب والاستعوار الموازي لمحمل انكون (الزمان والمكان والمادة والروح والفكرة، الحياة والموت والدفن والتعفن والتحول) يمثل سبة الأفكار والمشاعر التي ما إن تستكشف وتوضح علائقية، حتى تختفي على ما يبدو من أعمال غارسيا ماركيز. لكنها تعدو في الواقع ضمنية، وتستخدم تظهرها استخداماً استراتيجياً وشحيحاً لتحقيق أبلغ الأثر. إن غارسيا ماركيز في مرحلته الأولى هذه، بصفه شخصية أدبية، معذباً، ومفرطاً في حساسية، ومصائباً بوساوس المرض - على

غرار كافكا - بعيد عن هوبه السردية اللاحقة التي أنشأها إنشاءً متأياً، والتي سنكون قريبة من هوية ثيرمانس على سبيل المثال. وبموت قليل عني ما يبدو من أدباء كولومبيا أو أميركا اللاتينية الذين لا يظهر على ماركيز أنه قرأ مؤلفات أعظمهم شأنًا، نلاحظ أن عارسيا ماركيز يهاجم موضوعات أميركا اللاتينية الأساسية والخاصة بالأسباب (لوجود والتاريخ) واهوية (الحوار والأسطورة). إن هذا أدنى ريب يمثل إشكالات أميركا اللاتينية الجوهرية في تلك الحقبة: الأسباب قصة مهمة جداً في قارة لا وجود فيها لأسطورة مرضيه أصيلة حيث كل شيء يوحد عوة. لم يكن عارسيا ماركيز قد وصل في هذه المرحلة بعد إلى قصة الشرعية (التي كانت تقص مصححه حقاً وهي ضمنية لها على وجه التأكيد). ومع هذا، فإن هذا الروي يمثل مشكلة لنفسه عني ما يبدو.

أخيراً، انتهت العطلة الطويلة، وأحدث الأمور تتحسن. ففي مطلع السنة الخامسة الجديدة في العام 1948 وصل لويس إريكي إلى بوغوتا لإكمال تعليمه الثانوي نظرياً، لكنه من الناحية العملية جاء لتسليم وظيفته في شركة كولست - بالموليف التي حصل له عليها عابيتو وكرّس نفسه بعد ذلك للإثارة المعتادة في أوقات فراغه. في تلك الأثناء انتقل حالهما حواريتو (حوار دي ديوس) إلى بوغوتا بعيد وفاة أمه ترانكيليا للعمل في الإدارة الحكومية. وأحضر لويس إريكي معه هدبة سرية يعترض أنه احتفظ بها ليعطيها لعابيتو في ذكرى ميلاده الحادية والعشرين في السادس من آذار، لكن عندما أحرقه أخوه وأصدقائه في المطار أقم لا يمكن أن لا يحتضروا به، كشف لويس إريكي حمية أن المفاجأة داخل الطرد هي آلة كتابة جديدة. "كاتب الخطوة التالية هي زيارة إلى مكتب الرهونات في وسط بوغوتا حيث فتح المسؤول فيه الصندوق وحذب قطعة من الورق. لا رت أذكر أنه نظر إليها وقال بصوت عالٍ: "ميرك. نحن محوروون بك. المستقبل أمامك عابريل وبويسا، سوكري، السادس من آذار 1948". ثم وجه مساعد المكتب سؤالاً: "كم تحتاج؟"، فرد صاحب الآلة الكاتبة "قدر ما يمكنك أن تعطيني" (28).

نعم مستوى المعيشة تحسناً كثيراً في الأسابيع التالية بوجود دخل لويس إريكي الجديد وبعض المال الإضافي الذي كان عابيتو يوفره من خلال ترويد

للصحيفة بالرسومات التوضيحية مساعدة أحد الأصدقاء؛ وكانت لمعامرات شمل الشراب والساء والساء، فجدد لويس إيريكي بذلك نعاله التشردى مع حوسبه بالنيا لصاقتش في عصور ذلك موقف عاينيو، بعد أن بات الآن أكثر طلاب الجامعة امتصاراً وتظاهراً بالكتابة الأدبية، عن حضور دروس أخرى إذ ذهب حين وقته وعماسة أكبر لقراءة لأدب والكتابة فيه نما في ذلك قراءة رائعة جيمس جويس اخذاثوية "بوليسيس".

في تلك المحظة، بدأت تجمع سحب الروبعة السياسية على جناح المصرة فوق كولومبيا، وانتهت مباشرة صوب بوغوتا. وأصبح المحامي البارز حورحه إليسير عايمان، الذي كان قد شرب شراب الكوكيل السياسي الغري الذي محبه إياه اثورة المكسيكية والماركسية وموسولني، أقوى الشخصيات الساسة في تاريخ كولومبيا في القرن العشرين وفي حقبة سادت فيها السياسة الشعبوية. فقد كان يظل الطغفان العمالية الصاعدة ويظل العديد من أبناء الطبقتين الوسطى والديا في المدن السامية نمواً سريعاً. كان غارسيا ماركيز عن أنه حظي باهتمام وطني للمرة الأولى في اعوام 1929 عندما تنى قصبه عمال المور انديس فُتروا في ثياع في كانوا الأول عام 1928. ولم يعلم غارسيا ماركيز أن من بين محبيه الأساسيين الأب فرانسيسكو أعاريتا ارجل اندي عمده في أراكاناكا، ورعا أيضاً العقيد بيكولاس ماركيز اردد عايتان قوة بالرغم من البكسة الانتخابية التي تنسب لها شقها شخصيت للحزب الليبرالي، وسرعان ما تبوأ قيادته، وبدأ يطق أسلوباً سياسياً لم يُعرف من قبل في إحدى أكثر الجمهوريات المحافظة في أميركا اللاتينية. وسماه البعض انسانا وبعة الاحرون بالحجرة، لما كان يتمتع به من قدرة خطافية وصوت. لم يحكم غارسيا ماركيز عن عايمان في مقنلات عسية حتى وقت حديث، وكان ذلك نسب كون سياساته تنحو نحو اليسار مد مطلع عقد الخمسينيات في القرن لعشرين من جهة، وبلى أن وعيه السياسي كان لا يزال متحلقاً بلى حد كبير في نيسان عام 1948 بالرغم من ارتباطه ارتباطاً قسرياً بالليبراليين.

في نيسان عام 1948 عمده المؤتمر التاسع لعموم أقطار أميركا اللاتينية في بوغوتا وكانت منظمة الدول الأميركية في طور التأسيس بمبادرة من الولايات المتحدة. يوم

الجمعة التاسع من نيسان، عند الواحدة من بعد الظهر، كان غابرييل ماركيز يجلس لتناول طعام الغداء في التزل في شارع فلوريان برفقة لويس إيريكي وعند من أصدقائه المساحليين. كان حورحه إليسير عايتان في تلك اللحظة يغادر مكتبه العائلي ليمشي على امتداد الشارع السابع لتناول طعام الغداء مع زميله في الحزب الليبرالي بليبيو ميندوتا بيررا وعدد آخر من الرجال. وعند وصوله الرقم 14-99، بين جادة نيجيث والشارع الرابع عشر، عبر عامل عاطل عن العمل يدعى خوان رواسيرو من مقهى القط الأسود وأطلق عليه ثلاث أو أربع رصاصات من مسافة قريبة جداً. سقط عايتان على الرصيف على مقربة من أفضل ماضيه شارع في العالم. حدث هذا عند الواحدة والدقيقة الخامسة. وقبل أن يرفعوه عن الأرض اتخى بليبيو ميندوتا البالغ من العمر ستة عشر عاماً، وكان قد جاء برؤية أبيه، فوق الجثة، وحنَّ وهو في حالة رعب شديد إلى وجه الرعيم المحتصر. نُقل عايتان على جناح السرعة إلى المستشفى المركزي بسيارة خصوصية، ولدى وصوله أُعس عن وفاته مباشرة أمام حشد كبير من الناس لجرعين الذين تجمعوا خارج المستشفى.

ذلك هو الاعتقال والآن يأتي دور لعف⁽²⁹⁾، إذ اكتسحت المدينة موجة عنف وهستيريا على الفور. كانت بوغوتا في حالة عيان، وشهد عصر ذلك اليوم تطاهرات أعقبتها أعمال سب وهب وقتل. وأدركت حشود الليبراليين أن المحافظين كانوا وراء الاعتقال: وفي غضون دقائق، اعتيل روي، وسُحلت جثته الممزقة عارية وسط الشوارع باتجاه القصر الحكومي. وبدأ مركز مدينة بوغوتا، رمز التنظيم السياسي الرجعي الكولومبي، يحترق⁽³⁰⁾.

بحرح غارسيا ماركيز مسرعاً إلى مكان الجريمة، لكن غايتان المحتصر نقل على الفور إلى المستشفى - وكان الرجال والنساء يحشون بالبكاء ويبتلون ساديتهم بدم الرعيم - وكانت جثة روي قد نُقلت بعيداً. ويذكر لويس بييار بوردا أنه التقى غارسيا ماركيز بين الساعة الثامنة والثالثة عصر ذلك اليوم على بعد خطوات قليلة من المكان الذي شهد مصرع غايتان: "ذهنت ما رأيته، وقلت له: أنت لست من محبي غايتان. فقال: لا، لكنهم أحرقوا منزلي تماماً وفقدت بذلك كل قصصي"⁽³¹⁾. (هذه الحكاية المبالغ فيها كثيراً سنكتسب مستقبلاً شحنة ميثولوجية).

في أثناء تلك الجولة، التقى غارسيا ماركيز أستاذ مادة القانون كارلوس هيريك بارينغا في الشارع الثاني عشر خلال استعجاله للعودة وإكمال وجبة عدائه في السرل الذي لم يكن قد لحق به صرر بعد أوقف بارينغا الشاب غارسيا ماركيز في الشارع، وحسبته على الإسراع إلى الجامعة وتنظيم الطلاب بالإجابة عن انتفاضة الليبراليين. انطلق غارسيا ماركيز متردداً، لكنه غير رأيه حتماً توارى بارينغا عن الأنظار، وعاد أدراجه وسط الفوضى إلى السرل في شارع فلوريان وكاست بوغوتا قد بانث الآن مكاناً خطراً جداً.

كان لويس إيريكي وعدد من الطلاب الساحليين يفيمون احتمالاً غامضاً. وعكسوا، بالرغم من صحبهم، من سماع صرر العم كارلوس عبر المذيع مع الأديب حورنخه ثالاميا (الذي قُدر له أن يصحح شحبه مهمة أخرى في حياة غارسيا ماركيز شأنه شأن قريبه إدواردو ثالاميا بوردا)، وكان الاثنان يحصان الشعب الكولومبي على الانتفاضة ضد المحامطين الأندال الذين اعتالوا زعيم البلاد السياسي الأعظم وأملها الوحيد في مستقبلها. وهدر بارينغا الذي كانت مكتبة الراديكالية صحبه ألسة الهب فائلاً إن "المحافظين سيدفعون ثمن حياة غايتان عاليًا"⁽³²⁾. وسمع عايتو ولويس إيريكي وأصدقائهم دعونه لحص المصالح عبر مذبذع السرل، إلا أنهم لم يلبوا دعونه.

على مسافة قريبة، ثمة شاب آخر من أميركا اللاتينية في الحادية والعشرين من عمره لم يتمالك نفسه من شدة الفرح والاعتباط. كان فيدل كاسترو رعيماً طلابياً كومياً سافر إلى بوغوتا مع وفد للمشاركة في مؤتمر طلابي عقد لمعارضة مؤتمر عموم أميركا. وسبي كاسترو كل شيء عن مؤتمر طلاب أميركا اللاتينية وتظاهر في الشوارع في محاولة لمرص نوع من المطلق الثوري على أعمال العنف الطائشة التي اتسمت بها الانتفاضة الشعبية. وكان كاسترو قبل يومين لا أكثر، قد أجرى مقابلة مع الزعيم الشهيد في مكتبته في الدوار السابع، ويبدو أنه حظي بإعجاب السياسي الكولومبي. ومما يدعوا لندھشة أهم اتفاقاً على اللقاء مرة أخرى عند الساعة الثانية من بعد ظهر يوم التاسع من نيسان: وقد عثر على اسم فيدل كاسترو مكتوباً بقلم الرصاص في دفتر مواعيد غايتان في ذلك اليوم. لكن مما لا يبعث على الندھشة

أن حكومة كولومبيا المحافظة والصحافة اليمينية أسرعنا بالادعاء أن كاسترو كان منورطاً، إما في مؤسسه لاعتقال عايتان، أو في مؤامره لنحريب مؤتمر عموم أميرك وإثارة الانتماضة، أو في كليهما. لا بد من أن كاسترو كان أحياناً لا يعد سوى مفتي يارده عن مصديق المستقبل عارسيا ماركيز⁽³³⁾. وعند الاستدكار، فإن أعمال العنف في بوغوتا ستكون ذات أهمية قصوى في فهم عاييو السياسة الثورية، تماماً مثلما ستكون عليه الحال في أحداث عام 1954 في عواتيمالا بالنسبة إلى رفيق المستقبل تشي غمارا⁽³⁴⁾.

في الوقت الذي بدأ فيه كاسترو يعد العدة لثورة لم تدلح، جس عارسيا ماركيز حرباً على ضياع آتية الكتبة - فقد نُهب مكتب الرهوبات - وبرد في نفسه لإيصاح الذي سينقه إلى والده. على كل حال، عندما بدأ الدخان يُعلف حدران التزل قادماً من مفتي حكومي يقع حلف السرل، نظم أخوة غارسيا ماركيز أصدقاءهم من سوكري وانصلقوا إلى بيت حالم حائيتو الجديد الذي لا يعد سوى مسافة أربعة شوارع عن السرل. وانضم فريق الأصدقاء والأخوة حملة السلب والهت العامة وفر لويس إيريكي بعد أن أخذ بذلة ررقاء مفاوية لسهها والده طوال سنوات في المناسبات الخاصة. ووجد عايينو حافظة أوراق أنيقة من جلد القرم أصححت في ما بعد أحسن عيمة حصل عليها. لكن أفضل عيمة كانت إيريكي شراب كمي يتسع لخمس عشرة ليتراً صب في لويس إيريكي بالشبا كبر عدد عمره عليه من مخلف المشروبات قبل نقه إلى بيت الحال خوايتو.

تذكر مارغريتا ماركيز كانايرو، وكان عمرها آنذاك اثني عشر عاماً وهي اليوم سكرتيرة عارسيا ماركيز الشخصية في بوغوتا، وصول قريبها انفصل وأخيه وأصدقائهما كان البيت يختشد باللاجئين من الساحل، وفي المساء انضم الشبان بعدما شربوا، حتى التمثالة من شراب مخطور قانونياً إلى الحال خوايتو على سطح المي، وحلقوا بدهول إلى مركز المدينة المحترق⁽³⁵⁾. في غضون ذلك، كانت لأسرة في سوكري مخشي حدوث ما هو أسوأ. تقول ريت متذكراً: "المرّة الوحيدة التي شاهدت فيها أمي وهي تدرق الدموع عندما كنت صغيرة في التاسع من يساد كان بمكسي أن أعدم أمّا كانت قلقة جداً لأن عاييتو ولويس إيريكي كانا في بوغوتا

عندما اغيل غايتان أُتدكر أنها ارتدت ثيابها فجأة عند الساعة الثالثة من عصر اليوم التالي، وذهبت إلى الكنيسة إذ قررت أن تشكر الله لأن حراً وصديها بأن ينيها في أمام. دُهِشَتْ حينها لأنني لم أرها نخرج من قبل كانت تلازم البيت لرعايتنا⁽³⁶⁾ في بوغوتا بقي الساحليون ثلاثة أيام في البيت ولم يخرجوا منه، إذ فرصت الحكومة حالة حصار، وظل القاصون يطلقون النار على كل من يتجرأ على الخروج. بقي مركز المدينة يحترق، وأغلقت الجامعة أبوابها وأصبحت معظم مناطق بوغوتا في حالة من الحراب، لكن حكومة المحافظين تمكنت من إبقاء، وتوصل السياسيون الليبراليون إلى اتفاق غير مرضٍ مع الرئيس الشجاع أوسينا بيرث أعد بعضهم منحهم إلى محبس الوراء، لكن الحرب نفسه ظل بلا سلطة على فترة من الرمى. وحالما شعر الأخوان بالأمد يعود إلى الشارع حتى راحا بتراحام من أجل الحصول على تذاكر سفر للعودة إلى الساحل بعد أن حصصهما والدهما على السفر جواً إلى سوكري. قرر لويس إيريكي أن يجرّب حطه في بارانكيا حيث كانت في انتظاره حبيبة حياته الأخيرة، في حين قرر عايتو متابعة دراسته الحقوق في جامعة كارثاجينا، أو على الأقل قرر أن يتظاهر أنه يريد ذلك. بعد مرور أكثر من أسوع قليل على أحداث التاسع من نيسان الكارثية، انطلق عارسيا ماركيرو وُحوه لويس إيريكي و محرض الشاب فيس كاسترو رور من بوغوتا في طائرات مختلفة باتجاه مصائرهم التاريخية المتباينة.

أما كولومبيا، فقد أتضح أن مصرح عايتان وما أعقبه من عنف قسم تاريخ السلاذ في القرن العشرين إلى قسمين إذ ما كان يمكن أن يحقق عايتان أو ما لا يخففه يكمن في عداد التوقعات. إذ لم يستطع أي سياسي من بعده أن يثير حماسة الجماهير مثلما كان يثيرها هو. وابتعدت كولومبيا أكثر عن حل مشكلاتها السياسية الحقيقية مع مرور كل سنة على وفاته. وكانت الأرملة التي أعقت وفاته هي التي أدت إلى ظهور حركات حرب العصابات التي استمرت في تعريض الحياة السياسية للخطر في البلاد حتى هذا اليوم. وهذا كان يمكن القول إن حرب الأنف يوم أظهرت للطبقات العليا ضرورة الوحدة ضد الفلاحين، فإن أحداث العنف أظهرت على نحو مشابه الخطر الذي تشهه جماهير الطبقات العمالية في المدينة. ومع هذا، فإن المناطق

الريفية هي التي سشهد العنف في أوح صورته ليبدأ خمسة وعشرون عاماً من كثر الحروب الأهلية وحشية وكلفة: إنه عصف.

أما بخصوص غارسا ماركيز، فممكس القول إن ما حدث من عصف في بوغوتا كان في مصلحه تماماً بخلاف العديد من الناس الذين سقطوا بين فكي تلك الأحداث العنيفة. بعد أدت لأحداث إلى قطع دراسته الحفوق في أفضل جامعة في البلاد، ووفرت له ميراً آخر لتعني عن دراسه، ووفرت له دريعة لا يمكن دحصبه لبحر المكان انذي كرهه والعودة إلى الساحل الذي يهواه، لكن ليس قبل أن يألف العاصمة التي ستكون عني درجة نالعة الأهمية في إيقاظ وعيه لوطي الأوسع. فهو، كما سرى، لن يأخذ الحربين الحاكمين على محمل الجد مستقبلاً وإذا كان وعيه السياسي الناصح ينطور نظوراً بطيئاً، فإن ثمة دروساً مهمة استوعبها غارسا ماركيز الآن بسأل صبيغة بلاده. ومما أنه فقد أو ترك معظم ممتلكاته المادية، فإن هذه الدروس الجديدة ربما كانت أهم الأشياء التي أخذها الشاب معه وهو في الطائرة باتجاه بارانكيا وكارثاجيا.

* * *

العودة إلى الساحل: صحافي متمرن في كارثاخينا 1959-1948

حط غارسيا مركب رحاله في بارانكيا بظفرة دي سي ثري في التاسع والعشرين من شهر نساب عام 1948 وذلك بعد يومين من وصول أخيه لويس إيريكي. بقي لويس إيريكي في بارانكيا، وبدأ يبحث له عن عمل، وسرعان ما حصل على عمل في شركة الخطوط الجوية لاسا التي ظل يعمل فيها طوال السبعينيات. في غضون ذلك، كانت كل أنظمة النقل في البلاد لا تزال في حالة من الفوضى في أعقاب أحداث العنف، ووجد غاييتو نفسه مع حقيبة ثياب ثقيلة وبدلة سوداء ثقيلة أيضاً وقد ترعب فوق شاحنة بريد تحت أشعة اشمس الحارقة لساحل الكاريبي في طريقه إلى كارثاخينا⁽¹⁾.

كان كارثاخينا طلاً من شكلها الأولي لا أكثر ولا أقل. عندما وطأها الإنسان في العام 1533 غدت معقلاً حيرياً للنظام الاستعماري الذي يربط إسبانيا بالكاريبي وأميركا اللاتينية، وكانت قبل ذلك واحدة من أهم المدن في نسيم العبد وبيعهم في محمل العالم الجديد. وبالرغم من هذه البداية الكئيبة، فإنها أصبحت أيضاً (ولا تزال) واحدة من أجمل مدن أميركا اللاتينية والفضفا⁽²⁾.

لكن بارانكيا توسعت بعد الاستقلال في القرن التاسع عشر لتصبح مدينة تجارية كبرى كانت كولومبيا يحاجها إليها، مما ركزت كارثاخينا مئذاريه جراحها وأحراها معرية نفسها عن كل دنك محاضيتها المجد وجمالها الذي أُلْمَت به عاديات الدهر. أصبحت هذه المدينة المدهورة موطن غارسيا ماركيز الجديد. لقد عاد مرة أخرى إلى

الكاريبي، إلى عالم يؤحد فيه المرء على علاقته بما فيه من جمال وقبح وهشاشة، إلى عالم الأحاسيس. لم يزر من قبل تلك المدينة التاريخية وأحد ما أعجب كل ما أحد لسروعها ووحشتها في آن واحد. لم تكن قد باتت بنفسها تماماً عن أحداث العنف، لكنها، شأنها شأن ساحل كنه، عادت على وجه السرعة إلى وضعها الفوق نوعاً ما، بالرغم من حالة الحصار ومع السجوال والرقابة. وتوجه الشاب مباشرة إلى فندق سويسرا في شارع دمشق الذي انقلب إلى ثُل للطلبة، ليجد أن صديقه الثري نحوسه بانتها لم يصص بعد، فلم يرص صاحب الصدق أن يعطيه غرفة بالدفع الأجل، ما اضطره إلى أن يهيم على وجهه في المدينة القديمة المسورة، جديلاً، ظلمناً، يستقي في هاية المطاف على مصطبة في الميدان العام مؤملاً النفس بوصول بالشيا قريباً. لكن بالنتيجة لم يصص. استسلم غارسيا ماركيز للنوم على المصطبة، لكن شرطيين اعتقلاه بتهمة حرق حظر التجوال أو ربما لأنه لم يملك السحائر لقدمها إلهما، فأمصى ليلته على الأرض في رسارة عمر الشرطة. هكذا تعرّف إلى كارثاينا، ولم يكن فالاً حسناً، وأخيراً وصل بالشيا في اليوم التالي وسمح للشابين بدخول النزل⁽³⁾.

ذهب غارسيا ماركيز إلى الجامعة التي تقع على بعد شارعين اثنين، وعلمكي من بقاع السعدت التي أجرت له اختباراً أمام رملاء صفه مستقلاً بقبوله لإكمال السنة الثانية من دراسة الحقوق بما في ذلك تحاور الدروس التي سبق له أن رسب فيها في السنة الأولى. وهكذا عاد طالباً مرة أخرى، وابتدأ هو وبالشيا من حيث انتهيا عدم كاسا في بوغوتا، فحرجا للشرب وللحملات بالرغم من حظر التجوال، وتصرفا كأهما طالبان من أبناء الطبقة العليا، فكان ذلك التصرف سهلاً على بالشيا وصعباً على غارسيا ماركيز. غير أن هذه الحال سرعان ما وصلت إلى هانتها بعد مرور بضعة أسابيع عندما قرر بالشيا، الذي لا يستقر على حال، أن يتقل إلى مكان آخر، فاضطر غارسيا ماركيز إلى الاسفال إلى السكن الجماعي مع الطلاب فكلعه ذلك همين بيزوس شهرياً بما في ذلك الميث وغسيل الملابس.

ثم لعب القدر لعبته. ففي حين كان يحول في شارع السيرة السينة في حي العبيد القديم في غيماني المحلور لمدينة المسورة التقى مانويل ثامث أوليغيا، الطبيب الأسود اسدي سبق له أن تعرف إليه في بوغوتا قبل عام. وفي اليوم التالي، صحب

ثابتاً - وهو عمن معروف لأصدقائه العديدين أصبح في ما بعد واحداً من أبرز الصحفيين والأدباء في كيبوميا الشاب إلى مكاتب جريدة الأوبنفرسال في شارع سان خوان دي ديوس عند ناصية الشارع الذي يقع فيه نزل الطلبة، وعرفه إلى مدير التحرير كليسي ماويل تابالا. ويشاء الحظ أن يكون تابالا، وهو صديق إدورجو ثالاميا بوردا، قد قرأ قصص عارسيا ماركير القصيرة في الاسيككادور وأعجب بها. وبالرغم من حياء الشاب، فإنه قرر أن يجعله كاتب عمود وقال من دون أن يهش الشروط إنه يتطلع إلى لقائه في اليوم التالي لطباعة مقالته الأولى في اليوم الذي يليه.

يبدو أن عارسيا ماركير آنذاك كان ينتظر إلى الصحافة كرمها وسيلة لعاية وأخذ عبط أدى من أنماط الكتابة. لكنه بالرغم من ذلك عيّن صحافياً بسبب اميابه الأدسي السابق وهو لم يتجاوز سن الحادية والعشرين إلا بقليل. اتصل بوالديه على الفور لمخبرهما أنه سصبح من الآن قادراً على إعالة نفسه خلال مدة دراسته وفي ضوء عزمه على التخلي عن تلك الدراسات بأسرع وقت ممكن، وعلى عدم ممارسة المحاماة حتى لو حصل على شهادة، فقد استراح صميره كثيراً بعد ذلك الاتصال.

كانت جريدة الأوبنفرسال جريدة حديثة أسسها قبل عشرة أسابيع لا غير دكتور دومينغو لوبيث إسكلوريتا، وهو سياسي ليبرالي ذو أصل عريق سبق له أن كان حاكم ولاية دهبوماسيا، ولكنه قرر، في ضوء العنف الثريادي الذي يتسم به المحافظون، أن يفتح جبهة جديدة في الحرب الدعائية على الساحل. وحدث هذا قبل شهر واحد من اندلاع أعمال العنف. ولا توجد أي صحيفة ليبرالية أخرى في تلك المدينة الموعلة في خطها المحافظ.

ينفق الجميع على أن تابالا كان ورقة الصحيفة الراحمة. فقد كان ثنائي مدير التحرير وبعد نظره قد جعلاً جريدة الأوبنفرسال يظهر، على افتقار مكاتبا إلى اجادية، نموذجاً لترباط السياسي والكتابة الحيدة وفق معايير ذلك الزمان. وكانت الكتابة الحيدة أشبه بالعاية الإلهية لسجد الجديد. كان تابالا رجلاً نحيلاً، متوتراً، في أواسط العقد الخامس من عمره، ولد في سان خايتسو وله ملامح اليهود وشعرهم، أسمر لشرة، له كرش صميرة ويضع بطارة على عييه، وبادراً ما شوهه بلا سيحارة في يده. وكان أيضاً، بحسب ما تردد من شائعات، مثلي اجس على نحو متكتم،

بصبغ شعره باللون الأسود متحدثاً بذلك رحف السنين، ويقطع وحده في غرفة صغيرة في أحد الفنادق. وكان مساعداً سياسياً لغايتان، وميل إنه شغل في صحيفة اجترال إل دياريو ناسيونال. وفي أربعينيات القرن العشرين، عمل في وزارة التربية، وبعدها في مجلة بيبسو ميندون بيراكثون ليبرال.

قَدِمَ ثابالا غارسيا ماركيز إلى محدد حديث آخر هو هيكتور ريوخاس هيرانو وهو شاعر ورسام شاب كان له من العمر سبعة وعشرون عاماً ويحضر من مرفأ تولو على البحر الكاريبي. ولم تتعرف إلى غارسيا ماركيز، ولكنه كان معلمه في مادة اللغون قبل ثمانية أعوام في مدرسة سان خوسيه في باراكيا. وكان ذلك التعرف واحداً من المصادفات العرة التي أخذت تؤشر حياة غارسيا ماركيز فقد قَدِرَ ريوخاس هيرانو أن يكون واحداً من كبار الشعراء ولروائيين في البلاد علاوة على شهرته الواسعة في الرسم⁽⁴⁾. وكان خشن المظهر، أسأ، أعلى صوتاً وأضخم حجماً وأشد دوعمانية وأكثر حماسة على ما يبلو من صديقه الجديد، مشرح الصدر، وحساساً في الوقت نفسه.

بعد منتصف الليل، عندما هرع ثابالا من نديق وتصحیح كل مقالة من المقالات المنشورة على صفحات الجريدة الثماني، دعا الشابين لتناول الطعام خارج مكتب الصحيفة. كان الصحافيون غير حاضرين لنظام عرض حظر التجوال، هذا غارسيا ماركيز الآن حياة جديدة استمرت عدة سنوات عمل خلالها مدة طويلة من الليل ونام طوال النهار إن كان في وسعه النوم. ولم يكن هذا بالأمر الهين في كارتاجينا حيث تبدأ دراسة الحقوق عند الساعة السابعة صباحاً في حين كان غارسيا ماركيز يصل إلى البيت عند الساعة السادسة. وكان المكان الوحيد الذي يمسى فيه اللس ساهرين حتى وقت متأخر من الليل هو مطعم ومشرب الكهف المصل على البحر ووراء السوق العامة، ويديره شاب أسود وسيم يدعى خوسيه دي لانييس، جو الثلجي⁽⁵⁾. حيث كان هالك ثمة صحافيون وعمرهم من يوم اللين الذين يأكون شرائح لحم البقر والكرفس والأرر مع مملك الروسان أو السرطان.

بعد أن قفل ثابالا راجعاً إلى غرفته المنفردة، بدأ غارسيا ماركيز وروخاس هيرانو يتجولان في منطقة المرفأ من شارع الشهداء حيث تعلد تسعة تماثيل نصبية

ذكرى موت أول الثوار الذين ثاروا ضد الإمبراطورية الإسبانية في العام 1816⁽⁶⁾ ثم عاد عارسيا ماركيز إلى البيت ليستعمل. وبعد بضع ساعات فلعة ولكنها موعلة ببلاغته، أسرح إلى رئيسه ليريه عموده الأول. أخبره تابالا أن المقالة مكتوبة كتابة جيدة لكنها لا تصح للنشر.. فهي، أولاً، مغرقة في الداتية وأدبية أكثر من ينبغي. ثانياً، "لا نلاحظ أننا نشتغل في ظل نظام رقابي؟". ثمة قلم أحمر على مكتب تابالا، فالتقطه، وعلى الفور أدى الجمع بين موهبة عارسيب ماركيز المطربة وحماسة تابالا المهسية إلى إنتاج مقالات مقروءة، ممعة جداً وأصلية كما يصح منذ البداية⁽⁷⁾. وقد نشرت جميع أعمدة عارسيب ماركيز في صحيفة الأوبيرسال بعنوان فترة جديدة. كان العمود الأول الذي حظي باهتمام كبير من رئيس التحرير مقالة سياسية عن خطر التجوال وحالة الحصار تحت ستار دكتي بوصفها تأملات في المدينة ونساءل الأديب الشاب مرفعاً: كيف يمكن أن توقع من حيله في حقبة العنف السياسي والخط من قدر الإنسان أن يصحوا "رجالاً أصحاب بيات حسنة". من الواضح أن الصحافي الجديد حولته الأحداث التي جرت في التاسع من نيسان إلى إنسان منطرب. أما المقالة الثانية فكانت مساوية للأولى من حيث روعتها⁽⁸⁾. وإذا كانت المقالة الأولى ساسه صمماً بالمعنى التفسيدي، فإن المقالة الثانية كانت شبه بيبس عن السياسة الثقافية: لقد كانت دفاعاً عن لأكورديون المتواضع الذي يعد آلة موسيقية متشردة بين الآلات الموسيقية لكنه يشكل عصباً مهماً في ضرب من الموسيقى يدعى باليانو طوره في الساحل موسيقيون مجهولون عادةً، وكان برأي عارسيب ماركيز رمز أهالي الإقليم وثقافتهم فصلاً عن رعبه في نخدي أفكار الطبقة الحاكمة المسقة. لقد أكد عارسيب ماركيز أن الأكورديون ليس آلة متشردة وحسب، بل آلة عمالية أيضاً. كانت المقالة الأولى دفصاً لتمط سياسي آت من بوغوتا. أما المقالة الثانية فاحتصت جذور الأدب والثقافة التي استعدها مؤجراً⁽⁹⁾.

للمرة الأولى أصبح مستقبل عاريل عارسيب ماركيز مضموناً إلى حد ما. فقد كان يعمل، وأدرك الدس أنه عمل بإتقان. إنه صحافي، وسيواصل دراسة الحقوق على نحو منقطع بلا أي حماسة، لكنه حرج من مهنة المحاماة ودخل عالم الصحافة والأدب، ولن ينظر إلى الوراء،

في الأشهر العشرين التالية. كتب غارسيا ماركيز ثلاثة وأربعين نصاً وأضعافاً مضاعفة من هذا الرقم بلا اسم لصحيفة الأرتيفريسان. لكن تلك المصروف كانت في معظمها لا تتران صحافة تعليقات وإبداعات أدبية عفا عليها الزمان على نحو ملحوظ، هادئها الإمتاع أكثر مما هي معومات سياسية، تفترب حملاً من نوع اليوميات المؤثقة يومياً أو أسبوعياً التي لم يكن قد أكل نذير عليها وشرب في صحبة أميركية لاتينية في عهد العشرينيات من القرن العشرين. من جهة أخرى، كانت إحدى مهم غارسيا ماركيز تتمثل بمراجعة الأخبار الواردة في جهاز استلام البرقيات، المسبكية لاختيار قسم منها واقتراح لموضوعات لمقالات الرأي والاستنابات الأدبية ذات الأهمية الفائقة في صحافة تلك الأيام. لا بد من أن تلك الممارسة اليومية محتة تجربة في الأسلوب الذي تحول فيه أحدث الحياة اليومية إلى أخبار وإلى قصص تصفي المعضوض على الواقع الاعتيادي وبوفر تزيافاً مضاداً وقوياً لجولاته الأحيرة في مؤلفات كهلكا. لقد كان الصحفيون حينها، في كل مكان تقريباً، مضطربين إلى سبي مدخل التجربة الصحافية الأميركية المتمثل بالصحافي الذي يشمر عن ساعديه وهو يعمل، وكرس غارسيا ماركيز نفسه لها، وولع بها وولع البط بالماء. ولهذا سيصبح أدبياً مختلفاً الاختلاف كله عن معظم معاصريه من أدباء أميركا اللاتينية الذين كانت فرنسا والأساليب الفرنسية في صنع الأشياء لا تزال عاذاح يتخذى لها في عصر بانث فرنسا نفسها تعقد فيه من قصتها على الحداثة.

مع أن هناك أشياء كثيرة مامه يسعى له أن يتعلمها، فإن أصالة كاتب العمود الجديد كانت واضحة من البداية، ولا بد من أنهما كانت تبهج رئيس التحرير الذي منحه اوطيفة. وبعد ثلاثة أشهر لا أكثر، دعا صمماً في مقالته عن أدب كارتاغينا الأفرز - كولومبي حورحه آرتل إلى أدب علي وقاري في آن واحد يمثل عرقاً، وكان ذلك منظوراً مثيراً للدهشة من حميد العقيد ماركيز يدبناه وهو في سن الحادية والعشرين؛ ولبح الساحل الأطلسي هويته الخاصة به⁽¹¹⁾.

في منتصف شهر ثور من تلك السنة؛ أقدمت شرطة المحافظين على بجزرة صد أسر الليبراليين في إل كارمن دي بوليفار، البلدة التي شأ فيها جد غارسيا ماركيز مع العمة فرانسيسكا. كانت إل كارمن سدة ذات موروث سياسي ليبرالي طويل

وعيد وكات أيضاً أقرب بلدة من سان خوانيتو مسقط رأس لبالا، وهذا اهتم الرجال اهتماماً خاصاً بالأحداث التي وقعت هناك، وشأناً حمياً تستد إلى شعاع ماذا جرى في كارمن دي بوليفار؟ وهي المكتبة السوداء التي كان يطلقها ثابالا كمن جدد الحملة أمام إككار الحكومة وسبائهما، وكان يهيبها بعاره ما من شك في ذلك. لم يحدث أي شيء في كارمن دي بوليفار⁽¹¹⁾. وهذه هي العبارة نفسها تقريباً التي سيستخدمها غارسيا ماركيز في ما بعد عند انتكاس بلدة ماكوندو في فصل رابع من فصول مئة عام من العزلة بعد حادثة مدخنة عمال المور.

من ناحية ما، لم يكن هناك ما هو أسوأ من ذلك الرماد كي يصح فيه امرء صحافي في كولومبيا. فالرقابة فرصت يُعيد أحداث نيسان 1948 مباشرة بالرغم من أنها لم تكن في منطقته الساحل تلتل الشدة التي عرفتها الأجزاء الداخلية من البلاد. بدأ غارسيا ماركيز يكتب في الصحافة بسبب أحداث العنف، لكن أحداث العنف هي التي قيدت تماماً ما يمكن للصحافي أن يفعله. في السنوات السبع التالية، ونعت حكم أوسينا بيريث ولوريانو غوميث وأودايتا أريلايت وروخاس بيث، طلت الرقابة الحكومية بشطة باستمرار على نقاوت حلقها. والأهم من هذا كله أن مقالة غارسيا ماركيز الأولى المؤرخة في الحادي والعشرين من أيار عام 1948 أشارت ضمناً إلى مستطور سياسي واضح يتمثل بيسار الوسط، وهو المنظور الذي ما من شأنه أن يحميد عنه، كما أنه المنظور الذي لم يقيد قصصه أو يشوهها في نهاية الأمر (على حد قول الماركسيين).

بعد مرور أسبوعين على بدء عمله في الأوبيرسال، طلب غارسيا ماركيز إجازة لمدة أسبوعين، وتحوّل في أثناء إجازته إلى قصد ماغامي، وعاد إل سوكري لرؤية أسرته. لكن لا بدري إن كان قد توقف في مومبوكس لإلقاء نظرة على ميرثيديس. ولا بد من أنه أدرك عند انطلاقه في رحلته أن مرتبه الجديد لم يكن هو المرتب الذي أنخر والديه به، لكن من الواضح أنه لم يكن يموى على إرانة العشوة عن عيولها. لم تكن تلك أول زيارة مد أحداث العنف في بوغوتا وحسب، بل كانت أيضاً أول مرة يعود فيها إلى البيت منذ أن سافر إلى بوغوتا للبدء بدراسته الجامعية في شاط عم 1947، أي قبل مضي أكثر من عام. لهذا كانت تلك هي المرة الأولى التي يرى فيها

والدته منذ وفاة أمها، وللمرة الأولى ابني يرى فيها آخر أحواله وهو إليحيو عابريل الذي سمي على اسم الأب، كما هي حال عابرين غارسيا ماركيز نفسه. في فترة لاحقة بروي غارسيا ماركيز، وهو يكرر أخاه إليحيو عابرين بعشرين عاماً، مارحاً قصة معادها أن الطفل الجديد سمي بذلك لاسم لأن "أمي التفتني، وأردت أن تتأكد من وجود أحد اسمه عابرين في البيت دائماً". عند سعد عابريل إليحيو شخصياً في ولادة إليحيو عابرين الذي ستكفي الأسره في ما بعد بمصاداته بالاسم يوم، في تشرين الثاني عام 1947، قال: "هد الطفل يشهي إن عانيتو لا يشهي أباً، لهذا سسمي هذا الطفل باسمي، لكن على عر معكوس: إليحيو عابرين!"²⁴.

رجع عانيتو إلى كارتاجينا ولم يسجل رسمياً في الجامعة إلا في هذا اليوم المصادف في السابع عشر من حزيران بالرغم من احتيازه لمقابلة قل ذلك بأسابيع. كانت الأمور تسير على خير ما يرام من الناحية المهنية، لكنها كمت كارتة من الناحية الاقتصادية في وجه الشاب. فبالرغم من أن غارسيا ماركيز كان صم ملائ الصحة، إلا أن أجره كان يدفع له لقاء ما يكتبه. وبالرغم من أنه لم يكن متخصصاً في الرياضيات، وبالرغم من أنه لم يكن بائلي إلى حد ما بقضايا ليربية، فقد أجرى صديقه روميرو دي لا إسبريّا عملية حسابة وقال لهم دفعوا له اثنين وثلاثين سنتاهو، أي ثلث بيروس. عن كل نص كتبه سواء أكان موقفاً باسم أم من دون توقيع، ولكنهم لم يدفعوا له شيئاً لقاء واجباته الأخرى. كان ذلك المبلغ من المال أقل من أي أجر يمكن تحيله وبحلول نهاية شهر حزيران، كان قد طرد من الثرل، وبدأ يدم فوق مصاطب الحدائق مرة أخرى وفي حشرات طلاب آخرين أو وهذا ما اشتهر به - على ورق طبع الخرائد في مكتب حريدة الأوبيرسال، وهو المكال اندي لا يعنى 'بدأ'. في مساء يوم ما، ولما هو يسير مع زملائه في حديقة المتوية، حيث جلسوا على درجيات نصب نولي مي تعبيري، واحسوا الشراب، ودخنوا وتخاذبوا أطراف الحديث، سأل أحد الصحافيين، وهو خورخه فرانكو مويرا، عن أحوال سكن غارسيا ماركيز، فاعترف الأخير بالحقيقة. في تلك الليلة صمها صمحه فرانكو مويرا إلى ست أسره في شارع إستانكو ديل إيواردانيي عند ناصية كوارتل ديل صمخو وعلى مقربة من مسرح هويديا في البلدة

القديسة. عاقت الأسرة الطالب الخانع الذي لا مأوى له، وبخاصة كارمن موير هيران والده حورحه⁽¹⁴⁾. كما مالت إليه أمهات أشخاص آخرين، وكان يقيم عند والدة حورحه بين القية والقية محاولاً استرعاء صميره بتناول أقل ما يمكن من الطعام طوال مدة بقائه في كرتاخينا.

هكذا عاش عارسيا ماركيز في ذلك الوقت حياة باعثة على لبأس أكثر مما كانت عليه حاله في بوغوتا، وروّض نفسه على عدم الاكتراث فعلاً لمتطلبات بلده. كان حتى وهو في هذا المكان الساحي، مشهوراً بقمصانه ذات الألوان المتعددة كإس يسيس قميصاً واحداً حتى يلبى واسترته ذات المربعات وبطالته الصوفي الأسود الرث وهو ما تبقى له من بدلة قديمة وحوربه دي اللون الأصفر الفاتح المتدلي حول كاحليه، وحذائه المعبر الذي لم يطمعه قط. كان شاربه كتلة مرقته من الشعر، في حين كان شعره الأسود أشعث كثير التلافيف قلما لسه لمشط. حتى بعد أن حصل على حجرة في بيت فرانكو مويرا، كان ينام حيشما هذه التعب وأيس صسطه طلوع الفجر. كان خيفاً حذاً، وكان أصدقاءه الذين يتأثرون دوماً بمرحه وعدم إحساسه بالشفقة على نفسه ولم يباشدهم مد يد العون له، ينشأ كون بشراء وجبات الطعام به تحاراً ويأحدونه معهم في برهانهم ليلاً.

تختلف آراء أصدقاءه ومعارفه. فقد حبل للعديد من الناس، خاصة المحافظين اجتماعياً، أنه غريب الأصوار إلى حد الجنون أو إنه شاذ⁽¹⁴⁾. ويقول أصدقاء آخرون مثل روحاس هيراثو إنه محث ("يا له من صبي طيب")⁽¹⁵⁾. ويتذكر روحس وصديق آخر يدعى كارلوس أليمان عدم نصح عارسيا ماركيز، ومشيته الوثابة - التي لم يعقد قط - وميله إلى الرقص مسهجاً عندما يقدم إليه أحدهم فكرة جديدة أو يتحس لواحده من أفكاره التي يصلح لأن تكون قصة⁽¹⁶⁾. ويتذكر معارفه أنه كان يقرر دائماً بأصابعه على المضادة أو على أي شيء يورف محب يده عند انتظار طعام العداء، يعني هذوء، أو نصح، فيما تتردد الموسيقى دقماً بين جسائه⁽¹⁷⁾.

تعلم عارسا ماركيز كل شيء اضطّر أصدقاءه ورملاؤه إلى تعليمه إياه. كما أنه فكّر في بعض الأفكار الأساسية عن مهته في مرحلة مبكرة جداً من حياته، مما بدعو لدهشة. فعلى سبيل المثال، أطلع على إعلان جورج برنارد شو بأنه سيهب

نفسه من الان فصاعداً للترويج لشعارات وذلك لم الحصول على المال وعق عارسي
ماركيز هائلاً إن ذلك كان عداءً فكرياً له ولأولئك ندين "قرروا ألا يكتبوا لأسباب
خارية، ومع هذا وحدها أنفسنا نمارس تلك الكتابة ناهياً ليس إلا" (18)

استقرت الحياة على وتيرة واحدة في كارتاجينا، وفانت عارسي ماركيز معظم
دروسه، لكن لم يكن جميع الأساتذة يحلون أسماء الطلاب احصين، فيما
تعاطف المدرسون الليبراليون مع ما شات الشاب الصحافي ضد الرقابة والسياسات
على وجه العموم التي أرسلت أكثر من مرة بمجاميع عسكرية إلى مبنى الجريدة
لإرهاب العاملين فيها. كان من بين أهم علاقاته هي العلاقة التي نشأت مع عريستاهو
إيمارا ميرلانو، وهو طالب الأدب الكلاسيكي الذي سبق له أن تخرج من دار
المعلمين الابتدائية في بوجوتا، وأصبح الآن يدرس في إحدى المدارس المحلية على بعد
بضعة ياردات من مكتب جريدة الأوبيفرسال. كان إيمارا ميرلانو صديقاً صليماً
لروحاس ميراثو. ولم يكلف سير عارسي ماركيز مع هذين الصديقين أي مال - ولم
يكفه أيضاً تلقي أي صدقة - لأهم لم يقتصوا شراء ولم يحضروا حفلات، بل كانوا
ياقننون قصايا رقيقة الشاء تحض الشعر أو الفلسفة اللبية (19).

كان لدى عارسي ماركيز أصدقاء احرون، أهواؤهم أقل نقشعاً، وفي مقدمه
مهم الأخوان دي لا إسريثا، راميرو وأوسكار اللذان كان يلتقي بهما من وقت إلى
آخر في العام 1948، ولكن لقاءه بهما ارداد في العام 1949، ولم تكن اهتمامهما
ذات طابع سياسي محسب - بعيدان الليبرالية المتشددة وحتى الماركسيه - بل كتب
شديدة اصلة بالواقع الدوي. لقد أمضى عارسي ماركيز وقته معهما ومع غيرها
من الأصدقاء في معقرة الشرب وازنياد الأماكن حيث بات الهوى. ثمة ثلاث
مقالات استمر رية على نحو مذهش طبعت في ثمر عام 1948 تشير إلى أن عارسي
ماركيز ربما أغرم ست من تلك البسات، وربما كان قد بدأ في ذلك الوقت تمام ميل
إلى العرام والهوى اللذين سنعكسان على أعماله التالية، وفي المقالة الأولى، بمضل
بكل وضوح جسد نثي شابة مأملاً: "ونعكّر في أن هذا كله سيبسكه اموت يوماً
ما"، ثم يهي العقرة لأولى بعبارة: "نصكّر في أن هذا الألم الكاس في داخلك والعيد
جداً عن جسدي سيحج يوماً ما علاجه الأخير" (20).

في الوقت الذي نشرت فيه المذلة الثالثة، اكتشف الأديب الشاب وحدة من أفكاره الرئيسية التي تجلّت بشكل كلاسيكي في روايته الحب في زمن الكوليرا: عكس لمح أن يستمر إلى الأبد، لكن من الأرجح أن يهره ويموت في أقصر وقت شأنه شأن امريض⁽²¹⁾. لم يسي إلا القليل من لزوار الدكور رؤيتهم أول مرة لنساء المرافئ الكاريبية مثل كارثاخينا أو هافانا، المنتمات للشهوة بشاها الداخلية، وعش عارسيا ماركيز في شبابه المدعارة الكاريبية وهي في أوجها. لكن راميرو دي لا إسبيريتا يتذكر أن غارسيا ماركيز لم يذكر من الفتيات المحترمات لرصبات سوى فتاة واحدة هي ميرثيديس التي كانت يومئذ تلميذة مدرسة في السادسة عشرة من عمرها: "لكنني لا أنجيل ما الذي رأيته فيه، فقد كان مجرد طفل، عديم انشاء، تعلو وجهه الشرر الصغيرة، يعاني الملاريا، ويسو سقياً، ويعتقر إلى أي طلة بدنية .. ولو رأيته في الشارع حسبه ساعياً"⁽²²⁾.

كان أفراد أسرة ميرثيديس ومعظم أفراد أسرة عارسا ماركيز لا يرالون في بلدة سوكري، عم أن لويس إنريكي كان يعيش في بارانكيا وكان يكثر من السفر إلى كارثاخينا في عطلات نهاية الأسبوع وفي أثناء العطلات الأخرى. "كان عايينو يفعل في كارثاخينا ما كان يفعله في بوغوتا وهو التطاهر أنه يدرس الحقوق لكنه كان مهتماً في الكتابة في حقيقة الأمر"⁽²³⁾. كان ذلك العصر هو عصر أغاني البوليرو، الأمركية اللاتينية العظيمة التي يؤديها ثلاثة مغنين، وكان لويس إنريكي يحلم بإنشاء فرقة الثلاثية: "وكان مثل هذا الأمر يثير مع أبي أكثر مما تثيره الكتابة التي يدرسها غايينو"⁽²⁴⁾.

في هذا الوقت تقريباً، تلقى ثابالا رسالة من ثالاميا بوردا الموجود في بوغوتا يسأل فيها عما حدث لنشاطات انشاء عارسيا الأدبية. في الحقيقة، تخلى عارسيا ماركيز عن كتابة القصص في هذه المرحلة، لكن لم يكن يرفض طلباً لثالاميا، لهذا أسرع بتقريب قصة أخرى بعنوان الوجه الآخر للموت فنشرت في الاسكتادور في الخامس والعشرين من غور عام 1948. لا بد من أن عارسيا ماركيز أثنع غروره، وشعر بارتياح عميق وهو يرى شخصاً مؤثراً وفاق الأهمية لا يرال يفكر فيه، ويعزز من اهتماماته ببوغوتا.

في السادس عشر من شهر أبول عام 1948، سافر عارسيا ماركيز إلى بارانكيا في مهمته أو كئنته الصحية لها، ولكنه بدلاً من أن يستغل الحافلة لعودة مباشرة إلى كارثاجينا، قرر أن يزور بعض الرملاء الصحافيين الذين أوصى بهم أصدقاؤه في كارثاجينا، فكان ذلك القرار قراراً تاريخياً آخر، إذ اطلق صوت مكاتب صحيفة الباشيونال حيث كان يعمل كل من خيرومان فارغاس وألفارو سيبيدا اللذين كان عضوين في جمعية توهيبة محلها 'صحت تعرف لاحقاً باسم جماعة بارانكيا'²⁵. في تلك الأمانة الأولى حظيت مساهمة عارسيا ماركيز للتحسنة والحكمة في المناقشات الأدبية بإعجاب العصور الثالث في الجمعية 'لغوسو فويسمايور الذي كان يعمل مساعداً لرئيس تحرير صحيفة الميرالدو اللومالة فطلب لاحقاً من عارسيا ماركيز أن يزوره قبل أن يعود أدراجه إلى كارثاجينا.

بسهج عارسيا ماركيز عندما وجد أن هؤلاء الصحافيين الضامرين، على ما يبدو، يعرفونه بفعل شهرته، فعدوه عناق من فقد أحداً من زمن طويل، وعاد ليحده أمامه، وعرفوه إلى المرشد الأدبي المحلي الأديب الكاتالوني رامون سيس، وصحبه إلى مشرب وببيت لبسات الهوى شها بأسطوره أوفيميا السوداء التي حثها في رواية مئة عام من العزلة. هناك حتم عارسيا ماركيز انتصاره الشخصي وارتباطه بالجماعة عندما عني أعالي المامبو والوليرو لأكثر من ساعة. أمضى ليلته في منزل ألفارو سيبيدا الذي كان، بخلاف الآخرين، في مثل سنه وله دور عارسيا ماركيز في لمس القمصان المررسة والملابس لمصاضة، وكان أيضاً طويل الشعر، ويسع صدلاً بحيث يبدو وكأنه من رواد طيير. كان سيبيدا يتميز بصوته العالي المدوي بالدوعمانية، وأحد عارسيا ماركيز إلى حذار صُغت عليه كتب أكثرها أميركية شمالية وإيكليزية: "هذه هي أفضل الكتب الرائجة، وهي الوحيدة الجديرة بأن يقرأها لذين يعرفون كيف يكتون. وفي وسعك استعارتها كلها إن شئت".

حسب المذكرات، أرسلت في صباح اليوم التالي روايه إلى عارسيا ماركيز عنونها أورلاندو لأديبة لم يسمع بها من قبل وهي فوجينا وولف التي يبدو أن سيبيدا كان يعرفها معرفة شخصية إذ كان يعتتها دوماً ببولف لعجور، تماماً مثلاً كان جميع أفراد الجماعة على علاقة حميمة مع أديبهم المفصل ولیم فوكر الذي

كانوا يعتبرونه بالرجل العجور⁽²⁶⁾. بعد كل هذه السنوات، تظل الحداثة التي أظهرها هؤلاء الرجال الأشد لأعمال السيدة ووف الرزية موضع دهشة. ويتذكر الأصدقاء أن غارسيا ماركيز تولاه العجب في ذلك الوقت بسبب سطر عمر جدير بسيدة على ما يظهر بالرغم من أنه مرأه في إحدى رواياتها: "الحب هو أن تسعى سروراً"، وهو ترجمة حسرة لعبارة الحب يسلم من ستره المرء الواردة في أورلاندو⁽²⁷⁾. ربما كان هذا الانقباض أكثر من وجهة نظر عن العالم أبلغ بكثير مما قد يبدو لأول وهلة. على كل حال، قال غارسيا ماركيز للجميع إن فرجيا كانت "عجوراً فظة"⁽²⁸⁾.

اقترب وقت انتخابات السنة الثانية فانتاب اليأس غارسيا ماركيز، إذ كان حصوره غير منتظم - خمسة عشر عيانياً مسجلاً رسمياً - ولم يستوعب إلا القليل مما كان يسمعه. ويتذكر أحد زملاء صفه قائلاً إن غارسيا ماركيز "كان يعمل حتى الساعة الثالثة صباحاً في الصحيفة ليلاً بعدها فوق ورق الجرائد المحصص للطباعة حتى الساعة السابعة. وهو الوقت الذي تبدأ فيه الدراسة. وكان يكثر من القول إنه كان يضطر إلى الاستحمام في وقت لاحق لأنه لا يملك الوقت للاغتسل قبل انخسار إلى الحمامة"⁽²⁹⁾. اجتاز السنة الدراسية عموماً، لكن الإحباط في مادة القانون الروماني عاد ليقض مضجعه سنوات طويلة، ولعله كان حاسماً في التأكيد على أنه لن يعدو محامياً أبداً.

في غضون ذلك، أطمته صلته بجماعة ماراك - ومنحته الثقة بانفس - للبدء بكتابة روايته الأولى التي وضعها عنوان البيت، وقد كانت رواية عن ماضيه الشخصي؛ ربما كانت رواية يهكم فيها مد عهد بعيد. لقد بدأ كتابة الرواية في النصف الثاني من العام 1948، راكم عليها انكباً في مطلع العام 1949. كان صديقه راميرو دي لا سيريا وشقيقه أوسكار يقطنان في ممرل والديهم الذي يعود إلى القرن التاسع عشر في شارع باذيو الثاني، وهو إحدى مناطق المدينة المسورة القديمة. كان غارسيا ماركيز كثير التردد عليهما، وغالباً ما يأكل هناك ويمضي ليله عند اقضاء الحاجة. كان البيت يضم مجموعة كبيرة من الكتب، وغالباً ما كان غارسيا ماركيز يشاهد وهو يقرأ عن التاريخ الكولومبي في المكتبة. يتذكر

أوسكار، وهو أكبر الشقيقين سناً "سمّاه أبي" الحقوقي الشجاع" لأنه قال إن ارتداء الثياب التي يرتديها يتطلب شجاعة فائقة... أما أبي فأحبته حبها لأسبها.. كان يأتي حاملاً زرمة كبيرة من الأوراق مربوطة بربطة عنق، فيها ما كان يكتبه، فيجلس، ويفك البطلة العنق، ويعرأ أمامنا⁽³⁰⁾.

من خلال المقطوعات التي بقيت طويلاً، ونسرب لي ما بعد في صحيفة المير لدو في بارانكيا، يمكن أن نلاحظ أن أحداث الرواية تجري في بيت يشبه إلى حد ما بيت جدّي عارسيا ماركير، كما أنها تذكرنا بفكر موضوعاً لا أسلوباً. كانت رواية مثيرة للاهتمام، وتنطوي على جهد، لكنها عديمة الكهة، لا توحى أي من فقراتها بالآثر بفكر أو جويس أو حتى هرجيبا وولف، شخصياتها تشبه حده وجدته وأسلافهم. أما المكان فيشبه أراكاتاكا، والحرب مشابهة لحرب الألف يوم، إلا أنه لم يتمكن في هذا الوقت من تجاوز السرد الذي يحو محي العرض دي العبد الواحد الذي تعوزه الحيوية أو الروح يبدو أن عارسيا ماركير لم يتمكن من الهروب من البيت، أو بعبارة أخرى، لم يستطع فصل رواية البيت عن البيت، الرواية عن مصدر إلهامها. بالرغم من هذا، يستحيل أن نشك في أن حدوث مثل عام من العزلة موجودة هنا تماماً من موضوعات عن العزلة والحين إلى الماضي والجمع الأبوي والعنف التي تنتظر كلها السيرة والمطور الواضح للذين لم يظهر إلا بعد أكثر من عقد من الزمان، يتمثل جزء من الحقيقة بأن عارسيا ماركير لم يتمكن تماماً بعد من استعارة من ثقافته، إذ كان يتعذر في ذلك الزمان أن يكون أي شيء مرتبطاً بنسكولاس ماركيز مصححاً أو سادجاً، لكن المراقبة هي أنه لم يظن بعد إلى ربط عالم كافكا الفانتاري بعالم ذكرياته الحقيقي⁽³¹⁾.

في آذار من العام 1949 داهمه مرض شديد فجأة. وبحسب شهادته، كانت المواجهة السياسية مع نابالا هي التي أشعلت شرارة الأزمة مع لبلة ما من أواخر شهر آذار، كان عارسيا ماركير يجلس في مطعم الكهف برفقة نابالا الذي كان يتناول العشاء في وقت متأخر من الليل. كان عارسيا ماركير قد بدأ يتصرف تصرفاً سيئاً على نحو متزايد منذ رحلاته إلى بارانكيا، فيعمل بغير انتظام في جريدة الأوفيرسال ويظهر ما يشع إلى تمرد مراهق يفتقر إلى التركيز سبه صله بالفلرو

سيبدا توقف تابالا عن تناول حسائه ونظر من تحت بطارته وقال بخلة: "فل ي يا عاريس: هل لاحظت وسط كل نصرافاته الغبية أن هذه البلاد تسبح نحو الدمار؟"⁽³²⁾ أصيب عارسيا ماركير بالذهول، فاستمر في الشرب حتى انتهى به الأمر إلى أن يستغرق في النوم على مصطبة في شارع الشهداء. استيقظ في صباح اليوم التالي بعد أن توقف هطول المطر المداري مليل الثياب بعالي التهاب رئوي. عندما شُخص الالتهاب الرئوي مرر العودة إلى سوكري والقضاء فيها أطول مدة ممكنة لينتقل للشفاء في بيت والده، وإن لم تكن الوجهة مثالية لمريض بعالي التهاب الشعب الهوائية لأن مستوى المياه المحيطة بسوكري ارتفع أكثر من أي وقت مضى، وطغى على البلدة التي غالباً ما كانت تتعرض للفيضانات كما في ماعة لحس وقصة موت معلن.

ستبين أن تلك العودة إلى البيت كانت مهمة فقد قال عارسيا ماركير إنه توقع إلى حد ما أن تستمر إقامته هناك ستة أشهر بالرغم من أنه في النهاية لم يمكث أكثر من ستة أسابيع. ولم تكن تلك الإقامة هي الأطول التي بمصها مع الأسرة منذ سبع وحسب، بل كانت أيضاً زيارة كان يعلم مسبقاً أنها ستجعله أسير لست سوقت طويل. ولم يدرك ذلك في حينه، غير أن ثورة هادئة لا واعية بدأت تعمل عملها في أعماقه بعد أن كبر عدد من أخوانه وأخواته، ثورة بطيئة لا تحدث أثرها مباشرة، لكنها حاسمة على المدى البعيد بالنسبة إلى حياته وتفكيره الأدبي والتاريخي. في وسع المرء أن يقول إنه مسدداً بإضافة الأحياء إلى الأموات الذين كانوا يستحودون على محبته

بعد أن بات عارسيا ماركير صحافياً بدأ أيضاً يسبه إلى سوكري كانت إحدى الأساطير المحلية إثارة للاهتمام بالمصقة تمثل في أن لم كيزينا دي لا سيري، وهي امرأة إسبانية شقراء يُفترض أنها عاشت في مستوطنة لا سيري (سيري نعي أمي) النائية ولم تتزوج أو تعاشر أي ذكر، كانت لديها قدرات هائلة، ومررعة مرامية الأطراف بمساحة عدة بلديات، وعاشت أكثر من مئتي عام. كانت في كل عام تطوف في الإقليم ناعح المرصى، ولمنح الإحسان لأولئك الذين يحميهم. وقبل أن تموت أحضرت قطعاتها من الماشية لتستعرض أمام المسرور

فاستغرق ذلك تسعة أيام، إلى أن تشكل بفعل ذلك مستقع (ثيغا) لا سريسي. جنوب عربي سوكري بين لكري سان خورنخ وكاركا. ثم دنت ما تبقى عده من أعلى المقتنيات والكور في استقع مع سر الحياة الأبدية، وورعت بقية ثروتها بين الأسر الست التي كانت تسهر على خدمتها⁽³³⁾.

إن هذه الأسطورة التي رواها لغارسيا ماركيز صديقه أنخل كسيخ بالثيا، بن عم خوسيه نانشيا، وغيرها من الأساطير التي يشاء أن يجمعها بنفسه، لم تساعد على بناء أساس سلسلة من المقالات الرائعة التي بدأ بكتابتها بعد ثلاث أو أربع سنوات وحسب، بل ألهمت أيضاً إبداعه الأدبي الذي يوفق الوصف للألم الكبيرة الذي سيعدهو العلاقة الأولى التي لا تدع مجالاً للشك في أسلوب غارسيا ماركيز الصنع في أواخر خمسينيات القرن العشرين. أما المكور الآخر، فكان يمثل سلسلة ثرية تميز في سوكري، وسكن تجوار أسرة حيتلي خيميتو التي كانت ترتبط بصداقة مع أسرة غارسيا ماركيز. كانت السيدة تدعى ماريا أماليا ساما يودي ألفاريز، وكانت تكثر من ارداء التعلم والثقافة، وتباهى بلا حدود بثروتها. وعندما توفيت في العام 1957 جرى لها تشييع مبالغ فيه على نحو يدعو للعزاة⁽³⁴⁾. وثمة قصة أخرى موارة في عزبتها عن فتاة في الحادية عشرة من عمرها اضطرت إلى احترام البقاء بتشجع من جدتها. وبعد سنوات عديدة نتجسد في شخصية عدد من بطلاته لا سيما إير لدير⁽³⁵⁾.

بدأت الآن قصة تطور روائها نظراً للأسئلة في أجلى صورها الدرامية. لقد لُمح غارسيا ماركيز في رسالة بعث بها إلى أصدقائه في بارانكا أن إرسال شحنة من الكتب ستلقى الترحيب في مواجهة قصر سوكري ومظاظه بيت والديه⁽³⁶⁾. ووصلت الكتب في حينه، وكانت تتضمن مؤلفات موكري: الصخب والعنف، والقرية الصغيرة، وبينما أُرقد محتضرة، والنخلات المتوحشات، ورواية السيدة دالوي لمرجينا وولف، وتمر مائتان لدوس ساسوس، وفتران ورجال وعاليد الغضب لشتايبس، وصورة جيبي لانتان، ونقطة مقابل نقطة لماكسلي لكن لسوء الحظ كانت نتيجة قراءة هذه الكتب المتأقفة من الأدب الحديث قد جعلت كتابة رواية المبت توقف تقريباً⁽³⁷⁾. يصاب إلى ذلك، وفيما كان غارسيا ماركيز يمتاثل

للشفاء، بدأ يعود إلى نشاطاته التي كان يمارسها في أثناء وقت الفراغ لم يحضر إلى لا سيري، ولكنه عاد إلى علاقته مع يعمومانا الشهوانية (التي أصبحت الآن بلا روح) ثم أثار كثيراً من استياء لويسا ساتياغا كما اتخذ له بعض الأصدقاء الحدود، ومنهم كارلوس أليمان من موموكس، والذي يتذكر وصوله إلى بلده سوكري في أيار من عام 1949. "وقف وسط الحشد الذي تجمع لحياته عند وصولنا من الأكواخ رجل يرتدي رداءً عربياً: نظالاً أسود ومصبهاً أصفر، ويتعل صدلاً رقيقاً. قلت لراميرو: من ذلك الشفاء الصغير الحريل؟ فرد: ذلك هو غابينو... كان يقف مرتدياً تلك الثياب، في حين كان الجميع يلبسون الكاكي".⁽³⁸⁾

هكذا انضم عارسيا ماركيز الذي كان يفترض به أن يمضي فترة القاهة من مرضه إلى تلك الجماعة مع صديقه جاكوبو كاسيج، وهو لبرالي متشدد آخر، و"انطلقوا في رحلة في جميع أرجاء موحانا مستقبين ثلاثة روارق يرفع كل واحد منها رايات الليبريين، ويحمل براميل الشراب وقرقة موسيقية. كان أنصار الليبريين يحوهم عن صفح النهر عني حين أعاد وجهاء المناصق، وهم الملاك الليبريون عادةً، مآذب الطعام واللقاءات حيثما حلوا. ويستذكر أوسكار دي لا سيري بعد سنتين: "لقد كنت ماركسيين في تلك الأيام، تنتظر الثورة، لكن كارلوس يوراس لم يصدر إلا أوامر قتل".⁽³⁹⁾

تحول منتصف شهر أيار، شعر عارسيا ماركيز أن في وسعه العودة إلى ممارسته نشاطاته في كارثا حيثما بعد أن حسنت صحته. لكن بما أن صديقه كارلوس أليمان استحب حديثاً عصواً في مجلس المديرية، فإنه لم يكن مدرراً أكثر مما مضى أهميته الدائمة، لذلك استغل مكانته الجديدة وميراثه المالية لتنظيم حملات سمر بين حين وآخر منحت صديقه الفقير ما يكفيه من الطعام لمدة أسبوع، وكان ينتهي به المطاف أيضاً إلى المعنى.⁽⁴⁰⁾

عندما رجع عارسيا ماركيز من سوكري وكتب مقالته المطلوبة التالية - وكانت ائذاك طاهرة بادرة جذاً حول انتخابات محكمة محال الطالبات، فإنه لم يوقعها باسمه غابرييل عارسيا ماركيز، وبما وقعها باسم سيستيموس الذي استوحاه من شخصية بذلك الاسم في رواية السيدة دالاري لفرجينيا وولف.⁽⁴¹⁾ تسمير تلك

المقالة الأولى في سلسلة مقالات موقعة بذلك الاسم ببرتها الوثيقة المبالة إلى انعطافه ونقص عماره التحدي التالية: "نحن اطلاب اكتشفنا صيغة لحاة مُشني: التوافق بين تحف الطبقات الاجتماعية، والمربيات العادلة، وتوزيع القيمة الفائضة بوريعاً عادلاً، وحل البرمادات مدفوعة الأجر، والامتناع الشامل والجماعي عن الانتحانات" لقد أهمل عارسب ماركيز إهمالاً خطيراً دراسة الحقوق قبل أن يذامه المرض، وأهلها إهمالاً متعمداً أكثر في ما بعد لقد بات دائع الصيت في إعلاؤه عن مقته اخقوق وتنظيم مباريات كرة القدم نصيماً مرتجلاً في أروقه الجامعة ربيعة الشأن. ويكمن الخطر في أنه لو حار عني شهاده المحاماة فقد تعريه ونجيره أسرته أو صميره - عني ممارسها. لقد كاتب دراسة الحقوق في كارتاجينا مئة ورتيبة كسر مما هي عنه في بوغوتا. في هاية الأمر أحقق في «مانون اطيبي» (أي صر عامريل إلبحيو) وفي الحبة ادراسية حول القانون المدني، ولكنه يح بصعوبة في القنود المدني نفسه، واحتار خمس مواد أخرى. لآ أن هذا يُعد إبحاراً في صوء عيابه الكثيرة. ومع هذا، فهو لم سحج في مائه القنود الروماني، وهذا ائقل إلى السة الراجعة محملاً بثلاث مواد⁽⁴²⁾.

كانت لستان 1948 و1949 ستين عجيتين على المستوى لعالمي، إذ كانت مس أكثر السنين بونراً وحسماً في القرن لعشرين برمه. كان غارسيا ماركيز في بوغوتا عندما بدأ النظام الأميركي الداخلي في القارة؛ وهو نظام يحدم إلى حد كبير مصالح لولايات المتحدة التي هيمنت على المناقشات في أوروبا بشأن تأسيس الأمم المتحدة، ورنست ترتباً رمزياً كافياً نقل اجتماعات المنظمة الحديدة من لندن إلى سيوبورك كما أعلن الرئيس ترومان الذي كان قد اتخذ قراراً لم يحص عليه رمس طويل، نصف اليان يقستين درتين، ألا وهما حمه صليبيه عالمية ضد الشيوعية - وكانت السي أي به قد شككت في العام 1947 لتكون جزءاً من المعركة ضد الشيوعية ودعم اسانا صمناً اعط الأميركي. لقد أضح ترومان في إعادة انتحاه اسناداً إلى هذا اوضع. كما أسست دولة إسرائيل بدعم كامل من الدول الغربية، وطهر حلف الناتو إلى الوجود، وفرصت جمهوريات الاتحاد السوفياتي الاشتراكية حصاراً على برين فردت الولايات المتحدة الأميركية على ذلك بحسر جوي،

وأجرى الاتحاد السوفييتي تجربة على قبلته الدرية. في الأول من تشرين الأول عام 1949 أعلن عن تأسيس جمهورية الصين الشعبية. وفي حين أتمد عارسيا ماركيز قراره أحمر بأن يتولى مهام أموره بنفسه والانتقال إلى كارتاخينا، أصبح النظم لدولي الحديد الذي سيدير دفة العالم في أثناء حقبة الحرب الباردة التي أعلنت مؤخرًا راسخ اجنذور. هذا هو سياق حياة الصبي البالغ ورماته

في هذه اللحظة، ظهر في طريق عارسيب ماركيز مره أخرى مابويل ثابات أولمبيا، ذلك المتشدد الأسود والأديب والثوري والطبيب، وسيتكرر ظهوره مستقلاً أكثر من مرة. فصحه مابويل معه ليشاهد ولأول مرة مقاضعة باديا القديمة، المستنقع المفصل والمألوف للعقيد ماركيز في أثناء حرب الألف يوم كان ثاباتا قد تمرح مؤخرًا من الجامعة الوطنية في بوعونا. وبالرغم من أنه من مواليد كارتاخينا، فقد كان يسافر لممارسة مهنته الحديدة في بلدة لاماث الصغيرة الواقعة عند سبع سيرا بيماذا على بعد اثني عشر ميلاً تقريباً من بايدوبار. دعا ثاباتا صديقه عارسيا ماركيز يذهب وإياه إلى محل إقامة الحديد فما كان من انفضي الشاب إلا أن نادر بالسهر الفرصة وقبول الدعوة. فالتقى هناك في لاماث وباندوبار معين في بيتهم الطبيعية - لا سيما عازف الأكورديون الأورو - كولومبي المؤثر أيليتوا أطلونيو بيا وهو أورو من سجل موسيقى الغالباتو⁴³.

بحلول الوقت الذي عاد فيه عارسيا ماركيز إلى كارتاخينا، كان قد استقر رأيه أخيراً: حان الوقت للرحيل. بمدينة كارتاخينا ستكون ملائمة أكثر له إذ يستطيع أن يأسس فيها تراثه الثقافي. كان آخر ظهور له في كارتاخينا في حصة أقيمت في الثاني والعشرين من شهر كانون الأول احتفالاً بشهر رواية ضباب أزرق لصديقه حورحه لي بيسويو كونييس البالغ من العمر سبعة عشر عاماً، فأنى عليها نداء قلباً في مراجعة انتقصت من قدرها في جريدة الأوبفرسال.

يتذكر أوسكار دي لا إسبريتا غارسيا ماركيز وهو يعني "أول أعية فالباتو ممعها". على حدة تعبيره وكان مطعنها الأول هو: "سأقدم إليك باقة من زهور لا تسبني وستعملين ما تحبوك به اسمها"⁴⁴ لقد استخدم هذا المقطع من الأعبه استخداماً ضمياً عدد من الأدباء في كارتاخينا للإشارة إلى أن عارسيا ماركيز لم

بس - ولم يسكر حقاً - ظلم المدينة وحدها، بما فيها من قيم الصبغة العليا الرحمة والمشاغمة وحسب، بل أصدقاءه أيضاً الذين مثّلوا له يد العروب، ورملاءه الذين أظمّوه، وفوق هذا كله رُسم التحرير الذي أحته وعُثمه كييمني مانويل ثابالا الذي لم يذكر غارسيا ماركيز اسمه علانية إلا في مقدمة الحب وشيطين أخرى. في العام 1994⁽⁴⁵⁾.

في الحقيقة، سيكر الفتي الشاب بوصوح جميل عدد معين من الأفراد في فترة لاحقة من حياته، كما أنه سيظل يُعصص دور كارناخيا في نظوره. ولكن من الواضح أيضاً هو أن أدباء كارناخيا يبالغون في مراعاتهم عن تأثير المدينة وثقافتها في الروائي الناشئ، ويقللون من شأن مدى معاناته طوال مدة علاجه فيها. لقد كان غارسيا ماركيز صبيّاً فقيراً طوال السنوات السبع التي أمضاها في المدرسة، وكان يعتمد على عطايات الآخرين وإحسانهم. وفي بوغوتا، كان دوماً بحاجة إلى المال. وفي كارناخينا وفي نارانكيا في ما بعد - وصل به الفقر حدّ العوز. لكنه شكّر على نحو ما من أن يرسم عبي شصيه البسامة وأن يكون إيجابياً دائماً في تلك السين. يؤكد الشهود، سواء أكانوا أصدقاء أم غير أصدقاء، عبي حدّ سواء، أنه لم يصير فظ عن شعوره بالأسى على نفسه ولم يطلب إحساناً. أما كيف حافظ على رباطة جأشه، وكيف استمر واثقاً من نفسه، وكيف بنى عزمه وتصميمه وتمكّن من ابتكار مهمة وتحريرها في تلك الظروف القاسية مع أسرة مؤلمة من عشرة أفعال أصغر منه سنّاً، ويحيون حياة فقر إلى حدّ ما، فهو أمر لا يمكن أن يفسر فقط بكلمات مثل الشجاعة وهو الشخصية والإصرار الذي لا يتمزّع

* * *

بارانكيا وبتاع كتب وجماعة بوهيمية

1950-1953

"أعتقد أنه ذهب إلى بارانكيا بحثاً عن هواء نقي وحرية أكبر وأحر أفضل"⁽¹⁾
 بهذه العبارة يوضح راميرو دي لا إسبرثيا، بعد أكثر من أربعين عاماً، قرار صديقه
 بالانتقال من مدينة كارثاخيا التاريخية إلى مباء بارانكيا الحيوي على بعد ثمانين ميلاً
 إلى الشرق. عندما رحل عارسيا ماركيز عن كارثاخيا بهاية شهر كانون الأول
 عام 949، كان خطر التحوال قد فُرض مرة أخرى ولم يكن سهلاً الوصول إلى
 بارانكيا في وقت متأخر من العصر قبل أن يسري معمر الخطر. كان معه من
 بيروس وصغتهما أمه لويسا في جيبه بعد أن استحوذت عليها سرّاً بالإضافة إلى
 مبلغ آخر غير محدد من المال أعطاه إياه ماريو الاريدي دي فيليبو أحد أساتذته في
 الجامعة. كان يحمل معه مسودة رواية البيت في محطة حديدية سبق أن سطا عليها في
 برغوتا وكان، كمهده، فلماً من أن يصيغ منه أكثر من فلقه على احتماز ففدته
 مسوده. كان متشككاً بالرغم من أنه سمصبي عطية ملاد أخرى وحداً. على كل
 حال، وكما يعرف في ما بعد حتى أحد المعجيين بكارثاخيا "كان الوصول إلى
 بارانك في تلك الأيام أشبه بالرجوع إلى العالم، إلى المكان الذي حدث فيه الأشياء
 حقاً"⁽²⁾. كان ألفوسو فوينمايور قد وعد عارسيا ماركيز بأنه سيقوم الدنيا ويقعدها
 حتى يجد له وظيفته في صحفه الميرالدو.

كتب بارانكيا مدينة بلا تاريخ تقريباً، بلا أي مباء مسمرة. لكنها كانت حديثة
 وتجارية وحيوية، تختفي بنوافذ، بعيدة العدا كله عن العف الذي كان يرق داخل
 السداد، سكانها يُقدِّرون حوالى نصف مليون سمة. وقد أحرني عارسيا ماركيز في

العام 1993. "لقد ساعدتني بارانكيا كي أصبح أديباً، ففيها أعلى نسبة من السكان المهاجرين إلى كولومبيا من عرب وصيبيين وغيرهم. كانت أشبه بقرطبة في العصور الوسطى: مدينة مفسوحة تحشد بالمتقنين الذين لا يبالون أبداً بكونهم متقنين"⁽³⁾

كان المؤسس الروحي ما أصبح يعرف في ما بعد باسم جماعة بارانكيا هو رامون سيس الكاتالوني الذي قُدِّر له أن يصحح يائع كتاب مئة عام من العرلة المعجزة⁽⁴⁾. كان رامون قد ولد في قرية بيرغا الجبلية في العام 1882، وشأ في برشلونة، واكتسب شهرة قبله في إسبانيا قبل رحيله إلى نيسا في العام 1913. ولا تزال النشاعات تروح حتى يومنا هذا في بارانكيا عسى أنه كان متني الجنس شاد، ويبدو أن هناك من الدلائل ما يجعلها صحيحة. وهكذا نبيّن أن كلاً من معلني عارسيا ماركيز الأساسيين في أثناء فترته الكاريزمية، تابالا وبييس، ربما كانا مثليي جنس. وعندما بدأ عارسا ماركيز يتعرف إلى بنس - وهي معرفة قصيرة - كان الأخير في أواخر العقد السادس من عمره. كان يميل إلى الدقة، ذا كتلة من شعر أبيض وحصلة على جبينه لا سبل إلى السيطرة عليها تشبه بقاء دا عرف. وتمكّن من أن يبدو مهيباً وكرماً. وبالرغم من أنه لم يكن مدمناً عسى الشراب، فإنه كان مسعدناً رائعاً، وكان حسه الفكاهي دقيقاً وإن كان لادعاً، وفي بعض الأحيان قد تبدو صراحته قاسية⁽⁵⁾ كان يحظى بامتياز هائل وسط الجماعة، وكان يدرك أنه ليس كاتباً عظيماً، لكنه كان فناناً هماً، ويمتاز فكره عن الأدب بالكاتوليكية والفتنة. لم يكن يملك يوماً الكثير من المال، ولكن لم ينقصه المال أبداً. وهو الذي منح الجماعة تماسكها وثقتها بأن المرء يمكنه أن يصبح متعلماً حتى لو كان في مدينة مغمورة، نبدو معتقدة إلى الثقافة، وبلا تاريخ وبلا جامعة وبلا طلبة حاكمة متقدة. كان من السهل عليه أن يبدو معاصراً ومن أقواله التي لم يسها عارسيا ماركيز: "لو عاش فوكمر في بارانكيا، لجلس وراء هذه المضدة"⁽⁶⁾. ربما كان ذلك صحيحاً. من موضوعاته الأساسية، أن لعالم بدأ يصح قرية عالميه وذلك قل سوات عذيلة من محي مارشال ماك لوهن هذه الفكرة.

كان ألفونسو هوينمايور المولود عام 1917 واس الأديب المحترم حوسبه فييكس فويمار أكثر الأعضاء الشأن هبوعاً وربما أكثرهم اقارناً، لكنه كان أيضاً

أكثرهم أهمية ويرجع سبب ذلك إلى، أولاً: ارتباطه المباشر بالجيل الأقدم، وثانياً: لأنه هو الذي جمع كل الآخرين معاً من خلال علاقاته السابقة. وثالثاً: لأنه من اقترح على غارسيا ماركيز الانتقال إلى صحيفة الميرالدو التي عمل فيها فويسياور نفسه على مدى ستة وعشرين عاماً. ولما كان واسع القراءة باللغات الإسبانية والإنكليزية والفرنسية، فقد بدأ على نحياء أنه يعاني من ضعف البصر، وأنه هادئ وحكيم لكنه كان مثلهم أيضاً معتاداً على الشراب. كان يعاني من الفاقة، وإن بد الشراب علاجاً لها. كما كان مولعاً بالأدب الكلاسيكي وبالمعاجم، وكان بلا أدنى ريب أكثر أعضاء الجماعة اطلاعاً وقراءة.

كان حير من فارغاس صديق فويسياور ورميله الحميم. ولد في بارانكيا في العام 1919، بدأ طويلاً العامة، ذا عينين خضراوين ثاقبتين، لا يشع من انزعاج، إلا أنه كان يصبياً ومتأثراً في كل شيء يقوم به وله لأقصى عليه. وإذا كان فويسياور متلعثماً على نحو يتعدى تحية ومُهملًا ومصحكاً بالرغم من جدّيته ورزاقته، فإن فارغاس كان دائماً أيقفاً، يرتدي قميصاً أبيض اللون، وكان قطعاً في أحكامه⁽⁷⁾، وإن بدا قاسياً في بعض الأحيان، ويُعَمِّدُ عليه. (وهو الذي أرسل إليه غارمب ماركيز في ما بعد مخطوطاته لطبعها الطبعة الأولى، وهو الذي مسكت غارسيا ماركيز طالاً إليه أن يسمعه بالكتب أو بالمال). كان مسرفاً في التدخين، وكما كان التبع أشد اسوداداً كان أفضل، وكان هو وفويسياور أكثر أفراد الجماعة حباً للخلوس والشراب، وبخاصة ذلك المزيج من الشراب والليمون⁽⁸⁾.

أم أنارو سيبدا ساموديو فكان المحرك النشط في الجماعة، هي انطه، أبقى المظهر، تعلو وجهه أوسع انضمامه في العالم، يصعب على النساء مقاومتها - ارتبط بعلاقات دائمة الصيت مع فنانة مشهورات في كوبوميا - لكنه أصبح أسطورة بارانكيا إثر وفاته اسكرة في العام 1972⁽⁹⁾ ولد في المدينة في الثلاثين من شهر اذار عام 1926 بالرغم من زعمه الدائم أنه ولد في نيناعا حيث وقعت محررة الموز، لأنه أراد أن يرتبط مولده بذلك الحدث التاريخي الذي قتل فيه السكان الكانشاكو الممقوتون الأهالي الساحليين الأبرياء. كان والده سياسياً في حزب المحفظين، حُرَّ جُوبه، وتوفي عندما كان ألفارو طفلاً صغيراً تاركاً وراءه مساحة من المأساة على

الضلي تافض شخصيه البشوشه مشرحة الصدر التي يتعدر سياها بعد أن أصبح راضداً. كان سييدا كنة من التناقضات يدها يجمعها هادرة. مظهره مظهر منسرد، لكنه أصاب ثروة عندما كان في أميركا عامي 1949 و 1950، وكان يتمتع بعلاقات وثيقة مع أرستقراطي بارانكيا من فيهم حل لأعمال حوليو ماريو سانتو دومينغو اندي كان عضواً لمدة قصيرة من أعضاء الجماعة، وأصبح في ما بعد أعلى أئمة كولومبيا وواحداً من أكثر أثراء أميركا اللاتينية.

هاك أليخاندرو أربيعون المتمرد تمرداً يصل حد الاسحر، وكان بعيداً عن بارانكيا عندما جاء به غارسيا ماركيز. في الحقيقة، كان أربيعون في أوروبا طوال الوقت لذي كان فيه غارسيا ماركيز في بارانكيا. وبالرغم من ذلك، فقد كان يأتي لزيارتها بين حين وآخر، وكان عضواً مهماً من أعضاء الجماعة قبل إقامة غارسيا ماركيز القصيرة فيها وبعدها. كان أربيعون رسماً ولد في رشبويه عام 1920، وكانت أسرته تملك معمل سيج أربيعون في بارانكيا وهدق مرادو الفحم فيها. تسروح وطبق مرات عديدة وكان قصة اساءه شأن سسده. كان مودجاً أعلى للرسم مشوب العاصفة، بحلول أواسط أربعينات القرن العشرين، كانت شهرته في "ريباد" في النصف الثاني من القرن، أمسى أشهر رسم في كولومبيا قبل أن يعو شأن فراندو بوتيرو، وأكثرهم حسارة بالحب والإعجاب ثبانه المألوفة عبارة عن سطنابن اشين قصيرين الشورت ولا شيء غير ذلك. كانت مأثره الحريه أسطورة في بارانكيا: فقل نخدي عدد من جنود الماريير الأميركيين بعد أن ساءور معامة إحدى سات الهوى، واللهم بلقمة واحدة جددلاً مبرناً كبير الحجم يعود إلى أحد ملائكه على موائد الشراب، وحضم باب منسره المنفصل بفعل اسأخره من سرك محلي، وأدى دور وليم بن مع أصدفائه مستخدماً القدي عوصاً عن السهم، وأطلق النار على كلبه الأثير وأصابه في رأسه عندما أصيب بالشلل إثر حادثة مؤسسه، وعسرت أخرى غيرها.

هؤلاء هم اللاعبون الأساسيون لما أصبح يُعرف في ما بعد باسم جماعة بارانكيا، ومطمو الحمل الساتم الذي دُعي غارسيا ماركيز إلى حضوره في مصنع العام 1950. هاك احرون كثر غيرهم، كلهم يسعون بالحياة ومتعبدون. في العام

1956، كتب جرمان فارغاس مشيراً إلى أهواء الجماعة المتفرعة ومتحدثاً عن أصدقائه في جنوة ب بعد الحداثة: "يمكن عدّهم من دون اختيار وبالاعتناء نفسه ظاهرة مختلفة اختلاف رواية بوليسيس لحيمس جويس، وموسيقى كور بورتر، ومها ه ألفريدو دي ستامبو، أو تقنية ويلي مايس، ورسوم إيريكي غمار، وشعر ميغيل هيرناندير، وحصافة رينيه كلير، وتشجيع رافايل إسكالونا، وتصوير غابرييل فيغوروا، أو حيرية أوجيبيا السوداء"⁽¹¹⁾. كانوا ينظرون إلى الصداقة على أنها أهم من السياسة، وكانوا من الناحية السبسية ليراليين بارعم من أن سيبيدا كان يميل إلى اتخاذ موقف موضوعية، حيث كان عارسيا ماركيز ينحو محى التيار الاشتراكي. يوضح عارسيا ماركيز في فترة لاحقة أن في وسع المرء أن يجد بين أيدي هؤلاء الأصقاء أي كتاب يتساء ما كانوا يذكرون كتاباً ب أسامه في وقت متأخر من الليل في المعنى حتى يقدموه إليه في صباح اليوم التالي فيقرأه وهو لا يراى مثلاً⁽¹²⁾.

كانت الجماعة ماهصة للورجوارية على ما يبدو لكن أفرادها كانوا ماهصين أكثر للأرستقراطية. كان سبسا وأربعون مرنطين ينقسم من أكثر المصالح الساسيه والاقتصاديه والاجتماعيه أهميه في المدسه. وكان موقفهم الأكثر إثارة للدهشة وهو موقف نادر في أميركا اللاسيه في ذلك الوقت - يتمثل بتعاطفهم مع كثير من الأمور الأميركية الشعبيه. ففي حين كانت بوعوبا، ومعظم أجراء أميركا اللاتيبه لا ترال أسيرة لثقافة لأوروبية، كانت جماعة بارتوليا تنظر إلى أوروبا على أنها ذات ماضي وذات تقاليد، وكانت تفصل عليها نمودح الثقافة الحديثة واصحة المعام التي تمثلها الولايات المتحدة. لكن هذا الإيثار لا يطبق بطبيعة الحال على القصايا السياسية لأن الجماعة لم تمنع عن اسقد، وهكذا سبقت خمس وعشرين عاماً معظم لحركات الأدبية أو الثقافية المهمة في أميركا اللاتيبه.

كان موقف جماعة قد وضعها في موضع ماهصة الكانشاكو، وكان أشد الماهصين سيبيدا الذي كان يعتقد اعتقاداً عميقاً بالثقافة الشعبية الكاريبيه ثقافه الإدير - علاوة على كونه من كبار دعاة التحديث، في وق لاحق يراه بدعو لتأسيس جمهوريه كاريبيه. وفي معابله أجريت مع الصحافي دانيال سمي من بوعوبا في العام 1966 ثخده يؤكد أن اساحيين ليسوا مسامين ولا يشرعون

الأسرار، أما نحن فليسا كذابين أو منافقين مثل الكاتشاكو⁽¹³⁾ ولا بملت سامير، وهو من الكاتشاكو، أي فكره عن أي من رملاته الكولمبيين يمكن أن يتصمم بسنت الصواب، وكان يهمه أن تكون شخصيته أكبر من حجمها الحقيقي. وكان سييدا واحداً من المحمسين لأداء أميرك الشمالية من أمثال فوكنر وهرموي، والمؤيد الأول هوية الجماعة المفصلة.

كان متجع الجماعة المفصل يقع على بعد بضعة شوارع في وسط برانكيا. ويقول عارسا ماركيز في ما بعد 'إن العالم بدأ في شارع سان بلاس أو في الشارع الخامس والثلاثين بحسب التسمية الأخيرة'⁽¹⁴⁾. في الحقيقة، كانت مكتبة موندو على بعد شارع واحد من سان بلاس، بين بروعريسو (الشارع 41) و 20 دي فولبو (الشارع 43). وعلى بعد شارع إلى جهة الشرق مقهى روما في شارع سيمون بوبسار. وفي ما وراء ذلك تقع حديقة كولون حيث كان يقطن بينيس على مقربة من شارع السوق الشعبية حيث تشاهد كيسة سان بيكولاس المعروفة باسم كاتدرائية الفقراء على بعد بضع خطوات من مكاتب صحيفة أميرالدو⁽¹⁵⁾.

كان يمتلك مكتبة موندو شيوعي سابق يدعى جورج رولدون هيديريتش، وكان يُنظر إليها على أنها الحيفة الروحي لمكتبة بينيس التي دمرها حريق في العشرينيات⁽¹⁶⁾. كانت المكتبة هي المكان الذي بهرع إليه عارسا ماركيز كلما جاء إلى المدينة والمكان الذي وحدته فيه أنه عندما جاءت تحت عنه بعد مرور بضعة أسابيع على وصوله⁽¹⁷⁾. إذا كان الشراب يستمر حتى منتصف الليل أو حتى ما بعد منتصف الليل، والجماعة كانت تنقل عدة إلى أحد مواخير بارانكيا الكثيرة، وفي أغلب الأحيان في الحي الصيني بالرغم من أن المكان المفصل كان عند أوهميب السوداء في أطراف المدينة وعلى بعد ثلاثين شارعاً⁽¹⁸⁾.

كان غابرييل ماركيز أصغر أفراد الجماعة كلها سناً وأكثرهم سداجة وانتصاراً إلى الحيرة؛ بحسب يبارا ميلانو، غابرييل ماركيز لم يشتم أحداً في كارتاجينا ولم يرقه أن يُشتم الآخرين أيضاً. لم يكن مسرفاً في الشراب ولا ميالاً إلى الشجار على وجه التأكيد، بالرغم من وجود ما يدل على أنه كان يمارس الرق سراً وبانظام.

يقول جرمان فارعاس: "كان هادناً وحجولاً متلي ومثل ألقوسو، وهو أمر مفهوم لأنه كان ينحدر من بلدة أصغر من بلداتنا كلها... وكان أكثرنا انضباطاً"⁽¹⁹⁾. لقد كان وظل لسنوات طويلة بلا مأوى حصل به، بلا مال، بلا روجه، أو حتى بلا صديقة ملائمة في معظم تلك السنوات. (وقد أعدته علاقته شبه المتخيلة غير تيديس من ضرورة إيجاد صديقة حقيقية وثابتة). كان أشبه بطلال لا نهاية لدراسه، أو فنان يوهيمسي. ويعود في وقت لاحق إنه عني سعادته في ذلك الوقت إلا إنه لم يتوقع أن تستمر⁽²⁰⁾.

لم يكن قادراً على دفع إيجار منتظم، وانتهى به المطاف إلى أن يجبر رها، سنة تقرباً في ماحور يدعى مقرات بيوبورك، في بداية أسمائها ألقوسو هويسمايور ناطحة السحاب لأنها كانت تتكون من أربعة طوابق، وهو أمر غير مألوف في بارنكا في ذلك الوقت، وفي شارع عرف شعباً باسم شارع الجريمة قاله مكتب صحيفة الخير الدو وعلى مقربة من مسكن بينيس في ميدان كوبون. كان الطابق الأرضي محصواً للكتاب العدول وبعض المكاتب الأخرى، وبليه طابق سات الطوى الذي تديره بكل حرم امرأة تدعى كانالينا الكبرى⁽²¹⁾. استأجر عارميا ملوكر إحدى غرف القسم العلوي من المبنى عمل بيروس ونصف في الليلة الواحدة كانت مساحة الغرفة ثلاثة أمتار مربعة تشبه مهاجع المستشفيات. وكانت إحدى بات هوى، واسمها ماريا إيتكرثاوثون، تكوي سطلاليه الأثين وقمصانه الثلاثة مرة في الأسبوع. في بعض الأحيان لم يكن لديه المال لدفع إيجار الغرفة، فيعطي يواب المبنى ديموس رودريغيث نسخة من آخر مخطوطاته لتكون عربوناً⁽²²⁾.

عاش ما يقارب السنة في تلك الظروف، في ظل صحيح الشارع والأصوات الأخرى والمناقشات بشأن العمل وعراك قطط الماحور.

صادق عارميا ماركيير باب الهوى. ووصل به الأمر أن كتب لرسائل عوضاً عنه. وكان يعرفه صابوهر ويشاركهن فطورهن، وبين الحين والحين يرد على مجاملاهن أن يغني عن أغاني البوليرو والفالساتو العرسة. كان يشعر بعظيم الامتنان عندما أعس وليهم فوكر دت يوم أن أقفل مكان يكس فيه الأديب هو الماحور. "في أوقات الصباح بسود الملوء والسلام وفي أوقات المساء تقام الحفلات

ويُدار الشراب برفقة أناس يطيب الكلام وإياهم⁽²³⁾ سمع غارسيا ماركيز عدد كبيراً من الأحاديث الملهمة على الجانب الآخر من جداره البوهمي ليستفيد منها استعادة كبيرة في كتابة نصوص أدبية لاحقة. وفي أوقات أخرى، كان يقوم بجولات ليلية على عير هدى برفقة صديقه سائق سياره الأجرة عويوا (القردي). ومنذ ذلك الوقت صار غارسيا ماركيز ينظر إلى سائقي سيارات الأجرة على أنهم عمادح للعظم.

واصل الكتابة بالاسم المستعار سينيموس الذي ابتكره في كارثاخيا، وأطلق على عموده اليومي اسم الزرافة، تيمناً سرّياً بملهسته المراهقة ميرثيديس بسبب رفقتها الطويلة الرشيقه. ومنذ البداية بدت تلك الأعمدة مفعمة بوهج جديد - وإن كان نظام الرقابة لا يزال ساري المفعول - على حمة محتراها.

ظل غارسيا ماركيز محتفظاً بفكره السياسي وتحمديه في غيّه - إلى أهد حدّ ممكن. ففي مطلع حياته المهية في صحيفة الميراندو أظهر أنه لم يتأثر بشعبوية بيرون التي كانت نحر إليها عبرها من اليساريين في أميركا اللاتينية، وكب عن زيارة إيما بيرون إلى القارة العجوز: "المشهد الثاني هو عروة إيما لأوروبا. ففي عمل دماغه جسي دولي لافيت للأطوار بدّرت على الطقة العاملة الإيطالية في حركة مسرحية أكثر منها عملاً من أعمال الخير والإحسان - ما يوارى تقريباً بحمل أموال وزارة المالية. وفي إسبانيا رحبت بها الصحف المهرلية ترحيباً حاراً شأن الصحف الأخرى⁽²⁴⁾. وفي السادس عشر من آذار عام 1950 نشر مقالة كشفت عن الفرصة الذهبية التي أتاحت للحلاق الذي يخلق ذقن رئيس الجمهورية يوماً بشفرة مفتوحة⁽²⁵⁾، وفي التاسع والعشرين من شهر تموز عام 1950 كتب عبر مكثرت، وكأنه أحد المعارف الشخصيين، عن زيارة قام بها إلى لندن إيليا أهرنبروغ، أكثر دعاة الاتحاد السوفياتي تأثيراً⁽²⁶⁾، وفي التاسع من شهر شاط عام 1951 أعلن بكل جرأة: "ما من مذهب سياسي يثير كراهيتي أكثر من مذهب الكاثائين"⁽²⁷⁾. (ي وقت كانت فيه كولومبيا تحت نظم لوريانو غوميث الذي كان أول نظام في أميركا اللاتينية بعيد العلاقات كاسمة مع إسبانيا في ظل حكم فرانكو بالرغم من أنه يربح في إقامة نظام شبيه بنظام فرانكو).

"إذا كانت إحدى المشكلات الأساسية تمثل المراقبة، فإن أحد موضوعاته الرئيسية كان البحث عن موضوع. وقد عالج غارسيا ماركيز كلا الموضوعين معالجة فكاهية في مقالة له بعنوان: رحلة الزرافة التي تصور متاعبه اليومية:

الزرافة حيوان حساس إزاء أدنى حركة يبدئها رئيس تحرير. فمن اللحظة التي نشأ فيها الكلمة الأولى في العمود اليومي؛ في ظل الشجيرات النامية تحت لأشجار الكبيرة... حتى الساعة السادسة من صباح اليوم التالي، تغدو الزرافة حيواناً حزيناً، ضعيفاً، يمكنها أن تكسر صلداً من أضلاعها وهي تسعط في أي منعطف. في البدء، لا بد للمراء من أن يصعب نصب عينيها أن قضية أربعة عشر سببتمتاً من الحفاقة يومياً ليست بكتلة. بعض الطر عمد يبدو عليه الكاتب من حق مؤقت. ثم هناك قضية رقيقين ثين- لأول الحالس إلى جانبي قرب المروحة، يحمّر عملاً وعلى استعداد لوقوف الزرافة من التلون بأي لون سوى اللون المسموح ها به عكاً وطبيعياً ثم هناك الرقيب الثاني الذي لا يمكن قول أي شيء بحقه من دون أن تحتفل رقية الزرافة الطويلة إلى أصغر حد ممكن. أخيراً، يصل هذا الحيوان الثديي الضعيف إلى حجرة الطباعة على الليوبيت المظلمة حيث يكدح أولئك الرملاء الذين يفترى عليهم أي الفراء من شروق الشمس حتى غروبها، وهم يحولون ما كُتب أصلاً على أوراق رقيقة رائلة إلى رصاص⁽²⁸⁾

في عدد كبير من هذه المقالات لا يشعر بفرحة الحياة وحدها بل بفرحة الكتابة أيضاً، ففي هذه الأسابيع الأولى من العام 1950 سرع غارسيا ماركيز هذه البدة بعد مدة طويلة من الرمان.

كما بدأ غارسيا ماركيز يألف حياته الجديدة، فقد استقبل رائراً غير متوقع ففي وقت العشاء من يوم السبت الثامن عشر من شهر شهاد وعشية المهرجاء، وحده أنه لويسا سانديعا في مكتبة موندو بعد أن سافرت إليه عبر النهر من بلدة سوكري. وبلغت الكيسة بأصدقائه حياءً كافياً جعلهم لا يشيرون إليها بالدهاب إلى ناطحة السحاب هذه هي اللحظة التي احارها غارسيا ماركيز ليبدأ بها سرده الثاني في مذكراته عشت لأروي. كانت الأسرة تعتقر إلى التقود مرة أخرى، وكانت بويسا سانتياغا في طريقها إلى أراكاتاكا لبدأ عملية بيع بيت ولها لقديم. وكانت الرحمة التي توشك الأم واسها أن يقطعها هي الرحمة نفسها التي تقطعها

لويسا وحيدة قبل أكثر من خمسة عشر عاماً عندما رجعت إلى أراكاتاكا للقاء الصبي الصغير الذي تركه قبل بضع سنوات فسيها. الآن، ها هي تعود مرة أخرى، قبل أسبوعين من ذكرى ميلاد عديتو الثالثة والعشرين⁽²⁹⁾

أنهى كتابة مقالته لصحيفة اليوم التالي، ثم سافر برفقة لويسا على ظهر مركب الساعة السابعة لاجتياز المستنقع الكبير وصولاً إلى ثيناعا، وهي رحلة يستعيد فيها ذكرياته على نحو لا يمكن نسيانه في مذكراته. واطلقاً من نيسا إلى أراكاتاكا بالقطار الأصفر نفسه الذي ظل يطل على هاتين البلدتين طوال تلك السنين الماضية. وصلاً أراكاتاكا، وساراً وسط الشوارع الحالية محاولين أن يستريخ تحت ظلال أشجار الخور⁽³⁰⁾ ينظر غارسيا ماركيز إلى هذه الرابطة بوصفها أهم تجربة في حياته برمتها، ويمرر إليها التأكيد الحازم على مهنته لأدبية والرواية لما يُعده أول كتاباته الخادة وهي رواية عاصفة الأوراق. هد هو الحب الذي يحس هذه اللحظة، وليست لحظة مولده، هي استهلال عشت لأروبي. وبما لا شت فيه أن سرد يدل على البراعة والألمعية، ويبحث الحياة في محمل المذكرات.

إن أشر هذه العودة إلى الماضي محل. بكل شارع يبدو وقد بدأ يعيده إلى السراء، إلى البيت الذي ولد فيه. أمهه هي أراكاتاكا التي عاش فيها طفولته، هذه البيوت المهلهلة وهذه الشوارع المعبرة وهذه الكنيسة الصغيرة المتداعية؟ كانت الشوارع الخضراء المعمة بالحياة كما يذكرها قد باتت مهجورة، ولا أمل في إعادة الحياة إليها على ما يبدو. بد له كل شيء وكل شخص وقد لاه العبار، وتفلمت به أسس على نحو لا يستطيع تحمله. الباعون لاج على وجوههم المرض والتعب والطريقة، والذين في مثل سته يبدون أكبر سناً، وأولادهم فائرو اصمة، كروشهم كبيرة، والكلاب السائبة والعفان تدور وقد سطرت على البلدة⁽³¹⁾، كأل الجمع مرني، هو وأمه هما من قيا حيين. أو، كما في قصص الجباب، إنه كان هو البيت ولم يبحث إلى الحياة إلا الآن.

عندما وصل المسافرين اساحية المقابلة لمسرح الجنين الكبير في شارع المونسنيور إيسيجو، توقف أمام عبادة الطبيب المصروبي القديم أفريلو بربوسا، وكانت روحه تحس وراء مائدة خياطتها، فصاحت لها لويسا: "كيف حالت أيها

الرفيقة؟"، مظهرت المرأة حولها بنهول، وحاولت أن تحبب لكنها لم تتمكن من الإجابة، إذ عانقت المراتن إحداهما الأخرى من دون أن تبسما بكلمة، ودرت الدموع ليصع دقائقي رفقها عارسيا ماركيز بنظرة، وتولاه العجب لأن الرمن نفسه وليست المسامة وحدها هما اللذان كانا بفضلاهما عن أراكاتاكبا. يما ما كان يخشى الصيدلاني المعجور الذي بات مظهره الآن يدعو إلى لرتاء، هريلاً مثل عصا يابسه دانلة، حفيف اشعر، بلا أسان تعرياً. ولما سألا عن صحة الرجل المعجور تلغزم بما يبسه الاتهام قائلاً: "لا يمكنكما خُش ما حلُّ هذه السلة" (32).

بعد مرور سنوات يقول عارسيا ماركيز: "إن ما حدث لي في ملك الرحة إلى أراكاتاكبا هو أنني أدركت أن كل ما حدث في طفويتي كان ذا قيمة أدبية م أفدرها حق قدرها إلا الآن. مد اللحظة التي كنت فيها عاصفة الأوراق فهمت أنني كنت أريد أن أصبح أديباً وأن ما من أحد يمكنه أن يعني من ذلك، وأن لشيء لوحد الذي بقي لي كي أفعه هو أن أكون أفضل أديب في العالم" (33). وإذا ما أضما كل المعارفات التي حدثت مقابل هذا كله، فإن البريرة لامت فتناً دربعاً: فأنه لم تتمكن من الوصول إلى اتفاق مع المسأجرين. في الحقيقة، كانت الرحلة برمها قد نُظمت على أساس سوء فهم، لكن على كل حال، فقد كانت لويب نفسها مترددة بشأن بيع المنزل. أما هو، وحتى كتابة مذكراته التي صنف فيها جوتته مع أمه لويسا حول النبي الكبير الآيل للسقوط بتفاصيل دقيقة، فقد أكد مراراً وتكراراً أنه لم يتمكن من دخول المنزل في ذلك الوقت وأنه لم يدخله منذئذ. وقال في يوم من الأيام: "لو دخست، فلي أكون أديباً انفتاح في الداخل" (34). أما في مذكراته فيقول عارسيا ماركيز إنه دخل المنزل.

يقول إنه قرر عني الفور أن يتحصى عن رؤية البيت وأن يتجه اتهاً آخر. وللوهلة الأولى يبدو الأمر معافئاً: ربما يفكر المرء في أن العودة إلى البيت ستشجعه على البدء بالاشتغال مرة أخرى بالرواية التي تستمد أحداثها من البيت بدلاً من وهذا هو واقع الأمر - نوسيع مدى تركيزه كي يشمل السلة برمها التي كاد يقع فيها. غير أن الحقيقة تكمن في أن البيت الذي يستحصره في رواية البيت لم يكن البيت الحقيقي فعلاً، بل كان ماءً متخيلاً أراد أن يتحدث عنه. والآن، تراه يُعدّ

العلة أخيراً لواجه مهابة المبنى الذي كان يسجود على حياله على مدى سنوات طويلة، ليعيد بناء لبلده القديمة، التي لا يزال يحتفظ بها في مخبئه، حول ذلك البيت، يستحيل عدم التفكير في بروس، ما حلا أن عارسيا ماركيز يجد أن أراكاتاكا بالرغم من كونها بلدة ميتة من أوجه عديدة إلا أنها حية في كل الأحوال. كما أنه استعاد منه على نحو يشبه الإبحار لم تكن لديه أي ذكريات عن حياته في البيت معها، لكنها الآن يرور البيت معه. وهذه هي المرة الأولى، في كل حياته، التي يقوم فيها برحلة معها لوحده³⁵¹. في الحقيقة، إنه لا يمكنكم عن ذلك - ولا يصون أي شيء عن كل هذا - لكن لقاءها في مكتبة موندو في اليوم السابق أعاد تمثيل العصة لثقافتهما الأولى (اللقاء الأول الذي يذكره) عندما كان في سن السادسة أو السابعة، لأنها في ذلك المشهد المتأخر نصاً يرى الراوي عارسي ماركيز يدفعها لقول: "إني والدك"، تماماً مثل شخصية من شخصيات مسرحية أوديب ملك.

لم نطلق ثلث الريارة ذاكرته ونعير من موقعه تجاه مصيه وحسب، بل أظهرت أيضاً كيف يكتب الرواية الجديدة لقد بدأ ببطء إلى مسقط رأسه من خلال عشرات قدمها إليه فوكر وغيره من حداثوي عقد العشرينيات: جويس وبروست وفرجينيا وولف. لقد كانت رواية البيت من روايات القرن التاسع عشر، أساسها نمط من الكتب تلاحم إطار بلدة كارتاخينا، مثل بيت دي سعة أوجه، وسيكتفينا الآن على أنها نصر سردي يستند إلى وعي أبعاد الرمان المتعددة. لم يعد مذهوناً في ذلك الست المتجمد مع جده، لقد هرب منه.

من الواضح أن شيئاً كبيراً كان يحدث لهممه علاقة بين الأدب والحياة عندما كتب بعد بضعة أسابيع مقالة بعنوان مشكلات الرواية يصب فيها جام غصه على معظم روايات المكتوبة في كولومبيا في ذلك الوقت، ويوضح:

لم نكتب رواية بعد في كولومبيا ماثرة تأثيراً واضحاً وجيداً بجويس أو فوكر أو فرجينيا وولف إني أقول تأثيراً جيداً لأنني لا أظن أن في إمكاننا نحن الكولومبيين أن نكون استثناء في هذه المرحلة من تلك التأثيرات إن فرجينيا وولف تعترف في مقدمتها لرواية آر. لاندر مؤثراتها، ولم يستطع فوكر نفسه أن ينكر تلك المؤثرات التي فرض عليها جويس فرضاً قوياً ثمة شيء ما - وبخاصة في موضوع الرمان - يشترك فيه هاكلبي وفوجيا وولف. فوايز

كالفكا وبروست حاضرا في كل مكان في أدب العالم الحديث، وإذا ما أردنا نحن الكولومبيون سلوك الدرب الصحيح علينا أن نضع أنفسنا في خضم هذا الاتجاه. إن الحقيقة التي تدعو للأسى هي أن ذلك الشيء لم يحدث حتى الآن ولا توجد أي علاقة تدل على أنه سيحدث⁽³⁶⁾.

مما لا ريب فيه أن غارسيا ماركيز كان في طريقه لأن يصبح رجلاً جديداً. فهو لم يعد مضيئاً من حياته الشخصية، كما أنه استعاد طفولته، واكتشف - أو على نحو أدق أزاح الغطاء عن - هويته الجديدة. لقد أعاد ابتكار نفسه، ودلت كله بأن أدرك فجأة، كما في ومضة برق خاطفة، كيف نعلم أدياء الطليعة في عقد العشرينيات من القرن العشرين الصر إلى العالم من حلال وعيهم الفني.

القليل من أصدقائه، سواء في كارثاغيسا أو في نارايكا، كانوا يعلمون الشيء الكثير عن حدوده. وأصبح "القصي القادم من سوكرى" الآن "القصي القادم من أراكاتاكا". لن يبدل جنوده مرة أخرى. وإذا كان هناك سبب وجيه للاعتماد أن رواية المهيت كانت في تلك المرحلة رواية من سوكرى، فإنها مسطور إلى رواية من أراكاتاكا بالرغم من الاسم المستعار ماكوندو. قل أن بمضي زمن طويل، يتوارى الكتاب الأول ليمسح المجال أمام الكتاب الثاني، ويكتب غارسيا ماركيز شيئاً من السيرة الذاتية المباشرة. تبدو الحكايات التي يرويها الآن لأصدقائه وزملائه ذات منحى آخر. فعلى سبيل المثال، عاد أدراجه إلى مسقط رأسه للحصول على شهادة ميلاده ولم يكن لدى العملة أي ختم رسمي، فطلب أن يأتوه بنمرة مور كبيرة المحجم. وعندما أتوا بها إليه قسمها إلى نصفين وحسم الوثيقة بها⁽³⁷⁾ لقد أكد غارسيا ماركيز لأصدقائه أن الرواية صحيحة، لكنه لا يستطيع إثباتها الآن لأنه ترد الشهادة في ناطحة السحاب... فصحك الجميع ضحكة ملوية لكنهم صدقوه إلى حد ما. سواء أكانت هناك شهادة يراود إثباتها أم لا، فإن الفاص القادم من أراكاتاكا قد ولد، وسيصبح في دمه أسالي ساحر ماكوندو. أحمر، عرف من هو كما عرف ماذا يريد أن يكون.

بعد رجوعه مباشرة إلى أراكاتاكا مع لويسا سانشا في شاطئ عام 1950 كتب في عموده الزرعة مقالة بعنوان أبيليتوا بيا وإيسكالونا وشركاؤها⁽³⁸⁾. كانت هذه المقالة توضح أن الرحلة التي قام بها مع أمه ذكرته بالرحلات التي سبق به

أن قام بها وتوارثها في الأهمية، كما أنها أهمته برحلات أخرى عقد العزم على أن يصوم بها مستقبلاً. استذكر في مقالته رحلته في تشرين الثاني من العام 1949 مع ثابا أوليفيا وتحدث فيها حياة الحوالم من التروبادور ومغامراتهم في منطقتي بحليبا وباديا، وأثنى على وجه الخصوص على أعمال شاب آخر فتر له أن يؤدي دوراً رئيسياً لا في فهم موسيقى الفالياتو وحسب، بل ومشاركته الفعلية أيضاً في ثقافة منطقة الساحل المطلية على الأطلسي. كان هذا الشاب يدعى راعايل إيسكالونا، وهو مؤلف موسيقى الفالياتو، وكان قد تحدث سابقاً إلى ثابا أوليفيا بخصوص غروب ماركير وقرر الآن أن ينتصيه بعد أن قرأ مقالة أثنى فيها عارسيا ماركير على موسيقاه⁽³⁹⁾. كان لقاؤهما الأول في مقهى روما في باراكيا في الثاني والعشرين من آذار عام 1950 (ربما كان ذلك اللقاء قبل عام من هذا التاريخ) وذلك قبل أقل من أسبوعين، إثر نشر مقالة عن رحلة عام 1949 وأقل من شهر بعد الرحلة التي عبرت حياته مع لويسا سانتياغا. أراد غارسيا ماركير أن يعطي انطباعاً جيداً عن نفسه للنروبادوري الشاب، فحاء إلى مقهى روما للقاءه وهو يغني مقطوعته الإنشائية جوع في المدرسة. ثمة صورة نادرة ترقى إلى تلك الأيام حيث تمكنا أن نشاهد عارسيا ماركير يعي إحدى أغنيات إيسكالونا لإنسكالونا نفسه وهو يقر على طارئة، ويترنم تغنيته كعهده دائماً، لا في أثناء الغناء وحسب، بل في أثناء التدخين أيضاً سواء أكان برفقة نساء أو رجال تروفي له صحتهم⁽⁴⁰⁾.

في الخامس عشر من نيسان عام 1950، ترك بيبس مريديه، وعاد من حيث أتى. وقبل رحيله أقيمت له مأدبة عشاء كانت الأخيرة. وفي الصورة التي التقطت في ذلك المساء كان بيبس في نشوة عاهرة وقد وضع ذراعه حول ألبوسو فويسايور الذي بدا منفض النفس، وإلى جانبيهما الرجل الوحيد من سهم بلا سنرة وبلا ربطة عني بل يرتدي قميصاً مدارياً بألوان صارخة وهو أصغر الحاضرين سناً: غابرييل عارسيا ماركير النحيف مثل حسل السمك، عني حذاً تعبير نادلة في قاعة ملارد أميركا مؤحراً التي أكدت أن عينيه كانتا يومضان، وأنه كان مبتهجاً لوجوده هناك. كانت ملامحه تنم عن براعة وهكم في الوقت نفسه، لكنه كان قبل كل شيء جديف حيوية وشاطاً

بعد هذا مباشرة ألقعه ألفونسو فويسايور بالكتابة في مجلة أسوعية جديدة مستقنة تطبع بصنف حجم الصحيفة الاعتيادية (التاسويد) في مطبعة الميرالدو تحمل اسم كورنيلكا حيث صدرت في التاسع والعشرين من نيسان عام 1950 وحتى شهر حزيران من العام 1951⁽⁴¹⁾. أصبح عارسيا ماركيز في هذه المجلة صاحب الصنائع السبع ومديرها وكنت بعض إسهاماته فيها تنهل من الحياة الواقعية على نحو مفرد. فكانت قصته المرأة التي حضرت عند الساعة السادسة تستند إلى نمطي فويسايور الذي أبلغه أنه لا يستطيع كتابة قصص من قصة التحري. يذكر عارسيا ماركيز حكاية عن مساعي أريمون الأولى في باراكيا الكاثوليكية في العثور على عارصة عاربة. فاطلق أصدقائه للبحث عن عاهرة مسعدة لذلك حتى وجدوا مرشحة بشر بالخير. فطلت من أربعين أول الأمر أن يكتب رسالة لها لترسبها إلى بخار في مدينة بريستول ووافقت على الحضور في اليوم الثاني في مدرسة الفنون الجميلة، لكنها... اختفت⁽⁴²⁾. تدور أحداث قصة المرأة التي حضرت عند الساعة السادسة عن عاهرة يبدو أنها اعتالت أحد الربائن، وجاءت إلى امشر لتتيت أنها كانت في مكان آخر عند وقوع الجريمة. في هذه القصة يتضح تأثير عارسيا ماركيز بأحد الأدباء الذين تمسحهم ألا وهو هسغوي (رعا قصة القطة)⁽⁴³⁾. كما إن هذه القصة تعد نموذجاً نادراً من كتابات عارسا ماركيز حيث تدور أحداثها مباشرة على نحو شديدة الوضوح في بلدة باراكيا في الأيام التي عرفها فيها.

أما قصة ليلة الكراوين فهي أكثر نجاحاً، وأعجب بها خبراء معروفون مثل مونيس وثالاميا بوردا في بوغوتا وستفي القصة أحداثها من إحدى رياراته لمنفى أوهيميا اسوداء في لاس ديبشياس حيث اعتاد أفراد المجموعة الذهاب إليها كل ليلة. يؤكد فويسايور في ما بعد، كأنه لم نغمره الفكرة قط، أنهم لم يذهبوا إلى ذلك المكان سعياً وراء النساء "وراء تلك الفتيات الصغيرات اللواتي يستدعن العطف والشفقة واللواتي كن يعاشرن بسبب الجوع"، بل لشراء حاجة شراب لقاء ثلاثة عشر يروس ولشاهسوا البحارة الأميركيين وهم يرمحون حول الأرضية وسط الكراوين المقيمه، كأنهم معدو شركاءهم من بني البشر ويتطلعون إلى الرقص مع دوات الرنش الأحمر. وفي إحدى الليالي، كان غارسيا ماركيز يغالب انعاس في

ذلك المكرد مهزّه نوبمايور يوقظه وقار له: "انتبه وإلا فقأت الكروين عينيك".
(يعتمد في كولومبيا أن الطيور تصيب الأطفال بالعمى لأنها ترى الأسماك تتحرك في عيونهم) وهكذا عاد غارسيا ماركيز مباشرة إلى المكتب ليكتب قصة لأصدقاء الثلاثة في المسمى والذين أصابتهم الطيور بالعمى، وذلك كي يملأ فراغاً في مجلة كرونيكا. بقور المؤلف في ما بعد إن ذلك النص كان أول نص أدبي يكتبه ولا يدفعه لشرح بعد نصف قرن من كتابته.

كان مفتوناً بالمحارب الأدبية للحدثائين الأوروبيين والأميركيين في عقدي العشرينيات والثلاثينات من القرن العشرين. وكان مفتوناً بالدرجة نفسها بشهرتهم وعندهم واعادة التي حاشاها بعض الأدباء جرّاء ذلك وخاصة فوكنر وقبله همنغواي، في نسخ الأساطير من حولهم ومن حول كتاباتهم. لقد تركت جائزة نوبل للادب عام 1949 من دون أن تُعصى لأحد لأن فوكنر لم يحصل على الإجماع بل حصل على الأغلبية في التصويت في الأكاديمية السويدية. وفي الثامن من نيسان كان غارسيا ماركيز قد كتب مقالة بعنوان جائزة نوبل مرة أخرى ترفع فيها عدم فوز فوكنر الذي كان يسعى بالمايسترو فوكنر لأنه كان "أديباً حياً أكثر مما يسعى". ولم يُمنح فوكنر جائزة نوبل عام 1949 على نحو اسعدي في العام 1950، صرّح غارسيا ماركيز أن الجائزة كان يسعى أن يُمنح لفوكنر منذ زمن طويل لأنه "أعظم أدباء العالم المعاصر وواحد من أعظم الأدباء على مرّ العصور". وهو أديب من شأنه أن يفضل الآن امتياز تمويهه إلى أدب عصري وإن كان ذلك الامتياز لا يبعث على الراحة⁽⁴⁴⁾. وبعد ذلك برمن طويلاً، يحل غارسيا ماركيز المشكلة العويصة - فوكنر أم همنغواي؟- بالإشارة إلى أن فوكنر عدّى بروحه الأدبية وأن همنغواي علّمه حرفه الأدب⁽⁴⁵⁾.

بعد أن ذعت شهرة غارسيا ماركيز وجد نفسه مرراً وتكراراً مجدداً إلى مناقشة مدى التأثير الذي تركه فوكنر فيه. وكان وراء هذا التساؤل سؤال آخر محسوس: أتراه سرق فوكنر؟ باختصار، إن كان يفنقر إلى الأصالة الحقيقية، في ضوء المستويات العربية بين جدورهما، فإن اندهش هو أن غارسيا ماركيز لم يتأثر تأثيراً أكبر بفوكنر طالما أن فوكنر كان بلا جدال الأديب المفصّل وسط أفراد جماعة

بارانكيا كما أن تأثير فرجينيا وولف الحاسم في غارسيا ماركيز م يُبشر إليه كثيراً أما جيمس جويس فقلما دُكر يوماً. وما دامت إشارات كثيرة وأصالة لا تقل النقاش. فمما لا يبعث على الدهشة أن غارسيا ماركيز تعب من محاولات إحصائه إلى مرتته هو كسر كولومبي على تمسكه العابر لكان المسيحي والأشياء الكثيرة التي يشتركون فيها. إنما لا نملك تقريباً أي وثائق خاصة كتبها غارسيا ماركيز في تلك الفترة، ولم تُحفظ حتى مخطوطات قصصه ورواياته. لكن بين أواسط العام 1950 وتشريع الأول من ذلك العام، كتب غارسيا ماركيز، ربما تحت تأثير غير أدبي - قد يكون الشراب - رسالة من صفتين إلى صديقه كارلوس أليمان في بوغوتا. ومما يثير العجب أن الرسالة ظلت باقية وفي ما يلي هذا المقطع عنها^(*):

ليس لدي عنوان خوان يسي أس وأنا أرسل إليك هذه الرسالة لتوصلها إليه. إنني أكتب إليك يا أليمان رداً على الرسالة اللامعقولة التي أرسلتها إليّ لأنني حذ مشغول وليس لدي الوقت لأصع النقاط أو الفواصل والفواصل المقنونة وغيرها من علامات التقطيع في هذه الرسالة قلما لديّ الوقت لكتابة الرسائل مما يدعو بلائسي أن التخاطر غير موجود لتد عبر البريد التخاطري الذي لا بد من أن يكون هو الأفضل لأنه ليس معرضاً للرقابة كما تعلم إنما ندون أسوأها لي لا يبق أماناً وقتاً للرحلات بحثاً عن العشب المذهل لهذا فقي الوقت الحاي عليك أن ترضى بوخزة تمساح اعتيادية إلى أن تغلس كرونيكا وعندئذ يمكنك العودة إلى مرتعنا عند ابن الليل أورليانو بويديا يرسل تحياته في نهاية الأمر مع البائع الغني ابن توبيا أصحى شرطياً فقتلاً ولم يبق إلا انتفاة بلا اسم ولي تحظى أبداً بأحد وهم يقولون عنها إنها الفتاة الخالصة طواو اليوم على كرسيتها المزمار تصغي إلى جهاز الحاكم الذي شابه شأن كل شيء في هذا العالم تعطل وبات مشكلة في البيت لأن الشخص الوحيد في البلدة الذي يعرف تصليح الأجهزة هو اسكاف إيطالي لم يسبق له أن رأى طواو حياته حاكم مرقعاً ويذهب إلى المنزل ويحاول إصلاحه بالمطرقة عتاً في حين يتكلم الأولاد ويسكبون الماء ويصفرون وينتهي الأمر بقطع جهاز الحاكم في كل بيت وهي تقول إن جهاز حاكمي العقيد أورليانو أصيب بضرر لم دفع الساس في عصر ذلك اليوم نفسه لارتداء ثيابهم ووضع أحذيتهم وتمشيط شعرهم للذهاب إلى بيت العقيد الذي لم يكن يتوقع بدوره أن يزوره أحد بحاصة أن أحداً من أهالي البلدة لم يرره طوال خمسة عشر عاماً مد أن رفضوا

دفن جثة غريغوري عشية رحيل الشرطة فشنم العقيد القساوسة فانسحب
السب من المجلس فحس نفسه في البيت ولم يعد إليه الناس إلا بعد خمسة
عشر عاماً ثم عطل جهاز الحاكي وانكسر العقال العصي فانخذلوا بذلك
العقيد وروجته دوناً سوليداد على حين غرة تحضي المرأة الليل كله في
ركس لا تحدث أحداً وعندما نشعر دوناً سوليداد بالخروج للذهاب فجرا
والناس يغادرون والاس يسمي شرطياً عندما تأتي الشرطة بجثته العقيد يجلس
عند الباب كعجده دوماً ويرى الجمازة تقدم بلفي الباب كأن شيء
حدث في موموس في وسعك أن تلاحظ كيف وصل الأمر بالكتاب أستطيع
أن أتوكل أن غيرمان وألفوسو وأنا غصي وقتنا نتحدث نكتب نفكر
وسنتغل في كرونيكا ولا نشرب ونندع السجائر لأن الحياة لا يمكنها أن
تكون كذلك وإذا لم تحب فرجينيا فاذهب إلى الجحيم فراميرو يهاها يعرف
عن الروايات أكثر مما تعرفه أمت فاذهب إلى الجحيم وقل لراميرو إنني مدي
له برسالة وأن يكتب إلي في كل الأحوال في كانوا الأول سأصل إحارة من
كرونيكا وسأكون في الشقة لقد رحل دون رامون وكتب حنا تيو
بونكويت إدورد بوتيت لفرينمايور العجوز نبي أن رجل عظيم نحيك ونتمنى
لك ميلاداً مجيداً وسنة سعيدة المخلص لك غاييتو⁴⁶.

هذه الرسالة مفاجأة، إذ علاؤه على التأثير الوضع الذي فلما يذكر عن
حويس - وعن فرجينيا وولف أيضاً - والإحساس المفع بالحياء الذي توصحه عن
حياة عرسيا ماركيز في بارانكيا ومشاعره بالخبر والهجة فيها، فإنها تظهر لنا أيضاً
رجلاً شاكياً لا يزال يفكر كنه مرهق قابل للتأثير، رجلاً مهووساً هوساً كاملاً
عساره الإبداعي ومستغرقاً في قصصه. ولم أدرك بطوره، فإنها تظهره أدبياً حاداً
ومستمرماً يرك موجة تحول من مشروع طويل الأمد. البيت إلى مشروع آخر
عاصفة الأوراق إصانة إلى كتابة العديد من القصص الأخرى تظهر في ما بعد في
مجموعات قصصية وفي كتابة عموده اليومي. من المؤكد أن العقيد أورليانو بوسيدا
أشهر شخصية يتدعها عارسا ماركيز، لكنه سرعان ما يتخلى عنه ولا يعود اسمه
سوى أسطورة ذكر في كتاب نلو الكتاب إلى أن نفي لخطته في منتصف عقد
ستينات القرن العشرين. ليس هذا تمام. فالواضح أن غارسا ماركيز لم يند في
هذه المرحلة رواية البيت بالرغم مما يؤكد لاحقاً في مذكراته. إذ كان لا يزال
مهمكاً في تفاصيل متقنة ومعقدة تشكل في ما بعد جزءاً من فئة عام من العزلة.

هكذا، لعل أكثر التفاصيل إثارة للاهتمام تلك الرسالة هو الإيصاح عن مشكلات العقيد مع أهالي بلدته والسبب الذي أدى به إلى أن يعلق انيت. أي إنهم بسبب غير واضح م يتركوه يدعى عبده عريغوريو، هذا، دوه بعفسه تحت شجرة البور في الفضاء⁴⁷⁷. هنا تكسر على نحو لا يقبل الجدل واحده من بدور رواية عاصفة الأوراق، تلك الرواية التي نجد فيها العقيد نفسه محاصر، لأن لديه واحداً يمثل برتيب دمور رجل كرهته البلدة التي يعيش فيها، ورواية مئة عام من العزلة أيضاً التي توثق فيها إحدى الشخصيات الرئيسية إلى شجرة في الفضاء وأخرى تموت تحتها.

في وسع القارئ احصيه أن يلاحظ تأثيراً آخر في هذا الوقت. فقد نشر عارسيا مار كير قصصاً سكاتب الأرحسيني الالامع خورحه لويس بورخس في بصعة أعده من مجله كروبيكا. وفي شهر اب من سنة 1950 خلدباء، وهو اسهر الذي نُصِبَ فيه الرئيس الرجعي نوربانو عوميت، بدو أن قراءة عارسيا مار كير لأعمال الممثل اكبر لأدب الفاترما آنت أكلها. لقد كان بورخس مدهشاً في استلهم مؤثراته من كل زمان ومكان، وبدأ يعبر عن هذا التأثير في مقالات أشار فيها إلى أن مفهوم المؤثرات مصلل لأن "جميع الأدباء يتكروون أسلافهم". لم يكن هذا الموقف مُحرراً لأديب من أممركا اللاتينية وحسب، بل كان عدم احترام بورخس لمصادر التي استعاد منها معشاً جداً أيضاً كان يطلق عليه في بعض الأحيان كلكا أميركا اللاتينية، إلا أننا لا نجد في أي من كتابات كافك مفارقاته المكاهية لهذا، من الصحيح أيضاً أن عارسيا مار كير تسي العديد من أفكار بورخس (بارعم من عدم ذكره هذا التأثير) في الوقت نفسه تماماً الذي تعين عليه أن يختار كتابة قصة هجائية عن اسجار عواها كاريكاتور كاهكا⁴⁸. في هذه المرحلة يمكننا القول إن عارسيا مار كير راح يبعد عه كاهكا (وتأثيره فيه)، من هنا سيطر إلى موضوعات كاهكا من خلال عدسات بورخس عرية الأطوار. وبمعكس لعمره أن يقول إن جزءاً من المشكلة التي تطوي عليها رواية البيت يكس في إنها تحمل جرعة كبيرة من كاهكا. وعندما ظهرت رواية مئة عام من العزلة اتصح أنها رواية بورخسية.

ما رواية البيت فهي عن معاهيه مشابهة عن التشراف والواجب والعار وهذا وعد أحد العفساء، من أرسنقراطي بددة ماكوندو المعروفين، عني أن تتحمس

مسؤولة دفن صديقه الطبيب البعيثي (الذي تستند شخصيته كما يبدو إلى شخصية دون إميليو في آراكاتاكا أيام طفولة غارسيا ماركيز) ويعتقد العزم على تنفيذ وعده خلافاً لرغبات زوجته وبته بالرغم من أن الطبيب حاد آداب الضيافة عندما عاشر خادمته وبالرغم من أن أساء اللذه فصلوا مشاهدته العيب وهو يسمح لأنه كان قد رفض قبل سواب طويلة معالجة جرحي البلدة في 'عقاب صراح ساسي، والآن، نراه وقد ارتكب جريمة شيعمة بانتحاره حسماً رأى الكاثوليك ولم بعد أمام العقيد من أمل سوى دفن الرجل في بقعة أرض غير موقوفه معرض بيل.

بالرغم من هذه الحكمة الأخلاقية، فإن رواية عاصمة الأورو، التي يمكن عدّها تسويقاً على موضوعه إسموعلا لسوفوكليس، هي أكثر روايات غارسيا ماركيز التي تنحصر على السيرة الذاتية بالمعنى الواقعي الصرف. فالمشخصات المركزية ثالثاً بشكل قصة رومانسية بثلاثة أبعاد تستند إلى غايتو ولويسا ويكولاس. لكن إذ كان يراد للصبي وأنه وحده أن يستبدوا إلى شخصيات حقيقيه، فإن مثل هذا الخير يتطلب حجب أناس حقيقيين آخرين لا سما تراكيكيا (إذ تكون الجدة قد واهتبه المنبه في لروايه وحلت محلها روحه ثابة) وأخوة غايتو وأخواته (فالصبي في الروايه هو الابن الوحيد) والأهم من هؤلاء جميعاً غابريل إليخيو غارسيا واند غايتو الحقيقي. في حابة الأب، فإن حجه ليس سوى إراحة، إذ إن هناك شخصية ترتكز ارتكازاً وثيقاً إلى شخصية غابريل إليخيو وهو والد الطفل الحقيقي في الرواية، إلا أن اسمه مرتين - وهو لقب غابريل إليخيو الثاني الذي لولا كونه طفلاً غير شرعي لكان هو لفته الأول وهو مارتيث - وكانت دوافعه للزواج مجردة من المبادئ الخلقية، وأنانية. بضاف إلى ذلك أنه بهمل زوجته بعد وقت قصير (وتبدو مشغرها تجاهه فترة دوماً) ويرحل عن ماكونينو ولا يعكر فيه الصبي مرة أخرى على امتداد صفحات الرواية كلها من لواضح أن هذا الأمر مسح المجال أمام غارسيا ماركيز بالإعتراف في التحليل عندما كتب بأن والدته لم تمت قط غابريل إليخيو، وأن الأب غابريل إليخيو هو الذي أضحي مفصلاً عنها لا عن نفسه، غايتو الابن⁽⁴⁹⁾.

في الرواية زماناً يُذكر أن بأسلوب هو كثر. الشخصيات اثلاث تمضي نصف ساعة بين اثنية والنصف والثالثة من بعد الظهر يوم الثاني عشر من أيلول عام 1928

وهي جالسة في لخرة التي توفي فيها الطيب منتظرة وضعه في لتابوت لبحمل في جنازة بعد ذلك. فالتحصيات الثلاث في حالة توتر شديد لأنها كانت تحشى من سكان البلدة، الذين يكرهون الطيب، أن يحولوا دور إتمام مراسم الدفن. لكن ننت التحصيات الثلاث كانت في غضون تلك الصف ساعة أيضاً تستذكر عمل حياته أسرقها - أسرة العقيد المحددة أصلاً من عواحيها - من خلال ومضات بحترة في وعي كل واحد منها. الرواية سحة أشد تعقيداً، وإن جاءت أكثر همداً وآلية من روبة فوكير وأما أرفند مختصرة، بوصفها قصة من قصص التحري، متاحة أو أحبة يستعين على الفارئ فك رمورها. ولديها ها نمودح كلاسيكي لأديب شاب دهل وهو يرى أمامه عباقة من منل فوكير، وودلف، وربما بورخس ويريد أن يكشف عن ذلك وينفيه في أن واحد.

دأ، إن ما بين أنديا هو العودة والاتعاد في وقت واحد، وبلك خربة قرية ومحددة على نحو استثنائي، امتزج فيها الوجداني بالعقلي والماضي بالحاضر وإذا كان مفهوم الواقع الكوبومسي لا يطوي عنى سرعة هجائية فاسه حتى الآن، فسب ذلك يعود إلى أن عارسيا ماركير لا يرغب في أن تشمل داته الجدا أو أن يجعل ماضيه هذه الدرجة من المرارة (أو التصليل!). حتى هذه اللحظة، يبدو للعقيد شخصية مشاقصة وإن ظل مثيراً للإعجاب، لا يُعامل إلا بأقل ما يمكن من السحرية. لكن عارسيا ماركير أدرك بعدونه إلى مسقط رأسه أن ماكويديو دمرت بقوة يرى السكان أنها قوة القدر، في حبس لا يرى هو في ذلك الآن سوى تاريخ.

بعد مرور أعوام، وتحديدأ في العام 1977، يقول عارسيا ماركيز: 'إني أكن حباً كبيراً لرواية عاصفة الأوراق، وأنعاطف تعاطفاً شديداً مع الرجل الذي ألهمها. إنني أراه واضحاً وصوح النهار: إنه شاب في الثاية والعشرين أو الثالثة والعشرين يعتقد أنه لن يكتب أي شيء آخر في حياته، وأن هذه هي فرصته الوحيدة، وهذا يدل قصارى جهده كي يضع فيها كل شيء، كل شيء يتذكره، وكل شيء تعلمه عن التقية وصعة الأدب من المؤلفين الذين قرأ مؤلفاتهم⁽⁵¹⁾. تسنم الكناية في رواية عاصفة الأوراق على نحو متقطع، لسنوات أخرى. لكن يمكن القول إنما قد انطلقت انطلاقاً حدة وحقيقة. لكن يادعم من أن هذا الشاب لن يشعر بالرضا

أبدأ، إلا أن مستقبله الأدبي سيؤكد بلا ريب بالخط والعمل المتأخر الطويل. لكنه لم يكن رجلاً في وسع أحد أن يكتب عنه العارضة المبتدلة بأنه لن يطر وراءه أبداً.

* * *

مما لا شك فيه أن عارساً ماركيز كان لا يزال مضطراً إلى كسب ورقة، لذلك واصل كتابة عموده الروافقة في صحيفة الهيرالدو يومياً من جهة، والعمل بكل جهد و نشاط في مجلة كرونيكا من جهة أخرى. وكانت كل كتاباته في ذلك الوقت تتمتع بالاسكار والإبداع مهما كانت عديمة الشأن أو مكتوبة على عجلة. وإذا ما نظرنا إلى تلك المقالات من حيث ترتيبها، فإن أكثرها إثارة للاهتمام هي تلك المنشورة بتاريخ السادس عشر من كانون الأول سنة 1950، وكانت بعنوان لا أهيها. ويمكن للكلمة أمعا أن تعني بالإسبانية أي صديقة من الإناث أو يمكن أن تعني فتاة صديقة. كانت المقالة رد فعل علياً إزاء حماسه عندما التقى ميرثيديس بيرتشا مرة أخرى في مقالة ذات برة هادئة قلما يوحى بلذة الحدث. وتوصف هذه الصديقة على ما كانت عليه ميرثيديس بالأمس واليوم، "نسحتها الشرفية ونظرة عينيها الخاصة" و"عظام وجنتيها الرززة" و"بشرها السمراء" و"أسوفا السحار الجمال". كانت ميرثيديس في البلدة لأن أسرها هربت من منزلها قبل بضعة أشهر في أثناء مواجهة أحداث العنف التي حلت ببلدة سوكري وما رافقها من انتقام.

كانت المودة بين غابرييل عارسيا ماركيز وميرثيديس بارتشا لعمراً من البداية وحتى النهاية⁽⁵¹⁾. ومرح الألمان بشأن إصرار عارسيا ماركيز على أنه قرر أن يتزوجها عندما كانت في سن التاسعة، وبشأن إصرارها هي على أنها لم تنبه إليه إلا قبل سفره إلى أوروبا بوقت قصير في العام 1955. غير أن مقالة شهر كانون الأول سنة 1950 التي لا يمكن النظر إليها بطرف حربية تشير بالرغم من ذلك إلى أن ثلاث سنوات مرت على لقاء ابطلين. الحق أن العام 947، كان هو العام الذي نخرج فيه عارسيا ماركيز من ثيابها وعاد إلى البيت لتمصيه فصل الصيف، وبعدها توجه إلى الجامعة في بوغوتا. ولم يرجع إلى الست إلا مرات فسة جداً، كانت فيها ميرثيديس حارح سوكري تدرس في مدرسة دير لراهبات في ميدين ولما نعد إلى البيت إلا في عطلة نهاية كل سنة. ثم حكايات تنرد عن أن عايو كان يتسكع في موموكس

قبل عام 1947 عندما كانت ميرثيس تدرس هناك ويتذكر راميرو دي لا إسبيريا أنه كان يتحدث عنها في كارتاجيا في العام 1949، لكن يبدو أن الصلة بينهما كانت ضعيفة جداً في الأعوام الستة التي مرت بين لقائهما الأول ولقائهما في نهاية ما يصفه بالسنة الحاسمة جداً في حياة غارسيا ماركيز.

تشير الأمور كلها إلى أنه كان يتوقع عودتها من المدرسة إلى بارانكيا لتمضية عطلة الميلاد قبل أن يلتقيا. أولاً، لقد انتقل من ناطحة السحاب إلى نزل عمره تسيره الأحوات أبلا اللواتي كان يعرفهن من خلال صلاته سوكري، وكان يعيش في المنطقة المرتفعة من المدينة على بعد بضعة شوارع من فندق برادو وعلى مقربة من المنطقة التي كان يقص فيها صديقه الشاعر ميلا ديملر⁽⁵²⁾. وتبين أنه على مقربة أيضاً من الصيدلية الجديدة التي أسسها ديميتريو بارتش عند ناصية الشارع 65 وشارع 20 تمور. كما عثر غارسيا ماركيز من صورته، إذ قص شعره أكثر، وشذب شربه، وارتدى البدلة، ووضع ربطة العنق، واتصل حذاءً أبيضاً ليحل محل الصل المذاري. وكان رد فعل أصدقائه على هذا التغيير قاسياً، وتوقع بعضهم أنه لن يتمكن من كسبه كسبة واحدة حالما غادر ناطحة السحاب. والواضح أن انتقانه تراس مع إدراكه أن روايته الجديدة - وهي رواية تدور أحداثها عنه وعن زوجته باتت أمراً واقعاً الآن، ومع عزمه على أن يقابل ميرثيديس. لقد أمسى من نواح عديدة إنساناً جديداً لديه الآن ما يمنحه لامرأة أكثر من السابق.

بيد أن شجله من مشكلة استمرت الأسرة فمرح بشأنه اليوم. نسدكر لحا غارسيل ماركيز: "عندما انتقلت ميرثيديس إلى بارانكيا، أمضى عايتو ساعات يتحدث إلى ديميتريو بارتشا في الصيدلية الملاصقة لبيتهم. وقال الناس لميرثيديس مرة أخرى: لا يزال عايتو يهواك، فردت قائلة: لا، إنه يهوى أمسي لأنه يتحدث وإياه طوال الوقت، ولا يلقي عليّ حتى بتحفة النساء"⁽⁵³⁾. وقد اعترف غارسيا ماركيز نفسه أنه أمضى عشرة أعوام وراء منعطف الشارع ينتظر أن يعطلي بطله من ميرثيديس الساحرة والمتشاكخة، يعاني عذاب الإحباط، بل والهوان أحياناً على يدي فتاه يبدو أنها وجدت صعوبة منذ أمد بعيد في أن تنظر إليه على محمل الجد ولم تظهر اهتماماً يذكر به⁽⁵⁴⁾. ويستذكر أفراد جماعة بارانكيا في ما بعد أنهم كانوا

بطوفون بسيارة سييدا من فوج جيب، فطلب غارسيا ماركيز من سييدا أن يقترب ويمر أمام الصيدية حيث كانت ميرثيديس أحياناً تساعد في أثناء العطلات، وبعد أن تركت المدرسة، مجرد أن يجلس نظرة إليها، من دون أن يعير أي اهتمام لصيحات أصدقائه الذين كان لهم موقف آخر تجاه النساء.

أم ميرثيديس نفسها التي لم تتحدث إلا في مقابلاتي للصحف (إحداها مع أخت زوجها بعوان "انتظري عابيتو كي أكرم") فقد أخبرني في العام 1991 قائلة: "لم أخرج مع غابيتو إلا برفقة جماعة. لكن، لي قرية فلسطينية كانت توفر لنا عطاءً دائماً، وكانت تحاول أن تجمعنا معاً، وكانت دائماً نبدأ جملتها بالكلامه بعارة: عندما تزوجني عابيتو..."

في فترة الميلاد سنة 1950، أفع عابيتو أخيراً ميرثيديس أن تمحه مرصه، ورافقها للرقص في فندق برادو بصبح مرات، ولم تكن منمره مما يعث على الكد، لكنها لم ترفض صراحه تودد الشاب، واحتار بدوره أن يصدق أن هك صراً من الاتفاق الصمي وأن العرصه ساعه، فكان هذا وصعاً جديداً تماماً.

إن الإنسانه التي تعرف في الأقل قدراً من تلك اللعائات المكره هي عابده عارسا ماركيز التي نفاها والداها إلى ناراكنا لإبعادها عن خطبها رافائل بيرث. وقالت لي: "لم تكن ميرثيديس صديقتي المفضله لكنني كنت أنا صديقتها المفضله. كنا نذهب للرقص معاً في فندق برادو وكنت أرفض مع والداها كي يطل غابيتو معها" (35).

وهكذا بدا عارسا ماركيز عام 1951 في أقصى حالات التعازل التي يمكن تخيلها، لا يعلم إلا القليل عن الدمار القاسي الذي سيقبض بحياته الجديده التي كان يحطط هـ، ستوده ويكسها بحرق الجبين. ففي الثالث والعشرين من شهر كانون الثاني تلقى رساله مفتصبه من ميرثيديس بدعه فيها أن صديقه كاتانو خنيتي اعيل في سوكري - كانت الأمريتان متقاربتين - إذ كانت خولينا وهي والدته كاتانو عرابه ناتشي ويكشف غارسيا ماركيز في ما بعد أن عدداً من إخوانه وأخواته كانوا شهوداً على ما حدث. ولم يكن لغالبهم عن سوكري في ذلك الوقت سوى عابده وعابريل إيخيوي، الذي كان في بلدة كورثاخيا لحضور مؤتمر الحرب المحافظ، وعابيتو نفسه

قتل أخوة مارغريتا كايانو حنتيلي، وكات مارغريتا فتاة شاركت ميرثيس في السكن في مومبو كس، وفي ليلة زفافها كشفت لزوجها أنها ليست عذراء مما كان منه إلا أن أعادها إلى أهلها بوصفها بصغة فاسدة وتشير إحدى الشائعات في مومبو كس إلى أن شرطياً اعتصمها في أثناء حوادث العنف وأنها لم تستطع لوح بذلك خشية الانتقام. لهذا قالت إن كايانو حنتيلي، صديقها السابق، هو الذي اعتصم بكارها⁽⁵⁶⁾. لن تعرف الحقيقة أبداً وعلى الفور اطلق أحوالها لاستعادة شرف الأسرة بفعل الجاني المهم في ميدان سوكري العام وعلى مرأى من أهل البلدة جمعاً. هذه هي القصة التي سحوها عارسا ماركير، في روايته قصة موت معلم بعد ثلاثين سنة على الحادث، أي عام 1981 كان القتل بشعاً وعملاً سيظل يؤرق عارسا ماركير وجميع أفراد أسرته على مدى عقود.

بعد مرور أسبوع واحد، وقبل أن يهبط لعارسا ماركير الوقت لكافي لمعرفة تفاصيل هذا الحادث المروع، تلحق رسالة تعيد أن غابريل إليخيو وصل بلدة باراكيا بدلاً من أن يعود إلى سوكري بعد انقضاء مؤخره مما كان من غايته إلا أن استغل حاله وقصد مركز البلدة والتي أباه المدعو في ممهي روما: كان قد سمع بدوره بأ الاغتال، وخشي هو وبولسا ساتياعا على مستقبل لأسرة بسبب تزايد العنف السياسي الذي كان فيه هذا الحدث القنص التي قصت طهر اسير. (الحق أن غابريل إليخيو واجه طرولاً مالية صعبة في سوكري مد السحطة التي انتقل فيها صيب حقيقي إلى المصقة التي يسكنها من البلدة). كان غابريل إليخيو في كارناخسا بصحة غوستافو الذي بات حينها ذراعاً المسمى وقام بسلسلة من التحريات وسط أصدقائه وأقربائه المحافظين في المدينة ورتب الأمور للانتقال بأسره إليها وأراد أن بمساعدتهم عايته حتى يستقروا ثم يعود أدراجه إلى كارناخينا لمساعدتهم على الأمور المالية في وضع بات صعباً إن لم يكن يئساً. يقول غابريل إليخيو إن المائدة الأخرى من وراء ذلك تتمثل بأن غايته قد يتمكن من العودة إلى دراسة الحقوق⁽⁵⁷⁾.

كانت محاولات غابريل إليخيو مثيرة للدهشة لوهة الأولى لأن سوكري منطقة من مناطق حرب المحافظين أساساً، وكان هو نفسه مهمكاً في لشؤون

السياسية المحيية، وكان ينجم عليه أن يكون قادراً على الاعتماد على الحماية وكان يتوقع أن يهرب الليراليون مثل ديميتريو بارتشا - الذي هرب حقاً - في حين بدت أسيرة غارسيا ماركيز على ما يرام. إضافة إلى ذلك، لم يكن قتل كائيتو ذا دوافع سياسية، لكن أحدثت تظهر في ذلك الوقت ملصقات تنطوي على لاغواء وتعذ علامة مستقرة من علامات تفكك المجتمع واختلاله، ولم تكن مكرسة لنقضات السياسية وبخاصة الفساد وحسب، بل كانت فعل كل شيء تنطوي على اتهامات جنسية القصد منها تحطيم سمعة الناس. وانتشرت حوادث الانتقام، وكان لدى غابريل إيلخيو ما يكفي من الفصائح الحسية خاصة به كي يتمسه الفلق.

وافق عايتو بحزن وتردد على مطالب أبيه، فعاد غابريل إيلخيو إلى سوكري شربب الحروح كانت لويسا مكسرة الفؤاد. وتذكر لحياء: "نكت أمني عدم رحمت عن سوكري تماماً مثلما بكت عندما وصلت إليها"⁽⁵⁸⁾. لقد عاشت الأسرة في سوكري لأكثر من أحد عشر عاماً، وكان قد ولد فيها جيمي وهيرناندو وألفريدو وإيلخيو غابريل، كما وفدت إليه تركيبات فيها أيضاً وحقق فيها غابريل إيلخيو مرة واحدة وفي وقت واحد، قدراً من الامتياز والسلطة في البلدة التي تحيط بها المياه من جميع جهاتها بل إنه شيد بيته الأول فيها. غير أن جميع أفراد أسرة غارسيا ماركيز، ومن قبلهم أفراد أسرة بارتشا، وكذلك عايتو ولويس، يريكي عدم 1948، أصبحوا الآن لاحتين هرباً من أعمال العنف.

أما عايتو نفسه، فقد كان الحدث كارثياً بالنسبة إليه، وفي وسعنا أن نتخيل العذاب الذي سبب فيه لنفسه أن يفقد عائداً إلى حصن أسرة لم يعيش وإيها أي فترة مهمة. وتفاوض مع إدارة صحيفة الميرالدو للاستمرار في إرسال مقالاته؛ وראה من كارثجيا موافقوا ومسحوقه سبعة بيروس مقدماً للأشهر الستة من عموده وسع افتتاحيات أسبوعياً على أن تكون معدة سياسياً، فأصبح حياته كابوساً يكها سهلة بالنسبة إلى هويمايور.

كانت السنة الأولى معقدة بالموصى، ولم يرسل أي من الأولاد للدراسة حرج البلدة كما أن الأطفال، الأصغر سناً لم يبدأوا مرحلة تعليمهم أيضاً. ولا بد من أن غابريل إيلخيو أدرك بعد كل إحصافاته السابقة أنه لن يصح في كارتاخينا إذا

ما أسس له صيدية بالرغم من أنه حاول ذلك لبعض الوقت كما أنه بذل محاولة من غير تحمس لمواصلة عمله في الطب، لكن كارتاخيا لم تكن مبدئياً يشر باختر لدخال. وقبل أن يمضي عام واحد يطلق مرة أخرى في رحلاته وأخذ يطوف في أنحاء سوكري بصفته طبيباً حوَّالاً تماماً مثلما طاف قبل أربعة عشر عاماً عندما انتقلوا إلى بارانكيا لقد أصبح عابريل إليحيو غير قادر بعد اليوم على إعالة روحته وأطفاله. وستمضي عشرة أعوام قبل أن تتمكن الأسرة من القول إنها بدأت تقف عن قدميها، ويرجع سبب ذلك إلى أن معظم الأولاد تركوا البيت، كانت مارغوب تحمل العبء الأكبر.

يبدو مرجحاً أن غابيتو رجع إلى كارتاخيا لا على أمل البقاء فيها مدة طويلة بل لشعوره بضرورة إظهار الرعة في احتواء أسرته في هذه البنية الجديدة ناهضة النش وإن لم تكن موضع ترحيب. عاد مرة أخرى إلى صحيفة الأويرسل مطاطك رأسه حمالاً وتولته الدهشة، وعثر عن امتنائه عندما استقبله بحارة ثابالا ولوبيث إسكالوريانا وبقية رمالته القدامى، وازداد عجباً عندما عرضوا عليه مرتباً شهرياً أعلى من المرب الذي كان يتقاضاه في بارانكيا⁽⁵⁹⁾.

أما الشيء الذي لم يفعله فهو العودة إلى دراسته. ولم يدرك إلا عندما ذهب متردداً للتسجيل أنه كان قد أحقق في ثلاث مواد، وليس مادتين، في نهاية عام 1949. مما يعني أنه سيعيد السنة الثالثة برمتها بدلاً من الترفع إلى السنة الرابعة⁽⁶⁰⁾. لذلك تخلى عن الفكرة فوراً، لكن بما إلى علم أبيه ذلك القرار ففقد أعصابه بسبب ابنه الأكبر المزاوح يتذكر عوستافو المواجهة بين عابريل إليحيو وغابيتو بخصوص القضية عند شارع الشهداء خارج البلدة القديمة. وعندما سمع عابريل إليحيو ابنه يعترف أنه قرر التحلي عن دراسة الحقوق والتركيز بدلاً من ذلك على الكتابة، صوه بعبارة أصبحت أسطورة بين أفراد الأسرة: "سيهي بك المطاف بأن تأكل الوري⁽⁶¹⁾".

لا بد من أن وصول تلك الأسرة الكيرة الفقيرة التي لا تصنع ل نظام إلى عالمه المتعدد أفرح كثيراً، إن لم نقل أهد، ذلك الشاب الذي دأب على إحياء فقره وعقده الخاصة وراء رى مهرج وأداء مهرج. يتذكر عارسيا ماركيز في البنية الأولى

التي أمصاها في بيته الحديد أنه تعثر بكيس يحتوي على عظام جدته أتت ها بويست سانياغا لإعاده ذهبها في مقر إقامتهم في المدينة الجديدة⁽⁶²⁾. وتلخص فكاهة راميرو دي لا إسبريا المرة من ورطة الأسرة في الاسم الذي يحته للإشارة إلى غابريل إلبيو في ثنت الأيام وهو جواد الاستيلاد⁽⁶³⁾. ولم تكن مشاعر غابريل إلبيو إزاء ولده حافية عن أنظار الآخرين. ففي إحدى المرات عندما التقى كاربوس أليمان وغابريل إلبيو وسأله عن أحمال عاتو شككا الأب بصوت عالٍ من أن ابنه يعيب دائماً عندما يريد، ويرجى: "قل لذلك الحيمر الدكري المنقل أن يأتي لرؤيه أمه"⁽⁶⁴⁾ وعندما حاول دي لا إسبريا أن يدفع عن عاينو صد حانة أخرى من حالات السقد الموجهة إليه وقال "إنه أصبح الآن واحداً من أفضل كتاب الفصة لمصرية في البلاد" اصغر الأب صائحاً. إنه قصاص. حلاً طالما كان كذاباً من طموحه⁽⁶⁵⁾.

في مطلع شهر غور بوقف غاريا ماركيز عن إرسال مقالانه؛ رحمه، إن صحفه اضربالدو بعد أن وقى سبه، ولم يعد نشر شيئاً منها حتى شباط سنة 1952. في عصور ذلك واصل كتاباته الخاصة به وسط موصى الأسرة على أفضل ما يستطيع. لمة حادثة يتذكرها عوستاوو يكشف لنا عن مدى طموحه: 'إن عاتو لا يتذكر... لكنه قال لي ذات يوم: أصبح إليّ ساعدي على هذا الأمر. ثم أتى بمخطوطة رواية عاصفة الأوراق الأصلية مراجعتها. بلعنا منتصف الرواية في قراءت عندما نقص واقفاً وقال: هذه لا بأس بها. لكنني سأكتب رواية تكون مقروءة أكثر من رواية دون كيجوته"⁽⁶⁶⁾. وفي شهر آذار، نشر غارسيا ماركيز قصة أخرى من قصصه في بوغوتا بعنوان: قابو الزنجي الذي جعل الملائكة تنتظر"⁽⁶⁷⁾. هذه هي الفصة الأولى التي نستحضر شفاً له قمة عاوس غارسيا ماركيز وتتميز بأسلوب أعماله اللاحقة⁽⁶⁸⁾.

في تلك الفترة من الزمان، كان حولو سيسر بيبعاس المدرس والسياسي المنفي من بيو ممثلاً عن دار نشر لوسادا لي عقرها بويست آيرس في بوغوتا وكانت واسعة الاستسار وفي مستطاعها يومذاك أن تصنع شهره أي أدب في أميركا اللاتينية، يجوب أنحاء البلاد بما فيها منطقة الساحل باحثاً عن مادة تبسر بالحبر، وأحضر غارسيا

ماركيز بأنه إذا ما فرع من كتابة روايته التي كان يشغل عليها وأرسلها إليه إلى لوساد، فسيظهر في شرحها في بونيس آيرس على أنها تمثل الرواية الكولومبية المعاصرة اتت غارسيا ماركيز حالة من الحماسة الشديدة، وشرع في مواصلة كتابة مخطوطته. وفي منتصف شهر أيلول كانت النسخة الأولى من **عاصفة الأوراق** جاهزة كي يرسلها.

في هذه الأثناء صادف أن وصل شاب إلى كارتاجينا، وعذّر له أن يصح في س بعد واحد من أصدقاء غارسيا ماركيز طوال حياته. إنه الشاعر والرحالة ومدير الأعمال التتبعي ألفارو موتيس الذي ربما كان الأديب الكولومبي الوحيد خلال نصف القرن الماضي الذي يمكنه أن يكون صمو غارسيا ماركيز في حديثه⁽⁶⁴⁾. ويصفه غارسيا ماركيز في فترة لاحقة بأنه "دو أوف دقيق، وحاجين يشهال حواجب الأثران، وجسد هائل وحذاء صغير"⁽⁷⁰⁾. برى لفترة ما في أوروبا حيث نوبى والده وهو في سن التاسعة، وكان من أقرباء عالم النبات الإسباني - الكولومبي المشهور خوسيه سيلستيو موتيس. وكانت أولى قصائده الرقم 204 قد نشرت في الاسكندرية قبل ظهور قصة غارسيا ماركيز الأولى والثانية لعالم ماكروول المفسرج بأسبوعين. ومنما ابتكر غارسيا ماركيز أورليانو بويديا، فقد ابتكر موتيس ماكروول وهو شخص قُدّر له أن تطبق شهرته الآفاق كان موتيس يعمل في ذلك الوقت في شركة التأمين الكولومبية، وأمضى أربعة أعوام بصفته مدير الدعاية في شركة شراب الشعير البافارية، وأمضى سنتين بالعمل مديراً في دار الإداعة، وبات اليوم مدير الدعاية لشركة لانسا، وهي شركة المخطوط لجوية التي كان قد عمل فيها لويس إريكي؛ وهذا هو الأساس في قدرة موتيس المفكرة على تحديد الرحلات من دون إعطاء مهلة للاستعداد. وكان موتيس قد التقى صديق غارسيا ماركيز منذ أيام الدراسة عوثالو مالاريو في بوغوتا، فما كان من موتيس إلا أن أحد الصديقين الحديد لرؤيه البحر في اليوم نفسه الذي اكتشف فيه أن مالاريو لم يره من قبل⁽⁷¹⁾.

في عطلة نهاية الأسبوع نعثوا عن غاييتو في مبنى صحيفة الأوبيرسال ثم انطلقوا إلى بوكايراندي لتناول الشراب على شرفة فندقهم الصغير. وبما هم

جالسون يحتسون الشراب هتت عصفا قوية فادمة من البحر الكاريسى التشح بالمون الأبيض امائل إلى الرصاصي. وفي دروة العاصفة، وفيما أخذت ثمار جور الهند تنكسر من حوشم، حاء غارسيا ماركيز مترعاً من شدة القوصى، هزياً شاحباً، متقد العينين كعهده، ناره الرفيع كقلم الرصاص بدأ نمو ليعندو بحجم فم احمر، مرتدباً القميص المداري ذا العلامة المارقة⁽⁷²⁾ وهو ما سيدأب عليه في السنوات الخمسين المقبلة⁽⁷³⁾. أمضى الأصدقاء الثلاثة بضع ساعات في مناقشة مختلف الشؤون والقضايا ومنها شؤون الحياة والأدب والحب. قلما يمكن تخيل شخصيتين أكثر اختلافاً من موتيس وغارسيا ماركيز، لكن صداقتهما استمرت بالرغم من ذلك نصف قرن. وكانت حماستهما التي يشتركان فيها حقاً هي لجورج كوبراد، وكما يحتلمان بشأن ولم هو كمر من اللحمة التي التقيا فيها. وقد أخبرني موتيس عام 1992: "كان يحاول أن يمثل دور الساحلي، لكنني أدركت بعد خمس دقائق أنه رجل جاذ كل الجذ. كان رجلاً معجوراً بحسد شاب". كانت السريارة قد جاءت في الوقت المناسب لأن موتيس الذي كانت شبكة أعماله مثار دهشة أصدقائه دوماً، يعرف وكيل دار نشر لوسادا حولي سيسر بيعه وحث غارسيا ماركيز على القبول بالوظيفة وارسا محطوته بأسرع وقت ممكن. فشرع غارسيا ماركيز في إعداد نسخة حالية من العيوب نقلاً عن النسخة المنشورة المطبوعة على الآلة الكاتبة. وبعد بضعة أسابيع عاد موتيس إلى كارناحينا وحمل معه النسخة الكاملة ورجع إلى بوغوتا وأرسلها عبر البريد الجوي إلى بويس أيرس. كان ذلك التصرف رائعاً بعد سنوات طويلة يحمل ألفارو موتيس نفسه نسخة مصورة عن رواية مئة عام من العزلة إلى بويس أيرس للنظر في طاعتها في دار نشر أرجنتينية كبرى أخرى هي سوداميريكانا.

في مطلع شهر كانون الأول من العام 1951 توجه غارسيا ماركيز إلى مي صحيفه لهرالدو في بارانكيا، وعندما سأله ألفوسو هويسمايور عن سب مجيئه قال: "لقد بلغ السيل الزبي يا حصرة الأسد"⁽⁷⁴⁾ بعد أن أكمل الرواية، لم يعد يطيق عذاب لعيش مع الأسره في كارناحينا وتحبب عابرييل إليجو الحاحد من مسؤولياته. ربما كان لتوقيت عودته صلة ببدء عطلة هدية السنة وعودة ميريديس

بارتشا إلى بارانكيا بعد إكمالها المرحلة الخامسة من دراستها الثانوية في مدرسة الراهبات في ميدليس حيث يتعين على العتيات أن يستحسمن وفق بوبات محطط ما تحطبطاً حاصاً (أخبرني قائلة: كي لا تتمكن أي واحدة ما من رؤية أي جزء من جسم فتاه أخرى). عاد غارسيا ماركيز ليسكن مع الأخوات ايلا بالرغم من انقفاق المتزايدة بدلاً من السكن في باطحة السحاب.

في مطلع شهر شاط تنفى رسالة من دار نشر لوسادا بواسطة مكتب صحيفة الميرالدو. ربما كانت تلك الرسالة أشد الخيبات في حياته. لقد كان غارسيا ماركيز متاكداً إلى حد بعيد أن رواية عاصفة الأوراق ستشهر، لكنه أصب نغمة أمل عدد علم أن حياة التحرير في بيوس يرس رفضت الرواية مما يعني على سبيل الجاز أنه رفضته، إذ أرسلت المسألة في بيوس ايرس رسالة مدمره من مديرها غيرمو دي توري أحد أبرز معاد الأدب الإسبان في المهني وأحد أقرباء خورخه لويس بورخس الذي كان غارسيا ماركيز معجاً به أشد الإعجاب. وقد أشير في الرسالة إلى تمتع الأدب الشاب بموهبة شعرية، إلا أنه قد أوضح من خلالها أنه ليس لديه أي مستقبل في كتابه الرواية واقترح عليه صراحة أن يبحث له عن مهة أخرى. تجمع كل أصدقاء غارسيا ماركيز حوله، حينهم توري حيرته تقريباً وساعده على أن يلم أطراف شجاعته؛ إذ كان يخشى عليه أن يهار بسب الصدمة والجرع وقال ألعرو سييدا: "نعلم الجميع أن الإسبان أعياء". وأيدوا كلهم رأيهم المخالف لرأي دي توري⁽⁷⁵⁾.

استمر غارسيا ماركيز طوال العام 1952 يكسب ررقه من خلال صحفه الميرالدو وعموده الزرافة الذي ظلت لصحيفة تنشره على مدى العام لكن تلك الأعمدة م تعد جديدة وحاسية خلاف ما كانت عليه في العام الأول⁽⁷⁶⁾. ولم يمض وقت طويل حتى توافي سينموس البية ويتوقف غارسيا ماركيز عن كتابة زرفاهه، بالرغم من أنه لم يقدم، لا هو ولا أحد غيره من أفراد الجماعة، تفسيراً مناسباً للسبب الذي انتهت إليه العلاقة بصحيفة الميرالدو لكن بالرغم من تضاهره بالمشجاعة، إلا أن الحقيقة هي أن رفض رواية عاصفة الأوراق كان ضربة فاصية، مدمرة ومقرفة. فثقت بنفسه أصيبت إصابة بلوعة وارتأى أن لا فائدة من الاستمرار

في كتابة عموده اليومي ما الذي فعلوه به؟ إلى أين وصل به كل عمله الجاد؟ بما لا شك فيه أن رؤيته لفنسه، علانية في الأقل، جعلته يشعر أنه مصغراً معوياً إلى إساءة بيته مرة أخرى لدراسة الحقوق كي يصحح عمائياً وينقد أسرته وعندما أدرك ثابته أنه لن يتصح في ذلك أيضاً شعر بالصعب ع ثاماً.

* * *

نما يوحى بالمفارقة أن وكل أوسادا حولو سسر سعلس جاء لستقم له وعرض عليه وسيلة للخروج من تلك الورطة فقبل لها. كان ييغلس قد بدأ تغلرته الخاصة ببيع الكتب. وفي يوم ما، زار عارسيا ماركير الذي جاء إلى بارانكيا وراهقه إلى فندق برديو وقدم إليه الشراب حتى ارتوى وفارقه بعد أن وعده بوظيفة وحقية كتب. بعد أن أحد عارسيا ماركير على عاتقه أن يكتب ما يضاهاى رواية دون كيهوته، بات الآن بائعاً متجولاً يبيع الموسوعات والشرارات الطبية والعلمية في القرى والبلدات الصغرة في الجزء الشمالي الشرقي من كولومبيا. لا بد من أن يكون قد خطر له أنه أصبح مثل أبيه.

خس الحظ أن عارسيا ماركير كان لا يقتصر إلى روح الدعاية والخس الساحر الذي عُرف به ثيرباتنس. ربما في وسعه تحمل ذلك إلى حد ما. لكن من نافلة القول إن عراهه تمثل بأن في وسعه الآن أن يتعلم شيئاً أكثر عن تاريخ أسرته وذلك باقضاء آثار جذبه من حديد على امتداد اسسوت الماضية، في أثناء سوكة تلك الدروب المعبرة في وادي أوبار الممتد بين جبال سيرا نيمادا ومهر سيسر. ليس هذا العلم بعالم عيرمو دي توري، بل علله الشخصصي. وفيما هو يطلن في رحله الأولى، التقى بأعسه لويس إريكي في سانتا مارتا. رأى لويس إريكي المتروح حديثاً أن الرواح قيود تخذ من حريته وأنه سيفعل أي شيء من أجل تخفيف تلك القيود. فاشتغل في عدد من الأعمال الحقيقية والكادية، في شاعا في بادئ الأمر ثم في سانتا مارتا ها هو يتهر الفرصة الآن لمرافقة أخيه في رحلة قصيرة. فذهب الاثنان إلى ثياغا وبدأ عايينو عمله الجديد فيها، وهي تلك البلدة التي عاش فيها جدها مدة قصيرة قبل الانتقال إلى آراكاتاكا ثم رافقه لويس إريكي إلى عواكامايال وإشيلية وآراكاتاكا وموندانيون وكوبيي وصولاً إلى باييدوبار ولاباث وماناوري. بعنهم الأولى هي الأطباء والمحامون والقصة وكتاب العنول والعمد.

بعد أن قفل لويس إيريكي راجعاً إلى ثيناعا، رار عايتو صديقه رافائيل إيسكالونا الذي رافقه على مدى أسوع كامل في جولاته في بلدات إقيم غواحرا؛ أوروميتا، فيانوقا، المولينز، ساد حوان دل سيسر ورعا فونسيكا وفي طريقهم صحا تابانا أوليفيا ونظّموا في ما بينهم نوعاً من العاء والماليات يشارك فيها عدد من الأشخاص ويتخللها الشراب، وكان من بين الحاضرين أصدقاء وأقرباء مثل لويس كارمبلو كوريّ من أراكاتانكا وبوشو كونيس وهو أحد أقرباء عارب مريكيز وصديق حميم لرافائيل إيسكالونا⁽⁷⁷⁾. وتخبرني تابانا بعد خمس وأربعين سنة قائلاً: "كنا نقوم سرهات احتمالة. في ليلة ماء، نصل سارة ماء، لنجد نفسك وقد استيقظت في صباح اليوم التالي وأنت تعالي من آثار الشراب في عواحرا أو في سير نيفادا. هكنا كانت حياتك يومئذ. كنا نذهب إلى مررة أحداً فنناول الطعام ثم نمضي إلى سير دي بريميا ومها إلى ماناوري. لكن المطاف كان ينتهي بنا دوماً إلى تناول الشراب مع أفضل عازفي الأكورديون في ذلك الوهت مثل إيميليانو توليتا، وكارلوس بوريغا، ولورنثو موراليس⁽⁷⁸⁾. وهكنا صحب إيسكالونا صديقه المتمند ليلتقي بالتروبادور الدين يرعون البقر، وبالشحصبات الأسطورية في الإقليم.

تعد مدينة بايديرار، عاصمة منطقة السيسر الواقعة في وادي أوبار المركز التاريخي لنشاط الفاني المعروف بالاسم العالياتو (تعني كلمة العالياتو "المولود في الوادي"). يمكن تغيير أعالي العالياتو حال سماعها، فهي ذات إيقاع راقص وقوي عدته المزيج الغريب لصوت الأكورديون الأوروبي والطلل الأفريقي والمكشصة الهضبة مصاحبة صوت المغني القوي الذي يكون عادة عازف الأكورديون نفسه⁽⁷⁹⁾. نمة أغنية لألمونسو ميرنانديث أوباني تلخص إيديولوجية العالياتو تلخيصاً وجيراً:

أنا من مواليد الوادي فعلاً

صافي السريرة، نقي عند،

الدم الهندي في عروقي

مع قدر من الدم الإسباني والأسود

لدي صاهج الوادي

ولدي الساء والموسقى والأكورديون

وكل هذه الأشياء التي أحب
تخرج في صوت أغنيائي⁽⁸⁰⁾.

لم يحط العديد من أدباء أميركا اللاتينية بصله ونفعه مما يمكن أن يطلني عليه الثقافة الشعبية لأصيلة كلث التي حظي بها عارسيا ماركيز في السورس الخمسين اللاحقة. ويندب به القول إلى أن يعرفه إلى 'عالي الغالياتو والموسيقين الذين ابتكروها مسحه فكرة السرد في رواية مئة عام من العزلة'⁽⁸¹⁾. المقارنة جديرة بالاهتمام إذ، ما أخذنا في الاعتبار أن أحداثاً سرّدت في كل صفحة من نث الرواية أكثر بكثير من أي رواية أخرى قد تعطر على بال. غير أن عارسيا ماركيز طوّرت الشكل إلى ما هو أبعد من ذلك، مؤسساً توارياً بين واقعية الغالياتو والصدّة المباشرة من رواياته وحياته: 'لا يوجد أي سطر في أي من مؤلفاتي لا يمكنني أن أربطه بتجربة حقيقية. هناك دوماً إشارة إلى واقع حقيقي'. وهذا هو السبب الذي جعله يؤكد دائماً أنه ليس "واقعيّاً سحريّاً" ولكنه مجرد "كاتب قدير" يسبح ما موجود على طاولته⁽⁸²⁾. لعل المظهر المدهش الوحيد لهذا كله هو أن عارسيا ماركيز، الذي أصبح موضع إعجاب بسبب تعاضفه مع النساء، يتعبر عليه أن يتماهي تماماً مع حركة تنبي شاء حاراً على قيم الرجولة.

وبواجه عارسيا ماركيز برفقة إيسكالونا واحداً من أعظم اللقاءات الخرافية في حياته. فقد كانا يحتسيان الشراب في إحدى المحانات في بلدة لايات عندما دلف شاب مرتدياً ثياب رعاة البقر، ويعتمر قفّة عريضة، وليس بطلاً جلدياً معلقاً مسدساً في حزام حصره. قال إيسكالونا، وكان يعرفه معرفة جيدة: "دعني أتعرفك إلى عاريسيل عارسيا ماركيز". فسأل الرجل عارسيا ماركيز وهو بصفحة:

- هل لك علاقة بالمعيد بيكولاس ماركيز؟

- إنني حميده.

- إذا جددك هو الذي قتل جدي⁽⁸³⁾

كان اسم الشاب هو أليخاندرو ماتشيكو، مازعم من أن عارسيا ماركيز في مذكراته يطلق على الشاب اسم حوسيه بروديشيو أغيلار، من الشخصيّة التي تسد إليه في رواية مئة عام من العزلة. وهذا أسرع إيسكالونا وهو الآخر يحمل مسدساً:

وقال غارسيا ماركيز لا يعرف شيئاً عن القصة واقترح أن يقوم هو وأليخاندرو بمحاولة لإطلاق النار، وكان يهدف من وراء ذلك إفراغ مسدسه من الطلقات. أمضى الرجال الثلاثة ثلاثة أيام بياليها وهم يحسنون الشراب ويساهرون بشحة نانثيكو. لشي كانت تستخدم عادة للتطهير في أرجاء المنطقة. وقد عرّف نانثيكو غارسيا ماركيز إلى عدد من أطفال العقيد غير الشرعيين منذ زمن الحرب عندما كان الأصدقاء ورافق السمر مهسكين في عمل ماء، كلال بائع الموسوعات المتذبذب يبقى بريل فادق صعوة رخيصة وهو يصطب عرفاً. وكان أحد هذه الصنادق الأفضل من غيره هو فنلق ويلكوم في بايديوار. وفي أثناء تلك الفترة قرأ رواية الشيخ والبحر لمعوي التي صدرت بالطبعة الإسبانية منها عن مجله لايف أواخر شهر آذار، وكان قد أرسلها إليه أصدقائه في بارانكيا. كانت "مثل إصبع ديناميت"⁽⁸⁴⁾، وقد بديل موقف غارسيا ماركيز المستهجن من معوي الروائي.

ويستذكر غارسيا ماركيز أنه إضافة إلى قراءة رواية الشيخ والبحر قرأ أيضاً رواية فرجينيا وولف السيدة دالوي في فندق - معي آخر في أثناء هذه الرحلة وسط أسراب البعوض والحرارة الخافقة، وهو جو ليس من شأن فرجينيا وولف أن تستمتع به كثيراً. وبالرغم من أنه استخدم اسماً مستعاراً لنفسه من روايتها، إلا أنه لم يكن متأثراً بها من قبل تأثره في هذا الوقت، تحديداً تلك الفقرة الخاصة بملك إكلنرا وهو يمر بسيارة ليمورين، مما سيؤثر لاحقاً تأثراً شديداً في رواية خريف البطريق⁽⁸⁵⁾.

عندما رجع غارسيا ماركيز إلى بارانكيا بعد هذه الرحلة القصيرة، فإنه يكون قد وصل حقاً إلى نهاية رحلة طويلة وسط ثقافته الشعبية الإفريقية ووسط ماضيه وما قبل تاريخه⁽⁸⁶⁾. وهو الآن على استعداد لأن يسكن في ماكوندو، في الوقت نفسه ممماً، ويا للمفارقة، الذي سيبدأ بمودح معوي بجذبه بعيداً عن عوالم الذاكرة والخيال. واليوم يقترن اسم الكاتب الكبير غارسيا ماركيز اقتراناً صميمياً بتلك القرية الأميركية اللاتينية التي هي في الوقت نفسه حالة ذهنية: ماكوندو. لكن ماكوندو التي نعرفها لا تشكل سوى نصف قصة غارسيا ماركيز، بالرغم من أن

النصف الذي سمححه هويته وامتيازاته العالميين إن الإقليم الحقيقي الذي يمتد حول بلده ماكويو الأدبية هو الجزء الشمالي من مديرية محلياً القديمة من سانتا مارتا إلى غواخيرا عبر أراكاتاكا وباميدوبار. إنها إقليم أمه وجدته لأمه الذي وفد إليه والده مستظلاً غير مرحوب فيه، واحداً من معاينات الثوري. أما النصف الآخر من النصف، فهو مظلة ذلك الأب نفسه وهي مدينة كارتاجينا وبلدات سينتي وسوكري في مديريتي بوليفار وسوكري، أرض رجل دي أحلام مزهوه عن الشرعية مصياً ومستظلاً. وهذا، فهي أرض مرفوضة بسبب روحها الثائرة نحو الكبت منذ أيام الاستعمار والإدلال الذي لا يزال يمارسه صدها أبواها الذين يمتفرون إلى المجد، إنها أرض تعدو وقد احترلت إلى قربة مجهولة الاسم لا نستحق عنواناً أدبياً، لكنها تمثل بالدرجة نفسها أميركا اللاتينية أميركا اللاتينية الحقيقية والتاريخية، وهو ما يريد المرء أن يقوله⁽⁸⁷⁾.

بعد أن انتهت رحلة عارسيا ماركير، أصبح في وسعه العودة إلى بارانكيا في بسارة قصيرة، وإجراء مسح شامل للفضاء الذي غراه أحياناً بنفسه؛ من وسطه الكائن في قمة الأرض التي تبدو متحدة كلها، ولكنه وسط ليس من تلك الأرض. لم تكس بارانكيا بوابة وحسب، بل كانت أيضاً بلدة حديثة تسمى إلى القرن العشرين لا تنتهي بماضيها الذي يرقى إلى حقبة الاستعمار ولا بذنوبها، ابلدة التي يمكن للمرء أن يولد إليها هرباً من وطأة الماضي وأجيالها النشجية ويتحدد فيها. يبدو أنها أدت واجها الآن.

كانت حمة الصياح توشك أن تنتهي في وقت كان يحيم فيه شبح التحول السياسي على نحو مخيف. كان عارسيا ماركير مستقلاً حامية في طريق عودته إلى بارانكيا في الثالث عشر من حزيران عام 1953 عندما علم أن القائد لعام لقوات المسلحة الجبرال روحاسي سيأستولى على الحكم بحركة انقلابية ضد نظام لوريانو غوميث الذي تماثل للشقاء من مرض أَلَمَّ به واضطره إلى تسليم مقاليد السلطة إلى نائبه قبل الحركة الانقلابية، محاولاً الآن العودة إلى السلطة، لكن العسكر قرروا أن عودته ليست في مصلحة الوطن وأنهم سيواصلون الحكم حتى نهاية هزبه الرئيسية، وسيكون روحاسي بيتاً على رأس النظام. حظي الانقلاب بتأييد واسع النطاق في

جميع أنحاء البلاد، بل إن محرري بعض الصحف القومية رحلوا بالرغم الحديد. يتذكر غارسيا ماركيز حدوث مشادة سياسية قوية بينه وبين راميرو دي لا إسبريتا في مكتبة بيبعاس - الذي سرعان ما سرح به في السجن بتهمة التزوير - في اليوم الذي تلا تحرك روحاس بيبيًا ضد عوميث. ومصح غارسيا ماركيز لنفسه أن يستمر صديقه بالقول: "أشعر حقاً أنني أنسجم وحكومة جنرالي غوستافو روحاس بيبيًا⁽⁸⁸⁾. وكان موقفه أساساً يتمثل بأن أي شيء هو أفضل من نظام عوميث الكاثوليكي، في حين أراد دي لا إسبريتا ثورة شاملة، وكان يخشى من أن تثبت الدكتاتورية العسكرية أنها أسوأ من الدكتاتورية الرجعية، وكان إن العسكر لا يمكن الوثوق بهم الحق أن نكل رجل موقفه الحدير بالاعتبار لقد كان ذلك الخلاص بالعم الأهمية ويشتت بأنباء أخرى، إذ سرده غارسيا ماركيز مراراً في ما بعد أن الدكتاتورية التقدمية أفضل من حكومته فاشية تمارس الفرق والسقاق تحت مسر ديمر طيه رائته.

بالرغم من تردد غارسيا ماركيز في العودة إلى صحيفة المير للو، فإنه لم يتمكن من الاعتماد عليها إلا باللجوء إلى صحيفة أخرى. فقد رمن بعيد فكر ألفارو سيدا ساموديو، وهو يعمل في بحارة السارات، في منافسة صحيفة ليمالو وأناسيس صديقه أفضل فهم على منطقة الساحل كلها وفي شهر تشرين لأول منح فرصة لإدارة صحيفة لاسيبو بال مؤملاً أن يحولها إلى غط الصحافة الحديثة الذي سمع عنه في الولايات المتحدة. فوظف صديقه العاطل عن العمل مد وقت قريب لسكون مساعده. ويتذكر غارسيا ماركيز لاحقاً أن تلك الفترة كانت من أسوأ فترات حياته. فقد أمضى الرجال أياماً وليالي بكامها في متى الصحيفة من دون أن تصدر سوى بضعة أعداد منها وبغير انتظام. لسوء الخط، لا تتوفر أي مجموعة منها، لهذا يستحيل الحكم على جهودهما، لكن كل ما نعرفه حقاً هو أن سيبدا نولي إدارة القصعة الصحافية التي كان يرسلها إلى داخل البلاد، في حين تولى غارسيا ماركيز إدارة الطبعة المسائية التي كانت تُباع في ياراتكيا. وقد خلصا إلى نتيجة مفادها أن جزءاً من المشكلة يكمن في الأمن في العمال التقدمي الذين كانوا يسعون إلى تحرير صحيفة متجددة⁽⁸⁹⁾. لكن الحقيقة لسوء الحظ تبدو كامنة في أن سيبدا أثبت عجزه

في ذلك الوقت عن ممارسة الانضباط والمهارة المطلوبين لإدارة مثل هذه العملية ويتذكر غارسيا ماركيز على استحياء أن "ألفارو عادر المكتب وصفق الباب خلفه" (90).

لكن لا يزال لدى غارسيا ماركيز عهد مع الصحافة، لذلك واصل عمله فيها بعض الوقت محاولاً بكل ما أوتي من جهد أن تظل الصحيفة على قيد الحياة ولو باستخدام مودة عتيقة، لكن هناك ما حمزه لكتابة قصة جديدة بموعد يوم آخر بعد يوم السبت وهي قصة أخرى من القصص القليلة المبكرة التي كتبها واعترف في ما بعد أنه يحبها. والقصة مثيرة للاهتمام إلى حد بعيد لأنها تدور في منطقة تدعى ماكولنو بالرغم من أنها لا تزال تذكرنا برواية البيت. ثم هناك نقطة أخرى. ففي وسع كل من كان يعيش في أراكاتاكا أن يتسبب إلى أن ماكولنو هي أراكاتاكا مع قدر من شفافية للتركيز، وإن شأها شيء من العموص واكتست بأحور مفتوحة بخلاف الظلمة المكتملة التي ينو أنها غير رواية البيت ورواية البلدة التي تعكس لبلدة سركري. لماذا هناك محطة قطار أيضاً! في الوقت نفسه، لم تقتصر القصة الأصح أنها رواية قصيرة مكثفة بكثافة شديداً - على البيت، شأن معظم الفصوص والصصوص المبكرة المنشورة. كما كانت سياسية بكل وصوح نصب اهتمامها على العمدة وأسقف ابيدة. إضافة إلى ذلك، استخدم غارسيا ماركيز أسماء العقيد أورليانو بويديا وخوسيه أركاديو بويديا وفريتينهما الأرملة العذبة. وثمة صبي فقير من خارج البلدة يعامل معاملة رقيقة جديدة تماماً ذات لمسة انتقادية اجتماعية وسياسية. في الوقت نفسه، كشفت القصة عن مجموعة كاملة مما يعد مستقبلاً موضوعات مفصلة لدى غارسيا ماركيز بدءاً بموضوع الأوثنة (في هذه الحالة قصة ولاء الطيور النافقة) ومفهوم عزلة الإنسان (91).

عاد ألفارو موتيس بعد أن أصبح الآن مدير العلاقات العامة في شركة إيسو إلى بارانكيا أواخر السنة، ولدى رؤيته مارق صديقه حاول مرة أخرى إقناعه بالرحيل إلى بوغوتا وقال له إنه "يتأكل في الأرياف" (92)، كان لدى موتيس سبب وجيه في الاعتقاد أن غارسيا ماركيز سيتمكن من الحصول على وطبعة في صحيفة الاسكتادور. غير أن ما من شيء في أعماق هذا الساحلي يرعب في الرجل، لذلك

رفض الفكرة رفضاً مطلقاً. فقال له موتيس: "حسناً سأرسل إليك تذكرة مفتوحة ويمكن الحضور عندما تكون مستعداً"⁽⁹³⁾. أخيراً فكر غارسيا ماركيز في المترضع مرة أخرى لكنه أدرك أنه لا يستطيع السفر إلى بوغوتا حتى لو شاء ذلك لأنه لا يملك ثياباً جمع بيروساته الأحمر واشترى بذلة أبيض كالتي يلبسها رجال الأعمال ومبصير وربطة عنق. ثم أمسك بتذكرة استقر من الدرج ونظر إليها، ثم وضعها في جيب بدله الحديدية. قد يذل قضاى جهده. لكن لا مجال لشاب فقير بلا شهادة أن يكسب عيشه لرغيد في الساحل. ربما سينمى يوماً ما من الزواج، غيرتديس التي أرم نفسه بها لأن دهنياً على الأقل. وقال أصدقائه: "حسناً، لكن لا ترجع إلينا واحداً من الكاتشاكو". ثم رافقوه للاحتفال بسفره في حانة الرجل الثالث، وهي إحدى حانات السوق المفصلة لديهم. وإلى هنا انتهى الموضوع.

* * *

العودة إلى بوغوتا: مراسل صحافي من الطراز الأول 1954-1955

عد غارسا ماركيز إلى بوغوتا في مطلع شهر كانون الثاني عام 1954 ، وكان قد وصلها بالطائرة بالرغم من هلعه المرحي من الطيران، وهو الملغ الذي سبب ردود عرور الأعوام. واستقله في مطار أهارو مونيس اندي كمت حياته مفعمة باسم بالطائرات والسيارات وحتى اسعى أبعاً. كان القادم احديد يحمل حقة سعر وررمنين نولها لصديقه ليضعها في صندوق السيارة. كانت الرررمان تحويان عى مخطوطتي البهت وعاصفة الأوراق المتبر م نشرها حتى الآن. أهه مونيس بسهرته صوب مكتبه مباشرة في مركز المدينة. ها قد عاد ثانية إلى الجو البارد والماطر وعاد إلى عالم التوترات والاعترااب الذي ملأ أنه حلقه وراهه إلى الأند عندما رحل عن المدينة فل نحو ستة أعوام⁽¹⁾.

كان مقر شركة إيسو آندك في المبنى نفسه الكاس في شارع جيمميث دي كيساناد حيث تقع مكاتب صحيفة الاسكندور، التي انتقلت إليها من موقعها السابق على بعد بضعة شوارع كان مكتب مونيس في العلاقات العامة يقع فوق مكتب رئيس تحرير الصحيفة غير مو بأربعة طوابق. بدا مونيس عامصاً يهتم إلى الوصوح في كيفية تدبير أمور عارسا ماركيز في الأيام الأولى من إقامه - بل إن موضوع العمل ي صحيفة الاسكندور عار في عالم النسيان - فاردادت قلقاً واكتئاباً حالة غارسا ماركيز القلمة والمكسة أصلاً. كان يهتم دائماً إلى التمه عندما يكون في مواجهة مواقف جديدة أو مع رجال وساء لا يعرفهم وعلماء ترك انطباعاً

حسباً لدى الناس الذين يروه بلوهله الأولى ولا يكتسب الثقة إلا بالألمه والحجيمه أو بإظهار ما يمكنه عمله. ومع هذا، فإن موتيس ليس هو من يرفض الرد وهو الذي تجمع شخصيته بين ما هو عملي وما هو جمالي على نحو لم يشهده أو يتخيله إلا الميبلون. لقد كان بائعاً ممتازاً حتى عندما لا يكون متأكداً من جوده بصاعته. وعندما تكون لديه سلعة غنية مثل هذا الأديب المجهول فإنه لا يقاوم عادةً. كان ألفارو موتيس يهتم اهتماماً شديداً بالأدب وكان كريماً كريماً غير مأروف.

أم من الحاجة الدسة، فلا يمكن للرحلين أن يكون أكثر اختلافاً؛ فموتيس طويع القامه، رشيق، ذو دهاء، في حين كان عارسيا ماركير قصير القامة، هزيلاً ورث الثاب، وظل يكتب القصص والروايات مد سن الثامنة عشرة عى حين كان موتيس شاعراً تحديداً ولم يبدأ بكتابة الروايات إلا وهو في منتصف الستينيات من عمره، وذلك بعد تقاعده من سلسلة من الوظائف في شركات عمليه مقرها الولايات المتحدة. وحتى اليوم، وبعد أن أصبح الاثنان روائيين مشهورين عالمياً، فإن هذين الكولومبيين مفصل أحدهما عن الآخر يحمل تاريخ أدب أميركا اللاتينية، بل إهما وفقاً على طري بقبص في المنظور السياسي، إذ يكاد يكون موتيس رجعيًا منكلماً وملكياً في بلد جمهوري مذكراًة مئي عام. وكان بحسب تعبيره 'يفتقر افتقراً تاماً إلى لاهتمام بكل المظاهر السياسية التي أعقبت سقوط بيرطة"، أي بعد العام 1453⁽²⁾. أما نزعات عارسيا ماركير في حقة ما بعد عام 1917 فقد باتت واضحة ومعروفة؛ بالرغم من أنه لم يكن شيوعياً قط، إذ أصبح قريباً من ذلك للمكر العالمي بحماه الواسع أكثر من مره من أي إيديولوجيا أخرى في حياته الصويلة ذات الالتزامات العميه. لقد كانت علاقتهما طويله ووثيقه، لكنها لم تكن مذهبيه.

في الأسوعين الأولين لم يحس عارسيا ماركير في مكتب صحيفه الاسكتاتور بل جلس في مكتب موتيس يدحس ويرتعش كدأبه في بوغوتا ويحدث إلى مساعد موتيس الذي عُيّن مؤخراً - ولم يكن سوى صديقه القديم غونالو مالاريو الذي عرفهما إلى بعضهما بعضاً أول مرة في تلك الليلة العاصفة في كارثاحيا - أو تراه بعث بأصابعه. في بعض الأحيان، كل ما عليك عمله هو انتظار حدوث شيء ما، وخاصة إذا كنت في أميركا اللاتسة أو أجراء أخرى من العالم الثالث حيث معظم

الساس لا حول لهم ولا قوة وهذا هو السبب في أن العديد من روايات عارسي ماركيز ومقصده تدور حول الانتظار والأمل. وبحلول أواخر شهر كانون الثاني منحت صحيفة الاسيكنادور فجأة وظيفة ثابتة ومرتباً شهرياً مذهلاً مقداره نسعمة بيزوس. لقد كان حصوله على مثل هذا المبلغ في بارانكيا يتصلب كتابة ثلاثمائة عمود من أعمدته المعروفة بالزرافة؛ أي عشرة أعمدة في اليوم! ولأول مرة، أصبح لديه مائت من المال مما يعني أنه يستطيع مد يد العون لأسرته في كارناخيا بإرسال م يكفي من المال لتسفيد ملع الإيجار والمناقص الأخرى.

وسكن مؤقتاً في منزل والدة موتيس في أوساكوت وانتقل بعد ذلك إلى ثرل بلا اسم قرب الحديقة الوطنية. وكان ذلك الثرل لامرأة فرنسية آوت يوماً ما إيمان بيرون في أيامها الرقصة. أصبح لديه جناح خاص به، وهي رقابة لم تعلم ها يوماً بالرغم من قلة الوقت الذي كان يمضيه فيه، إذ سجد من حين إلى آخر إيمان الشهور التالية الوقت والطاقة الكافيين لتتهرب إحدى الإناث إلى شقته⁽³⁾. لكنه سيمضي أساساً العام ونصف العام بين الصحيفة والثرل ومكتب موتيس ودور السينما القوصية في بوغوتا، ينفذ واجباته الصحفية في الكتابة والنقد الميميني، وأخيراً بصفته صحفياً من الطراز الأول.

ومن العجب أن حرب الصحافة في بوغوتا لم تكن سوى منافسة بين الصحيفتين للبريتين الكبيرين. فقد أسست صحيفة الاسيكنادور عام 1887 على أيدي أسرة كامو في ميدلين (وانتقلت إلى بوغوتا في العام 1915) وكانت أقدم من صحيفتها المنافسة انيمبو التي أسست عام 1911 واشترها إدو ريدو ساتوس في العام 1913، ولا تزال أسرة ساتوس تملك الصحيفة وتديرها حتى عام 2007 عندما اشترت دار الشر الإسبانية بلانيتا قسماً كبيراً منها. عندما وصل عارسي ماركيز في شهر كانون الثاني كان مدير الاسيكنادور هو غيرمو كانو، حفيد مؤسسها المتواضع وقصر لنظر، ولم يتبوأ موقعه فيها إلا لأنه كان في مقتبل العقد الثاني من عمره. هذا وسقى هو وعارسي ماركيز على صلة طوال أكثر من ثلاثين عاماً

كان لدى عارسي ماركيز عقدان متينان مع الأدبيين البارزين إدواردو ثالاميا سوردا الذي اكتشفه قبل ستة أعوام، وقريه عوضالو عوضاليت (عوع) الذي بدأ

العمل في الصحيفة وهو لا يزال طالباً في الحقوق في العام 1946. وكان ثالاميا برردا هو الذي عمدته بالاسم غايو اندي سبوره به في ما بعد سكان الكوكب جميعاً. وظهر إحدى الصور المشهورة من ملك الأيام عارسيا ماركيز تظهر جديده غير مألوف. إذ ظهر رشيقاً وأيقاً، دقيق الملامح، ذا عيين معتمتين بالشث لكهما عارفتان أيضاً، واتسامة صغيرة تحت شاربه اللاتيني. اليكان وحدهما هما اللذان تمصحيان حالة النوتر اندائمة الي كان يعيش فيها هذا الإنسان.

كان محرر الأخبار في صحيفة الاسبكنادور هو خوسيه الفرد ("أنقر") وبكه "فرد" سالعار وهو الإداري كثير المتصلت الذي لا يطبق السلوك الوقح الذي يرفع دائماً شعار "أخبار، أخبار، أخبار". وقد وصف عارسيا ماركيز للعمل معه بأنه "استغلال فرد لإنسان"⁽⁴⁾. وكان قد حصل على عمله في الصحيفة مد صاه وتعلم في مدرسة الصحافة وأخياء، وناث مؤسسة عن حذاره واستحقاق. وهذا البداية لم بتأثر بشهرة عارسيا ماركيز واراناب ارنياياً شديداً في صغته الأدبية التي لا تدع مجالاً للشك، وفي "غائته" المتأصلة فيه⁽⁵⁾.

لكس عارسيا ماركيز أظهر بعد أسوعس حذارته بمقالتين عن السلطه المنكبه ولعرة، والحرافة ولواقع. كانت المقالة لأرلى بعوان كليوياترا مسببة جدلاً، أوضح فيها أن نمثلاً جديداً لملكمة المصرية لن يعبر من الصورة الرومانسية التي رسمها الرجال عنها طوال ألفي سنة. أما المقالة اثناة فكانت بعوان الملكة وحيدة وهي عس الملكة الأم إليزابيث ملكة بكتتر الأرمله. لعل صياغة عارسيا ماركيز الأكثر إثارة من أي صياغة أخرى في تلك الفترة لموضوعات بعينها - وبخاصة الربط بين السلطة والشهرة والعلة - هي التي ستصل 'وجها بعد عشرين سنة في رواية مخريف البطريك.

الملكة الأم التي أمست الآن حدة وحيدة حقاً للمرة الأولى في حياتها. ولا يد من ألها تذكر في أثناء تجوالها برهقة عزتها على امتداد عمارات قصر بكنفهام العظيمة وبجنين حراف ذلك العصر السعيد الذي لم تحلم فيه ولم تمنن أن تحلم في أن تكون ملكة وأن تعيش مع زوجها وابنتيهما في بيت تغمره الألفة... ولم تعرف إلا القليل عن أن صربة غامضة من صربات القدر ستحول ابنتها وأولاد ابنتها إلى ملوك وملكات وقولها هي إلى ملكة وحيدة.

سيدة بيت مهجورة لا ينفعها عراء، بيتها يتلاشى في مناهة قصر بكنهم
الهاثة وعمراته التي لا تنهي وذلك الفناء الخلفي الذي يمتد حتى حدود
الويفيا⁽⁶⁾.

هذه المقالة نفسها هي التي ألفت ثالاميا بوردا، الذي كان ميلاً إلى الملكة
إيرابيث الثانية الشابة، أن عارسيا ماركيز كان علي استعداد للتحول إلى
موضوعات أعمق⁽⁷⁾. وكان غير موثوق إن عارسيا ماركيز اضطر لدى وصوله إلى
أن يكيف نفسه مع أسلوب الصحيفة الحذر المتسم بالعموض، لكن بعد برهة وجيزة
شرع الكتاب الآخرون بالتكيف مع احتمالات القامد الحديد الدكية والبذء بتقليده⁽⁸⁾
يتذكر عارسيا ماركيز أنه كان يجلس إلى مكتبه يكتب مقالة لعمود الصحيفة
يوماً بيوماً فيخبره حوسيه سالغار أو غيرمو كانو وسط ضوضاء الغرفة بإشارة من
إهامه وسبابه مساحة الكتابة المظبوبة لماء العراق، نقد تبخر شيء من الروعة عن
صحافه. والأسوأ من هذا أن بوغونا لم توفر له الحافر الخيوي الذي كان يحبه في
كل مكان علي امتداد الساحل. وفي أواخر شهر شباط وصل به السأم حد البكاء،
فتمكن من إقناع الإدارة في أن تجرب كتابة القعد السينمائي ويشتر مراجعاته في أيام
البيت. لا بد من أنه ارتاح ارتياحاً مذهشاً وهو يهرب عدة مرات أسوعياً من
نوترات الحياة في طن دكتاتورية تحكم في 'أكثر مدن العالم إثارة للكتابة'. وتحت
قصرة تدريب مرعجة وغير ضرورية في مكتب الصحيفة، وأن يلود إلى عالم الخيال
الذي توفره الأشرطة السينمائية. الحق أنه كان والدأ في بحاله، مما من صحفي آخر
كتب عموداً متعلماً عن السيامي أي صحيفة كولومبية قبل هذا الوقت. فقد كان
هؤلاء الصحفيون يقتضرون على توفير ملخصات للحبكة وذكر أسماء النجوم.

كان ينظر إلى السيامي منذ البداية نظرة أدبية وإنسانيه بدلاً من أن يطر إليه
نظرة سيمائية مجردة⁽⁹⁾. ولا بد من أن إيديولوجية عارسيا ماركيز السياسية التي
كانت تتطور تطوراً سريعاً في ذلك الوقت، قد عززت من إحساسه بأنه بملك فرصة
"لتعسم الجماهير"، وربما إقناهم من الوعي الكاذب الذي جعلهم يعضلون منتجات
هوليوود السينمائية المغلبة مسقاً على الأعمال السينمائية الفرنسية المصروعة صعة
جمالية ولأعمال السينمائية الإيطالية المرسومة والمنمعة علي نحو أصلي والتي كان

بمصلها على وجه الخصوص لكن رواد السبب في لعاصمة إبان الخمسينيات من القرن العشرين لم يكونوا على الأرجح صالين إلى تقدير التقويم الطبيعي للأشرطة السيمائية التي كانوا يذهبون لمشاهدتها على حين كان عارسيا ماركيز مد البداية مهووساً بفكرة النظر إلى الواقع من وجهة نظر "الجمامير" والعمل على تعديل النظرة لتصب في اتجاهات تقدمية. وبما لا ريب فيه أن مراجعته تلك الأشرطة السيمائية نمت مواقف "فطرية" مثل أسئلة جمالية وإيديولوجية. غير أن إحدى سجلها عارسيا ماركيز الملازمة له دائماً في تفسيره "للعطرة" هي أن هذه "الفطرة سليمة" وأنها ليست "سيئة" أند⁽¹⁰⁾.

مد البداية كان عارسيا ماركيز معادياً لما يعتقد أنه قيم نظام هولويود لتجارة الضحلة والعميقة إيديولوجياً - وكان يعد أورشون ويلر وتشارلي تشابلن استشائين - ودافع مراراً وبكراً عن انسيما الأوروبية التي كان يشد إنتاجها وفيها الأخلاقية من أجل تطوير سيما وطنية في كولومبيا. وسيظل هنا الأمر علاوة على البعد الأميركي اللاتيني هوساً دائماً على مدى السنين. ومن العجب أنه اشغل بالقضايا الفنية - كالص والحوار والإخراج والتصوير والصوت والموسيقى والنقطيع والتمثيل - مما يدفع إلى التنصر في حرفة الأعمال الأدبية الماثلة لحرفه البحارة "سر المهنة" الحرفي الذي لم يرغب قط في أن يشاركه فيه أحد، في الأقل نس في ضوء الرواية⁽¹¹⁾.

كان يصبر على أن يكون انص اقتصادياً ومتسقاً ومتناسكاً، وأن عطى النقاط القريبة والبعيدة بالاهتمام نفسه كان مد بدايته مشغلاً بمفهوم القصة جيدة الصنعة فكان ذلك هوساً لارمه طوال حياته، وهو ما يفسر لنا تحجيه المتواصل لألف ليلة وليلة، ودراكولا، والكوت دي موت كريستو، وخبررة الكنز؛ وكلها أعمال من الأدب الشعبي ذات السرد الدكي. وهو الشيء ذاته الذي كان ينشده في السينما أيضاً: أن يسود الواقع الموضوعي فوق كل شيء، لكن لا ينبغي إهمال العالم الداخلي ولا حتى العالم الخيالي. وأشار إلى أن للملح الأسس في شريط لصوص الدراجة الهوائية للمخرج بيتوريو دي سيكا يكمن في "صدفونه الإنسانية" وفي "مهجة الخيالي".

ستظل هذه الأفكار الأساسية مهمة في ما بعد على فكره على مدى سنوات طويلة، وهي ليست بعيدة عن العقائد الأساسية لكل من البورجوازية والواقعية الاشتراكية التي وجدت وحدة كلاسيكية في الواقعية الجديدة الإيطالية لكنها لم تنكسر طليعية، إذ لم يظهر عارسيا ماركيز إلا فدر قلباً من الانثناء إلى نظريات الموجة الجديدة الفرنسية اللاحدة في النمو والتطور والتي وجدت طريقها وسط أعمال السينمائيين البرازيليين والأرجنتينيين والكوبيين في ذلك الوقت. وتوضيح، من دون لبس اختياراته لأفضل الأشرطة السينمائية للعام في الحادي والثلاثين من شهر كانون الأول أنه كان يرى في لواقعية الجديدة الإيطالية لعام 1954 مسجلاً في صنع الأشرطة السينمائية. لكن من المفارقة التفكير في أنه ليس من شأن دي سيكا، صانع الأفلام الفصل لدى غارسيا ماركيز، وسيرار تالتي، كاتب النصوص السينمائية الذي لا يصاحبه أحد، أن يوصف في تصوير شريط سينمائي ذي حبكة مماثلة لحبكة رواية عاصفة الأوراق. وهذا هو السب الذي جعله لا يُقدم على تأليف أي روايات أخرى مثل رواية عاصفة الأوراق.

كان للعمل في أيام الأسبوع ينثر التور فكان في هابته بشارته في أيام "الجمع النفاية" التي يقيمها الصحفيون بانتظام. وكان هذا المصطلح كناية عن الإسراف في الشراب في فندق كوتبنتال، الكائن على الجانب الآخر من الشارع، حيث يمكن لكتاب الاسكتندور والتمبو أن يلتقوا ويتناولوا الشراب واشتاتم. وكانوا في بعض الأحيان يواصلون الشراب حتى الفجر⁽¹²⁾. كما اشترك عارسي ماركيز في نادي بوغوتا السينمائي الذي نظمه واحد آخر من المنفيين الكاتالونيين المضمين بالحوية والسناط والذي سيعرف إليه الأدب الشاب بمرور السنين. كان اسمه لويس بيثنس، وكان قد عمل مع الناقد الكبير جورج سادول في الشاشة الفرنسية وأحد يكسب رفقته الآن في كولومبيا من خلال بيع الكتب علارة على إدارة النادي السينمائي مع كولومبيين آخرين هما الناقد السينمائي هيرناندو سالتيدو والرسام إنريكي غراو. وكان بعد انتهاء جلسات النادي السينمائي يذهب إلى الحفلة التي لا مفر منها في منزل لويس بيثنس وزوجته الكولومبية ناسي على مقربة من مبنى الصحيفة⁽¹³⁾.

نكن بالرغم من ذلك، فإن هذا الأسلوب الجديد في الحياة، الذي هو أسلوب حياة الطبقة الوسطى لسكان بوغوتا، قلما تمكّن من أن يخلّ محن المرح والصخب، باهيك عن الاهتمام، الذي كان يرافق الحياة على الساحل لقد كتب غارسيا ماركيز في وقت مبكر من إقامته في بوغوتا رسالة إلى ألبوسو مويمايور

ستخف مشاعلك الأبوية السيلة إذا ما أخبرت أن وضعي هنا لا يزال جيداً بالرغم من أن القصة في الوقت الراهن تمثل بتعزيز هذا الوضع. ثمة جو رائع في الصحافة وقد سمحوا لي حتى الآن بأن أغطي بالامتيازات نفسها التي يتمتع بها العاملون على المدى البعيد. لكن الجانب الخرس من القضية هو أنني لا رلت أشعر بالعربة في بوغوتا بالرغم من أن الأمور إذا ما استمرت على ما هي عليه، فلن يكون أمامي خيار آخر سوى التأقلم معها وبما أنني لا أحيا حياه "ثقافية" هنا، فلنني لا أعرف شيئاً عن التطورات في الرواية لأن بوليسيس (ثالاميا بوردا)، وهو العفري الوحيد الذي أشاهده هنا، يدفن نفسه تحت روايات إنكليزية ضخمة عسرة الفهم انصحني ببعض الترجمات. لقد تلقيت نسخة من رواية سارتوريوس بالإسبانية، لكنها تمزقت فأعدتها⁽¹⁴⁾

سمحت له رفاهيته الجديدة بالذهاب من حين إلى آخر إلى بارانكيا وزيارة أصدقائه ومراقبة ميرثيديس والإبقاء على صلته بخدوره، ومشاهدة الشمس أيضاً، علاوة على لاتخاذ عن موعوتا نفسها وبما لا شك فيه أن ظهوره اللاحق في لائحة الدين يتوجب هم الشكر في شريط سيمائي تحريسي قصير، يخرجهم ألفارو سيدا بعنوان الجراداة الزرقاء، ينير إلى أن رياراته إلى الساحل كانت متواترة إلى حدٍ معقول⁽¹⁵⁾.

أصبح لدى أصدقائه الآن مكان جديد يؤثرون اللقاء فيه ويعدو جماعة بارانكيا مرادفة لمجموعة من الأفراد أقل تظاهراً بالأكمة أورد غارسيا ماركيز ذكرهم بعد خمس سنوات في قصته القصيرة جنازة الأم الكبيرة. ولم يمض وقت طويل على رحيله عن بارانكيا حتى أعادت الجماعة تنظيم صومعها ونقلت مركز نشاطها بعيداً عن مركز المدينة القديم إلى باريو بوسص على مقربة من المصفاة التي فطها ميرثيديس بدريش. فقد أسس إدوردو فيلا مويمايور، وهو أحد أقرباء ألبوسو مويمايور، وكان طبيب أسنان متذبذباً (ميرثيديس واحدة من مرضاه)، حانة أسماها في بادئ الأمر

(من وإل) وهو اسم المحرر الذي كانت تحمله يوماً ما، لكن الجماعة حولته إلى اسم آخر هو الكهف (مثل حانة رصيف الميناء في كارثانينا). سيعود هذا المكان من الأماكن التي لا تنسى في ميثولوجيا غارسيا ماركيز بالرغم من أن الرجل لن يتمكن من ارتياده بانتظام. وكانت شدة صخب المكان وكثرة الشجار والإسراف في الشراب سبباً دفع فيلا في نهاية المطاف إلى وضع ملاحظة مفادها: لربون هذا ليس على حق أبداً.

شهد غارسيا ماركيز إثر رجوعه إلى بوغوتا واحدة من أشد المعارك الصارية للطام العسكري الجديد في التاسع من حزيران عام 1954، إذ عيب كان يسير وقت الضحى في شارع خيمييث كاسينا إثر زيارة قدم بها إلى رئيسه السابق خوليو ميسر بيغلس، الذي كان يمضي عقوبة في السجن المودجي، سمع هجأة صوت إطلاق رصاص من بندقة رشاشة: كانت قوات الجيش الحكومية تطبق النار على مظاهره طلابية ما أدى إلى وقوع خسائر كبيرة بما فيها بعض القتلى أمام عيني الأديب لمرعتين. وقد أعت تلك الحادثة الهدية القلقة بين الحكومة الجديدة والصحافة الليبرالية. لقد كانت أفكار غارسيا ماركيز الراديكالية واضحة تماماً منذ أيامه الأولى في الأونيفرسال، أي بعد بضعة أسابيع على أحداث العنف في بوغوتا. لكن هذه التجربة الثالثة في العيش في بوغوتا، أو على مقربة منها، جعلته يرم نفسه لا بإيديولوجية سياسية معينة - وهي الاشتراكية - وحسب، بل بمنهج محدد، وهلى امتداد بضع سنوات على الأقل، في النظر إلى الواقع وتصويره وتنهج محدد في التعبير عنه وإيصاله من الناحية التقنية. وكانت نتيجة ذلك ظهور تحقيقاته السياسية، وتأليف روائي ليس للعقيد من يكتابه وفي ساعة فحس ومجموعة قصص جنزة الأم الكبيرة. لقد مصت عدة سنوات حتى الآن وهو يتطلع إلى الفرصة التي يصبح فيها مراسلاً، لكن صحيفتي الأونيفرسال والميرالدو عاشتا حقبة الاتصالات العالمية، ونظراً إلى مواردهما القليلة وإلى تطبيق نظام الرقابة، لم تشرا أي تقارير حاده إلا في ما ندر. كان هدفهما يتحدد بنشر شيء ما، أي شيء، يخالف الدعاية المألوفة لحرب المفاطين. أما مالكو صحيفة الأسبكتادور فكانوا من طيبة أصلب، ولديهم الآن تحت تصرفهم أديب شاب مفتون بأساء بلده على اختلاف مشاربهم، وما يفعلونه

وعا جرى لهم من أحداث: إنه رجل أحب القصص، رجل حول حياته احصاه إلى قصة كلما كان ذلك ميسراً، وما هو الآن ينهر الفرصة لتحويل حياة الآخرين إلى سرديات تأسر الخيال.

كانت الأساء في تلك الأيام في كولومبيا فضيحة. فقد كانت البلاد في دروة أحداث العنف، واسمر دبح الليبراليين في المناص لريعية وكانت تعذها ميليشيات عسكرية محمية تابعة للأقلية الحاكمة ستعرف عادة بالاسم تشولاييتاس أو ناخاروس. واشتبكت صفوف المقاتلين الليبراليين الأخيرة مع العدو في مختلف مناطق البلاد. وشاع الاعتصاب والتعذيب والتفكيك الوحشي بالحش، وكان روغاس بيتاً فد مرض المراقبة على الصحافة في السادس من آذار وشددتها بعد مقتل الطلاب في بوغريبا. واقترح رئيس الجمهورية السابق لويث بوماريكو اتفاقاً يعقد بين الآخرين لإدارة البلاد في الخامس والعشرين من آذار. وهي فكرة أثمرت نتائجها بعد ثلاثة أعوام بظهور الجهة الوطنية، لكنها لم تنق قبولاً إيجابياً آنذاك.

كان هنا كله انعكاساً حريئاً في بلد هامشي أيام الحرب الباردة في تلك الحقة. فقد كانت المكارنية في أوجها في لولايات المتحدة، بل وصل الأمر بآيزنهاور إلى حظر الحرب الشيوعي في آب 1954. لكن مجلس الشيوخ صوّب أخيراً بتوجيه التوبخ إلى مكارني في كانون الأول من ذلك العام. في غضون ذلك، كانت الكنيسة الشيوعية تعد اعدة لحلف وارسو اندي تم التوقيع عليه أخيراً في أيار سنة 1955. وفي بارانكيا، كان عارسيا ماركيز قد استمع بتعاضف إلى خطابات الشيوعي خورخه رودرون الطننه بفوق تعاطف معظم أصقائه وزملائه. وفي أثناء فترة وجوده الأخيرة في بارانكيا، وذلك بعد بضعة أشهر على وفاة سنالين في موسكو وبعد بضعة أسابيع على انقلاب روجلين بيتاً في كولومبيا، زار شخص عارسيا ماركيز وكان مظهره يشير إلى أنه بائع ساعات لكنه في حقيقته الأمر كان شيوعياً يمدد الأفراد بالانضمام إلى الحرب. وخاصة إذا كانوا من الوسط الصحفي لعد ما يقدمه إليهم من ساعات. لم يمض وقت طويل على وصول عارسيا ماركيز إلى بوغوت، حسب كان يعمل مد البداية برفقة زملاء تقديميين، حتى جاء بائع ساعات آخر لريبريه، ولم يمض وقت طويل حتى وجد عارسيا ماركيز نفسه يتصل ببيبيروتو فييرا

السكرتير العام للحزب الشيوعي الكولومبي الذي كان يعيش سرّاً على مقربة من مركز المدينة⁽¹⁶⁾. انصح عارسيا ماركيز أن الحرب كان يرافقه مدد أن عمل مع سييدا في صحيفة الناسيونال ورأى فيه مادة تبشر بالخير ولكن، وحسب رأيه هو، فعدم الاتصاف على أن أفضل استعادة يعممها الحزب منه إنما تتمش بالكتابة الصحفية الملتزمة، ولكن يبدو أنها لم تكن مرضية للحزب الذي ظل، بالرغم من ذلك، حتى هذا الموقف من نشاطات عارسيا ماركيز على امتداد سنوات يدعم موافقه.

اقترح سالفار على عارسيا ماركيز 'أواخر شهر غور، الذهاب إلى أنتيوكيا لمعرفة ما حدث جراء الانفجار الأرضي الذي وقع في الثاني عشر من غور، فوجد نفسه على متن طائرة إلى ميديلين حيث حدث لاهير في مطقة ميديا لوبا الواقعة شرقي المدينة قن أسوعين ومجتمعه خسائر كبيرة في الأرواح. حامت اشكوك حول الفساد الحكومي والساء الذي تعوره المئات. كانت مهمة عارسيا ماركيز تتحدّد بإعادة ساء احقية على الأرض. ويعترف المراسل الحسور في ما بعد أنه كان شديد التوتر بشأن السفر جواً حتى إن ألفارو موييس سافر وإياه لتهدئة أعضائه وأسرله في فندق بوبلارا القريب من السوق ولما بقي عارسيا ماركيز وحده، ارداد فقعه وشعر بالخوف جراء التحدي البدني والمسؤولية الأخلاقية وكاد أن يستقيل من العمل في الصحيفة في أول يوم أعضائه في ميديلين. لكنه بعد أن طمأن نفسه اكتشف أن لا أحد في مطقة ميديا لوبا، ولهذا السب لا يوجد ما يضيفه إلى تقارير الصحفيين الذين راروا المنطقة قبله بر من صويل. لم تكن لديه أي فكرة عما يسعى له أن يفعله. ثم همت عاصمة مطرية عميقة، أجدت من عدايه، وفكر في الخروب مجدداً إلى بوغوتا. غير أن اليأس من الفعل وبوفر فرصة له للتحدث إلى سائق سيارة أجرة حفزاه على المناظرة. فبدأ يفكر، يفكر فعلاً، في شأن الحدث الذي جاء تقصيه: ما الذي يمكن أن يكون قد حدث؟ إلى أين ينبغي له الذهاب؟ ما الذي يتعين عليه عمله؟ ورربداً رويداً، وعماسمة مترايدة، اكتشف الندة الكمة وراء العمل بصفة صحفي - محير والإبداع في اكتشاف الحقيقة، وإلى حدّ هيركه، والقدره على صياغة الواقع وحتى تعبيره لعشرات الآلاف من الناس. وأدرك أن

هكره أساس يسهرون لملافاة الموت الذي لا يتوقعونه، إنما هي حجر الراوي في موضوعه، فأسرع يستقل سارة أجرة لبقه إلى لاس إستانشس، وهي المنطقة التي سافر منها معظم الناس الذين لقوا مصرعهم في الكارثة. وعلى الفور اكتشف سشير إلى المقصير الحكومي على المدين القصر واسع إذ تنس أن الانهار كان يتحمر على مدى سترين سنة) كما مكشّف عن جانب غير متوقع وأكثر تأثيراً في تلك المأساة، جانب من شأن معظم القراء أن يفصلوا عدم معرفته: إن سبب الوفيات الكثيرة التي حدثت هو أن أساساً من مناطق أخرى من المدينة كانوا يحاولون مدّ يد العون من دون إرشاد أو مساعدة حكومية تسبوا في حدوث انهار أرضي آخر. والتقى عارسيا ماركيير عدد من الناجين والشهود كما التقى ممثلين عن السلطات من فيهم سياسيون ورجال أطفء ومساوسة شمليون، وأجرى مقابلات معهم^(١٧).

ثم بدأ يكتب، الأرجح كثيراً أن الكتابة كانت أشبه بكتابات هيمواي، ولكن عدم فرغ منها كانت ذات لمسات خاصة به حيث أوضح فيها أن الحياة مسرحية معقدة بالأحوال وبمعارف الصدر، وأن قدر الإنسان هو أن يعيش في عالم لا يعرف له سبباً ويتحكم به زمان؛

هرع طالب الاقتصاد خوان إغناسيو أغخل الواقف على الحافة إلى لأسهر نبقه فتاة في سن الرابعة عشرة وهي في العاشرة أما رفيقه كارلوس غابرييل أبريغون وفرناندو كايي فقد ركضا في الاتجاه المعاكس بوفي الأول بعد أن دثر نصف جسده سب الاحتتاني أما الثاني، وكان مصابا بالربو، فتوقف مقطّع الأنفاس وقال: "لا يمكنني الاستمرار في الركض" لكن لم يسمع أحد عه بعد ذلك أبداً. قال خوان إغناسيو "عندما ركضت إلى الأسفل مع الفتى والفتاة وصلت إلى حفرة هائلة، فرمينا عن القلعة بأنفسنا على الأرض" لكس الفتى لم يهضر ثانية أما الفتاة، التي لم يستطع أغخل التعرف إليها وسط الجثث، فقد نهضت للحظة واحدة لكنها انهارت مرة أخرى وهي تصرخ بانسة عندما شاهدت الأرض ترتفع من فوق الحفرة ومقط عليهم حل من الطين. حاول أغخل أن يركض ثانية إلا أن ساقه أصيبتا بشلل، فقد ارتفع الطين حتى صدره في ثانية واحدة، لكنه تمكن من تحريك يده اليمنى. مكث هكذا حتى توقف هدير الأصوات الشبيه بالرعد

وشعر بيد الفتاة تمسك به من ساليه تحت ذلك البحر الكثيف من الطين الذي يستعذر اختراقه. كانت الفتاة تمسك به أول الأمر بقوة ثم تشبث به، وأخيراً أرخت قبضتها من حول كاحله⁽¹⁸⁾.

من المؤكد أن العاوين لمرعيه للمقانة قد احتارها عرسيا ماركيز بعنه وهي: المأساة بذات قبل سين عاماً؛ مبدلين صحية تصامها؛ وهل نسب محم ذهب قديم في اكارثة؟⁽¹⁹⁾، لقد تعلم عارسيا ماركيز كيف يحول وجهة نظره العلمية إلى مجموعة من "الروايا" الصحافية. إن عاوي أفضل صديق لأصدقائه لم يولد إلا مؤحراً. أما الفصاص الكير عابريين عارسيا ماركيز فقد ظهر أحياناً في المشهد. تحدر الإشارة إلى أنه بالرغم من ابتهاجه بتوجيه اللوم إلى السلطات لدورها في الكارثة، كان فلماً من ذكر الحقيقة كلها مما فيها الإسهام الطوعي لعدد كبير من الناس جاؤوا لتقديم المساعدة، عن حسن نية، في تلك المأساة.

كانت المقالة التالية الرائده في أسبوعها الكناسي سلسلة عن إحدى مناطق لكولومبيه المسية وهي مديرية تشوكو الواقعة على المحيط الهادئ. ففي الثامن من كانون الأول سنة 1954 قررت الحكومة أن تلغي مديرية تشوكو المتأخره والتي تكسوها العبابات وتضم أجزاءها إلى مديريات أنتيوكيا وكالدياس وهامي. وخرجت تطاهرات صاحبة سبب ذلك. أرسل عارسيا ماركيز مع المصور غيرمو ساتشيث لكتابة تحقيق عن الصراع. كانت الرحلة بالغة السوء، بصائرة قديمة جداً، حتى إن عارسيا ماركيز يتذكر أن المطر كان ينسرب إلى داحنها وأن رباني الطائرة أنفسهم استنهما الملح. كانت مديرية تشوكو يسكنها عموماً كولومبيون من أصل أفريقي دكروا عارسيا ماركيز على الفور بأراكاتاكا ومناطقها الداخلية. وكان يرى أن تقطيع أوصال مديرية تشوكو ستم من سمات عقلية بوعونا الباردة والقاسية بالرغم من أن آخرين وجهوا اللوم إلى سكن أنتيوكيا اعطموحين، ولدى وصوله اكتشف أن التطاهرات التي ذهب للكتابة عنها قد تخرت، لهذا، طلب من أحد أصدقائه أن ينظم له مظاهرة أخرى! وهذا ما أدى إلى نجاح مهمته. بعد بضعة أيام، وازديد حجم الأباء الواردة عن المنطقة ودهاب مراسلين آخرين جواً لتغطية الأحداث، ألعت الحكومة قرارها بإعادة هيكلة المديريات الأربع⁽²⁰⁾.

في أواخر شهر تشرين الأول أعلن عن أن أرسيت همعواي نموذج عارب
ماركر الذي يتحدث به سمح جائزة نوبل للأدب، تماماً مثلما منح فوكر الجائزة
عندما كان عارسيا ماركير يعيش مرحلة إعجابه به. فكتب ملاحظة تحت رايه
بشواً فيوماً بكر فيها ما سبق أن كتبه عن ظاهرة جائزة نوبل، لكنه في هذه المرة
قبل من الأهمية المحتملة للجائزة مُنحت مرات عديدة لأدباء "لا يستحقونها"، ورأى أن
الجائزة منحها لهمعواي لا بد من أن تكون على وجه التأكيد واحدة من المساس
الأول إثارة في "حياة مقعمة للحظات الإنارة"²¹.

بشهاد عام 1955 نشر أشهر قصة من قصص عارسيا ماركير في المصحف.
وكانت مستمدة من مقابلة طويلة جداً على مدى أربع عشرة جلسة فترة كل
وحدها أربع ساعات، مع ملاح في البحرية الكولومبية يدعى لويس أليساندرو
بيلاسكو وهو الناجي الوحيد من بير طاقم مؤلف من ثمانية أشخاص سقطوا عن
طهر الدمرة كالدس عندما فعدت رمام السفرة أواخر شهر شباط - في أثناء
هبوب عاصفة على ما يقرص - وهي في طريق عودتها إلى مونا كارناخيا لإعاده
تعميرها وتجهيزها في مرفأ موبس في ولاية ألاناما، بيلاسكو بعد أن ظل على من
طوف عشرة أيام من دون طعام وقليل من الشراب. وبات بطلاً قومياً ومنحه رئيس
جمهورية وساما، فيما احتفت به الصحافة ومحنة السفارة الجديدة. هذا كنه حدث
حتى اللحظة التي قرر فيها عارسيا ماركير أن يجري مقاله معه. كانت المقابلات من
بات أفكار غير موكانو، ورأى عارسيا ماركير أن الاهتمام به بالقصة كلها، لكنه
أجراه في مقهى صغير في شارع جيميث²². كان بيلاسكو يتمتع بذاكرة
مدهشة وكان هو شخص رايًا ممتازاً، غير أن عارسيا ماركير كان أدناك قد تعمه
كيف يوجه أسئلة مهمه ومن ثم يزرر جوهر الأجوبة، أو يركز في أكثر اجواب
الإنسانية من القصة وبدأ بيلاسكو يؤكد الحجاب لبطولي فيها: المعركة ضد
الأموح ومشكلة السيرة على بطوف والمعركة ضد أسماك القرش والصراع الذي
حاص غماره إلى أن فاطعه عارسيا ماركير قائلاً: "ألا تدرك أن أربعة أيام مرت ولا
رست لم تفص حاجتك بعد؟"²³. كان عارسيا ماركير يعود إلى المكتب إثر كل
مقابله وفي الأصل يكتب الفصل المطلوب إلى أن يتقدم به السبل. وكان حوسبه

سالمغار يأخذ الفصول منه، من دون تصحيح في بعض الأحيان، ويرسدها إلى الطبعة. وقد ذكر غير مو كانوا لغارسيا ماركيز أنه يرغب في أن تكون القصة من خمسين فصلاً وبعد أن انتهت الفصول الأربعة عشر، أصدرت الاسبكتادور ملحفاً خاصاً في الثامن والعشرين من شهر نيسان أعادت فيه طبع القصة كاملة راعمة أنها أكبر قصة تنشر في الصحافة الكولومبية على الإطلاق!

كشف غارسي ماركيز على نحو غير مقصود من خلال أسننه المثيرة والشاملة وبعثه عن روايا جديدة أن السمية لم تكن ولم تواجه عاصفة عيفة، بل عرقت لأه كانت تعمل شحنة من مواد غير قانونية لم ترتب ترتيباً جيداً، وكانت إجراءات السلامة غير دقيقة تماماً. لقد وضع القصة صحيفة الاسبكتادور في مواجهة مباشرة مع الحكومة العسكرية، ولما لا ريب فيه أنها جعلت غارسيا ماركيز شخصاً غير مرغوب فيه، بل مشاعياً وعدواً لل نظام. ولا بد أن يداحنه الشك في شجاعة غارسي ماركيز والتزامه من أن يفكر في هذه المرحلة من حياته. كان غارسيا ماركيز على وجه التأكيد رجلاً بارزاً ومشهوراً، بالرغم من أنه ملل من شأن مخاطر الزمان على نحو مثير، إلا أنه يسهل تحيل مشاعره كلما قص راجعاً إلى البيت في وقت متأخر من الليل، ماشياً وسط مدينة متجهمه ومكتمرة نعوص على نحو مقلق في حصم توترت دكتاتوريه عسكرية. ومن العجب أنه "بعد بجملة" من دون أن يحس أنه أذى²⁴.

بعد مرور سنوات أعيد نشر القصة، وذلك بعد أن أصبح غارسيا ماركيز مشهوراً على نطاق عالمي، وكان عواغدا هذه المرة قصة الملاح الناجي من الغرق. التأثير لهذه القصة هو أن القصة أصبحت واحدة من أنجح مؤلفات غارسي ماركيز إذ بيع منها عشرة ملايين نسخة في لسنوات الخمس والعشرين التالية. إن غارسيا ماركيز لم يحد الحكومة الرجعية تحدياً مباشراً في العامين 1954 و 1955 فقد، لكنه نسي في تحقيقه، سواحد تلو الآخر، وجهة نظر تدفّر صماً وجهه اسطر الرسيمه. وهذا، كانت تشكل تحدياً للنظام احاكم أشد فعالية من أي من زملائه اليساريين المؤهين، لأنه كان يفقد دوماً بالتقصي الدؤوب والتأمل ونفس وقائع اللاد على وجه العموم، كان ذلك كشف مستداماً ودكياً لقوة من راوي القصة ولسطوة خياله المهمة جداً حتى في التعبير عن الحقائق المموسة

بعد هذه التصوص المثرمة والمحرّضه صمّاً، ظهرت أحياناً رواية عاصفة الأوراق في يوغونا أواخر شهر أيار بطبعة متواضعة يملكها اناشر ليسمان باوم عن دار نشر سيبا بسعر خمسة بيروسات للسحة الواحدة وكان غلاف الرواية من تصميم ابرسام سيسيليا بولاس صديق عارسا ماركيز، ويمثل صمّاً صغيراً يجلس على كرسي وقد تدلت ساقاه في انتظار شيء ما. إنه الفنّي الصغير غارسيا ماركيز عندما كان يحسم قبل وفاة جده وانتقل الآن إلى أول رواياته المنشورة.

لقد رعم صاحب المصبعة أنه طبع أربعة آلاف نسخة لم يبع منها إلا نسخة فليلة⁽²⁵⁾. غير أن شرها كان يمثل بقطة مصدّه عربية إزاء مكاتة الحائلة وهو يمارس عمله الصحافي المثير المسمير لأهّا لم تكن مسمية إلى عهد وحسب، بل إلى أسلوب سردي تحيى عه غارسيا ماركيز: أسلوب جامد، أوهه الرسم، قدري وخرقي.

لكه كتاب مطبوع على كل حان. بالرعم من أنه لم يه بأي شكل من الأشكال أو يحفف من علواء هواجسه، إلا أنه من جهة أخرى استند مباشرة إلى طمولنه الشخصيّة، الطفولة التي أهّمت حنّة رواية البيت بعد عودده المدهشه إلى أراكناكا مع لويسا سانياعا التي مرّ عليها خمسة أعوام الآن. كان عنوان الرواية مرتحلاً في العام 1951 كي يتمكن من إرسال الرواية إلى بيونس آيرس، وفي الأشهر القليلة التي سفت شرها كتب عارسيا ماركيز ما يشبه المقدمة أو التقصية الموسيقية مؤرحة بالتاريخ 1909 لما بضفي على عنوان قنراً أكبر من المعقولة، ومنح الرواية مسطوراً تاريخياً وميثولوجياً في الوقت نفسه، موصحاً معزها الاجتماعي ومصيفاً إحساساً أشد وضوحاً بالانحطاط والصباغ والخبر الحارث إلى الماضي فيجري هذا كله بصوت سردي يشبه صوت العبيد في الرواية، وهو صوت يتأسى على وصول نفايات الأوراق والأعمال المهاجرين بدلاً من أن يتأسى على ظهور الرأسمالية والإمبريالية - ثم يغبل عني مصص ما حدث في البلده على أنه جزء من الحانة الطسعه للأشياء وتقلبات الأيام وأهوال الدهر المتأصلة في حياة نفسها. نحن أمامنا الآن رجس في منتصف العقد الثاني من عمره يكتب بصوت عجور في سن السعين، لكنه ينظر إله بقدر من المعارفة. كان لكتاب مهدي إلى حيرمان فارعاس وحظي

بإعجاب المدد الكولومبيين بالرغم من أن العديد المراجعات التي كتبت عنه كانت بأفلام أصدقاء عارسيا ماركيز والمغربين إليه.

كسان مهك، ستماً من بوغوتا، أسسوه جهود المراكمة في إعداد البحوث لتفاريه و مسؤوليه الإيلاء اتصالات الآمال المترايدة المعفودة عيه و لمخاوف التي لها ب بررها من أن الحكومة قد تعتمد إلى اتخاذ إجراءات نظامية صده بسبب مواقفه العدائية الواضحة. وقد، عندما واته الفرصة لسكر - إلى أوروبا - انتهها بسرعة بالرغم من تأكيدات كثيرة لاحقة لخلاف ذلك وكما هو مألوف، فإن أساب رحلته غير واضحة، ويقال إنه احتاج إلى الخروج من البلاد ليأى بنفسه عن تهديدات الحكومة، ويقال أيضاً إن هذا التفسير بعداً واحداً من الأمثلة الكثيرة عن ميل عارسيا ماركيز المرعوب إلى تهوين الأمور. - لأنه ليس من السهل عص اطّار عن التفسير السياسي.

مقد عام ب حالات متعددة نحو الساحل سحتجب عن الأنظار بعد أن نشر عدد من أشد قصصه التحريضية، كما تلقى عدد من صحفيي الاسكتدور تهديدات أو تعرضوا للضرب على أيدي مهاجرين مجهولين. ربما تكون ارحنة ايضاً نعيأ ذاتياً فصر الأمد تحت ستر مهمه صحافة أو سفره إلى أوروبا طاهرها الهي الثاني لدو ح سياسية. أو رمى كان الفصد مه على حدّ تعبير الصحفية: مهمة قصيرة حارح البلاد تبدأ بقاء "القوى الأربع العصى" وهي الولايات المتحدة لأميركة، واتحاد الجمهوريات لسوبانية الاشتراكية، والمملكة المتحدة، وفرنسا في حيف.

عادر سفته في بوغوتا متحلياً عن معظم مفتباته لشخصية. وكان قد وقر ملعاً لا بأس به من الماء، بالرغم من ظروف الأسرة التي لا تبال تقاسي شطف العيش في كارناخيا، فأخذه معه⁽²⁶⁾. من الواضح أنه توقع أن يكون عيابه لأربعة أيام فقط، لكنه كان يصكر في أنه قد يصطر إلى الماء منه أطول⁽²⁷⁾ من جهة أخرى، لا يمكن أن يكون قد توقع أن يقاء بعداً سطول ستين ونصف السنة. ويفى التفسير الأرحح والأرق في هذه القصة هو أنه لم يستطع الاعتراف لأفراد أسرته اعقراء أو لروحة المستقل أنه قرر التحلي عنهم طوعاً لمدة طويلة من الزمان بعد أن أمضى ثمانية عشر شهراً بعيداً عنهم في بوغوتا. لقد كان حسه بالمسؤولية عظيماً، غير أن جمال أوروبا والمجهول كانا أعظم.

في المساء الأخير الذي أمضاه في يوغونا من اليوم الثالث عشر من تموز، أقيمت حفلة توديع صاحبة في مرسن عيرومو كابو جعلت عارميا ماركيز يتأخر عن اللحاق بطائرته إلى بارانكيا، لكنه تمكن من السهر إليها بطائرة أخرى عند الظهيرة. هيل إن الأسرة وافقت على مصفر أن تتدبر أمور حياتها من دون مساعدته لبعض الوقت، لكنها لم تكن لديها أي فكرة عن المدة التي سيمتد فيها عيابه حقاً. لا بد من أنه كان مهكاً ومرتكباً إلى أقصى حد، لكن هناك ميرثيديس التي بلغت الآن سن الثانية والعشرين. ومع هذا، فما الذي يقوله لها؟ - والتي يتعين عليه أن يتقني لها، وهناك حفلات أخرى مع أصدقائه ورملائه السابقين في ذلك الحين. لقد ظلت ميرثيديس طوال أكثر من عقد من الزمان حطته في دمه، لكن يتعين عليه الآن أن يقرر إن كانت ستعزو حفاً خطيبته، أي إن كان سيصبح حبيبها. لقد مرت عشرة أعوام منذ أن طلب منها أن تزوج به عندما كان في سوكري ولم يسأها أحد إن كان هناك عشاق آخرون في حياتها - أحبرتي صراحة أنها لم يكن لديها أي عتيق استة - أو ما السب الذي جعل عارميا ماركيز يشعر أنه يطيق أن يترك إحلاصها أو قدرها بالأحرى للظروف لعله عمل على تسوية هذه الإجماعات الخاصة بمحاربه من الرقص وانقاره إلى ما يملكه مادياً كي يقدمه إليها، بالتفكير في أن اليوم سيأتي، كما حدث لفلورنسيو أرثيا في رواية الحب في زمن الكوليرا عندما يجتمعان معاً وتصبح منكأ له بعض النظر عن المدة التي سيمسرقها في الحصول عليها وبغض النظر عن أي شيء سمعه في غضون ذلك. ثم تفسيرات متناوبة لهذا الرحيل، يكتسبها العنوض جميعاً.

قد لا يشير تقدمه لخطوة ميرثيديس، إن كان الأمر هكذا، إلى خوف رهيب من صياح المرأة التي أحبها بالرغم من أنه يدرس لغة طويلة طويلة جداً - وحسب، بل إلى خوف عر واعي أيضاً من ضياع كولومسا وبالتالي وسية صمان ارتباطه مستقبلاً بالبلاد. فقد كانت ميرثيديس سحدر من الإقليم الذي جاء منه، وحنوها هي جدوره، وبذلك يأمن وجود شخص ما إلى حوارهم يفهم أصوله طوال حياته. باختصار، لم تكن صراً من المثال الأفلاطوني المؤسس على عرر نموذج دابتي وحسب - وم يحسد أنها رشيقة الغوام إلى حد بعيد بل وجد أنها تمثل خياراً

استراتيجياً واقعياً تماماً واتحاداً مثالياً ولكنه، بالرغم من كونه لا يشبه ذاتي، ويستروح "السيدة التي شعلت دمه" والتي يتعذر الوصول إليها، المرأة التي اختارها وهي في عمر التاسعة⁽²⁸⁾. إذاً يبدو مؤكداً أنه طلب يدها الآن لأنه كان قد عزم على السفر بعيداً عنها هذه طويلة. لعله شعر أنه قادر بشكل أفضل على مواجهة رفضها الآن بعد أن اضحى صحافياً مشهوراً يسافر إلى أوروبا في مهمة مثيرة، وى ستكون مستعدة أكثر للمواجهة للسب نفسه. بيد أن الحقيقة هي أن ميرتيديس قد تطهر في مذكراته، كما أن تفاصيل هذه العلاقة الغريبة لم علأ فراعها أي من العريقين. فعمل أن يرحل عن برايك متوجهاً إلى بوغوتا عام 1954 نادراً ما تحدث الاثنان بأي طريقة واقعية، لكنه شعر أن صرباً من الفاهم يجمع بينهما⁽²⁹⁾.

إن المرأة التي سيعيها غارسيا ماركيز أهيه خاصة في علاقته الرومانسية كم أوصحها في مذكراته الصادرة عام 2002، ليست حبيبة حياته ميرتيديس بل هي امرأة أخرى تدعى مارتيا موسيكا، حه الأول، التي كانت متزوجة واستمر في علاقته بمخدمة العواطف معها في ناراكيا عندما كان مراغماً في الخامسة عشرة من عمره، إلى أن وصعت هي حداً لثلك العلاقة. ويكثر غارسيا ماركيز من الإشارة إليها في الفصل الخاص بـ"بوغوتا"⁽³⁰⁾. هل كانت حقاً موجودة؟ رى لأنه بسمع في يوم من الأيام في أواخر العام 1954 "صوتها الأناذ" عبر الهاتف ويقابله في حانة فندق كوتشيتال للمرة الأولى منذ اني عشر عاماً، وتظهر على عيها أمارات "التقدم في السن التي لا نستحقها"، وتسأله إن كان قد اشتاق إليها. "عندئذ فقط أحرقتها بالحقيقة وهي أنني لم أسها قط لكن وداعها كان فاساً جداً غير من وجودي". تصرف تصرفاً غائباً لكنه است، وامتعص منها. كانت قد أنحست توأمين لكنها أكدت له أنهما ليسا من صله. وأخبرته أنها كانت تريد أن تنظم على أحواله ولها سألها: 'وكيف حالي؟'. فصحكت وقالت: "هذا مالى تعرفه أبداً". ثم ينهي الحديث بالإشارة - على نحو مستفز - إلى أنه كان يشتاق لرؤية مارتيا حالما اتصلت به، إلا أنه كان جزعاً أيضاً من احتمال أن يمسي بلفة عمره معها، "وهو الخزع الزهيب منه الذي شعر به مرات عديدة بعد ذلك اليوم كلما رن جرس هاتف".

هذا المصطلح الاعترافي موارب. وما يثير الاهتمام التساؤل عن المدى الذي أُرِدَ عارسيا ماركير كشفه والسبب وراء ذلك: أهو اعتراف شخصي عن نفسه وعن المرأة؟ أم هو تبرير لموقف غير معلن نحوها؟ يبدو عرياً ظهور مراتب مرة ثانية بلا مسوّج، وذلك قبل أن يلزم عارسيا ماركير بعسه أخيراً ميرثيديس. أترى ذلك مؤكداً على نحو غامض في ثقافة يستطيع فيها الرجال أن يقوا بلا معاشرة جنسية مع النساء اللواتي عزموا على الزواج هم في حين يعاشرون من حين إلى آخر بات الهوى والخدمت أو حتى روجات الآخرين، مما جعله يفصل مشاعره بين الدول جوان عبر الرسمي المعرض "لغرام محبوس" والزواج الرسمي الذي يحيا حياة زوجية مستقرة "مظنة" إلى حد ما - مع امرأة تظل طوال عمرها زوجة عذراء ومخلصة يعتمد عليها وتكون هدف "الحب المحمّل"⁽³¹⁾. لو كانت قصة مارتيا فوسيك حقيقية، أو مفتركة، وكان لامرأة أخرى هذا الأثر المظهر فيه في هذا الوقت أو غيره، فسيتوضح السبب الذي يجمعه دائماً منشعلاً في قصصه ومقالاته بمصل الحب عن الجنس ولسبب الذي جعله متشتت على مدى ستين طويلة بفكرة رواجه الذي رُئيه بنفسه بامرأه أصغر سناً منه بكثير، والسبب الذي يجعله لا يقيم وزناً للتعبير عن أي مشاعر وراء ميرثيديس في مذكراته (يمكن، بل لا بد من أن يسه السليم بوجود هذه المشاعر إلى الأبد)، وربما كذلك السبب الذي يجعل ميرثيديس تؤكد لي عندما سألتها عن تلك الفترة في حياتها أمام صديقها الطيبة مانسي يينيس أن "عابو شخص غريب جداً، غريب جداً"⁽³²⁾، وكان توكيدها يطوي على مغرى مروع وإن كان لا يشوبه أي أثر للمراة، علماً أن عارسيا ماركير سبق أن قال لي: "لا نقل بي إها نجبي". كان واضحاً أن من الحكمة عدم المطالبة بأي تفسير.

هذه اللغة مارسها شخصان قويان جداً، خصوصيان جداً ومعممان بالمفارقة. بالرغم من وجود تفسيرات أخرى على مر السنين تكشف عن اتفاقات عقدت قبل رحيله⁽³³⁾، إلا أن عارسيا ماركير يؤكد لنا في مذكراته أنه لم يشاهد حينه قبل سفره إلى أوروبا؛ إلا إذا كان صحيحاً أنه شاهدها في الشارع من خلال نافذة سيارة أجرة ولم يتوقف عندها. وهكذا، فهي ظل عدم وجود لقاء مع ميرثيديس، لا بد - حتماً - من إقامة حفلة ودعية صاحبة في الكهف لتضاف إلى تلك الحفرة

الرائدة من الشراب لدي أتى به من بوغوتا، وفي اليوم التالي لدي تمكّي فيه أفراد الجماعة من الهومس عن أسرهم، ودّعوه في المطار. ولعل أثر إسهامه في الشراب الذي يستحقه كان أسوأ تمهد لمرحلة التي استغرقت سناً وثلاثين ساعة فوق المحيط الأطلسي باتجاه العام القديم ومع هذا، فقد كان مستعداً أكثر لتقبل التجربة. فهو في التاسعة والعشرين، وصحافي ناجح، وأديب محترم نشر روايته الأولى. لقد كانت لحظة ماسية مثل تلك الرحلة. لقد كانت أمة احصارة الأوروبية في انتظاره، لكن أولئك الذين عرفوه معرفه أوثق، بمكهم أن يتأكدوا من أنه سيطر إن تلك الأمة من مظلوره الذي اكتسبه عشفة ومن نافذة القول إنه لم يذكر شيئاً في مذكراته عن بوليسيس أو عن بيلرسي.

* * *

القسم الثاني

خارج الوطن:

أوروبا وأميركا اللاتينية

1967-1955

اكتشاف أوروبا: روما

1955

كانت الطائرة الكومسية، وهي إحدى طائرات لوكهيد التي كانت من بات أفكار المليونير عرب الأطوار هوارد هيو، تقوم برحلة أسبوعية إلى أوروبا بعد أن تنوقف بصنع مراب في الكاريبي بما في ذلك بيرمودا والآرور قبل انطلاقها إلى لشبونة ومدريد فباريس. ويلاحظ غارسيا ماركيز في أول رسالة إليه من لعالم أقدم أن الدهشة ألب به وهو يرى أن مثل تلك الآلة الطائرة المدهشة يمكن أن يكون قد صنعها السيد هيو 'الذي يصمم أفلاماً عظيمة'⁽¹⁾. لكنه بالرغم من الشعور السدي لازمه إثر الإسراف في الشرب كان على درجة صافية من الذه سمحت له بكتابة رسالة قصيرة إلى ميرتبديس أرسلها عبر البريد من خلع مونتسور. كانت محاولة بائية لصياغة علاقتهما صياغة رسمية. يقول غارسيا ماركيز في مذكراته إن عاقبة من إرسالها هي الدم لأنه لم يحبرها بسفره، لكنه ربما كان يفتفر إلى الشجاعة، فلم يظب منها أن تكتب إليه، الأمر الذي يصوي على أشياء كثيرة. عندما وصلت الطائرة إلى باريس أحياناً، هطت مع تحذير من احتمال وجود مشكلات في عجلات المحرود، وأن عى المسافرين أن يستعدوا لما هو أسوأ. إلا أن الطائرة هبطت بسلام ووصل غارسيا ماركيز العالم القديم⁽²⁾. وكان وصوله إليها بعد مرور عشرة أعوام عمماً عى انتهاء الحرب العالمية الثانية في أوروبا. لم يكن أمامه وقت لمشاهدة معام المدينة، وفي صباح اليوم الباكر استقل الفطار إلى جنيف فوصلها عصرًا، وكان قد مضى يومان على رحيله عن بارانكيا الشيء الوحيد اندي كان يزعمه أن يخبر انقارئ به يحس توقعه القصير في باريس، إذ إن الفرنسيين

كانوا يهتمون بالسياحة الفرنسية أكثر من اهتمامهم بما يجري في جنيف. وعند وصول إلى مدينة جنيف في السبع عشر من تموز، اكتشف أن السويسريين مهتمون بالسياحة الفرنسية أكثر من اهتمامهم بما كان يحدث في جنيف. وأشار إلى أن الوحيد الذي كان يهتمون بما يجري في جنيف هم الصحفيون الذين أرسلوا إليها لتعصيه الحدث. ولمح إلى أن الاستثناء من هذه القاعدة هو الصحافي الكولومبي غابريل غارسيا ماركيز⁽³⁾.

دلف إلى أول فندق صادقه في طريقه وعيّر ثيابه، ثم انطلق لإرسال أول تقرير من خلال أول أميركان كيبل، وبعد ذلك اقتنع بإرسال تقاريره عبر البريد الجوي. كانت موجة حر شديدة تصرب في ذلك الصيف سويسرا الثلجية، وخاب طمحه لذلك ولسبب آخر، كما نذكر بعد مرور سنوات: "كان العشب الذي أشاهده من خلال نافذة القطار يشبه تماماً العشب الذي كنت أشاهده من خلال نافذة القطار في أراكاتاكا"⁽⁴⁾. لم يكن يتكلم بلغات أجنبية، وكان يعترف إلى تجربة تحسس طريقه من حوله في اللنداب الأجنبية. أسرع يفتش عن مبنى الأمم المتحدة بمساعدة وقرها له رايمي أربنية ألماني يتكلم الإسبانية. ثم راوده إحساس عظيم بالارتياح عند اتقى أفراد هيلو إعلام أميركا اللاتينية عن فيهم الكاتشاكو المتشامخ حيرمان آرثيغاسي مثلاً عن صحيفة التيسو. وكان هؤلاء قد حصروا جميعاً للكتابة عن المفاوضات بين ممثلي القوى العظمى الأربع وهم نيكولاي بولغانين ممثل الاتحاد السوفيتي، وأنطوني إيدن ممثل المسكة المتحدة، ودوايت دي. أيزنهاور ممثل الولايات المتحدة، وإدغار هوري ممثل فرنسا. وكان إجمالي عدد الصحافيين قد بلغ ألفي صحافي جؤوا من مختلف أنحاء العالم.

كانت جدول الأربع الكبرى هي أكثر الدول المشتركة في الحرب الباردة. وكانت كل دولة تتفاوض حول السيطرة على جزء معين من مدينة برلين المهرومة. كما كانت هذه الدول تتمتع بحق النقض في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة وتملك أسلحة نووية أو توشئت على امتلاكها. كان التفاهم بين هذه الدول أمر بالغ الأهمية إذا ما أريد للعالم أن يسبح من لحفة الرهبة غير المألوفة وهو يحيا في ظل كارثة نووية عالمية بدأت بتدمير هيروشيما ونغازاكي في آب 1945. وهكذا بدأت

الدول الأربع تلتقي بعض الوقت كلاً على حدة تحت عطاء مطيمات مثل الأمم المتحدة وحلف الناتو أو حلف وارسو الذي سرعان ما سبّغ إلى الوجود. وفي وقت لاحق، وفي أعقاب أزمة السويس عام 1956، ستحسر كل من فرنسا والمملكة المتحدة القدر الكبير من نفوذها فتركر اللغة على العلاقة بين الولايات المتحدة الأميركية واتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية. لكن العلاقات التي كانت تدور في تلك المرحلة بين ممثلي الدول الأربع الكبرى عُدَّت أول نقطة صوء في حقبة ما بعد حرب العالمية الثانية مع توقعات مستمرة بإمكانية "دوبان الحليد عن العلاقات بين الشرق والغرب" - وطلبت لها التقارير الصحافية والتلفازية اعربية وزمرت.

لا بد من أن أول تقرير أرسله عارسيا ماركير قد أثار حيرة أمن رؤسائه الذين مؤثوا رحبته إلى ما وراء المحيط الأطلسي وأربك قراء الصحيفة. هالتقرير الذي مشر بعوان حيف غير مالية بالمؤتمر ليس هو بالتقرير الحداب الذي يؤدي إلى بيع الصحيفة. وكانت التقارير الأخرى موارية للتقرير الأول في كونها تناقص البحضات الحاسمة في المؤتمر بل تناقص أيضاً أعمال عارسيا ماركير نفسه ومنها تقرير ممثلو الدول الأربع الكبرى بالأكوان الرامية الحلابة، وربوي اللطيف أبرهاور، والأصدقاء الأربعة السعيدون، وبرج بابل الحقيقي عني عن القول إن مؤتمرات ممثلي الدول لأربع الكبرى - إذ كان المؤتمر السابق قد عقد في كانون الثاني الماضي في برلين - شعل اهتمامات العام لأن العالم كان حقاً في حلة من فلع الحقيقي بسب احمرمة اللووية. إلا أن عارسيا ماركير الذي فهم أكثر من معظم الناس حقيقة ما كان يحدث نظراً إلى ثقافته السياسية إيد الأشهر الثمانية عشر المصزمة عندما كان صحافياً في بوغوتا، احتزل المؤتمر إن حدث هو بيودي يكتب عنه كاتب عمود اجتماعي. بعد مضي سواط طويلة بره كثير السمر ينظر إلى الأحداث منظار سياسي - ربما كان أمدك بطمع إلى ذلك الدور - إلا أنه لم يحدد بالصحيح ولا بالأوهام الساذجة التي تكشف الدور التبليبي الذي تؤديه الصحافة العالمية في تقاريرها عن القضايا السياسية. ومع هذا، فقد كانت تعاريره ممتعة عن أبرهاور وبيد ووري ناهك عن روحهم - اللواتي كن يلعبن صورهم مثل بحمات

السيما بمساعدة الصحافة المعادية - لكن هذا السط من الصحافة م يكن هو المفضل عند غارسيا مار كير.

ولما وعى غارسيا ماركيز صعوبات مهمته المادية والثقافية انطلق يبحث عن موقع قدمه الصحافي. وهكذا نطل معظم مقالاته سطحية وفكاهية يارذته المخضة كانه رفض أن يأخذها على محمل الجد ما دام لا يستطيع إعطية الأخبار نعطية حادة. وسرعان ما أدرك أنه لن يتمكن خلال إقامته في أوروبا من مواصلة البحث المباشر الذي جعله مشهوراً في كولومبيا، وإبه بالتالي لن يحمق أي سبق صحافي متميز. إلا أنه سيتعلم رويداً رويداً كيفية الاستمادة من ظروفه إلى أقصى حد، وكيف يجعل مادته تبدو أصيلة، وكيف يبحث عن "الحباب الآخر من الأخبار"⁽⁵⁾، وإن حاداً ما كيف يصوع موضوعاته ليسر بما يعجاب مواطني بلده. وسرعان ما أخذ يعي على نحو متزايد الهج الذي تُعد وتُلق في الأخبار في الدول "المقدمة". وهكذا لجأ إلى طبعه الصحافي: إذا كانت مقالات حقنة بوعوتا قد أظهرت قدرته على التخيل المستند إلى معلومات وإضافة لس ما هو مفقود فيها من معومات وحسب، من اللمسة الأدبية أيضاً لإبرار بكتتها لتكون جزءاً من المشروع المهني فل زمن طويل من ظهور الصحافة الحديثة في الستينيات من القرن العشرين، فإن هذه المعرفة المهنية التي يحتاج إليها الآن أكثر من أي وقت مضى ستقده مراراً وتكراراً. وهذا هو السب الذي كانت فيه بصوصه منذ البداية تدور حول شخصه، صمناً وصراحة، مثما كانت تدور حول أحداث بهدف إلى الكتابة عنها كما أفصح منذ البداية عن أن الحبر لا يصصه الأعيان والمشاهير بمفردهم، بل يصصه صحافيون يلاحقوهم في كل مكان ويحولوهم إلى قصص⁽⁶⁾.

كان غارسيا ماركيز في نهاية الأمر مرعماً أكثر مما كان يروج له، كما أنه كان أكثر توتراً وأكثر رهبة. ربما كان من شأنه أن يغدو صحافياً في بوعوتا، إلا أن تلك الصورة كانت تحمي تحتها شخصية لا تزال تتسم بالحجل والوعى الذاتي. وبالرغم من نحمله المشاق كأبي مواطن ساحلي، فإن تلك الأسابيع الخمسة التي أمضاها في أوروبا أثرت فيه تأثيراً عميقاً، كما تشير إلى ذلك إشاراته المتكررة إلى التجربة في مقالات كتبها بعد مرور ربع قرن في صحيفة الاسكتادور. ومن الصعب

أن الشيء الوحيد الذي كان يعتق إليه غارسيا ماركيز افتقاراً واضحاً لدى وصوله إلى أوروبا هو الوعي الأميركي اللاتيني. لقد كان راصياً أكثر مما ينبغي شفافته الساحلية؛ أكثر من رصاه بثقافته انكولورية. إلا أنه لم يحوّل بعد هذا الوعي التقاني إلى شعور قومي بأميركا اللاتينية. إن أكثر شيء سيكتشفه في جنيف وروما وباريس ليس "أوروبا" بل "أميركا اللاتينية"⁽⁷⁾. إلا أن هذا لاكتشاف طل في أعماقه اكتشافاً مستندباً ووقفياً، ونعّس عليه الرجوع إلى أميركا اللاتينية نفسها ليتبين حقيقة ما يوصل إليه في أوروبا.

ومن عجمه، وفرحته أيضاً، أنه تلقى رسالة جوابية من ميرتيديس قبل مغادرته جنيف. مما لا ريب فيه أن تلك الرسالة عبّرت من يحمل تفكيره، وإن كان هذا التعبير على قدر كبير من المرافقة والحصة والارتياح لأنها ربما جعلته يوصد اعزم أكثر من ذي قبل على الاستعادة من بقرته الأوروبية ومن حريته المؤقتة الآن. لقد مسحته هذه الرابطة الثقة للمضي إلى مكان أبعد ولرأس أطول.

بعد الفترة المثيرة التي أمضاها غارسيا ماركيز في جنيف، في أثناء وجود سيرك ممثلي الدول الأربع الكبرى، سافر إلى إيطاليا إذ كان مقرراً له أن يكتب التقرير عن المعرض السادس عشر للفن السينمائي في لندفية الذي اشتهر باسم مهرجان السنفية السينمائي، وذلك في مطبع شهر أيلول. ومما لا شك فيه أن فكرة الذهاب إلى المهرجان كانت من بات أفكاره وليست من بنات أفكار رؤسائه في صحيفته الاسكتندور. ويروي غارسيا ماركيز في ما بعد لأصدقائه أنه أسرع بالسفر إلى إيطاليا لأن صحيفته أبرقت إليه بتعليمات تطلب منه التوجه إلى روما لاحتمال وفاة البابا بالغبوق⁽⁸⁾. على كل حال، كانت إيطاليا تمثل له دائماً عايه الأولى، كما أن أصدقاءه في النادي السينمائي في بوغونا أعضوه لائحة بعدد من الأهداف والعيات. لكنه كان مشوقاً يسفر إلى روما كي يزور بالدرجة الأولى المدينة اسيمائية المشهورة حيث كتب فيها بطله الكبير وكتب النصوص السينمائية سيرار ناباتيي معظم بصوصه. أما طموحه السري الثاني فكان يتمثل بالسفر إلى أوروبا الشرقية إذ كان يرغب في أن يكون قادراً على عقد المقابلة بين حجابي السار الحديدي، الشرق والعرب، بين عالمين متوازيين وراء ضجيج ممثلي الدول الأربع الكبرى. كان

يعرف ما كان يدور في خلده نصرياً عن امراضه والاشترافيه، لكنه كان يريد الآث أن يشاهد ذلك بنفسه على أرض الواقع.

وصل العاصمة الإيطالية في الحادي والثلاثين من ثور وكان الطقس لاهماً منه في حصف. فقاده بواب من المحطة إلى فندق قريب يتذكره بعد سنوات بالقول: "كان مبيعاً قديماً جداً أعيد بناؤه عواد بناء محتففة وكان ثمة فندق معابر في كل طابق. سوافده قرية من آثار الكولوسيوم حتى إن في وسع المرء مشاهدة آلاف الفصط وقد غالبها للعاس على الشراف من شدة الحر. لكن يمكن أيضاً شم رائحة البول لقوية وانتة المسخنة من هناك"⁹. أما في ما يخص المدة الأبدية نفسها، فإن المراسل الكولومبي الخاص لم ير من سوى تقريرين في ذلك الوقت، أحدهما عن إجارة الساما بيوس الثاني عشر في كاستيلماندولو حيث حصر معاملات رسمية. وكان التقريران مكتوبين بـ يكفي من الاحترام لتطبيب خاطر قرائه من الكاثوليك وبما يكفي من التلميح الساحر لبعث السرور في نفوس قراء الصحيفة الأقل التراماً بالدين والدين يمشون في هاية المصاف يسار الوسط المبرالي. وقد أشار عارسي ماركر إشارة شبه حمه إلى أن البابا لا يسعى له أن يحاول الاصمام إلى عام مشاهير هوليوود، وهو العالم الذي يتحدث إليه الآن لسياسيون، بترويده وكالات الأخبار معلومات عن طوله ومقدس حداته: إن هذا الرجل الخليل - كما يراد للقراء أن ينظروا إليه - ليس سوى إنسان في هاية الأمر!

أدرك عارسي ماركر وهو يحفظ لسمير إلى مناطق في أوروبا الشرقية، حيث لا يمكن له أن يبعث منها تقاريره، أن عليه أن يكتب شيئاً مهماً كي يحصل على إجازته مقدماً. فهو لم يكتب أي شيء عن الوضع السياسي في إيطاليا التي كانت تنفص من مرحله فاشيه ما هن الحرب إلى مرحلة الديمقراطية المسيحية في حقبة د بعد الحرب، ومن مجتمع يعصب عليه الطامع البدوي إلى مجتمع يعصب عليه اطامع الحصري. غير أن موضوع غارسي ماركر الكبير الأول كان عبارة عن سلسه مقالات عن فضيحة ويلما مونتيسي التي اهتمت في الكتانة عنها حوال شهر اب وأنماها باسم رمري هو فضيحة اللاد. كانت مونتيسي انه جار من مدينة روما في سس الحادية والعشرين، وقد جرى التعتيم على اعتقالها قبل عشرين لأسباب لا تزال

غير واضح وقت الكتابة، لكن الواضح أنها ارتطمت بانحباط الطمعة العليا وفقدان جبهة الشرطة والاستغلال السياسي (يُعتقد أن القصة ألهمت هدرنكو فسبي في فيلمه الأول لا دولتشى فيتا في العام 1959) رار عارسيا ماركير الحى واسرل السدي وحدثت منه جنتها، وحاض حدث يمكن لسرلاء الحى أن يعيدوه ببعض المعلومات أما اسقية فقد لحا هياها إلى مصادر أخرى بكفاءة عالية وبدأ بحثه حيثما كان ذلك ممكناً وكتب واحداً من أفضل تحقيقاته الصحافية⁽¹⁰⁾. وأوصحت صحيفة الاسبكتادور عن هذه السلسله من المقالات مشيرة إلى "أن عارسيا ماركير كشف بعد مرور شهر من زيارته المناق لي حدثت فيها الجريمة أدق التفاصيل عن مقتل ويلما مونتيسي والمحاكمة التي أعقبتها"⁽¹¹⁾.

أذكر عارسيا ماركير أن هناك شيئاً آخر غير قضية التفاصيل وأسرار التحري ويمثل بالزمان والمكان والقصة التي بشرت بالمسئول: وهو ما أطلق عليه أحد القعد في ميدان الثقافة في ما بعد "نقطة التقاطع بين السيمما وتصوير الصحافيين المتطمين وصحف التابلويد الشعبي والأثرية والسياسية"⁽¹²⁾. كان مسعاها يتمثل باكتشاف أي صلة ضرورية بين الأسلوب الواقعي الحديد في السماسا وتقدم الجماليات الاشتراكية، وهو ما كان يعتقد به الأنصار الإيطاليون. لقد لمح غارسا ماركير قبل زمن طويل من ظهور التحليلات المؤثرة التي طرحها الناقد السينمائي أندريه باران، إلى أن الأفلام الإنصالية في تلك الحقبة كانت صرناً من "إعادة صياغة تحقيق" مع "تمسك طبيعي بالواقعة"، مما جعل السيمما الوطنية الإنصالية 'مخطأً من سرعة إنسانية واديكالية'⁽¹³⁾. كما لمح في تقريره لسينمائية في بوعوتا إلى مثل هذا الأمر. ولعله فكّر أيضاً من خلال رفع الغشاوة التي فرضتها هوليوود في أن السيمم والصحافة الإنصالية في حقبة ما بعد الحرب تطرحان مقترناً جديداً يمتاز بقوة أكبر للمشاهير ستوفر هذه المعلومة حماية لا تقدر بثمن لعارسيا ماركير عندما تطبق شهرته الآفاق - لكن مما يدر بالشؤم هو أن أولئك الذين تم تصيهم الشهرة في النصف الثاني من القرن العشرين بدأوا يحيلون أنفسهم وكأنهم حاضرون دوماً أمام عدسات التصوير، ومعرضون باستمرار لخطر الفضيحة أو سوء التمثيل أو حتى الخيانة. ولم يصل إلا عدد قليل من الأسس في تلك المرحلة من اللعبة الحاسمة إلى

الاستنتاج بعدم وجود واقعية جوهرية أو حتمية لتغلها في المام الأول. وهذا بما سترك لمطري ما بعد الحداثة بالرغم من أن عارسيا ماركيز سيكون حاضراً لدى وصولهم.

ما إن أرسل عارسيا ماركيز تقاريره عن موتيسي للشر بين السابع عشر والثلاثين من أيلول حتى سافر إلى البندقية للاشتراك في مهرجان الأشرطة السينمائية السنوي السادس عشر هناك. لقد حن الشتاء مكرراً في البندقية وحل معه الأوروبيون الشرقيون للمرة الأولى منذ الحرب. أمضى عارسيا ماركيز بضعة أيام بنعرف إلى الأشرطة السينمائية للاً وماراً ويقوم بين حين وآخر سزهات إلى ضواحي البندقية حيث شهد عراة أطوار الإيطاليين والهوة الواسعة بين الأغنياء وفقراء؛ اغفراء الإيطاليين "الذين يحسرون دائماً ولكنهم يحسرون بأسلوب مرح مغير"¹⁴. ذكرته تلك هوة بسكان أميركا اللاتينية مما جعله يخصص شطراً أعظم من حياته لجمعهم في حار وعي أكبر وفنائة أشد بما هم عليه. بعد مرور سنوات يضيف قائلاً إن الإيطاليين "لبس لديهم هدف آخر سوى الحياة" لأنهم "اكشمر منذ عهد بعيد أن هناك حياة واحدة ليس إلا، وقد جعلهم ذلك اليقين أكثر تحمساً تجاه الفسوة"¹⁵.

وكما هو ديدنه في التقارير التي بعث بها من حيف فقد استمادة قصوى من وضعه بإرسال مقالاته لا عن السيمما وحدها وحسب، بل وعن فضاي تعمير سطحية أكبر أيضاً مثل مقالة عن النجوم الذين حصروا والذين لم يحضروا، وعمر عن حبة أمله من أولئك الذين حضروا وبخاصة هدي لامار التي تمت حاذبتها والتي أشعلت المشاعر ذات يوم في البندقية بعربها في الشريط السينمائي النشوة، وعبر عن اردرته بلعاق الجنسي لصوبها لوروى لظهورها كل يوم على شاطئ البحر بثبات سباحة مختلفة، كما أفصح عن تشككه بأبوك إيميه التي قلعت نفسها ثمة سيممائية لكنها لم تتصرف وفق هذه الصفة. بالرغم من أن شريط كارل تيودور دراير الكلمة استحق عن جدارة الحائزة لأولى، فإن المخرج الذي تمس لعارسيا ماركيز الحماسة كلها كان يعالياً شاماً أظهر في العام 1955 فرانيسكو روري، ذا شعر أشعث في التاسعة والعشرين، له وجه لاعب كرة قدم،

وقدّم الشكر، مثل لاعب كرة قدم أيضاً، لأعظم رفقه تلميذ واحترام يعمه
اجمهور في دار السبما، وكان أحد أشرطته السبمائية في لعام 1955 بعنوان
Amici per la Pelle⁽¹⁶⁾

استقر غارسب ماركسر القطار في مدينة تريستا ووصل من في احدى
والعشرين من شهر أيلول عام 1955 وذلك بعد مرور شهرين على رحيل آخر جود
الاحتلال وقبل شهرين من إعادة افتتاح أوبر فيينا. تظاهر بأن رحلته انتهت في فيينا
وبقي فيها خلال شهر تشرين الأول ولم يكتب سوى ثلاث مقالات عن المدينة
سبنت في الثالث عشر والعشرين والسابع والعشرين من شهر تشرين الثاني⁽¹⁷⁾.
ومرّب أربع سنوات أدرك بعدها أن عدم نشر أي تقارير عن بقية الرحلة كان أمراً
حكيماً.

وكما هو شأن الناس في تلك الأيام، فقد وجد غارسب ماركسر استحاله فصل
فيينا عن شريط كارول ريد السبمائي الرحل الثالث الذي كتب منه عراهاء
عرب. ودأب على ريادة مواقع تصوير الشريط اخرافة. وفي فيينا أيضاً رعم في ما
بعد أنه التقى هراو روبيرتا التي سمت نفسها في ما بعد باسم هراو هربا، وهي مواطنة
كولومبية وعرفّة كسست قوها في العاصمة المساوية من خلال "وهب نفسها لدي
اخيال"⁽¹⁸⁾. ولما أحرته عرافة في إحدى الأمسيات على هر الدايوب ونحت صوء
العمر أما حلمت به ويتعين عليه معادرة فيينا على العور، هرع الصبي المعتقد
باخراقات القادم من أراكاتاكا واستقر انقطار وغادر المدينة⁽¹⁹⁾. ولم يذكر لقائه
أن انقطار المقصود سافر به إلى ما وراء الستار احدىدي.

وهكذا واصل غارسب ماركسر سفره من النمسا إلى تشيكوسلوفاكيا وبولند.
وكان قد تمكن من الحصول على دعوة لحضور مؤتمر السبما الدولي في وارسو
خلال حضوره مهرجان البندقية السبمائي. لكن لم يشر غارسب ماركسر أي تقرير
عن هذين البلدين على الذي السوات الأربع اتاليه، هذا لا يمكننا التأكد من توفيت
نشرها، وهو ما لا نذكره، ولا من انطاعاته الأولية، وهي التي كانت يومذاك
انطاعات مندئة وتمرّجة بمقالات عن عودته القصيرة لأكثر من مرة إلى ديك
البلدين في صيف العام 1957 عندما توجه إلى موسكو ومنعاري التي نشر عنها تقريراً

عامراً في نشرين الثاني عام 1957. لكن تقاريره عن رحلته الأولى في العام 1957 نشرت أخيراً في صحيفة كروموس في بوغوتا في شهر آب عام 1959 وكان آنذاك يعمل لمصلحة الثورة الكوبية ولم يهتم بإحفاء مكانه. لكنه لم يقر بالرحلة التي قام بها بمفرده في العام 1955. ولما نشر مقالاته أخيراً عن تشكوسلوفاكيا وبولندا، فإنه كان قد أدرجها ضمن رحلته لثالثية إلى أوروبا الشرقية برفقة آخرين في العام 1957⁽²⁰⁾.

في ضوء طمس كل هذه الأشياء، وكل هذا التلاعب، يصعب وضع دليل واضح أو حتى التوقع بشأن تطور وعي غارسيا ماركيو السياسي إلا أن الشيء الذي نقدر حقاً على استنتاجه هو أنه منذ البداية شهد تناقصاً. لقد كانت براع مديرة رائعة، على سميتها، كل ما فيها يوحي بأنها تشبه أي عاصمة أوروبية عربية. سيد أن السكان كانوا يفتقدون على ما يبدو إلى الاهتمام بالسياسة أما بولندا التي كانت لا تزال تعيش في حقبة ما قبل غومولكا، فقد كانت غير متطورة إلى حد بعيد، لا تزال ملوثة بخرقة النارية طاهرة في كل مكان، لكن البولنديين كانوا بالرغم من ذلك أكثر نشاطاً في السياسة وكانوا قراءاً منحمسين لقراءة عني نحو يدعوا للعجب، كما أنهم تمككوا من التوفيق بين الشيوعية والكانتوليكية بأسلوب يحاول أي دولة شيوعية أخرى أن تحميه. وتذكر غارسيا ماركيو بعد أربعة أعوام أن البولنديين كانوا من أشد الديمقراطيين الاشتراكيين عداءً للروس. من جهة ثانية يراه يستعمل بعوناً معصية مثل: "هستريون"، و"معدون"، و"صعاب المراس" ويذكر أيضاً أن البولنديين يتمتعون بحساسية فائقة شبه حساسية الإناء، بمعنى "أنك لا تعرف ما يريدون"⁽²¹⁾. ولم تفرقه كراكاو ما نصوره فيها من طبع محافظ موروث وكاثوليكية مكفنة أما ريارته إلى أوشفيتز فيضعها وصفاً أسيراً إذ يقول:

ثمة قاعة تحتوي على صناديق رجالية كبيرة الحجم ممتنة بشعر البشر، وقاعة مملوءة بأحذية وملابس وماديل طُرزت عليها يدوياً الأحرف الأولى من اسم صاحبها. ولا تزال حجاب السجناء الذين أدخلوا إلى ذلك الفندق الجنوبي تحمل أسماء فنادق السياح ثمة حقيبة مملوءة بأحذية أطفال بكعوب معدية بالية: أحذية ثقيلة بيضاء صغيرة الحجم تتعل عند الذهاب إلى المدرسة، وآلات توسيع الأحذية التي كانت لأولئك الذين قُدر لهم أن يتنجسوا من الشلل السولاوي قبيل وفاتهم في معسكر الاعتقال. ثمة حجرة فسيحة جدا

تجوي على أدوات للجراحة الخرفية وآلاف الطائرات، والأسان
الاصطناعية والعيون الزجاجية، والسبائك الخشبية، والفقازات الصوفية
لأبداً مفقودة. وكل الأدوات الأخرى التي ابتكرها العقل البشري لتقوم
الحسن الشري. ابتعدت عن الجماعه ومثبت صامتا في القاعه كنت أكظم
غظي لأنني أردت أن أبكي⁽²²⁾

عنى العكس من هذا، بصف سرده عن لامعقوسة البروقراطية استبوعه عد
الفاط الخلودية بالمرح واجدل.

في أواخر شهر تشرين الأول قفل راجعاً إلى روما وأرسل ثلاث مقالات عن
فيينا، وأربع مقالات عن لينا، وثلاث مقالات أخرى عن التنافس بين صوفيا ولورين
وحينا لولو بريجيدا. ولما يثير الانتباه أنه أشار إلى أن لولو بريجيدا الأقل موهبة، كما
هو واضح، من لورين، فمثلت صورة أكثر جدانية بصرف النظر عن المعركة بين
"الإحصائيات دالعة الأهمية" لكنيهما. إلا أنه توقع أنها ستتصر في هاية الأمر عندما
تدرك أن "صوفيا لورين فريدة لا تقارن شمس"⁽²³⁾. ثم انتقل إلى تور في نابولي مع
معس كولومبي اسمه رافائيل ريمو سيلما، وكان هذا يعيش في روما منذ سنة
أعوام ويسعدر، شأنه شأن عارسيا ماركير، من أسرة فقيرة وفي مثل سنة أيضاً،
وكان رجلاً شقي طريقه وسط العرمة والتصحيات حيث ظل يعيش ويمارس انعاء،
على حد تعبير عارسيا ماركير، في حين كان الآخرون ينسكعون في اللدة⁽²⁴⁾.

عمل ريمو سلما لصبعة أسابيع مترجماً ودليلاً بصفة غير رسمية، وفي الأصل
كان الإنسان يستعير دراجة حارية يطوفان بها في أرجاء المدينة. كانت منعته
المفضلة مراقبة نبات الهوى في فيلا بورجيس وهي يزاون حرفته عند هبوط الليل.
يقول عارسيا ماركير عن تحمل الذكريات التي محه إياها ريمو سيلما عن العاصمة
الإيطالية بعد أن ألهمته تلك الحواية البرية "بعد العناء، وفي حين كنت روما نعط
في يومها، كنا نستقل دراجة الفسا لمشاهدة العابت الصغيرات وهن مرتديات ثياباً
من النموسين الأرق الشفاف أو الفص الوردي أو الكتان الأحمر. في بعض
الأحيان كما بلغني بوحدة مهن قدعوا لساول النلجاب. وفي يوم ما لم ذهب إذ
علي لعلس بعد طعام العناء، ولكنني استيقظت على صوت طرقات حبيّة على
الساب. وعندما فتحت اساب وأنا نصف نائم، شاهدت في طلعة الممر حياً من

صنع الهديان، فتاة عارية، غايه في الجمال، استحمت وتغطرت قبل مجيئها وعطت جسدها كله بالسودرة. وقالت بصوت رقيق جداً: مساء الخير، لقد أرسلني المعنى⁽²⁵⁾

بدأ عارسيا ماركيز بعد وصوله مباشرة بأور اتصال له بمجمع التصوير الهائل سيبيستا جنوب شرقي روم الذي كان يحق أكبر مصنع للأفلام في العالم أجمع. وكان عارسيا ماركيز مهتماً بدراسة صناعة السينما هناك في مركز الأشرطة السينمائية التجريبية. لم تكن هناك دورات تعليمية في ذلك الوقت لكنه تمكن من مقابلة الإيطاليين والأميركيين اللاتينيين كالأرجنتينيين فيرناندو بيري، وهو معي هرب من نظام برون وباب صديقاً وشريكاً مهماً في المستقبل شأنه شأن غيره من صناع السينما الأميركيين اللاتينيين الذين درسوا في روما إبان تلك الحقبة من أمثال توماس عوثيريت أليا وخوليو عارسيا اسيسوسا الكوبيين. رحب بيري بالشباب ذي القفعة الجديدة والمعطف كبر الحجم وصحه عائلاً إلى شقيقته في يبارا دي ساغنا ودعاء للشراب في مقهى دي ساغنا وبدأت بينهما صداقة طويلة ومثمرة.

التحق عارسيا ماركيز بدورة في الإخراج السينمائي في مركز الأشرطة السينمائية التجريبية. وبما لا يدعو لتعجب أن اهتمامه الأساسي كان ينصب على كتابة النص السينمائي، وهو السبب الذي جعل من سيرار ثاباتي، كاتب نصوص دي ميكا لسينمائية، واحداً من النماذج التي أعجب بها عارسيا ماركيز إذ هو الذي سيتحمس لسينما ذلك العصر ويصفي عليها مسحة غير مسبوقة من البعد الإنساني⁽²⁶⁾. ويبدو عارسيا ماركيز ملاحظة عن تلك الفترة وهو يتذكرها قائلاً: "لا يمكنك أن تحيل اليوم ما الذي كان يعمه جليدا ظهور الواقعية الجديدة في مطلع الخمسينيات من القرن العشرين لقد ابتكرت السينما من جديد. فقد شاهدت أشرطة سينمائية من زمن الحرب أو أشرطة حققتها مارسيس كاربيه وغيره من المخرجين الفرنسيين، هدشت بذلك اتجاهات فنية. ثم هيئت الواقعية الجديدة من إيطاليا وكانت أشرطةها مصنوعة من خامات مرفوضة ومثل فيها ممثلون قليل إهم لم يناهدوا آلة تصوير في حياتهم. كان كل شيء يدور وكأنه صنع في الشارع. وكان يستحيل معرفة الأسلوب الذي دُمجت فيه المشاهد واللقطات، واحتفظ فيه بالإيقاع

والسيرة. أما بالنسبة إلينا نحن، فكان الأمر عملاً استثنائياً⁽²⁷⁾. لا بد من أن الواقع الجديد كانت تخطي بإعجاب في إيطاليا أقل من ذلك الإعجاب الذي حظيت به خارجها، ويرجع السبب إلى حد ما إلى أنها كانت تظهر أوجهاً من البلاد أرادت إيطاليا في حقبة ما بعد الحرب أن تنقصها عن كاهنها. ويقول إن انشريط السيمائي معجزة في ميلانو (1952) الذي شهده مرة أخرى برفقة فيرناندو بيرري في عام 1955 والذي صممه كل من دي سيكا وثانانتي وبليبي، وهو الذي دفعه إلى الاعتقاد أن السيمائي يمكن أن تعبر العام لأنه شعر هو وبيرري أن الواقع نفسه تعبر عندما عادوا دار العرض السيمائي. لقد كان مجمع تصوير سينمائي الذي كان في أوجه يومذاك يوسف أن يوم الستارة الخفية لعلم هيني، وهو صانع الأشرطة السيمائية الذي شاء أن ينعقد عن حمايات الرافعية الجديدة التي كانت تهيمن آنذاك على المشهد ويوجه نحو صرب من "الواقعية الأخاذة" لا تختلف عن الأسلوب الذي سيعجب في ما بعد غارسيا ماركيز نفسه⁽²⁸⁾.

نبي أن كثافة النص السيمائي في مركز الأشرطة السيمائية التجريبية ليست سوى جزء ثانوي من مهاج أكر في مدة الإحراج لسينمائي. وبعله كان أمراً متوقفاً أن يشعر غارسيا ماركيز بالسأم منذ البداية تقريباً، باستثناء الأوقات التي كان يحصر فيها محاصرت دونوريسا روسادو في مادة الموتح التي أصر على أنها تمثل "الحق السيمائي". الحق أن غارسيا ماركيز لم يكن مولعاً كثيراً بأي نوع من أنواع التعليم الرسمي، ولو لم يكن فحراً على الالتحاق بتلك الدورة لابتعد عنها. لكنه ابتعد عن سينمائي (بالرغم من قوله بعد ذلك بسنوات إنه أمضى بضعة بل تسعة أشهر فيها) لكن عندما جاء صديقه غيرمو أنخولو في وقت لاحق بحثاً عنه، تذكرت دونوريسا روسادو أن غارسيا ماركيز كان واحداً من أفضل طلابها، على حين كان طالباً كسولاً على وجه العموم⁽²⁹⁾. وبعد مرور سنوات تنوع الدهشة عدد كبيراً من الناس وهم يكتشفون أن غارسيا ماركيز كان يعلمهم فهماً عميقاً اجتمع من العبة في صناعة الأشرطة السيمائية وهو ما تعلمه في سينمائي بالرغم من معارضته.

وكما مره غالباً في المستقبل، فإنه ظل يهوى السينما، لكنه يتساءل إن كانت السينما هؤلاء، ولم يحب ظه ثنانتي وكانت له وجهة نظر شخصية بهذا العبقري

تخديداً: "إنني طفل من أطفال ثنائيي، إذ جعلت الأحاسيس أكثر أهمية من المادي المعنوية"⁽³⁰⁾. إن هذا المفهوم سيساعد عارسيا ماركيز على مقاومة الهجمات التي سيتعين عليه مواجهتها من "الواقعيين الاشتراكيين" في محالي الأدب والسبما في السنوات التالية لا سيب في كوبا. وهذا ما جعل إقامته المصيرة في إيطاليا، وتعمقه اللوجير إلى سيبيستا جديري بالاهتمام

عندما يشعر أحد أناء أميركا اللاتينية بالسأم وهو في أوروبا ولا يدري ما عليه فعله، فإنه يستقل القطار إلى باريس. م تكن هذه بعية عارسيا ماركيز، لكن هذا هو م أقدم عليه فيما كانت الأيام الأخيرة من العام 1955 نوزك عبي هاتيتها. ومن المارقة أنه عندما حاول الانتقال إلى ميدان آخر، وهو السبما، وجد نفسه وقد عاد مرة أخرى إلى الأدب؛ ناهيث عن هوسه الكاسح بكولومبيا. كان مشغل البال بكتابة روايه، روايه واقعيه جديدة، مصدر الإلهام السبماني فيها مدبه روما، لكن يشاء القدر أن يكتسها في أجواء باريس الأدبية. وصل القطار بعد منتصف ليلة ماطرة قبي وقت قصير من حلول فتره الميلاد واستقل سيارة أجرة وكانت أول صورة تنوح أمام عبييه هي صورة عانية تقف تحت مظلة برتقالية عند مصبة شارع العرب من المحطة⁽³¹⁾.

كان يفترض بسيارة لأجرة أن تقله إلى فندق إكسيلسيور الذي اقترحه عبه الشاعر خورخه عايتان ديوران، لكن المطاف نهى به إلى ثرل التحالف الفرنسي في شارع راسابيل ويشاء القدر أن يمكث في باريس رهاء لستين تقريباً.

جائع في باريس: البوهيمية

1957-1956

من يعرف الشيء الذي كان يبحث عنه عارسيا ماركيز وهو يشق طريقه صوب العاصمة الفرنسية في كانون الأول عام 1955؟ إن كل من يعرفه لا بد من أن تخمن أن إيطاليا بلد مناسب للمق الساحلي القادم من كولومبيا - على المستويين الاجتماعي والثقافي - وأكثر من ذلك، فهي البلد الشمالي الأكثر برودة والأكثر اعتدالاً والأكثر مزرعاً للاستعمار، والأكثر انشغافاً والأكثر التصاقاً بديكرت. لقد كان موقفه من أوروبا عموماً، ومنذ البداية، أنه ليس لديها ما تعلمه إناء أكثر مما تعلمه أصلاً من الكتب أو الرسائل الإخبارية. يبدو الأمر وكأنه أراد أن يأتي إلى هنا ليأخذها متعفه، تموج منها رائحة الكرب المعلي، كما قد يقول قائل، بدلاً من أن تبحث فيها رائحة المعرفة المدارية الأثيرة على هواه وأحاسيسه. لكن هذا هو الآن في باريس على كل حال.

استقل من الرل إلى فندق رخيص كان يفصله المساهرون من أميركا اللاتينية وهو فندق الفلاندر الكائن في شارع كوجاس رقم 16 في الحي اللاتيني، وكان يديره المدينيور ومدام لأكروا. وقاله هذا الفندق كان يقع فندق آخر تدر عليه مظهر الشراء والتعرف وهو فندق سان ميشيل الكبير الذي كان يفضسه أيضاً القادمون من أميركا اللاتينية⁽²⁾. وكان من بين الذين أقاموا فيه إقامة طويلة الشاعر الكرسي الكبير دو الأصل الأفريقي وعصر الحرب لشيوعي بيكولاس عي، وهو واحد من عدد كبير من كتاب أميركا اللاتينية المنعيين إبان تلك الحقبة من حكم الدكتاتورين أودرياس فييرو (1948-1956)، وسومورا فييكاراعوا (1936-

(1956)، وكاستيلو أرامس في غواتيمالا (1954-1957)، وبروحيلو في جمهورية الدومينيكان (1930-1961)، وباتستا في كوبا (1952-1958)، وبرت جيميث في هندورايلا (1952-1958)، وحتى روحاس بييا في كولومبيا (1953-1957). كانت المنطقة هيمس عليها ثقافياً الموربون بالرغم من أن مسمى اللاتينيون اقريب كان يشكل بصمته التي لمرزجي المعماري الأكثر مهابة

وعلى الفور تقريباً اتصل غارسيا ماركيز بليبيو أبونو ميدونا الذي سبق له أن عرفه لفترة قصيرة من الزمان في بوغوتا قبل انتفاضة شهر نيسان من العام 1948. كان ميدونا أصغر سناً، شياً جاداً وإن دعياً، تعبرت أفكاره لسياسية عن اعالم ونطخت إثر هزيمة والده السياسية وفيه في الأشهر التي أعقبت اعتياد عايتاب. كان يعمل نحو الاشتراكية الراديكالية، وكان قد قطع شوطاً في الطريق كي يصبح ريفياً جوالاً في الحركة الشيوعية العالمية. كما كان قد اطلع على بشر رواية عاصفة الأوراق لغارسيا ماركيز من خلال الصحافة اليعونية. "افترض من صورته ومن العنوان أنه لا بد من أن يكون روائياً رديماً"⁽³⁾ وكان عتية الميلاد في العام 1955 في حاشه الكأس الباريسية في الحي اللاتي مع صديقين كولومبيين عندما دلف غارسيا ماركيز مردياً معطفه الصوفي الثقيل في عصر ذلك اليوم الشتائي. ودهن ميلوتا وصديقه لرؤية القادم الجديد الذي بدا متشاحاً ومعروراً خلال أول حديث لهم عن الأدب والصحافة والحياة وكان الأشهر الثمانية عشر التي أمضاها في بوغوتا حولته إلى كاتشاكو غورزجي، إذ رغم أنه لم تعجه أوروبا تماماً، وبدا مهتماً بنفسه لا أكثر لقد بشر رواية واحدة ولم تنعت فيه الحيوية والنشاط إلا عندما بدأ بالحديث عن تطور الكتابة في روايه الثانية.

وكما حدث حقاً، فقد وجد غارسيا ماركيز في بليبيو ميدونا أفصل صديق من أصدقاء المستقبل بالرغم من أنه لم يكن أكثرهم ثناءً. وبما أن ميدونا سيتعرف إلى غارسيا ماركيز على نحو أفصل من أي شخص آخر تقريباً، وبما أنه كان أقس تقيناً من الآخرين باعتباراته التقدير والدوق التقيدية فإنه سيصبح، وبما للمقارنة، واحداً من أكثر الشهود ثقة عى حية غارسيا ماركيز وبطوره. وبالرغم من انطاع ميدونا السسي الأول، فإنه دعا القادم الجديد إلى عشاء سلة الميلاد يقمه

المعماري لكتولومبي القادم من بلدة إيتوكيا هيرمان فيكر وروحته الأميركية ذات العيين لرقاوين في شفتيها في شارع عينيغو على ضفاف نهر السين. وهناك تناول الكولومبيون اجتماعهم، مهاجرون ومقيمون، اللحم المشوي وسطة الهدياء وكميات كبيرة من البشرب، ثم أمتست عارسيا ماركير بالقبارة وعين أعالي العالمانو وكانت من تأليف صديقه إيسكالوبا، بما حسن من الانطباع الأول الذي تكون عد الكولومبيين، لكن المصيف ظل يشكو لبليو من أن القادم الجديد "رجل فطيع" لا يلبو عليه أنه معتد بنفسه وحسب، بل عمل أيضاً على إطفاء عقب سجارته بعمل خذائه⁽⁴⁾. وبعد ثلاثة أيام التمي الرحلان مرة أخرى وذلك بعد أن تساقط الثلج لسرة الأولى في ذلك الشتاء. ولما كان عارسيا ماركير اس المنطقة المدرية فقد رقص على اسدد شارع سان ميشيل ومنه إلى ساحه لوكسمبورغ. وسرعان ما داب تحط ميلوث مثل دوان نف الثلج العراقة على معظم عارسيا ماركير الصوي الثقيل.

أمضيا معظم كانون الثاني وشاط من العدم 1956 معاً قبل أن يعود مينوث إلى كاراتكاس حيث كان يقطن معظم أفراد أسرته آنذاك كان الصديقان الجديدان بمصيان الوقت في تلك الأسابيع الأولى في الأماكن المفصلة التي كان يرادها ميلوث حول السوربون ومقهى كابولاد في شارع سوفلو أو الأكروبول، وهو مطعم يوناني مدهش وجبانه رهيدة الثمن، يقع في هاية شارع كلية الطب. وإذا كان بعض معارف عارسيا ماركيز قد وصفوه في تلك الفترة ربما وصفاً قاسياً فقالوا به غير جذاب، فإن بليو مينوثا وُصف بذلك الوصف بالدرجة نفسها أو أكثر. زد على ذلك أن رد فعل بعض الكولومبيين كان ينسم باللامبالاة لدى سماعهم اسمه لوهة الأولى؛ فقد كان معروفاً في جميع أرجاء كولوميا بالاسم بليو، تماماً سلما كان عارسيا ماركير معروفاً بالاسم عانيتو وكان الكيترون يعنونه مروعاً، ونتاجاً نموذجياً للأراضي المرتفعة في مسقط رأسه بويكا، لكن ما من أحد يكر أنه صحابي ومجادل ألمعي كان شخصاً لا يمكن توقع دواخله، مشوب العاطفه، ومرحاً أيضاً، يتمتع بالسعرة الداتية (وهو أمر نادر)، كريماً ومتحمساً.

في أواخر الأسبوع الأول من شهر كانون الثاني حسن الصديقان في أحد المقاهي في شارع المدارس (ديريكور) يقرآن في صحيفة اللوموند، وإذا بهما

كنشفاً أن روحاً سيئاً أُلحق أحياناً صحيفته الاسكتندور بسبب عاملين اثنين هما الرفقة ولتهديد الماسر (وكانت صحيفة التسمو قد أعقت قتلها ولمدة خمسة أشهر). يستذكر ميندونثا أن عارسيا ماركير قلل من شأن الحدث: "ليس الأمر خطيراً، وهذا يشبه ما فعله مصارعو البتران بعد أن يجرحهم قرن الثور". لكن الأمر كان خطيراً حسب ميندونثا⁽⁵⁾. فقد غرّمت الصحيفة من قبل، بملع مقداره ستمئة ألف بيزوس وذلك في بداية الشهر. والآن أعلقت مدناً. وهكذا توقف مجيء الشيكات إلى عارسيا ماركير ولم يعد قادراً في بداية شباط على دفع أجرة عرقته في فندق الفلاندر. وممحت له السيدة الطيبة مدام لأكرو أن يدفع الإيجار حين يتوافر معه واستناداً إلى إحدى روايات عارسيا ماركير فإن مدام لأكرو راحت تنقه أعلى فأعلى ورويداً رويداً في ذلك المبنى حتى انتهى به المطاف إلى عرفة بلا تدفئة في الطابق السابع ورعمت أنها سبت أمره⁽⁶⁾. وقد وجدته أصدقائه على تلك الحال يكتب وهو يصعب فغازات في يده ويعتمر قعة صوفية.

كان عارسيا ماركير قد بدأ يدير معيشته بالرغم من قلة موارده حتى قبل أن يصله الخبر المريع بإغلاق مكتب صحيفة الاسكتندور، وتعلّت ميندونثا الدهول بسبب قلة المال الذي أنسى به معه من كولومبي. وها عرف ماركير بيكولاس عيّن وسائط شيوعي آخر وهو الروائي والصحافي المنرويلي الثري ميجل أوتيرو سيلف الذي أسس مع أبيه صحيفة مهمة في كاراكاس هي التاسيونال سنة 1943. وكان الثلاثة قد التقوا في حانة في شارع كوجاس في الأيام التي سقت مغادرة ميندونثا إلى فرويلا ودعاهما أوسيرو لتناول الطعام في حانة ومطعم قديم الخنزير قرب سوق الحصار. وبعد مرور سنوات أصبحت فيها صديقين، لم يتذكر أوتيرو سيلفا الشاب الكولومبي الشاب والنحيل والذي كان يصمي بكل اهتمام إلى تشخيص الشيوعي للأوضاع في فرنسا وأميركا اللاتينية وهو يلتهم طعامه الخاني الذي وفرته العابة الإلهية⁽⁷⁾ كان أوتيرو سيلف وعيّن قد تنهت إلى مسامعها حينذاك إدانة نعروتشوف القوية لستالين في المجلس والعشرين من شهر شباط عندما أوشك المؤتمر العشرون لحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي أن يهي أعماله. وتولاها الملق من سياسة التعايش التي أعلنت مؤخراً لأنها سياسة الهرامية في رأيها وهكذا بقل في مستقبل الحركة الشيوعية العالمية⁽⁸⁾.

يبدو أن غيَّان ميعو بطلاً لإحدى حكايات عارسيا ماركيث انفصلة عن حقبة باريس: "الزمان هو الزمان الذي كان يحكم فيه ييرون في الأرجنتين، وأودري في بيرو، وروحاس ييَّا في بلادي، إنه زمن سومورا وباتيمتا وتروجيلو وبيرث نيميسيت ومقروستر. كنت أميركا اللاتينية معده بالدكتوريين. كان بيكرلاس غيَّان قد اعناد على اليهودي باكراً عند الخامسة صباحاً ليقرأ الصحف وهو تحتسي فنجان ههوه. ثم يفتح الباعة ويصرخ ليصل صوته إلى كلا العندين المحتشدين بالأميركيين اللاتين وكأنه في ساحة دار في كاما عوي وفي يوم ما فتح نافذه وقال: لقد سقط الرجل! وهنا خيل لكل واحد - من أهلي الأرجنتين والنارغواي والدومنيكان وبيرو - أن رئيسهم هو الذي سقط. وقد سمعت صوته بدوري وقلت: الله! لقد ذهب رومحاس ييَّا! لكنه أخبرني لاحقاً أن ييرون هو الذي سقط" (9).

في الخامس عشر من شاط عام 1956 صدرت صحيفة أخرى بعنوان الأندسندنت لنحل محل الاسكنادور التي أغلقت قبل ستة أسابيع. وتولى رئاسة التحرير الرئيس البيروالي السائق أليبرتو بيراس كامارغو الذي شغل سابقاً منصب سكرتير منظمة الدول الأميركية. وأخيراً، وبعد بضعة أسابيع شاقة وثقة جداً، تنفس عارسي ماركيث الصعداء. وعندما رحل بليبو ميلوثا متوجهاً إلى كاراكاس في نهاية الشهر شعر بالارتياح لأن صديقه الجديد عده ليقف على قدمه من جديد ويشعر بالأمان. بعد مرور ثلاثة أشهر تقريباً، ظهرت أول مقالة لعارسيا ماركيث في الصحيفة الجديدة وذلك في الثامن عشر من شهر آذار. وأرسل تقريراً من سبع عشرة حلقة - رهاء المئة صفحة عندما أعيد طبعه في كتاب - عن محاكمة أولئك المتهمين في قضية التحسس الأخيرة عندما نُقلت أسرار الحكومة العرسية إلى الشيوعيين إبان الأشهر الأخيرة من حكم فرنسا في هيتام. وهكذا، وفي اثني عشر من آذار سنة 1956، أعلنت الأندسندنت في صحتها الأولى: "معوث الأندسندنت اخاص بمسافر حضور أكثر المحاكمات إثارة في القرن"، (بما لا يدعو للكثير من الدهشة أن عارسيا ماركيث سيشتهر لاحقاً بسلعته). لكن بالرغم من الجهد المبذول في هذه السلسلة من المقالات، فإن إعلاني صحيفة الأندسندنت في الخامس عشر من

يسان سيعي أن عارسيا ماركير لن يتمكن من سرده ذروه المحاكمة مما جعل المراء في حيرة من تقريره الذي رأوا أنه لا يمثل قمة جهوده في كتابة الحلفاء ولا أفضلها من حيث السرد على كل حال، وبالرغم من أن عارسيا ماركير لم يعرف حقيقة الأمر، فإنه وجد نفسه مرتطاً، وإن من بعيد، بشخص سيكون ملازماً له إلى حد بعيد في فترة متقدمة من حياته. فقد كان يحلم المرافعات القصصية وريز الداحية السابق، ومن ثم وريز العدل لاحقاً فرائسوا ميتران الذي كان: "شاماً أنقهر لشعر، برتدي بذلة ذات لون أرق فاتح، منح الجلسة الإحساس بأنها دار عرض سيمائي"⁽¹¹⁾. وكان ميتران نفسه موضع شك وارتيب في الجلسة بسبب رفضه المعروف للحرب الاستعمارية في فييتنام. ومع هذا، فإن ميتران وبقية الحاضرين في قاعة المحكمة كانوا في طرهم إلى رواية عارسيا ماركير الجديدة.

كان في وسع عارسيا ماركير أن يسمع تكلمات ساعة السوربون من غرفه. وفي حين كان يجلس ويكتب، كانت ميرثيديس بارتشا، خطيبته التي لم يعرفها معرفة كاملة، تروى إليه من خلال صورها الموضوعة على مصدة إلى جانب السرير. تذكر بلييو ميدوثا أنه قال عندما صعد إلى غرفه صدقه: "راجعت صوب الجدر لأنظر إلى صورة خطيبته المتهة هناك، فتاة حيلة ذات شعر طويل مسترسل"⁽¹²⁾. بعد وصول عارب ماركير إلى أوروبا بدأت ميرثيديس يرسل إليه رسائلها مرتين، أو ثلاث مرات أحياناً، في الأسبوع. وكان يجب على رسائلها بدأب⁽¹²⁾ وكانت رسائنه تصلها عن طريق والديه. يتذكر أخوه حيمي. وكان في الخامسة عشرة من عمره آنذاك، أنه كان يأخذ الرسائل إلى ميرثيديس في برانكيا بين وقت وآخر

كان مصدر الإلهام في الرواية الجديدة هو تلك البذرة البهريّة الصغيرة والناتية حيث شهدت أول لقاء له مع ميرثيديس بالرغم من أن الكتاب يحلو من أي مسحه رومانسية. ويختار لرواية الدعوا في ساعة محس، لكن هذه الرواية المشؤومة لا تصدر إلا في العام 1962. لم تكن رواية عن الرمان الذي عاشت فيه أسرة عارسيا ماركير وأسرة بارتشا باردو وسط تلك المجموعة الصغيرة من الدس، بل كانت عوضاً عن ذلك بدور في سوات لاحقة، في زمن يقترب من زمن تأليفها، ومركز فيه على العواقب لوخمة التي حلت بالمطقة بعد أحداث العنف المعروفة. وسب

ذلك يرجع إلى أن أحداث العنف كانت تهيئ على أفكار سكان كولومبيا جميعاً، في الداخل وفي الخارج، وكان هو شخصياً ضحية غير مباشرة لها؛ وكانت كتاباته الصحفية التي سبقت رحيله عن بوغوتا قد رادت من حدة تركيز مراقفه المبهضة للحكومة.

تسمد البلدة في رواية عارسيا مراكز صورتها السيمائية من بلدة سوكري، بل إن دقة التفاصيل الضويعرية تحكى القارئ من رسم خارطة للمكان الذي يمرى التركيب فيه على النهر وعلى المعبر الحشوي والمدان العام والبيوت المحيطة به. ونظهر سوكري مهاداً لعدد من الروايات القصيرة المربكة على مدى سنوات: في ساعة لحسن، ليس للعقيد من يكاتبه، وقصة موت معدن، وكلها روايات تعبر نعيماً مباشراً عن مصيها العنيم.

وتمر سنوات طويلة قبل أن يبدأ أي أحد بالتركيز في هوية هذه البلدة الهرية الصغيرة، بل إن معظم القراء استمروا يحاولون عشاً ربطها بأجواء وأوصاف ماكوندو - أراكاتاكا المحنطة عنها تماماً. كما أن عارسيا ماركيز لا يثير في مقالات معه لاحقاً إلى سوكري بالاسم، مُلمّاً مثلما لا يذكر اسم والده، مما لا ريب فيه أن الحقائق لا تنفصلان إحداهما عن الأخرى. ويقول في إحدى المرات: "إنها قرية لا يوجد فيها أي سحر، ولهذا فإن كتابتي عنها هي صرب من انصحافة الأدبية دائماً"⁽¹³⁾. بد أن سوكري الحقيقية التي يوصّح من يعيش فيها مرفعه إراء الواقعة القنطرة، إن جار التعبير - صد والده وصد السرعة المحفوظة في كولومبيا - والتي دعت له لابتكار شخصيات تعاني عدناً أبدياً، تذكرنا بشخصيات أميتو دي أو لصوص الدراجة الهوائية ندى سيكا، إما هي غير مختلفة كثيراً، اجتماعياً، عن أراكاتاكا، بل يشهد أخوانه وأخواته على أن سوكري بلدة تنصف مرماسيه وطرافة أكثر بكثير. كما أن السحر يعتمد على عن الراقي دائماً، والعرف هو أب عايتو لم يعيش ذلك السحر في أثناء إقامته في سوكري في الفترة المحصورة بين طفولته وبلوغه سن العاشرة على النحو الذي عاشه في أراكاتاكا. كما أنه لم يكن يعيش رفقة جده العقيد، وفي كل الأحوال لم يُعم فيها إقامة مستمرة لأنه أرسل إلى المدرسة بعيداً عنها؛ ولكن بالرغم من أن إرساله إلى المدرسة كان امتياراً له، إلا أنه

عدّ ذلك، بلا أدنى ريب، عملية طرد أخرى له من الأسره. أضف إلى ذلك أنه عاش في أراكاتانكا في أعقاب الطفرة الاقتصادية المدهشة في حين شهدت موكري بداية أحداث العنف.

عندما نُشرت رواية عاصفة الأوراق قبل سفره من يوغوت إلى أوروبا، أبدى أصدقاؤه الشيوعيون ملاحظة أن الرواية معرطة في شاعريتها وخرافتها مما لا يلائم دوقهم بالرغم من أنها ممتارة على وجه التأكيد. ويعترف غارسيا ماركيز لما ربو فارغس يوسا وبلبيو مينلوتا - الذي وافق الشيوعيين على رأيهم - بأن عقدة ذنب تولدت لديه لأن رواية عاصفة الأوراق لم توجه الإدانة إلى أي أحد ولم تكشف أي شيء⁽¹⁴⁾، بمعنى أن الرواية لا تسحّم ومماهية الشيوعية عن الأدب المنزّم اجتماعياً الذي يشجب القمع الرأسمالي ويظهر إلى مستقل اشتراكي أفضل. الحق أن معظم الشيوعيين كانوا يرون الشكل الروائي وسيلة من وسائل النرجوزية، أما السبعا، فهي الوسط الشعبي الحقيقي والوحيد في القرن العشرين.

إذا كانت رواية في ساعة فحس عملاً سياسياً هدفه سرد الوقائع، فقد أنست غارسيا ماركيز أنه لا يزال فصاضاً ماهراً ولا يزال يلجأ إلى المواربة في النقد السياسي والإيديولوجي فعلى سبيل المثال، تحده لا يحدد صراحة أن النظام الذي يمارس أعمال القمع التي يصممها هو نظام حكومة المحافظين؛ بالرغم من أن هذا واضح تمام الوضوح لكل قرئ كولومبي. وإذا كانت عشرات الآلاف من الناس يلقون مصرعهم كل عام على أيدي رجال الشرطة والجيش والميليشيات المسلحة إبان تلك الحقبة، وإن الكثيرين لقوا حتفهم بأبشع وأقسى صورة يمكن تخيلها. إلا أن الرواية لا تحتوي إلا على حادثتي موت اثنين وحسب: الأولى هي موت مدني بسبب جريمة غسل عار تكون نذير الحدث المركزي مؤحراً في رواية في ساعة نحس، والثانية جريمة سياسية تنمها الحكومة بالرغم من أنها تبدو للوهلة الأولى بريئة لعدم الكفاءة وليس مؤامرة. والحقيقة أن الرواية تهدف إلى الإشارة، صمماً، إلى أن هيكل السلطة الذي تصوره الرواية لا بد من أن تحجم عنه حتماً ودائماً أعمال قمعية، بمعنى أن لعمدة لا بد له من أن يقتل معارضيه إذا ما شاء البقاء حياً.

إن مثل هذا الفهم الهادئ والندھش لطبيعة السلطة يفل الروائي بعيداً، إلى ما وراء الرعة في التأويل الأخلاقي أو التورط في دعاية سطحية. من الطبيعي أنه يرني للعقلية المحافظة، لكنه لا يحاول ميل استحسان القارئ بطرائق مفتعلة منافع فيها. يستير عارسيا ماركيز في مذكراته إلى أن شخصية العمدة تستند في أساسها إلى شخصية الشرطي روح حبيبه السوداء يعرفونها. لكنه، بحسب رواية خرماس مارغيس، قلم تفسيراً آخر: العمدة في رواية في ساعة نحس يستند إلى شخصية واقعية فهو من بدة على مقربة من سوكرى، وقال غارسا ماركيز إنه من قرء روحته ميرثيديس، ولهذا السبب، كان المسلسل لا يفارقه. وكان عارسيا ماركيز في بعض الأحيان ناكدها فيذكرها أن هذا الرجل يتمي إلى أسرتها⁽¹⁵⁾.

بالرغم من أفضل الجهود التي بذلها، فإن الرواية أتت أن تخلق بعداً مما جمعه برخي فضته عليها. وعرق عارسيا ماركيز في حصص كولومبا وهي في أشد حالات الكدر والعم، يصرب قديمه بلا هدف في ذلك العالم اأالي من السحر الذي ابتكره من جديد حتى لم يعد يرى من باريس إلا أقل القليل في وقت انقلب فيه الشئاء ربيعاً. لكنه كان يخرج إلى العالم بين حين وآخر كانت فرنسا في حالة تنو لحرر والاكتساد وهي تعيش فترة ركود في الجمهورية الرابعة. وأجر بير مديس فراس عسى التحلي عن السلطة بعد أن كان رئيساً طوباوياً نحس لدولة اشتهر بمحاولته إرغام الفرنسيين على شرب الحليب بدلاً من الشراب المصنوع من العب وحل عنه إدغار هوري ولكن لفترة قصيرة، إذ لحقت الهزيمة بفرنسا في هيتام في وقت كانت تصارع فيه من أجل البقاء في الحرر. غير أن باريس، وإن لم يكن هناك أحد يقي ها سالا، بدت في واحدة من كثر لخطاتها إثارة لذكريات والعواطف، وهي للحصة الأخيرة التي سقت تحويلها في استينيات من القرن العشرين من مدينة ررقاء مفعمة بالدحان إلى قصة عصر الفصاء. وكان عارسيا ماركيز يتناول طعامه أساساً في مطاعم الطلبة رهيدة الثمن مثل مطعم كابولاد والأكروبول. وفي حين كان معظم الأمر كبير اللابسير يشعرون بالحاجة إلى ازنياد السوربون ومتحف لوفر كي يحطوا بقدر من السمو الثقافي، وللظر إلى الناس كما ينظرون إلى أنفسهم في ثلث المراتب الباريسية الذهبية، فإن عارسيا ماركيز كان يحصي أيامه، كدأه، في جامعة الشوارع.

وهجأة، حدث تحول مفاجئ في حياته. ففي مساء يوم من أيام شهر ادير عندما كان خارجاً مع صحافي يرتعالي يعصي بدوره محاكمة التحجس الفرنسية لحساب إحدى الصحف البرازيلية، التقى مصادفه امرأة شابه. كانت المرأة من إسبانيا وفي من السادسة والعشرين وتدعى تاتشيا، وكانت توشك أن تقدم قرايات شعرية. وبعد أربعين سنة تقريباً تذكر عارسيا ماركيز عندما قال لها: قرايات شعرية! يا به من أمر يبعث على السأم. وتقول: "ظننت أنه يكره الشعر، فانتظر في مفهى مايون الكائن في شارع سان جيرمان دي بوى على مقربة من لكنيسة، ثم لحقاً به بعد الانتهاء من قراءة الشعر⁽¹⁶⁾. كان خيفاً كالأصع ويدو كأنه جزائري، أشعث الشعر، وذا شارب، ولم أهو في حياتي قط رجلاً ذا شارب كما لم يرقى الرجال الذكور الذين يصنفون بالفجاجة، وكنت أبحر دائماً إلى الثقافة والمعصر الإسبانيين الذين كنا مبعث إحساس بالدونية وسط الرجال القادمين من أميركا اللاتينية"⁽¹⁷⁾.

كانت تاتشيا قد ولدت بالاسم مارييا كوسيسيبيون كويسانا في كانون الثاني عام 1929 في بلدة إيار في غوثوكوا من إقليم الباسك الإسباني. كانت وحيدة من ثلاث أخوات ولدن لأسرة كاثوليكية مؤيدة لنظام فرانكو بعد الحرب الأهلية. وكان والدها عاشقاً للشعر، قرأ لها باستمرار وهي طفلة صغيرة لا تفقه شيئاً عن هذا العالم الذي سفر مستملاًها. وفي العام 1952 ألقت الشاعر الإسباني لشهير ألكال بالاس دي أوبيرو في بيلباو، حيث كانت تعمل مربية أطفال، وهي فرصة من العرص انصبة أمام النساء للعمل مستقلات في إسبانيا تحت تحكم فرانكو أطلق عليها أوتيرو الذي كان يصغرها ثلاثة عشر عاماً بالاسم تاتشيا، وهو اسم اشتقه من كلمة كوشيتينا، ثم أعوامها، فما كان منها إلا أن أسرعت بالهرب إلى مدريد بتدريس المسرح كي تصبح ممثلة مع أنه كان يسعى لها أن تأخذ الإذن من والديها لمعادرة المنزل ما دامت لم تلغ الخامسة والعشرين بعد في تلك الأيام. وهناك بدأت علامة متسوبة العاطفة، لكنها مشؤومة، مع هذا الرجل الذي كان شاعراً كبيراً لكنه عمر مستقر ولا يطبق الابتعاد عن النساء. ويظهر الاسم تاتشيا في بعض من أشهر قصائده، وحوّل حياتها إلى حميم بسلوكه المعنوه الذي يتعدى ترقعه. ولما أرادت

الاستعداد عنه هربت إلى إسبانيا وإن لم تتخلص منه نهائياً إلا بعد مرور سنوات طويلة. "لقد سافرت إلى باريس في أواخر عام 1952 لتتقى هناك ستة أشهر عملت فيها حادمة لقاء المأكّل والمنام لقد سحرتني المدينة ولكنني رجعت إلى المدينة مرة أخرى في الأول من اب عام 1953 لأستقر فيها. لم تكن لدي أي مهارة من المهارات الضرورية فالتحقت بدورات دراسة المسرح لأحرب حظي وأجد طريقاً يفتح لي سوكه".

كانت نانثيا امرأة معامرة، حذابة، محبة للاستطلاع ومفتحة لكل التجارب كان يظفر إليها على أنها واحدة من أولئك النساء الجذابات في حمة ما بعد الحرب التي اكسحتها الوجودية - على جم حبها للمسرح - وفي حقبة أفلام الموجة الجديدة التي بدأ صحتها في باريس أواخر الخمسينيات من القرن لعشرين كانت وشيقة، تشفع شباب سوداء عادة، قصّة شعرها على عرار قصّة شعر حين مسيرع التي ستعدو مشهورة بعد حين، حيوتها لا تحمو، وإن كانت متفده العاطفة في تلك الفترة التي لم يكس فيها ما يشعل بالها. غير أنها امرأة أجنبية، مرض الحجاج في المسرح الفرنسي لا بد من أن تكون صئيلة أمامها لا تتجاوز لصغر إلا قليلاً، بيد أنها كانت قد وطدت العرم على عدم الرجوع إلى إسبانيا، ولم تكن تشد ارتباطاً عاطفياً طويل المدى. فقد عاشت قصة حب في بلادها، ومنذ ذلك ليوم لم يستحود أحد على عواطفها أو خيالها، وها هي الآن تروي قصة حياتها لهذا لكونومي الذي نخلو من الحادية

"أود أن أقول إن عابريل م يعجبني منذ الوهلة الأولى: فقد كان يبدو استبدادياً، متعجراً، لكنه هئاب أيضاً، كان حليطاً يفتقر إلى الحادية حقاً، لكنني كنت أهوى من هو على عرار جيس مايسون - كان بلاس يشبه تماماً - أو على عرار مودج السيد البريطاني وليس عني عرار القصي اللاتيني العائق الجذاب الشيه سترون باور. كما كنت أفصل دائماً الرجال الأكثر ساء، في حين كان عابريل لي مثل عمري إلى حد ما. وسرعان ما بدأ يتباهى بعمله، وبدأ لي أنه ينظر إلى نفسه على أنه صحافي وليس أدياً. وعندما ترك الصديق الحانة عند العاشرة مساءً بقنا نتحدث، ثم رحنا نطوف في شوارع باريس سيراً على الأقدام. وقال

غابرييل أشياء فصيحة عن المرمسين بالرغم من أن المرمسين وتوء ظهورهم في م بعد لأهم أنتوا أهم عقلانيون لا تطبقون واقعته السحرية".

اكتشفت بتاتشيا أنها عندما نتحدث إلى هذا الكولومبي الهاري نجد دائماً أن هناك جانباً آخر فيه، شيئاً ما في صوته، في ابتسامته الغامضة، وفي الأسلوب الذي يروي به حكاية ما وبدأ غارسيا ماركيز والشابة الإسبانية الصريحة علاقة سرعان ما أصبحت حميمة، ورعاً أيضاً نموذجية. كانت أشهر رواية أميركا لاتينية في مطلع العقد الرماني التالي هي رواية الحجلة للأرجنتين حوليو كورتاثار التي نشرت عام 1963، وهي حكاية معترب من أميركا اللاتينية يقيم في شوارع باريس في عقد الخمسينيات من القرن العشرين، تحيط به مجموعة من الأصدقاء والعائين والمنقذين البوهيميين الذين يتركرون في الهلي اللاتيني. البطل اللاتيني أوليفير، لم يعد شاباً وليس له عمل، ولا يهتم بالعنور على أي عمل. إنه يريد أن يكتشف نفسه ويكتشف العالم، إلهامه ومصدر حزنه شابة حساء، بوهيمية، أدبية طليعية تعرف باسم الساحرة. الحق أن كورتاثار لم يعثر هذا الطوى، لكن غارسيا ماركيز عاشه. أخذت والسر، أحدهما يفود إلى الآخر. "وشياً شيئاً بدأ غابرييل يروني بالرغم من تحفظاتي الأولية. وغمت العلاقة، وداوم أحداً على مرافقة الآخر بعد مرور بضعة أسابيع في نيسان على ما أظن. في البدء كان لدى غابرييل ما يكفي من المال لشراء مشروب أو كوب من الكاكاو لفتاة أو حتى بدفع لمن تذكرة الدخول إلى المسيم. ثم أغلقت صحيفته ولم يعد لديه ما يملكه".

نعم بعد ثلاثة أسابيع من لقاء غارسيا ماركيز بتاتشيا أعلقت صحيفة الأندلسندنت في بوغوتا لمدة ستة تقريباً بالرغم من أنه لم يستطع معرفة سبب ذلك. كان سياق الأحداث مدمراً مثل هذه العلاقة الجديدة. وبدلاً من أن تسدد الإدارة ما له عليها من دين أرسلت إليه تذكرة العودة فقط إلى كولومبيا. وعندما وصلت التذكرة، اتلع غارسيا ماركيز ريمه وتهد بعق ثم قص ثغنها أكانت تلك رعية مه لمعرفة أوروبا عني نحو أفضل، أم هي رغبة لإكمال روايه الجديدة، أم لأنه ميم بالحب؟ لقد مصت ثلاثة أشهر وهو يشتغل في تأليف رواية في ساعة لحس، وكان مصمماً على انضي قدماً فيها. لهذا، فإنه، لأسباب كثيرة، لم يكن مهياً للرحيل عن

باريس ففي بوعوتا لم يجد إلا قليلاً من اوقت لممارسة كتابانه، واليوم بات متمرداً لا يلوي على شيء مرة أخرى. القرار قراره. لكنه سيكون صعباً. ثم إن هناك ناتشيا أيضاً

التقيت أنا شخصياً ناتشيا كوستانا في باريس في شهر اذار عام 1993، ونحولنا في انشوارع نفسها التي سبق أن تحولت هي فيها مع عارسيا ماركير في أواسط خمسينيات القرن العشرين. وبعد سنة أشهر، تسجعت وسألت عارسيا ماركير وأنا في بيته في مدينة مكسيكو: "ماذا حدث لناتشيا؟"، كان اسمها في ذلك اوقت معروفاً لدى عدد قليل من الناس، وتفاصيل قصتها معروفة لعدد أقل. أضنه كان يأمل أن أنعاصي عن ذكرها، ولكنه تهدد بعق كمن يراقب تابوتاً يُفتح ببطء، وقال: حدث ما حدث". فقلت: "حسناً. هل يمكننا التحدث في هذا الموضوع؟". فقال: "لا". في تلك المناسبة أخبرني للمرة الأولى بعد أن انرسمت على وجهه ملاصق دُخان يعلّق عشاء تابوت بإصرار: "كل أمرئ ثلاث حيوات: حياة عامة، وحياة خاصة، وحياة سرية". الحياة العامة على مرأى من الآخرين ليروها جميعاً، وكنز ما عني هو أن أُنجز العمل ومن حين إلى آخر كنت أعطى بلّمحات عن احبة الخاصة، وكان من المتوقع أن أُنسبط بسفي اسقية الناقبة منها. أما بخصوص الحياة السرية، "لا، أبداً". وإذا كانت مثل هذه الحياة موجودة في أي مكان، فإنها موجودة في كتبه كما ألح نفسه إلى ذلك. يمكنني أن أبدأ بالكب. "لكن لا تقنق على كز حال. فكز ما تقوله عني هو أنا". أما بخصوص قصيه ناتشيا كوستانا فعلمنا أن تمضي بطول الكب كما تصورها عارسيا ماركير في العام 1956 وما بعده. أما ناتشيا، فكانت سعيدة إذ تروي دورها في الحكاية:

عندما التقيت غارسيا ماركير كنت أوشك أن أنتقل إلى غرفة صغيرة في شارع أسانس. لا أتذكر أين كنت قبله، ولا يمكنني أن تتخيل عدد الصادق والشفق التي سكنتها في باريس، حتى إنني شاركت فيوليتا باراً غرفها أيضاً كان الموقع الجديد على مقربة من مونمارناس. بين الانفاليد وسان جيرمان دي بري المخاورة لحانات ومطاعم لا نوبوي، ولا كلوزوي دي ليلاس، ولي دوم، ولي ميليك، وعلى مسافة بضع ياردات من حدائق اللوكسمبورغ ومسارح ودور السينما وحانات الجمار في مونمارناس. ذهبنا إلى غرفته في

فندق الفلاندر أحياناً، إلا أننا كنا ننام في شارع الأساس عموماً. وكان في ما مضى فندقاً تم تحويله في ما بعد كُنت في المطبخ القديم، وكان صغيراً كأنه حجرة خادمة، بمديقة خارجية صغيرة. لم يكن هناك سوى سرير وحصاديق برتقاليه نحيل: اعتاد اثنا عشر شخصاً الجلوس على ذلك السرير. وكانت لما لكّة كاثوليكية مترفة، إلا أنها كانت تفضي البصر عما يرى وتركنا بفعل ما نشاء. وكان أفضل شيء هو المديقة الصغيرة في الهواء الطلق. كم انطربى وهو جالس في ذلك المكان! رأسه بين يديه غالباً. لقد دفعني للجنون لكنني كنت ميمة به.

حالمنا الثقي الكوبونوسي لما وجد أن الرواية التي بدأ كُنتها وقطع شوطاً مهماً، وإن كان مؤلماً منها، تسلسل من بين أصابعه بعد مرور سنوات صويلة يغدو واحداً من أهم أدباء العالم احتراميين المتمكنين من حرفتهم الفنية، راحلاً يعرف دائماً ماداً يريد أن يكتب فيكتبه حتى ينجره بنات لكن كل عمل في هذه المرحلة من حياته بد وكأنه يشطر إلى عمل آخر. المؤلف نجمة مؤلمة ولم يبدُ أن خياله سيفوده إلى مسيرة التطور المرحوة. وهكذا هي حاله الآن. وبدأت إحدى الشخصيات الثانوية بالسمو لتصبح شخصية مستقبلية بدانها فتطالبه نحو أدبي منفصل. هذه الشخصية تمثل الآن بعقيد عمجور حجول ومتنصب في رأيه في أن واحد، لاجئ من ماكويديو ومن رائحة لبور الذي صبح أكثر لما يسغي. إنه راحل ينتظر مرثته التقاعدي الذي يستحقه بسبب اشتراكه في حرب الألف يوم بعد مرور خمسين عاماً على سبب الحرب. كانت أسسحه الأولى من الرواية، المهمة الآن، رتبة وقاسية تنطلي المرأة والتجرد، غير أن مؤلفها وجد نفسه عني نحو غير متوقع تماماً في لحظة من لحظات لوجد والحرمات معاً يعيش نمطه الخاص من الحياة الوهمية.

ومثما كانت مشاعر الحزين الجارف إلى الماضي التي ولدتها رحلته مع أمه أذاه تمخضت عنها دويه عاصفة الأوراق فإن مشاعر بمائدة تطوي على شلده لحزن (والسنوق إلى إمكانية الحياة في الرمن الراهن) كانت الوسيلة لفصل ما يسمى ليس للعقيد من يكتابه وفي ساعده نحس، تلك الرواية التي تأخرت وتأجلت إلى ما لا نهاية. وكان مصدر الإحلام في الرواية امرأة أيضاً فالرواية التي تلور حول انعقاد من شأنها أن تعكس الوصف الدرمي الذي يبدأ عارسيا ماركيز بمعايشته مع تاتشيا، إذ تورط

في علاقة مدهشة ومثيرة ومشوبة بالعاطفة وغير متوقعة تماماً، لكن سرعان ما مشتهد بقودهما حكم المقر علاقتهما منذ بدايتها، وها هي مهددة عما قريب بمأساة. وهكذا كانت الرواية الأولى التي لا راي قيد الكتابة مربوطة، لا للمرة الأخيرة، برحلة عني قلته مخططة وحفظت في جرة الخلفي من حراة ملاس مُحلَّعة في صدق الغلاندر، في حين استحوذت عليه العفة للأساويه التي تصور حياة عقيده يتصور جوعاً وزوجته سيئة الحظ والمذكلة والمعدبة من زمن طويس، في أيار ومطلع حزيران عام 1956.

اردادت ديون المدي على عارسيا ماركيير زيادة بدعو للفرغ، لكنه صل في عرفه بالرغم من عدم تمكنه من دفع ثمن إقامته فيها، أو فوله بعدم تمكنه. وبعد مرور بضعة أسابيع، وجد هو وباشيا صعوبة حتى في تدبير طعامهما. لقد مرّ بمثل هذ الوضع من قبل في بوعوتا وفي كارتا حيا وفي براكيا. وبدا وكأنه حُكم عليه بانتصور جوعاً حتى يبرر قشيشه بمهته. ولم تتدبر أسرته من عدم مواصلة دراسة الحرفي لأنه كان يعاني الحرمان والجوع. ولم يتعب على تاتشيا أن تشكو من أنه لا ينسمل كي يعيها لأنه لم تكن هناك حدود للمعااة، لم يكن هو أصلاً مهياً لبوعتها في وقت كان يؤلف فيه روايته. فسلم نفسه إلى الأمر الواقع خاصة أن له الفرنسية لا ترل في مراحلها البدائية واطوائف بصعب الحصول عليها. عبر أن حقيقه الأمر هي أنه لم يكلف نفسه عناء البحث. فبعد أن أُنقش ثمن تذكرة العودة بالطائرة، بدأ يجمع القساي لفارعة والصحف القديمة لقاء بضعة ستييمات ثمحه إناها المخارن المحلية. ويقول إنه في بعض الأحيان استجدي عظمياً من جرّار كي تتمكن تاتشيا من طبع نسخة⁽¹⁸⁾ وفي يوم ما اضطر إلى استجداء ثمن تذكرة في قطار الأنفاق بعد أن فقد احر خمسة ساسيمات مرة أخرى - وشعر بالمللّة من رد فعل الرجل الفرنسي الذي أعطاه القود أرسل الرسائل إلى أصدفاته في كرومبيا يستدعهم مساعدة مالية، ثم وجد نفسه يسطر والأمل براوده بأخبار صية، أسوعاً بعد أسبوع، ثمما اضطر حده مرثته التقاعدي طوال تلك السير من قبله، وانتظر العفيد أيضاً في روايته الخديمة. لعل المصارفة هي التي أمدته بالنقاء.

علاقته بناتشيا لم توافها مرضة عني نحو ما. فقد حسر وظيفته بعد ثلاثة أسابيع من لقائهما، وبعد مرور شهرين حدثت كارثة أخرى: "في مساء يوم ما علمت أنني

حامل عندما كنا نمشي على امتداد شارع الشارلريزيه. حاملي شعور غريب وأدركت طبعته. وبعد أن أصبحت حاملاً، نقت أرمي الأطفال وأنطفئ الأرصيات وأنقياً من ذلك العبد، وعندما أرجع أحد أنه لم يفعل شيئاً، فأبدى بالطبخ. قال لي إنني سراًة إلى السيطرة وأطلق عليّ صفة الجحش. في غضون ذلك كان هو يكتب مقالاته وكتابه العقيد الذي كان يدور عن فعل: عن وصتنا وعن علاقتنا. قرأت الرواية كما كتبها، فأحببتها، ولكننا كنا متشاجر طوال الوقت على مدى تسعة أشهر. كانت الأمور صعبة، ومنهكة، أحداً كان يدمر الآخر. أكتأ متشاجر؟ لا، كما تنصارع حقاً.

وتذكر ناشيا. "لكنه كان أيضاً ودوداً ورؤوفاً. كان هو الرقة بعينها حكيت كل شيء. الرجال أرياء تماماً، معشنة أشياء تخص النساء، ورودته نمادة عبة لرواياته. لدي الانطباع أن غابريل م فكر له سوى ساء قليلا في حياته، بل إنه لم يعيش مع أي واحدة في ذلك الوقت على وجه التأكيد. وعلى متشاجراتنا الكثيرة كما يستمتع بأوقاتنا، تتحاذب أطراف الحديث عن الخير وكيف سيكون، وراجع الأسماء لحذر له. سمياً سمي به. وحكي لي غارسيا قصصاً لا عد لها ولا حصر، قصصاً عن طفولته وعن أسرته وعن نارايكا وعن سسدا وهلم جرا. كان ذلك مدهشاً. وقد استهواني كما اعتاد غابريل على انباء كثيراً وبخاصة أعالي الفالباتو لايسكانونا؟ مثل أعنية بيت في السماء. وعني أعالي الكوملس مثل أعية فتاتي الجميلة. كان صوته جميلاً وعلى كثرة متشاجراتنا طوال النهار لم نكن لدينا أي مشكلة في فهم أحدا الآخر ليلاً.

وتخصي قائلة:

"عالم ما كان غابريل يعني في حملات لا تنتهي في بيت هيرنان فيكو في شارع عبيغو. كان فيكو مغوياً كبيراً، ذا عيبين ررقاوين، طويل الحاجبين، جدياً جداً. كان الوحيد الذي يملك منزلاً ومالاً وسبارة من نوع أم جي سيورت وكان يعشقها كثيراً. اعتاد غابريل أن يغني ويعرف القيثارة هناك. كما كان رقصه جميلاً جداً. وكان لدينا أصلاء فرسيون يقطعون شارع شروبي قرب الهر. وفي ذلك المكان عرفنا كل أعنيات مراساس. وكان غابريل هو الذي صحني إلى مهرجان

الإسادية للحزب الشيوعي للمرة الأولى، مع لويس فيلا بوردا كما أصر. من تلك السجة، كنت لا أراة امرأة تقليدية تماماً. إذ بقيت جالسة في مكاني لا أسر بكلمة على حين استرسل الرجال في الحديث في السياسة. لم يكن لدي أي فكرة أو أفكار سياسية في تلك الأيام بالرغم من أن مشاهري كانت تقسمية، وبدأ لي عابرييل شخصاً مصسطاً ومركزاً يبعث على الإعجاب، من اساحية لسياسية على الأقل. وتولد لدي الانطباع بأنه رجل جاد ومريه وشريف وفق معيار الأخلاق السياسية. فكثرت في أنه لا تختلف احلافاً كبيراً عن أي شيوعي. أتذكر أنني قلت له ذات مرة كأنني أعرف عمًا كنت أتكلم: هناك شيوعيون أحياء وشيوعيون أشرار على ما أظن. فما كان من عابرييل إلا أن رفقي وردّ بحدة: لا يا سيدتي! هناك شيوعيون وغير شيوعيين.

"لا بد لي من الإقرار أنه كان مصصاً جداً خلال مدة الحمل وهناك شيء واحد يمكنني أن أقوله عنه. فقد كما تناقش ناعشاً مفتوحاً مسألتي عمًا أريده. أظنه كان يسعد بالحصول على الطفل. كان ينحمل كل ما اردته. أما أنا، فكنت لا أريد الطفل، وكان يعزم أي حدة بشأن الأطفال، ولهذا أدرك أنني كنت توقع من أن تسروح بي. من هذه الناحية كان قوياً وصعباً أيضاً. فتركي أفعل ما أقرره بنفسي، لكنني لا أعتقد أنه كان جرعاً مثلي. لعل الأمر لم يكن عربياً جداً أو محيراً بالنسبة إليه وهو الفادام من أميركا اللاتينية. وبالرغم من ذلك، ربما كان محووراً".

ومحصى في رويتها:

كان القرار فراري لا قراره. كنت حاملاً في الشهر الرابع أو أكثر قليلاً. وكنت بائسة. كان وقتاً رهيباً، رهيباً. ثم حدثت مريفة دموي، فاصيب باهبع، وكاد أن يسقط معشياً عني؛ عابرييل، عندما يشاهد الدماء، حسناً، أمصبت ثدية أيام في مستشفى الأمومة الملكية القرب جداً من محل سكائي. وكان عابرييل أول الآساء القادمين إلى المستشفى في أوقات الزيارة مساءً. وبعد الإجهاض، أدركنا أن كل شيء قد انتهى. هددت بالمعادرة، وأحيراً حرجت وذهبت أول الأمر إلى منزل فيكون لتمضية فترة نقاهة ثم رجعت إلى مدريد. كنت مهكة، مزعجة جداً كنت دائماً أنا المسيطرة في علاقتنا، لكن الحمل فت في عصدي. غادرت

باريس من محطته أوسترليتر في كانون الأول عام 1956 بعد أن ضمّ غابرييل مجموعته كبيرة من الأصدقاء لسفلوي إلى المحطة. كتب قد شعيت من العمل، لكنني كنت في أعماقي رقيقة سهلة الانكسار. وصلنا المحطة متأخرين وكان لا بد من رمي الأمتعة في انقطار، واضطرت إلى أن أعدو حتى استقل القطار من دون أن أتفكر من وداغ الجميع كانت معي ثماني حقائب، غير أن غابرييل كان دئماً يقول إنها ست عشرة حقيبة. تمزق القطار وأن مرتبكة، أنكي بين يدي المسدنين إلى الباحة، ثم رنوت إلى غابرييل الذي بدأ يسير مع القطار ويطرأني نظرة تبصر بالمعاطفة حتى غاب عن القطار. قد حدثني حقاً في عام 1956، ولم يستطع التحمل. لم يكن في وسعي أن أتروجه، ولم أندم على ذلك، فقد كان رجلاً لا يُعتمد عليه أبداً، ولم يكن في استطاعتي أن أُنص الأطفار في هذا العالم مثل هذا لأب. هل لأنه لا يوجد ما هو أهم من ذلك؟ ومع هذا، فقد كنت محطته عاماً لأنه تبين أنه أب رائع".

كانت ناتشيا امرأة شديدة، محظوظة، عاقدة العزم، معاصرة، حمماء أو ذكية بما يكفيها لأن تحيا حياة مستقلة تماماً قبل أن يصبح الاستقلال حقاً من حقوق المرأة برمن صويل. بالرغم من أن قصتها هي قصة إخضاع حاجاتها لمارسيا ماركيز، إلا أنه يصعب حيل أن ذلك الخيار ليس خيارها هي. كما يصعب التفكير في أن من شأنها أن تتحمل أي شيء لا تقبل به في هاية النطاق وبخاصة أنها تركت علاقة واحدة مهمة ورائحة، وهي العلاقة التي وجدت نفسها فيها مُصنّعة من أجل مهمة الأدب. بل علاقتها كانت ارساط قوياً، ثم بدأ يتكدر وتطلب الشيء الكثير حال أصبحت حاملاً، فهي إما أن تتزوج أو سهي كل شيء. كما أن هذه العلاقة لم تكن أول علاقتها الجادة، بالرغم من أنها كانت المرة الأولى التي يعيش فيها أي من الاثنين مع آخر.

ربما لم يكن عارسيا ماركيز فرحاً بمحاولات الإجهاض. فالأطفال لا يُعشون مشكلة في منطقة الساحل، كما أنه ينحدر من أسرة تنبئ فيها النساء - مثل جدته ترانكيسيا وأمه بويسا - عدداً كبيراً من الأطفال الذين يصلون بهم بصلة القرابة. لهذا لا بد من أن يكون قد اضطرب اضطراباً شديداً لموت الحبيب. ربما يكون الأمر صعباً على ميريديس إن كان له طفل من امرأة أخرى. لكن سكان أميركا اللاتينية

اعتادوا على مثل هذه الأوضاع ولا يعيروها أهمية كبيرة بخلاف الأوروبيين. أما هو العائد للزوج ميرتيديس عما قريب، فرى فكر، ثم ماذا؟ فهي لم تكن سوى طعمة عند سفره ثم ما الذي يمكن أن يتوقعه أي شخص من رجل من أمير كا اللاتينية في سس الخامسة والعشرين سوى إقامة علاقة في باريس؟ من شأن أصدقائه أن يحسب ظلم بما هو أقل من ذلك. وبو أفتت ناشيا على حياة احبوا لرعا تحلى عنها أيضاً يبدو أن اختياره ميرتيديس كان معتمداً، فهي امرأة من بيئته، امرأة تعهم تماماً مشاء وعفوه.

رحلت ناشيا. لكنه يملك روايته، رس أحداثها هو رس كتابتها، الأشهر الأخيرة من عام 1956 وموظرة بإطار أزمة قيادة السوييس التي أنفت بطلانها على أوروبا. كانت تعاصيل الحبكة مُعدة قبل رحيل ناشيا إلى مدريد. الشهر هو تشرين الأول. العميد لن يعرف له القارئ اسماً، يقطن في بلدة ماكوندو، في سس الخامسة والسبعين، يتاكل في بلدة حرية صغيرة، خامة، ضائعة في عابات كولومبيا هذا العميد ينظر مرتبه للقاعدي على مدى ستة وخمسين عاماً لقاء اشراكه في حرب الألف يوم ولا يملك غير ذلك لإعائه. لقد مر خمسة عشر عاماً منذ أن تلقى رسالة من دائرة التقاعد الحكومية، لكنه لا يراى يذهب إلى دائرة ليريد كل يوم يأمل الحصول على معلومات. وهكذا يمضي حياته منظرأ الحبر الذي لا يأتي أبداً. به ولزوجه ابن اسمه أوغسطين يعمل حياطاً اعماله السلطات في مطلع العام لأنه كان يشر دعايه سياسية سربه^(١). كان أوغسطين يرعى الزوجين العجوزين، ولما قس ترك وراءه ديكه البطل في مصارعة الديكة الذي يُقدر بمبلغ كبير من المال، لكن العقيد يتحمل الكثير من الدل والهول كي لا يضطر إلى بيع الديك الذي أصبح يمثل له ولأصدقاءه (ألفوسو وألارو وحيرمان) رمز الكرامة والمقاومة ويذكرهم بأوغسطين نفسه. أما زوجه العقيد، ذات انزعجة اعليه والمريضة ولي تحاج إلى علاج طبي، فتخاله الرأي وتحمضه مراراً وتكراراً على بيع الديك. في نهاية الروية، لا يزال العقيد يرفض ولا يترشح عن موقفه.

قال عارسا ماركيز إن الرواية تستند إلى أكثر من مصدر. أولاً، بما أنه كان يمتلك دوماً صورة بصرية كنقطة انطلاق لمؤلفاته، فقد كان يتذكر رجلاً سن له أن

راه في سوق السمك في نارانجيا منذ سنين صويلة ينتظر قارباً "لمنق صامت" (20).
 ناساً، وهذه قضية شخصية أكثر، هناك ذكرى حده الذي كان ينتظر موته
 التقاعدي عن حرب الألف يوم بالرغم من أن التجسيد المادي لذلك الحد هو والد
 رافائيل إيسكالونا الذي كان عقساً بدوره، لكنه أضد مخافة كي يلاطم بطل غارس
 ماركيز التحيل في الرواية والذي كان يعاني جوعاً شديداً (21). ثالثاً، هناك على م
 يبدو الوضع السياسي في كولومبيا يبين أحداث العنف. رابعاً، وفي ضوء الإلهام
 الفني، هناك شريط دي سيكا السينمائي "أميرتو دي"، الذي كتب به ثباتي
 ونسور أحداثه حول رجل آخر يعيش مع محووق غريب آخر (هو كسه) في مدينة
 روما في حقبة ما بعد الحرب وسط لامبالاة عامة من معاصريه. لكن الشيء الذي لم
 يصره غارسيا ماركيز فقط هو أن رواية ليس للعقيد من يكتابه كانت تستند،
 خامساً وبصورة مباشرة أكثر، إلى الأحداث المؤثرة التي كان يعيشها هو وتانشيا في
 أثناء تلك المرحلة في إطار أزمة قاة السويس السياسية (22).

في كلتا الحالتين عملت المرأة، على حدّ وضعها، أمانة وضعف رجل تعيش
 وبياه. رجل أقبح نفسه أن لديه مهمة تاريخية أهم منها. وكانت في كل حاله تعامله
 بعناية كأنه طفل صغير (الروحان العجورون فقد، ابتهما، وفي العالم الحقيقي تصاب
 تانشيا بالملل من العناية بغابرييل عندما فقدت حنيتها)، وتقوم بكل الأعباء المنزلة
 الضرورية، المادية فيها هي الصلة بالأمومة. كما تؤدي جميع الأعمال الحقيقية، في
 حين يجهد نفسه عبثاً في مشروح طوباوي لا أمل منه ولا يخرج إلى التور حيث
 السديك المصارع يمثل رمز شجاعته واستقلاله وانتصاره الأخير. كانت مقتنعة
 الاقناع كله أن كل شيء ماله السوء. أما هو فكان متفائلاً لا سبيل إلى قهره. لقد
 مرت تسعة أشهر بين موت ابن العقيد وأحداث الرواية. وعندما تخاطب الروجة
 العفيدة قائلة: "نحن أياماً ابناً"، فقد تكون هذه العبارة مرثية للعلاقة بين غارسيا
 ماركيز وتانشيا إن الديك (الرواية، كرامه الروائي الشخصية) رمز لتماهي المرء
 مع القوم الحماسة ولا يمكن للذب والحرن - الإجهاض وموت الابن - أن يخف
 وطأقماً إلا بالاستمرار في وضعهما ذكرى. قد يكون شعار غارسيا ماركيز الدائم
 هو: "السبيل الوحيد للخروج هو المضي قدماً".

إن رواية ليس للعقيد من يكاتبه هي واحدة من سنك الأعمال النثرية التي تؤدي وطبيعة الشعر على واقعيتها التي يصعب إنكارها. ويستحيل أن نمصل موضوعاتها الأساسية، كالانتظار والأمن، وشاهرة الطقس، ووظائف الجسم (ليس أهلها عملية الإبرار، أو عدم الإبرار وهو ما ينطبق على حالة العقيد سني الحظ، السياسة والفقر، الحياة والموت، العزلة والنصا من، القدر والمصير بالرغم من أن عارسيا ماركيز صرح دائماً أن الحوار ليس خير ما يميده، بل روح الدعاية المهكبة التي تصح عنها شخصياته والمسكوبة في قلب مغاير على نحو صليل لتمييز كل واحدة عن الأخرى، إنما هي من الملامح الأساسية لأعماله الناضجة. إن تلك الدعاية التي لا يرقى إليها شك والمميرة كدغابات ثيرباتس، فصل تعبيرها السهاني في هذه الرواية القصيرة المدهشة تماماً مثلما أصبح العقيد نفسه واحداً من الشخصيات التي لا نسي في رواية القرن العشرين بصرف النظر عن تصويره باقتصاب. وتبدو الفقرة الأخيرة، وهي من أشد الفقرات كمالاً في الأدب برمته، وهي مركز أولاً ثم تحرر كل الموضوعات والصور التي حشدت لتكون كلاً متكاملًا في لرواية. لقد أفنح الرحن العجور المتهك في الاستسلام للنوم، غير أن روحته البرمة التي لا تمالك نفسها تحرر بعنف وتوقظه من نومه، لأنها تريد أن تعرف كيف سيعيشان الآن بعد أن قرر نهائياً ألا يسبح الديك بل يُعذّه للعراك بدلاً من ذلك.

- ماذا سأكمل؟

استغرق الأمر خمسة وسبعين عاماً من العقيد كي يصل إلى هذه اللحظة. خمسة وسبعين عاماً من حياته، دقيقة بدقيقة. وشعر بالصفاء والوضوح والقوة في اللحظة التي ردّ فيها قائلاً: تباً! (23).

بحامر القارئ نفسه أيضاً الشعور بالارتياح، ويجد متعة جمالية غير قليلة في الاختلاف الضمني بين النهاية المخوكة حكماً جيداً والإحساس بالحرية والارتياح: ارتقاء النصير والمقاومة والتمرد. لقد استعادت الكرامة، تلك الصفة المهمة جداً عند غارسيا ماركيز.

أصبحت رواية ليس للعقيد من يكاتبه واحدة من روائع الروايات القصيرة المعترف بها عالمياً على غرار رواية الشيخ والبحر فمغواي، فهي تقترب من

الكمال تماماً من حيث تكثيف الحدث والحكمة المرسومة بعابه وحائثها المعبدة إعداداً دكاً. يقول الكاتب نفسه إن رواية ليس للعقيد من يكاتبه تنصف بكونها "موجزة ومحكمة ومباشرة وهو ما تعلمته من الصحافة"⁽²⁴⁾.

غير أن نهاية الرواية ليست نهاية الحكاية. فهناك دائماً وسيرة أخرى لسرد الحكاية. فبعد عشرين عاماً سيكتب عارسيا ماركيز رواية قصيرة عربية تثير الاصطراب بعنوان أثر دمك على الفلج. ربما يمكن أن يطلق عليها رواية ليس للعقيد من يكاتبه: بعد التفتيح والتصحيح. فإذا كانت الرواية الأولى تمثل رؤيته للقضية في ذلك الزمان، وهي قضية التبرير الذي لا يرقى إليه شك، فإن الرواية الثانية تمثل بالوضوح نفسه بقداً ذاتياً وتبرئة متأخرة لساحة تانثيا أتراف غير رأيها، أم أنه يحاول اسرعاء عشيقتة السابقة بعد كل تلك لسياس في الرواية الثانية بمسافر روجان كولومبيان شابلان إلى مدريد لعضية شهر الفصل ثم يعرجان على باريس. وفيما هما يعدران العاصمة الإسبانية تتقوى المرأة الشابة نينا داكوتني باقة رهور حمراء وتوحز إصبعها الذي يظل يزف على امتداد الطريق إلى باريس، ونشير في إحدى المرات قائلة: "تصور أثر دم على الفلج على امتداد الطريق من مدريد إلى باريس. ألا تشكل هذه أغنية حميمة؟". لا بد من أن مؤلف الرواية تذكر أن تانثيا بعد أن قدمت كمية كبيرة من دمها سافرت في الاتجاه المعاكس من باريس إلى مدريد أواسط فصل الشتاء. أهذا تطهير؟ عندما يصل الزوجان الشابان، في الرواية، إلى مدينة باريس، تدخل نينا، التي تنكس الفرنسية بطلاقة وهي حامل في شهرها الثاني، المستشفى - "المستشفى العسيع والكتيب" في الشارع المتفرع من شارع ديمري، روشيرو - نفسه الذي عولجت فيه تانثيا من انزيف الدموي عام 1956، حيث كان يمكنها أن تموت، وحيث توفي حبسها الذي لم يكتمل بعد. أما روح نينا غير المتعلم، يلي سانشيث دي آيلا الذي لم يفارق كولومبيا قبل هذه الرحلة إلى أوروبا والذي يرقص على التلوح بالريسة مثلما رقص عارسيا ماركيز أول مرة عندما شاهدها، فإنه ينسج عجزه التام عن التعامل مع هذه المرأة في مدينة باريس الباردة والمعادية. وهكذا تموت نينا في المستشفى من دون أن يراها مرة أخرى⁽²⁵⁾.

ورحلت تاتشيا. ونخلول فترة الميلاد رجع غارسيا ماركير إلى فندق الفلاندر ليقيم فيه إقامة دائمة وذلك في أواخر ما يسميه لاحقاً "ذلك الحريف المكهر" من عام 1956⁽²⁶⁾ ولامه جميع أصدقائه بسبب مشكلات تاتشيا ورحيمه الدرامي. غير أن غارسيا ماركير أشرف على المراحل الأخيرة من روايته وعشر على وسيله برر بها ما حدث، لنفسه على الأقل (وعدّ القصص أنها تمس شرفه، ولذلك لا سعي له أن يتحدث إلى الآخرين عن مشكلاته الشخصية) أن ما من شيء يقف في طريقه. وما بقاء الدبك على قيد الحياة في نهاية الرواية إلا بقاء الرواية نفسها بالرغم من وجود امرأة متاكدة ولم يفرغ منها إلا بعد بضعة أسابيع على رحيل تاتشيا إلى مدريد، ويؤرخها بالتاريخ "كانون الثاني 1957". لم يولد طفل، لكن الرواية ولدت. وذكر تاتشيا أنه محضوط إذا بهيها في ظل مثل تلك الظروف التي مرّ بها خلال أشهر. لكن يصعب علينا أن نوافق على أن الحصد أدى دوراً هماً.

لم تعد هناك الآن تاتشيا كي تشتري الطعام وسارم على الأسعار وتطبخ وجبات رخيصة الثمن. كان غارسيا ماركير ينجأ إلى الأشياء رخيصة الثمن لتأمين حاجاته شأنه شأن العقيد في الصفحة الأولى من الرواية. ويقول صديقه حوسبه فوت كاسترو إنه أمضى أسبوعاً في غرفته العليا المتحددة متوارباً عن أظفار إدارة الفندق بلا طعام، وكان شرايه الوحيد هو الماء من صصور المعسلة ويتذكر أخوه عوستافو: "أتذكر أن عابيتو أسرّ في أذي ونحن نتناول اشرباً في بارانكيا فائلاً: الكل أصدقائي منذ رواية مئة عام من العزلة، لكن ما من أحد يدري كم كلمتني للوصول إلى هناك. لا أحد يدري أن الأمور وصلت بي حدّاً جعلني أتناول اطعام من انمامة في باريس. في يوم ما حضرت حفلة في بيت أحد الأصدقاء الذين ساعدوني قليلاً، وبعد انقضاء الحفلة طلبت مني سيّدة البيت أن أربل القمامة وأن أصعها حرج البيت في الشارع. كنت أتصور من شدة الجوع، فأحدث ما تمكنت من أخذه من تلك القمامة وأكلته"⁽²⁷⁾.

من نواحٍ أخرى، كان غارسيا ماركير مهتكمّاً أيضاً. وشعر بعض الأصدقاء بالاعتراض بسبب ما عدّوه إهماله لتاتشيا وعاملوه لذلك معاملة أقل كرمّاً وأخص إحساناً. حصل على مهمة معيّنة في الأسكالي، وهو نادٍ ليلي أميركي لانتحي كان قد

أمضى فيه أيامه مع نانسي التي عثرت لها بدورها على عمل فيه قبل ذلك مملة. لم يكن يعي أعالي العالساتو من الأعالي المكسكة التي يؤدها ثنائي عائي وذلك برفقة الرسام والحات الصزويلي جيسوس رافايل سوتو، وهو أحد رواد الفن الحركي. وكان يحصل على دولار عن كل لسة (أي ما يعادل ثمانية دولارات تقريباً في سنة 2008) وكان يتسكع في أرجاء المنطقة، وحاول أن يستأف لكتابة في ردية في ساعه محس، لكنه اكتشف أنها لم تعد تستجود عنه بعد الأشهر التي أمضاها برفقة العميد العجور وكان أصدفاء باراكبا في مطعم الكهف قد شكوا ما أسجوه الأصدقاء لمساعدة عابسو، واشتروا ورقة من فئة المئة دولار والنقو في مكتبة رومبو وفكروا في أفضل طريقة يرسلون فيها النقود إلى صديقهم. وأشار عليهم حورحه رومبو بالهجو إلى تجرعه في الحرب الشيوعي حيث تعلم رسام رسائل سرية داخل الطافات البريدية. فما كان من أصدفائه إلا أن فعوا ما أشار إليه وأرسلو رسالة أوصحوا فيها في انوف بعنه الخيلة التي جأوا إليها. وصلت البطاقة البريدية فل وصول لرسالة، فما كان من عارسيا ماركير إلا أن يهف "أندال" لأنه كان يريد ما هو أكثر من السيات ورمي البطاقة في سلة لقسامة. وبعد ظهر اليوم بعنه وصلت الرسالة التوصيحية وكان سعيد الخط إذ تمكن من اساعدة الطاقة البريدية بعد أن طل بحث عنها في نهايات المندق²⁸. لكن لم يجد طريقة يصرف بها النقود. ويستذكر المصور عيرمو أنحولو الذي كان موجوداً في روما يومئذ يسلح عن عارسيا ماركير. "هاك شخص ما أحبره عن صديقه قدعى لا يود وصلت توأ من روما بعد أن حصلت على مرتبها ولا بد من أنها تملك مبلغاً كبيراً من المال فذهب لزيارتها - وكان متدثراً بشكل جيد بعد أن حل فصل الشتاء - ففتحت له المرأة الباب، فاستقبله تبار من هواء دافئ يسعث من عرفة دفعة كانت المرأة عارية. لم يكن حيلة، لكنها كانت ذات قوام هائل، تجرد من ثيابها دون أي سب. ثم جلست - وعنى حدّ تعبير عابو، فإن أكثر ما ألفت هو أنها ظلت على حالها كأنها مرتدية ثيابها كاملة - ووصفت ساقاً فوق ساق وبدأت تتحدث عن كولومبيا والكونوميين الذين تعرفهم. بدأ عارسيا ماركير يحكي ما عن مشكله فأومأ إليه برأسها وسارت إلى الجهة الأخرى من الغرفة حيث توجد علبة نقود

صغيرة، وأدرك أنها كانت تريد معاشرته، لكنه كان يريد أن يأكل لهذا انصرف لتناول الطعام وكل بشره حتى عانى من عسر الهضم أسوأ كمالاً⁽²⁹⁾.

علا ريب فيه أن هذه الحكاية القديمة اكتسبت الشيء الكثير من حلال سردها مراراً. فقد أحدثت هذه المرأة نصها في ما بعد نسخة من روايه ليس لتعقيد من يكاتيه إلى روما وسلمها إلى أخويها لقرأها. وبالرغم من حصاة أخولو بكر يبدو أنها أقامت وغارسيا ماركيز علاقة غرامية قصيرة الأمد بعد رجوع نانسيا إلى مدريد. شيء حسن لأننا المنعطوية بلا ريب.

بد أن الحقيقة نطل قائمه وهي أن غارسيا ماركيز عاش في باريس ثمانية عشر شهراً على شئ التذكرة الذي استماده وعلى صدقات متقطعة من أصدقائه وبعض المدخرات المشحبة التي كانت بحوزته. ولم تكن لديه أي وسيلة للرجوع إلى كولومبيا. ومع هذا فقد تعم التكلم بالفرنسيه، وعرف باريس معرفه حسنة وأصبح لديه مخلف الأصدقاء والمعارف من فيهم فرنسي أو فرنسيين، ومن بضعة أقطار في أميركا اللاتينية وعدد من العرب. الحق غالباً ما كان يسود الاعتقاد أن غارسيا ماركيز عربي - والحقيقة لم تكن حقبة أومة فاه السويس وحسب، بل كانت حقبة حرب الجزائر أيضاً - وفي أكثر من مناسبة اعقلته الشرطة كجزء من حملاتها الأمنية الاعتيادية:

في ليلة ما، كنت أغادر دار العرض السينمائي، فواقفتي دورية من رجال الشرطة في الشارع وبصق أفرادها في وجهي وأوسعوني ضرباً وهم يلقون بي في عربة مصفحة. كانت العربة مملوءة بحزائريين لاخو بالصفحت ألقى القبض عليهم وأوسعوا ضرباً وبصق لي وجوههم في المقاهي المحلية. وظل هؤلاء الجزائريون، مثلما ظل رجال الشرطة الذي قبضوا عليّ، أنني جزائري. وهكذا أمضينا الليلة معاً بعد أن حشرتنا الشرطة مثل سمك السردين في زبانة في أقرب مركز للشرطة، في حين تجاذب رجال الشرطة الحديث عن أولادهم وأكلوا الحز الممس بالشرب الفرنسي وكفي بيمظهم بقيت أنا والجزائريين يقظين طوال الليل نضدو بأغنيات براسانس ضد انتهاكات قوى الأمن ونظام وغنائها⁽³⁰⁾.

وفي أثناء ذلك انبثت اتحاد غاربا ماركيز صديقاً جديداً له داخل السجن وهو أحمد طبال، وكان هذا طبعاً شرح لغارسيا ماركيز وجهة النظر الجزائرية عن

الصراع، وجعله أيضاً يشترك في بعض الشائعات العسكرية بالإجابة عن القصص
المرثوية⁽³¹⁾. لكن أمور عارسيا ماركيز الاقتصادية سارت من سيئ إلى أسوأ. وفي
ليلة مكهفزة شاهد رجلاً يعبر جسر سان ميشيل

لم أقدر تقديراً كاملاً الوضع الذي كنت فيه إلى أن حلت ليلة وجدت نفسي
فيها قرب حدائق اللوكسمبورغ من دون أن أكون قد أكلت ولو حبة
كستناء واحدة طوال النهار ولا وجدت مكاناً أجمع فيه. ولما أنا أعب
جسر سان ميشيل شعرت أنني لسب وحيداً وسط ذلك الضباب لأنني كنت
أستطيع أن أسمع بوضوح صوت وقع قدمي شخص ما يقترب مني من الانحناء
المعكس. ورأيت ملاحاً في الضباب على الرصيف نفسه، ويسير بالسرعة
نفسها التي كنت أسير بها. وشاهدت أيضاً سترته التارتان بربعاتها السوداء
والحمراء. وفي اللحظة التي مر بها أحدنا بالآخر في منتصف الجسر، شاهدت
شعره الأشعث، وشاربه التركي، وتلك الملامح الدالة على جوع يومي وليالٍ
مؤرقة، وشاهدت عينيه وهما تفيضان دمعاً، فتحمد الدم في عروفي لأن
الرجل بدا مثلي تماماً⁽³²⁾.

بمسحوت عرس ماركيز عن تلك الأيام بعد مرور سواب فيقول "أعرف
جيداً معنى انتظار الرسائل ومعنى الجوع ومعنى الاستعداد: هكذا ألغيت رواية ليس
للعقيد من يكاوته في باريس. إنه أنا إلى حد ما، شس بي⁽³³⁾.

في تلك الأيام تقريباً، حل هيرود فيكو معظم مشكلات عارسيا ماركيز المالية
إذ كان وضعه المالي مختلفاً تماماً، وكان هو الذي أوى ناتشا في بته إثر إجهادها.
فاقرصه المئة والعشرين ألف فرانك التي كان يحتاج إليها ليدفع لندام لأكروا أجرة
سامه في فندق الفلاندر. وفي ليلة ما، وكان عائداً من حفلة ثلاً، وإن لم يكن عسجراً
تماماً، أحمره فيكو أنهما بحاجة إلى «صراحة»، وسأله عما للصدق في دمه من دس،
غير أن عارسيا ماركيز رفض الخوص في هذا الموضوع. وكان أحد الأسباب التي
دعوت الناس غالباً إلى مد يد العون له في أيام شبابه أنهم كانوا يرون أنه لا يرتي
حاله. ولا يطلب مساعده مهما كانت ظروفه سيئة. وفي نهاية الأمر، وبعد مشهد
مسرحي، لوّح فيكو بقلم حبر وحرر شبكاً على سقف سيارة مركونة في موقف
السيارات وحشره في جيب سرة صديقه. كان الملح يوارى ثلاثئة دولار، وهو
ملغ كبير في تلك الأيام، فشرع عارسيا ماركيز بشعور العرفان له والذل بعمره⁽³⁴⁾.

ولما أخذ لفرد إلى مدام لأكروا، تلحمت واحمر وجهها حرجاً - هذه هي باريس بالرغم من كل شيء، مأوى البوهيمية والفنانين المكافحين من أجل العيش - "لا، لا يا مسيو. هذا المبلغ كبير جداً. لماذا لا تدفع لي قسماً الآن وتدفع القسم الآخر في وقت لاحق؟".

لقد تمكن من اجتياز فصل الشتاء، وهو ليس والد لأي طفل، وم يقع في فتح سيرته^(*). كانت ميرثيديس لا تزال تنتظره في كوبوميا. وفي يوم مشرق في مطلع العام 1957 لمح معشوق أرمست ممنعواي يسير برفقه زوجته ماري ويلش على امتداد شارع سان ميشيل باتجاه حدائق اللوكسمبورج. كان يرتدي بصلاً قديماً من الخيبر وقميص قاطع أحشاب وقبعة بيسبول كان عارسيا ماركير هيباً لا يستطيع الاقتراب منه، متمعلاً لا تقوى على فعل أي شيء. ولكنه هتف من اجاب الآخر من الطريق: "أيها الأستاذ"، فما كان من الأديب لعظيم، الذي ألهمت روايته عس الشبح والحر واسمكة الكبيرة إلى حد كبير رواية الشاب المكتملة حديثاً عس الرجل العجوز والتقاعد الحكومي والديك المصارع، إلا أن رفع يده وهتف بحمياً بصوت صبياني إلى حد ما: "وداعاً يا صديقي!"⁽³⁵⁾.

* * *

-11-

ما وراء الستار الحديدي: أوروبا الشرقية إبّان الحرب الباردة 1957

عدد بلييو ميندوتا وأخيه سوينده إلى باريس في مطلع أيار عام 1957 يجد صديقه سد هراً وأكثر خولاً ووردة من ذي قبل. "كسره الصوفية متقوية عدد اسرفيت أثناء يتسرب من نعل حدائه إلى قدمه في أثناء سيره في الشوارع، عظام وجنيه في وجهه العربي نردة على أوضح ما يكون".¹ غير أن ميندوتا سرّاً سروراً كثيراً لتقدم اندي أحرره صديقه في تعزم للعبة العرسية ولمعرفته الممتارة بأرجاء المدينة ومشكلاتها. وفي الحادي عشر من أيار، كانا قد جمعا لسول اشترات في مقهى "الفردان" عندما سمعا خبر الإصاحة بروحاس بستا وخروجه من اسلاد للعيش في المنفى وذلك بعد عشرة أيام فقط من إدائه الكيه لكان يكية انكولومسية لسه، واستولت على مفاليد الحكم طعمة عسكرية مؤلعه من حسه عسكريين. ولم يشعر أي من الصديقين بالتفاؤل حيال ما قد تقول إليه لأمر مسقلاً

كان لعارسيا ماركيز وميندوتا انتماءات وأوهام يسارية، وكانا يتطلعان إلى زيارة أوروبا الشرقية وخاصة في ضوء التعاريف المتصارعة بين النسب الأخيرة التي بدأت بإدانة خروتشوف لساين وسبب بضعة بسبب العرو السوفياتي شعاريا. قرر الصديقان البدء بزيارة لايرع حيث كان لويس ستار بورد يعيش في المنفى منذ ستة تمحه طلابية. وقد أن ميندوتا كان يشعل في تلك الفترة، فقد انسرى ساره من طرار ريو 4 لتمضية فصل الصيف، وفي الخامس من شهر حزيران عاد الأسارة

بعد أن صحب سوليداد المتدفقه حيوية ومشاطاً وغارسيا ماركير المكتسب على امتداد الطرقات الألمانية السريعة بسرعة خمسة وستين ميلاً في اساعة مبتدئاً هايدلبرغ وفرانكفورت⁽²⁾ ومن فرانكفورت انطلقوا صوب ألمانيا الشرقية وكانت مقالة غارسيا ماركير الأولى عن هذه البلاد والتي انتظر مده طويلة قبل أن يراها منشورة تبين أن السار الحديدي هو في حقيقة الأمر عوارض خشبية باللورين الأحمر والأبيض. وقد صُدم الأصدقاء الثلاثة بالأوضاع على الحدود وبالتراب المرته وباجهل المطلق الذي كان عليه حرس الحدود الذين وجدوا صعوبة في كتابة اسم مسقط رأس غارسيا ماركير ثم قادت سوليداد السيارة ليلاً باتجاه مدينة هاندر، توقفوا بعدها لتناول طعام الغطور في أحد المطاعم الحكومية وتولاهم الفرع بما رأوا. يذكر مبدئياً أن غارسيا ماركير تعاب وعطى عند خروجه من السيارة وقال له.

- أصبح إليّ أيها الأستاذ عيباً أن نكتشف كل شيء عنها.

- عن أي شيء؟

- عن الاشتراكية.

تذكر غارسيا ماركير أن المحارفة بدخول ذلك المطعم المنعقر إلى الجاذبية كانت أشبه "بالاصطدام رأساً على عقب بواقع لم أكن مسعداً له"⁽³⁾. فقد جلس في المطعم رهاء مئة ألماني يأكلون طعام القصور المكون من شرائح اللحم والبيض التي تليق بالملوك والملكات، بالرغم من أنهم كانوا مهزومين وباقمين وبدوا كأنهم شحادون مهانون. ووصل الكولومبيون الثلاثة في وقت متأخر من تلك الليلة إلى مدينة هانمر ومنها توجهوا في صباح اليوم التالي لزيارة معسكر الاعتقال القريب في قرية بوكفالت. ويلاحظ غارسيا ماركير بعد مرور سنوات أنه لم يستطع أن يوفق بين حقيقة معسكرات الموت وشخصية الشعب الأدي الذي وجدته شعباً حس الوفاة كالإسبان وكرماً كالسوفييت⁽⁴⁾.

واصل الأصدقاء الثلاثة سفرهم إلى لايرغ التي دكرت غارسيا ماركير بأحياء بوغوتا الخسنة التي لم تكن بأفضل الأحياء. كل شيء في مدسة لايرغ رث قبض الصور. وقال: "كنا نحن الثلاثة يباطين اجينز الرقواء والقمصان ذات الأكمام القصيرة وعللوا الغبار العالق من الطريق السريع، العلامة الوحيدة على

الديمقراطية⁽⁵⁾. لم يكن في تلك المرحلة متأكداً، أترأه يوجه اللوم إلى الاشتراكية نفسها أم إلى الاحتلال الروسي.

يوضح غارسيا ماركيز في المقالة التي كتبها عن المدينة أنه سبي هو وهرانكو (بليسيو ميندوتا) أن لايرع نضم في جيباتها الجامعة التي درس فيها ماركس ولينين حيث التقيا طلاب أميركا اللاتينية وناقشا معهم الوضع المناقشة واقعية⁽⁶⁾. وكان هذا هو السبب الذي دفع الثلاثة لزيارة المدينة. إنها مدينة بيئار بوردا الذي أشار إليه غارسيا ماركيز حمية في مقالته على أنه شيوعي من تشيلي يدعى سرجيو، يبلغ الثانية والثلاثين من عمره، منفي من بلاده منذ ستين ويدرس الاقتصاد السياسي. كان بيئار بوردا يعيش في المنفى - بعيداً عن كولومبيا - لارتباطه الوثيق بالشيوعية الشيوعية في بوغوتا، وتمكن من الحصول على منحة للدراسة في المدينة لأدب الشرق⁽⁷⁾. وزار غارسيا ماركيز في حجرة تانسيا في شارع أساس لدى عودته إلى باريس لتحديد تأشيرة جوار سفره، وكانت "الاشتراكية المطقة عملياً" موضوع نقاشهما الرئيس. أخبرني بيئار بوردا عام 1998 قائلاً: "كتب أنا وعابو نحمل الأفكار بسها عن الطام الشيوعي، وكما نريد شيئاً واحداً تقريباً: اشتراكية إنسانية وديمقراطية". ويمضي غارسيا ماركيز شطراً كبيراً من حياته محاطاً برملاء سفر وشيوعيين وفي أغلب الأحيان - بشيوعيين سابقين. ومن بين هؤلاء الآخرين شيوعيون دعموا على شيوعيتهم ولكنهم طُلوا يساريين، وهناك شيوعيون سابقون ساحتون على الشيوعية ارتدوا على أعقابهم إلى اليمين. ويستنتج غارسيا ماركيز على مصص أن الاشتراكية الديمقراطية معضلة على الشيوعيين، عملاً على الأقل⁽⁸⁾. صاحب بيئار بوردا الأصدقاء إلى ملهى حكومي تبدو عليه كن مظاهر المانحور، وفيه عدادات على أبواب المراحض وريائن لعب الشرب برؤوسهم وذكرور وإنات يتطارحون العرام. وكتب غارسيا ماركيز: "لم يكن المكان ملحوراً، لأن البقاء محظور يُعاقب عليه عقاباً شديداً في الأفطار الاشتراكية. المكان هو منشأة حكومية. لكنه من وجهة النظر الاجتماعية بنا أسوأ من ماحور"⁽⁹⁾. قرر غارسيا ماركيز وميندوتا أن يطاردا النساء في الشوارع. وأصرّ طلاب أميركا اللاتينية ومعهم الشيوعيون المتمرعون أن النظام المعروض على ألمانيا الشرقية ليس اشتراكياً. لقد قضى

هتلر على كل الشيوعيين الحقيين، وكان الفادة المخلبون تابعين بيروقراطيين بفرصون ما يسمى بالثورة "المعلقة القادمة من الاتحاد السوفياتي" من دون استشارة الشعب. وعلّق غارسيا ماركيز بالقول: "بني أعتقد أن الحساسية الإنسانية مفقودة أساساً، وأن الفسق بشأن الجماهير يجعل الفرد لا مرنياً، وإن هذا الشيء الذي يطبق على الألمان يطبق أيضاً على اجود الروس لقد اعترض سكان فليما على حراسه اجود ببنادقهم الآلية محطة سكة الحديد، لكن ما من أحد يعير أهمية للحديدي البائس". وطلب غارسيا ماركيز وميدوثا من صديقهما بيّار بوردا إخراجهما من تعاستهم بإيجاد تفسير ديالكتيكي للوضع في ألمانيا الشرقية. ولما كان بيّار بوردا اشتراكياً ملتزماً طوال حياته، فقد بدأ يتكلم ثم، توقف أحياناً وقفة قصيرة وقال: "إنها كومة براز"

كان رد فعل غارسيا ماركيز على ألمانيا الشرقية عموماً رداً سلبياً تاماً. كانت عواطفه متصاربة إبان الفترة التي أمضاها في برلين الغربية حيث كان الأميركيون يهدمون ويعيدون البناء بحماسة أكبر من المعتاد كي يجعلوا السوفييات يبدون في وضع سيئ.

تركبني صليبي الأولى بالعملية الرأسمالية العملاقة داخل نطاق المنظومة الاشتراكية في حالة خواء لمن وراء تلك العملية الجراحية بدأ شيء ما بالظهور وكان يماقص ما هو موجود في أوروبا... مدينة متألقة ومعقدة تبدو جديدة أكثر مما ينبغي. . إن برلين الغربية وكالة دعابة ورأسمالية هائلة⁽¹⁰⁾

من المعركة أن تلك الدعاية أثرت في غارسيا ماركيز تأثيراً شديداً مثلما أثرت في وصفه لبرلين الشرقية وهو الوصف الذي كان يطوي على غمر من الوهم: "في الليل، وفي حين كانت الإعلانات الضوئية تعمر برلين الغربية بالألوان، فإن اللحم الأحمر وحده هو الذي كان يضيء فوق الحجاب الشرقي، مما يتلاءم مع الواقع الاقتصادي للبلاد. ناستاء شارع ستالين"⁽¹¹⁾ لقد شقّ شارع ستالين وبذلت فيه جهود جسارة، لكنه كان مقرفاً. وتوقع غارسيا ماركيز أن تعدو برلين في غضون خمسين أو مئة عام بعد أن يسود فيها أحد النظامين مدينة واحدة مترامية الأطراف، ومعرضاً تجارياً مشوهاً يقام على العييات الحرة التي يقدمها النظامان⁽¹²⁾.

وفي صوء التوتر السياسي والتنافس بين الشرق والغرب، استنتج بأن برلين فضاء إنساني مفرغ، يصعب سر غوره، ويجذر توقعه به، لا شيء فيه يبدو على ما هو عليه، كل شيء معرض للاستعلال، وكل فرد مشارك في لتصيل اليومي، وما من أحد يحلّي بصميم صاف.

بعد مرور بضعة أيام، عادر الأصدقاء برلين وعادوا إلى باريس بأسرع ما يستطيعون. ثم سافرت سولداد مسدوثا إلى إسبانيا وفكر الرجال في ما يعلن بعد ذلك⁽¹³⁾. لعل انطباعاتهما كانت متسعة أكثر مما ينبغي، لعل الأمور أفضل في أقطار أخرى. وبعد بضعة أسابيع اقترح أصدقاء يقيمون في لايرغ وبرلين ويخططون للسفر للمشاركة في مؤتمر الشيبة العالمي السادس في موسكو أن يسافر غارميا ماركير ومسدوثا معهم أيضاً. إلا أن غارميا ماركير كان قد حاول قبل ذلك الحصول على تأشيرة سفر من روما إلى موسكو لكن طلبه رفض أربع مرات لأنه لم تكن له كعالة رسمية. ولكنه وبصرته حط أصبح الآن في باريس مرتطاً مرة أخرى بطلسمه مانويل ثاباتا أوليغيا. كان ثاباتا يرافق نخته ديبيا الأخيرة في اعولكنور الشعبي الكولومبي والممارسة له، وكانت ترافق مدورها هرقة تتألف أساساً من الكولومبيين السود من النيكوي ومايالي إلى مهرجان موسكو⁽¹⁴⁾. كان غارميا ماركير معنياً وعازف قيثارة وطالاً لا يرقى إليه شك، فما كان منه ومن مسدوثا إلا أن سجلتا اسميهما بالمرقة ثم سافرا إلى برلين بعد ذلك للانضمام إلى بقية أفراد العرفة. وفي برلين يلتقي الاثنان بكولومبيين آخرين غارمير على السفر لحضور المهرجان وكان من بينهم هيرمان فيكو ولويس بيثار بوردا.

ظل غارميا ماركير حتى اللحظة الأخيرة لا يدري إن كان يستطيع الذهاب. فأرسل رسالة مؤثره إلى مدريد ليعبر تاتشبا، التي عاود الاتصال بها، أن سولداد مسدوثا سيسافر جواً بعد بضعة أيام وأنه سيسافر هو الآخر إما إلى موسكو "قبل حلول منتصف ليله هذا اليوم" أو إلى لندن حيث سيكون كتابة روايته في ساعة لحس قبل أن يغمر راجعاً إلى كولومبيا، وسيتقي سولداد في مقهى مابون في وقت متأخر من ذلك اليوم (بما لا ريب فيه أن الإشارة إلى مابون، حيث تحدثنا للمرة الأولى، كانت تهدف إلى حرج مشاعر عشيقته السابقة، شأنها شأن معظم الرسالة

اللامبالية على ما يتضح). أما بخصوص كتابه ليس للعقيد من يكتابه فأشار: "لقد فقدت اهتمامي به بعد أن أصبح النطل واقعاً على قدميه ويسير وحده، وأصبح بإمكانه التكلم وأكل القادورات" كان في واقع الأمر قادراً على أن يفقد الاهتمام بالرواية لأهـ اكملت. وقال إنه يُقابل شقيقة تاتشبا الصعري باث من حين إلى حين. مبدئاً ما يوحي إلى وجود علاقة له مع الأخوات كوينانا الثلاث أخيراً، وبعد أن قال إنه مفتط لمغادرته "هذه المدينة الحرة المستوحدة" أوصح بمحارة (أو بظاهر): "إن كل ما أتمناه هو أن تدركي أن الحياة شاقة وستكون شاقه دائماً، دائماً، دائماً. وربما تتوقف يوماً ما عن احتراع نظريات الحب وتدركن أن عليك أن تعوي الرحل إذا ما أعواك هو ليكون ذلك ردك على إغوائه بدلاً من أن تطبي مه كل يوم أن يحك أكثر. لماركسة سم يدل على هذا الشيء لكبي لا أنذكره الآن" (١٦).

كانت الرحلة بالقطار من برلين إلى براغ كابوساً استغرق ثلاثين ساعة اصصر خلالها عارسيا ماركير ومسلوثا وصديق مسدوثا الكولومسي باللو سولانو إلى النوم وقروفاً خارج مرحاض، واستند رأس كل واحد منهم إلى كتف الآخر. ثم أمصوا أربعاً وعشرين ساعة في براغ ليعودوا إلى رشدهم، وتمكن عارسيا ماركير من تحديث انطباعاته التي كانت قد تولدت لديه قبل ستين. كانت الرحلة التالية أسهل من سابقتها وانتهاه براتيسلافا، ثم إلى تشوب الواقعة عند بقعة النقاء سلوفاكيا وهنغاريا وأوكرانيا، ومنها إلى كييف وموسكو^(١٦). وذهل غارسا ماركير من مساحة بد تولستوي الشاسعة: في اليوم الثاني الذي أمضوه في الاتحاد السوفياتي لم يَكُوسوا قد دحموا أو كرايا بعد^(١٧). وعلى مدار الطريق كله كان الأوكرانيون ولروس الاعتباريون يرمون الزهور على القطار ويهدمون الهدايا حينما توقف، إذ نادراً ما شاهد هؤلاء المس الأحاب على مدى نصف قرن الماضي. وتحدث غارسا ماركير إلى الإنسان، الذين أُحلبوا أطفالاً خلال الحرب الأهلية، وحاولوا العودة إلى إسبانيا في ضوء الصعوبات الموجودة في اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية، ولكنهم يعودون إلى موسكو الآن. وهذا واحد منهم "لـ معهم كيف يسع أي شخص العيش في ظل نظام فرانكو، ولكنه معهم من جهة

أخرى كيف يصيق الناس العيش في حل نظام ستالين". ومع هذا، فقد شعر عارسي ماركس بحية أمل وهو يشير إلى أن إداعة موسكو كانت الخطوة الوحيدة المتوقعة في القطار. وبعد ثلاثة أيام تقريباً من السفر وصلوا موسكو صباحاً بحود العاشر من تموز بعد أسبوع واحد من سقوط مولوتوف إثر هزيمته أمام حرووشوف⁽¹⁸⁾. وكان انطباع عارسي ماركس الأول والأخير عن موسكو هو أنها "أكبر قرية في العالم". وقد وصلها الآن اثنا وتسعون ألف زائر وخمسون ألف أحشي تقريباً لخصوص المهرجان. وكان معظم القادمين من أميركا اللاتينية، بعضهم طبقت شهرتهم الآفاق مثل نابو بيرودا، والبعض الآخر من النشأن الذين سيؤثرون تأثيراً كبيراً في بلادهم مثل كارلوس فونسيكا رعيم السافنديستا اليكاراغويي أو حتى غابريل عارسي ماركس نفسه. كانت الجهة المنظمة للمهرجان تعمل على مدر الساعة، ومكر هو وحرون غيره، فله وبعده، في كيفية تمكّن النظام السوفياني من تنظيم مثل هذا الحدث أو إطلاق سوتك بعد ثلاثة أشهر لتدور في مدار حول الأرض في الوقت الذي يعش في فشلاً دريعاً في منح أبناء شعبه مسوى معقولاً من المعيشة أو يتج نياباً وبصالح استهلاكية أخرى جذابة إلى حدّ ما⁽¹⁹⁾.

عبر أن عارسي ماركس وميلوتا ورفاقهما الجدد سرعان ما تركوا مهرجان الشبية وأمصوا أسوعين في استكشاف موسكو وستالينراد. ثمة صورة مجموعة الأصدقاء في الساحة الحمراء يبدو فيها عارسي ماركس، كعنه عالياً، نعلماً، جائناً أمام الآخرين، بكل وصوح حتى في تلك الصورة غير الواضحة بالأسود والأبيض في خمسينات القرن العشرين. يبيض حيوة، لا رعية يديه تقريباً في الهوض ومواضة النشاط في الملحظة التي سمع فيها صوت آلة التصوير وهي لتقط الصورة واعترف في ممالته يومئذ أنه بعد مرور أسوعين وبسبب عدم ثكته من البعة الروسية "لم يستطع اتوصل إلى أي نتائج واضحة"⁽²⁰⁾. كانت موسكو في أجي حلة وأجر سلوك، وقد عارسي ماركس معلقاً: "لم أرع في مشاهدة الاتحاد السوفياني وقد اكسي حلة هية من أحل استقبال رواره. لدول مثل النساء، وعلى المرء أن يراه عندما يستيقظ، دا ما أراد معرفته". وحاول استارة مضيقه ("هل كان ستالين مجرمًا؟"). وعندما سأل إذا كانت موسكو تغلو من الكلاب لأن الناس التهموها

كلها، فيل له: "هذا افتراء الصحافة الرأسمالية"⁽²¹⁾. لعل أكثر الأحاديث المصممة بالإشرافات هو ذلك الحديث الذي جرى بينه وبين امرأة عجوز كانت الوحيدة التي تحرّأت على الحديث معه عن ستالين في موسكو بالرغم من أن ستالين داه عروتشوف في شباط عام 1956. قالت له العجوز إنها ليست ماضضة للشيوعية مبدئياً، لكن نظام ستالين كان وحشياً وأن ستالين كان "الشخص الأكثر تعطشاً إلى الدماء وبشاعة وطموحاً على امتداد تاريخ روسيا". وأخبرت غارسيا ماركيز بأحداث عام 1957 التي استمرت سنوات عدة لتظهر إلى الأضواء. فخلص ماركيز إلى القول: "ما من سب يدفع للاعتقاد أن المرأة بحومة سوى أنها بدت هكذا"⁽²²⁾. بكلمات أدق، خامره شعور بأن ذلك صحيح لكنه لم يكن بملك دليلاً ولا رغبة في تصديقه.

بدل غارسيا ماركيز محاولات عدة لزيارة ستالين وليون. ووفق في الحصول على الإذن بالدخول في اليوم التاسع. وقال إن السوفيات منعوا كافكا لأنه "ميتافيزيقي حيث"، وكان في وسعه أن يكون أفضل من يكتب سيرة ستالين. إن معظم الناس في اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية لم يقع نظرهم على رعيمهم فقط. وقد ارتاب بعض الناس في حقيقة وجوده بالرغم من أن ما من ورقة على أي شجرة كانت نستطيع أن تتحرك إلا بإذنه. وهكذا، فإن مؤلفات كافكا وحدها هي التي أعدت غارسيا ماركيز لديموقراطية النظام السوفياتي التي لا تصدق، عما فيها الحصول على إذن لزياره صريح ستالين. عندما أفلح أخيراً في دخول مبنى الصريح تولاه العجب لعدم وجود أي رائحة، لكنه حاب طبه بليس الذي بدا "دمية من شمع"، واعتزته الدهشة عندما وجد ستالين نفسه "عارقاً في نوم من دون إحساس بالذنب". لقد كان ستالين يشبه دعايته:

له ملامح إنسان، ويبدو حياً، متسماً ابتسامة لا تبدو تقلصاً في العضلات وحسب، بل انعكاساً لشعور ما. ثمة مسحة من ازدهار تلوح في تلك الملامح. وفي ما حلا لغده، فإن ذلك الازدهار لا يلائم الرجل. فهو لا يبدو بمظهر المفضل، بل هو رجل ذو ذكاء هادئ، صديق وفي، تشوبه مسحة من روح الدعابة... لم تأثر بشيء قدر تأثري بركة يديه وأظافره الرقيقة الشفافة. إنهما بدا امرأاً⁽²³⁾

يفول مينيير في وقت لاحق، به يعتمد أن شرارة رداية خريف البطريق قدحت في تلك اللحظة⁽²⁴⁾. لقد كان هذا لعرض الحادق لحنة سنالين المخطئة نفسها، بمعنى، مفسراً صمياً قدرة سنالين على تصليل لعالم في ما يخص أساليبه ودوافعه الحقيقية؛ من خلال صورة "العم جو"⁽²⁵⁾.

وحالاً لمعظم الزوار الأجانب، شعر غارسيا ماركيز أن الأموال التي أهدرت على إنشاء قطارات الأنفاق في موسكو كان يمكن لها أن تُصرف على وجه أفضل في تحسين ظروف معيشة لشعب. وحاب ظه إد رأى أن الحب المحرر لم يعد الآن سوى ذكرى تتر لارتباب في بلاد مفرطة في الاحتشام على نحو يثير العجب. وأشار مسهحاً إلى أن المخرج السيمالي الطبيعي أنيشتاين كان غير معروف تقريباً في سده، لكنه استحسن المحاولة التي بذلها الفيلسوف النمساوي جورج لوكاش في تمحيص علم حمل الماركسي وإعادة الاعبر تدريجياً لدوسوبسكي والسماح بموسيقى لمار (وليس موسيقى الروك أند رول)⁽²⁶⁾. ومولته الدهشة وهو يلاحظ عدم وجود أي علامة تشير إلى أي كراهية للولايات المتحدة - على العكس تماماً من أميركا اللاتينية - واستوقفته على وجه الخصوص حقيقة مفادها أن اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية كان يواصل صناعة الأشياء المتوفرة أصلاً في العرب. وحاور أن يفهم السب في وصول الأمور إلى ما وصلت إليه، لكنه عني ببدو تعاطف مع رد فعل الطلاب الشاب الذي قال عندما وثّقه رائد شيوعي فرنسي "لست لديك سوى حياة واحدة" وفكر في أن مدير المزارع المشعة الذي رره كان يشبه "سيداً إقطاعياً أنفقت اشتراكياً" وتغنى عن السفر بعد معاداة الوعود الأخرى كي يحاول أن يفهم لعقيد العربي في التجربة السوفياتية؛ "وهو تعقيد لا يمكن احتراؤه إلى صبح مسطرة من الدعاية الرأسمالية أو الشيوعية"⁽²⁷⁾. وبسبب هذه الإقامة التي امتدت فترة أطول، فقد كان وحيداً عندما احتاز الحدود وقال له مترجم سوفياتي بدا شيئاً بالمثل تتألمر لوتن: "طال أن كل الوعود قد ساهرت. لكن إذا شئت، مسأني بالأفعال لتحسينا بالرهور مرة أخرى"⁽²⁸⁾.

كان رأي غارسيا ماركيز بالاتحاد السوفياتي على وجه العموم متعاطفاً ومحايياً بذكرنا اليوم بعد مرور كل هذه المسمر أنه نكوبا والصعوبات التي مرت بها في

سبعينيات القرن العشرين إلا أنه لم يدل أي محاولة في إخماء اساليب التي استطاع أن يلاحظها. وفي طريق العودة، رار هو ولسو مندوتا ومعهما بانو مولانو ستالينغراد (فولغاغراد الآن) وأبحروا على امتداد نهر الفولغا حتى وصلوا إلى مدخل قناة السهمر العظيم فولغا دون حيث بسحب شاحنة ثمان هائل لستالين فوق واحدة من الجدران البلاد العظيمة ترك غارسيا ماركيز صديقه يليو ميندوتا في مدينة كيف وواصل سفره إلى هغاريا. أما ميندوتا فقد فعل راجعاً عن طريق بولس بعد أن تأخر أكثر من أسبوع في مديته بريست لينوفسك بسبب إصابة مولانو بحرص ذات اسرنة. وكان قد حاب أمه في كل شيء شاهده حتى إنه قل بعد سنوات. "لقد فقدنا براءتنا". شيئاً فشيئاً بدأ يترك أن الأنظمة الشيوعية انصت عليها كتبها لعة القانون الوراثة القومي نفسه (مارغم من أنه حاول مره أخرى أن يعقد بكونا في العام 1959). أما غارسيا ماركيز الذي لا يملك ماصياً بورجوازيه ينكي عليه ولا اهتمامات بورجوازية يعديده، فقد ظل متشوقاً للاطلاع على تجارب أخرى. وهكذا تمكن من مرافقه مجموعة من ثمانية عشر أدياً ومرافقاً أحبياء، بمن فيهم مراسلات صحفيان - هو شخصياً والبلجيكي موريس مير - في زيارة إلى يودانست بعد سقيهم دعوة لزيارتها.

حدث ذلك بعد مرور أقل من عام على عزو الاتحاد لسوفياني في تشرين الأول عام 1956. فقد حل بانوس كادار محل إيمري ناجي ليكون رعم البلاد عندما قمعت القوات السوفياتية الانتفاضة المجرية في تشرين الثاني عام 1956 وفي هذا الوقت، أي صيف العام 1957، يكون قد مرّ على هتعاريا عشرة أعوام وهي معرولة، ومحسب غارسيا ماركيز، فإن الوفد الذي رافقه كان أول وفد من الأجانب يسمح له بدخول البلاد. كان أمد الزيارة أسبوعين، ورنست السلطات برنامجاً لم تسمح لهم به بالتحوّل في المدينة أو التحدث إلى المواطنين المجراريين "نقد فعلو كل ما في وسعهم من أجل الخيلولة دون أن يكون أي طباع حصفي عن الأوصاع"⁽²⁹⁾. وفي اليوم الخامس هرب غارسيا ماركيز من مرافقه بعد طعام الغداء واطلق نحو المديته بمفرده. لقد كان يرئب في التقارير العربية ذات الصلة بقمع انتفاضة عام 1956. لكن حالة المياني في المدينة والمعلومات التي قدمها إليه المجراريون

الذين اتهمهم أقمته أن عدد اضحايا من المعتارين - والذي قُدِّرَ بخمسة آلاف قتيل وعشرين ألف جريح - يمكن أن يكون أكثر مما قرأ عنه في الصحافة العربية. وتحدث في الأمسيات التالية إلى مواطنين هعاريين اعتياديين من صهم بك هوى وسيّادات بيوت وطلاب، فضدّهم صدمة شديدة مدى اغترابهم وسحرهم. ونعم عن سلوكه وسلوك حديقته ورقيقه موريس ماير أمر غير متوقّع: إذ قررت السلطات أن تحمل الأجانب على حمل الحذاء بشكل أكثر، فأخذهم إلى كادار نفسه الذي اصطحبهم في إحدى جولاته احتفالية إلى مدينة أوجست، على بعد ثمانين ميلاً من بودابست. ونجحت الخطة الاستراتيجية، فهي ليست المرة الأخيرة التي يتنشى فيها غارسيا ماركيز بالوصول مباشرة إلى الرعيم. وقال إن كادار يبدو واحداً من العمال الاعتياديين حيث "يذهب إلى حديقة الحيوانات ألبام الأحاد ليرمي العول السوداني للعبة"، وإنه فرد متواضع وجد نفسه في السلطة. وليست له على ما يظهر أي شهوات بعينة وإنّ عليه أن يختار بين مساندة أقصى اليمين الوطني أو يولي صهره احتلال السوفييت لبلاد كي ينقذها من أجل الشيوعية التي يعتقد بها اعتقاداً عميقاً⁽³⁰⁾.

اعتبط غارسيا ماركيز كما ينصح للمناقشات التي جعلته يشعر بشعور أفص في ما يخص الصورة الكمية التي رآها في شوارع هعاريا. وحلّ تلافضات النظام الشيوعي والأسلوب الذي حرّم به العمال من ثمرات أعمالهم من أجل ساء الدولة الشيوعية، وعبر تعبيراً قوياً بالمول إن أعمال السلب كان في الإمكان بحسبها في العم الماضي: "إنها قصة شهرت مكبوتة، وكان في وسع حرب شيوعي متعاف أن يوجهها إلى وجهات أخرى"⁽³¹⁾. وخلص إن انقول. ن كادار يحتاج إلى من يساعده للخروج من المأرق الذي هو فيه، لكن العرب لا يهتم إلا بجعل الأمور تزداد سوءاً. وكانت الأمور تزداد سوءاً حقاً، إذ اضطرت الحكومة إلى اعتماد نظام رقابي ذي آثار "بشعة"

لا يعرف كادار ماذا يفعل. وسد اللحظة التي وحده فيها نداه العاجل إلى الحدود السوفييت وألزم نفسه بهم على نحو يتغير تغيره، اضطر إلى بند مستقدانه كسي يحضي قدما إلى الأمام. غير أن الظروف كانت تدفع به إلى

الخلف، ووجد نفسه في عظم حملة مضادة لدجي الذي اتهمه بأنه باع نفسه للقرب كوسيلة وحيدة لتبرير انقلابه. طالما أنه لم يتمكن من رفع المرتبات ولا توفير مبيع استهلاكية، والاقتصاد مخطم، والمتعاونون معه بلا خبرة أو بصيرة إلى الكفاءة، وطالما أن الشعب لن يغفر لهم دعوتهم الروس للتدخل، وطالما أنه لا يستطيع اجترار المعجزات ولا يحكمه ترحيل الروس ولا التواري في مدخل حائبي، فإن عليه أن يرح بالناس في السجن ويحفظ بالروح من مبادئه بظلم إرهابي أسوأ من النظام السابق الذي حاربه بنفسه⁽³²⁾.

بالرغم من الجهد الذي بذله غارسيا ماركير في إيجاد الدرائع بكادار، إلا أنه كان في أعماقه مصدوماً ومخطئاً. وفي أوائل شهر أيلول وعد عودته من بودابست إلى باريس اتصل هاتفياً بليبيو ميديونا قبل رجوع الأخير إلى كاراكاس وعلى جهوده الكبيرة والمتواصلة بكتابة تقرير إيماني عن أيامه في هماريا، فقد أوضح: "لا يمكن مقارنة أي مكان رأيته حتى الآن هماريا"⁽³³⁾. ومع هذا نطل لرحلة نيراً لبعض الوقت. وفي منتصف شهر كانون الأول أحر أمه العائدة إلى كارثاجينا بأن 'حملة هروبية مؤت رحلة طويلة'. لكنه لم يعصح عن المكان الذي انتهت إليه الرحلة⁽³⁴⁾.

عاد غارسيا ماركير إلى باريس بعد رحله الطويلة بلا مال ولا مأوى يأوي إليه. "بعد إحدى وخمسين ساعة أمصتها في القطار، لم يكن في جيبى سوى مسكوكة معدنية مخصصة لاستخدام الهاتف. ولما كنت غير راغب في فقدها، وكان الوقت سيكراً جداً، فقد انتظرت حول الساعة التاسعة صباحاً لأتصل بأحد أصدقائي الذي قال لي: اني في مكانك ثم جاء واصطاحني إلى غرفة صغيرة يؤجرها في بياي وأخبرني بياها. وهناك جلست مرة أخرى لأكتب في ساعة خمس"⁽³⁵⁾. بدايةً، وبالرغم من أن غارسيا ماركير كان يقطن في غرفة صغيرة في باريس أوأحر شهر أيلول وتشرين الأول من العام 1957، فإنه كتب انطباعاته عن الرحلة الأخيرة المشابهة بنجاره في بولندا وبشيكوسلوفاكيا في عام 1955. وكانت ثمرة ذلك مجموعة من المقالات تظهر لاحقاً على أنها تسعون يوماً وراء الستار الحديدي في عام 1959 بالرغم من أنه نشر ذكرياته عن اتحاد الجمهوريات لسوفيائية الاشتراكية وهماريا على الفور في صحيفة موميتو (في كاراكاس) بواسطة بليبيو ميديونا⁽³⁶⁾.

تشكل هذه المقالات شهادة مذهشة عن لحظة تاريخية معية ونقداً حكيماً ذا بصيرة

لنقاط انصعب في الطام السوفياتي⁽³⁷⁾. وأرسل المقالات إلى معلمه إدوردو ثالاميا بوردا (المقرب يوليسيس) للشر في الأدبندت حث كان بعض مساعداً لرئيس التحرير فيها من يدري ما الشاعر التي انتابت رئيس التحرير اليساري القديم وهو يحسب بذلك المقالات ويضعها في درج مكته ويدعها للمستقبل كي تكتشف أمرها عارسيا ماركيز بعد مرور ستين ويتمكن من نشرها في المجلة الأسبوعية كروموس⁽³⁸⁾.

في غضون ذلك، كانت تاتشبا قد أمضت تسعة أشهر في إسبانيا: "بعد قصتي مع غابرييل أمصيت ثلاثة أعوام مشتتة تماماً: جريحة، ساحطة، كل علاقتي انتهت نهاية مأساوية، وبلا رحل". كانت قد سافرت مباشرة إلى مدريد في كانون الأول، فبيل حول فترة الميلاد، وحصلت على وظيفة، إذ اشتعلت مع فرقة مسرحية تابعة للارتش كاسيرو، من أثرياء هروبللا، وأدت دوراً ويا للمعارضة، في مسرحية أنيغونا، وهي المسرحية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً برواية غارسيا ماركيز الأولى عاصفة الأوراق؛ وكان دورها هو إيسمينا شقيقة أنيغونا.

ثم عادت أدراجها إلى باريس: "اصططحتني مديرتي مارتشبا كاسيرو سيرتها من طراز ميرسلس إلى هناك، وكانت تجربته رتعة، وفي يوم من الأيام شاهدته؛ بأسرع ما كنت أتوقع" وراء الواجهة الزجاجية لما يعرف اليوم باسم مقهى لوكسمبورج في شارع سان ميشيل. فدخلت المقهى وتحدثنا وقررنا أن "بهيما ما يههما نهاية ملائمة". وذهبا إلى فندق رحيص على مقربة منهما وأمضيا الليلة معاً. "كانت الأمور صعبة، مؤلة ولكنها أفضل. وكان ذلك اللقاء قبل معادته باريس بوقت غير طويل. وبعد ذلك الفراق عام 1957 م ألتقي عارسيا ماركيز حتى عام 1968⁽³⁹⁾.

شارف وقت وجود غارسيا ماركيز في باريس على الانتهاء تقريباً. وكان ديمول قد عاد إلى السلطة في حزيران لإنقاذ الجمهورية الرابعة من صياح الجزائر. وبكته بدلاً من ذلك أعلن عن بدء الجمهورية الخامسة وحلّص الفرنسيين من أنفسهم بالتخلي عن الجزائر.

في مطلع تشرين الثاني، وبعد مرور أسبوعين على إعلان فوز البير كامو بجائزة نوبل للأدب، انتقل عارسيا ماركيز إلى لندن⁽⁴⁰⁾، حيث عزم على اللقاء فيها أطول مدة ممكنة، كما بقي في باريس، معتمداً على المقالات التي كان بأس

في سترها في صحيفه الأندلسيت وفي المجله الصرويليه مومينو التي بات الآن بليسيو مسدون دكتس بحريها. غير أن مسدونا لم يشتر سوى مقاتل اثنتي منهما "ررت هعريا" و"كنت في روسيا" في أواخر شهر تشرين الثاني. لقد أراد عارسا ماركير دوماً دراسة اللغة الإنكليزية، وكانت رحلته إلى أوروبا الشرقية قد أكدت له بكل وضوح أهميتها المتزايدة لأن من أحد هناك كان يتكلم اللغة الإسبانية. وكان قد أبدى اهتماماً بالشؤون البريطانية - بالملكية والسياسيين (يبدن وييس وماكميلان) مد وصوله إلى أوروبا بالرغم من أن اهتمامه المعس لم يكن إلا بالانحطاط المودجي لبريطانيا. وبالرغم من أن إسبانيا في ظل فرانكو كانت بعيدة عن الحدود الإيديولوجية (وإنما حشي هو نفسه أيضاً من إمكانية الفحص عنه هناك في ضوء العلاقات الوثيقة بين إسبانيا وكولومب واحتمال أن يكون على الالاحة السوداء لحكومة روعاس بيتاً)، فقد أمضى أفضل أشهر السنة مع امرأة إسبانية، كما أن زيارة إلى دولة أوروبية استعمارية قديمة أخرى كانت جزءاً مسبقاً من خطته الكبرى. ومما يثير الدهشة هو النطاق الواسع الذي يتمكن من مشاهدته في أوروبا الشرقية والعربية في ضوء الصعوبات التي اكتشفت ذلك الرمان وصيفه المادي. بيد أن محاولة السكن في لندن، بأقصى درجات التقشف من دون معرفة اللغة ومن دون صلاب أميركية لاتيية كالتي كانت متوفرة دائماً في باريس، تعد محاولة شجاعة.

مكث رهاء ستة أسابيع في عرفة فندق صغير في حي ساوث كينزغتون، ولكنه لم يواصل كتابة روايته في ساعة محس، بل واصل كتابة قصص أخرى متفرعة عن الرواية، فعشقها القراء عند ظهورها في مجموعة جازة الأم الكبيرة وقصص أخرى. وكان هو شأن روايته القصيرة عن العفد ومرنه الشعاعي، وعلى العكس من روايته في ساعة محس، فإن تلك القصص لم تكن تدور حول السطاط قاسيه القلب التي تحكم الملاد الصغيرة التي تجري فيها الأحداث، بل حول فقراء يفعلون ما في وسعهم لمواجهة المصائب والويلات، مثلما كان يواجه هو نفسه ستة الكنية في باريس إنها قصص ذات ملامح إنسانية وقيم إنسانية، على عرار قصص نابيتي. وبالرغم من أهدانه العظيمة، إلا أنه لم يحس نفسه إلا

مرصه صبيبه لتعلم اللغة المحلية، وإن كان يذهب في أيام السبت والأحد إلى حديقة هايد بارك يستمع إلى المتحدثين في ركس الخطاء، ويمكن أن تكون مقالته "يوم سبت في لندن" التي لخص فيها على نحو فولكلوري تجاربه في العاصمة البريطانية "أفضل مفصلة صحافية كتبها في أوروبا"⁽⁴¹⁾. وقد كتبها وهو لا يزال في لندن وشترها صحيفة الداسيونال في كاراكاس وصحيفة مومينتو في كابون الثاني عام 1958، ويشير فيها:

عندما وصلت إلى مدينة لندن، ظننت أن الإنكليز يكلمون أنفسهم في الشوارع، لكنني عرفت في ما بعد أنهم يخوضون بكلمة آسف. وفي أيام السبت، وفي حين يتوافد سكان المدينة كلهم إلى ساحة بيكاديلي، يصعب السير من دون أن يصطدم الواحد بالآخر ثم يتعالى صوت جوقة موحدة في الشارع وهي تقول: آسف. وبسبب الضباب، فإن الشيء الوحيد الذي عرفه عن الإنكليز هو نغمة أصواتهم. كنت أسمعهم يعتلون في ظل منتصف النهار مستترشدين بالأنف مثل طائرات تسترشد الطريق وسط غيمة الضباب. أخيراً شاهدتهم في هذا السبب الأخير - وتحب نور الشمس - للمرة الأولى كانوا يأكلون الطعام وهم يمشون⁽⁴²⁾

ولكن كانت لديه شكوى واحدة رئيسية، كما قال لاحقاً ماربر هارغيس يوسا الذي كان يعيش هو الآخر في لندن في تلك الآونة، ألا وهي غياب لتبغ الأسود. فقد أفتق مالا كثيراً لشراء سجائر الغلوار المستوردة. ثم يقول أيضاً إن لندن حذبه على نحو غريب: "أنت محظوظ إذا كتب في مدينة هي الفصل لأسباب عامضة إن شئت الكتابة فيها، فضلاً عن أنها أفضل المدن في العالم كما أظن. لقد ررها على أسس أي سائح، لكن شيئاً ما اضطرتني إلى أن أعلق باب العرفة ورالي وأسبح في دحد السبح. وفي غضون شهر واحد كتب كل مصص حنازة الأم الكبيرة تقريباً. فقد هدرت الزيارة ولكنني ربحت كتاباً"⁽⁴³⁾.

في الثالث من كانون الأول أرسل غارسيا ماركيز رسالة إلى والدته في كارثاجيا عن طريق ميرنيديس في بارانكا، ذكر فيها أنه كتب رسالة إلى العمه دليا في برعوتا معسزياً إيهاها بوفاة زوجها جوان دي ديبوس شقيق أمه لويسا سانتياغا الوحيد. كانت خطط غارسيا ماركيز في تلك الآونة لا تزال مرة بالرغم

من قوله إنه فكر في العودة إلى البيت عما قريب: "مضى على وجودي في لندن أسبوعان وأما أحد العدة للرجوع إلى كولومبيا، أعتقد أنني سأرور في الأسبوعين المقبلين باريس زيارة سريعة، ومنها إلى برشلونة ومدريد - ما دامت إسبانيا هي البلد الأوروبي الوحيد الذي لا أخرفه - وبهذا سأكون في كولومبيا بحلول فترة الميلاد أو رأس السنة على أكثر تقدير - لم أتعب بعد من التظاير حول العالم، لكن ميرثيديس ظلت تنظر مد رمس طويل بالرغم من أنها لا تزال تملك شيئاً من الصبر؛ إن لم أكن عطفاً لكن هذا ليس عدلاً، لأنني إن كنت تعلم شيئاً واحداً في أوروبا، فهو أن النساء ليس كلهن بالثقات والرزاة اللذين تتصف بهما⁽⁴⁴⁾، وقال إنه لا يعبث مالأ ولا عملاً بالرغم من أن صحيفة الاسبكتادور قطع وعوداً، وطلب من والدته أن تُهيئ له نسختين من شهادة ميلاده قاتلاً: "صدقي أو لا تصدقي: إنني لم أتروح في أوروبا".

وبعد أقل من أسبوعين من ذلك، وفي السادس عشر من كانون الأول، تلقى سرقية غير متوقعة من كاراكاس، عرض فيها رئيس بليو ميندوتا في الصحيفة أن يمنحه مذكرة سفر بالطائرة إلى العاصمة الفنزويلية للعمل معه في صحيفه موميتو ومع ميندوتا. كان العرض رائعاً لا يستطيع رفضه في ضوء افتقاره إلى الخيارات في لندن. تلك المدينة التي قال عنها لاحقاً: "يصعب على أي أحسن أن يغيب فيها من دون أدنى مسع من المال"⁽⁴⁵⁾ وبالرغم من ذلك، اتّصل بميندوتا ليقول له إن محبوس اتصل به من كاراكاس يشكو له سوء حظه - حظ المحنوس - ويعرض عليه عملاً. فأكد له ميندوتا بأن كارلوس راميريث ماك عربيوز كان حقاً محبوساً لكن العمل حقيقي. فما كان من عارسيا ماركنز إلا أن سافر جواً من لندن قبيل الميلاد، إلى فنزويلا وليس إلى كولومبيا التي سق له أن قطع وعداً بالسفر إليها.

قال لي عارسيا ماركنز بعد أربعين عاماً: "عندما فقدت العمل في أوروبا في مطلع عام 1956، تركت الأمور تسر على هداها كما في بارامكيا. لقد كان في رسمي أن أحضر على عمل ما بسهولة مع صحيفة أخرى، لكنني ظلمت هاتماً على وجهي على مدى عامين إلى أن توقفت وعدت إلى شروب. لكنني في معظم ذلك الوقت كنت أستجيب لمواطني، ولعالمي الداخلي. كانت لديّ ثمارسي،

وصنعت لي عائداً شخصياً حصي. إن معظم مواطني أميركا اللاتينية يحصلون على
الشفاعة عندما يكونون في أوروبا. أما أنا، فلم أحصل على أي شيء من ذلك
القبيل» (46).

-12-

فنزويلا وكولومبيا:

ولادة الأم الكبيرة

1958-1959

سافر غارسيا ماركيز جواً إلى مطار مايكيبيا في فنزويلا في الثالث والعشرين من كانون الأول عام 1957 بعد أسبوع واحد من تسلمه الرقبة من اعاصمه كاراكاس. كان معهما باخماسة والامان بعد سفره عن طريق لشبونة حيث كانت الثلوح تنساقط فيها، ثم حلق بعداً عن أوروبا وهبط في باراماريبو عاصمة سورينام حيث كان الجو خائفاً تفوح منه رائحة فاكهة الغوافة، ورائحة طفولته⁽¹⁾ كان يرتدي بطلاً من الجير الأزرق وقمصاً من البولستر التي اشاعها من متجر بيع بالتسريلات في شارع سان ميشيل، وكان يغسلهما كل ليلة. أما بقية حاجياته، فكان يضعها في حقيبة واحدة مملوءة بمخطوطات رواية ليس للعقيد من يكتابه والقصص القصيرة التي بدأ بكتابتها في لندن والرواية التي لا تزال بلا اسم وهي في ساعة محس. يتذكر ميلوثا أنه أقل صديقه في حدود الساعة الخامسة عصراً وكانت أخته سوليداد برفته، وطاف به في جولة قصيرة في مركز العاصمة كاراكاس ثم اصططحه إلى ضاحية سان بيرناردو الجميلة وأتزرله في ثرل يملكه مهاجرون إيطاليون.

كانت زيارة غارسيا ماركيز إلى فنزويلا هي أول زيارة له إلى لهد من بلدان أميركا اللاتينية عدا كولومبيا. كانت كاراكاس مجموعة من مدن صغيرة متفاربة، عدد سكانها زهاء المليون ونصف المليون نسمة. وفي أثناء قيادة ميلوثا سياره البيضاء المكشوفة من الأعلى من طريق أم جي سورت، سأله غارسيا ماركيز وسأل سوليداد أيضاً عن موقع المدينة. كنت كاراكاس في تلك الآونة شريطاً مديناً

مترامي الأطراف، يعبر انتظام، تهيمن عليه المركبات، ويتألق باللون الأبيض على سفوح خصراء وقمة جبل أنسلا المنعسجة الزهية. كانت أشبه بمدسة من مدن أميركا الشمالية في لمنطقة المدارية. وكانت فنزويلا في قصة دكتاتورية عسكرية لا ترحم يمس هي الأولى. الحق أن موطن بطل التحرير العظيم سيمون بوليفار كان يفتقر إلى موروث أو تحربه لمدىعراطية البرلمانية. وكان لجرال الدين ماركوس بريت جيمسيت الحاكم انطبق في البلاد على مدى ست سنوات طويلة، ولكنه أفتح اردهاراً صاعياً استند إلى صناعة البترول التي أطلقت حملة واسعة من البناء وشق الطرق لم تعده بعد أي دولة أخرى من دول أميركا اللاتينية⁽²⁾.

كان ذلك صحيفة مومنتو كارلوس راميريث ماك عريور الذي يطلق عليه موطفوه صفة "الهنون" تحيلاً، أصلع الرأس، وعلى حدّ قوله، هو نفسه معرصة لبويت من الحسنية. وكان يردي بذلات مدرية بيضاء اللون مجهزة، يحصي معظم حياته وعلى عيه بطارة داكنة كانت شائعة يومئذ في عموم أميركا اللاتينية التي كانت تسيطر عليها دكتاتوريات عسكرية. وبلغ نه اشعله حدّ أنه لم يردّ حتى على نحية عارسيا ماركير لدى وصوله إلى العمل في يومه الأول. رمى لم يتمكن، شأنه شأن سلمه في صحيفة الاسكتادور غيرمو كابو، من التوفيق بين الهيكل العظمي الواقف أمامه مكسوّاً بملابس صارخة الألوان والصورة التي رسمها ميدوثا عن أديب وصحافي بارز عزّر من شهرته الواسعة أصلاً بأن يستن ويصف السنة في أوروبا.

غير أن عارسيا ماركير لم تنبّط همتته. وفي وقت لاحق سيصف لنا الوقت الذي أمضاه في كراكاس بوصفه وقتاً شعر فيه بأنه "سعيد وغير مروت بوتائق" (وهو العنوان الذي سيحاره في ما بعد مجموعة المقالات التي كتبها هناك) بالرغم من أنه لم يشعر بالارياح على العور. بعد القيود الأوروبية الصببية، وجد الفنزويليين منعطرسين متكررين إلى حدّ ما. ومع هذا، فقد ذكره الجو العام في كراكاس عياه البهجة والجور والعموية المدرية التي عتمها في بارانكيا مع هارو واحد لصالح هذه المدينة وهو أنها عاصمة هذا البلد الكاريبي العريب.

احتفل عارسيا ماركير وميدوثا للندان فرحاً فرحاً شديداً لاجتماع شملهما مرة أخرى في البلاد ورأس السنة في ست ألفيرا وهي شقيقة أخرى من شقيقات بلسو.

وشعر عارسيا ماركير الذي أمضى معظم أيام السنة الماضية وحيداً، وكانت إنانته القصيرة في لندن معزلة عن الآخرين أيضاً، بالعطلة والسرور عندما وجد أمامه جمهوراً مُصغياً، عني مصغر أحياناً، إلى أمكار لا تنتهي لنقصه وقد زادت زيادة ملحوظة مد أن شاهد عجم التصوير الهائل في روما وانتقى كاتب النصوص السيمائية ثاباني. لم يكن ميلونا قد عاش من قبل عني معرفة من عارسيا ماركير الذي أصبح به الآن مأوى ووظيفة مسفرة وعما قريب ستؤلاه ابدهشة عندما يرى أن صديقاً عمل بمثل هذه القوة في مكتب الصحافة، تمكن بالرغم من ذلك من أن يحيا حياة أخرى مفصلة تماماً: "لاحظت في كل مكان اهتمامه السري في كتابة الرواية والطريقة التي كان ينسجها من أجل مواصلة تأليف كتبه ووصل بي الأمر أنني شاركت في تلك الشيوهرينا التي استحكمت في روالي استطاع يوماً فيوماً أن يحيا في ظل شخصياته وكأها مخلوقات تعيش حياتها الخاصة بها. وكان يسرد علي أحداث كل فصل قبل أن يبدأ بكتابه"⁽³⁾

حدث أهم لحظة لا تُنسى في محفل إقامة عارسيا ماركير في فنزويلا أوآخر الأسبوع الأول تماماً. ففي الخامس عشر من كانون الأول، أي قبل أيام من سفره من لندن إلى كاراكاس، بُعث بيرث جيمبيث في مصبه إثر استفتاء شعبي تم التلاعب به عني نحو فصائحي. وفي عصر يوم الأول من كانون الثاني عام 1958، وبعد إعداد أعداد الخاص بهايه السنة والاشتراك في احتمالات رأس السنة المعقدة في اللية السانقة، خصص عارسي ماركير وميلونا وشقيقاته للسفر إلى الشاطئ. وبكس فيما كان كل واحد منهم يجمع الماشع وثياب السباحة، راود عارسيا ماركير إحسس عامص بقرب حدوث مكروه، وهو أمر شائع بين أفراد أسرته وفي رواياته فضلاً عن حياته التي يتعدر توقعها دائماً. قال محاصاً بليو: "تبا! لدي شعور بأن شيئاً ما سيحدث". ثم أضاف عني نحو حمي بأن يتنه كل واحد منهم إلى معه جيداً وبعد بصع دقائق كانوا قرب الساعدة يراقبون فادعات فابل بخلر فوق سطوح مباني المدينة ويصمون إلى صوت البادق الآلية وهي تطلق نيرانها وفي سك اللحضة جاءت سريداد ميلونا بعد تدكو إلى المني وهتعت وهي لا تزال في الشارع: لقد حدث مُرد في قاعدة جويه في مديه ماراكاي والقصف الجوي صال انقصر الجمهوري في ميرافلوريس. فخرج الجمع إلى السطح لمراقبة مشهد⁽⁴⁾.

فُسح اشترد، لكن كاراكاس عرفت في الموصى وأنعف ذلك ثلاثة أسابيع مشيرة من القلق واتامر والقمع. ومد العاشر من كانون الثاني، وبعد سوات من الإرهاب والوعيد، بدأت حشود المتظاهرين تتحدى الشرطة في احتجاجات عمّت العاصمة. وفي عصر يوم ما كان الكولومبيات خارج المني عندما داهمت شرطة السرية الوطنية مكتب صحيفة موميتو واعتقت جميع من فيه من الموظفين وفتتهم إلى مقرها. كان مدير الصحيفة في نيويورك فيما كان عارسيا ماركيز وميسوث بمصياك النهار كله وهما يطوفان في جميع أرجاء المدينة التي مزقتها الأزمة بسيارة أم جي في وقت حلول حظر التجوال، ولهذا تماعدا الاعتقال وجمع مواد الصحيفة. في الثاني والعشرين من كانون الثاني، توقفت جميع الصحف الفرويلية عن العمل مهدد لإضراب عام دعت إليه "مجموعة وطنية" من رعماء الحرب الديمقراطي من مدينة نيويورك. وصل التوتر في تلك الليلة دروته، ومكث الصديقان في شقة ميلوث يستمعان إلى الأخبار. وعند الساعة الثالثة صباحاً سمعا صوت محرك طائرة فوق أسطح المدينة وشاهدا أعضاء طائرة بيريت خيمبيت وهي تقله بعيداً إلى معاه في سابو دومينغو. معصت الشوارح بالناس وهم يتملكون اسهاجاً بالأخبار، وحلب السيارات تطبق أبوابها حتى الفجر⁽⁵⁾.

بعد رحيل بيريت خيمبيت ثلاثة أيام كان عارسيا ماركيز وميلوث يتصران في غرفة داخلية في قصر بالانكو مع حشد من رجال الصحافة لمنهقين للإطلاع على ما قرره العسكر خلال الليل بشأن مكانه المجموعة الحاكمة التي أعلن عنها أخيراً. وفجأة، فُتح الباب وتراجع أحد الجنود إلى الخلف، إذ اتضح أنه كان في اجناس احاسر من القصية، وخرج من الغرفة وبدقيته الآلية على أهبة الاستعداد، تاركاً خلفه آثار خطوات طيبة على الأرض ومضى إلى المني بعيداً عن القصر. يقول عارسيا ماركيز في وقت لاحق: "في تلك اللحظة، اللحظة التي خرج فيها الحندي من العرفه التي كان النقاش فيها دائراً حول أسلوب تشكيل الحكومة الجديدة، حامري أول شعور بالسيطرة، ولهر السلطة"⁽⁶⁾ وبعد بضعة أيام تحدث عارسيا ماركيز وميلوثنا مطولاً مع كبير الخدم في انقصر الجمهوري في ميرافلوريس، وكان رجلاً اشتعل الخمسين عاماً عند كل رؤساء مسزويلا منذ الأيام

الأولى لحكم الرجل القوي والبطيريك خوان بشي عومث الذي حكم البلاد منذ عام 1908 وحتى عام 1935، وكانت سمعته تقشعراً لها الأبدان وبالرغم من هذا، فقد تكلم كثير الخدم عنه بتقدير خاص وحين لا يرفى إليه شئ، كان عارسيا ماركيز حتى ذلك الوقت، يتخذ مواقف ديمقراطية إزاء الدكتاتوريين لكن هذه المواجهة دفعته للتمسك: لماذا نتجذب قطعات عريضة من السكان إلى هذه الشخصيات؟ وبعد أيام قال لميدونا إنه باب مجدداً إلى فكرة تأليف رواية كبيرة عن دكتور، وهتم: "ألم تلاحظ عدم وجود دكتور بعد؟"⁽⁷⁾. وفي هدية الأمر يكون غومث ثمودحاً أساسياً، ورمي النموذج الأساس لرواية خريف البطيريك.

بعد هذه المواجهات المحزنة للأفكار، يقرأ عارسيا ماركيز رواية الخامس عشر من آذار للروائي ثورتون وايلدر، وهي استعادة لأيام يوليوس قيصر الأخيرة. ولما تذكر رؤيته الخاصة لجنة سنالين المحطة في موسكو، بدأ يجمع التفاصيل التي ستؤدي في نهاية المطاف إلى ظهور دكتوراه أحص: إلى الحياة، كاشعاً عن الفوس بالسلطة والقوة، والعجز والعزلة، وهو الفوس الذي ظل يسكن حياله منذ طفولته. ويستذكر مبدوناً أن صديقه الذي لا يعرف الكلل أمضى شطراً كبيراً من الوقت في تلك الأيام يقرأ عن محرقة الطعنة في أميركا اللاتينية، فيستمع بها خلال تناولهما طعام الغداء في مطعم محلي بتفاصيل ممتعة ورمزية عن حياتهم، فيطور صورته لأولاد بلا آباء، ورجال يعتمدون اعتماداً كبيراً على أمهاتهم، وشهوة لا تشبع للاستحراق على "ملكات الأرض"⁽⁸⁾. (عُرف عن غومث أنه كان يحكم فنزويلا كأف رريه حيوانات كبيرة) وبدأت معالم الرواية الجديدة تتضح إلا أنها استغرقت سنوات طويلة قبل أن يؤدي المشروع ثماره كاملة.

ومع هذا، فإن عارسيا ماركيز كان في المحيط الملائم له، على الأقل في الوقت الراهن. وكانت استجابته لحالة الخفة والنشاط وفرص البيئة الجديدة استجابة مواطن مبروييلي، بدأ يسحو منحى خطاب بلاغي أكثر وضوحاً بشأن حقوق الإنسان والعدل والديمقراطية وقد حكم عدد كبير من القراء على مقالاته لصحيفة موميتو على أنها من بين أفضل ما كتبه طوال حياته. وفي حين كانت وجهه نظر استكمال أيام وجوده في أوروبا قد محب المصادقية والعفوية لنقاريه، فإنه مصى قدماً الآن

بحو إحساس بتجرد شبه لاشخصي عزز من وضوح ما يعطرحه وما ينطوي طرحه عليه من عاطفة⁽⁹⁾.

بعد أسبوعين على سقوط بيرث جيمييث، كتب غارسيا ماركيز مفاة تستند إلى بحث عميق بعنوان "مشاركة رجال الدين في الصراع"⁽¹⁰⁾، أوضح فيه دور لكيسة امزويلية ككل وشجاعة بعض رجال دين على وجه الخصوص، لا سيما رئيس الأساقفة في كاراكاس، في الإسهام في إسقاط لذكثانور في وقت استسلم فيه عديد لسياسيين اللخراطيين. كان غارسيا ماركيز يطلق من وعبه الشدبد بتأثير الكيسة المستمر في الحياة السياسية في أميركا اللاتينية، وأشار كثراً في مقالته إلى "عقيدتها الاجتماعية" م يكن موقفه موقفاً دراعياً وحسب، بل كان أيضاً ذا بصيرة لأن يوحا الثالث والعشرين سيصبح البابا الجديد في تشرين الأول من ذلك العام، في وقت بدت فيه تباشير الخير لما أصبح يعرف على الفور باللاهوت المنحدر في أميركا اللاتينية. ويصح صديقه مند أيام الدراسة الجامعية في بوغوتا كاميلو توريس أشهر قسيس في جميع أرجاء قارة أميركا اللاتينية لاشتراكه في حرب العصابات المستندة إلى أسس دينية جديدة.

وفي يوم من أيام شهر آذار كان غارسيا ماركيز جالساً يحسي الشراب مع بليو ميدونا وحوسيه فوت كاسترو وغيرهما من الأصلاء في مهي عرن في كار كاس، نظر إلى ساعته وقال: "تباً! ستعوتي طائرلي". فسأله بليو عن وجهته فأجاب: "لأتروح". ويتذكر فوت كاسرو ويقول: "لقد تولنا الدهشة كلها لأننا لم يكن حتى نعلم أن لديه صديقه"⁽¹¹⁾. كانت قد مضت اثنا عشرة سنة تقريباً منذ أن طلب غارسيا ماركيز من مويديس أن تتروجه وأكثر من ست عشرة سنة، كما يقول، منذ أن قرر أول مرة أن تكون هي زوجته. لقد بلغ الحادية والثلاثين، فما بلغت هي الخامسة والعشرين، ولم يكن أحدهما يعرف الآخر إلا قليلاً، باستثناء معرفة بعضهما عن طريق الرسائل. من ناحية أخرى، كان بيسو ميدونا يعرف عن علاقة غارسيا ماركيز بتاتشيا كويتانا - التي سألته في رسائلها إليه - كان في وسعها أن تعثر على عمل في صرويل. كما أن شقيقته سوليداد التقت الممثلة الإسبانية وعقدت معها صداقة عميقة الأواصر. ووصلها الأمر أنها سألت عرسيا

مار كسر بعد وصوله إلى كاراكاس بوقت قصير عن السب الذي دفعه لتخلي عن مثل تلك المرافقة وتشغل ميرثيديس في ما بعد إلى عالم روحها الخدي الذي لا تعرف هي شخص أي شيء عنه تقريباً، وأقل بكثير مما يعرفه معظم الناس الذين سيحيطون بها في ما بعد. وستمضي سواد قبل أن تشعر بثقة نامة بموقعها كأمرأة في حياة هذا الرجل الذي يبدو أنه شخص مسط ولكن ككوم وعامر إلى حد بعيد أيضاً.

لم تحط الأسرة في كولومبيا برؤية عابثة منذ ثلاث سنوات تقريباً، وحتى قبل ذلك التاريخ لم يشاهدوه سوى مرة أو مرتين منذ أواخر العام 1951 عندما رجع إلى بارانكيا بعد أن بقي معهم مدة قصيرة في كارتاجينا. لقد سارت أمور الأسرة نحو الأسوأ في كارتاجينا حتى وقت قريب، من طلت شاقة حتى في تلك الآونة. على كل حال، لقد بيع أخيراً منزل العقيد القديم في آراكاناكا في الثاني من آب عام 1957⁽¹²⁾. وكان ثمراً لإيجار قد انخفض انخفاضاً شديداً لأن الست تداعى رويداً رويداً وقررت أسرة عارسيا ماركيز في نهاية المطاف أن تبيعه لقاء سبعة آلاف بيزوس لروحيه فلاحين فقيرين وعاماً مؤحراً جائزة انيا نصيب المحلي. وساعدت تلك العقود على إكمال البيت الخدي الذي كان يسيده آنذاك عابرييل إليحيو في بي دي لا بوب في كارتاجينا.

كانت لويسا محمسة بخصوص ضمان حصول عابيو على أفضل تعليم ممكن - لأنها قطعت مثل هذا الوعد لوالدها قبل وفاته - لكن رويداً رويداً حكمت الحساد، فهي أم لأحد عشر طفلاً، ويبدو أن انشغالها في نادى الأمر بتعليم ابنت الأكبر سناً حضرته رعتها في إبقائهن بعيداً عن برانش "الفلاحين المحليين" في سوكري أكثر من حبرته مساعدتهن لتحقيق مستقبل. ومن إحدى نتائج ذلك هو أن عابده، التي أهدت التعليم الابتدائي في مدرسة لرهبات السالسيبات^(*) في مدرسة كارتاجينا بعد تخرجها في سانشا مارتا، قررت فجأة أن تتحول إلى راهبة ودرجت إلى مديرة فيل عامين من عودة عابيو عام 1958 وقد عارض كل من عابرييل إليحيو ولويسا سانبياع قرار عابده آنذاك - تماماً مثلما استهجن علاقتها برافايل بيريث، ذلك العنق الذي أراد أن يزوجها في سوكري - لكن بلا جدوى، على كل حال.

سرعان ما استدفع الأسرة ثمناً فادحاً لقاء أسلوب غارييل إليحيو المتساهل في التعليم إذ إن كوكي (ألفريدو) المراهق هناك، راع عن الطريق ووقع ضحية المخابرات التي كانت مشكله عجلت في وهاته.

في غضون ذلك، كانت الالة المصرية ريتا قد تورطت في قصة حب كادت أن تصل إلى مستوى قصة حب روميو وجولييت. 'م يكن إلا حياً واحداً وهو روجي ألفونسو توريس. لقد عدت إلى كارتاجينا قادمة من سيثي في تشرين الثاني عام 1953 والتقت في كانون الأول في بيت أخته التي كانت جارتها. وهناك بدأت المناظرة لأن الجميع كانوا يكرهونه باستثناء غوستافو"¹³'. كانت ريتا في الرابعة عشرة عندما التقت ألفونسو وعارضت الأسرة تلك العلاقة معارضة شديدة. ولم يسمع لألفونسو الوسيم جداً سجنه السوداء. وبالرغم من الصعاب أحمت طل ألفونسو وريتا بتهديد سرّاً على مدى أربعة أعوام. وفي يوم ما بلغ بها الإسراع مبلغاً شديداً بسبب الحالة التي هما عليها مما دفعها لقصّ شعرها كله احتجاجاً على موقف والديها اللذين لم يكونا يسمحان للساب حتى بدحول مرلها. لم يكن الأبوان يريدان لأي من ابنتهما الزواج (وكما هو شأن عابدة، فقد كان لمارغوت صديقها راهاتيل في سوكري وهو راهاتيل ييسو، وفي الاونة التي قررت فيها أن تتحدى أبويها، أصبح فتاة أخرى حاملاً منه، بما كان من مارغوت: 'لأ أن أدارت ظهرها للحب إلى الأبد). وهما باتي الأخ الأكبر غاييو لإفقادها بعد أن كانت قد قرأت بعض قصصه في المدرسة (وتتذكر منها على وجه الخصوص قصة الناجي من العرق).

حصل عارسيا ماركيه على إجازة من الحملة أمدها أربعة أيام وسافر بالطائرة إلى بارانكيا حيث مكث في فندق الحمراء القديم في السارخ 72 ووصل حالي المفاض لأن "النساء عابدة جداً في كارتاكاس" عني حدّ قوله"¹⁴. تقول ميرثيديس بإصرار إنه "حصر فحاشاً إلى بينها، لكن يُعتقد أنه اتصل بها قسّ نجيّه ولم يكن كلامه سوى جزء من ذلك الكلام المارل المعاد الذي دنا عليه كليهما إذا سألتهما أحد ما عن بوددهما ورواجهما. وقد أخبرني أنها تتذكر تماماً أنها كانت مستقبلة على سريرها في بيها الكائن في الصيدلية عندما هتمت ها إحدى أخواتها: "لقد وصل غاييو"¹⁵. لكنها لا تزال ترفض أنقول إنها كانت متشوقة أو ملهشة نجيّه.

في تلك الليلة وصل لويس إيريكي بالصائرة من شناعا وذهب برفقة غاستو وموينمايور وفارغلس إلى "الكهف" لنمضية ليلة ساهرة.

تسروح الاثنان عند الحادية عشرة من صباح اليوم الحادي والعشرين من شهر اذار عام 1958 في كنيسة بريتو سوكورو الكائنة في شارع دي حوليو 20 عند حطرية دامت أهل من ثلاثة أعوام⁽¹⁶⁾. وقد حضر مراسم الزواج معظم رفاق "الكهف". ويذكر ألفونسو موينمايور غاييو اندي بدا ذاهلاً من ررانة اموقف، وكان يبدو أكثر تخافةً من أي وقت مضى بلكته الرمادية داكنة اللون، وربطة عنقه المكشوفة بعناية حول رقبته، وهو أمر نادر الحدوث. ووصفت العروس متأخرة جداً مربية ثوباً أزرق اللون طويلاً ومدهشاً وواضعةً حمراء. وأقيمت حملة الاستقبال في صيدلية والدها في نهاية الشارع⁽¹⁷⁾.

سافر لروجر إلى كارتاجيا بعد يومين من رواجهما لزيارة أقرباء مريثديس اسدد. لا بد من أن لويسا تولتها الدهشة عندما شاهدت ابها الأكبر وقد تزوج بعد أن أمضى وقتاً طويلاً بعيداً. وانتهاز ألفونسو الفرصة لترتيب لقاء مع شقيق صديقه الأكبر في هو منلحات ميرامار. وفي صباح اليوم التالي، وفيما كانت ريت تغادر المدرسة، قالت لها لويسا: "لقد تكلم غاييو مع ألفونسو يوم أمس وسبلكم اليوم مع 'بيك، وستقرر وضعك في هذا اليوم" وسمعت ريتا في ما بعد شفيها وهو يقول لأبيه: "آن الأوان لك كي تبيع ابصاعة". وأخيراً سُمح لألفونسو بدخول ليت. وقال في محاولة لإيضاح بيته اجادة إنه على استعداد للانتظار مدة أخرى إلى أن تكمل ريتا دراستها في المدرسة الثانوية. أما غابريل إليجو فعدل في محاولة لإظهار عدم حديثه إنه لا يجد فترة مخطوبة طويلة وإن على الاثنين أن يتزوجا سريعاً وتم كل شيء خلال ثلاثة أشهر. وبما لم تتخرج ريتا من مدرستها، وعوضاً عن ذلك أُنحيت خمسة أطفال وعمت في وظيفة حكومية محلية لإعالة أسرهما على مدى سنوات رواجها الحس والعشرين. أما ألفونسو توريس، أصبح شيئاً فشيئاً رجل أسرة عارسيا ماركير في كارتاجيا⁽¹⁸⁾.

بتذكر يو، وهو أصغر أولاد غارسيا ماركيز⁽¹⁹⁾، زيارة غايينو المخاطمة بعد أربعين سنة: "لقد تزوج منذ وقت قصير وجاء إلى كارتاجينا برفقة مونسيس

تخصيه شهر العسل أو لودُعا، أو لكلا السين. لا أدري. إلا أنني أندكرهما تماماً: كان يحسان على الأريكة في ردهة ذلك البيت الكبير في بار لا بونا حيث أمضت سبي مراهقتي، يتحدثان بلا انقطاع ويدحجان. كنا يدحجان شراهة، في الردهة وفي المطبخ وإن مائدة الطعام، وحتى في السرير حيث كان لكل واحد منهما منفضة وثلاث غلب من السجائر. كان حيفاً، وكانت هي الأخرى بحيفة. كان متوراً ذا شارب رصيع كقلم الرصاص أما هي فكانت تشبه صوفيا بورين شهياً كثيراً⁽¹⁹⁾

لم يطل بقاؤهما بين الأسرة والأصدقاء كثيراً إذ سرعان ما سافر الزوجان بالطائرة إلى كاراكاس عبر مدينة مراكيبو. وكما أخبرني إحدى صديقات طفولة ميرثيديس، فإن الطفلة الصغيرة التي كانت تستند إلى أحد الحدران في ماء يعمره نور شمس ما بعد الظهر في بلدة سوكري وتقول: "آه! إني أريد أن أسهر حول العالم، وأن أحيا في مدن كبيرة، وأن أقتل من هدف إلى آخر"، كانت في طريقها لتحقيق ذلك الحلم. لم يكن هناك أي سبب يدفع للاعتقاد أن مثل هذه الأحلام ستتحقق يوماً ما في حياة كنت التي نجاه. وهما هما جالسان يتحدثان في الطائرة، أخبر عاتو ميرثيديس عن بعض أحلامه: إنه سيشتر روايه بعنوان البيت، وأنه سكتب روايه أخرى عن دكتاتور، وأنه يلوغ من الأرمين سيؤلف تحفته الأدبية. وتستذكر ميرثيديس في ما بعد: "ولد عاتو مفتوح العينين، يحصل دائماً على كل ما يريده. حتى رواجنا فعند كنت في سن الثالثة عشرة قال لوالده: إني أعرف من التي سأتزوجها. ولم تكن بينا اذاك سوى معرفة اعتيادية"⁽²⁰⁾. والآن تزوجت بهذا الرجل الذي قلما عرفته.

إننا الآن أمام عارسيا ماركيز من طراز جديد، تعبر بواقع الزواج والمسؤوليات الجديدة، وأحد يخطط للمستقبل بوضوح. إن الزوج الجديد لم يحاول أن يثير إعجاب عروسه الجديدة وحسب - وهذا أمر طبيعي - بل أحد يدشن مرحلة جديدة، مشروعاً جديداً، وسيكون حبيب الأدب، الذي هو ملكه شخصياً، جزءاً من المعادلة الجديدة. وبدلاً من أن يحيا كيما اتفق، أي يحيا حياة كفاف، لا بد له من أن يحفظ لكل شيء بما في ذلك الكتابة.

وفي كاراكاس، حصر إلى المطار أفراد أسرة ميندوتا جميعهم ومهم وريز اللعاع السابق دون بليسيو ميندوتا سيرا الكهل الذي بدأ يدرك رويداً رويداً أن

تطبعاته الساسية في كولومبيا تحرت مرور الزمن، فقد ربح المحافظون في كولومبيا المعركة التاريخية التي خسروها إلى الأبد في فنزويلا

عصفت بميرثيديس الأسرة الكبيرة، الجديدة، المنسطة وربما الوائقة من نفسها أكثر مما ينبغي وبما لا شك فيه، أن الشقيقة الوسطى سوليداد كانت تقارن بساطتها، على نحو سبسي ربما، بثائشيا ذات المسحة الكورموبوليتانية. بعد عقدين من الزمان، تكشف الشقيقة الصغيرة كونسيلو من دون قصد في مقالة لمجلة راقية من مجلات بوعوتا السبب الذي جعل ميرثيديس لا تشعر بالارتياح. وتذكر كونسيلو بعد كل هذه السنين فتكتب: 'إنها امرأة كلاسيكية البيان من ساء الساحل: رشيقة لكنها حشيه العصام، سمراء البشرة، تميل قامتها إلى الطول أكثر مما تميل إلى القصر، ذات نظرة حاصة، بفر نعرها المكنتر عن ابتسامه حادة وساخرة في الوقت نفسه عندما سافرت ميرثيديس بارتشا إلى خارج البلاد للمرة الأولى ووصلت إلى كاراكاس، بدت آنذاك شحولة، اعتيادية، تانيرها صيفة. ولكنها أوسع مما كانت عليه الموضة، شعرها قصير، يتموج تموجاً دائماً لكنه لم يكن يبيح لها' (21).

ياحتصار، كانت ذات أصول أفريقية، عبر عصرية وغير مميزة. وبما بيعت على الدهشة أن ميرثيديس أخبرني لاحقاً أنها أمصت وقتاً أطول مما ينبغي مع أسرة مينلونا في كاراكاس، وهو وقت "لا يلائم ذوقي، ولم أستمتع به صراحة". لقد أرادت الابتعاد عن أسرة مينلونا. لكنها اضطرت بدايةً إلى تناول الطعام معهم كل يوم تقريباً وكان غارسيا ماركيز قد هأ شقة صغيرة في مبي روراما في سان بيرناردينو لا تحتوي على أثاث أو أي حاجات منزلية تقريباً (22). وستكون القصة على مدى السنوات التالية هي قصة الزوجين الذين فروجا مؤخراً. وبحسب ماريو هاريس يوسا الذي قهقهه من الفكرة بعد أكثر من ثلاثين سنة وهو يسرد على القصة، فإن بليو ميندونا لم يعادر منزل غارسيا - بارتشا حتى في أثناء شهر المثل (23). ويؤكد ميندونا هذا الأمر ضمناً في مذكراته الثلج والذهب. يمكن للمرء أن يتخيل أن ما نشر إليه ميندونا يؤكد حصافته ووطنه، إلا أنه أخبر العالم كله عن أولى محاولات ميرثيديس الكارثية في طهو الطعام، ونعترف ميرثيديس نفسها أنها لا تستطيع إعداد بيضة وأن عبو اضطر إلى تعليمها كيف تعدها (24). أما عن كون

ميرثيديس لم تنس بكله بعد وصولها إلى كاراكاس، فإن ميدونا يقول: "بعد ثلاثة أيام عى لقائي ميرثيديس قلت لأخوتي: لقد تزوج عابراً بطلاً"⁽²⁵⁾.

قول ميرثيديس إن لا مشكلة لديها في التخاطب مع زوجها. وعدد سألها عام 1991 عن رأيها في لسب الذي حسم علاقتهما قالت: "إنها مسألة تأثير بشرة بي بشرة أبيض ذلك؟ ولولا ذلك لما حصل أي شيء"⁽²⁶⁾ لكن تلك كانت البداية لا أكثر، د سرعان ما ستصايقه، لكن على نحو يختلف عن كل تلك السنوات المفعمة بالإحباط التي سبقت معرفته بها حقاً. فهي ستعزو امرأة لا يمكنه الاستعانة عنها وهو الذي رأى نفسه إنساناً يعتمد على نفسه غمداً كلياً، رجلاً لم يقدر أبداً على الاعتماد على أي شخص آخر مد أن بوي جده علما كان في سن العشرة. فهي التي ستدحل المدوء والمهج إلى حياته. وفيما اردت ثقتها نفسها - أو بالأحرى عندما وجدت أسلوباً يعبر فيه عن ثقتها الداخلية تعبيراً خارجياً بدأت رويداً رويداً تعرض إحساسها الأسطوري بالطعام على موصى عارسيا ماركير التي شجع نفسه عنها كثيراً. فعمدت إلى ترتيب مقالاته ومقتطفات صحفه، وبائفه وقصصه، والسحرة المصنّدة على الآلة الكاتبة من روايتي البيت وليس للعقيد من يكاتبه.

لا بد من القول إن عارسيا ماركير كان قبل رواجه مهمكاً الاهتمام كله في نشاطاته الأدبية بالرغم من الفترة العصية التي كان يشهدها النشاط الأدبي والصحافي منذ وصوله إلى كاراكاس. وكتب قصته الرابعة عن ماكورندو قبلولة الثلاثاء بحسة واحدة تقريباً بعد أن اقترح عليه ميدونا المشاركة في مسابقة للقصص القصيرة نظمها صحيفة الباسيونال ومولها ميغيل أوتيرو سيلفا. ونحسب بليسيو، فإن عارسيا ماركير كتب قصته خلال أسبوع العصح في العام 1958 (إن كان صديقه يحبره بالحقيقة، فقد تكون هناك نسخة أولية لم يشاهدها بليسيو)، وكانت مستوحاة من حادثه تذكرها من أيام طفولته عندما سمع صرحه: "ها قد جاءت والدة ذلك البص"، وشاهد امرأة فقيرة تمر أمام منزل العقيد في أراكائاك⁽²⁷⁾. وتسرد القصة تجربة مثل هذه المرأة وانتهت حين وصلت بواً إلى ماكورندو بعد رحلة بانقطر، واضطرونا إلى السير في الشوارع تحت أبطار أهل اللدة المعادية كي نرورا المقبرة

حيث دُعي فيها ابنها الذي لقي حتفه خلال محاولته السرقة. وبالرغم من أنها واحدة من القصص القليلة التي تدور أحداثها في آراكاتاكا - ماكوندو، فإن أسلوبها ينحو منحى جماليات الواقعية الجديدة التي سبّرت هذه الفترة من حياة غارسيا ماركيز. طالما أعلن غارسيا ماركيز أنه ينظر إلى هذه القصة على أنها أفضل قصصه "وأكثرها حبيبة"، ربما لأن ذكرى طفولته امتزجت امتزاجاً سحرياً بذكرى رجوعه مع أمه حيث سارا تحت حرارة منتصف النهار في آراكاتاكا عام 1950²⁸. لكن القصة لم تفرز بالمنازعة على حداثتها.

أما بخصوص الإلهام، فإن هذه القصة وغيرها من قصص ماكوندو - آراكاتاكا مستوحاة من ذكريات مؤلفها، وأكثرها ذكريات حين جازف، من أيام طفولته "المدهلة"، على حين أن القصص التي تدور أحداثها في "البلدة" (وهي بلدة سوكري) تظهر ذكريات مراهفته المعبدة. لكن إن كانت هذه القصص تدور وفائتها في ماكوندو أم في "البلدة"، فإنها لا تركز الاهتمام على السلطات قاسية الغلب التي تحكم سكان المظفتين. بالرغم من أن قساوسة ماكوندو ليسوا قساة الفلوب كالقساوسة الذين نخدهم في "البلدة"، ويطبق لأمر عينه على السلطات الأخرى (حتى يبدو أن ماكوندو ليس فيها عمدة) - بل تركز على السكان الاعتياديين بنقطات مقربة وبألوان خلابة وهم يحاولون أن يعيشوا حياتهم بمشقة كبيرة بأكثر قدر من الشجاعة، والكرامة، والنزاهة، والشرف الذي تسمح به الظروف غير المؤاتية دائماً. وإن بدا هذا الكلام معرقاً في العظمة ولا يمكن أن يكون "واقعي"، حسناً، فإن عقيدة هذا الأدب هي التي تمكنه من إقناع أكثر القراء تشككاً بوجهة نظره في الموضوع.

وكما هو مقدّر له، فإن غارسيا ماركيز تمكن من تمضية نصف شهر أيار ومجمل شهر حزيران في كتابة قصصه. وكما جرى في عامي 1948 و1956، سنهه ربح غير مؤاتية حظاً سعيلاً قدر ما يخص الأمر الأدب. فقد وصل إلى فنزويلا نائب رئيس الولايات المتحدة الجمهوري ريتشارد نيكسون في زيارة كارتية للمساعي الحميدة في الثالث عشر من أيار، أي بعد أقل من أربعة أشهر على سقوط بيرث حيمينيث الذي قلده وعينه الرئيس آبراهام واسطاً بوصفه صديق الولايات

المتحدة محوصرت سيارة يكسون على طريق المطار ورشمت بالحجارة وبُصق عليها وكان سهلاً جداً أن يفقد حياته فيها. وقد حظت الحادثة بتغطية إخبارية على نطاق عالمي وُعدت علامة تاريخية على المستوى المتسوي الذي وصلته العلاقات بين الولايات المتحدة وأميركا اللاتينية. إن مراجعة لتصميم مخصوص هذه الإهانة ستكون ذات شأن كبير بتأسيس التحالف من أجل التقدم بعد ثلاث سنوات. وكم هو شأن مالكي بنية الصحف، فقد قرر ميريت ماك غريغور أن يكتب مقالة افتتاحية استثنائية بأسف فيها على استقبال يكسون ويحتدر بالثاني عن الحادثة. ووحيد ميبدوفا نفسه في خصم جدل ميريت بشأن الحادثة وصاح لي وجه مالك الصحيفة. "كُل براءاً!" واستقال على الفور وخرج من مبنى الصحيفة. وفي أثناء سروله لسلام، التقى عارسيا ماركير الذي وصل متأخراً إلى الصحيفة، وأوضح له ما حدث، فها كان من عارسيا ماركير إلا أن استدار على عميه وهبط السلام وإياه، وأصبح الاثنان بلا عمل⁽²⁹⁾.

عاد الصحفيان العاطلان عن العمل إلى سان بيرنارديو وطحنا ميرثيديس لتناول الطعام والشراب للاحتفال إلى حد ما بعد وقوع تلك الحادثة وذلك في مطعم ناصية بافاريا (إل ريكون دي بافيرا) لتقريب. ولما أخبرها عن سب فصلهما فهققت عالياً لتؤكد مراجعها اللامبالي وروح دعائها في أن واحد. وقد سمح الوقت العاقص لعارسيا ماركير أن يمد شهر عسله وأن يراجع قصصه القصيرة. وبهذا، تمكن الزوجان من غصية وقت أطول معاً⁽³⁰⁾.

كانت ميرثيديس قد أحصرت معها إلى كاركاس مجموعة الرسائل الكثيرة التي سبق أن أرسلها إليها عابو وكانت في سمنمة وخمسين صفحة. وبعد بضعة أسابيع طلب منها أن تنمعه إدا "قد تقع في يد شخص ما" بحسب ما تتذكر. أما هو، فقد قال إنهما كلما احتلعا بشأن قصية ما تقول له: "لا يمكنك أن تقول هذا لأنك في رسالتك التي أرسلتها من باريس كنت إنك لم تفعل مثل هذا الشيء أبداً". وعندما بدا عليها التردد - لا بد من أن نقاشهما كان صعباً وحادراً في صوة شخصيتهما - عزم عليها أن يشتريها منها ونوصلا إلى منبع رمزي معادله مئة بوليفار وبعدها أتلغها جميعاً⁽³¹⁾. هذه الحادثة مثيرة للاهتمام؛ إن كانت صحيحة

(وحتى لو لم تكن صحيحة، فهي مثيرة للاهتمام أيضاً). فأولاً وقبل كل شيء، توحي أنه كان يصمم تحفة البقاء متزوجاً بها طوال حياتها هي. ولن يكون هناك حقة "عائيتو" كي تذكرها، لأنه لن تكون هناك مسافة بينهما يمكن أن تشكل لحظة حين عند النظر إلى مراسلات قديمة. ثانياً، ربما كانت الرسائل يعني له، سرّاً ذكرى عن زمان تركها فيه حقاً عند اشتغاله بعلاقته تاتشيا والمغامرة العابرة مع "لا بوبا". مما لا ريب فيه أن صممه تطلب منه أن يتلف الدليل (ربما لأنه لم يكن يستعد إعادة الاتصال مرة أخرى بتاتشيا التي انصافها قبل عامين من زواجه غير تيديس). أخيراً، وبعض النظر عن عدم هذا الاحتمال لأول وهلة، إلا أنه قد يشير إلى أن الشاب الذي طالما تباهى في الطائرة بنشأريه المستعمية كان يتوقع أن يصبح مشهوراً، وكان لديه الحدس منذ البداية أن عليه أن يتلف كل الأدلة عن حياته، وأن يبدأ بتشكيل صورته الخاصة بعلامات المستقبل وقاده وكتاب سيرته لتكون جاهزة بين أيديهم. لكن مهما كانت الحقيقة، فإن الإشارة تتلهم في كل الأحوال مع شعور غارسيا ماركيز الدفين بالألّ يتشتت بالماضي ولا يجمع التذكار ت؛ حتى لو كانت تخص رواياته.

مكس بليسيو مسدوثا من العمل مرة أخرى في مجلة البلاد الإخبارية الأولى النخبة (إيسيت) وهي المجلة التي سيلتقي فيها غارسيا ماركيز بواحد من أهم الأشخاص الذين سيكونون مستقبلاً على صلة به وهو سيمون ألبرتو كوسالسي الذي سيتبوأ في ما بعد منصب وزير خارجيه الجمهوريه. واسطاع ميلوثا أن يجد لغارسيا ماركيز وطبعة في المجلة نفسها من خلال معيل النخل كاريلس وهو مالك المجموعة الصحفية التي تعد واحدة من أكثر المؤسسات الصحفية تأثيراً وقوة في أميركا اللاتينية. وهكذا، وفي السابع والعشرين من شهر حزيران، أصبح غارسيا ماركيز رئيس تحرير مجلات المجموعة وهي مجلة فنزويلا غرافكا التي كانت تعرف في أوساط الناس باسم فنزويلا بوروغرافيكاً بسبب ما كانت تنشره من صور ضاب شبه غارياب⁽³²⁾. وكان غارسيا ماركيز قد كتب مقالة مهمة عن إعدام رئيس جمهوريه هنغاريا السابق ناجي لمحبه النسخه في الثامن والعشرين من حزيران 1958، ولكنه لم يكتب إلا قليلاً لمجلته الجديدة.

وصيته أنخبار صيه من كولومبيا بخصوص نشر روايه ليس للعقيد من يكاتبه في بوعونا في طعة حبروان من مجله مترو لأدبية التي سبق لها أن نشرت قصة من قصص غارسيا ماركيز وهي مونولوج امريائين مراقب المصير في ماكوندو. وذلك بعد أن عادر إلى أوروبا عام 1955. وكان قد أعطى خيرمان فارغاس سمحة من الرواية فأرسلها من دون علم غارسيا ماركيز إلى المجلة، على حدّ قوله لرئيس التحرير عايستان ديورن⁽³³⁾. فقد كان نشر رواية ليس للعقيد من يكاتبه في مجله أدسة يعني أن رواية أخرى من رواياته نشرت سرّاً تقريباً وأن عدد الذين سيمرأوها لن يزيد عن المئته فارئ. لا بد من أن غارسيا ماركيز فكر في أن نشرها على هذا النحو أفضل من عدم نشرها في ثلث لاواة التي لم يكن في حسانه أن تكون روايته واحدة من أكثر الكتب مبيعاً.

مرة أخرى يوشك حدث سياسي آخر أن يندخل فيغمر من وضع عارسيه
ماركير تعبيراً جذرياً. عند أن أحمره بيكولاس عيان في باريس في مطلع عام 1956
أن المحامي الشاب كاسترو دعيم حركة السادس والعشرين من تموز هو أمل كوبا
الوحيد، وهو يتابع مآثر ارجل الطولية بما فيها استعداداته في المكسيك، وبخاصة
الرحلة البحرية للمحمية الكارثة إلى كوبا بالزورق البخاري 'غرما' وحرب
العصابات في جبال سيرا مايسترا الكوبية. وعلى الفور أصحى كاسترو موضع
جلس آخر عند عارسيه مركز. فقد كانت فيزيولا تحسب درهما بقلق نحو
نظام ديمقراطي جديد من خلال عملية لن يساهمها عارسيه ماركير أبدأ، لكن
فيزيولا ليست بلاده، ولم بعد العمل يثير اهتمامه كثيراً مع مرور الوقت. على
كل حال، وجد أن قدرته على المشاركة في الكتابة - كتابة المحقيقات والمقالات
الافتتاحية - قد سلبت منه مرة أخرى. لكن كوبا نفسها أصبحت هي بلد عارسيه
ماركير بعد أن اكتسب نضال كاسترو السياسي مضامين عالمية لا يرقى إليها
لشك.

فعي كاركاس، أجرى عارسيا مار كير مقابلة مع إيما شقيقة كاسرو وظهرت المقابلة بعنوان "أحيي فيدل" في مومينيو في الثامن عشر من نيسان عام 1958، ومانع الأحدث الحذرية في كوبا بحماسة متزايدة طوال العام، وبالرغم من أن كاسترو لم

يكس قد أعلى بعد عن أن حركته حركة اشتراكية، إلا أن عارسيا ماركير وجد نفسه للمرة الأولى في مسيرته الصحافية الطويلة قادراً على الكشف عن حماسة مقطعة الظير لمثل هذا السياسي وتعاون تماؤلاً واضحاً كمحامي الثوري. وذكر أن طعام كاسترو المفصل الذي كان يطبخه طبعاً مختاراً بنفسه هو المعكرونة ثم قال: "لا يزال فيدل يطبخ المعكرونة في جبال سييرا مايسترا". وتقول أخته: "إنه إنسان طيب، إنسان بسيط، وهو يجيد الحديث، لكنه قبل كل شيء يجيد الإصغاء". ونصف أن بإمكانه الاستماع إلى أي حديث على مدى ساعات بالاهتمام نفسه. ويبدو أن جوهر شخصيته يكمن في اهتمامه بتشكلات بني جلدته وفي رادته الصلة التي لا تلبث⁽³⁴⁾. وبعد مرور خمسة وأربعين عاماً يردد عارسيا ماركير الكلام نفسه تماماً ناهيك عن سألوه المعكرونة التي طبخها له كاسترو نفسه في مطبخه ثم وما من شيء يثير العجب في هذا لأن كاسترو كان واحداً من الأمور القليلة جداً التي استطاع أن يثق بها عارسيا ماركير. كما أن اكتشافه دور كاسترو في أحداث العنف التي حرت في بوغوتا أضفى انعطافاً أخرى في سيرة عارسيا ماركير باهتمامه بمغامرة اشباب الكوبي المصحية. وبعد المواجهة التي أجراها مع إيما كاسترو بدأ أعضاء في حركة السادس والعشرين من تموز في كاراكاس يروونه بمعمومات فيشرها في المحلات التي يشتغل فيها.

في عشية رأس السنة الجديدة لعام 1958 كان عارسيا ماركير ومونيديس في حملة في نيويورك أقامتها أسرة كابريس، وعندما رجعا إلى المبنى الذي كانا يقيمان فيه عند الثالثة بعد منتصف الليل وجدا المصعد لا يعمل. ولما كان الاثنان قد أسرفا في الشراب، فقد اضطرا إلى الجلوس كلما وصلا في أثناء صعودهما إلى مساحة السلام حتى الصباح السادس. ولما فتحا أخيراً باب شقتيهما سمعا جلبة تكسر الصمت في أرجاء المدينة، وهتافات الجماهير، وأبواق السارات، وأجراس الكنيسة وهي تفرغ، وصفارات المصانع تتلظى. أنورة أخرى في فنزويلا؟ لم يكن لديهما مدبّاح في الشقة، واضطرا إلى هبوط السلام ليعرفا ما الذي حدث، فأحترقهما السوءة، وهي امرأة رتالية، أن الثورة ليست في فنزويلا وأن ديتستا أطيع به في كوبا!⁽³⁵⁾. في وقت متأخر من ذلك اليوم، الأول من كانون الثاني 1959، قد فيدل

كاسترو جيشه ودخل هافانا ودشن بذلك مرحلة جديدة في تاريخ أميركا اللاتينية. ولمعة الأولى منذ اكتشافها، يثأر العالم كله بالأحداث السياسية في أميركا اللاتينية تأثيراً مباشراً. وهكذا غارسيا ماركيز. ربما أشرف عصر العرلة والإحراق في العارة على نهايته. وفي وقت لاحق من ذلك اليوم احتفل هو ولبليو ميندوتا بالخير معاً بإحصاد كمية كبيرة من الشراب إلى شرفة شقة أسرة ميندوتا في بيلو موتني، فيما كانت المركبات تطوف شوارع كاراكاس مطقة أبوابها والرايات لكمة ترفرف حارح الواقد. وأمضى الصديقان الأسبوعين التاليين وهما يتابعان آخر التفاصيل من خلال مراقبة الصحافة في مكتبهما الشخصيين.

في الثامن عشر من كانون الثاني عام 1959 كان غارسيا ماركيز يرتب مكانه في مجلة فنرو ولا غراميكاً قبل أن يغادر إلى مسرله عندما دلف أحد الثوار الكوبيين وأحبره أن طائرة جاهرة في مطار مايكينا لتف من يرعب من الصحفيين إلى جزيرة لمشاهدة المحاكمة العلنية التي ستجري بحرمي الباتستا والتي أطلق عليها "عملية الصدق". أتراه مهما؟ لا بد من اتخاذ القرار على الفور لأن الطائرة ستقلع في وقت لاحق مساء ذلك اليوم ولا محال حتى للذهاب إلى البيت. كاتب ميرثيديس قد رجعت إلى نارانكيا لتمضية إجازة قصيرة برفقة أسرتها. فما كان من غارسيا ماركيز إلا أن اتصل بلبليو ميندوتا وقال له: "ضع قبضين في حمية وأسرع إلى المطار: بعد دعانا فيدل للذهاب إلى كوبا!". ووسط الاثنان في تلك الليلة، غارسيا ماركيز يشبه الذي كان يسها حينذاك وبلا جواز سفر بطائرة ذات محركين تم الاستيلاء عليها من جيش باتستا "نموج مها رائحة بول لا يطاق"³⁶. وفما هما يصعدان إلى الطائرة، والصحافة وآلات التصوير التلفزيونية تسجل الحدث كاملاً، فرغ غارسيا ماركيز لما رأى أن الرجل الجالس أمام أجهزة السيطرة كان مديعاً مشهوراً في محطة الإذاعة وهو كوبي يعيش في المنفى ولا أحد يعلم أنه طيار. ثم سمعه يتدعر لشركة الطيران بأن حمولة الطائرة أكبر من طاقتها حيث اشتر الركاب وتكومت الحفائب إلى علو كبير في مسر الطائرة. فسأل غارسيا ماركيز الطيار بصوت يرتعش إن كانوا س يصلون سالمين، فأجابته بأن يتوكل على الله. أفلمت الطائرة وسط عاصفة مدارية، وقد اضطرب إلى التوقف في مدينة كاماعوا الكوبية في منتصف الليل.

وصلوا هافانا في صباح اليوم لتاسع عشر من كانون الثاني، أي بعد ثلاثة أيام على توبؤ فيدل كاسترو مصب رئيس الوزراء، وعلى الفور اندمج الصديقان في حضم الانتهاج بالثورة الحديدية وأحداثها الدرامية وفي كل مكان شاهنا الرايات الحمراء الخفاقة، ورحان حرب العصابات المتحيز يحملون بادفهم على أكافهم ويحسطنلون بهلاحين حالي الضربات يعتمرون معات من القش وفي حمة وشاط يعنر سياهم. ومن أول الأشياء الي جذبت أنظار الصحفيين هو مرأى الطيرين الناعين للقرة الجوية لطام ماتيسنا وقد تركوا لحاهم تسو لظهورا أنهم ثوريون. ويلمح البصر، وجد عارسيا ماركير نفسه في القصر لوصي، وخسب ما يتذكر، في حصم هوصي عارمه: ثوريون ومعدون لتورين وصحفيون أحاب وقد احتطوا كلهم بعضاً بعض. ويتذكر ميدونا أنه في حين بدأوا يتوهدون على قاعة المركز الصحفي شاهد كمبو ثيبيرس وشي عيمارا يتحدثان وسمع ثيبيرس يقول بوضوح: "عليا أن نقصي على كل أولئك السفلة"⁽³⁷⁾. وبعد دقائق معدودة، كان عارسيا ماركير يجري لقاء مع الجرال الإسباني الأسطوري ألبرتو بابو، وعنده تدهى إلى سمعه صوت طائرة مروحية أقنت كاسترو الذي جاء لبشرح "عملية الصدق" أمام حشد من ميون شخص نجمعوا على امداد شارع البغاث أمام المي⁽³⁸⁾. قطع عارسيا ماركير معالته عند دخول كاسترو القاعة الكبرى ولم يكن يسه وبين كاسترو سوى ثلاثة أفراد عديم شاهد الزعيم الجدهد يهياً للقاء كلمه. وفيما يلاً كلمته شعر غارسيا ماركير بحس في طهره، إذ طه رجال الحرس الجمهوري متسللاً، لكنه حس الخط تمكن من التعرف بعسه.

ذهب الكولومبيان في اليوم التالي إلى المدينة الرياضية مشاهدة محاكمة أنصار باتيسنا المتهمين بجرائم حرب، وهيا هناك طوال النهار والليل كان هدف 'عملية الصدق' يمثل بالكشف أمام العام عن أن الثورة خاكم وتعدم بحرمي الحرب فقط وليس كل "أنصار باتيسنا"، بخلاف ما كانت تزعمه بعض الأوساط الصحفية في الولايات المتحدة. حضر عارسيا ماركير وميدونا محاكمة العقيد جيموس سوس بلانكو، وهو أسوأ أفراد قوات باتيسنا المسلحة سمعة وكان متهماً بقتل فلاحين عرّ. كان الملعب يضم ما يشبه حبة مصارعة مسلطة عليها الأضواء الساطعة

حيث وقف فيها المشهور ممبدي الأيدي. ووجد الكولومبيان نفسيهما ولهما في الصف الأمامي، فيما هدرت حشود الجماهير وهي تناول وجبات طعام سريعة وتحتسي الشراب مطاله بالدم على حين حاول سوب بلانكو الدفع عن نفسه بمسرح من الازدراء والسخرية والرعب. وعندما أدرك سوب أخيراً بالحرم، رأى ميدونا نفسه وهو يقدم الميكروفون إلى الرجل المدان كي يتمكن من الرد على قرار الحكم، إلا أن سوب رفض أن يعقب بأي شيء. ويقول غارسيا ماركيز في وقت لاحق إن هذا الحدث دفعه لتغيير فكرة رواية خريف البطريرك، التي تصور حداثك نذير حول محاكمة دكتاتور أطيح به مؤخرًا، لتكون رواية تُسرّد أحداثها من خلال ممولوات ومن حول حثة. وامتنع غارسيا ماركيز وميدونا عن مرافقة صحفيين آخرين للذهاب في ذلك المساء إلى زسرة الرجل المحكوم ومساعدته. وفي صباح اليوم التالي، ذهبت زوجة سوب بلانكو وابنتاه اتوأتان اليالعتان اثني عشر عاماً إلى المصدق ليتنفس إلى الصحفيين الأحباب توفيع طلب الرأفة، فاستجابوا جميعاً. كانت الأم قد أعطت ابنتها عقاقير كي تبقى صاحنين، "حتى نذكر، هذه الليلة بهمة حيلماً"⁽³⁹⁾. ويدنو أن غارسيا ماركيز وقع على الصلب إحساساً به بالعطف على الأسرة ومعارضته طوال حياته حكم الإعدام أكثر من قلقه بشأن عدالة الإجراءات. كانت المحاكمه "سيرك" حقيقياً، إذ احتج سوب بلانكو. لكن دسبه كان أن الحكم كان عادلاً بالرغم من مخالفة الأصول والقواعد⁽⁴⁰⁾.

عاد الصديقان جواً إلى كاراكاس بعد ثلاثة أيام، ولكن بلنبيو مندوتا قرر العودة إلى بوغوتا لأنه كان متدمراً بما وصفه حالة الرهاب من الأحباب المتريدة في سررويللا، وسافر في أواخر شهر شباط وبدأ العمل صحافياً سرّ لمجلات مثل كروموس ولا كابي، في أثناء انتظار الأحبار من كوبا. وأقعت حالة النشاط الطوباوية ميدونا الأكثر قدرة على التأثر والتهور من صديقه الأكبر سناً منه على أن يعمل لمصلحة الثورة الجديدة التي رآها كلا الرجلين على أنها ظاهرة ذات أبعاد راهية درية. وقد أوضح غارسيا ماركيز لمعارفه في كوبا أنه يمكن أن يكون مستعداً بدوره للعمل لمصلحة النظام الجديد إذا ما وجدوا له عملاً مناسباً.

تحدثت الصحافة في الولايات المتحدة برحوم عن "حمام دم" في هافان وإعدامات بالحملة لجميع أنصار باتيستا الذين تمكن اغتفاهم، في حين استمرت الحكومة الثورية الجديدة في إصرارها على أنها بسلطة تحاكم وتعدم مجرمي الحرب الذين ثبت إدانتهم كان غارسيا ماركيز وميدونا مقتنعين بعدالة القضية الكوبية وسلم ردود فعل حكومة الولايات المتحدة وإعلامها وأعلن الصحافي الأرجنتيني جورخه ريكاردو ماسيني في مقابلة خلال الأحداث التي جرت في المدينة الرياضية أن نعطية الولايات المتحدة للأحداث في كوبا "توضح مرة أخرى ضرورة وجود وكالة صحافة أميركية لاتبية لدفع عن مصالح الشعب الأميركي اللاتيني"⁽⁴¹⁾. كان هذا الاهتمام بتقديم لأخبار من وجهة نظر أميركية لاتبية قد مات هاجساً من هواجس غارسيا ماركيز. وفي آخر الأمر، دعت الحكومة الجديدة ماسيني نفسه لإنشاء نموذج الوكالة الصحافية الذي أوصى به وذلك في العاصمة هافانا، وسيكون اسم الوكالة لاحقاً الصحافة اللاتينية (بريسا لاتيب أو برنلا احتصاراً). وحاماً تمت الموافقة على إنشاء هذه لوسيلة الثورية الضرورية، بدأ ماسيني يبحث عن مشاركين وموظفين في كل بلد من بلدان القارة، وفتح للمكاتب في جميع عواصم أميركا اللاتينية الرئيسة.

* * *

في شهر نيسان، وبعد مرور مدة قصيرة على رياره كاسترو إلى واشنطن وسميورك لني اسمرت أحد عشر يوماً وأهملت فيها حكومة الولايات المتحدة شأنه، وصل العاصمة بوغوتا مواطن مكسيكي يدعى أرماندو سواريث، وكان في حال سيئة نتيجة إصراره في الشرب، حاملاً معه حقيبة مملوءة بأورال نقدية وبعد أن تحدث إلى عبير من أمحول الذي رجع إلى بوغوتا الآن، اقترح أن يمنح بيبو ميدونا وغارسيا ماركيز المكتب الجديد لوكالة بريسا لاتينا المرمع إقامته في المدينة. وعلى الفور وافق ميدونا وقال إن صديقه غارسيا ماركيز الذي لا يزال موجوداً اساء في هروب صحافي لامع ويؤيد الثورة تأييداً قوياً، وإنه في انتظار كلمة منه. فعاء الرد سريعاً: "أرسل في طلبه على الفور"⁽⁴²⁾ كانت الثورة ماضية في طريقها وهي في طور التكوين. يقول غارسيا ماركيز بعد مرور سنوات: "جرى كل شيء

شمهياً، لا شبكات ولا إيصالات. هكذا كانت الثورة في تلك الأيام⁽⁴³⁾ وبعد مرور بضعة أيام أبلغ مصرف كندا الملكي (رويال بانك أوف كندا) مسؤولاً أن مبلغاً مقداره عشرة آلاف دولار قد وصل باسمه. فما كان منه إلا أن أسرع بالاتصال بكاريسيا ماركيز وأخبره طائلاً إليه اللحاق بالطائرة النشطة.

تعلت رغبة عاريسيا ماركيز في العمل في كوبا على ترده في العودة إلى بوغوتا. فقد أعجته سرور ولا سيما إعجاب في تقدمها السياسي على كثرة مشكلاتها وحيرتها. غير أن كوبا تقدمت خطوة، بل عدة خطوات إلى الأمام. كان عاريسيا ماركيز وميرتدس قد وصلا إلى بوغوتا مطلع شهر أيار وهما لا يدريان ما بعلانه، حسب قول ميدونا، واحتفل عابو باخري في أثناء قيادة ميندوتا السيارة برفقتهما إلى المطر: "كوبا! عظيم!"⁽⁴⁴⁾. همد كانت تلك هي فرصته الأولى على مدى السنوات الاثني عشرة المصرفة من عمله صحافياً ليؤدي تماماً العمل الذي يرغب فيه، بلا رقابة وبلا مساومات؛ أو هكذا حُيِّل له. كان مكتب برسالاتها يقع في الدوار السابع - سبتميا: لا بد من أن هذا وحده بدا أشبه بثورة!- في الشارع السابع عشر والشارع الثامن عشر، فالة مفهى تاما وعلى مقره من الشُّرل الذي سكن فيه عند وصوله أول مرة إلى بوغوتا قبل خمس عشرة سنة وهو في طريقه إلى نياكيرا⁽⁴⁵⁾. لم تعد بوغوتا حصن الكاتشاكو المبيع كما يرى عاريسيا ماركيز فقد أصبحت الآن المدينة التي تعلم فيها فيدل كاسترو دروساً ثورية مهمة في نيسان عام 1948 والمكان الذي سيبدأ فيه عاريسيا ماركيز وميدونا بنشر الثورة. وبدأ العمل على انعور. هناك الشيء الكثير الذي ينبغي تعلمه وارتخاله. كان المكتب في الدوار السابع قد تحوّل قبل وقت قصير إلى ملتقى اليسار الكولومبي. وكان موظفوه، ومن بينهم إدواردو شقيق ميرتدس، في بداية أخطر المراحل المصعبة والعيقة - وبالتالي المأساوية في تاريخ أميركا اللاتينية في القرن العشرين في تلك الآونة كان التذمّيون من حول العالم ينزفون الأحداث في كوبا بأقصى درجات الانهزام وأكثرها عمقاً. وبدأ الأميركيون اللاتينيون الشباب بتطبيق "الدروس الكوبية" على أقصاهم وأسيس حركات تحرّر في جميع أرجاء القارة. أما ميدونا وعاريسيا ماركيز فقد بدأ بتنظيم مظاهرات التأسد بكوبا في الشوارع المحيطة بالمكتب.

بالرغم من هذا النشاط، وكما هو الأمر في أعص الأحياء، كانت كولومبيا تبدو في نظر التقدميين أقل مدعاة لتحير مما هي عليه في كونا أو فنزويلا. وعندما بدأ روماس يساً بهار في آذار 1957 بعد أن دانت الكنيسة الكولومبية نظامه، كانت هناك حركة مسيه يقوده الرعيم الليبرالي ألبرتو بيرس كامارغو دعت إلى إضراب عام. فاستقال الدكتور في العشر من أيار لمصلحة مجموعة من خمسة أفراد بقيادة الجنرال غابرييل باريس غورديلنو، وشعر هؤلاء بصعظ شديد لقطع الوعود بالعودة إلى الديمقراطية. وفي العشرين من تموز، وفي متحف سينغيس على ساحل إسبانيا الشرقي المصل على الحر الأبيض المتوسط، وضع بيراس والزعيم المحافظ الممي لوريانو غوميث ترميمات أطلق عليها "الجهة الرصة" وتقضي بأن يشادل الحرب المحافظ والحزب الديمقراطي الحكم بوصفهما كياناً حكومياً ذا رأسين على مدى المستقل انطور للحيلولة دون وقوع فوضى سامية وهي شفرة تشير إلى التحول إلى اليسار - ونخطر العودة إلى الحكم العسكري. وأعلنت المجموعة الحاكمة عن إجراء استفتاء في شهر تشرين الأول ووافقت البلاد على الخطة في الأول من كانون الأول عام 1957. وبعد استفتاء بدائي وعريب قرر بموجه من هم أكثر المرشحين المحافظين والليبراليين شعبية، قرر بيراس من دون معارض في انتخابات عام 1958 وبعد عودة غارسا ماركيز وميرثيديس بارسنا مباشرة إلى فنزويلا في أعقاب رواجهما في شهر آذار، أعلن أن الرعيم الليبرالي هو رئيس فنزويلا "الديمقراطي" المقبل بدءاً من شهر آب 1958. لقد لخص سا غارميا ماركيز تاريخ كولومبيا الحديث بكلمات لا يس فيها في مقالة نشرت في كاراكاس في اليوم الذي تزوج فيه:

بعد ثمانية أعوام وتسعة أشهر وأحد عشر يوماً مرت من دون انتخابات، عاد الشعب الكولومبي إلى صناديق الاقتراع ليعيد انتخاب برلمان سبق أن حُل في التاسع من تشرين الثاني عام 1949 بأمر من ماريانو أسييا بيرث رئيس الجمهورية المحافظ الذي كان مليونيراً حذراً وكثوماً واستهل بذلك وفي تمام الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين من يوم السبت مرحلة من ثلاث دكتوريات متعاقبة كلعت البلاد منفي ألف قتيل وأسوأ اضطراب اقتصادي واجتماعي في تاريخ البلاد. لقد شوّه هذا الاضطهاد المسلح الحقوق الذي لا يعرف الصفع الذي شُرّ ضد الليبراليين واقعا الانتخابي الوطني⁽⁴⁰⁾.

ولكي يكمل عرسب ماركيز معيّمه الذي حكم فيه بالإدانة على الانتخابات، سحر من أن يرأس كامارغو الذي شعر أنه هو المسؤول أحياناً عن السماح للحرب الليبرالي بصفدا السلطة عام 1946 - برر بصفته مرشحاً لأنه كان محافظاً أساساً حثّ، كم كان متوقعاً، المرشحين الليبراليين من المجموعة نفسها من "الأوليغاركيين" الذين مثلوا الحزب قبل عشرين عاماً وفي الثالث عشر من شاط عام 1959 أسس ألفونسو لوبيث ميتشيلسين حزباً جديداً هو الحركة الثورية الليبرالية التي تسببت في اضطرابات قليلة إبان ستينيات القرن العشرين، لكنها أثرت في ما بعد تأثيراً واضحاً في الصراع بين الليبراليين السياسيين.

وكما هو معتاد، وفصلاً عن الإحباطات التي اكتسفت السياسة الكولومبية على وجه العموم، فإن عارسيا ماركيز لم يخط بأي حال من الأحوال مرجوعه إلى بوعونا الموحشة. ولكن، ترافقه الان روجة نشاطه ردود فعله ومقارمه الساحلية للأساليب العادرة التي دأب عليها أهالي بوغوتا. كانت ميرثيديس حاملاً مند بصعة أشهر، فصورة الشعر وغالباً ما ترتدي الباطين مما أثار حفيظة الجيران في بوعونا لا سيما إن كانت المرأة حاملاً، ممماً مثلما أثارت حميتهم قمصان زوجها المبهرجة ومحوه بالنسبة إلى الكوبيين⁽⁴⁷⁾. وكان بلييو، الذي لا يزال أعرب، يتردد على الشقة في معظم الأيام ويصطحب ميرثيديس إلى السينما علف يكون عابو مشعرواً. وكان هو وصديقه قد اشترى معطلين أررقين داكي اللون متمائلين فيلداو، كما كان يشتر الحياء من الأصدقاء، "أشه بصيين ألبستهما ثيابهما أم واحدة"⁽⁴⁸⁾.

شهد النصف الثاني من العام نشر المقالات التي كتبها عارسيا ماركيز عام 1957 حول ريارته دول الكتلة الشرقية وظهرت تلك المقالات في صحيفة كروموس بعنوان عام موحد هو 'نسون يوماً وراء الستار الحديدي'، للفترة الممتدة من السابع والعشرين من تموز وحتى الثامن والعشرين من أيلول عام 1959. ومما له دلالة أنه لم يكرر المقالة المنعارية لأن كادار أعدم ناجي بعد أن كتب عارسيا ماركيز عن كادار مقالات جيدة. وكتب مقالة منقصية في الموضوع؛ حتى وإن لم يدكر قراءه معرفته بكادار، ولوحظ أنه وجّه اللوم فيها إلى خرونشوف بدلاً من أن يوجهه إلى السعاري: "حتى نحن الذين وثقنا، انطلاقاً من المبدأ، بالدور الحاسم الذي

كان يؤديه خروتشوف في تاريخ الاشتراكية، لا بد لنا من أن ندرك أن رئيس الوزراء السوفياني أصحى كأنه متايل⁽⁴⁹⁾ وما ينظر الانتاه أن الشيء الذي أكدته عارسا ماركيز أكثر من أي شيء آخر هو أن إعدام ناجي كان عملاً ينطوي على عباء سياسي، ولم تكن تلك بالمرّة الأخيرة التي يتخذ فيها مثل هذا الموقف الدراعي في وجه السياسات التسلطية التي كان يتوقع منه أن يديها من حيث المبدأ. ربما ينبغي ألا تتولانا الدهشة عندما نرى أن الرجل الذي كتبها والذي أصبح ينق في هذا الوقت ثقة واضحة بوجود أشخاص "محقين" وأشخاص "مخطئين" في مواقع معينة، والذي يقدم مع سبق الإصرار السياسة على الإخلاص، من شأنه أن يساند حتماً زعيماً يتملأ استدلاله، مثل هيندل كاسترو، في السراء والضراء. ومن المفارقة أن المقالات عن أوروبا الشرقية كانت مناسبة عام 1959 أكثر مما كانت عليه عندما كتبها في باريس قبيل رحيله إلى لندن سنتين لأن أموركا اللاتينية كانت تنح بقوة إلى اليسار وكانت النقاشات حول الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية والديمقراطية مستمرة إبان السوات الخمس والعشرين التالية.

أنجست ميرنيديس أول طفل لهما وهو رودريغو غارسيا ماركيز يارنشا في الرابع والعشرين من آب. لقد ولد الطفل سيئ الحظ مثل واحد أي من الكاتشاكو، لكنه عُتد تعميدياً يليق بطفل مقدر له أن يقوم بمهام عظيمة. وما هو متوقع أب يكون العراب يلينيو ميندونا والعرابة سورانا يناريس زوجة خورمان فارعاس الذي يقطع حالياً في بوغوتا. لكن الذي عُمده هو الأب كاميلو توريس ذلك الفسيس المضطرب الذي سبق لغارسيا ماركيز أن عرفه زميلاً يدرس الحقوق في الجامعة الرصية عام 1947. كان توريس قد ترك الجامعة أواخر العام 1947 وانحصر صديقته سيئة الحظ بدير الراهبات يُذكر أنه أصبح فسيماً في العام 1955 ثم درس علم الاجتماع في جامعة لوفان الكاثوليكية وتزامت دراسته في أوروبا مع وجود أصدقاء الجامعة القدامى الثلاثة عارسا ماركيز وبلينو مسدونا ولويس سار بوردا. وعند عودته إلى كولومبيا امتنح بتدريس علم الاجتماع في الجامعة الوطنية التي اجتمعوا فيها كنهم للمرة الأولى. وفي الوقت الذي التقوا فيه مرة أخرى عام 1959، كان الأب توريس نشيطاً وسط جماعات هامشية في بوغوتا ووجد نفسه وقد ارداد

اعتباراً عن هرم الكيسة التليدي⁽⁵⁰⁾. ومع لا ريب فيه أن غارسيا ماركيز أراد من توريس أن يكون القسيس الرسمي عند التعمد لأسباب عاطفة، لكنه كان القسيس الوحيد الذي كان هو وميرثيديس يعرفانه. رفض توريس أول الأمر أن يكون وليبو ميدوثا عراباً، ولا يرجع سبب ذلك إلى أن ميدوثون لم تكن مؤمناً وحسب، بل كان يستخوف بالقدسات أيضاً⁽⁵¹⁾.

كلمما عاد الصديقان الحميمان من المكتب ودخلا البيت في وقت متأخر من الليل كعادتهما بعد ولادة رودريغو، فإنهما يحاولان إيقاظ الطفل ليضع مع عرابه وعندما كانت ميرثيديس تمسح، كدأب دوماً، يقول لها غارسيا ماركيز: "لا بأس، لا بأس. لا تناكدي عني عراباً"⁽⁵²⁾. ظل كاميلو توريس يزور ميرل غارسيا بارتشا من وقت إلى آخر. وبعد ستة أعوام، يضم الأب توريس براءته الطيبة إلى أفراد جيش التحرير الوطني ويلقى مصرعه في أول معركة، ليكون أشهر قسيس ثوري في تاريخ أميركا اللاتينية في القرن العشرين.

اقرب العام 1959، عام الثورة الكوبية، من هياته. لكن قبل نهاية العام عدة طويلة كان غارسيا ماركيز قد فرغ من كتابة ما أصبح يعرف بلا أدق ريب أهم قصة قصيرة يكتبها، إن قصة جنازة الأم الكبيرة ما كان ينبغي لها أن تُدرج ضمن المجموعة نفسها لأن القصص الأخرى بدأت في لندن واكتملت في موروبلا، وهي استمرار لأعماله الواقعية الحديثة الموزعة أسلوباً وإيديولوجية لرواية ليس للعقيد من يكتابه. لكن فصلاً عن كون قصة جنازة الأم الكبيرة استمراراً لأسلوب أدبي ونسبي إلى تلك الحقبة الإيديولوجية، فإنها كانت حديثة بكل معنى الكلمة: إنما صر من النصوص الأساسية لمجلة مسيرة غارسيا ماركيز الأدبية والسياسية، وهي التي ستوحد أسلوبه الأدبي - "الواقعي" و"السحري" - للمرة الأولى على مدى نصف القرن التالي من الرماد، وبخاصة في رائعته مئة عام من العزلة وخريف البطريق. لقد بلغ نطاق هذه القصة، لا سيما هائيتها، ودعمها لمحتل عناصر صمم ميثولوجية غارسيا ماركيز وشعريته، حداً دفعه إلى أن يمضي سنوات في محاولة لفصل أهم حيوطها التشابكة متمثلاً في عاطره نهائي هاتين الروايتين العظيمتين اللتين كانتا تنتظرانه منذ سنوات.

سياسياً، كانت عودة غارسيا مركزاً إلى كولومبيا صدمة ثقافية عنيفة وإن كانت متوقعة. لقد كتب رواية ليس للعقيد من يكتابه في أوروبا حيث كانت لا تزال لديه، بالرغم من كل شيء، بعض المشاعر الوجدانية تجاه البيت وتجاه بعض الناس هناك. وبدأت القصص الأخرى في المجموعة التالية في أوروبا أيضاً واكتملت في سموات إقامته الأولى في فنزويلا، وكانت تعيض محبة تجاه الكولومبيين الإعياء الذين تشبه محبة التي لا مجال للشك في تجاه العقيد الذي لا يحمل أي اسم. على كل حال، كانت قصته جنانة الأم الكبيرة ثمرة رجوعه إلى كولومبيا نفسها بعد أكثر من ثلاث سنوات أمصاصها خارج البلاد وبعد أوروبا وبعد فنزويلا وبعد كوبا. إن قراءه القصة تجعل المرء للوهلة الأولى يشعر بنقل كل تلك التحارب المختلفة التي تحملها واحدة تلو الأخرى على تصويره للبلاد. إنها تجعل المرء يشعر بكل إحباطات مؤلفها المتركمة واردةائه وعضبه من بلد أفي أولاده باستمرار وبد كأنه لم يتغير أبداً.

بدأ، الشيء الأول الذي لا يعني قوله عن قصة جنانة الأم الكبيرة هو أني نحلو من الحدث تقريباً، إنها أعية رائعة ورقصة عظيمة عن لا شيء، أو عن لا شيء تقريباً. إنها تحكي قصة - تماماً مثلما يروي غارسيا ماركيز نفسه القصة - حياة وموت (بل تحكي عن الموت أكثر مما تحكي عن الحياة) ثم كولومبية عجور معروفة بالاسم الأم الكبيرة يحصر جاراتها كل سياسي ووجهاء كولومبيا، بل يحصرها أيضاً روبرت سارزون من خارج البلاد مثل لابلابل. القصة تظهر، بلميحاً لا قولاً، أن الأم الكبيرة أمست حياتها كلها في وسط اللامكان. وأن ثروتها تقوم على علاقة مخجبة من الاستغلال الشيع مع جمهير الفلاحين الكادحين، وأنها هي نفسها قبيحة ومبتذنة وسخيفة. غير أن ما من أحد في بلدها، الذي لا يُذكر له اسم ولكنه واضح من السياق، يبدو منتهاً إلى هذه الحقائق المدمعة. بكلمات أخرى، إن غارسيا ماركيز ينتج رمزاً يبين المكافحة الأخلاقية الحقيقية "للأوليغاركية" شبه الإقطاعية التي لا تزال قائمة والتي حددها أول مرة عاينان ونفاق الطبقة الحاكمة التي يهيم عليها الكاشاكو والتي تدعي أن عالم كولومبيا هو أفضل العوام الممكفة، وأن الذين يسعون إلى احتلالهم هم أولاد الحرام المساكين الذين يقيمهم أولئك الذين هم أعلى

شأناً مهمه. إن ما يحدث بين أيدينا، بحسب عارسيا ماركيز، هو مصام حياره الأراضي الاستعماري الذي أشرف عه النظام السياسي في القرن لتاسع عشر، أه! متى نخل الفرد العشرون على كولومبيا؟ وهكذا، تبدأ قصته بوصفها تحسيدا لعالم مقلوب ومن الداخل أيضاً:

بالرغم من كل الذين لا يؤمنون في هذا العالم، هذه هي الحكاية الحقيقية للأمم الكبيرة، الحاكم المطلق على ملكة ماكوندو، التي عاشت اثنين وتسعين عاماً وتوفيت محاطة بمائة من القداسة في يوم خميس من شهر أيلول الماضي. وحضر جنازتها الباب⁽⁵³⁾.

وبعد خمس عشرة صفحة تنتهي القصة على هذا النحو:

يمكنك لقداسة البابا أن يرتقي إلى السماء الآن جسداً وروحاً فقد أُنجزت مهمته على الأرض ويمكن رئيس الجمهورية أن يجلس ويحكم استناداً إلى بصيره، ويمكن للمكات لأشياء هجاء، ماضياً ومستقبلاً، أن يتزوجن ويسعدن ويحلمن ويجبن العديد من الصبيان، ويمكن لعامة الناس أن يصوبوا خيماهم حينما يشعرون بالسرور في أرض الأم الكبيرة التي لا يحدّها حد. لأن الوحيد الذي يمكنه أن يعارضهم ويملك قوة كافية لمعارضتهم قد بدأ بنفسه من تحت قاعدة مربعة من الرصاص ولم يبق هناك شيء سوى أن يجمل شخص ما كرسياً على لحائط ليروي هذه الحكاية وهذا الدرس وهذا المثال للأجيال القادمة كي لا يبقى واحد من غير المؤمنين في هذا العالم وهو لا يعرف قصة الأم الكبيرة. لأن عمال النفايات سيأتون يوم غد الأربعاء وبكسوة النفايات الحقيقة عن جنازتها إلى الأبد، إلى الأبد⁽⁵⁴⁾.

ينذكر المرء ها لحظة كدول ماركس نفسه وبلاعه⁽⁵⁵⁾ غير أن صوت لروبي ووجهه نظره يتجيبان السخرية المطلقة ويرتضيان حكم سوييف أو فومير اندي يبلغ درجة كبره من القوة حتى ليقدر على نياك نقيض الحالة التي يعتقد بها، متأكداً من أن القارئ سيظل معه.

من الواضح أن قصة جنازة الأم الكبيرة تمثل رد فعل عارسيا ماركيز العميق تجاه الوضع في البلاد وشعوره بالخذلان والحيرة عند رجوعه بعد أربع سنوات مصافها بعيداً عن الوطن. الفارق الكبير الآن هو أن صوته صوت كذب له سبطه، كاتب له ما له من الارضاء والاحتقار المرتكزين على شرمة في العالم لرحيب⁽⁵⁶⁾.

الراوي بعدم إليها كولومبيا عاجزة عن التعبير لكن من منظور (سوفياني⁹ مرويلي؟ كوبي⁹) يدرك أن التعبير محكم، وهو أمر لم يكن قد عرفه بعد الراوي في رواية **عاصفة الأوراق**. إن مثل هذه القصة ما كان لها أن تُكتب إلا عام 1959 عندما مرّ غارسيا ماركيز بما اصطُح عليه كارل ماركس تجربة "ديالكتيكية" قوامها مقارنة بين الحبهة الوطنية الكولومبية والثورة لكوبه؛ مما أصمى على واقفته السحرية التي بدت تسوح ناسخها منذ الان محيٍ وحشيًا، هجائيًا، كرماليًا وسياسيًا هذه القصة لحظة فريدة من لحظات التطور والتوارث. ومن الأشياء التي تمصع عنها هي: "لم يعد في ميسوري أن أكب قصصاً كقصص هذه المجموعة. انتهت مرحلتها الواقعية. لكنه يوشك أن يصبح الان ضحية مدرسة تاريخية عصبى.

وكما نشأ الأقدار، وبالرغم من أنه بلغ نهاية مرحلته الواقعية أو الواقعية الجديدة، فقد أصبح واسطه تضام مهمه كروا. لكن لمرافقه هي أن النظام الكوبي الذي فتح حال العديد من أدباء أميركا للاتسة وثقفيها تراء عم قريب يتحدث عن خط من أعماط الكتابة الواقعية الاشتراكية التي أصبح غارسيا ماركيز الآن عاجزاً عن تقديمها. إنه بحاجة إلى المشهد العام الذي يعث على الاطمئنان من أدباء أميركا اللاتينية الآخرين الذين يؤلفون روايات تستند إلى الخرافة والسحر قبل أن يتمكن من تصور رواية من رواياته تعمل - بل ترفض صم - مبادئ الواقعية الاشتراكية كما أن هناك بعض العوامل ذات الصلة بالسيرة لتحديدًا تعمل عملها على مدى السنوات الطفيلة النقص. إضافة إلى ذلك، فإن تعبير المكاف وهو تعبير آخر - والحاجة إلى إعانة روعة وأطمال من سأمها أن يؤثر تأثيراً بالغاً في المرحلة المقبلة: وستتشتت ذهنه بعيداً عن مهنته على نحو لم يألفه من قبل لأنه لم يعد يملك تلك المرة المقطعة والمتشعبة بقدرته على التصور جوعاً في حين يسي بداء الإصام أيسما وحيثما جاءه وهذا ستبدو قصة حارة الأم الكبيرة على مدى وقت طويل أنها ليست سوى نهاية مرحلة (من نهاية حياته كأديب بعض الوقت). ولن ينظر إليها إلا بعد مرور زمن صويل على أنها علامة تاريخية وضرورية وبداية لمرحلته الناصحة. إداء في ضوء الأدب، يمكن القول إن غارسيا ماركيز كان يعيش في واسط السياسات على هواه، ووصل به التفكير حداً أنه أراد العودة إلى باراكما للعمل في

السينما مع ألفرو سيبيدا إذا ما أحقق عمله مع الثورة الكوبية⁽⁵⁷⁾. وفي إحدى زياراته إلى بارانكيا جلس عارسيا ماركيز برفقة ألبرتو أغوايرا ملتبساً عن سيما سيدلين في فندق دبل برادر في انتظار سيبيدا الذي كان يمرض به أن يصل حاملاً اقتراحاً بإنشاء هيئة سياسية وطنية، لكنه لم يتمكن من الحضور. وفي أثناء طعام العشاء، أشار عارسيا ماركيز إشارة حمرة إلى أن ميرثيديس اتصت هاتفياً من بوغوتا لتحريره بضرورة دفع مبلغ مقداره ستمئة بيروس لحلولة دون توقف الخدمات. كان أغوايرا محامياً ورئيس تحرير سبق له أن عُثر عن إعجابه برواية يس للعقيد من يكتابه عندما بشرتها دار نشر ميتو قبل سنتين. ولما شارفت وجبة الطعام على هابتها، عرض على عارسيا ماركيز إعادة نشر الرواية، غير أن هذا ردّ عليه قائلاً: "لا بد من أنك محزون. أنت تعلم أن كسي لا تحقق مبيعات في كولومبيا. تذكر ما حدث للطبعة الأولى من رواية عاصفة الأوراق". لكن أغوايرا بدأ محالة لإقناعه وعرض عليه مبلغ خمسمئة بيروس يدفع منها مقدماً مئتي بيروس. وهذا فكر عارسيا ماركيز في مقطورة الكهرباء ووافق على الفور. وبعد مرور سنة كان قد كتب رسالة وهو تحت تأثير الشراب، ومستلقياً فوق كرسي هزاز من الخيزران تحت شمس ما بعد الظهر المدارية⁽⁵⁸⁾، أن ما قاله عارسيا ماركيز أغوايرا كان صحيحاً. وعندما صدر الكتاب عام 1961 بالفي نسخة، لم تنع منه سوى خمسمئة نسخة. ولو أنه انتظر انتحاح في كولومبيا لرعا انتظر العمر كله.

الثورة الكويتية والولايات المتحدة الأميركية

1961-1959

في شهر أيلول من عام 1960 وصل الأرجنتيني خورخه ريكاردو ماسيني، مؤسس وكالة الصحافة بريسا لايبا، إلى مدينة بوغوتا في طريقه إلى البرازيل. كانت لماسيني ملامح نجوم السينما، وكان جسوراً، مقدماً ينافس في ذلك مواطن بلده الأرجنتيني ارستو شني عيفارا، ويواصل نصالاً مريراً صد صيق فكر الحرب انشعري، وناقش هذا الموضوع مراراً في هاافا مع بييو ميديوتا. وذهب ماسيني خلال زيارته القصيرة إلى بوغوتا التي استغرق يومين، إلى غارسيا ماركيز في منزله وأخبره كما أخبر ميديوتا أنه لم يعد تمكن من الإتيان على شخصي جديريين بالثقة في كولومبيا، وأنهما إن كانا على استعداد لتسلم وطبقة أخرى غير أن ميديوتا، الذي بارع من كونه غير متزوج ودار كوبا سبع مرات حتى الآن في ذلك العام ودار مدرم سسكو لخصور مؤتمر رطة الصحافة في البلد الأميركة، قال إنه يريد البقاء في كولومبيا، فوافق غارسيا ماركيز على الذهاب وكان قد استجم منذ البداية مع ماسيني⁽¹⁾. كانت الفكرة تلتخص في أن يتردد على هاافا لصبة أشهر ليطلع على أساليب العمل في بريسا لايبا ومذيذ العون في تدريب صحافيين جدد، ومن بعدها يتم إرساله في مهمة أخرى. انطلق غارسيا ماركيز على الفور تعرياً بعد أن سافر إلى بارانكيا حيث كان قد ترك ميرثيديس ورودرغو لمضيا عطلة أخرى برفقة أسرة زوجته

سافر غارسيا ماركيز إلى هاافا أربع مرات في الأقل خلال الشهور الثلاثة التالية، وفي إحدى المرات أمضى شهراً بأكمله فيها. كانت هاافا مدينة محاصرة،

باصبر من أجل تصديدها الثوري في حصص مخاوف دائمية من حدوث ثورة مضادة، والاحتمال القاتم يوماً معرو الولايات المتحدة لها في نهاية الأمر وكان كاسترو قد أتم مشاريع عدة في وقت مبكر من السنة، وفي شهر آب صادر أخيراً جميع ممتلكات الولايات المتحدة على اجبرية انقضاء من العدوان الاقتصادي الأمريكي. وقبل ذلك شهر واحد ساند خروشوف مطالبة كوبن التارخية بعوننامو بعد أن راحت العلاقات تتدهور. وفي الثالث من أيلول، طالب الرعيم لسوفياني بقل الأمم المتحدة من نيويورك إلى بند أكثر حيادية. وفي اتاسع والعشرين ضرب بحذائه على المصبة في الأمم المتحدة نفسها وعانق فيدن كاسترو عناقاً حاراً أمام أنظار مما لا ريب فيه أن هذا كنه معناه الحرب، أو في الأقل مقدمة للحرب.

كان مكتب بريسا لاتينا يقع على بعد شارعين من شارع ماليكون الذي يلتف على امتداد ساحل هافانا على البحر الكاريبي. كانت لطرفات تنتشر فيه الحواجر وأكياس الرمل وجود الثورة في كل الأوقات. وفي هافانا، شارك غارسيا ماركيز صحبياً رارياً يدعى أرولفو وول في شعة صغيرة في الطابق العشرين من مبنى ريتيرو ميديكو. كانت الشقة تحتوي على عرفت يوم وردة وشرفة تطل على البحر. وكانا يتناولان وجبات الطعام في مطعم تيبينيس الكائن تحت أسايه وفي مطاعم أخرى قريبة. كانت هذه الأماكن هي الوحيدة التي شاهدها غارسيا ماركيز في الأشهر الثلاثة من تروده على هافانا⁽²⁾. ووجد نفسه مرة أخرى في المراحل الأولى من مشروع يتطلب من الجميع، من فيهم هو نفسه، أن يملأوا قصارى جهودهم فيه. لم يكن هناك جدول زمني محدد، إذ كان كل واحد يعمل كلما كان ذلك العمل ضرورياً، وكانت تظهر في كل يوم مشكلة جديدة. في بعض الأحيان كان يسئل إلى السيماء وعندما يرجع إلى المكتب في وقت متأخر من الليل يجد ماسيتي لا يزال هناك. فكان في أغلب الأحيان يعمل حتى الساعة الخامسة صباحاً ثم ينص ماسيتي مرة أخرى به عند الساعة التاسعة.

لم يمر وقت طويلاً حتى احتشد المكتب شيوعيين متشددين يترعمهم أيبان إيسكالاني صاحب التجربة والتأثير القوي، وكان يبدو على هؤلاء أنهم يتأمرن

للاستيلاء على الثورة من الداخل. وفي يوم ما، صطههم عارسيا ماركير وماسيني وهم يعتقدون اجتماعاً سرياً في وقت متأخر من الليل⁽³⁾. وكان هؤلاء المنشطون (المعروفين بالاسم ماميرور في كولومبيا)، "الدوعمانيين" و"الطائمين" تاريخاً حافل في كوبا في التواطؤ تواطؤاً انتهائياً في بعض الأحيان مع الحكومات والأحزاب الإصلاحية والبرجوازية، وكانوا يرتابون من أي فرد ليس عضواً في الحزب كانوا يكتنون المعلومات في ما بينهم ويحاولون تطبيق سياسات الثورة الجديدة ضمن مفاهيم موسكو، مستخدمين خطاياهم وأسلوبها الرنان، فحرقوا المبادرات التي كان يصادرها الآخرون حتى وإن كانت تلائم أهداف الحكومة الجديدة. تعم عارسيه مركزيز مراقبته ما يجري أمامه عن كتب دروساً مريرة ستؤثر في عمل مواقفه وشاغلته السياسية مستقبلاً. كان يطرح على نفسه السؤال نفسه الذي كان يطرحه كل فرد تقريباً على الجزيرة وسيطلوب بطرحه بعد أكثر من نصف قرن أيضاً: فيم بهكر فيدل؟

كانت أكثر علاقات عارسيا ماركير توطئاً مع ماسيني ومع صحافي وكاتب أرجسيني أحر بدعي رودولو وولش الذي كان موجوداً برهمة روحته بوبي ثلاثشارد، وكان مسؤولاً عما سمي الخدمات الخاصة. كان وولش قد كتب عام 1957 واحداً من كلاسيكيات الكتب الوثائقية في أميركا اللاتينية بعنوان "عملية المدعة" عن مقاومة عسكرية في الأرجنتين وبأسلوب لا يختلف عن أسلوب عارسيا ماركير في كتابه قصة الناجي من الغرق. وصل عارسيا ماركير أوح فترانه في كوبا عندما فك وولش رموز رسائل مشفرة تابعة للسي أي إيه عن الاستعدادات عندما أصبح يعرف في ما بعد باسم غرو خليج الخنازير وكان ماسيني يتابع عمل كس وكالة صحفية وصية يومياً، ولاحظ فقرات مشوهة ومحرقة من وكالة ترويكال كيبل للأتباء على جهار المعرفة الكاتبة. كانت وكالة ترويكال كيبل وكالة عواتيمالية تابعة لوكالة أول أمير كان كيبل، فداخل الشك ماسيني. وتمك وولش بمساعدة دليل حل الشفرات من فك رموز الوثيقة بكاملها بعد أن واصل العمل فيها ليلاً ونهاراً لبضعة أيام من دون أن يعص له جمع خلاصها. كانت الوثيقة رسالة من غواتيمالا إلى واشنطن عن خطط لغزو كوبا في نيسان عام 1961. وبعد أن فك

المرور دُعي غارسيا ماركيز للمشاركة في الاحتمالات. أراد ماسيني أن يزور وولش مواقع التدريب ضد الثورة في ريتالويلو في غواتيمالا متكرراً بضعة قس بروتستانتية يبيع لأحليل، غير أن السلطات الكوبية كانت لديها في ذهنها استراتيجيات استخبارية أقل رومانسية، فبقي وولش في هافانا⁽⁴⁾.

كان غارسيا ماركيز يذهب إلى بوغوتا لزيارة أسرته عندما لا يكون في كوبا وكانت آخر زيارة له إلى الحرية في كانون الأول 1960، على متن طائرة من طائرات بان أميركان من بارانكيا عبر كاماغوا. وخلال انتظاره في كاماغوا الطائرة كي تقه إلى هافانا، ازداد الطقس سوءاً وأجل سفره. وفيما كان يقف منتصباً الأحبار، حدث هرج ومرج في ردهة المطار. لقد وصل فيدل كاسترو برفقة نيليا سانتشيث. كان الزعيم جالساً وطلب طعاماً من الدجاج في مطعم المطار، لكنهم أخبروه أن الدجاج غير موثوق، فعلى كاسترو إنه أمضى ثلاثة أيام يزور حقول الدواجن وتساؤل عن السبب الذي جعل الثورة تعجز عن إيصال الدجاج إلى المطار خاصة وأن الأميركيون يقولون دائماً إن الكوبيين تصورون جوعاً حتى الموت وما هو المطار ثبت صحة رأيهم. لم يتدخل أحد عندما اقترب غارسيا ماركيز من نيليا سانتشيث وقدم نفسه وشرح سبب وجوده في كوبا. وعندما رجع كاسترو حياً غارسيا ماركيز واحتج معه على كون مشكلات كوبا ذات صلة بالدجاج والبيض. كان كاسترو وسانتشيث ينتظران طائرة من طراز دي سي ثري لقلعهما عائدين إلى هافانا. في غضون ذلك، تم إحضار الدجاج، فذهب كاسترو إلى المطعم مرة أخرى ليعود بعدها وبكسر أخير أن مطار هافانا أعيق بسبب استمرار حالة الطقس السيئ، فما كان من كاسترو إلا أن قل. "لا بد لي من أن أكون هناك عند الساعة الخامسة لا بد من أن أذهب" كان غارسيا ماركيز يتمنى لو تأخر رحلته أيضاً وكان لا يدري إن كان الزعيم الكوبي عموماً أو متهوراً ولدى وصوله إلى هافانا بعد مرور ساعات بطائرة كوبية من طراز الميكوت، ارتاح وهو يرى طائرة كاسترو جاثمة على المدرج. ومنذ ذلك الوقت بقي غارسيا ماركيز قلقاً على سعادة الزعيم الكوبي

حضر ماسيني قبل الميلاد مباشرة وقال: "سعادتي إلى ليماء، ثمة مشكلات في المكتب هناك". ثم توقف يوم واحد في مدينة مكسيكو، وهناك تولى غارسيا ماركيز

الدهول وهو يشاهد للمرة الأولى عاصمه الأريك اندهشه، ولم يتحيل إلا قبيلاً أنه سمصهي معظم أيام حياته مستقلاً فيها. كان ألعارو موتس قد أطلق سراحه من سجن ليكوميري بعد أربعة عشر شهراً أمصاها فيه بـ الاختلاس في كولومبيا، حيث كان يعتدق بكرمه عني الأصدقاء من مرانة خصصها رؤساؤه في إيسو ليفقه في مجال العلاقات العامة فزوره عارسيا ماركير حيث لقي كعنده الترحاب ابحار من موتيس الذي أنمت بعسه حسن لوفادة كالأيام الي كان يدفع فيه ديونه عه.

ثم سافر عارسيا ماركير وماسيني جواً إلى ليما عن طريق مدينة عوانيمالا بطائرة فائقة من طراز 707، وكانت تلك أول رحلة لعارسيا ماركير عن هذه الطائرة الأسرع من الصوت. في ضوء اكتشاف وولش وماسيني لتورط عوانيمالا في أعداد المقيمين الكوريين، تممس ماسيني لموقف، وإن قبيلاً، في عاصمة بلاد المايا. وفي المطار تحدث ماسيني بهذه المناسبة عن السفر إلى معسكر تدريب المتمردين الذي حدد مع وولش مكانه على أنه في ريتالويلو مما أدى إلى افتعال بعض المشاكسه. فعندما قل عارسي ماركير إن هذا العمل سطوي عني سرقى، هراً من ماتس قاتلاً: "أنت لست سوى ليبراي صغير وحاد. ألبس كذلك؟". وهكذا، وبدلاً من ملك المحاطرة، تمارحا وأطلقا الكات عن الدكتور المحلي ميعيل بديعوراس هوشيس. لم تكن المعلومات قد نشرت علماً بعد بشأن معسكر تدريب المتمردين، لكن ماسيني قرر بتصرف غير مسؤول أن يلقي الدعر في قلب الدكتاتور. وفي المطار كانت ثمة صورة كبيرة لحديقة عوانيمالية وطبية أمام بركان. فالتفت الرحلان صورة لهما وهما أمام تلك الصورة، ووضعها داخل معلق مع رسالة فحواها: "لقد سافرا في جميع أرجاء بلادكم واكتشما ما تقومون به لمساعدة في عزو كوبا". ودوًا معلومات عن مواقع الجود وأعدادهم. وبعد أن أرسلوا الرسالة عبر البريد، أعقب المطار بسب سوء الأحوال الجوية، وعدتد قال عارسيا ماركير مخاطباً ماسيني: "أنتري أنا سمصهي ليلتسا في المطار وذلك الدكتاتور الأرعس سيتقى رسالتنا وعدها لن يرجعها".

لكن حسن الحظ فتح المطار مرة أخرى في الوقت المناسب وعادر المدينة^(٥).

لم يسافر عارسيا ماركير إلى لينا في تلك الرحلة. وعندما نرفعا في باناما، سمع ماسيني غارسيا ماركير وهو يحاول الاتصال بميرثيديس فسأله عن مكانها، فقال: "في بارانكيا". فصحه ماسيني بأن يسافر إلى بلاده ويعود إلى زوجته وطفله لأن الميلاد قد اقترب. مما كان من عارسيا ماركير إلا أن غير تذاكر سفره وذهب إلى بارانكيا، وإن كان قد أحره رجال الشرطة مدة قصيرة في بدما

في الأشهر القليلة التي أمضاها غارسيا ماركير في هافانا اردادت العلاقات سوءاً في وكالة الصحافة بريسا لاتينا بين موظفي ماسيني والشيوعيين المتشددين في الحرب الذين كانوا يريدون للثورة أن تكون متماهة مع مفهوم الاتحاد السوفياتي الأوروبي المنحى عن الثورة العالمية.

وراقب هو وميدوثا ألم شديد لانتهازيين وليزوقراطيين ومرددي شعارات موسكو وقد راحوا يصيِّفون الخناق على الثوريين المخلصين من ذوي اشعر لطويل أمثال ماسيني وعارسيا ماركير ويطردوهم ويصطهدوهم. لقد رشح هؤلاء الرجال والنساء والشعب الكوبي الذين كادوا من أحبه أسلوباً انكبه كاسترو وتشى عماراً كل شيء فيه مرتجل وعموي وفطري لا يكلف فيه: من هاء، وبداية، كان يطلق على الزعيمين الكبارين "فيدل" و"تشى" وهناك أيضاً "راؤول" و"كاميو". لكن ماسيني سئ أن أثير عارسيا ماركير وميدوثا أن جاسوساً تابعاً لحزب الشيوعي كان يراقب كل حركة من حركاتهم في كولومبيا في أعقاب ريادة قام بها عميل كوبي إلى مكتب بوعونا. وجه ماسيني اليوم إلى ميدوثا لأنه أرسل إليه رسائل شكوى يمكن أن يقرأها أعداؤه ويرسلوها إلى رؤسائه: ووصلت إحدى تلك الرسائل إلى تشى عيفارا نفسه⁽⁶⁾.

في كل سيج من أسجة كوبا الجديدة وفي كل مكتب، وفي كل مصنع، كان الكفاح في طريقه إلى قلب الثورة وروحها. يعتقد بليو ميدوثا أن الشيوعيين من الطرار القديم ربحوا الجولة الأولى - من هنا منشأ صعوبات ماسيني (وباتالي صعوبات عيفارا) لكن كاسترو سربح الجولة الثانية عندما سبق إسكالايتي إلى المحاكمة وبدأ يُذنب الشيوعيين طعم التحرية التي أدقوها لغيرهم⁽⁷⁾ واستمر الكفاح إلى ما لا نهاية منذ ذلك اليوم وهو كفاح معقد لا يستقيم أمام التفسير المسط.

عاد ماسيني مرة أخرى إلى هافانا مع حلول العام الجديد، وكان تحت ضغط شديد، فقرر إرسال غارسيا ماركيز إلى مونتريال ليدش المكتب الجديد فيها. لكن المشروع أحمق، ومع هذا، فهناك افتتاح مكتب آخر في نيويورك. وهو أفضل سافر غارسيا ماركيز إلى بوغوتا ليرتب شؤونه في مكتب كولومبي، فمسخ عقد إيثر شقيقه وترك أثاثها، ثم فيها أثاث عرفة لطعام، في منزل ميدوث، وبكم على حططه وبقي سراً برفقة صديقه القديم من كارتاجينا مراكو مونيرا الذي كان يسكن في بوغوتا يومئذ⁽⁸⁾. ثم سافر جواً إلى بارانكيا ليصطحب مويثيديس ورودرينو اللذين كانا عند أسرتها هناك. كما ترك جميع كنهه لدى أخته ريتا في كارتاجينا داخل صندوق خشبي صخم. وهناك يظل إليخيو المنقب تودة كسب الأسرة يعكّر في "صندوق غاييتو" على مدى سنوات⁽⁹⁾.

سافرت الأسرة الشابة إلى مدينة نيويورك في مطلع شهر كانون الثاني عام 1961 وكانت الولايات المتحدة قد قطعت علاقاتها مع كوبا في الثالث من ذلك الشهر، وبهذا، فإد الوقت ليس مثالياً للقيام بمثل هذه المعامرة، لكنها تظهر مرة أخرى قدرة غارسيا ماركيز العريية على الوصول إلى المكان المناسب في الوقت نفسه الذي يبدأ فيه كل شيء بالحدوث. ففي العشرين من كانون الثاني نُصّب جون أف. كيدي أصغر رئيس لولايات المتحدة، وبارغم من أنه كان راصياً بسياسة الإدارة السابقة تجاه كوبا إلا أنه كان يؤيد عزو كوبا في أي حال من الأحوال. وفي نيويورك، كان مكتب برينسا لاتينا الكائن في إحدى ناطحات السحاب قرب مركز روكفلر يعاني نقصاً في العاملين، فكان عني غارسيا ماركيز سمعت سعادة الجميع فيه⁽¹⁰⁾. كانت لحظة من لحظات جنون العظمة في أقصى درجاتها لما لم يترك انطباعاً حثاً في أعماق القادم الجديد. "كان المكتب كريهاً"، موحشاً في بداية قديمة قريبة من مركز روكفلر، وفيه عرفة موءة بأجهزة امتراق، وغرفة تحرير الأخبار بafدة واحدة مطله على طريق يؤدي إلى الماء، فبدا المكتب مكفهرأ دائماً، تفوح منه رائحة سخام منس وبتاهي منه إلى الأسماع صوت جردان وهي تفتش ليلاً وتقرأ عن فوات طعام في صلبق النفايات⁽¹¹⁾ وبعد مرور سنوات، يقول غارسيا ماركيز للروائي الأميركي وليم كسدي إن نيويورك كانت

في ذلك الوقت لا نشبه أي مكان آخر، شتة، ولكنها كانت في مرحلة ولادة ندية، أشبه مغاية كما أنها سحرته⁽¹²⁾.

لكن هناك مئة ألف لاجئ كوبي في ميامي وآلاف أخرى نص كل يوم. وجاء العديد منهم إلى نيويورك، وكانت الولايات المتحدة تخطط لاستخدام الكثير منهم في غزوها، فكتت ترسلهم إلى معسكرات سرية في غوانيمالا للتدريب. وبالرغم من أن غزو كوبا كان سرّاً من أسرار الدولة، إلا أن جميع الناس في ميامي كانوا يعلمون به. وعلى حدّ قول غارسيا ماركيز في ما بعد: "لم تكن هناك حرب أخرى معصية منها"⁽¹³⁾. وفي نيويورك، كان اللاتينيون الأميركيون المؤيدون للثورة والمناهضون لها يحرضون على ارتياد حانات ومطاعم ودور سينما متباينة، إذ كان التوعص في أرضٍ معادية خطراً، كما كانت المعارك تدلّع غالباً في ما بينهم، وكانت الشرطة تفرص عني عدم الوصول إلى مكان المعركة إلا بعد أن تكون قد ونقت أن كل شيء قد انتهى. وكان غارسيا ماركيز حريصاً أيضاً على تصادي الموجهات.

أمصت الأسرة خمسة أشهر فقط في مدينة نيويورك، غير أن غارسيا ماركيز يتذكرها على أنها مرحلة من أشدّ مراحل حياته إجهاداً وإرهاقاً، فقد أقاموا في حديق ويستر على مقربة من الشارع الخامس في قلب حي ماهااتن، وكان العاملون في وكالة بريسا لاتينا تحت ضغط متزايد دائماً من اللاجئين الكوبيين ومن المستعريا المناهضة لكاسترو. وكانت الاتصالات الهاتفية اللينة المناهضة للثورة التي يجريها العستانيو (وتعني "الدود" وهي الكلمة التي يصفهم بها الثوريون) من الأمور التي تحدث يومياً، فكان غارسيا ماركيز وزملائه يردون عليها قائلين: "قل هذا لأملك أبها السام". وتذكروا من أن معهم دائماً أسلحة منزلية الصنع. وفي يوم ما، تلفت ميرثيديس اتصالاً يهددها هي ورودرغو ودل لها المتحدث إنه يعرف مقر سكنهم والوقت الذي تأخذ فيه الطفل لتمشى ويده في الحديقة المركزية القريبة عادة. كان لدى ميرثيديس صديقه في جاميكا، في الطرف الآخر من المدينة، ولم تحير زوجها بشأن المكالمات الهاتفية لكنها ذهبت لتبقى مع صديقتها مدة وهي تفون إليها بانتصهر لوجودها في الفندق طوال اليوم. ولعله كان ماناً أيضاً أن راح غارسيا ماركيز يقبح أكثر كنهه المشنومة في ساعة لحس في ذلك الوقت.

بعد أن عادت ميريديس الفندق، أمضى غارسيا ماركيز معظم وقته في المكتب، بنام فيه ليلاً على أريكة في طروف يزداد فيها التوتر. وفي الثالث عشر من آذار، حضر مؤتمر صحافي تاريخي واشطن أعلن فيه جود أف كيدي أنه أنشأ تحالف من أجل التقدم⁽¹⁴⁾. فكان بذلك مدير حقبة قصيرة راحت فيها الولايات المتحدة تتحدث عن حقوق الإنسان والديمقراطية والتعاون بعد مرور عقود من السمران على دعمها دكتاتوري أميركا اللاتينية، وهي لتي سرعان ما سترجع إليها الولايات المتحدة الأميركية - في البرازيل عام 1964 - ومعها سياسة لا تنقام في سميات القرن العشرين. يُفّر غارسيا ماركيز بأن خطاب كيدي كان حذر بأحد رسل العهد القديم. إلا أنه وصف التحالف بأنه "رقعة مستعجلة لدرء رياح الثورة الكوبية الجديدة"⁽¹⁵⁾.

مرة أخرى، كان معظم التوتر الداخلي في مكتب نيويورك، حسب ما شاهده غارسيا ماركيز، يتركز بين الشيوعيين الكوبيين المتشدد من الطرز القديم والجديد من سارتي أميركا اللاتينية الذين جدهم ماسي. "كانوا ينظرون إليّ في مكتب نيويورك على أنني رجل ماسي"⁽¹⁶⁾. وسرعان ما عدت الأمور لا تصاق مما دوع غارسيا ماركيز للتفكير في وضعه. وفي نهاية الأمر قرر الخروج. ففي إحدى الأمسيات التي كان فيها وحيداً في المكتب، تلقى تهديداً مباشراً بهجمة كاربية حيث قيل له: "استعد أيها المتر فقد انتهى لرمس المحدث لك، ونحن الآن في صربيا إليك" فما كان من غارسيا ماركيز إلا أن ترك رسالة على الميرفة قال فيها: "إذا لم أوقف هذا الجهاز عن العمل قبل معادتي للمي، فذلك معناه أنني قُلت". فجاء الرد من هافانا: "حسناً أيها الرفيق، سترسل الزهور". وعندما خرج من المي عند الساعة الواحدة سي في غمرة هلمه أن يوقف الجهاز عن العمل⁽¹⁷⁾. وسلس نحو المدو مدعوراً بعد أن مرّ أمام المي الرمادي المضخم لكاتدرائية سان باتريك وكانت الأمطار تنهر عريضة كان نغشي حتى من وقع خطواته، وبان ليته ثيابه التي كان يرتديها.

لم يمض وقت طويل حتى اضطر ماسيني الطائش إلى الاستقالة تحت ضغط الشيوعيين المتزايد. وفي السابع من نيسان أرسل غارسيا ماركيز رسالة إلى مسو

میلوثا بحیره فيها باستمالة ماسینی، وأصاف أنه سيجد حذره. وأوصح في طلب استنقالته أنه سقى حتى أواخر شهر نيسان، وأنبأ میلوثا أنه يعكّر في السفر إلى المكسيك. لكن بعد عملية عزو حليج الخنازير في السبع عشر من نيسان، أي بعد يوم واحد من إعلان كاسترو أن الثورة هي ثورة اشتراكية، وهو ما كان يتوقعه الكثيرون، طلب كاسترو شخصياً من ماسيني أن يواصل العمل في موقعه وأن يشارك في المقابلات التلفزيونية التي تثبت مباشرة مع الأسرى المناهضين للثورة، موافق ماسيني وقرر عارمياً ماركيز أيضاً أن يترث إلى أن تنتهي أزمة العرو⁽¹⁸⁾. ورغم منذ ذلك الوقت أن ما كان يريد أن يفعله في تلك الأيام هو العودة من نيويورك إلى كوبا.

في اليوم الذي أعقب الانتصار الكوبي العظيم في حنيج الخنازير والذي قد كاسترو منه عمليات الدفاع عن الحرية والقصر على الغراء، اكتشف لينيو میلوثا، بصورة عرية، وللمرة الأولى، أن مكتب الاتصال في بوغوتا رفض إيصال الرسائل، فدأخله الشك على الفور في أن الولايات المتحدة الأميركية ضغطت على السلطات الكولومبية فقطعت خدمات الاتصال مع كوبا. واتصل هاتفياً بعارسب ماركيز في نيويورك الذي قال له: "ترثته. همه جهاز تلکس عام في الشارع الخامس على مقربة من المكتب تماماً". وهكذا نعلب الصديقان بكل بحر وكبرياء على فطة السي أي إيه في اليوم الذي حدثت فيه الهزيمة الأسطورية لبعزة المعادين للثورة وأعلن فيه الكوبيون أنه أول نصر ضد الإمبريالية على أراضي أميركا اللاتينية. غير

أن عارسب ماركيز سرعان ما ذهب إلى فندقه وكتب رسالة يحط يده إلى ماسيني وهو ما لم يعنه سابقاً قط (بل حتى إنه أُرّج الرسالة) - موصحاً قنقه ومعارضته عقيدة موسكو وخوفه على مستقبل الثورة إذا ما ساد الخط الشيوعي المتسدد. ثم ترك الرسالة في عرفة الصديق مستطراً اللحظة الأخيرة ليستقبل لكنه طل حتى معركة حليج الخنازير، إذ هو رحل بكانوا وصعوه بالجرّد الذي هرب من السفينة العارقة⁽¹⁹⁾. ولم يعرف إلا الشيء القليل عن حروح ماسيني من بريس لاتينا كاتياً

وعودته بعد ذلك إلى الأرجنتين لتوايه المنية في حملة ثورية لا أمل فيها عام 1964 أوشكت مدّة بقاء غارسيا ماركيز في نيويورك على هانتها. فسافر بيبو ميلوثا إلى هافانا جواً لمناقشة الوضع مع ماسيني وتناول طعام الغداء معه ومع

روحته كريشنا دوماس عندما وردت الأنباء بأن المنشدين استولوا أخيراً على مكتب بريسا لاتيا وأصبح بإدارة المدير الحديد هيراندو ريفولناسي الإسباني. وعندما وصل ميدوتا إلى نيويورك مرة أخرى على متن طائرة بان أميركان في أواخر شهر أيار وهو في طريقه إلى وطنه قادماً من هافانا، التقته ميرتيدس ورودريغو بعد أن استحوته السي أي إيه. اجتمعت ميرتيدس ابتسامتها التي تنم عن رباطة جأش وقالت: "إذاً، لقد استولى المنشدون على الوكالة إليها الرفيق؟". "نعم أيتها الرفيقة. لقد استولوا عليها". ولما أخبرها أنه سلم استقالته إلى رئيس بريسا لاتيا الجديد ومعها نسخة إلى الرئيس دورتيكوس أخبرته أن رسالة استقالة عابو مكتوبة وأنها تتخطى رجوعه⁽²⁰⁾.

لم يقل عارسيا ماركيز الشيء الكثير عن هذه المشكلات منذ سنييات القرن العشرين بالرغم من أن أحداث عام 1961 ألفت بظلالها على أكثر من عشر سنوات طويلة من حياته، وحتى في أحاديثه اللاحقة مع أنطونيو بوبث جيمبيت الذي كان بدوره شبيوعياً متروماً، لم يقل سوى إنه شعر بأن الشيوعيين المنشدين كانوا "مهاضين للثورة"⁽²¹⁾.

لكه لم يخص في أي تفاصيل أخرى. ويبدو السبب على ما يتضح منمتملاً بحفيمة أنه استمر في التطر إلى الثورة الكوبية على أنها كجاج لا نهاية له بين المنشدين الذين يمثلهم في تلك الآونة راؤول شفيق كاسنرو، والروماسيين الثوريين الرراعيين إلى الخلدس والقطرة الذي يمثلهم فيدل نفسه يقول ميدوتا بعد خمسة وعشرين عاماً إن تحاربه في كوبا التي أعقبت رحلته إلى أوروبا الشرقية عام 1957 كانت حاسمة في إبعاده عن الاشتراكية وذلك بإقناعه أن كل الأنظمة الاشتراكية أصبحت في نهاية المطاف أنظمة ديوقراطية مستبدة، وأن هذه مسألة حتمية. ويؤكد أن عارسيا ماركيز كان في مطلع عقد الستينيات من القرن العشرين يشعر بالاعتصاب إزاء كل ما حدث لأنه رأى، حاله حال ميدوتا نفسه في تلك الأيام، الأشياء تتنظار واحد⁽²²⁾.

مكث ميدوتا في نيويورك بضعة أيام منتظراً أخيراً عن مرتب صديقه المتأخر وعن تذاكر سفره. وكان يتنهر برفقة ميرتيدس في المتنزه المركزي هاراً ومعهما

رودريغو، في حين كان غارسيا ماركيز ينجز عمله في المكتب. ثم تحول غارسيا ماركيز وسدوثا معاً في الشارع الخامس في ساحة الناصر وقربة غرينتش بإتشان الأحداث التي حرت ومستقبل كوبا وحططتهما غير الأكيدة ويدلو أن زمت صعباً بوشك أن يبدأ بكلهما بعد أن كان الاتان في خضم إيديولوجيتين مختلفتين وعامين متباينين. في الثالث والعشرين من أيار، كتب غارسيا ماركيز رسالة إلى ألفارو سبيدا:

الآن، وبعد أزمة دموية عظيمة استمرت شهراً ولم يصل السيل الذي إلا أخيراً في هذا الأسبوع، استقال شتان بريسا لاتينا الطيبون. وبالرغم من كل المسائل التي غمكتنا من الشعور بها وهي قادمة، فإني لم أفكر ابنة في أن الأحداث يمكن أن تكون بهذا العفوان وظننت أنه لا تزال أمامي بضعة أشهر أخرى أمضيها في نيويورك على كل حال، إن أمني الأخير بالبقاء هنا تغير هاتياً في هذا المساء، وسأسافر براً إلى المكسيك في الأول من حزيران بهدف اجتياز أعماق الجنوب المضطرب إني لا أعرف تماماً ماذا سأفعل. لكنني سأحاول جمع بعض الدولارات من كولومبيا وأتمنى أن تكفي للعيش بعض الوقت في المكسيك في أثناء بختي عن عمل من يعلم ما الذي سيحدث لأنني من حيث الصحافة، قورت أن أكف عن الكفاح فيها. ربما لأنني متقن⁽²³⁾.

ما إن رحل ميندوثا عن نيويورك حتى اتصل ماسيبي بغارسيا ماركيز وقال له إن الأوضاع آخذة بالتحسن مرة أخرى، وإنه قد تكلم مع الرئيس دورتيكوس الذي أخبره أنه لا يزال في حظوة فیدل كاسترو. وطلب من غارسيا ماركيز أن يؤجل موعد سفره إلى المكسيك. لكن الكولومبي كان في ذلك الوقت قد وضع حططه ولم يعد أمامه أي شيء يفعله سوى انتظار أن يدفعوا له مرتبه الذي م تكن سلطات وكالة بريسا لاتينا منعجلة في دفعه. كان يحاول إقناعهم بمنحه تعويضاً عن هابة الخدمة إضافة إلى تذاكر السفر إلى المكسيك له ولأسرته. لهذا رفض على مضض مقترحات ماسيبي، وأوضح في رسالة إلى ميندوثا:

إني أعرف ماسيبي. إن هذه المساعدة الشخصية التي يطلبها ستحول بصرف النظر عما نفعله إلى التزام هائل ومعقد سأجد نفسي محبوراً فيه حتى يرى الرفاق ثمرة الفوافة واضحة، وعندئذ، يقررون التهامها تماماً مثلما فعلوا ذلك مع بريسا لاتينا. فضلاً عن ذلك، إذا كان ماسيبي لا يزال عالقاً في الفخ وي

خطر. وهو ما أخبرتني به، فإني سأفعل كل ما في وسعي وأعتبر خططي وأساعدته. إلا أن لدي الانطباع أن الرئيس قد وجد طريقاً لتسيير الأمور على ما يرام معه، كما أنه لم يعد بحاجة ماسة إلى المساعدة⁽²⁴⁾

ثم يقول لاحقاً: "بُتُّ عريباً في مكتب يفترض أن أديره حتى في أدنى تفاصيله. لحسن الحظ، سينتهي هذا كله في غضون ثمان وأربعين ساعة"⁽²⁵⁾. كان عارسياً ماركيز يخشى ألا تدفع بريس لاتسيا ثم تذاكر عودة الأسرة وقال إنه لا يملك سوى مئتي دولار باسمه

ونتيجة لذلك، لم يكن أمام أسرة عارسيا ماركيز أي سبل للعودة جواً إلى كولومبيا، لهذا سافروا إلى المكسيك عن طريق البر. وفي المكسيك حاولوا تقليم طلب إعانة من أجل العودة إلى الوطن (بالرغم من أن ميدون نفسه يعتقد أن إقامة أطور في المكسيك كانت واحدة من طموحات عارسيا ماركيز الكبيرة، ربما كان سوء الفهم بشأن تحركاته ودوافعه على امتداد أسير بسع من حقيقة تمثل بأنه كان دائماً مردداً في الاعتراف بأنه لم يرغب في الرجوع إلى كولومبيا وإلى الأسرة الكبيرة). وما لا يشكك فيه، أن إدارة مكتب نيويورك أعلنت أنه استقال ولم يُفصل من العمل - وهذا، فهو يُعدُّ هارباً إن لم يكن "دودة" وأهم غير محليين بإعطائه تدكير لسفر إلى المكسيك. ثم يقول الشيوعيون للأصدقاء الذين استفسروا عنه في هافانا: "لقد انضم عارسيا ماركيز إلى الثورة المضادة"⁽²⁶⁾ وفي أواسط شهر حزيران، وبعد أن استقال ولم يحصل على أي شيء من بريس لاتسيا ومن الثورة، استقلت أسرة عارسيا بارتشا حافلة عراي هاوند وسافرت إلى نيو أورليانز حيث أرسل ميدون إليهم مئة وخمسين دولاراً إضافية من بوعوتا.

كانت الرحلة التي استغرقت أربعة عشر يوماً رفعة طفل عمره ثمانيه عشر شهراً شاقة ومجهدة، وهو أقل ما يمكن قوله عنها، فقد تصعبت توقفاً مرات عدة، وما أشار الزوجان إليه في ما بعد، فإنه اشتملت على تناوهما طعام الهامبورغر الملطّب، و"الفاني" وبنات مشروب الكوكاكولا ابلاسيكية وفي نهاية المطاف راحا يأكلان حتى طعام رودريغو المنحصر للأطفال لا سيما المأكلة المطبوخة. وشاهدت الأسرة في رحلتها ولايات ميريلاند وفرجينيا وكارولانا الشمالية

والجنسية وجورجيا وألاباما والميسيسيبي. وكانت هذه المشاهدات مبيده لعاريب ماركر وهو يسافر في بلاد فوكر التي كانت تمثل له حلماً راوده منذ زمن بعيد. وكما هو شأن كل الروار الأحدث في تلك الأيام، فقد صُدم الزوجان الشابان ل شاهدنا من أمتة صارحة عن الميبر العصري على امتداد الجيوب الأميركي لا سيد في ولايتي جورجيا وألاباما وذلك فل أن تشسها الإصلاحات الخاصة بمحوى الإنسان التي جرت أواخر ذلك العقد من الرمان. وفي موسغومري، لم يستطعها اليوم تلك اللبنة لأن ما من أحد رصي أن يؤجر عرفة "لمكسيكيين حميرين". وعندما وصلا إلى ولاية يو أورلياسر، كانا متشوقين لتناول وجبة طعام مناسبة، ولجأ إلى استخدام بعض الدولارات من تلك المئة والخمسين دولاراً التي سبق أن أرسلها ميدونا إلى الفصيلة الكولومبية لشراء وجبة طعام جيدة ودسمة في مطعم "لي في كاري" العاصر على الصرار الفرنسي. ولكن حاب ظهما عندما شاهدا قطعة كبيرة من الخوخ فوق كل شريحة لحم مقلية جاء بها النادل ووضعها على منضجته⁽²⁷⁾. وفي العام 1983 يتذكر عارسيا ماركير معامرتها الكبيرة على هد النحو:

في نهاية تلك الرحلة البطولية واجهنا مرة أخرى العلاقة بين الحقيقة والخيال: هناك المياكل النظيفة جداً وسط حقول القطن، والفلاحون يستمتعون بقيلولتهم تحت أفاريز حانات الشوارع الجانية وأكواح الأهالي السود الذين يعيشون عيشة بالسة، ووزنة العم غافى ستفسر البيض وهم في طريقهم لأداء صلاة الأحد برفقة زوجاتهم الواهات بشياهي المصنوعة من قماش الموسلين؛ لقد مر من أمام أنظارنا عالم مقاطعة يوكنايتاوا الرهيب عبر نافذة الحافلة، فكانت صورة حقيقية وحية كما قرأناها في روايات الأساذ القديم⁽²⁸⁾.

يقول عارسيا ماركير في أول رسالة يبعثها إلى ميدونا بعد هذه الرحلة: "وصلنا سالمين بعد رحلة مثيرة تماماً أثبتت من ناحية أن فوكر الآخرين كانوا صادقين عندما حكوا لك عن بيتهم، ومن ناحية أخرى أن رودريغو حقى بمكن حمله تماماً ويستطيع أن يتكيف مع كل الطوارئ"⁽²⁹⁾.

أخيراً، وبعد أسوعين طويلين يصعب سياهما، وصوا إلى الحدود في مدينة لاريدو⁽³⁰⁾، فوجد الزوجان مدينة حدودية حافلة بالتناقضات، قدرة، كريمة وشعرا

لكن أول مطعم متواضع دلفا إليه قدم
 ما اكتشفت أن في إمكانها أن تعيش في
 من بين أشياء كثيرة عرفوها. ثم استقل
 تر شهر حزيران عام 1961، ليجدوها
 طف على شوارعها صفوف الأزهار.
 رقاء شفافة ورائعة، وكان لا يزال في

هروب إلى المكسيك

1961-1964

في يوم الاثنين السادس والعشرين من حزيران عام 1961، دخل القطر الذي
من أسرة غارسيا برنشا محطة بيونا فيستا في مدينة مكسيكو. يتذكر غارسيا
كبير ذلك اليوم بقوله: "وصفنا في مساء يوم أرحواني، ولم يكن قد بقي معنا
سوى عشرين دولاراً، وما من مستقن أمامنا"⁽¹⁾. وقد استقل أفراد الأسرة على
سيف المحطة ألفارو موييس مرحباً بهم في المكسيك بائسامة المعرضة المقترسة، تماماً
كما كان قد رتب بعائو عند وصوله إلى بوغوتا عام 1954. صاحب موتيس الأسرة
هجرة إلى فندق أبارتامينتوس بوناميك في شارع ميريدا الواقع على مفرة شديدة من
منطقة الوردية" العصرية الحديثة، وعلى بعد بضعة شوارع من قلب المدينة، وفي
كان الذي يشطر إلى شطرين شرياناها الحيويان باسيودي لا ريعورما وأفيسدا
سرجتيس تحت أطار محارب الأزتيك كواوهميموك. كانت ميرثيس تعالي الأما
المعدة، وهو ألم يواجه معظم الزوار الذين يأتون إلى العاصمة المكسيكية، سواء
كان ذلك سبه طهو الأزر أكثر أو أقل مما ينبغي، فتكون الأنام الأولى صعبة غالباً
هذا السبب ولأسباب أخرى عديدة. يتذكر غارسيا ماركيز أنه لم يكن لديه سوى
عدة أصدقاء في المدينة آنذاك: موتيس ولحات الكولوجي رودريغو أريناس
نكورث والأديب المكسيكي خوان غارسيا بونس، الذي التقاه في نيويورك، وصانع
فلام وبائع الكتب الفطالوني لويس بيثيس الذي كان يحتفظ له برسائله"⁽²⁾.

في نظام الحزب الواحد في المكسيك - الذي يحكمه الحزب ذو الاسم
امض: الحزب الثوري المؤسسي - كان خطابات الحكومة البلاغي أكثر راديكالية

من ممارساته السياسية. وقد ظهر الحرب إلى الوجود في السواول التي أعقبت الثورة المكسيكية 1910-1917، وهي أول ثورة اجتماعية في العالم في القرن العشرين والسمودج المسمو لسقدميين في أميركا اللاتينية حتى دخول كامسرو المسمو مديا هاماا عام 1959. لكن أرمين عاماا من السلطة أدت إلى تباطؤ التقدم الثوري حتى كاد يتوقف تماما. وتعين على عارسيا ماركير أن يعسم بسرعة أوضاع هذا البلد المعصا الجديد حيث لا تبدو الأشياء على حقيقتها أكثر من أي بلد آخر في أميركا اللاتينية.

وبعد أسبوع واحد - وبالرغم من أن عارسيا ماركير قال دائما بعد يوم واحد - إن غارسا بوس الذي سبق له أن رار مارانكيا ريارا صاحبة وتعلم كيف يتكلم كأنه أحد أبناء الساحل، يقصه من بومه وصاح بأعلى صوته: "أصع إلي". لقد حفر همعواي رأسه بإطلاق انار"⁽³⁾. وهكذا، فإن أول شيء كنه غارسا ماركير بعد وصوله إلى المكسيك عدة فصيرة كان مقالة طويلة احتفاء بالأديب الأميركي الراحل. وقد نشرت هذه المقالة بعنوان: "مات رجل مية طبعه" في التاسع من تمور في المصحق الأدبي بصحيفة بوفيناديس، إحدى صحف المكسيك المهمة التي يرأس تحريرها المثقف البار فيرناندو بينيتيث. تأثر عارسيا ماركير تأثرا بالعا لوفاة الإنسان الذي سبق له أن رآه في ذلك الشرع الباريسي قبل سنوات، وتوقع أن ارماع سيكشف عن أن همعواي، بصفته «دياا ناوياا، سبيلهم عدااا كبيرا من كبار الأدباء من خلال معرفته دوافع البشر وسر مهنته..."⁽⁴⁾.

وأشار أيضا إلى أنه بوفانه بدأ مرحلة جديدة⁽⁵⁾. ولم يعرف إلا قليلا أن تلك المرحلة هي أوفر مراحلها من حيث الإبداع الأدبي، حيث إن انتهاء غط معوس من الكتابة م يقد بسرعة وعلى نحو إلى إلى بذايه غط آخر. كيف يمكنه، أو يمكن لأي شخص آخر، أن يفكر في أن تلك المقالة الأولى ستكون، مع استثناء واحد فقط، آخر كتابة من كتاباته الجدة والمهمة التي سيكتبها على مدى السنوات لثلاث عشرة التالية؟

وصل ألعارو موتيس إلى المكسيك في السواول الأخيرة؛ إلى ما اصطحب عليه "بأكثر اساطق شعافية"، لكن سماءها الكريستالية عدت اليوم ملونة بخيوط رمادية

من ثبوت أواخر القرن العشرين الواقع أن المكسيك ليست البلد الذي يفكر فيه أبداً. غير أن قدرته على شق طريقه بكل جاذبية وسحر وصولاً إلى الطبقة الراقية من المجتمع، أثبتت ضرورتها لإعادة تأهيله العربي بعد إطلاق سراحه من سجن لاكميري، وبات لأن لا تقدر شمس في تسهيل دخول غارسيا نارتشا إلى مجتمع التعلل فيه عيد وصعب صعوبة التعلل في انصير أو التبن الشوكي وتمكن الرومان الشامان، وبمساعدة موتيس، من العثور على شقة في شارع ريبان على مقربة من مركز المدينة، ولم تكن هي المرة الأولى التي يمان فيها على فراش على الأرض وكان لدهما مضطدة وكريسيان: فاستعملا المضطدة لتناول الطعام والعمل. هكذا كتبت الأوصاف أيضاً في كاراتاكس في بادئ الأمر؛ وفي بوغوتا أيضاً. وفي نيويورك عاش ميرثيديس في غرفة واحدة في فندق مع طفليها لصغير. أما الآن، فهما يلا مال مرة أخرى وعادا ليعيش على الكفاف. وكتب غارسيا ماركيز إلى بلنكو ميدوثا: "ها نحن في شقة حاوية للمرة الثالثة من حياتنا الزوجية التي عمرها ثلاث سنوات وحسب. ونحسب تقاليدنا، فإن هناك الكثير من الأصواء والكثير من الرجاء والعديد من الخطط، لكن لسنا لدينا مكان نحس فيه"⁽⁶⁾.

لم تضر الأمور على ما يرام إلا قليلاً في الشهرين الأولين. وبالرغم من جهود موتيس وبيثينس، لم يتمكن غارسيا ماركيز من العثور على عمل، وأمضى هو وميرثيديس ساعات لا تنتهي وهما يقفان أمام مبنى وزارة الداخلية في شارع بوكارلي لترتيب أوراق قامتتهما ولم يكن غارسيا ماركيز متأكداً من نوع العمل الذي يرغب فيه، فصاعة الأشرطة السيمائية بنو ميدان المعصل، ولهذا بدأ يتحول إلى إسبان قلق ومحط. وبدت بريسا لاتينا مصممة على عدم إعطائه المبلغ الذي هي مُدسة له. فاستمر في الانتظار. وقد مزح غارسيا بديبو ميدوثا في رسالة أرسلها إليه قائلاً إن الأمور إذا ما بقيت على هذه الحال، فإن الشيء، اسطقي هو أن يكتب رواية ليس للعقيد من يكتابه، لكن لمشكلة هي أن الرواية كانت قد اكتملت كتابتها⁽⁷⁾. وتلقى ميدوثا نأ من ميرثيديس التي توقع أن تحب أليخاندرا - أصر غارسيا ماركيز على أنها طفلة وقرر مسبقاً الاسم الذي اختاره لها في شهر نيسان المقبل⁽⁸⁾. على كل حال، لم يكن المولود "تلك الامة التي كان

علم بها طوال حياته ولم يحصل عليها⁽⁹⁾، لأن المولود كان ذكراً وكان هو المولود الأخير.

رأى موتيس أن أعصاب صديقه بدأت فتاح، فما كان منه إلا أن اصطاحه إلى البحر الكاريبي في أواخر شهر آب حيث ميناء فيراكروز على خليج المكسيك. ثم يسمك غارسيا ماركير حتى تلك اللحظة من إدراك حقيقة أن المكسيك، وهي بلاد صحراوية ذات سهول مرتفعة، كانت أيضاً بلداً كاريبياً. وكان العذر في السفر إليها هو قيام جامعة فيراكروز برالان طبع مجموعة جئازة الأم الكبيرة وقصص أخرى. وقد كان مبلغ لألف بيروس اندي دُفع لعارسب ماركير مقدماً عن هذا الكتاب هو اندي سمح له بإيداع عربون شهر عن إيجار الشقة وشراء "ثالث براد في حياتنا الروحية بالتقسيط"⁽¹⁰⁾. لم يكن لديه مال ولا وظيفة، ولكن كان عليه أن يعمل روحة وطملاً. أما من الناحية الساسية، كان قد فقد الاتصال بالتطورات الأولى الحادثة في سياسة أميركا اللاتينية التي أهمته في حين انضم مئات الآخرين إلى الجانب الثوري اندي يُنتظر فوره. أما من الناحية الأدبية، فقد صلّ طريقه. لقد كانت قصة جئازة الأم الكبيرة مكتوبة وفق مضار ما بعد أحداث كوبا، لكنه الآن افتقر عن مصدر إلهامها، أي كوبا، وإن كان على مضض، وه هو الآن بقيم علاقة جديدة مع عالم تقاي جديد ومؤثر ومختلف تمام الاختلاف ومعتقد تعقيداً بالعماء، رى يتطلب استيعابه سنوات. في المكسيك لا بد من أن يتعلم المرء كيف يعيش فيها.

في يوم ما، ارتقى موتيس سبع مجموعات من السلام وحمل كتابين إلى داخل الشقة من دون حتى أن يلقي بالتحية ورمالهما بقوة فوق المصدة وقال بصوت هادر: "كهاك بدمراً وقرأ كي تتعلم كيف نكتب". إننا لن نعرف إن كان جميع أصدقاء غارسيا ماركير يصون للعنات أم لا طوال ابوقت في تلك السنين، لكنه في قصصة يؤكد أنهم يصومها. كان الكتابان الصغيران هما: رواية بموان بيدرو بارامو كانت قد نُشرت عام 1955، والأخرى بعنوان السهل المحترق، وهي عبارة عن مجموعة قصص كانت قد نُشرت عام 1953. أما مؤلف الكتابين فهو خوان رولمو. مرّ غارسيا ماركير رواية بيدرو بارامو في ابوم الأول، وقرأ السهل المحترق في ابوم

المستألي. ورغم أنه لم يسبق له أن تأثر بما مرأ تأثره بهاتين الروايتين منذ أن مرأ أعمال كافكا أول مرة، وأنه حفظ رواية بيدرو بارامو عن طهر قلب، وأنه لم يقرأ غيرها طوال ذلك العام لأن كل كتاب آخر يبدو له أقل شأناً⁽¹¹⁾.

بماثير الاهتمام أن ملاحظ أن عارسيا ماركير لم يكن يعرف شيئاً عن واحد من أعظم روايتي أميركا اللاتينية في ذلك القرن اعوام هو عام 1961، وكان في سن الرابعة والثلاثين لا يعلم إلا القليل عن فارة أميركا اللاتينية أو أدبها. وفي هذه الأونة بدأت موجة جديدة في الرواية الأميركية اللاتينية التي باتت تعرف في ما بعد بحمة "الاستعاش". لكنه حتى في هذه الفترة المتأخرة، لم يكن يعرف أيأ من الأدباء الذين سيصبحون أنداداً له وزملاء وأصدقاء ومنافسين مشما لم يعرف العديد من الأعمال الأدبية لأسلافهم من الأدباء المهمين مثل ماريو دي أندراي البرازيلي، أو ليحو كاربنتييه الكوبي، أو ميغيل انخل إستورياس الغواتيمالاي، أو جون رولفو المكسيكي، أو حوسيه ماربا أرغيداس البيروفي. كان يعرف سورخس الأرجنتيني الذي يعد من أوجه عديدة، أقلهم النصافاً بأميركا اللاتينية بالرغم من أنه كان واحداً من أكثرهم تأثيراً. بمعنى آخر، إن الملة لرمية الي أمصاها في أوروبا لم تجمعهم أميركباً "لاتيناً" بخلاف غيره من عديد الأدباء في عشرينيات القرن العشرين. والواقع، إن معظم أصدقائه في باريس كانوا كولومبيين، وبمكسا القول إنه رأى في غيره من الأميركيين اللاتينيين أقرناء بعيدين وليسوا أخواناً. (وهذه وجهة نظر كولومبية محصة إن البلاد التي تمتلئ بالموهوبين لم تؤد قسطها الثقافي في القارة). وقد تركت للمكسيك عملية الأمركة اللاتينية كي تكملها. ولحسن حظه لم يكن هناك من هو أفص من المكسيك كي يتعلم مها. ففي المكسيك بدأت معظم عمليات "البحث عن الذات" الأميركية اللاتينية في القرن العشرين منذ عشرينيات القرن وتلقب تشجيعاً استثنائياً من اللاتين. لإسبان المثقفين ثقافة ريفية في أربعينيات القرن، وعدت الآن على عته حصة ثقافية كبرى.

جرب غارسيا ماركير زوانا أخرى. وفي زيارة مبكرة قام بها إلى ولاية ميتشواكان شاهد المنود يصنعون أشكلاً من الفش أسوها ملابسهم المحلي ثم ولد عده فكرة عن قصة بدأ بها مباشرة لكنه لم يكملها إلا عام 1969 وكانت بعنوان

رجل محوّر جداً بمجنّحين هائلين⁽¹²⁾. وقال يومئذ: "إنها جزء من مشروعى القسم لتأليف مجموعة قصص فانتازية". لكنه سرعان ما تمخى عنها وراح يكتب قصة أخرى بعنوان بحر الزمن الضائع في الأشهر الأولى البائسة التي أمضاها في المكسيك. ولم يصل هو لك، لكن هذه القصص، وأخرى غيرها، تبدو وقد خرجت من رحم الحبر احاراف إلى الأيام الخوالي الجميلة التي تذكرها أو حتى تخيلها في باراكيا وأطرافها، لأيام التي اشتاق إليها، والعالم الذي نقله شريط سييدا السينمائي الخالم الحراودة الزرقاء. إن قصة بحر الزمن الضائع تطوّر مهمّ بالرغم من أنه كان تطوراً معسلاً بديّة، وقد نسيت هذه القصة بحلوّ موضوعي وارنباك وسط نقاد الأدب لأنها كانت تملو منظوية على رسائل كثيرة مختلفة في آن واحد. كما أنها استمرار للهيج الذي بدأ بغصة جنازة الأم الكبيرة وإن كان على نحو أقلّ، وهي أبصاً تخلو من تدخلات الراوي الخطائية. وأصبحت من القصص التي بانت تعرف في أميركا اللاتينية وفي أماكن أخرى في نهاية الأمر بقصص الواقعية السحرية، وهو الأسلوب الذي صوره من قبل الروائي إستورياس وكارستيه وروينو حيث تُروى القصة أو جزء منها من خلال وجهة نظر عالمية تقدمها الشخصيات نفسها من دون أي إشارة من المؤلف تبيّن هذه النظرة طريفة أو فولكلورية أو خرافية. فالعالم هو بحسب ما تراه الشخصيات، أو ما هو أشبه بذلك، لأن قصة بحر الزمن الضائع تحتوي على شخصية تعرف أكثر مما تعرف بقية الشخصيات. إن عارسيا مركيز في حقبة ما بعد كوبا، وبعد أن قيد نفسه بقضايا وطنية في قصة جنازة الأم الكبيرة يطرح للمرة الأولى - الآن فضية الإمبريالية الاقتصادية من خلال شخصية السيد هيرمرت، وهو "الأجسي" الذي يأتي بصفته مبشراً علمياً إلى البلدة الصغيرة شبه المهجورة. وفي الأيام التي سبق وصوله يعرف القرويون أن هناك شيئاً سميّاً جارياً محمراً لأن شذا الورود يعق في كل مكان في الجو اللادع الذي غلّاه رائحة السمك عادةً. ثم يصل انقادم الحديد ويعلى:

نبي أغنى أغنياء العام. ولديّ أموال طائلة ولم يعد

لدي مكان أصعب فيه. لقد قررت أن أطوف

في جميع أرجاء العالم كي أحل مشكلات البشر⁽¹³⁾.

عني عن القول إن السيد هيربرت لا يحل أي مشكله، بل يريد من فقر البلدة ويزيد من ثرائه ويمضي في سبيله. لكنه قبل رحيله يرسم صوراً جميلة في أذهان الأهالي - مثلما يرسمها صانع أشرطة سينمائية في هوليوود - ويتركهم في حالة نيرم لم يشعروا بها من قبل، وحالة حزن قلما يستطيعون التعبير عنها. حسناً، سأتي لاحقاً شخص يحمل الاسم نفسه السيد هيربرت بكل مقاصده ومراميه - بشركة الموز إلى ماكورندو في رواية مئة عام من العزلة لإحداث الأثر نفسه. وفي حين سؤب قصة جسارة الأم الكبيرة حساب غارسيا ماركيز مع كولومبيا وعزت مشكلات البلاد إلى نظام سياسي مفلس وإلى طبقة حاكمة رجسة، وإلى كنييسة فروسطية وطنية، فإن قصة بحر الرمن الضائع تقدم أحراً أميركا اللاتينية وهي مادة حام وتململ الإمبريالية الأميركية، في حين بدأ كاسترو بمهاجمة ماتيتا والطبقة الحاكمة الكوبية لبثقل بعدها إلى مواجهة الإمبرياليين في الولايات المتحدة الذين كانوا يساندونهم ويمولونهم.

لعل ما يبعث على الدهشة أن شخصاً وثق الصلة بالحرب الشيوعي مد سيرا كعارسيا ماركيز ينتظر مدة طويلة اليوم حتى يطبق هذا الشخص - الإمبريالية - على مساوي بلاده. ولا بد من أن نستنتج أن خيار غارسيا ماركيز لم يكن سهلاً بين الاشتراكية المطلقة فعلاً التي شهدتها في أوروبا الشرقية بين عامي 1955-1957 والولايات المتحدة التي عدت ثقافتها العديد من الأفكار التي بشرها في عموده المعروف *الرفاق*، والتي يدل أدباؤها الشيء الكثير لحعله يصل إل ما وصل إليه، في حين م يستورع معظم أدياء أميركا اللاتينية من الحيل الذي يسبق حبله عن شن الهجمات على الأميركيين الكريهين. من ناحية أخرى، لم يفضل غارسيا ماركيز منه بعد فصلاً كياً عن الأفكار الشيوعية المتشددة، ولهذا، لم يطر إلى دولة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية على أنها قوة إمبريالية سلاحها الرئيس التطبيق والتحرير التالي للإيديولوجية الماركسية. وعلى العكس من التحريكات التي اتسم بها بعض من انتقص من سمعة الاشتراكية، فإن غارسيا ماركيز لم يكن بالرجل الذي يندفع لإصدار الأحكام أو لمشكلات معقدة يُراد تبسيطها (بالرغم من الانطباع الاستعماري الذي يخلو له أن يعطيه في الصحافة البورجوارية): لقد كان

بمسفرق وقتاً طويلاً في التفكير في الأمور تفكيراً معقداً، ولم يتخذ السبيل البسيط للخروج برأي في القضية التي تحتاج إلى تأمل عملي. إن القراءه الشفاعة لأكثر مؤلفاته تميزاً، يصعب الوصول إليها دائماً.

إن لهذه القصة القصيرة مصهوراً آخر على المدى البعيد. فهي مؤشر إلى مستقبل بعيد عن ماكوندو - اراكاتانكا، وإيليس - سوكري، بمعنى آخر، بعيد عن كولومبيا واتجاه لا أميركا اللاتينية وحسب، بل الشئونة الأدبية أيضاً. لقد دجعت قصة **جائزة الأم الكبيرة** آخر الأمر اللدتين الصغيرتين، ومعنى آخر، حكمت عليهما استعداداً لتصميمتهما إذ سعى المؤلف لابتعاد وسبلة لرسم على رقعه أكبر. إن رواية **منة عام من العرلة** تدور أحداثها حقاً في ماكوندو، لكن الواضح أيضاً للفارئ الخفيف من الصفحة الأولى أن هذه السدة ترمز إلى أميركا اللاتينية في مجملها. لقد تحولت ماكوندو بظفرة من رمز وطني إلى رمز قاريّ.

لكنه بالرغم من ذلك كله لم يدرك بوضوح أن طريق أي روائي لاتيني نحو العظيمة في هذا الوقت يكمن بمصادفة أيضاً من خلال أميركا اللاتينية نفسها ومن خلال رؤية قاريّة. أما هو فلا يرل كولومبيا بالأدباء في أقطار أخرى من لديهم ريبا للمعارضة، وعي سياسي أقل تطوراً من وعيه، كانوا قد قفزوا حفزة لم يكن مستعداً بعد للقيام بها: فقد أصبح حويو كورتاثار الأرجنتيني وماريو فارعاس يوسا السروي وقبلهما كارلوس هويتس المكسيكي أدباء واعين بأنهم أميركيون لاتينيون وأنهم على حق في تأليف روايات على غرار رواية يوليسيس لحيمس جويس تنور عن التحول الذي طرأ على وعيهم وعودتهم إلى القارة شأنهم شأن جيمس جويس، ذلك الأديب الذي ظهر قبلهم في بلد خاصص للاستعمار وكسب عن تحوله إلى أوروبا قبل أربعين عاماً (تذكر طموح ستيغنز ديدالس في "تشكيل.. الوعي عمر ابولود بعد العرقي"). عني عارسيا ماركير أن يعيد تحديد هواجسه - حده وأمه ووالده وكولومبيا - ووضعهم في سياق أميركي لاتيني. لقد أصبح أدباء آخرون من أميركا اللاتينية - مثل إستورياس وكارنتيه وأرنوروا أوسادر بيتيري - أميركيين لاتينيين وهم في أوائل العقد الثاني من أعمارهم، على حين نطلب ذلك من غارسيا ماركير أن يصحح في سن الثامنة والثلاثين، وربما ما كان ذلك لمحدث قط لولا حفة

الاستعاش، لا سيما مدع تلك الحمية الكبير الذي دعا إليها كارلوس هويتس المكسيكي. لحسن حظ غارسا ماركير أنه سرعان ما سيلتقي بهويتس لقاءً يعدو حاسماً في حياته.

لكن الشيء الذي يراه مرة أخرى هو الانضباط العريب الذي لا يضاهيه انضباط لأديب عرف حتى قبل أن نصيبه الشهرة برمس طويل كيف ينتصر إلى أن يصبح الكتاب الذي يفكر فيه ماساً حتى وهو يقاوم الضغوط والإغراءات الكبيرة. وبما يزيد من الحجة أن هذه القصة عيناها عمر الرمن الضائع، مروية من مطار معد للإمبريالية منحه إياه كوبا وإن كان لا يملك اتصالاً بكوبا التي تبدو قد هزأت به وبوجوده في المكسيك - ولا يرى الأشياء كدأبه - فهو بلا روح سياسية كما قد يصول ماونسي تونغ، بعد أن فقد كوبا، بدأ يسأله، وإن ليس للمرة الأولى، عما إذا كان يتعين عليه أن يعلى عن تأليف الأدب هائياً ويسبق بأسرع ما يستطيع إلى كتابة النصوص السياسية. الآن لديه أسرة، ولا يمكنه بقياً أن يصحى ميرثيديس ورودريغو والحبيب غير المولود بعد من أجل مهنة الأدب التي لم يحقق منها حتى الآن شيئاً كبيراً. وإذا كان قد أتحق في تحقيق إنجاز كبير عندما كان أعرب، فلماذا يتعين عليه أن يتعدب دائماً في حين يحاول مراراً وتكراراً أن ينجح؟ لا بد من أن العمل السينمائي الذي طالما رعب دائماً في الاشتغال به في كل الأحوال، قد بدا له أكثر فأكثر أنه التطوع المنطقي الأكثر بالنسبة إلى رجل في مثل موقعه، وأنه حول مساعبه إلى تلك الوجهة، على كل حال، إنه لا يزال صرباً من ضروب الكتابة.

المكسيك دولة، وصناعة الأشرطة السينمائية فيها هي الأكثر في جميع أرجاء العالم المتحدث بالإنسانية⁽¹⁴⁾. لكن م يظهر في البداية بأي من أشرطة السينما وفي مساء يوم ما، ولدى وصوله المنزل بعد بحث لا طائل منه عن عمر - ولم يكن غارسيا ماركير يحس طلب شيء قط - أخبرته ميرثيديس أنها لم تعد تملك المال لشراء الطعام، وأنها لم تتمكن من إعطاء رودريغو كميته المطلوبة من الحليب قبل اليوم، فأجلس غارسا ماركير انه وعمره سنتان على الأرض وشرح له حاله وأقسم إن هذا الشيء لن يحدث مرة ثانية. و"فهم" الطفل وأوى إلى فراشه من دون تدبر ولم يستيقظ في الليل. وفي صباح اليوم التالي اتصل غارسيا ماركير وهو تواق إلى أن

يطلب معروفاً آخر من صديقه موتيس الذي يبدو أنه أدرك أن صديقه يمكن أن يصبح أحياناً متسولاً من دون خيار منه. وبدأ يجري اتصالات لتعظيم مطالبته، أولاًهما مع عوستافو ألانريستا، وهو رجل أعمال أمضى السنوات الماضية يتنقل بأعجوبة من صناعة الأثاث إلى صاعات أخرى كالسيب والصحافة.

رتب ألانريستا أموره كي يتقي عارسيا ماركيز في حانة فندق الرئيس في السادس والعشرين من أيلول عام 1961، أي بعد مرور ثلاثة أشهر تماماً على وصوله إلى المكسيك. يتذكر عارسيا ماركيز أن نعل فردة حدائه كان متدلياً، ولهذا السبب ذهب مبكراً للمقابلة وانتظر ألانريستا يرحل قبل أن يحصي هو في طريقه³. كان ألانريستا قد أفتح عدداً من أروع أشربة لويس بونويل السيمائية وكان متزوجاً آنذاك بسبعينياً ينزل أكثر مماثلات المكسيك فتةً وجمالاً والمثلة لرئيسة في ثلاثة أشهر سيمائية حقفها بونويل¹⁶. من الواضح أن عارسيا ماركيز كان يأمل أنه سيتمكن على الفور من ولوج عالم السيماء بمساعدة ألانريستا، لكن هذا سبق له أن اشترى قبل مدة قصيرة عدد من المصبوعات الشعبية ومنها الأسرة، وهي مجلة ذات اهتمامات نسائية، وقصص لكر مرد، وهي مجلة مكسيكية تنشر أخبار الجرائم والمصائب. وقرر ألانريستا أن يعهد بتمرير هذه المصبوعات إلى المتقدم المتردد في العمل بالرغم من شكوكه في الحصول على ذلك العمل. فقد ارتكبت موتيس غلطة عندما أظهر له بعض كتابات عارسيا ماركيز الصحفية السابقة بوصفها بدعم موقعه، لكن ألانريستا حامره الشك وقال بصوت هادر: هذا الرجل جيد لكن مما يسمي. لكن موتيس أكد له أن في وسع صديقه أن يكتب أي شيء وبعد تردد قبل عارسيا ماركيز الوظيفة - الوظيفتين - ومضى إلى بيته وسأل رودريغو عن أكثر شيء يحبه في العالم. "كرة". فما كان من أبيه إلا أن خرج واشترى أكبر كرة استطاع أن يجدها

وهكذا ودّع عارسيا ماركيز، ولو إلى حين، أحلامه بشأن السيماء وقبل بالعمل في كلتا المجلتين شريطة ألا يظهر اسمه مع أسماء العاملين فيهما، وأنه غير مضطر إلى كتابة أي موضوع باسمه، وأصبح مسؤولاً عن عائلته الأسرة وقصص لكر فرد: جهة المنزل وجهة الشارع بحسب رأيه. ولم يكن هذا العمل الذي قل به

تراجماً مهيناً للصحافة وحسب، بل إلى أدنى مستويات المهنة أيضاً. عمل في المكتب الكائن في شارع إسبرجتييس سور بلاالة كاتبة، وقام بإثارة شؤونه كأنه يصنع قصائد في يديه ويمسك بمعلق. كان كل شيء فوق طاقته. وكانت آخر مرة اضطرب فيها إلى النضحية بمهنة على هذا النحو في أثناء الأزمة التي حدثت في أعقاب انتقال أبويه من سوكري إلى كارثاخيا عام 1951، لكنه حتى في ذلك الوقت كان يتمتع بلوقت للاستمرار في تأليف رواية عاصفة الأوراق في الفترات التي كانت تفصل بين الترامات. أما الآن، فلهذه راحة وطفل وعليهما أن يأكلا الطعام حتى وإن كان قد اعتاد هو نفسه على الاستعانة بالطعام. صرَّ أسانه وأعدَّ نفسه ليقول وداعاً لا للسينما وحسب، بل للأدب أيضاً.

ومن محلات الناشر لأخرى مجلة/س. نوب التي ظلت وقية لمادتها فلم تنع بسحة واحدة حتى ذلك الوقت، لكنها تمكنت من الصمود والعيش متطفلة على ظهري عميتي عارسيا ماركيز الشعبيتين. كانت المجلة يومئذ بإدارة كاتبين طليعيين هما سلفادور إلينوندو وخوان عارسي بونس، وتدمر عارسيا ماركيز بحرارة من أهما أرسنفرطيان أديان يستغلان جهوده؛ من دون أن يعلم أن ابنة لذي لم يريد بعد سينروج يوماً ما بانه إيثوندو التي لم تولد بعد أيضاً⁽¹⁷⁾. ومن حين إلى آخر، وما راد الطبيب بلة، أن الأتريستا سيسى رفع مرثب موظفه المعذب منذ زمن طويل. وفي إحدى المرات تخلف عن الدفع مدة ثلاثة أشهر، ما اضطرب عارسي ماركيز إلى ملاحظته في كن حذب وصوب. وفي نهاية المطاف لحق به إلى داخل حمام تركي واضطر الأتريستا وهو يتعرق أن يعطيه شيكاً وسط البحار الذي شمل المكان برمنه. ولما حرج عارسيا ماركيز بالشيك رأى أن الكتابة قد مُحيت ما اضطربه إلى أن يهرول عائداً إليه وملاحظته إلى عرفة تبديل الثياب⁽¹⁸⁾. وكان بذلك يشبه للمثل الهولي المكسيكي كانتيغلاس.

وفي غضون أسابيع قليلة، وبالرغم من امتناعه من العمل، تمكن من تطوير تصميم المجنتين وأسلوهما. ومن ضمن وصفات الصبح والتطريز في مجلة الأسرة التي كانت تغطي الجمهور واسع من القراء على امتداد القارة، والمصص التي تشتمل لها الأبدان والصور الغريبة من مجلة الحوادث، نشر روايات عظيمة بصورة مختصرة

وحلقات مسلسلته عن سير داتية وقصص البحري وتحقيقات موعة مثيرة للاهتمام عن ثغافات أخرى، وكل ما استطاع أن يمتكز في شره. وكان غارسيا ماركيز قد أدى مثل هذا العمل من قبل لمحبة كرونیکا في بارانكيا، ومحلة فرويلا غرافيكيا في كاراكاس. وكانت أكثر المواد المشورة، بما يتم السطو عليه من محلات في دول أخرى باستخدام عميتي لقص وللصق ويضاف إليها مقدار ضئيل من اليأس، وجرعة كبيرة من السأم، ودرة من السخرية⁽¹⁹⁾. وبحلول الأشهر الأولى من سنة 1962 رادت مبيعات محلة أحداث رهاء ألف نسخة لكل عدد ولا تزال اسعفت تواصل صدورها. وفي شهر نيسان، تمكن غارسيا ماركيز بكل هروء من أن يجبر بليو مسدونا أن لديه الآن "مكتب معروشا بالسجاد وسكرتيرتين، وما يشه لبيت بحديقة، ورئيساً، ما أن يكون عقرياً نادراً أو مجسوماً عرقاً، وهو ما لم أعرفه بعد. لم أبغ الشهرة بحيث أصبحوا يشيرون إليّ بالبنان، لكنني أفكر في شراء سيارة ميرسيدس نمر في ثور بالرغم من نبي انتقلت للسكن في بيت يعد مسافة ثلاثة شوارع عن المكتب. ولي تتولاك الدهشة إذا ما انتقلت من هنا إلى ولاية ميامي لتنظيم الثورة المصادرة... إنا نتوقع ولادة أليخاندرا بعد عشرة أيام، ونعيش ميرسيدس الآن في هذه الفترة العلوية التي يصعب فيها حتمال الساء لا بوصفهم زوجات وحسب، بل بوصفهم صورة. على كل حال، إنا تعد العدة للانتقام: فهي ستنازع عدداً كبيراً من الشباب والأحذية وغيرها من الحاجيات عندما تعود إلى حجمها الطبيعي"⁽²⁰⁾

فترح غيرمو أنحولو في أيلول سنة 1961 أن يدع مخطوطة روايته غير المشورة في ساحة فحس للمشاركة في الجائزة الأدبية الكرومبية لسنة 1961 التي نرعاها شركة بيسو، ولتي تُمنح في العالم التالي 1962⁽²¹⁾. وصعط عليه ألمانرو مونيس أيضاً، وقيل إن لشركة نفقت 173 كتاباً ولا يبلو أن نأياً منها كان مرضياً. من هنا جاء الاقتراح بوجوب أن يرسل غارسيا ماركيز مخطوطته في المحطة الأخيرة.

ويتذكر غارسيا ماركيز في وقت لاحق أنه سزع ربطته عنه وروا إلى مخطوطته التي طالما ساهرت وإياه كثيراً ونفحها للمرة الأخيرة⁽²²⁾ إن رواية في ساعة

نحس التي لم يحبها كذنها قط، لم تحط بإعجاب النقاد أيضاً. فحبكتها بصعب الانقناع بها والشخصيات تنعقر إلى النمو. لكنها بالرغم من ذلك، قتلت حلقة سيمائية سلسة ونقية هادئة لا تحقق في ترك الانطباع على القارئ حتى إن كان الموضوع الكتب لا تخفف منه روح الدعابة ولا الصعقة المحلة.

اتخذت الأكاديمية الكولومبية القرار بالإلانة عن شركة إيسر ومنحت الجائزة لمخطوطة غارسيا ماركيز. وكانت قد ظلت منه أن يغير العنوان، تحلى عن العنوان الأساسي هذه المدينة البراز ووضع لها عنواناً آخر هو في ساعة نحس. وتير أن رئيس الأكاديمية الكولومبية هو رجل الدين الأب فيمكس ريمستريو الذي اضطرب بسبب ما تحتويه من كلمات مثل "مانع الحمل" و"الاستمراء" خاصة وأنه بغير إلى نفسه بصعته وصياً على اللغة الإنسانية وأخلاق رعيه. ولهذا طلب من السفير الكولومبي في المكسيك كارلوس أراغو بيريث أن يوصل رسالة إلى غارسيا ماركيز وأن يكلمه كلاماً حذراً رقيقاً وأن يطلب منه حذف الكلمتين البدئيتين. فما كان من غارسيا ماركيز إلا أن قرر، شأنه شأن سيمان، السماح للسفير بحذف كلمة واحدة وحار كلمة "استمراء" بالرغم من أنه ضمر في حبه مبلغ الجائزة ومقدره ثلاثة آلاف دولار.

وتشاء الأقدار أن تصير حياة المخلصين قرارها في اليوم الذي ولد فيه عرشها، ثاني أطفال غارسيا ماركيز، في السادس عشر من نيسان عام 1962. يقول غارسيا ماركيز لاحقاً لليبيو ميلونا إن الطفل ولد في "ست دقائق"، "وقتنا الوحيد يمثل في احتمال أن يولد في الساعة وهي في طريقها إلى المستشفى". وبعد أن نال الجائزة بات ثرياً سبباً ومزناً، واستخدم قسمًا من النقود لدفع نفقات إقامة ميرثيديس في المستشفى²³. لكن ما دام قد شعر بأن النقود كانت "مسروقة" - إذ صرح لاحقاً ربما عاقاً، إن دحور الرواية السابقة كان أسوأ قرار اتخذه في حياته - ثم قرر بدافع الاعتقاد بالحرافة، عدم إنفاقه على مستلزمات البيت الاعتيادية وشراء سيارة عوضاً عن ذلك، فاشترى سيارة بيضاء من طراز أوبل 1962 مجهزة باللون الأحمر ليطوف بأسرته في أرجاء العاصمة متزامية لأطراف. وأخير بليبيو ميلونا فائلاً: "إنما أعرب لعبة اهتيتها في حياتي كلها، وكنت اسبق في مصنف الليل لأؤكد من وجودها في مكانها"²⁴.

لكس هذا لم يكن كافياً. فقد ربح جائزة أدبية، ولكنه لم يعد أدبياً. واسمر يتلمز ووجد منه لا يزال يحسن إلى العمل في السبيل. وعلى كثره آماله واستراتيجيه في إغواء الأتريستا من خلال عمله الدؤوب، إلا أنه لم يحصل على شيء مقابل ذلك⁽²⁵⁾. وكلما عمل على زيادة إيراد الأتريستا بتطوير وتدفيق المجتئين، قل احتمال سماح الأتريستا له بالانتقال.

ولم يعد متأكداً من قدره على الكتابة حتى في ظل ظروف مناسبة. فمد زواجه لم يكتب إلا عدداً قليلاً من القصص القصيرة، كما أن في ساعة عس المحترقة بدت له قصة طويلة. لقد كان دمه ملبئاً بأشياء ملهية في العمل، وقضايا أسرية في الست، وأحاديث عن السمس مع أصدقائه. ومما يطوي على مفارقة التفكير، أنه شرع، من دون اعتقاد، بتأليف كتاب آخر بعد رواية مئة عام من العزلة - وهو كتاب ليريندرا وقصص أخرى - ولكنه لم يستطع تأليف الرواية التي كان يتوق إليها طوال حياته. فرجع إليها بعد بضعة أشهر، بمعنى أنه رجع إلى رواية البيت في وقت فراغه. لكن رواية البيت لم تكن مسكوبة إلا بالأشباح، وهذا وجد نفسه في ورطة. فعاد للتفكير في فكرة أخرى جعلته يشعر أنها رواية سيكتب لها الفور، رواية عنوانها خريف البطريق⁽²⁶⁾. لم تكن رواية مئة عام من العزلة موجودة حتى بوصفها عنواناً لا أكثر، على حين كانت هذه الرواية الأخرى التي أجهضت ذات يوم موجودة بعنوانها. وفي حين نشرت مجموعة قصص جنازة الأم الكبيرة في نيسان عام 1962 وهو الشهر الذي ربح فيه الجائزة عن رواية في ساعة عس، وبعد تنقيح السح الأولى من رواية ليس للعقيد من يكتابه، جمع ثلاثية صفحة من رواية خريف البطريق ولكنه ظل يشعر أنه ليس على الطريق الصحيح. وأعيراً غلّى عنها مرة أخرى، ويقول في ما بعد إن أسماء الشخصيات وحدها هي التي بقيت حية⁽²⁷⁾. لمن تلك الرواية المكتوبة عن دكتور - ونلدور إلى حد ما عن نفسه في الوقت الراهن - لم يكن ممكناً كتابتها قط قبل معالجة مشكلة رواية البيت؛ عن أسرته في الوقت الماضي. شعر بالإحباط واليأس والتشوش مرة أخرى، فرمى المخطوطة جاناً وبدأ يعكّر للمرة الأولى في مستقبل بلا أدب.

غير أن ذلك كان فوق طاقته، وازداد إحباطه أكثر فأكثر في عمه في المجلتين المتواصتين وبدأ يتدمر لرفيقه بلييو ميبدونا: "إنني ألبأ في الوقت الراهن إلى تعاطي

المسكات التي أنشرها عملي الحبر مثلما أشر الربد، لكني لا زلت غير قادر على السوم أكثر من أربع ساعات. أعتقد أن أملي الوحيد تكمن في إعادة تكويني من جديد .. يمكنك أن تتحلى أي لا أكب أي شيء. لقد مضى شهران منذ أن استعملت الآلة لكاتب، ولكني لا أعرف من أين أبدأ، إنني اضطرب لفكرة كوبي في هاية المطاف لي أكب شيئاً ولن أصبح ثرياً أبصاً. ليس لدي ما أقوله أكثر من هذا. لقد قصي عملي، أما ضحية ظرف جيد⁽²⁸⁾.

سياسياً، كانت علاقته بكوبا تثير أعصابه. وقدرة ما يتعلق الأمر به، كانت الأمور لا تزال معلقة. وقدرة ما يتعلق الأمر بكوبا، فإن الأمور وصلت إلى غايتها. وبالرغم من المشكلات التي واجهها في نيويورك، فإنه لا يزال يشعر بأن صعوباته تكمن مع أصحاب المصالح المحدود وليس مع النظام الكوبي نفسه. لكنه شعر في أعماقه أنه كان يسعى له البقاء مدة أطول إن إعجابه بكاسرو ظل يمر وهو يرافق الرعيم الكوبي الشاب، وعيفرا الذي لا يلبس، وهما يتحدثان قوة الولايات المتحدة والجنود المصطفيين كتماً إلى كتف في دول أميركا اللاتينية ليوحدوا به السراية. وفي شهر نيسان سنة 1962، وفيما كان كاسترو يواجه كلاً من العالم الرأسمالي برمه والمتشدد في الحزب الشيوعي الكوبي، كتب غارسيا ماركيز رسالة إلى بليو ميدون متاهياً كعهده بأنه يملك معلومات سرية وقال فيها: "إنني أعرف بمحمس حكاية كاسترو بشأن طرد آيبال إسكالاتي، وإنني متأكد من أن ماسيني سيؤدّ له الاعتبار بسرعة. لقد تمعه فبدل ببعض الكلمات القاسية أمام الرفاق - "لا تظن أنك انتصرت في هذه الثورة عن طريق الياهيب" - حتى إنني خشيت في لحظة ما أن تكون الأزمة خطيرة. إنه لأمر لا يصدق أن تتحوز كوبا المراحل التي تتطلب عشر سنوات أو عشرين سنة في دول أخرى. لدي الانطباع أن الرفاق طأطأوا رؤوسهم أمام فبدل، لكنني لا أفسد الاحتمال - وأن أدرك ما أقوه تماماً - أنهم قد يفتلوه في أي يوم الآ. لكنني في هذه اللحظة، أشعر بالمعطة لما سألني لما كنا ولبلدا لحمل الصغر كوبا التي تثبت أنها درس مذهش للجميع"⁽²⁹⁾.

في هذه الرسالة إشارات: ها هو غارسيا ماركيز بعد ستين من انفصاله عن بريسا لاتيا وخيبة أمله مع محاولات المتشدد للسيطرة عليها، يواصل استثمار

اعتقاده السياسي، وأحلامه بمستقبل كوبا، وثقته بزعمائها الذي لا تعد إعجابه به أي حدود. إن نشاهد أماننا كيف يتزامن معتربان انان متباينان إلى كوبا "الأول، أسوب في الكلام يشي بأن غارسيا ماركيز، شأنه شأن عدد كبير من الاشتراكيين في ذلك الزمان، يشعر بأنه يعرف ميليل معرفة شخصية كأنه صديق أو حتى أسيء الأكبر، مثلما يشعر بأننا نعرف شخصاً معرفة جيدة وإن كانت من الخارج. ثانياً، وهذا أمر غير مألوف كثيراً، إن شعور الروائي بأنه يمكن رؤيته داخلية لرعي الكوبي، كأن كاسترو شخصية من شخصيات أحد مؤلفاته، يتصرف ويتكلم هنا القدر أو ذلك لتحقيق رغبات غارسيا ماركيز. ومع هذا، فإن كوبا الآن معلنة أبوابها في وجهه، وكذلك السينما. وهذا يبدو أن الشيء الوحيد الذي يسيطر عليه هو أدبه. لكنه بدأ يفقد الأمل

* * *

مرّ لعام 1962 طيناً، حدثت فيه أزمة التصوير الكوبية وانتهت، واجتازها العالم كله بعد أن اهتز واحتاج. لكن لا وجود حتى الآن للصوء في نهاية نفق غارسيا ماركيز الذي لا نهاية له. ثم، الحمد لله، ففي نيسان عام 1963 تمكن أخيراً من الهرب من مجلتي الأسرة وقصص لكل فرد وأصبح "كاتماً محترفاً"⁽³¹⁾، كما قال نيجور بلينيو مبلوثا، وكان يعي بذلك كاتب نصوص سينمائية، لكن هذا تفسير مُفحّم. بعد مناقشة محنته مع مونتيديس استغل فرصة في مشروع خاص بكتابة نص يخص شريطاً سينمائياً بعنوان راعي البقر. وكان في ذهن غارسيا ماركيز ممثل مكسيكي قدير اسمه بييرو أرميداريث ليؤدي دور البطولة. وعندما سمع الأتريستا عن المشروع أراد أن يستحوذ عليه وأن يخرج صانع الأفلام المكسيكي الكبير إميليو (اهدي) فيرنانديث. ولما اكتشف أن غارسيا ماركيز وعد بإعطاء النص السينمائي إلى المخرج لشاب حوسيه لويس غونزاليث دي ليون على أن تكون له السيطرة الكاملة على النص، ولم أصبح مفتعاً أن غارسيا ماركيز لن يتخلى عن وعده مع المخرج الآخر، غير حاجة من لهجته السابقة وأخبر غارسيا ماركيز أنه سيلعب له الأجر نفسه الذي سبق له أن دفعه له لقاء تقريره المجلتين وأن يبقى في البيت لسة أخرى ليك بصير ميسماليين آخرين بحسب اختياره⁽³²⁾. وهنا اغتبط غارسيا ماركيز لنجاح رحلته.

بسوء الحظ مدت بمود الأتريت خلال الصيف فطلب غارسيا ماركيز أن يخرجه من اتفاقهما، ولكنه وعد أيضاً بالاستمرار في توفير غطاء التأشيرة له. وبعد أن نجح غارسيا ماركيز مرة أخرى في إثارة التنافس بين منتجي الأفلام اتصل بصديق آخر من أصدقاء أنغارو موتيس وهو المنتج مايونيل بارباكانو الذي كان سعيداً بأن يعمل وإياه ولكن على أسس مؤقتة. كان بارباكانو مهووساً بالاشتغال على أعمال خوان رولمو، ورسم خططه لتنفيذ قصة المذهب الذهبية على الشاشة. تدرج هذه القصة حول رجل فقير يقصد ديكاً من ديوك العراك كان مختصراً، فيكتشف أنه عثر على بطل، فيتطلع إلى ثروة هائلة وإلى حسناء المظفة وهي عشيقة رجل غني، وفي نهاية المطاف يخسر كل من به علاقة بالأمر كل شيء فاتوا من أجله. إن هذه القصة تصور عالم رواية ليس للعديد من يكتابه، وقد أوصى موتيس بصديقه المحمض على أنه الرجل المناسب تماماً للوظيفة، ولم تكن هناك فرصة عمل أفضل تصادف غارسيا ماركيز في طريقه. لقد كان المخرج روبرتو غانالون واحداً من أفضل المخرجين، وكانت مكاتبة السياسية بين صناع الأشرطة السينمائية هي الأحسن؛ على حين كان مدير التصوير غابرييل فيغويرا أذكى مصور، ربما، في عموم أميركا اللاتينية. التقى غارسيا ماركيز أخيراً مؤلف القصص السكير المعبود خوان رولمو في حفلة رفاف أواخر شهر تشرين الثاني عام 1963 - في اليوم الذي توفي فيه بي هارفي أوروالد بعد مدة قصيرة على إتمامه باعتياله الرئيس جون أف. كينيدي - وأصبحا صديقين بقدر ما تسمح به حالة رولمو وقلق غارسيا ماركيز وفنوطه.

لم يكن بارباكانو يوفر لغارسيا ماركيز الأمان نفسه الذي كان يوفره له الأريستاء، وكان عليه أن يسدد القواتير المترتبة عليه. لهذا اتصل غارسيا ماركيز بوكالة وولتر طومسون للإعلان في شهر أيلول، وعلى انقور حظي بالوظيفة. لكن بالرغم من أن تلك الوظيفة لم تكن هي الوظيفة المثالية التي كان يشدها، إلا أن الإعلان كان مناسباً أكثر ومنحه حرية أكبر في العمل الشاق في إدارة الحملات. ففي هذا الموقع الجديد أصبح على الأقل في مكانة أفضل ليقوم بما كان يقوم به دائماً: متابعة عمله اليومي بكفاءة ومسؤولية مع الاحتفاظ بطاقته وإيجاد

الوقت للعمل في الأمور التي تثير اهتمامه حقاً⁽³²⁾. لقد قنّر له أن يُمنح أواخر العام 1963 وعام 1964 وقسماً كبيراً من عام 1965 وهو يعمل في آن واحد في الأعمال السيمائية الموقفة وفي وكالات الإعلان؛ وولتر طومسون أولاً، تلبها شركة ستاتون، ثم برينكارد آند وود، وهي التي كانت جزءاً من شركة ماك إيريكسون. كانت شركتا وولتر طومسون وماك إيريكسون من بين أفضل ثلاث شركات إعلانية في العالم، موجود غارسيا ماركيز نفسه لبعض الوقت يعمل مع حاملي يريو الرأسمالية الاحتكارية الأمريكية، فرع شارع مادسون، وهو الأمر الذي لم يكن يرغب في إلقاء الضوء عليه. وكان موتيس قد سبقه في هذا العمل، كما في أشياء أخرى، إذ عمل في شركة ستاتون في بداية إقامته في المكسيك ومنذ اللحظة التي تأسست فيها.

وبعد ذلك برهن، أعدت التجربة المكسيكية خلال تلك المدة العريضة إلى حد ما غارسيا ماركيز للتفاوض بشأن شهرته المستقبلي؛ لفهم الشهرة ولتصكير في كيفية طرح نفسه والظهور بصورة شخصية جديدة وإدارتها. كان هذا التبريد المبكر في الإعلان والعلاقات العامة يبدو وهو يسمح له، ويا للمعارفة، بأن يعيش وسط تناقضاته السياسية أمام الملأ من دون أن يشير إليه بأصابع الاتهام المعلقون الأُميركيون المعادون في العقود الرماية التالية. كان يتمتع بمهارة مكسيكية، وكلما أُوغر إليه شيء، أخذ مديره السكر الإصلاحي يرفع قصة يده اليمنى ويصرع الهواء كأنه مضارع فار بجائزة. وحظي بمساعدة من البيت أيضاً؛ فهذه ميرتيديس تفدني دائماً بعبارات لا تنسى عن المتوح فتقول: "لا يمكنك أن تفعل من دون محارم من نوع كليكس" مثلاً، وحول بعض ملاحظاتها العظيمة إلى شعرات مرعة⁽³³⁾.

أصبح غارسيا ماركيز الآن في حضم الوسط الثقافي المكسيكي في واحده من أكثر المحطات تأثيراً وإثارة فقد. كان رد المكسيك على شارع كارناسي وشارع كنج المندبيين عام 1964 هو ثوماروسا. أما إيلا، دار النشر اليسارية الممولة حديثاً، فقد أصدرت حينها طبعة ثانية من رواية ليس للعقيد من يكاثيه في أيلول 1963 مما بعث السرور في نفس غارسيا ماركيز بالرغم من أن عدد المطبوع منها هو ألف نسخة فقط. وبدأت حياة اجتماعية صاحبة وسط السنرات الجلدية لسوداء

والطارات المداكنة التي كانت تميز أدياء المدينة المصريين ورساميه وممثليه السيمائيين ومغنيه وصحفيها. عاش الزوجان حياة مرفهة، وارثداً ثانياً أليفة، والنحى رودريغو وغوثانو يمارس إنكليزية خاصة، مثل روصه كوليمبو وليم ومدرسة الملكة إليزابيث في سان آخل⁽³⁴⁾. وامتلكت لأسرة سيارة وبدأت تبحث عن منزل أكثر راحة.

بعد مرور أشهر على بدء عارسيا ماركيز عمله في الكتابة السيمائية، أبحر النص السيمائي لقصة رولفو الديك الذهبي⁽³⁵⁾، وكان عملاً ممتازاً من وجهة نظر بارباكانو وإن كان لديه عطف واحد: قال إنه نص كولومبي أكثر مما هو مكسيكي. وفي هذه الآونة تحس خط عارسيا ماركيز أكثر، بل تحسن تحساً ممتازاً، إذ عاد إلى المكسيك كارلوس هويتس أديب البلاد الشاب البار الذي يكر عارسي ماركيز بناية عشر شهراً في أواخر سنة 1963 بعد إقامه مطولة في أوروبا⁽³⁶⁾. كان للآتين عدد كبير من الأصدقاء. ونصرف الطر عن الشخص الذي عرفهما إلى بعضهم بعضاً، فقد كان في تعارهما فائدة عند لقاتهما أول مرة لأن هويتس كان يعرف من هو عارسيا ماركيز وكان معجاً بكتاباته. وكما يذكر الأدب المكسيكي: "سمعت أول مرة عن غابرييل من خلال ألفارو موسى الذي أعطاني في أواخر عقد الخمسينيات نسخة من رواية عاصفة الأوراق، وقال لي إن هذا أفضل كتاب صدر حدث، لكنه لم يذكر رمان صدوره ولا مكانه⁽³⁷⁾". نتيجة ملك التركية، نشر هويتس رواية جنارة الأم الكبيرة ومونولوج إيزابيل وهي تراقب المطر في هاكوندو في بحه ريفيسنا مكسيكانا دي ليترابورا، وكتب مراجعة متحمسة لرواية ليس للعقد من يكتابه في مجلة لا كالتورا آن مكسيكو في كانون الثاني 1963.

وبالرغم من ذلك، فإن هويتس كان كافياً لأن يريد من الشعور بالقص لدى أي شخص. فقد كانت نريته ممتازة، وقد استعاد منها أقصى استفادة. وكان يتكلم الإنكليزية والفرنسية بطريقة مدهشة وبلكنة مكسيكية محولة كلاسيكية. وكان مسمياً، ومسجعاً، وحيوياً، وجداناً في كل شيء. وفي عام 1957 كان قد تزوج برينا مائيدو وهي مثله باررة، ولكنه ربط في ما بعد علاقة درامية مع بحمة هوليوود ستة الحظ حين سارع عندما كانت تمثل الشريط السيمائي ماشو كالانان

في ديواريفو. وفي عام 1958 نشر كتاب حيث الهواء لقي الذي يمكن عدّه الكتاب الذي نشره باثشار الرواية الأميركية اللاتينية. وكما هو شأن عارسيا ماركير، فقد سافر فوينس إلى كوبا في أعقاب الثورة مباشرة، إلا أنه كان مستقلاً سياسياً دائماً. وفي نهاية الأمر يتدبر أمره بعد أن شُع من دخول كوبا الشيوعية وإسبانيا الدشيه والولايات المتحدة الليبرالية. وفي عام 1962 نشر مؤلفات مهمة جداً، والرواية القوطية الصغيرة أورا، ورواية هوت آرتمو كروز التي تعد واحدة من أعظم الروايات المكسيكية في القرن العشرين، وربما أعظم الروايات قاطبة، والتي تدور حول الثورة المكسيكية؛ وقد أكمل كتابها في هافانا حيث شاهد مسار بلاده الثوري تتوارى أمام مظهر الثورة الكوبية الجديدة. لقد كان كارلوس فوينس وهو في سن الخامسة والثلاثين الأديب النازر الشاب بلا منازع في المكسيك، والحم المساعد على الساحة الأدبية العالمية.

ولما كان بكالا الر حبيب اهتمامات مشتركة ومهمة واحدة، فقد تطورت بينهما على جناح السرعة علاقة وثيقة عادت على كليهما بالجمع. صحيح أن عارسيا ماركير كان أمامه الشيء الكثير وغير المحدود كي يكسبه، لكن فوينس كان يسقه بسنوات في ضوء التجربة الأدبية إضافة إلى أنه مكسيكي يعيش في بلاده نفسها، وأنه صور على مدى عقد من الزمان شبكة مذهلة من العلاقات مع عدد كبير من المثقفين في العالم، العوالم التي كان عارسيا ماركيز يصبو إلى الانتقال إليها. وكان في وسع فوينس أن يصطحبه إلى أماكن ليس في وسع أديب آخر من أدباء أميرك اللاتينية أن يصحبها. وكان كرمه الأدبي لا يصرعه كرم. وفوق هذا كله، فإن وعي كارلوس فوينس الأميركي لللاتيني كان أكثر تقدماً من وعي عارسيا ماركير، وكان في استطاعته أن يعزم الكولومبي غير الراض من نفسه ثمة تامة، وأن يعدّه لأداء دور في المشهد الدرامي الأدبي لواسع في أميركا اللاتينية الذي كان فوينس يتوقعه له أكثر من أي شخص آخر على قيد الحياة، ويكون بالتالي، مسؤولاً عنه شخصاً أكثر من أي شخص آخر على قيد الحياة أيضاً.

بدأ عارسيا ماركير وفوينس يعملان معاً في النص السينمائي الذيك الذهبي برفقة روبرتو غامالون، ويرغم عارسيا ماركير في وقت لاحق أنه أنفق

هو وفوريتس خمسة أشهر طويلة يناقشان مع المخرج شأله النص من دون اتوصل إلى نتيجة. لكن تصوير الشريط السمائي قد ابتدأ في الفترة الممتدة من السابع عشر من حزيران وحتى الرابع والعشرين من ثور عام 1964 في أستوديوهات تشورويوسكو الشهيرة، على حين صُورت المشاهد الخارجية في كويرنارو وأدى دور البطولة فيه إغناثيو لوبيث نارسو ولونشا بيثا. وعندما عرض الشريط في نهاية المطاف في الثامن عشر من كانون الأول 1964 أحقق إحتفاقاً تجارياً ونقدياً تماماً. لقد كان نص رولفو نصاً واقعياً، ميثولوجياً ضمناً، لكنه كان أيضاً نصاً موحياً ومقتصداً وليس صريحاً التة، مما راد من صعوبة اقتضائه للمشاشة الكبيرة.

بالرغم من أن كلا الرجلين واصلا العمل في السينما، وبخاصة عارسيا ماركيز، السدي قال "إنه صمام أمان لأحرر فيه أشاحي"⁽³⁸⁾، إلا أن أيّ منهما لم يشعر بالارتياح العام في هذا الاشتغال بالسينما. وليس صعباً أن نلاحظ السبب في موصلتهما ذلك العمل: فالأدب لم يكن مهمة مريحة في تلك الأيام، أو هكذا بدا، على حين كانت السينما أسلوباً يخاطب مباشرة وعي الجمهور الواسع في أميركا اللاتينية. رد على ذلك أن السينما في ستينيات القرن العشرين، وفي مجتمع مكبوت سبياً كمجتمع المكسيك، فتحت الطريق من خلال مدخلها الجديد للجنس والعري ولخونها إلى استخدام المثلات الفاتنات والمخرجين الشباب الطليعيين غير المتحفظين للوصول إلى العتة والحادية واستقلل التقافي. لكن عقد الستينيات شجع أيضاً، لسوء الحظ، على حدوث ثورة كبيرة، ولكنها بلهاء وبلا معنى، ليس أقلها في المكسيك. وأصبح السلوك العصري وملاحقة المستحدثات من الأمور الضرورية في تلك الأيام، ووجد عارسيا وكارلوس فويتس نفسيهما واقعين تحت إغراء السوق الثقافية وآلة علاقاته العامة.

وفي تموز اعترف عارسيا ماركيز ليليسو ميلدونا أن إعجابه برواية أليجو كارتني الأحيرة انفجار في كاتدرائية، جعله يبدأ بالتمكيز - معدي عن فويتس بلا شك في العلاقة بين الموضوعات والصياغة الأدبية الباروكية، وجذب اهتمام بليو إلى النجاح الذي حققته في أوروبا في العام الماضي رحلات انفجار في كاتدرائية وموت آرتمو كروز، وكذلك رواية الحجلة التي كتبها حول كورناتا ورواية

عصر البطل لماريو فارغاس يوسا، وتلك لائحة تضم عناوين أول ثلاث روايات لم تكن قد نشرت بعد بازدهار الرواية في أميركا اللاتينية⁽³⁹⁾. ولم يكن غارسيا ماركيز ليحلم في أن تكون الرواية الرابعة والأكثر شهرة منها جميعاً هي الرواية التي ميكنها بنفسه.

مُنح غارسيا ماركيز وميرثيديس فرصة الانتقال إلى بيت جديد مناسب أهداهما تماماً⁽⁴⁰⁾. بعد أخير بليسيو بأن البيت "مسيح ذو حذيفة، ومكتب، وعرفة للصوف، وهاتف، وكل متطلبات الراحة للحياة البورجوارية. وفي بقعة هادئة جداً وتقليدية تحتشد بنحو لامعة" لكن هذا الكلام يطوي على مسالفة: صحيح أن البيت قريب من مثل تلك البقعة، إلا أنه كان معصوفاً عنها بطريق رئيس. لكنه بالرغم من ذلك، كان بيتاً مقبولاً وهدوءاً ومرحاً بما لا يبعث على الشك وأصبح لغارسيا ماركيز أخيراً مكتب خاص به، "كهف مملوء بالأوراق". ولم تكن البيت ليحتوي على قنبر كبير من الأثاث، إلا أنه كان أوسع من كل البيوت التي منى للأسرة أن سكنت فيها. وبالرغم من أنه كان حاوياً إلى حدٍ كبير من الأثاث، إلا أنه يصدح دائماً بالموسيقى وبخاصة موسيقى باروك والبيتلز⁽⁴¹⁾.

ولكن في حصص هذه الدوامية الاجتماعية، ومن وراء الوهمية الرائعة، وبالرغم من الأمن والاحترام اللذين اكتسبهما غارسيا ماركيز، إلا أنه شعوره بالافتقار إلى السعادة كان متزايداً. فالصور التي التقطت له في تلك المرحلة تدعو للألم: فانتوتر والإجهاد باديان عليه. وقال البعض إنهم شاهدوه وهو على استعداد للشحار في الحملات. ولم يكن يكتب ما يهتم به أبداً، باستثناء تأليفه رواية خريف البطريق بين حين وآخر التي شعر أنها لا تُقصي به إلى أي شيء. لقد كان غارسيا ماركيز في تلك الآونة كاتب بصوص سيمائية، بورجوارياً صغيراً ورجل إعلانات، وكان الأدباء لناجحون من أمثال خوليو كورتازار وماريو فارغاس يوسا اللذين لم تكن مما صلات ثورية سابقة، موضع احتفاء من سد الثورة الكوبية في حين أهل شأنه. وعندما رار ناقد الأدب البارز من أوروجواي أمير رودريغيث فيموبعال المكسيك للندريس، وهو الذي سيؤدي دوراً مؤثراً لا في الدعاية لموييتس وغارسيا ماركيز وحسب، بل لكل الأدباء الآخرين في حقبة انتعاش أدب أميركا اللاتينية، وجد

غارسيا ماركيز في حالة عملية مضطربة: "روحاً معذبة، ساكناً من سكن الجحيم، جحيم العقص الأدبي. وكان الكلام وإياه عن كتاباته السابقة، والإطراء على روايته ليس للعقد من يكتابه على سبيل المثال، كان أشبه بمحاولة تعذيبه بألة من أكثر آلات عهد التفنن قسوة"⁽⁴²⁾.

غير أن غارسيا ماركيز استمر في تحمل المشاق. وفي أواخر عام 1964 أعاد كتابة النص السينمائي داعي البقر الذي كان مقرراً أن يصوره أول الأمر حوسه لويس غونزاليث دي ليون ولكن حققه الآن المخرج أرتورو ريبشتاين البالغ من العمر اثنين وعشرين عاماً ووضع له عنواناً جديداً هو **عصر الموت**⁽⁴³⁾.

وكما هو شأن العديد الأعمال التي كتبها غارسيا ماركيز، فإن هذا العمل يكمس في صورة واحدة، ذكرى، حادثة من حوادث الماضي. فقد رجع يوماً ما إلى شقه في كولومبيا لمجد البواب، وهو قاتل ماجور سابقاً، منهمكاً في حياكة كسرة صوفية⁽⁴⁴⁾. وفي النص السينمائي، يعود الرجل الذي أمضى ثمانية عشر عاماً في السجن بسبب جريمة قتل استغفر على ارتكابها، إلى قرينه ابني ولد فيها بالرغم من أن ابني الرجل المقتول أقسما على قتله. ونتمك بدوره في الحياكة، وهنا يعبر الابن الأصغر رأيه، لكن الابن الأكبر ساً يستفز الرجل دائماً - التاريخ يعيد نفسه إلى أن يطلق البطل النار أخيراً على الابن الأكبر ساً فيطلق الابن الأصغر علفند النار على البطل ويرديه قتيلاً من دون أن يدي أي مقاومة. من الواضح أن هذه القصة إعادة كتابة لفصة جده وما حدث معه في بارانكاس عندما استغفره شاب؛ بالرغم من أن بيكولاس ماركيز قتل غريمه وأمضى عاماً واحداً في السجن وليس ثمانية عشر عاماً.

أخيراً صُورَ الشريط السينمائي في أستوديوهات تشور بوسكو ولي باتشكوارز بين السابع من حزيران والعاشر من تموز عام 1965 بعد أسبوعين تماماً من إكمال غارسيا ماركيز كتابة النص السينمائي، ومثل فيه حورخه مارتينيث دي هويوس ومارعا لوبيث وإيريك روتشا. أما الحوار فهو من إعداد كارلوس فويتس والتصوير للمصور القدير أليكس فيليس، وعلى حين كانت "تترات" الشريط من إنناح بيثيني روجو صديق غارسيا ماركيز. وبلغت مدة عرض الشريط تسعين

دقيقة. وكان عرضه الأول في الحادي عشر من آب 1966 في دار ميخما بريماديس في مدينة مكسيكو. لكن مره أخرى، عُذَّ الشريط السينمائي الذي أسهم فيه عارب ماركيز فاشلاً على وجه العموم بالرغم من أن موهبة المخرج الشاب السينمائية كانت واضحة أمام الجميع. وألقى كل من غارسيا ماركيز وريشتاين باللائمة على الآخر. فقد كان إسهام غارسيا ماركيز نموذجاً لحاسه ومسارته السينمائية: فالحبكة جذيرة بأن تكون من صنع سوهوكليس نظراً إلى كمالها، أما الحوار فكان وعظيماً مملاً لا يناسب الشريط السينمائي. لقد رأى غارسيا ماركيز موضوع يعث على حيبه أمل، أن كتابة النصوص السينمائية لم تكن في الأقل مرضية له على عكس كتابة القصص الأدبية، حتى إن لم يقرأها أحد: أولاً، كانت كتابة نصوص الأشرطة السينمائية مختلفة تمام الاختلاف عن الكتابة للجمهور القراء. ثانياً، إن كاتب نصوص الأشرطة السينمائية يفقد استقلاليته وسرايته السياسية والأخلاقية، بل هويته أيضاً، وأحسراً إن المستعبرين والمخرجين يطرون إلى هذا الكاتب على أنه ليس إلا وسيلة لغايه، وسلعة من السلع⁽⁴⁵⁾.

وبالرغم من ذلك، فإن اللحظة التاريخية المهمة في السينما واتت غارسيا ماركيز في بدء هذه المرحلة من خيبة الأمل عندما بدأ العديد من المشاهير في المكسيك، وأكثرهم من أصدقائه، يشاركون في تصوير قصته ليس ثمة نصوص في هذه البلدة في أواخر شهر تشرين الأول عام 1964، وهي قصة تدور أحداثها حول صعلوك في بلدة صغيرة يقرر جمع المال سبع كرات البليارد العاجية في قاعة السباحة المحلية، فيجلب الكارثة على نفسه وعلى زوجته التي تعاني مرضاً مزمناً وطفلهما المولود حديثاً⁽⁴⁶⁾.

جرى التصوير في مدينة مكسيكو وفي كواوتلا. وأدى غارسيا ماركيز بنفسه دور جامع التذاكر خارج مبنى سينما القرية وكان شديد الوعي بذاته في مثل هذه المواقع، نكس تمثيله كان قلقاً على وجه الخصوص. كما قام بنفسه بعملية التقطيع الصوري (المونتاج). وأدى لويس بونويل دور القسيس، على حين أدى كل من حوان رولفو وآييل كيثادا وكارلوس مونسياس أدوار لاعبي الدومينو، وأدى لويس بنيس دور مالك قاعة السباحة، وحوسه لويس كيلاس وإميليو غارسيا

ربما أدوار لاعبي البليارد، وماريا لويسا ميندونزا دور معنية المهوى، وليوبورا كاريغتون دور أحد رواد الكنيسة ثياب الحداد. أما الأدوار الرئيسة فكانت لكل من جوليا باستور وروثو ساعاد وغرايلا إيريكيث. لقد كان شريط ليس ثمة لصوص في هذه البلدة واحداً من أصل الأشرطة السينمائية في تلك الخفية، وتبلغ مدة عرضه سبعين دقيقة، وعرض أول مرة في التاسع من أيلول عام 1965.

وبالرغم من هذه التطورات وأخرى غيرها، بدأت الأشرطة السنمائية تفقد بريقها في نفس عارسيا ماركيز في اللحظة التي وجد نفسه فيها وقد تفت قدميه في صاعقتها وراح يحكي معها أموالاً كثيرة. أكان ذلك هو الهدف؟ كان يمكن أن يلاحظ أن في وسعه الاستمرار في العمل في السينما المكسيكية بنجاح مقول وعلى مدى لمستقبل الذي يريده. لكنه كان أيضاً يدرك أن موهبته الحقيقية لا تكمن في هذا الميدان، وأن القاعات من كتابة النصوص السينمائية محدودة، كما أن كتابة هذه النصوص لم تكن مهيمنة تماماً على مصيره. ولهذا السبب، بدأ يشعر بأنه في مح مرة أخرى، وبأن عالم الأدب الأمر كي اللاتيني يتغير تغيراً سريعاً ليفسوخ، وب للمفارقة، أكثر جاذبية وفنة من الأشرطة السينمائية. في تلك الاوة التي عدت هب الأشرطة السينمائية منه، راح يدرك أن الأشرطة السينمائية نفسها جزء من المشكلة التي تواجهه مع الأدب. ولم تكن مشكلته متمثلة بأنه كان يكتب نصوصاً أدبية لوسط أعر مختلف تماماً، بل كانت متمثلة بأن الأشرطة السينمائية حلت محل تصوره عن الرواية منذ سوات ساهمة، وأنه بحاجة إلى العودة إلى جذوره الأدبية. بتذكر عارسيا ماركيز بعد مضي سوات وهو ينظر إلى الماضي فيقول: "مكثرت دائماً في أن السينما هي الوسط الأمثل للتعبير، وذلك بفضل قدرتها التصويرية الهائلة. وقد أدرك هذا التفكير كل مؤلفاتي التي سقت رواية مئة عام من العزلة. ثمة رعة كبيرة لتصور الشخصية والمشهد، وتفصيل دقيق بالمليمتر لزم الحوار والحدث، وهوس بوجهة النظر وبالإطار العام، وفي حين كنت أعمل في السينما، رحت أدرك الأبناء التي يمكن سعيدها والتي لا يمكن تنفيذها، وعلمت أن في هيمنة لصورة على عناصر السرد فائدة، وحدوداً أيضاً، وكان هذا الاكتشاف مكرراً لي لأنني لم أدرك إلا انداك حقيقة أن إمكانيات الرواية غير محدودة"⁴⁷.

عقدت في سنة 1965 ندوة كبرى للمتقنين في موقع آثار حصاره لماña في تشيتشين إيتا. وكان من المشاركين في الندوة كارلوس هويتس وحوسيه لويس سيباس ووليم سترون، وأصبح الندوة حقاً مهرجاناً حافلاً وصاحباً. وإن كانت قد عطلت على هذه الندوة الكثير من حالات العبت والمراح. ومن الطبعي أن أحداً ما لم يهكر في توجه الدعوة إلى عارسيا ماركير الذي كان لا يراى معموراً على اساحة العالمية، كما أن عارسيا ماركير نفسه لم يهكر قط في الظهور في مثل هذه المناسبة. لكن عند بدأ المشاركون رحلتهم في جمع أرجاء البلاد مطبقين من العاصمة مكسكو، رتب هويتس حملة كبرى وأسطورية في بيته حل فيها عارسيا ماركير صيفاً والتقى الروائي التشيلي خوسه دونوسو الذي عر عن إعجابه برواية ليس للعقيد من يكتابه. وتذكر عارسيب ماركير "رجلاً حزيناً، مكشاً، معذباً، جامع كتابي أسطوري مثل الموانع التي وقفت أمام أوستو سباتو وخوان رولفو ووليم سترون" (48).

وبعد لخملة، جاءت ريارتان أنشتا في ما بعد أنهما كانتا حاسمتين في رجوح عارسيا ماركير إلى ميدان الأدب وفي جعل حياته حياة نورية. ففي حين كان ريشتان يصور شريط عصر الموت في بانثكورو في شهر حريرا، رار لويس هارس، وهو شاب أميركي من أصل تشيلي، عارسيا ماركير وكان قد التقاه قبل ذلك لقاء قصيراً في مبنى الأمم المتحدة في نيويورك عام 196، وبدأ يعد حينها كتاباً يصم مجموعة من المقالات النقدية مع كبار الروائيين في أميركا اللاتينية ممن ينتمون إلى الجيلين اسابقين، اسحابة لطاهرة الأدبية التي عرفت بسعاش الرواية في أميركا اللاتينية (49). كان لويس هارس قد خطط ليحمل كتابه يصم تسع مقابلات. وكان معظم الأدباء الآخرين معروفين تماماً بالرغم من الاختيار العشوائي: ميغيل أنخن استورياس وخورحه لويس بورخس وأليخو كاريتيه وخواو عيماريس روسا وخوان كاروس أوبيي وخوان رولفو - وهم يمثلون الجيل السابق - وخوليو كورناتار وماريو فارعاس يوسا وكارلوس هويتس من أدباء حقبة الانتعاش. وكان عارسيا ماركير الاستثناء الأبرز حيث أوصى به هويتس نفسه (50).

لا بد من أن ريارة هارس لعارسيا ماركير وإدراجه في لائحة أفضل عشرة أدباء كانت حقبة مثيرة في ذراع الأخير، إذ ستظل تلك المقابلة حتى يومنا هذا،

واحدة من أهم الممبالات التي استعمرت أعماق رجل لم يطور بعد في تلك المعالجة الرئيسة واجادة الأولى، شخصية الرجل المشهور التي اكتسبها في السنوات الأخيرة، بالرغم من أنه بدأ بوصف الأدب الكولومبي بكونه "أدباً عريضاً". كانت تلك هي المرة الأولى التي تعرض فيها عارسيا ماركيز لاسجواب عام، ولا بد من أن تأثيره في تحليله الذي وتمحيصه لنفسه كان تأثيراً هائلاً وبصفه هارس على هذا النحو:

كان قصيراً قوياً، تحلى الجسم خفيف الحركة في سيره، ذا ضارب منتصب الشعر، وأنف يشبه القنبيط، وحنوات كثيرة في أسنانه، يرتدي قميصاً رياضياً مفتوحاً، وبطالاً من الجبر الأورقي الباهت، وسترة ضخمة يرميها فوق كتفيه. وقد زودت الحياة الشاقة، التي كان في إمكانها أن تحطم رجلاً آخر، عارسيا ماركيز بذخيرة غنية من التجارب الشخصية التي يشكل العصب القوي في مؤلفاته. لقد عاش سنوات في المكسيك وقد يعود إلى وطنه لو تمكن من ذلك - ويؤكد أنه سيتخلى عن كل شيء إذا ما احتاجوا إليه هناك - لكنه لا يملك الآن، هو وكولومبي ما يقدمه أحدهما إلى الآخر. أولاً: أفكاره السياسية لا تلقى الترحيب هناك، ومشاعره قوية تجاه هذا الأمر وإذا كانت الحياة محنة في الخارج، فإن هناك ما يعوض عنها أيضاً وفي هذه الأثناء تراه يشبه صانع مجوهرات يصفل مجوهراته لقد بدأ يصنع شهرة ثابتة لنفسه، وخلف وراءه كتباً بعدد أصابع يده، كل كتاب منها ولد بعد جهد عاشق كما تولد البولوة في محارة⁽⁵¹⁾

وفي نهاية المطاف يحاول عارسيا ماركيز أن بقوص وجهة نظر هارس عنه بوصفه عبداً ذا جلد: "لدي أفكار سياسية لا تترجح، لكن أفكار الأدبية تتغير طبقاً لاستيعابي". ولاحظ هارس أنه بدأ بدوره يستحوذ على المشاعر:

يخرج غابرييل وهو يحكم شد حزامه من وراء عطفة الذهب الممتدة، والبريق يشع من عيبه يدخل الغرفة خفية، متوتراً إلى حد ما، متسانلاً عما سيحدث له، لكنه في الوقت نفسه يعرف كلنا يديه على ما يبدو متوقفاً ما يجري .. ويتمتع بأسلوب في إثارة نفسه بأفكاره الشخصية الليل فواح، مقعم بالمعاجات، وهذا هو الآن يسلفي على فراش كأنه مريض نفساني، ويُطلق: أعقاب سجنائه، يتكلم سريعاً، يلتقط الأفكار وهي تمر في حاطره، يلها وبفكها كأنها قصاصات ورق، فيدقها من جانب ويتركها من جانب آخر

ليفقدتها قبل أن يتمكن من تثبيتها في مكانها. وتوحي برتة العفوية ذات الصدقات العميقة أنه يبي اسراتيجية إهمال وهو يتمتع بأصلوب خاص في استراق السمع إلى نفسه كأنه يسمى لسماع مقتطفات من حديث في غرفة مجاورة المهم هو الكلام الذي لم يقله بعد⁽⁵²⁾.

أكان غارسيا ماركيز حقاً على هذه الصيغة، أم أنه أراد أن يكون هكذا وهو يتحدث، تحفزه في ذلك الدراما التي وجد نفسه يؤدي دوراً فيها. من يدري؟ ويضع حارس لمقابته عنوان: عاريس غارسيا ماركيز أو الوتر المقصود.

بعد أسابيع قليلة، وبعد هذه الوصفة الأولى أمام الملأ، جاءت زيارة عمس حاسمة. فمند سنة 1962 كانت كارمن بالسيلس، الوكيلّة الأدبية في مدينة برشلونة، تعمل بصفة افتراضية عموماً من أجل التفاوض بالإلانة عن غارسيا ماركيز لشر ترجماته في الوقت الذي كان يجد فيه الظروف صعبة جداً أمامه لشر رواياته بلغتها الأصيلة. وصلت بالسيلس إلى المكسيك يوم الاثنين المصادف الخامس من تموز بعد زيارة قامت بها إلى نيويورك حيث تماوضت وتوصلت إلى عقد مع روجر كلين عن دار نشر هاربر أندرو لشر أربعة كتب جاهرة لعاريس ماركيز بترجمة إنكليزية لقاء ألف دولار⁽⁵³⁾. كانت بالسيلس وكسة أدبية عالمية واسعة الطموح، وكان هو أديباً شاباً واعداً يتوق إلى النجاح توفراً موحجاً فقدمت نفسها إلى المؤلف الجديد وشرحت له العقد وانتظرت رد فعله الذي تلخص في عبارة: "العقد قطعة من براز".

كانت بالسيلس ممثلة لحسم والوجه المضطربة حماساً، وروحاً لئيس بالومارس فد ارتكبا حقاً سبب المريح العريب والمسير في آب من اللامبالاة والغطسة، رفة الثقة التي قبل إن غارسيا ماركيز يتصف بها، ولا ند من أنهما دهلا عندما شاهدا أمامهما كتاباً لم يسمع به أحد تقريباً ولكنه بهذه الدرجة الكيرة من العرور والاعتداد بالنفس. لم تكن هذه البداية موفقة. "لقد وجدت نكداً، عر محيوت إلى درجة كيرة. لكنه كان حقاً بشأن العقد"⁽⁵⁴⁾. ولحسن الحظ استرد غارسيا ماركيز وميرثيديس فوهما على الفور وأمصيا ثلاثة أيام من الحملات والرحلات السياحية توجت في السابع من تموز عام 1966 بتوقيع عقد منفق ثانٍ كما في حالة لعقيد في إحدى قصصه حول فيه غارسيا ماركيز بالسيلس وبحضور لئيس بيثيس تمثله في جميع السمات وعى جميع حواسب الأطلسي عى مدى مئة وخمسين عاماً. وهما

كانت قصته القصيرة تصنع سحرها؛ لقد وجد عارسيا مركزاً الأم الكبيرة في الحياة الحقيقية وعلى المدى الطويل. وعلى العور تفاوضت مع دار نشر إيرل لشر طبعات جديدة من روايتي ليس للعقيد من يكاتبه وفي ساعة عرس، كما تفاوضت مع فيلترينيلي لإصدار ترجمات إيطالية. ربما فكرت أنه ينبغي به أن يكون شاكراً حظه. ولم تكن تعرف إلا اقليل، كم ستكون هي نفسها محظوظة مستقبلاً.

بعد هذه لزيارات عبر المتوقعة من مكان بعيد، وما أتت به من أخبار طيبة، قرر غارسيا ماركيز أن يذهب وأسرته في إجازة قصيرة لزيارة مدينة أكابولكو في عطلة نهاية الأسبوع التالي بعد أن كان قد أمضى وقتاً صويلاً بعيداً في التصوير في باتنكوارو. كان الطريق الممتد إلى أكابولكو واحداً من أسوأ الطرق في بلد مملوء بالمعطبات والالتواءات الرهبة. وكان عارسيا ماركيز الذي طالما كان شعوراً بقيادة السيارة متجهاً بقيادة سيارته البيضاء الصغيرة من طراز أوبل وسط البانوراما المتغيرة دائماً في الطريق المكسيكي. وغالباً ما كان يقول إن قيادة السيارة مهارة آلية من جهة وتتطلب قدراً كبيراً من التركيز من جهة أخرى، حتى إنها تسمح له بإزاحة قدر من التركيز والتفكير بدلاً من ذلك في رواياته⁽⁵⁵⁾. لم يكن قد قاد سيارته طويلاً في ذلك اليوم عندما طافت في ذهنه "من اللامكان" أو من جملة رواية جديدة. وكانت من تلك الجملة رواية كاملة غير مرتبة لكنها واضحة، كأن هناك من يملأها عليه أو يحملها شخص ما من فوقه. كانت قوية لا تقاوم كأنها سحر ساحر. وكانت الصعقة السرية للجمعة نكس في وجهة النظر، والأهم من هذا، في اسيرة: "بعد سنوات طويلة وفيما كان يواجه فصل الإعدام."، وهنا توقف عارسيا ماركيز كأن عيوبه عشيته على حافة الطريق واستدار بسيارته وعاد باتجاه مدينة مكسيكو. ثم...

يبدو استدخل في القصة في هذه المرحلة مثيراً للشفقة، لا أن كاتب السيرة يشعر بأنه مضطر إلى الإيضاح أن هناك تفسيرات متعددة لهذه القصة (كما في قصص أخرى)، وأن التفسير المذكور آنفاً لا يمكن أن يكون صحيحاً؛ أو في الآخر، لا يمكن أن يكون مدهشاً على النحو الذي اقترحه معظم رواته. إن التفسيرات تنبئ بشأن السطر الأول الذي سمعه عارسيا ماركيز، وهل هو سطر أم هو صورة

احد وقد صحب معه فتى ليكتشف الشح (أو ليكتشف حقاً شيئاً آخر)⁽⁵⁶⁾. لكن بعض النظر عن الحقيقة، حدث شيء ما حقاً، شيء غامض وليس مسرحياً إن التفسير الكلاسيكي الذي انتطع حله فجأة يصور عارسيا ماركيز وقد استدار بالسيارة في اللحظة نفسها التي يسمح فيها ذلك السطر في ذهنه، وألقى على نحو بات إجارة الأسرة ليعود إلى مدينة مكسيكو ويبدأ كتابة الرواية حال وصوله إلى الست. أما التفسيرات الأخرى، فتشير إلى أنه ردد تلك الجملة في ذهنه وتأمل مضامينها وهو يقود السيارة ثم يستحل بعدها ملاحظات كثيرة لدى وصوله إلى أكابولكو، ويكتب الرواية بصورة صحيحة حال عودته إلى العاصمة⁽⁵⁷⁾. هذا التفسير هو أكثر التفسيرات إقناعاً من غيره. لكن الإجارة، كما تبلى في جميع التفسيرات، انقطعت واضطر الصبيان وميريليس التي طالت معانق، ولا تدري شيئاً عن مدى المعاناة التي ستحملها بعد الآن، إلى ابتلاع حبة أملهم وانتظار إجارة أخرى؛ وتلك مناسبة سير وقت طويل قبل أن يحين وقتها.

-15-

ميلكيادس العجزي:

مئة عام من الغزلة

1966-1965

بعد مضيّ سنوات يقول غارسا ماركيز إنه بعد أن عاد إلى البيت جالس إلى
آلته الكتبة في اليوم التالي، تماماً مثلما كان يجلس في كل يوم مضي، في ما حلا
"أني في هذه المرة لم أهدأ لأقضي ثمانية عشر شهراً"⁽¹⁾. ولم تستغرق الكتابة أكثر
من سنة واحدة، من تموز 1965 ولغاية تموز أو آب 1966، مع بعض لفترات الرمية
المتقطعة. لكنه يردد دائماً إلى المدة ثمانية عشر شهراً، وري كان ذلك صحيحاً لأنه
استغرق ثمانية عشر عاماً، وقد أخرج بليسي مبدؤاً أن مشكلته الكبرى تمثلت "بالبدء
بالكتابة، فإني أتذكر بوضوح نام اليوم الذي أكملت فيه الجملة الأولى بصعوبة
بالغة وسألت نفسي وأنا في حالة من الهلع عن الجملة التالية. ولم أحب قط أن
انكتاب سيصل إلى أي نهاية إلا عندما عُثر عني سعيبة في وسط الغابة، وعندئذ
أضحت الأمور بخدمة وممتعة جداً"⁽²⁾.

إن غارسا ماركيز أدرك أن السحر لن ينتهي هذه المرة، وأن في رسعته أن
يسترخي ويرتاح بعد أن كتب رهاء عشر صفحات، وعجاجة المقررات التي عثر فيها
مصادفة خوسيه ريكاديو بويديا عني سعيبة إسبانية جاجة عند الغابة المدارية لرواصع
أن هذا جرى له في الأسبوع الأول وكان لا يزال يتمتع بإجباره بعداً عن المكتب،
وسدأت كل أعباء السنوات الخمس المنصرمة تنصاعل. وتوقع أن يصعد ثمانئة صفحة
على الآلة الكتابة، لكنه حترها إلى أربعئة صفحة في نهاية المطاف ولم يكن هذا أمراً
سيفاً كما تين في ما بعد. ففي هذه لصمحات الأربعئة سيحككي لنا قصة أربعة

أجيال من أسرة بوينديا، التي يصل الخيل الأول منها إلى منطقة تعرف بالاسم ماكوسو. إيان القرن التاسع عشر ليندأ معايشة مئة عام من التاريخ الكولومبي مزيج من الحرية والإصرار والهومس والسكنة السوداء. وتنقل الأسرة من حالة براعة الطفولة مروراً بكل مراحل الرجولة والأوثنة والاعطاط حتى تحرف ربح موية في آخر صفحة من صفحات الكتب آخر فرد من أفراد الأسرة. فُكر القناد كثيراً في مضمون هذه النهاية منذ صدور الكتاب في المرة الأولى. إن الشخصيات المركزية الست التي تبدأ بحمل الرواية وتتم على نصفها الأول هي: خوسيه أركاديو بوينديا، وهو مؤسس قرية ماكوسو سريع الاحتياج، وروخته أورسولا وهي العمود الفقري في بحمل الرواية وليس لأسرتها وحدها وحسب، وودها خوسيه أركاديو وأوريليانو الذي سيعدو في مابعد العقيد أوريليانو بوينديا وهو الذي يعد، على وجه العموم، شخصية الرواية المركزية، وابنتهما أمارانا التي تعدت في طفولتها ودقت امر لما أصبحت امرأة، وميلكيئيل العجري الذي يأتي بين حين وآخر بأخبار عن العالم الخارجي ويستقر أخيراً في ماكوسو. كما أن تاريخ كولومبيا يتجسد لنا من خلال حدثين رئيسيين: حرب الألف يوم، ومذبحة عمال المور في ثيناعا سنة 1928. ويشكل هذان الحدثان إشارة تاريخية رئيسية وهي الإطار العام لطعولة عارسيا ماركيز.

إن لكتاب الذي أراد عارسيا ماركيز أن يؤلفه هو قصة أسرة تعيش في بلدة أراكاتانكا، لكنه استعمل اسماً آخر لها هو ماكوسو. أما الكتاب الذي راح يؤلفه حينها، فهو حقاً قصة أسرة عاشت في بلدة أراكاتانكا ولكنه سماها ماكوسو. بيد أن الأسرة لم تعد أسرة المعيد نيكولاس ماركيز وحده التي يعمرها حين جارف وتوق شديد لإنثاء وجودها الملحمي كما حدث في رواية عاصفة الأوراق، بالرغم من اكتشاف المعالجة الروائية مفارقات جيدة، فهي أيضاً أسرة غابريل إليحيو عارسيا التي يعالجها المؤلف معالجة حكمية ساحرة وهجائية مع بعض التلميحات الطرية التي تتراوح بين العطف والقسوة. كما أن الكتاب لم يؤلفه شاب في العشرين من عمره بدأ حياته بتأليف كتاب البيت، بل، وبالعربية، صبي صغير السن يدكر تجربة ذلك الشاب على نحو ينطوي على شوق كبير، حيث الصبي صغير السن يسير بدأ بيد لا مع العقيد ماركيز، بل مع رجل الأسرة البالغ من العمر زهاء

الأربعين عاماً اليوم، وهو عمر غارسيا ماركيز الآن، مع الأديب الذي قرأ أداب العالم كلها وعاش في حصص أشد المراحل الحاسمة في عمر الإنسان.

ما الذي جرى لعابرييل عرسيا ماركيز؟ ما الذي جعله يتمكن بعد مصي وقت طويل من تأليف هذا الكتاب؟ لقد أدرك في ومضة من ومضات الإلهام الحاطف أن عليه أن يولف كتاباً حول ذكرياته عن طفولته وليس كتاباً عن طفولته. وبدلاً من أن يكتب كتاباً عن الواقع، عليه أن يكتب كتاباً عن مظهر الواقع. وبدلاً من كتاب يدور حول أراكاتاكا وأهاليها، ينبغي للكتاب أن يكون قصة تُروى من وجهة نظر عامة لأولئك الأهالي. وبدلاً من أن يحاول بمجدد بحث أراكاتاكا من جديد، عليه أن يقول وداعاً لأراكاتاكا، لا من خلال سرد قصتها بلسان سكانها، بل من خلال تضمين الرواية كل ما حدث له، وكل ما عرفه عن العالم، وكل ما كان هو عليه وكل ما حسده بوضعه أميركياً لاتينياً في أواخر القرن العشرين: أي بدلاً من عمل البيت وأراكاتاكا عن العالم، يسعى له أن يأخذ العالم كله إلى أراكاتاكا. والأهم من هذا كله، ومن الناحية الوجدانية، عليه هو نفسه أن يصبح بيكولاس ماركيز بدلاً من أن يحاول إظهار شبح بيكولاس ماركيز.

نقد شعر غارسيا ماركيز بالارتدح سرى في داخله على مستويات مصاعمة ومن مئة اتجاه مختلف، وتحررت بذلك كل الجهود واعديبات والإحفاقات والإحباطات التي مرَّ بها في حياته، وتحمَّد التحرر وإدراك الذات وتوكيد الذات في هذا الإبداع الغريب الذي كان يعرف - نعم كان يعرف - أنه يمكن أن يكون عملاً فريداً وربما خالداً حتى عند لحظة بدء الكتابة، وعندما واصل الكتابة بحماسة متزايدة راح يتسلول عظمة الخرافة نحو، وهو مخصي في تأليفه، أن الكتاب سحري ومدش ومعهم بالحوية والنشاط له أولاً، وللفرد ثابته. لقد كان تجربة في سحر الإبداع الأدبي ارتقى إلى أعلى مراتب القوة. يضاف إلى ذلك، كانت الكتابة نفسها علاجاً مصنياً حبرياً: بدلاً من بدل محاولة مهووسة وعصائية ودؤوبة لإعاده سرد الأحداث التي مرَّ بها في حياته تماماً كما يذكرها، فإنه يعيد ترتيب كل ما سبق أن قيل له أو مرَّ هو به شخصياً على النحو الذي يريده، حتى اتحد الكتاب شكل مؤلفه. وهذا، فإن الكتاب سحري ومدش ومفع بالحوية والنشاط: إنه يشفيه من أمراض كثيرة.

بعد أن كما نرى رجلاً يكتب عادة فقرة واحدة في اليوم، رحباً بشاهدته وهو يكتب عدة صفحات يومياً. والرجل الذي كان يعلب كتبه دائماً خارجاً رأساً على عقب يبحث أولاً عن السقي؛ ثم البية؛ وإذا به الآن يكتب الفصول واحداً تلو الآخر. والرجل الذي عانى دائماً في كل المسابقات وكل قرار مهما كان صغيراً، فنياً أو نفسياً، في كل كتاب من كتبه، بات يتلاعب بحياته: يدمج جده في أبيه وفي نفسه، ويطلع تراكيكنا في لوبسا سانياعا وميرثيديس، ويشكر لويس إنريكي ومارعوت من بين عديد الشخصيات، محولاً جدته لأبيه إلى ييلار تيرنيرا، ومخطف نانشيا ليحولها إلى شخصية أماراتا أورشولا، دمجاً تاريخ أسرته كلها في تاريخ أميركا اللاتينية، موحداً مكوناته الأدبية الأميركية اللاتينية؛ بورخس، وإستورياس، وكاربتيه، ورونفو، بالإنجيل، وراييليه، ومدونات الفتوحات الإسبانية، ورواية العروسية الأوروبية، ووف وديغو، وفوكر، وهسواي. لهذا، فمما يعنى على الدهشة شعوره بأنه أشبه بحميمائي، مارجاً نوسترا أداموس في بورخس - وبمسه هو غارسيا ماركيز - لينتج شخصية ميلكيادس الكاتب؛ المدع الكثير والعفري الذي حبس نفسه في حجرة صغيرة ليضع الكون برمته في ذلك الفضاء المسحور الذي يمتد في الوقت نفسه في التاريخ وفي اللازمان، ويعرف بالأدب. باختصار، إن ما يفعله الآن لا يتنحصر في مزج كل شيء وحسب، بل الأهم من هذا (وهذا هو سبب نجاحه، بحسب رأي الكثيرين، في كتابة شيء ما في أميركا اللاتينية مكافئ لرواية دون كيشوته)، مواجهة وربط حاضيتين أساسيتين ومتناقضتين عن تلك القدره التي لا يعرف عنها إلا الزور اليسر، ولكنها بالرغم من ذلك، حارة غير مألوفة تشبط بالحياة: فهي خصم الرواية المطلمة عن الفنوحات والعنف، المأساة والإحباط، يرسم غارسيا ماركيز جانباً آخر من القارة يمثل بالروح الاحتمالية والموسيقى والفن التي عُرف بها شعب أميركا اللاتينية، وتلك القدرة على تكريم الحياة حتى في أحلك رواياتها، وإيجاد المتعة في الأيام الاعتيادية، المتعة التي يراها العديد من أساء أميركا اللاتينية على أنها ليست عراًء من القهر والفشل وحسب، بل بشيراً بذلك العالم الأفضل الذي يرويه معلقاً دائماً ويحتفلون به لا من خلال ثورانهم وحسب، بل من خلال انتصارهم الاحتمالية في الحياة اليومية أيضاً. من الطسعي أن

غارسيا ماركيز يتكرر لاحقاً كل هذه المقاصد السامية، إذ يحده يمول لأليسا بوب توفسكي في عام 1973: "م أكر واعياً بأي أمر من هذه الأمور، وأنا لست سوى رجل يحكي القصص والحكايات"⁽³⁾.

بانهاء الأسوع الأول من أبلول، كان غارسا ماركيز قد قطع شوطاً دلفاً، وسرعان ما اكتشف أنه بحاجة إلى الترام دم ويعليق كل نشاطاته الأخرى بعلف ناماً. فقد كانت محاولته لتأليف الكتاب واستمراره في العمل ي وكالة الإعلانات بصيانه بضداع شديد مؤلم. لهذا قرر التحلي عن كلا الوظيفتين وما يتلفه من مرتب عهما، وكذلك النخبي عن حياته الاجتماعية الاعتيادية. فكت تلك مقامة غريبة لسيد أسرة بفضل احياة العائلية عما سواها.

تدور أحداث الرواية في أراكاتاكا، في ماكوندو، غير أن ماكوندو استعاره نجسد أميركا اللاتينية برمتها. لقد كان يعرف أميركا اللاتينية معرفة جيدة، لكنه رار أيضاً العالم القديم ولمس بنفسه العارق بين ديمقراطيات العالم الرأسمالي الليبرالية القديمة، والأقطار الاشتراكية الجديدة بصمها اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية. كما أنه عاش مدة من الزمان في الولايات المتحدة، البلد الرمر والحصم التاريخي لاتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية، البلد الذي كان ماصياً في تحديد مستقبل كوكب الأرض، وكان قد أحاط بقدر أميركا اللاتينية وسيطر عليها منذ ما يريد على نصف قرن من الزمان. لقد كان هذا الرجل يعرف الشيء الكثير عن العالم، كان يعرف هذا كله حتى قبل أن بدأ بتذكر ما تعلمه عن الأدب

وهذا، نعدو ماكوندو الصورة الحية لبلدة صغيرة في أي بقعة من بقاع كولومبيا أو أميركا اللاتينية (أو أي بقعة من بقاع العالم لثالث كما سينهد بذلك القراء في أفريقيا وآسيا)، ورمزاً لأي جماعة صغيرة وافعة تحت رحمة قوى تاريخية لا عارح نطاق سيطرتها وحسب، بل خارج نطاق فهمها ودراكها أيضاً.

إن المصه كما نبدو الآن هي قصه أسرة هاجرت من عواخيرا إلى سطة تشه تمام انشه أراكاتاكا إبان القرن التاسع عشر. الأب الرمر حوسيه أركديو بومليد، كان قد قتل أفضل أصدقائه دفاعاً عن الشرف والرحولة، واضطر إلى الرحيل لأن شح صديقه كان يطارده. أسس حوسيه أركديو قرية جديدة أسمها ماكوندو،

وسى هو وروجه أورسولا بياً وأصبحا زعيمين غير رسميين للجماعة الحديدية. كان لهما ثلاثة أطفال: آركاديو وأوريليانو وأماراتا، وتمرور الأيام أصبح لديهم عدد آخر من الناس. وكانت لإحدى خادومات المنزل، واسمها ييلار تيرنيرا، علاقات مع عدد من دكور الأسرة على امتداد السنين، فأسهت بذلك في حالة المصع التي سادت الأسرة لاعتقادها أن علاقة سُمّاح ستنشأ في نهاية الأمر، وسيجسم عنها طفل بذب حنّير، وبذلك ينهي سسل الأسرة. كان العجر يرورون المطقة بين وقت وآخر ومن بينهم رجل موهوب، ثاقب الرأي يدعى ملكيادس الذي مكث في ماكوندو وانتقل إلى منزل الأسرة. لكن ثمة واحد سسبي أيضاً وهو الحكومة المركزية في بوعوتا (التي تظهر بلا اسم في الرواية) التي أرسلت ممثلين سياسيين وعسكريين للسيطرة على الجماعة الصغيرة البرينة، وقد أدت هذه الحضيّة الأولى إلى سلسلة من حروب أهلية شارك فيها أوريليانو لدى بلوعه سس الرشد مشاركة حماسية إلى جانب الحرب الليبرالي حتى أصبح في نهاية الأمر مشهوراً في طول البلاد وعرضها بوصفه المحارب الأسطوري العقيد أوريليانو بويديا وبعد مدة من الزمان، يظهر في الرواية عرباء أكثر مدعاة للشؤم. أميركيون شماليون بأنون برفقة شركة المواكه تحوّل اقتصاد البلدة وثقافتها حتى يثور أهاليها ويعلنوا الإضراب، رها تعرّض الأميركيون الأجانب الحكومة المركزية على اتخاذ إجراء، فيبقى من جرء ذلك ثلاثة آلاف عامل من العمال المصريين وأفراد أسرهم مصرعهم في مذبح على مقربة من محطة سكة الحديد في ماكوندو. وبعد هذه الحقبة المظلمة، تتدهور أوضاع ماكوندو تهوراً يبدأ عوت أورسولا نفسها - وهي فسب الرواية وروحها - على حين يجد الخيل الأصغر سناً، والأقل نشاطاً، والذي يحيا بوصفه صحيحة الريح أكثر مما هو مدخ أسطورة، معه عائناً إلى كل ما يشه الطسمة والحطينة البدائيتين وفي النهاية، وكما هو متوقع، يُعجب آخر فرد من أفراد الأسرة طفلاً بذب حنّير إثر علاقة سُمّاح طائشة، فتقصي عليهما وعلى جميع سكان ماكوندو ريج عاتبة وهو ما توقعه أيضاً ميلكيادس.

وبعد الرواية أيضاً رواية حدثية من حيث إن عارياً ماركيز أقدم على تأليف كتاب من شأنه أن يخترق كل الكتب، عالم كبير في عالم صغير: فهو يبدأ

وينتهي بأسلوب إنجيلي ويصم بين دفتيه بعضاً من أساطير الإثروبولوجيا الشامية والحرافات المميرة للثقافة العربية، والاندفاع السليبي العرب لجربة أميركا اللاتينية في طموحاتها المطمئة وإحماقها المهيئ، وصولاً إلى الطريبات الغارية المتنوعة التي جاء بها أشهر معكري القارة، لكن كل ما يتضمنه الكتاب تقريباً هو نتيجة للنجربة التي عاشها غارسيا ماركيز نفسه. وفي وسع كل من لديه دراية بالخطوط العامة لحياته أن يعثر على نصف دزينة أو أكثر من المواد في كل صفحة، تتلاءم مباشرة مع سيرة غارسيا ماركيز، وقد رعم الأديب نفسه أن كل الأحداث وكل التوضيحات نسجم والتجربة التي عاشها. ("أنا لست سوى موثق متواضع").

ومما يبعث على الدهشة أكثر من أي شيء آخر هو الشكل الذي تمكن من احتواء كل هذه العناصر المتنوعة، إذ ربط ربطاً مدهشاً العن الرفيع بأساليب الاتصال الشعبية. لكن إذ كان صحيحاً أن الرواية استوعبت كميات كبيرة من نجربة كولومبيا الشعبية نفسها، فإنه ليس من السهل تماماً موافقة أولئك الذين يرون الكتاب على أنه مخزون دجيرة حكمة البشر. إن ما حققه غارسيا ماركيز، وهو ليس بالأسمر الأفس عراية، يتمثل بالقدر القليل من الحكمة التي يمتلكونها حف والموارد الشحيحة التي زودوا بها لمواجهة عالم شاء قدرهم وسوء حظهم أن يعيشوا فيه إل عابهم هو العالم الذي لم تعد حكمة البشر فيه صالحة أو دعة. ولا يمكن للشكل أن يكون بعيداً عن شكل تلك الأعمال احدثانية المودجية التي تشكل، بالرعم من كل شيء، مرجعية هذه الرواية التي كتبت كأنها لتكون "نقمة كلاسيكية لا بعدها رمان، ولكنها تطوي على معلومات قوامها كل اكتشاف توصلت إليه الرواية في السنوات الستين الأولى من القرن العشرين. يبدو لنا وكأن جيمس جويس انطلق لكتابة رواية مستخدماً فيها نيرة الكلام ونقضات السرد عند العمة فرانسيسكا، عمة غارسيا ماركيز⁽⁴⁾.

بدأ، ها هي الرواية. رحل يكتب عن قرية وأمة وعالم مستخدماً مكشتمات الميثولوجيات الغربية الكبرى (الإغريقية والرومانية والإنجيلية فضلاً عن ليالي ألف ليلة وليلة المعربة المستوردة) وروائع الأدب الكلاسيكي العربي (راييله وثيرياتس وجويس) والأسلاف العظماء الذين سبقوه في قارته (بورخس وإستورياس وكارنتيه

ورولفو) لإساح عمل - مرآة - تعرف فيه أخيراً قارته إلى نفسها، فيؤسس بذلك مبروتاً، وإذا كان بورغس هو الذي صمم البعثة الخلفية في آلة التصوير (شأنه شأن الأحويين الراحين لومير)، فإن غارسيا ماركيز هو الذي يقدم أول صورة جماعية كبرى حصاً. وهكذا، فإن الأميركيين اللاتيين لن يعرفوا إلى أنفسهم وحسب، بل سيعرفهم العالم أجمع في كل مكان. هذا هو مغزى الكتاب الذي كان يؤلمه ابن لويس سانتياغا ماركيز إغواران دي غارسيا في غرفته الصغيرة المليئة بالدخان على مكتبه الصغير وسط مدينة فوضوة، مترامية الأطراف، من مدن العالم الثالث. إن حماسه لها ما يبررها، وتكس فوقها وغواها في صفحات الكتاب.

ولم يسته الخبط الذي رافق غارسيا ماركيز ردحاً من الرمن بأي حال من الأحوال، بل لن ينتهي أبداً. رد سافر لويس هارس بعد معادته المكسيك في أواخر شهر حزيران إلى مختلف عواصم أميركا اللاتينية ووصل في نهاية المطاف إلى مدينة بويس آيرس حيث تُحرر دار النشر المرموقة سوداميريكانا كئانه الذي يضم مجموعة المقالات. كانت نقطة اتصاله بدار النشر متمثلة بفرانسيسكو (ناكو) بوروا الذي سيعترف لاحقاً قائلاً: "إنني لم اسمع باسم غارسيا ماركيز من قبل حتى ذكره لي هارس. وها هو الآن مع بورغس ورولفو وغيرهم من الأدباء الكبار. ولهذا، فإن أول ما خطر على بالي: "من هو؟" وكتب رسالة إلى غارسيا ماركيز يستفسر فيه عن كتبه. وبعد مرور أشهر، عقدت صفقة⁽⁵⁾.

في مطلع شهر أيلول، توقف غارسيا ماركيز عن الكتابة في عصر يوم ما كي يحضر محاضرة يلقيها كارلوس فوينتس عن روايته الجديدة تغير الجلد في معهد انفتون احمية وذكر فوينتس في نهاية المحاضرة عدداً من أصدقائه ومن بينهم الكولومبي "الذي ارتبط به بواسطة طقوس الأحد وإعجابي بالحكمة القديمة التي يتمتع بها هذا الشاعر القدم من أراكاتاكا". لعل فوينتس أكد رمزياً في هذه المناسبة أن اكتساب الشهرة والثروة جزء مشروع من تطلعات الأديب: "إنني لا أظن أن مهمة الأديب تتمش بزيادة صفوف المعوزين"⁽⁶⁾. ثم دعا بعد ذلك ألفارو موتيس وروجنه كاس فوينتس، ريتا مانيلو، وخومي غارسيا آسكوت، وماريا لويسا بيليو، وفرناندو ديل باسو، وفرناندو بيهنت، وإيليا غارو إضافة إلى جانب غارسيا

ماركيز وميرثيديس وأحرى غيرهم لتناول وجبة طعام البأيا^(*) في شفتها في شارع ريو آموي⁽⁷⁾. كان عارسا ماركيز قد بدأ يروي حكايات من روايته الجديدة وهو في طريق خروجه من المحاصرة، وفي الشارع، وفي السيارة، وواصل الكلام في شقة مونيس. وكان الجميع قد سمعوا ما منه الكفاية وأكثر، ولم يواصل أحد الإصغاء إليه سوى ماريا لويسا إيليو. وفي تلك الشقة الصغيرة المزدهجة جعلته ماريا لويسا يحكي لها القصص طوال المساء لا سيما قصة عن تأسيس يتناول الشوكولاته كي يسمح في الهواء. وفي ذلك الرمان والمكان، ونتيجة لإصغاتها باهتمام وحذل، وعندها أن يهنيه الرواية الجديدة. كانت لعارسيا ماركيز مهارات شهراد الجميلة.

كسان القاد والصحفيون الأميركيون اللاتينيون مهووسين في تلك الحقبة من الرمان مد أن نشرت الرواية في سنة 1967. وعصر إليخو شقيق غارسيا ماركيز كتاباً بأكمله عن كتابة الرواية وإبداعها بعد ثلاثين سنة على صدورها وكان بكل شاردة وواردة فيها شرح مستفيض يبيّن معراها. عبر أن لـحجرة التي كتب فيها المؤلف روايته ما كان لها أن تكون أقل سحراً، بالرغم من أن عدداً كبيراً من الناس أرادوا أن يطلقوا عليها اسم حجرة ميلكيادس. كانت لـحجرة التي سماها عرسب ماركيز كهف المافي تبلغ عشر أقدام طولاً ولهاي أقدام عرضاً، وفيها حمام صغير ملحق بها، وباب و نافذة ومصدرة بنائية صغيرة جداً، وآلة كتابة من طراز أوليفيتي فابسة فوقها. وبدأ عارسيا ماركيز يرتدي بذله العمل ررقاء اللون لممارسة الكتابة؛ وهو الذي سيعود في ما بعد تقليداً (بل يصع ربطات عنق أيضاً). هذا وكان قد اتخذ قراراً ثورياً بالتحول من العمل ليلاً إلى العمل نهاراً وبدلاً من الكتابة في وكالة الإعلانات بعد عمل نهار كامل، أو في مكاتب أستوديوهات الأشرطة السينمائية، بدأ يكتب نهاراً حتى موعد عودة الصّينيين من المدرسة إلى البيت. وبدلاً من أن تُكبّل متطلبات الأسرة ملكاته الإبداعية وتُشوّه أسلوبه، فقد أدت إلى حلول التغير الذي سيحول من يحمل طريفته في العمل والانضباط الذاتي. أما ميرثيديس التي كانت في ما مضى زوجة وأماً ومديرة المنزل، فقد أصبحت الآن موظفة استقبال وسكرتيرة ومديرة أعمال أيضاً⁽⁸⁾. ولم يكن يدري أن هذا العمل سيستمر إلى ما لا نهاية. وستستفيد الرواية الجديدة مباشرة وعلى نحو درامي من هذه التغيرات.

كان عارسيا ماركير يُفَضِّلُ ولديه في سيارته ويطلقهما إلى المدرسة صباحاً، ثم يجلس إلى مكتبه من الساعة الثامنة والنصف وحتى الثانية والنصف من بعد الظهر، وهو موعِد رجوع الولدين إلى البيت. ويذكر الاثنان ولدهما وهو يحصي معظم وقته جالساً معه في عرفة صغيرة، وعارفاً وسط دخان السجائر، فلما تمه إليهما، ولا يظهر للعيان إلا عدد أوقات وجبات الطعام، محبباً عن أسنلهما بإجابات غامضة مشوشة. ولم يداخلهما الشك إلا قليلاً في أنه يكتب طوال هذا الوقت في روايته التي استغرقت منه كل هذا الوقت؛ كما لم تكتشف حوسبه أركادس بوسدبا إليه إلا في وقت لاحق بعد هواجسه التي آلت به في الفصل الأول.

يذكر عارسيا ماركير في ما بعد يقول: "مارس الكتاب مد اللحظة الأولى. وقبل نشره برمس طويل، تأثير السحر على جميع الذين أصبحت لهم صلة بشكل أو بآخر، أصدقاء كانوا، أم موططين مساعدين، وحتى أفراداً، كالخراز أو صاحب الست الذي سكن فيه، وغيرهم من الذين كانوا ينتظرونني كي أفرغ من كتابته كي أسدد لهم الديون"⁽⁹⁾. ويحمر ألبا بوبيا نوفسكي: "كنا مدينين لصاحب الست بزيخار عميه أشهر. ولما قل الذين وأصبح ثلاثة أشهر، استدعت ميونيديس صاحب ليت وقالت له: انظرا سنلغ لث إيجار هذه الأشهر الثلاثة وليس إيجار الأشهر لسته التالية. وكانت قد قالت لي قل ذلك متسائلة: متى نزل أنك ستفرغ من تأليف الكتاب؟ فأجبتها في عصون حمسة أشهر فما كان منها إلا أن أصلفت شهراً آخر نحوطاً، وعندئذ قل لها صاحب البيت: إذا كان هذا وعداً، فلا بأس، وسأنتظر حتى شهر أيلول. وفي أيلول ذهبنا إليه وسددنا له المبلغ..."⁽¹⁰⁾.

من بين الأشخاص الذين كانوا ينتظرون عارسيا ماركير أن ينتهي من تأليف الكتاب بيرا (إسبرث) أراينا المربصة، التي تشتعل على الآلة الكاتبة، وكانت تعمل عند باربا كاسو وبصدت روايات فويتس على الآلة الكاتبة أيضاً. وكان عارسيا ماركير يأخذ إلى بيرا كل بضعة أيام جزءاً من الرواية سبق له أن مضه على الآلة الكاتبة ثم صححه بيده لتقدم إليه بعد ذلك نسخة تخلو من الأخطاء. ولما كان إملاؤه قطعاً، فقد كان يعتمد على بيرا لتصحيح له منجزه الأدبي. إلا أنه كد يفقدها ويفقد معها مسهل روايته في اليوم الأول عندما كادت حافلة أن تدهسها

وطابت الأرواف في جميع أرجاء الشارع الملل في ذلك اليوم الحريمي في مدينة مكسيكو. وفي وقت لاحق اعترفت بأنها كانت تدعو صديقاتها إليها خلال عطلات نهاية الأسبوع لقراءة آخر ما يقدمه إليها عارسيا ماركيز من فصول.

إن كل ما يعرفه عن تلك الأوبة يشير إلى أن عارسيا ماركيز كان متأثرًا بالسحر. وقد بات أحمر الساهر الذي صاماً كان يتوفى إليه دائماً. لقد رعى السلام عالياً تعاضيه المحذر الأدبي. لقد أضحي أوريليامو نايوليوا، وأضحى ميلكياديس. إن المحذر يتطهره. والكتاب مشروع ميتولوجي صحم تتحلله طقوس. وكان الأصدقاء يأتون إليه كل مساء بعد جلسة بمضجها برفقة ملاحظاته، وأكثرهم حضوراً دائماً كان ألفارو موتيس وروجنه كارمن. وحومي عارسيا "سكوت وماريا لويسا، وهم أصدقاء ساسره وتحولوا على مدى عام بأكمله إلى شهود بمريرين يراهون بناء واحد من أعظم شوايح الأدب العربي. وفيما كان العمل مسعراً في الرواية، مدركاً نفسه مدى ضخامتها، ارددت ثغته بنفسه وأهميته الشخصية. كان خلال النهار يجلس في حبه المعم بالدهان وهو يوصل التأليف. وعند العصر يلجأ إلى المصادر والمراجع لتأكد من صحة ما يكتبه. ولم يكن حومي وماريا لويسا يستطيعان الصبر لرؤية المصطلح التالية. وكانت مديا لويسا خاصة قد أدركت أنها شاهدة على أمر ما ذي أهمية فائقة، وأنها مؤتممة على أسرارها الشخصية الأكثر قرباً من غيرها ويقول عارسيا ماركيز في وقت لاحق إنها بالرغم من اعترافها بتأثير الكتاب فيها، إلا أنه بدورها، كان دائم الدهول لتأملكه من بصره نافذة في عالمي السحر والحكمة اللذين يقتصر فهمهما على فئة معينة من الناس، وأشار إلى أن الكثير من تصوراتها وجد طريقه إلى الرواية. وكان يتصل بها في أي وقت تماراً لقراءة آخر فصولها⁽¹⁾.

بعد بضعة أشهر يتلقى عارسيب ماركيز دعوة من القسم الثقافي في وزارة الخارجية لمكسيكية لإلقاء محاضرة، وبالرغم من أن المتوقع منه هو أن يرفض الدعوة، إلا أنه قبلها مرصحاً أنه يفضل أن يقدم قراءه أدبية وليس محاضرة. حدد طر عارسيا ماركيز يقد نفسه بنفسه، ويشعل بوعية عمله، وهذا انابه القلق إذ أمسى صتعاً في عالم حاصر به برفقة ألفارو وماريا لويسا، وأن حماستهما لأفكاره دعا وفعت من نفسه وقع التويم المغاطسي:

جلست لأقرأ فوق خشبة المسرح المصاة. المدعد الأمامية من الصالة وجمهوري في ظلمة خالكة. وبدأت أقرأ. لا أتذكر أي فصل، لكنني واصلت القراءة. وفي لحظة ما، ساد صمت مطبق في الصالة، وكنت في حالة من التركيز الشديد حتى انتابني الملح. توقفت عن القراءة وحاولت أن أهدق إلى الظلام. وبعد بضع ثوان تمكنت من ملاحظة وجوه أولئك الجالسين في الصف الأمامي وشاهدت عيونهم مفتوحة عني وسعها، فتمكنت من الاستمرار في القراءة بحدوء. كان الناس يتشبهون بكلماتي. لا تكاد تسمع طنين ذبابة راحة. ولما فرغت ونزلت عن خشبة المسرح، كانت ميرثيديس هي أول شخص يعانقني وقد أفصحت تعابير وجهها عن شيء ما؛ أعتقد أنني أدركت للمرة الأولى منذ رواجها أنها كانت محبتي لأنها نظرت إلي نظرة ملؤها ذلك التعبير... لقد تمكنت من تدبير شؤون الأسرة على مدى سنة كاملة من دون اعتماد على أي شيء تقريباً كي أتفك من المكتبة، وقد منحني ذلك التعبير، الذي ارتسم على وجهها يوم قراءتي الأدبية، اليقين بأن لكتابي بعضي فُداً في الاتجاه الصحيح⁽¹²⁾.

واصلت ميرثيديس معركتها في توفير المال للأسرة. فهي مطلع سنة 1966 كانت السفود المدخرة من إيرادات سابقة قد نفذت، لكن بالرغم من أن عجز روحها الأدب عن الكتابة قد بات الآن شيئاً من الماضي، فإن الكتب أحد بكر ويكبر وبدا أنه سواصل الكبر على امتداد السنة. أخيراً قاد غارسيا ماركيز سياره اليضاء من طراز أول إلى موقع رهو السيارات في نابويا ورجع يبيع كبير من المال⁽¹³⁾، وبهذا اضطر أصدقاء الأسرة إلى اصطحابه وروجه معهم في إزيارات ووصل الأمر بغارسيا ماركيز إلى حد التفكير في الاستعفاء عن الهاتف، لا من أجل توفير المال وحسب، بل لتفادي تشوش فكره عند تحاد أطراف الحديث إلى ما لا نهاية مع الأصدقاء.

وعندما نفذت المود التي حصل عليها من السيارة، بدأت ميرثيديس تره كل شيء: اللعاز والذلاحة والمذباغ والمجوهرات. وكانت تخر ثلاثة مواقع عسكرية عندها هي مخف الشعر، والممرمة الكهربائية التي تمدها وجات طعام الولدين، ومذفاة عابو الكهربائية. وأقنعت لويس كودورير، وهو مالك البيت، أن ينتظر مدة أطول لتدفع له إيجار المنزل. وأحضر لهم الأصدقاء مختلف التجهيزات بصورة مستظمة لكنهم احتفظوا بألة التسجيل. كما كانت ميرثيديس تشتري الملحوم من

الجزر دون قبليبي بالدفع الآجل الميسر. غير أن غارسيا ماركيز لم يتمكن في هذه المرحلة من حياته من تأليف روايته على أنعام الموسيقى، لكنه من جهة أخرى لم يستطع العيش بلا موسيقى أيضاً، وكانت أنعام موسيقى بارنوك، واستهلاكات دروسني، وأحمة هارد دايربايت للتلز تشكل الإصرار الخلفي لمعظم ما كان يكتبه في تلك الأيام.

وكان أسوأ يوم في كتابته كتبها هو اليوم الذي مات فيه العقيد أوريليانو بونديا (الفصل الثالث عشر). وكما هو شأن غيره من الأدباء، فقد رأى في موت الطفل الرئيس حسارة شخصية، بل ترقى رعباً إلى درجة قتل العير. ويخشى سرد قصة الموت بأشد ذكريات غارسيا ماركيز عفواناً عن أيام طفولته. وبالرغم من أن النقاد لم يتجهوا إلى ذلك، فإن الروائي وضع من نفسه في هذه الشخصية التي تمتنع إلى لعاطف ما لم يضعه في أي شخصية أخرى في رواياته قبل هذا الوقت. وبالرغم من أن الطفل الذي هو أوريليانو، فإنه "أول مولود يولد في ماكوندو"، فقد ولد في شهر آذار مثل غارسيا ماركيز تلمأً، ولد مفتوح العيون، يخلق حوله في أرجاء البيت منذ اللحظة التي خرج فيها من رحم أمه، تلمأً مثلما قيل إن غاييو الصغير فعل الشيء نفسه عند ولادته. كان منذ طفولته لميكرة عراً، وهو ما عُرِف به غايينو بين أفراد أسرته، وأغرم بفتاة صغيرة (وتزوجها قبل بلوغها سن الرشد)، لكنه بعد موتها "بعمر عن الحب" وتشوب تصرفاته "كزياء أمة". وإذا كان أوريليانو قادراً على التقمص الوجداني، والعطف بوصفه شاباً (بوصفه أيضاً يطمق قصائد الحب التي أثارت حرجه في ما بعد)، فإنه إنسان مستوح، قاسٍ لا يعرف الرحمة، يركز اهتمامه على ذاته، ما من شيء يمكنه الوقوف في طريق طموحه الشخصي. إذاً، غارسيا ماركيز يوحّد في شخصية أوريليانو بونديا ذكريات متفاعة عن العقيد ماركيز (أخرب والورشة والسعك الذهبي الصغير)، في لوحة ذاتية ترقى إلى مستوى النقد الذاتي؛ النقد الذاتي الذي يرتقي بدوره إلى التصور أنه حقق لأن طموح حياته، إلا أن السعي لتحقيق ذلك كان مبعاً عسوباً، ومهكاً، وبالتالي برجسياً ومعرفياً في المرور. إن النداء الباطني لامتهان الكتابة (النداء الذي يجعل من العبد ساحراً مثل ميلكيادس) الذي سيؤكد لاحقاً بقوة في مذكراته عشب

لأروبي، يظهر فطرة أكثر بدائية وربما أقل استساعة، وهي إرادة الانتصار والرغبة في الشهرة والحمد والتراء (العقيد أوريليانو بونديا). إن رواية خريف البطريق تنقل إلينا هذا النقد الداني إلى أبعاد أكثر إثارة للدهشة.

وفي تمام الساعة الثامنة صباحاً، وبعد أن فرغ من عمله، صعد إلى غرفة النوم حيث ميرثيديس عارقة في النوم، واستلقى على الفراش وبكى لساعتين⁽¹⁴⁾. ولا يستطع الأمر قدراً كبيراً من التأمل في السيرة للافتراض أن غارسيا ماركيز بعد أن أحضر على بطله الرئيس لم يبدأ بمواجهة قضية موته شخصياً ونهاية الرواية (وحسب، بل قضية نهاية تجربة فريدة مقفلة بالحياة والنشاط؛ بل هي نهاية مرحلة كاملة من حياته ونهاية شخصيته التي كان عليها طول تلك المدة، ونهاية علاقة خاصة بتعذر التعبير عنها ربطته بأهم إنسان في حياته، وهو جده الذي فقدته نهائياً، لأن الأدب عاجز عن بعثه من موته). لكن من أكبر المفارقات أن غارسيا ماركيز عاد في حصم انتصاراته إلى كونه ذلك الإنسان الذي صورته قصصه الأولى، الإنسان المحكوم بالموت مرات متعددة ومتتالية بعد أن ترك وراءه كل لحظة من لحظات حياته، وكل مدة، وكل شخص أحبه، باستثناء زوجته وولديه.

وبالرغم من أنه ولد الانطباع دوماً بأنه مكث في عرقه اللينة بالدخان حيي اكتمل تأليف الرواية، إلا أن فرصة السفر إلى كولومبيا على نفقة شخص آخر وافته، بعد تفكير عميق وطويل، فقرر أن يتنزهها، إذ كان قد أقنع أرتورو ريشتاين أن يشارك الشريط السينمائي عصر الموت في مهرجان كارثاجيا السينمائي وسافر بالباخرة من ميراكورور إلى كارثاجيا فوصلها في الأول من شهر آذار سنة 1966 (بعد أسبوعين من مقتل صديقه كاميلو توريس في معركة بعد أن التحق بحرب انشوار). وفاز الشريط السينمائي بالجائزة الأولى في المهرجان على كثرة شكوك غارسيا ماركيز بشأن العمل الذي حققه ريشتاين. وكانت لديه أشياء كثيرة يحتفي بها في السادس من آذار: فوز شريطه السينمائي، ومستقبل روايته، وذكري ميلاده التاسعة والثلاثون مع أفراد أسرته في كارثاجينا، وفام بزيارته قصره إلى بوغوتا، ثم سافر حواً إلى بارانكيا حيث كان يعيش فيها يومئذ بليسيو ميدوثا الذي تنقّى مكالمته هاتية حلال عمله:

عابراً! يسري كثيراً أن أسمع صوتك. أين أنت؟

إنني جالس أحسسي الشراب في بيتك أيها الوغد⁽¹⁵⁾.

ثم أحمر مبدوننا وألغارو موبس بروايته: "لها لا شبة بقية الروايات أيها الرفيقان. ففي هذه المرة أبوح بأسراري لصديقي: يوماً أن أحقق هوراً كاسحاً أو أسقط على وجهي" وفي أثناء الرقابة، ذهب غارسيا ماركيز إلى أماكن نردده القديمة في بارانكيا برفقة ألفونسو فويغمايور وعاش الزمن القلم مرة أخرى مذكراً نفسه بالأماكن والوجوه. ولإكمال حوله العصبة عاد إلى أراكاناك للمرة الأولى خلال عقد من الزمن⁽¹⁶⁾. ولم يسافر هذه المرة مع أمه بل مع ألغارو سيبيدا بسيارة حبيب يقودها سيبيدا بنفسه، ورافقهما مرافقة مريحة في عتقهما عن الزمن الماضي مررسل صحيفة اتسمو في بارانكيا اندي كتب تحقيقاً معصلاً: فحاة تحول غارسيا ماركيز إلى بطل شعبي بتأثير وسائل الإعلام؛ قل أن يتحول إلى نجم ساطع⁽¹⁷⁾.

كان غارسيا ماركيز يوي القاء بصعة أسابع، إلا أنه توجه إلى المكسيك بعد بصعة أيام فوصلها في نهاية شهر آذار. واحتج ألفونسو فويغمايور على رحيله، لكن غارسيا ماركيز أوضح له أنه في الليلة التي سبقت سفره، رأى فحاة نهاية روايته بوضوح تام حتى كان في وسعه أن يملأها كلمة كلمة على الكاتب على لانة الكاتبة. وحس نفسه مره أخرى في تلك الحجره وبد يستوعب ما جرى له. لقد كانت الحفلة التي حظرت بانه - والتي تنور إلى حد ما حول كثرة تغلاته وقلة تغلات أصلغاله الكولومبيين - واحده من أعظم الحفلات التي تنهي بها رواية في الأدب كله.

لقد كان لرواية مئة عام من العزلة باشر منذ لحظة البدء بها تقريباً. وكان لها جمهور يومي من المحمسين استطاع مؤلفها أن يعتمد عليهم. وبادراً ما احتاج كاتبها إلى تشجيع: فهو إنسان محسوس، محسوس بغوى لأدب الإبداعية التي ننص فيه، ومحموس بيقين فحواه أن تحتاج الكتاب يكس في الهجوم، وأنه مقدّر سلفاً. وكانت رواية بوليسيس لجيس جويس أقرب مثال على كتاب خيالي/أسطوري عرف الخراء أنه أت وعرفوا أن قدره أن يكون كتاباً عظيماً. لكن جيمس جويس كان يفتقر إلى الباشر، ولم يتوقع قط أن يكون مؤلفاً من مؤلفي الكتب الأكثر

مبعاً لكن غارسيا ماركيز شديد الخدر دائماً، كد وثاقاً غام الثقة، إذ بدلاً من أن يستسلم للخراعات التي كانت تميده عادةً، سَلِمَ خلال ريلارته إلى بوغوتا في شهر اذار رملاء القدمي في صحيفة الاميكتادور الفصل الأول، مشروء له في الأور من أيار. و سَلِمَ كارلوس فويتس الذي عاد إلى باريس المصول الثلاثة الأولى في حزيران 1966 فتولاه العجب⁽¹⁸⁾، و سَمَّها بدوره إلى صديقه خوليو كورتازار، فكان رد فعله مماثلاً لرد فعل فويتس. ثم سَلِمَ فويتس الفصل الثاني إلى أمير رودريغيث مويغال لشربه في السخة الأولى من الملة الأدبية المديدة، العالم حديد، في باريس في شهر آب سنة 1966.

وأعلس فويتس في مقابلة أجراها معه محرر الملة أنه تسلم تواء المصحات الخمس والسبعين الأولى من كتاب غارسيا ماركيز الذي لا يزال مهمكاً في تأليفه، ووصفه بأنه "كتاب قيد التأليف" (إشارة لا تحطى إلى جويس) وأنه بلا أدنى شك كتاب رائع دفع بكل كلاسيكيات أميركا اللاتينية الإقليمية إلى الماضي العبر.

ثم أرسل فويتس مقالة إلى صحيفة لا كالتورا إن مكسيكو صرح فيها لمواظبه في التاسع والعشرين من أيار أيضاً أن رواية مئة عام من العزلة سصلن قريباً راعاً روايه عظيمه (ربما لم يكن غارسيا ماركيز قد مرع منها انذاك): "لقد أكملت الآن قراءة ثمانين صفحة رائعة: المصحات الثمانون الأولى من رواية مئة عام من العزلة، وهي الرواية التي يشعل عيبها غاريل غارسيا ماركيز"⁽¹⁹⁾. قلما تمكن الناس من التصر عن دهشتهم، إذ لا سابق لما كان يحدث.

وفي صوء جو التوقعات، تمكن غارسيا ماركيز من إهاء الرواية. وأحمر بلينيو ميدوتا "وصلت الرواية إلى نهايتها الطبيعية بسرعة، عد احادية عشرة صباحاً. وكانت ميرثيسديس حارج البيت، ولم أتمكن من العثور على أي شخص لأخبره هامتيماً ناسياً. أتذكر جيد مدى ارتياكي كأنه حدث بالأمس: لم أعرف كيف أقصر، وحاولت أن أشعل نفسي شيء ما كي أبقي على قيد الحياة حتى الساعة الثالثة من بعد الظهر"⁽²⁰⁾. وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، دلمت فعله إلى لسرل ومكّر المؤلف: "آه، لعل هذا الكتاب يبقى رواجاً". وبعد بصع لحظاب، دخل الصياد يحملال العرش وتلطحت أيديهما وثياهما بطلاء أررق اللور.

كان أول عمل أقدم عليه غارسيا ماركيز هو إرسال نسخة من الرواية إلى هيرمان فارغاس في بوغوتا قبل إرسال المخطوطة إلى دار نشر سوداميريكانا، وسأله إن كان لديه مانع من ورود أي إشارات إليه وإلى أصدقائه في بارانكيا. فردّ فارغاس أولاً، ومن بعده فوسمايور، بالقول إنهما يقتحرون كونهما صديقين لآخر أبناء بوبديا. ثم هضم فارغاس الكتاب على طريفته البطيئة، وكتب مقالة بعنوان كتاب سيحدث صحة، وكانت أول إشارة من كولومبيا عن مكانة الرواية المستقبلية⁽²¹⁾.

وتلفى بليسيو مندوتا أيضاً نسخة في بارانكيا، فألقى عمله في ذلك اليوم وقرأها من البداية حتى النهاية، وأحمر زوجته الجديدة مافيل مورينو ملكة خمال سابقاً والروائية حاضراً: "لقد فعلها. لقد حقق عابو الضربة الكبرى التي كان يربح فيها". ثم سحب سيجارته من بين شفتيه وهتف: "ليست برراً". لقد أنجز عابو رواية مذهشة⁽²²⁾.

كان الأسلوب الذي حكى فيه غارسيا ماركيز حكاية عودته إلى العالم، أسلوباً درامياً مريئاً يشبه أسلوب ريب فاد ويكل إلى حد كبير⁽²³⁾. فالسنة هي سنة لندن الراقصة، وأندريا عاندي يحكم أكثر ديمقراطية على وجه الأرض، وفيدل كاسنرو الذي سيستقي هو وغارسيا ماركيز معاً الرعيمة الهدية بعد ذلك بسنوات كان منهيماً في الإعداد لمؤتمر دول القارات الثلاث: آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية المزمع عقده في هافانا عام 1967. وكان يمثل من الجناح اليميني يدعى روبالد ريعان قد رشح نفسه للتمثيل بحاكم ولاية كاليفورنيا، أما انصير، فكانت في حانة من العليا، إذ يعلن مار الثورة الثقافية بعد مرور بضعة أيام على إرسال غارسيا ماركيز الدعوة الأولى من طرفه الثمين إلى بوبس آيرس. الحق أن غارسيا ماركيز اضطر إلى الرحيل عن عالم ماكوندو السحري بعجالة ليبدأ بتوفير بعض المال. وشعر أنه لا يستطيع أن يتمتع حتى بإجازة أسبوع واحد للاحتفال، إذ كان يخشى أن ينفى لسواب يسدد ديونه التي تراكمت عليه. ويذكر في وقت لاحق أنه كتب ألفاً وثلاثمائة صفحة أرسل منها أربع مئة وتسعين صفحة إلى بوروا، وأنه دحّن ثلاثين ألف سيجارة، وأنه كان مديئاً مئة وعشرين ألف بيرو. لكنه يظل يشعر بالعدم

الأمان، وهو أمر مفهوم. فبعد أن فرغ من كتابة الرواية حصر حفلة أقيم في منزل صديقه الإنكليزي جيمس نابورث الذي استمر عن الكتاب، فردّ عاريف ماركيز قائلاً: 'إما أنني كتب رواية أو أن لدي كيلوغراماً من الورق، وليس متأكداً حتى الآن من ذلك'.²⁴ ثم قصّ راجماً ليثأف كتابه المصومس البستية. وبعدها كتب ثملات يسرّج فيها دانه بعنوان مصائب مؤلف كتاب نشرها له صحيفة الاستكاندور، وكانت أول مقالة يكتبها مدسّر ومؤرحة بتاريخ شهر نونر 1966، ولكنها لست للاسهلاك المحي في المكسيت:

تأليف الكتب مهنة استعجالية، إذ ما من مهنة غيرها تتطلب قدراً كبيراً من الوقت، وقدراً كبيراً من العمل، وقدراً كبيراً من التفاني مقارنة بقوائدهم الآلية. إنني لا أعتقد أن عدداً كبيراً من القراء يسألون أنفسهم بعد الانتهاء من قراءة كتاب، عن عدد الساعات المؤلفة، والبلات البزلة لي كلفت لمتنا صفحة المؤلف، أو ما هو المبلغ الذي حصل عليه لقاء عمله. وبعد هذا لتقويم اغير للبلات، يبدو أسسياً أن نسأل عن السبب الذي يدفعنا نحن لكتاب للكتابة والإحبة، في آخر الأمر، هي ميلودرامية قدر ما هي مخلصه. فالمرء بكل بساطة، يكون كاتباً مثلما يكون أسود ويكون أي شيء آخر. لسجاح يحفر المرء، والمخطوة عند القراء منجعة. لكن، ليست هذه الأمور سوى مكاسب إضافية، لأن الكاتب الجيد سيظل يكتب باستمرار على كل حال، حتى إذا كان حذوه يحتاج إلى نصليح، وحتى إذا كانت كتبه لا تلقى رواحاً⁽²⁵⁾.

نقد ولد عارسبا ماركيز الحديده، الذي يمكن ملاحظة أول ملاحظه من المقابلات التي أجراها في كارتاخاسا في شهر آذار الماضي. وقد بدأ بقوه يعكس ما يحسه غماماً، فهو يكتب عن ملباه لأن بلاتيه انتهت تقرياً. والإنسان الذي لم يتدمر ولم يهر في أكثر الظروف صعوبة التي مرّ بها، يريد أن يتدمر منذ الآن لكل سبب، ليس أقمه جشع الشاشرين وباعة الكتب وحبهم للمال، وهو الموضوع الذي سيعلو هوساً. ها هو غارسبا ماركيز الذي سيحب لبّ الجمهور إلى ما لا نهاية، ويزعج النقاد باستمرار لا سما أولئك الذين ميقسون بأنه لا يستحق السجاح الذي حققه، وأنه من الحري بهم أن يحصلوا هم على الجوائز المرافقة وبخاصة أنهم أكثر دراية وأقرب حاجة وأكثر أهمية من اساحية الأدبية. إن هذا الشخص الحديده - رجل السيبات

احميمي على ما يبدو - استمراري ومررور ودوغمالي ومناطق وغير مهذب بلء إرادته، لكنه مع هذا تصعب معرفته معرفة عميقة. لكن الناس سيحبونه لكن هذه السمات لأنه يبدو واحداً مهم، يُهزَل الأشياء ويتلمس بمص دكانه الذي هو دكاؤهم، وهو وجهة نظرهم بالعالم.

في الوقت نفسه تعرياً، وبعد أن مرع عارسيا مركز من كتابة روايته، كتب رسالة طويلة إلى بليسي مبدوئا، بسلها بالعير عن مشاعره آذاك، ثم سفل إلى شرح لرائعته التي أكملها مؤخرًا وما يعيه له:

بعد سنوات طويلة من العمل كالحيوان، أشعر أن الإرهاق أخذ مني كل ماخذ، من دون أمل، باستثناء الأمل الذي يروقي، ولكنه أس لا يقيم أودي: الرواية. إن قراري الذي يشي بدفع قوي، هو أن أرتب الأشياء الترتيب الذي اضطر إليه كي أستم في الكتابة. صدقي، لا أعرف ما الذي سيحدث.

إن ما ذكرته لي عن الفصل الأول من رواية منه عام من عزلة، جملي سعيداً جداً. وهذا هو السبب الذي يدفعني إلى نشر الرواية عندما رجعت من كولومبيا وفراأت ما كنت قد كتبتة بنفسى داخلي فحاة شعور بهذا المعنويات مفاده أنني أقدمت على مغامرة قد تكون كارثة منلما قد تكون ناجحة. ولهذا، وكى أعرف شعور الآخرين بى، فبنتى أرسل الفصل إلى غيومو كاسو. وهذا، أكون قد جمعت معا أكثر اساس صراحة وخبرة ومتطلبات لأقرأ عليهم فصلاً آخر. وكانت النتيجة مذهلة، لأن الفصل الذي قرأته كان أكثر الفصول المطوية على مجارفة. صعود ريميدوس إلى السماء جسداً وروحاً

إنى أحاول الإجابة، من دون بواضع، عن سؤالك بخصوص كيفية كتابتي عن الأشياء. الحق أن رواية منه عام من العربة كانت أول رواية حاولت أن أكسها وأنا في من اسابعة عشرة بعنوان البيت، وتخلبت عنها مدة من الزمان لأنها كانت شديدة الوطأة علي. ومنذ ذلك الوقت لم أوقف عن التفكير فيها، محاولاً أن أتصورها في ذهني، وأن أجد أكثر الأساليب فعالية في سردها. وفي وسعى أن أحبرك أن الفقرة الأولى فيها لا تحتوي على أي فاصلة، وأنا كتبت قبل عشرين سنة إن ما استنتجته من هذا كله في دهك على مدى زم طويل، وفي اليوم الذي ينقصر فيه عليك أن تجلس إلى الآلة الكتابة أو تحاطر وتقتل زوجك .. (26)

نوصح هذه الرسالة بحلأء أن عارس ماركير، عندما كتب روايته، إنما كان يعد نفسه للدفاع عن آرائه - وعن روايته - أمام الملأ، وأنه يتوقع مستقبلاً مرموقاً وسورياً في الصحافة. ويقول أيضاً إن لديه الآن ثلاثة مشاريع له روايات تفهوه.

في مطلع شهر آب، وبعد مضي أسبوعين على كتابة الرسالة السابق ذكرها، وافق عارسيا ماركير ميرثيديس إلى دائرة البريد لإرسال المخطوطة انتهائه الكامة إلى بوييس آيرس. كان الاثنان أشبه باحبيين من كرتة. كانت الرزمة تحتوي على أربعمئة وتسعين صفحة مصددة على الآلة لكتابة. وعندما قال لها الموظف المسؤول: "اثنان وثمانون ييزوس"، نظر عارسيا ماركير إلى ميرثيديس وهي تقش في حافظة نفودها عن المبلغ. لم يكن لديهم سوى خمسين بيرومن، ولم يتمكنوا بسبب ذلك إلا من إرسال نصف الرواية. وطلب عارسيا ماركير من الموظف أن يستل من الرواية الصفحات كأنه يسبل شرائح لحم رقيقة حتى بات المبلغ كافياً لدفع أجرة البريد.

ثم عادا إلى البيت، ورهنا المدعاة الكهربائية ومحف الشعر والممرمة الكهربائية، وعادا إلى دائرة البريد وأرسلا الدفعة الثامنة. وفيما هما بحرجان من مبنى دائرة البريد توقفت ميرثيديس والتفتت إلى زوجها لتقول: "والآن يا عابو، كن ما نحتاج إليه هو أن يفشل الكتاب"⁽²⁷⁾.

الشهرة أخيراً

1966-1967

كان انشغال بال عارسيا ماركيز بنجاح الكتاب في نهاية المطاف أقل من انشغال باله بوضوله على دفعين إلى بويس آيرس. كان ألقارو موتيس يعمل بصفه ممثل شركة هوكس للقرن العشرين في أميركا اللاتينية منذ عام. وكان يوشك أن يسافر إلى الأرجنتين، فطلب منه عارسيا ماركيز أن يأخذ معه نسخة أخرى من الكتاب إلى باكو بوروا في مكتب سوداميريكا في بويس آيرس. وبدى وصول موتيس اتصل هاتفياً بوروا وأخبره أن لديه نسخة من الرواية. فما كان من بوروا إلا أن قال له: "سأمرها. لقد فرغت من قرءها ترواً، وهي ممتازة جداً". إذا كان بوروا ظن أن الكتاب "ممتاز جداً"، فسيكون ذلك على الأرجح حدثاً منيراً. كانت لدى عارسيا ماركيز في مدينة مكسيكو كل الملاحظات ليومية، وشجرة عائلته مدونة في أربعين دفتر مدرسي. وقد رعم هو وميرثيديس أهما مرافها وأحرقاها حال سماعهما برصول المخطوطة سالمة إلى الأرجنتين. وقال موصحاً إنها ذات طبيعة بنائية وإجرائية على وجه العموم. غير أن أصدقاءه الأكثر اهتماماً بالاعتبارات الأكاديمية والتاريخية أصيبوا بالذعر وقالوا إنه ما كان يتعش عليه أن يتلمها بل كان عليه أن يحتفظ بها للأجيل المقبلة (أو حتى يجي منها ربحاً جيداً كما تبرر في م بعد)⁽²⁾ غير أن عارسيا ماركيز ظل يدافع عن نفسه بالإشارة إلى شعوره بالخرع، بما يمي أنه لم يكن يرغب بعد اليوم في أن يفلت الناس أوراقه الأدبية القديمة، كما يفلت المرء هابات البيت أو تنفاً من الأقاويل عن علاقات أسرته⁽³⁾. الأمر يشبه ضبط شخص في ملابسه للداخلية⁽⁴⁾. ثمة شيء بخصوص الفنان أو

الساحر الذي يربح في حماية أسرار المهمة. ولسوء حظ كتاب السّير أنه يحمل الموقف نفسه بخصوص الكشف عن أدق التفاصيل البريئة عن حياته. فقد ظل المؤلف دائماً أن يحمي إلى الأبد مشاعر، الفقدان، الخداع، والإهمال، والنقص التي راودته منذ طفولته.

وكان الحديث يجري عنه بوصفه الفرد الرابع من تلك المجموعة لصعوبة من الأخوة الذين يقودون طليعة السرد الأمريكي اللاتيني كي يحظى باهتمام عالمي من خلال ما يسمى عصر الانتعاش الأدبي. إن هؤلاء الأدباء الأربعة - كورناتو وروبنسون وفارغاسي يوسا، ومن تلك اللحظة غارسيا ماركيز أيضاً - سيحطون بشهرة لا بصارعها أي شهرة في السنوات التالية، لكن في تلك اللحظة عيها، لم تكن الحركة قد تبلورت بعد تلوراً تاماً، ولم يظهر أي منهم بصفة زعيم هذه المجموعة الغريبة من المتحجّات الحديثة. لكن ألداده كانوا قد عربو ذلك نواً، بل إنهم أحسوا رؤوسهم، محازاً إن جار التعير: فقد كان غارسيا ماركيز هو الأفضل، ولا يمكن لأي شيء أن يكون كالسابق في أميركا اللاتينية بعد نشر رواية مئة عام من العزلة. وكان أول الذين أدركوا هذه الحقيقة هم الأرجنتينيون.

كانت الأرجنتين في ضوء، مطار الأدب الرفيع هي البلد الرائد في هذا المجال في أميركا اللاتينية. وكنت نوبس ايرس عاصمتها الكورموبويسانية الأحاده التي سرعان ما سُنت فيها رواية غارسيا ماركيز، وكأفها باريس ولندن وقد انصهرتا في بوتقة واحدة في ذلك العام الجديد. وكانت الثقافة الأدبية قوية فيها وأحياناً تطوي عسى مباحة، لكن نوعية النقاش كانت رفيعة المستوى دائماً، وتأثيره في عموم أميركا اللاتينية لا ينكر، بحاضره بعد الحرب الأهلية الإسبانية عندما لم يعد للبلد الأهم تأثير ثقافي أو أدبي مهم في القارة الكبيرة الممتدة جنوباً. عندما قرأ غارسيا ماركيز مؤلفات كافكا في بوغوتا سنة 1947، وعدد كبيراً من أعمال أدباء آخرين في مارانكيا بين سنتي 1950 و1953، فإنه قرأها بطبعات أرجنتينية. لقد رفضت دار نشر بوساد روايته الأولى قبل خمسة عشر عاماً، لكن حلمه بات الآن على فاه هوسين أو أدنى من التحقق، وسيصحح ذلك الخطأ الذي ارتكب مكرراً: روايته ستُنشر في بومبيس آيرس.

وفي العاصمة الأرجنتينية، تحدث الناشرون في دار نشر سوداميريكانا عن أن لديهم الآن أحوية أميركية لاتسة؛ وربما حدثاً قديماً مثيراً. وكما جرت الأمور، فقد حظي اسم غارسيا ماركيز بقدر مواضع من الدعاية في بويس آيرس في الأشهر لعيلة الماضية، وبحلول أواسط سنة 1966 نشر خورخه أمارير مجموعة قصصية قصيرة عنوان الوصايا العشر، ومن ضمنها قصة ليس ثمة لصوص في هذه البلدة، وأصحى الكتاب واحداً من أكثر الكتب مبيعاً طوال النصف الثاني من سنة 1966 بعد أن كان محاولة مبكرة استعادت من فرصة الانتعاش النشامي⁽⁵⁾. ودعا الناشرون كل أديب يقدم وصفاً ذاتياً لأديباً عن نفسه، فكان غارسيا ماركيز رمزاً لمُدخله الجديد في الإعلان عن نفسه مد النهضة التي اقتنح فيها أنه سيحقق نجاحاً أديباً:

اسمي، أيها السادة، هو غابرييل غارسيا ماركيز آسف، فأنا شخصاً لا يسروني هذا الاسم لأنه سلسلة من كلمات عادية لم أستطع قط أن أربطها بنفسي. ولدت في بلدة أراكاتاكا في كولومبيا قبل أربعين سنة، ولا أزال غير آسف على ذلك. يرجمي هو برج الحوت وزوجتي هي ميرثيديس. هذان هم أهم حدثين في حياتي لأنني بفصلهما تمكنت حتى الآن، على الأقل، من البقاء على قيد الحياة بالكتابة

إنني كاتب هباب مهني حقيقية هي مهنة ساحر، لكنني أرتبك أرتبك شديداً وأما أحاول القيام ببعض الحيل التي اضطر إلى أن ألوذ بها من جراء عرلة الأدب. على كل حال، إن كلا الشاطين يقودان إلى الشيء الوحيد الذي أثار اهتمامي منذ أن كنت طفلاً: أن يحبي أصدقائي أكثر.

وفي حالي الشخصية، فإن كوفي كاتباً من الكتاب، ليس سوى إنجاز استثنائي لأن كتابتي رديئة جداً، وعليّ أن أخضع نفسي لانتضباط بنوع كي أنهي كتابة صفحة واحدة بعد ثماني ساعات من العمل. إنني أفاضل نضالاً حسيدياً مع كل كلمة، لكن الكلمة هي التي تفوز على الأغلب دائماً، ولكنني عتيد جداً، حتى إنني تمكنت من نشر أربعة كتب خلال عشرين سنة. أما الكتاب الخامس الذي أكتبه الآن، فكانته أبطأ من كتابة بقية الكتب. لأنني لا أملك إلا النور اليسير من الوقت بين كثرة الدائنين وحالات الصداع.

إنني لا أتعلم عن الأدب لأنني لا أعرف ما هو الأدب، كما أنني، من جهة، مقتنع أن العالم لن يتأثر بغيابه، ومن جهة ثانية، مقتنع أن العالم سيكون مختلفاً لاحتلاف كله بغياب رجال الشرطة. لهذا فإنني أفكر في أن فائدي للإنسانية ستكون أكبر بكثير لو كنت إلهابياً بدلاً من أن أكون كاتباً⁽⁶⁾

أمامنا على ما يبدو كاتب يصبو إلى الشهرة. مرة أخرى مراه بفول عكس الحفيلة، وعلى نحو محسوب كي يجعل من نفسه، لا تحت الأنظار أكثر مما مضي وحسب، بل محبوباً أكثر أيضاً. الصورة هي صورة رجل اعتيادي لديه - ضمت وحجلاً - موهبة امتثالية. إن الفرق بين الحجل والانتفاض الظاهري من جهة، والشفقة والرعة في جذب الأنظار المستترتين من جهة ثانية، واضح للعيان وسيؤري خصوم المستقبل إلى أبعاد الحدود. ويكشف قراء الخطاب السابق ذكره حدساً أن هذا الشخص الاعتيادي كان تقدماً في أفكاره السياسية أيضاً، وإن كان يشوبه قدر كبير من روح المكتة عن الساسة وعن كل شيء، فهو رجل عصره، رجل اللحظة. ومن لا يفنش عن كتبه بعد أن يقرأ هذ الخطاب؟

كانت أكثر محلات الأرجنتين تأثيراً في تلك الآونة هي مجلة برعميرا بلانا، وكان رئيس تحريرها نومس إيوي مارتينيث، وهو صديق بوروا، وسيصبح لاحقاً صديق عارسيا ماركيز الودود. كانت مجلة برعميرا بلانا إحدى كبريات المجلات التي تصنع الرأي وتبيع سنو ألف نسخة أسبوعياً. وكان مالكوها يشدون دائماً لحدث النضال الكبير التالي، وفي كانون الأول 1966، وباعتماد من ماكو بوروا نفسه، قرر مالكوها إرسال أريستو شو، محرر المجلة اسرار وعصو بمجلس الإدارة، لإجراء مقابلة مع غارسيا ماركيز في المكسيك. وإذا ما أخذنا في الاعتبار كلمة السعر جواً في تلك الأيام، فإن المقابلة كانت استثماراً أقدمت عليه المجلة، إلا أنه وثقت بوروا وأدركت العاية من ذلك مكث الصحفي الأرجنتيني برفقة أسرة عارسيا بارتشا في المكسيك على مدى أسبوع كامل. وعندما نشرت المجلة المقابلة بعد ستة أشهر، وضعت صورة عارسيا ماركيز على غلافها وهو في الأرفة الحميلة المرصوفة بالقرميد في سان آجل القديمة، وليس في الشارع الذي يسكن فيه والذي يمتد إلى الحادية والفتة. وكان شو هو الذي التقط لصور بمسه وأظهر فيها غارسيا ماركيز مظهر المهرج في ستينيات القرن العشرين مرتدياً سترته ذات المربعات السوداء والخمراء المألوفة. ولم يكن ذلك هو اللباس الذي يرتديه أدباء الأرجنتين، إنه لباس جنير نحاك كيرواك ثم يظهر صورة عارسيا ماركيز كما هو حالياً، ثم صورة لعابر لحين. وعوضاً عن الأديب لمكتب الذي وصفه لويس هارس في كتابه المهة الذي نشره

قل أسابيع قليلة من نشر الممالة مع عارسيا ماركير، أظهرت صور نشر روائياً سعيداً مفعماً بالحوية والشداط مسجماً الانسجام كله مع محطة⁽⁷⁾.

في شهر نيسان امتضى ماريو فارغاس يوسا، الذي نشر مؤخرًا روايته المتألّفة الثامنة البيت الأخضر، عصا خشبية برأس شسه برأس فرس سخوض معركة بإعلانه أن رواية عارسيا ماركيز المقلدة ليست إنجيل أميركا اللاتينية كما كان قد أكد كارلوس فويغتش، بل هي رواية أميركا اللاتينية الكثيرة عن العروسية. لا بد من أن فارغاس يوسا تولاه لذهول لظهور هذا العزم غير المتوقع من كولومبيا، لكنه آنر، شأنه شأن فويغتش، أن يدخل مسرح العروسية. وظهرت مقالته المهمة لماريوس في أميركا في عدد نيسان من مجلة برينيرا بلانا التي أعلن فيها أن رواية مئة عام من العزلة هي قصة أسرة، بل قصة من قصص العمارات في بوغوتا معه، "أسلحتها هي شرها المركز تركيزاً حاداً، وسحرها التقني اللاحج، وعيائها الشيطاني مما جعل هذا العمل السردي عملاً ناجحاً، وهذا هو سر هذا الكتاب الاستثنائي"⁽⁸⁾.

قرر الأرجنتينيون معاملة غارسيا ماركيز معاملة تتمتع بكل الخصائص والامتيازات، فدعوه لزيارة بوينس آيرس وأوحر حرياك لترويج الرواية، لكن الرحلة تأجلت إلى شهر آب كي يشارك في هيئة تحكيم جائزة الرواية التي تمنحها مجلة برينيرا بلانا/سوداميريكانا، وصاعفت المجلة ودار النشر في أثناء ذلك جهودهما في الترويج للرواية. وأخيراً صدرت رواية مئة عام من العزلة في الثلاثين من أيار 1967 بثلاثمائة واثنين وخمسين صفحة وبسعر مئتمئة وخمسين بيزوس للمسحاة الواحدة، أي ما يعادل دولارين أميركيين. كانت الفكرة المبشئة تتمثل بإصدار طعة بثلاثة آلاف نسخة، وهو رقم كبير في ضوء المعايير الأميركية اللاتينية، لكنه معدل في الأرجنتين. غير أن حماسة فويغتش وفرغاس يوسا وكورتاثار، وحسن بوروا معه، جعلوا الماشر يستغل الفرصة، وتقرر أن يطبع منها خمسة آلاف نسخة، لكن لطلب الذي أهال على الماشر من باعة الكتب جعله يرفع الرقم إلى ثمانية آلاف نسخة قبل أسبوعين من النشر. وتوقعوا أن تع تلك النسخ في غضون ستة أشهر إذا ما سارت الأمور على ما يرام. وبعد أسبوع واحد، بيع ألف وثلاثمئة نسخة من الكتاب وجاء نرتيه الثالث بين لائحة أكثر الكتب مبيعاً، وهو إنجاز لم يسمع به أحد لرواية

أميركية لاتينية كتبها مؤلف معمر تقريباً، ومعلول نهاية الأسبوع الثاني، تصاعف الرقم ثلاثة أصعاف في بويس آبرس وحدها وصدرت في بادئ الأمر بشماعة آلاف نسخة، لكنها بدت لاحقاً غير كافية تماماً.

ومما يصوي على المفارقة، أن مجلة برينيرا بلانا نفسها، وبعد كل الجهود التي بذلها العاملون فيها، كانت بطيئة في صدورها. وكان هدف هو نشر المغاملة التي أجراها شو مع عارسيا ماركير، وبات عمرها الآن سنة أشهر، وصورة عارسي ماركير نفسه على غلاف المجلة الأمامي في الطبعة الأسبوعية 13-19 من شهر حزيران، غير أن حرب الأيام الستة في الشرق الأوسط، اندلعت عند الساعة الثالثة والنقيفة العاشرة من فجر يوم الخامس من حزيران بالتوقيت المحلي لمدينة بويس آبرس، فتأججت لحظة عارسيا ماركير حتى التاسع والعشرين من الشهر^(١). وكان بين صفحات مجلة ملاحظة افتتاحية عن العدد تشير إلى أن هذا الحدث ليس حدثاً استثنائياً وحسب، بل (إن الكتاب أيضاً وعدد المجلة صمماً) هو الببوع الذي ستطلق منه الرواية الأميركية اللاتينية الجديدة. وكان عنوان المقابلة رحللاً سمدباد، مقارناً كتاب عارسيا ماركير منذ البداية بألف ليلة وليلة التي كانت على درجة بالغة من الأهمية في صياغة خياله. لقد انطلق اسبحر. وفي المدة بين نشر الرواية والبدء ببيعها، قُتر لأعيه فريق السينلر العائلي سارجت بير أن تنبؤ مكانة أسطورة وظهرت في محلات بيع الأسطوانات في جميع أرجاء العالم.

حاول غارسيا ماركير أن يعرف مكان صديقه بينيني روخو الذي تألم لأن الكولومبي لم يبع الرواية لأصدقائه في دار نشر إيرا في المكسيك، ودعاه إلى تصميم الغلاف. عمل روخو بعد من أحل أن يقل نكهة الرواية الفوصوية الشعبية المصاعمة، بوضع حرف E من كلمة SOLEDAD في نهاية الاسم، مما أدى في الوقت المناسب إلى أكثر بصريات نقاد الأدب عراة وعموصاً، وإلى رسالة أيضاً من أحد باعة الكتب في غواياكيل يفتح فيها على تسلمه نسخاً فيها خلل واضطر بنفسه إلى تصحيحها بيده كي لا يرفع رباثه. وفي نهاية الأمر، يظهر الغلاف الذي صممه روخو على أكثر من مليون نسخة من الرواية، فأصبح بذلك رمزاً ثقافياً من رموز أميركا اللاتينية، لكنه لم يظهر في الطبعة الأولى لعدم وصوله في الوقت المحدد.

وهكذا كان علاف الطبعة الأولى من تصميم أيريس باغانو، وهي مهندسة ديكور، إذ رسمت مسبة ضخمة بميل لوها إلى الأرق وهي تظعو في غابة بميل لوها إلى الأرق أيضاً، على حين كان الإطار العام للصورة رمادي اللون، وفيه ثلاث وردات برتقالية اللون أزهرت تحت السعفة. هذا هو العلاف الذي سيبحث عنه في ما بعد القواة لعقد صفقاتهم، وإن يكن بأي حال العلاف الأكثر دقة الذي صممه واحد من أكبر اصحاب في المكسيك⁽¹⁰⁾. أما الطبعات الكسة والثالثة والرابعة الصادرة في حزيران وأيلول وكانون الأول، فكانت كلها بعلاف من تصميم روجو، وبلغت أعداد نسخها عشرين ألف نسخة وهي ظاهرة غير مسوقة في تاريخ النشر في أميركا اللاتينية.

في مطلع شهر حزيران أجرت مجلة فيجون، لمؤسسة الأميركية اللاتينية لمحة سليم، مقابلة مع عارسيا ماركير في المكسيك، وكانت هذه المحة هي الوحيدة التي تساع في جميع أرجاء القارة (بالرغم من أنها كانت في واشنطن). وأحر عارسيب ماركير متحدثيه أنه يخطط للسفر مع أسرته وعصبة ستيين في "مضيف ساحلي بالقرب من برشلونة"⁽¹¹⁾. وبدأ بكرر القصة التي أصبحت مألفة وهي أنه بدأ بكتابه رويه مئة عام من العزلة عندما كان في سن "السابعة عشرة"، لكن "حجمها" بدا به أندك أكبر مما يستطيع السيطرة عليه. لكنه قال أيضاً شيئاً آخر مثيراً للدهشة: "عندما أفرغ من تأليف كتاب، فإنني أفقد اهتمامي به وكما قال شعواي كن كتاب كاس يشبه أسداً ميتاً. المشكلة الآن هي كيف تصطاد فداً". عارسيا ماركير لعب من رواية مئة عام من العزلة؛ أيمنه أن يكون حاداً؟ وبشرت عبارته في صحف ومجلات أخرى في جميع أرجاء أميركا اللاتينية وكانت عبارة غودجية لظاهرة صحافية جديدة: مرحلة على طريقه عارسيا ماركير⁽¹²⁾. كانت ناقصاً لعطياً مضاعفاً: فهو عن وعي لا يعاً بنقاده ويرعهم أيضاً لذلك النسب ولأسباب أخرى. فهو يعلم جيداً أنه يدهشهم مدته طرفة عين بوع من المعطسة التي يمررها على أنها تواضع. وهذا كله معلف بقطة شعبية تسمح لمؤلها بالفرور من الاعداء عهارة تماثل مهارة شارلي شابلن وهو بدور عني قدم واحدة؛ لكنه بالرغم من ذلك، يظوي على قدر من الحقيقة التي لا سبل إلى نكرها.

نشرت الرواية في مدينة مكسيكو في الثاني من غور بعد ست سوات على وصول الأسرة إلى هذه البلاد⁽¹³⁾. وتذكر ماريا لويسا بيلو التي أهداها غارسيا ماركيز الرواية قائل: "أصبنا بالجنون. فقد اشترى لي سحرة ثم تنقل من مكتبة إلى أخرى بشري نسحة منها لأصدقائي ويكسب عليها الإهداءات. وقد أحرني عابو قائلاً: أنت في طريقك إلى الإفلاس المالي. كنت أشتري كل النسخ التي أستطيع شرائها. وذهبا إلى مرل عابو وشرى الأختاب مع ميرثيدس. وفي اليوم التالي، حسناً، لم يكن بملك مالاً كي يعود أدراجنا، وليس لدينا المال اليوم أيضاً. لكت نمكنا من تدبير أمورنا... لعلك تذكر أن هناك فقرة في رواية مئة عام من العزلة تُطرح فيها السماء ورود الأقحوان الصفراء وفي ذلك اليوم اشترت سلة كبيرة، أكبر سلة استطعت أن أعتز عليها، وملأها بالأقحوان الأصفر، ثم بحثت عن سمكة صغيرة ذهبية ورجاجة شراب. وصغت كل تلك الأشياء في السلة وذهبت إلى بينهما"⁽¹⁴⁾. إن هذا الميل إلى تحويل العالم الواقعي إلى عالم مئة عام من العزلة السحري سيكرر وبرداد مثل كرة تلح، وقبل أن يمضي وقت طويل، يجعل المؤلف مهكاً تمام بالأنواريلات التي راحت تنصب على روايته الاستثنائية. وفي آخر الأمر تراه يسي الاستقبال من ستينيات القرن العشرين، لكنه يجد نفسه منجذباً إليها انجذاباً لا بعده حد.

في الأول من آب سافر غارسيا ماركيز إلى كاراكاس لحضور المؤتمر العالمي الثالث عشر للأدب الأميركي - الإيبيري الذي نظمته جامعة بيتسبرغ تزامناً مع مح ماريو فارغاس يوسا جائزة رومولو غاليغوس، التي أنشئت حديثاً، عن روايته البيت الأخير الصادر عام 1966 وحظت طائراهما القادمتان من لندن والمكسيك في مطار مايكيتا في الوقت نفسه والتقى لقاءً رمزياً في المطار: وقدّر للرحبين أن يسافرا كثيراً. في السنوات التالية كانت هناك مراسلات بينهما، ثم أصبحا الآن بريلا عرفة واحدة. كانت علاقتهما علاقة أدبية وطيدة لكنها مضطربة⁽¹⁵⁾. فقد شعر غارسيا ماركيز أن الأحداث تعصف به ولم يكسب نصاً واحداً لهذا الحدث. وكان قادماً متأخراً إلى مأدبة الانتعاش الروائي بالرغم من أن ماريو فارغاس يوسا الأصغر منه بتسع سوات والذي عاش في أوروبا منذ سنة 1959 كان يعرف معظم الأدباء

الآخرى في باريس وفي برشلونة. وكذا وسيمًا، متأقًا في مطهره، على درية بالمد (إذ كان بعد لأطروحة دكتوراه)، لكن بالرغم من ذلك، كان يعرف أيضاً كيف يجذب الجماهير الأدبية إليه. وفي مواجهة غارسيا ماركيز الذي مات بمسلاً بلا رب، وفي مواجهة هذا الخلد المثير الجديد، شعر يوسا بالخوف والرهبة وأنه في وضع دفاعي. وفي إحدى الحفلات، جعل أصدقاءه المرويين يرفعون بوجه كتب عليها: يمنع الحديث عن رواية مئة عام من العزلة. ومع هذا فقد سلكت سلوك عرب مع الصحافة وأحرر الصحفيين وجهاً لوجه أن ميرثيديس هي التي تزلف كتبه ثم يجعله يضع اسمه عليها لأنها كتب مكتوبة بطريقة سيئة جداً. وعندما سُئل عما إذا كانت البقرة الخلية، الرئيس السابق رومولو غاليجوس، روائياً عظيماً ردّ قائلاً: "نحسوي روايته كأنها عني وصف جميل بدجاجة". لقد بدأ غارسيا ماركيز يلقي كل من هباً ودباً. فبعد أن أصبح هناك غارسيا ماركيز، فلا بد من أن يكون هناك انعاش. ويمكن أن يحدث أي شيء الآن. كان هذا الرجل سحرًا بعبه. كتابه ساحر واسمه ساحر، وكان الاسم غابو حلاً من أحلام حقبة الفاد وارمول ويس حلاً يدوم خمس عشرة دقيقة وحسب.

أحرر مير رودريغيث موبغال غارسيا ماركيز أنه قبل سفره إلى كاراكس بيومين أمضى وقته في الكوبول في باريس برفقة هوينس وبابلو بيرودا وأفرط هوينس في تقيظ مئة عام من العزلة أمام بيرودا وتوقع أن تكون الرواية مهمة في أميركا اللاتينية أهمية دون كيخوته لثيربانتس في إسبانيا⁽⁶⁾.

استقل عرض غابو - ماريو إلى بوغوتا في الثاني عشر من آب، لكن رواية مئة عام من العزلة لم تكن قد وُزعت بعد فيها، كما أن الدعاية القادمة من بويس آيرس كانت قليلة، ولم تشر الاسكتادور أو التيمو أي شيء عن الرواية في الأسابيع الأولى. وبدأ الأمر كأن الكولومبيين تعمّدوا اللامبالاة، كأهم كانوا ينتظرون إلى أن يأتي الوقت الذي يستحيل فيه تجاهل هذه لطهرة المدمشة في أوساطهم عبر أن الحقيقة هي أن غارسيا ماركيز لم يحظَ في بلاده بالتقدير الذي حظي به في مناطق أخرى من أميركا اللاتينية⁽¹⁷⁾. وكان لينيو ميدونا قد سافر مع سييدا إلى بوغوتا: "أتذكر أن غارسيا ماركيز وصل إلى بوغوتا برفقة ماريو فارغلس

يوسا قبل نشر مئة عام من العزلة في كولومبيا. وكان ماريو قد عاد توباً بجائزة رومولو غاليجوس في كاراكاس عن رويته البيت الأخضر. وكما يحدث عادةً عند زيارة شخصيات معروفة إلى البلاد، فإن بوغوتا خرجت عن بكرة أبيها، احتفاءً به. وكانت حشود الناس تتحلق من حوله وتدافع مراعية بذلك أصول مجاملات الساح، ولم تترك بعد القصة التي صعبت عارسيا ماركيز ولا تزال تنظر إلى أديها ابن البند نظرة متواضعة، تاركة إياه في لظلال⁽¹⁸⁾.

انطلق عارسيا ماركيز وميرثيديس إلى الأرجنتين في التاسع عشر من شهر حزيران للبدء بمواجهة قدرهما. لقد اعترف ليليو مبدوناً أنه "خائف خوف الصرصور"، وأنه يبحث عن سرير كبير يكفيه للاحتساء تحت⁽¹⁹⁾. سافرا جواً إلى كولومبيا وتركيا ولديهما مع جنكب لأمهما في كولومبيا، ولما كان الوندان مكسيكيين فعلاً، فإنهما لم يعودوا إلى وطنهما الأصلي إلا بعد سنوات طويلة. وبقت الأروان وهما على متن الطائرة التي نعلتهما إلى بويس آيرس حيارتهما للمستقبل، ولا بد من أن ميرثيديس فكرت في الوعود التي أطلقها عابو عن أهدافهما المستقبلية عندما استملا أول طائرهما معاً قبل عشرة أعوام تقريباً. لقد كتب الآن حقاً رواية صممه وهو في سن الأربعين. وفي السادس عشر من حزيران، في مطار إيثيثا في بويس آيرس عد الثالثة بعد منتصف الليل، بعد مرور عشرة أسابيع على نشر الرواية. وبالرغم من وضوحهما سراً، يتذكر باكو بوروا، فإن المدينة كلها كانت تسودها حالة احتمالة بعد أن "استسلمت على الفور لسحر الرواية السدي لا يقاوم"⁽²⁰⁾. وكان هو ومارتينيث في المطار للترحيب بالزوجين اللذين لم يداخلهما أي شك، واللذين تعبرت حينهما نفراً أكثر مما كانا يتوقعان. ويبدو أن الرحلة لم تنهك عارسيا ماركيز، إذ طلب رؤية السهول مترامية الأطراف، كما طلب وجبة طعام من شرائح اللحم الأرجنتيني المشوي⁽²¹⁾. ولتنية طلبه، رافقه إلى مطعم في شارع مونتييلو. وفيما هما يجالان تكييف نفسيهما مع هذا الرجل القادم من المنطقة الإدارية مرتدياً معطفه الخاص بالخطاين وبطالة الإيطالي الضيق ويتنمل جزمته الكويية، فيما بدت أسنانه المعصمة بالسرد ومزيحه العريب من ملامح عدم الاكتراث والوعظ الملل، حاولا إقناع نفسيهما بأن هذا هو المنظر الذي ينبغي

أن يظهر به مؤلف روايه مئة عام من العزلة. أما بخصوص زوجته، فكانت شحاً مدهشاً يشبه نسخة أرجنتينية من الملكة ففرتني⁽²²⁾.

يقول عارسيا ماركيز إن الدهشة تولته لمراى بوينس آيرس لتي مثلت تجربته الأولى في مدينة كوزموبوليتانية من مدن أميركا اللاتينية لم يبدُ عليها أنها مدينة "غير مكتملة". وفي صباح أحد الأيام شاهد امرأة تحمل سحرة من الرواية في حقيبة التسوق بين حبات الطماطم والخس. وكان غارسيا ماركيز آنذاك يتناول طعام المطور في مقهى عند ناصية أحد الشوارع. لقد استقبل كتابه الشعبي الآن بكل ما للكلمة من معنى لا بوصفه "رواية"، بل بوصفه حياة⁽²³⁾. وفي الليلة نفسها ذهب برفقة ميرثيديس لحضور مناسبة في مسرح إنستيتوتو دي تيلا الذي كان محرك الحياة الثقافية في الأرجنتين في تلك الحقبة. وقد سجل توماس إلوي مارتينيث المناسبة مد اللحظة التي أمسى فيها غارسيا ماركيز، وإلى الأبد، شخصية في قصة كتبها مسبقاً بنفسه، تماماً مثل شخصية ميلكياداس، من دون أن يدري ذلك: تقدّم غابو وميرثيديس باتجاه خشبة المسرح وارتبكا باذ عليهما لمراى هذا العدد الكبير من معاطف العرو والريش المتألق. كانت قاعة المسرح ممتلئة، لكن لسبب ما، كانت بقعة ضوء تلاحقهما. كادا أن يجلسا عندما هتف شخص ما: "أحسن!، ثم علا التصفيق. ورددت امرأة الصيحة وقالت: "من أحل روايتك؟" ثم وقف جميع الحاضرين. وفي تلك اللحظة هبعت الشهرة على غارسيا، معلمة صحافيين برافة شيه ريميدوس الحميلة، فتعمره موجة من الصياء تصعد أمام عاديات الدهر⁽²⁴⁾.

يقول مارتينيث إن غراسيا ماركيز مارس سحره على جميع أرجاء بوينس آيرس، وكان يوشك أن يغادر حفلة ما أقيمت في إحدى الأمسيات على ضفاف ريو دي لا بلاتا عندما لاحظ امرأة شابة تعمرها السعادة. وقال غارسيا ماركيز "كانت تلك المرأة حريئة حقاً لكنها لا تعرف كيف تدرج حزنها. انتظري لحظة. سأساعدك كي تبكي". ثم همس ببعض كلمات سرية في أذن المرأة الشابة وعلى الفور انهمر من عينيها فيض من الدموع لا سبيل إلى السيطرة عنه. فسأته في ما بعد: وكيف أمكنك أن تعرف أنها حزينة؟ وما الذي قلته لها فأبكتها؟ فردت لها أن تتوقف عن الإحساس بالوحدة. وهل كانت تشعر بالوحدة؟ طبعاً. هل صادفك

في حياتك امرأة لا تشعر بالوحدة؟ يواص خيمينيث كلامه: ثم التفتت مرة أخرى، حصة، في البلدة التي سفت سفره، وكانوا قد أحبروه أن الشبان والشابات يلجأون إلى مضاء في عانة بايرسو ويتوارون عن الأنظار في كهوف مظلمة حيث يمكنهم تبادل القبلات مخفية فما كان منه إلا أن هف. إنها منطقة مسموفا إل تيرادبرو، ركن الحب. فعلت له مترجماً: فيلا كاريو أو بيت الحب. فقال: كنا أنا وميرثيديس في لحظة. فمي كل مرة نحاول فيها تبادل القبلات، يظهر لنا أحدهم فيقطعا⁽²⁵⁾.

استؤنف عرض عابو - ماريو في مدينة ليما بعد انقطاع دام أسوعين عندما التحق غارسيا ماركيز وميرثيديس بصديقهما البيروي الجديد الحضور أسوع من الفعاليات الأدبية مع بداية شهر أيلول. وبوطدت عرى الصداقة رمزياً عندما بات غارسيا ماركيز عراباً لابن ماريو وباتريشيا الثاني الذي أحمياه عوثالو غابريل.

ربما لم يكن في استطاع غارسيا ماركيز أن يعلم مقدار الشهرة التي سيصيدها، لكس لا بد من أنه أصبح يملك فكرة ما الآن. بعد العودة إلى مدينة مكسيكو بدأ هو وميرثيديس برسمان الخطط وتهيأ أعماهما، إذ وطدا العزم على ممارسة حريتها التي اكتشفاها مؤخراً. ولما وجد غارسيا ماركيز أنه أصبح في مواجهة هذا المطور الجديد والمفاجئ تماماً من الشهرة، وربما الأمن المالي، قرر معاندة المكسيك والسفر إلى إسبانيا. وكان في عجلة.

عاد غارسيا ماركيز إلى كارناخيا بحلول أواخر شهر أيلول وبدأ يتخذ الترتيبات النهائية لسفره. وكان أمراً حساساً زيارة الأسر الكولومبية قبل رحيله، لكن بالرغم من تلفق كل المياه من تحت الجسور، فإن علاقة غارسيا ماركيز بأبيه بدت عمر قابلة للإصلاح. ويتذكر إلبيو فيقول: "في تشرين الأول سنة 1967 جاء عابيتو إلى كارناخيا مع ميرثيديس وولديه. ولا أرل قادراً على الإحساس بمدى المرح الذي انتابني عندما شاهدت عابيتو يجلس على السرير مذعوراً من والدي الذي كان مستمياً على الأرجوحة الشكية. وبدأ الأمر كأن والدي كان بث نوعاً من الملح الذي يستعمل على الوصف، هلع يوازي إرهاناً، وهو انطباع غير صحيح (حرفة الأسرة). وفي وقت لاحق، وبعد أن تحدثنا مع خيمي وعابيتو توصلنا إلى استنتاج مفاده أن عابيتو لم يعرف كيف يتصرف أمامه⁽²⁶⁾، ولم يمس بكلمة حق، لكن

السبب لم يعد هو الخوف، وهذا أمر أكيد. كما يمكن للمرء أن يكون واثقاً من أن الأب لا يزال غير معترف بمصائل مجرات ولده، حتى وإن بدا الأمر أن عايتو في وسعه الآن أن يأكل أوراق النقد بدلاً من أوراق الصحف. (وهو ما كان يرذده الأب). وبمكس للمرء أن يكون واثقاً أيضاً من أن الابن، ذلك الخيمس الدكري المنقّل، ما كان ليرحب بذلك الاعتراف المتأخر بفصله. لقد ظل ينظر حتى الآن إلى أبيه على أنه زوج أمه.

مما لا ريب فيه أن السياسة طلب من بين الصعوبات القائمة بينهما. ففي شهر أيلول حيث حاكم ولاية كاليفورنيا رونالد ريجان على تصعيد الحرب الأميركية في فينام، وزدادت الانقسامات على امتداد العالم الغربي. ويحتمل أن عارسيا ماركيز ووالده نافشا موت تشي غيمار، اندي التفاه عايتو لماء قصير، في هامانا، ولدي أعلته لفبدة المولمية العليا للعالم أجمع في العاشر من تشرين الأول وري بصاعف ذلك البأ المحرر بعد وقت قصير بالإعلان عن مور رمر أدسي آخر طاك رفضه عارسيا ماركيز وهو ميعيل اتعل إستورياس بجائزة نوبل للأدب لتكون أول روائي أميركي لاتيني يفوز بها (كان الشاعر التشيلي غابريل ميستران قد فاز بالجائزة عام 1945). وقد فسر العالم كله هذا المور على أنه اعتراف رمزي بانتعاش الرواية الأميركية اللاتينية لتواصل. وسرعان ما يبدأ إستورياس وعارسيا ماركيز، وهما اواقعيان السحريان الكيران اللذان يبدوان وكأن هاك أشياء كثيرة مشتركة بينهما، باحتقار أحدهما الآخر. فقد كان إستورياس الذي نال الجائزة متأخرة عنه يحسني الدعي الشاب، في حين كان عارسيا ماركيز الذي اشتهر مؤجراً وفد وطد العرم على ارتكاب جريمة قتل الأب⁽²⁷⁾.

مما لا ريب فيه، أن هاك معرى من هروبه إلى أوروبا كي يجمع نفسه بحرية من الصعوط اليومية، وإفصاح المجال أمامه للمعاورة ولخشدة. فقد كان الصحفيون يسألونه عن رأيه بخصوص كل شيء موجود تحت الشمس، لكن الأهم من كل هذا، عن رأيه في السياسة. وسيكون خطأ الاعتقاد بأن هده كان الهروب من انصرامه السياسي هروماً تاماً فقد كان سليم لعقل بما فيه الكفاية كي يدرك أنه لا يمكنه أن يكون مؤثراً إلا إذا كتب روايات ناجحة هده، فإن أول شيء عليه أن

بعمده إنما يتمثل بأن يضمن لنفسه الرمان ولمكان لتأليف الرواية التالية؛ ليست الثالثة نمماً، لأنها ستأخر عن الصدور شأنها شأن رواية مئة عام من العزلة. صحيح أن عارسيا ماركيز يحكمه الآن أن يتصرف تصرفاً أكثر علانية، وأن يتخذ مواقف رمزية من شأنها ألا تثير اهتمام أحد حتى وإن كانت سابقة ببصعة سهور. وفي شهر تشرين الثاني، وقبل رحيله مباشرة، وفي وجه الضغوط التي كان يمارسها لطلبة كتي يعلن قدراً من الالتزام السياسي بالمعتقدات الاجتماعية والسياسية، أعرض غارسيا ماركيز لصحيفة الاسكندرية أن منحتني الثقافة مصطفى هادي في كولومبيا على أيدي طففتها الرجعية الحاكمة. وفي مقابلة أخرى نشرت بعد سفره مع ألونسو موسالفي لصحيفة إيفوك داسيرنال قال فيها "إن مهمة الكاتب الثورية هي أن يكتب كتابة جيدة"⁽²⁸⁾. وقد أعاد بصحيفة التيمبو نشر المقابلة مرة أخرى في أواسط شهر كانون الثاني، وكان ذلك بعد كلمات فيد كاسترو الأول (والأخيرة) في هذا الموضوع، وهي كلمات مختلفة إلى حد ما فقد أعلن كاسترو في كلمته المشهورة "كلمات إلى المنغمسين" أن الشكل الأدبي يعني أن يكون حراً، غير أن المحتوى الأدبي لا بد من أن يكون أقل تحراً: "في داخل الثورة كل شيء، وخارج الثورة لا شيء". كما أعلن كاسترو أن أكثر الأدباء ثورية هو ذلك الذي يترك كتابته من أجل الثورة.

بعد عارسيا ماركيز الذي توارف علاقاته بالصحافة (ومن خلالها بجمهور القراء الخليلين) نفسه وهو يشتغل أكثر مما كان يتوقع في تلك السنوات المبكرة ليمنح نفسه ذلك المكان كتي بنور سياسي وجمالي، وهو ما كان يشده فإذا ما أراد أن يجد نفسه في بعض الروايات الأخلاقية والإيديولوجية الصعبة، فإن عليه أن يقرر أنها من صنع يديه، أو في الآخر، أنه سيجعلها وفق ما يريد. وأخير موسالفي أن الأدباء "المخرفين" الجاديين يقدمون مهتهم على كل شيء وأن عليهم ألا يقبوا أي منط من أنماط "الدعم" أو "الملح". وقال إنه شعر بمسؤولية كبرى تجاه قرائه، وإن روايته حريص البطريوك أصبحت شه جاهرة للطباعة عندما نشرت رواية مئة عام من العزلة، لكنه يشعر الآن أن لديه رغبة في إعادة كتابتها من جديد؛ لا حتى يكون مثل الرواية الأكثر مبيعاً، بل لتكون مختلفة عنها. وهذا بطرح فكرة مثيرة وهي أن

بحاج رواية مئة عام من العزلة يرجع إل حدّ ما إل بعض "الاعتبارات الفنية" (يضعها في ما بعد بالحيل الفنية) التي يمكن له استخدامها لتكون علامات مسجلة، إلا أنه يفصل بدلاً من ذلك أن يخصي قُدماً ويؤلف رواية مختلفة تماماً. "إني لا أرغب في تقليد ميسي تقليداً مصححاً" ويعدم مومسالمي مواضعه على أنه شخص يبدو لأول وهلة مكسيكياً أكثر مما هو كولومبي إل أن يسرحي "ويعبر على حيط أفكاره"، ويصحّي مرة أخرى ذلك المواطن الساحلي الكولومبي النموذجي، مهذاراً، صريحاً، ومباشراً في طرح أفكاره ويضع في كل عبارة من عباراته نديهة هي نتاج توافق أسلافه المردوح الأسود والإسباني تحت وهج شمس مدلوية مذهلة. الواضح أن هذا الإنسان لذي يُقدّم لنا بنية التعاضف معه على ما يظهر، لا يرال عربياً في نظر عاصمه بلاده، تماماً مثلما كان عربياً يوماً ما وسط أمرته. وهكذا بطل دائماً، ففارسيا ماركيز قلما يمكن من انتصار الرحييل.

القيصر النمر

رجل العالم:

الشهرة والسياسة

2005-1967

برشلونة والانتعاش في أميركا اللاتينية:

بين الأدب والسياسة

1970-1967

وصلت أسرة عارسيا ماركيز بارنشا إلى إسبانيا في الرابع من تشرين الثاني سنة 1967⁽¹⁾. وبعد أن أمضت الأسرة أسبوعاً تقريباً في مدريد، سافرت إلى برشلونة بهدف إبقاء مده قصيره، إلا أنها مكثت ستة أعوام⁽²⁾، تماماً مثلما مكثت من قبل في المكسيك. مرة أخرى، يجد عارسيا ماركيز صعوبة في العيش في الصحافة، لأن الصحافة كانت خاضعة لرقابة صارمة وكان هو شخصية عالمية مشهورة. غير أن في ذلك عهده كما يبدو: الفاصل بين الصحافة ولسياسة في مدينة مكسيكو، تزامن مع كتاب صحه هو مئة عام من العزلة، وسيتزامن في برشلونة مع كتاب كبير أيضاً تقريباً هو حريف البطريق.

بدأت الرحلة إلى برشلونة للكثيرين معمرة غريه يعوم بها مواطن أميركي لاتيني يساري نفوى. ولقد رعم عارسيا ماركيز دائماً أنه ظل ينحجب زيارة إسبانيا بسبب كراهيته دكتاتورية فرانكو⁽³⁾. وكانت المكسيك أكثر البلدان الناطقة بالإسبانية عداءً للنظام الإسباني، وأما لمراقبة أن يسافر عارسيا ماركيز من المكسيك ليعيش في بلد نُفي منه لعدد من أصدقائه الكاتالونيين وأصبحوا يعيشون في المكسيك وكولومبيا. وبالرغم من أن مشهده الدكتور الإسباني العجور وهو يقترب من نهاية حياته وسلطته، كان دفعاً لتأليف الكتاب. وهو ما ينكره عادةً، إلا أن الذي كان قد حفظه مدد من بعيد، هو أن يكون الكتاب صبرة لطاعية أميركي لاتيني أكبر سناً بكثير، طاعية أدبي تندو سلطته لا نهاية لها على رعاياه الناشئين الذين طال عذابهم.

غير أن هناك نقطة أخرى لا بد من الإشارة إليها بخصوص القرار فقد كانت وكيلته الأدبية كارمن بالسيلس في برشلونة، وكانت في طريقها إلى أن تصبح واحدة من أكبر الوكلاء تأثيراً لا في إسبانيا وحدها بل في أوروبا كلها فبوجود دار نشر سكس باران وعدد كبير من دور النشر الأخرى الموجودة حالياً، أو التي في طريقها إلى الظهور، كانت برشلونة، رعماً عن فرانكو، في قلب حركة انتعاش نشر الرواية الأميركية اللاتينية في ستينيات القرن العشرين. وكان من ورائها الروح القومية الكاتالونية المبعثة من جديد، وإن كانت مكبوتة بالضرورة، علاوة على الازدهار الاقتصادي الذي بدأت تحضره سياسات دكتاتورية فرانكو بالرغم من كل شيء. وكانت المادة الخام التي تُعدي انتعاش البشر انتعاشاً حلاقاً للرواية الأميركية اللاتينية نفسها، والتي كان غارسيا ماركيز ألمع نجومها.

وصل غارسيا ماركيز إلى مدينة برشلونة في اللحظة نفسها التي أصبح فيها الانتعاش واضحاً. وكان افتتاح الأفاق الذي لا يصابه أي انفتاح آخر، وإن كان مؤقتاً، سمة من سمات عقد الستينيات مما أوجد لحظة حمائية تتم عن حسب استثنائي. إن هذا الانفتاح، هذا الخيار بين الدائل، أصبح المعالم في مادة وبنية النصوص الأميركية اللاتينية المعترف بها إبان تلك الحقبة. وكانت كلها تدور حول التكوين التاريخي لغارة أميركا اللاتينية، وإسهام كل من التاريخ والحرافة في الهوية الأميركية اللاتينية المعاصرة، ومستقبلها، وإن صمماً، حساً كان أم سيناً.

عند تذكر تلك الحقبة، فإن اللحظة التاريخية القوية التي عرفت بالانتعاش، امتدت من سنة 1963 عندما نشرت رواية الحجلة لخورخو كورتازار، وحتى سنة 1967 عندما نشرت رواية حبة الانتعاش بلا مارخ.

يتفق الجميع على أن رواية الحجلة كانت بمثابة رواية يوليسيس لأميركية اللاتينية؛ وهذا كلام مناسب تماماً، لأن حقبة الانتعاش يُفهم منها أنها تمثل ذروة وبلورة حركة المدانة في أميركا اللاتينية في القرن العشرين.

إلا أن رواية مئة عام من العزلة غيرت تماماً من هذا الرأي إجمالاً وأوصحت بحلاء، وعلى العكس، أن حدثاً هاملاً قد وقع ويتطلب إطاراً رسمياً محتثماً كـ

الاختلاف؛ لأن روايته مئة عام من العزلة، وهو ما ينمق عليه الجميع، كانت دون كيشوته أميركا اللاتينية.

أصبح غارسيا ماركيز مركز الاهتمام، بل رمز حركة أدبيه متنامية كأنه هو وحده الذي يحظى بنعطة إعلامية توازي التغطية الإعلامية التي يحظى بها بقية الكتاب مجتمعين إن ما لم يقله أحد هذا العدد الكثير من الكلمات، هو ألسا أمام ما ينسب الطاهرة العريية، ما ينسب الوحش أسيل، ما ينسب كاليان^(٩) الأديب وقد تحول بفعل السحر إلى صورة جديدة لأديب لهذه المرحلة المتناقضة التي تجمع بين الثقافة الشعبية وثورة ما بعد حقبة الاستعمار. إن الصحافة الإنسانية المتخلعة سياسياً وتجاهاً على مدى ثلاثين سنة من الماركسية، لم تكن مستعدة لما تطوي عليه المرحلة الأمريكية اللاتينية الجديدة من حداثة وتعميد، وقد أجريت عشرات المماثلات الباهية والمخرجة مع غارسيا ماركيز، ولم يهتم إلا عدد قليل من الصحفيين لفكرة أن هذا الإنسان القادم من اللامكان والذي يبدو أنه قد طهر، شأنه شأن كتابه، من أذراح الرياح، بفعل شكل من أشكال الاحتراف العموي في العالم الثالث، إنما هو كاتب جاد إلى أبعد حدود الجدة، ذؤوب كاذب على نحو يتعدى تصور، ثابت العزيمة نابعاً قوياً، اشتعل بلا توقف على مدى عقدين من الزمان للوصول إلى ما وصل إليه، وأنه على استعداد للعمل بإصرار لبق في مكانه؛ بصرف النظر عما يتصوره به من ملاحظات يصفقها أمام صحافيين يصدقون كل ما يُقال هم. إنسا أمام أديب يستخدم شهرته الأدبية ليصبح شخصية عامة، وكبيرة على نطاق لا يتصوره أي من أسلافه، ربما باستثناء هوعو أو ديكسز أو نوبس أو هسواي.

ومع هذا، فإنه لم يُقدّر حق قدره باستمرار. فعلى مدى أربعة عقود من الزمان، بحق نقاده في رؤية ما موجود أمام أعينهم: وهو أنه أدكى منهم، وأنه كان يستبلمهم بالكر والدماء كما يشاء، وأن الناس أحياه أكثر مما أحيا القاد، وأهم على استعداد ليفقدوا له كل صبح، لا لأهم أحيا كنه وحسب، بل لأهم شعروا أنه واحد مهم. ومنعما أحيا فريق السيلر العنالي إلى حد ما لأهم لم يكونوا من صبح وسائل الإعلام (التي صحت ألفيس بريسلي أو مارلين مورو)، فإهم كانوا يعرفون كيف يعبرون مع الصحافيين لعنتهم: بأنهم يحملونهم على محمل الجد النام بالنظام بخلاف ذلك. يد أنه

كان إنساناً اعتيادياً، وليس دعياً أو متحلقاً أو متفطراً. إنه إنسان يشبه فراعته، ولكنه أيضاً إنسان جعل الأدب الحقيقي في متناول اليد وسهلاً.

بدأ بوصول غارسيا ماركير إلى برشلونة تيار جديد. ولم يمض وقت طويل حتى وصل أيضاً خوسيه فونوسو وماريو فارغاس يوسا، وسرعان ما تعرف غارسيا ماركير إلى كبار الأدباء والمثقفين الإسبان مثل الناقد خوسيه ماري كاستيت وخوان لويس غونثيسون وخوان مارسبه⁽⁴⁾ في تلك الآونة، كانت المعارضة السرية لديمقراطية فرانكو آخذة بالانتعاش في جميع أرجاء إسبانيا، وكان يفودها وبضمتها بالدرجة الأساس الحزب الشيوعي من خلال شخصيات مثل سانتياغو كاريلو وجورخه سيميراو وفرناندو كنودين، لكن عمالة الحرب الاشتراكية والناشطين سرّاً من الشبان أمثال فيليبي غونثالث⁽⁵⁾. لم تكن كاتالونيا تاريخياً مهد رجال الأعمال اسورجوارين الذين كانوا معروفين بدفعهم العملة التي تهر ورائها عرات إسبانيا التي لم تكن فارغة في القرن التاسع عشر وحسب، بل كانت أيضاً موطن المفكرين والاشتراكيين، والرسميين والحائزين، وحشية مسرح عودي وألييث وغرانادوس ونوبول ودالي وميرو، وبيكاسو، وبالشي أيضاً. وكانت في المرتبة الثانية بعد باريس من حيث كونها مختراً ثقافياً أو بيتاً أخضر للثقافة اللاتينية، بل كانت مديسة طليعية بين حقبة النهضة الكبرى في خمسينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر وسقوط الجمهورية الإسبانية عام 1939. واليوم، وفي ستينيات القرن العشرين، وبعد أن حطرت لعتها رسمياً، بدأت أكثر مقاطعات إسبانيا إنتاجاً وعملاً تؤكد مصها مرة أخرى. ومع هذا، فإن السياسة اضطرت في ستينيات القرن العشرين إلى أن تستأري حلف قناع، إذ اتخذت الثقافة والقومية الكاتالونية البورجوازية، المحرومة من حق التعبير، محطاً يسارياً متطرفاً من خلال مجموعة مبانة من أفراد الطبقة المتوسطة عموماً، كالأدباء والحائزين وصناع الأشرطة السينمائية وأساتذة الجامعات والرسميين ومشاهير الإعلاميين والفلاسفة وعارضات الأزياء ولرسميين، وكانوا يعرفون بمصطلح "اليسار الرائع".

ومن صلات غارسيا ماركير المكورة صلتة بروسا ريغاس، وهي اليوم من أبرز أدبيات إسبانيا وراعيات الثقافة فيها، ولكنها كانت يومئذ امرأة شابة حساء، فاعرة

الطون، تشبه هابسا ريدعريف في الشريط السيمائي الاصحاح الذي أخرجه أنطوسوي، وكانت واحدة من ملهفات ذلك السار الرابع. وكان شققها أوربول الممار في العلاقات العامه (شأنه شأن العديد من الناس الذين عرفهم غارسيا ماركير في الأعوام التي أمضاها في المكسيك وإسبانيا)، بملك أيضاً حانة بوكاشيو الداعمة في شارع موتير حيث يلتقي الطليعون الشاد الوسيمون والحضرون.

كانت روسا ذات التنورة القصيرة امرأة متروحة في أواسط العقد الثالث من عمرها ولها أطفال، لكنها عاشت حياة متحررة في الستينات أثارت حفيظة لأعبية التقليدية، وكانت تحمل لواء كل موضة أدبية جديدة. وفي ثلث الآونة، كانت تنظم العلاقات العامة في مكتب كارلوس بارال، إلا أنها بحلول نهاية ذلك العقد من الرماد، بدأت تدبر دار نشر لاعايا ثيبيا. وكانت قد قرأت رواية مئة عام من العزلة وطارب بعيداً: "لقد أحبيبت الكتاب حباً جنوبياً، بل لا أزال أسفر حتى اليوم من دون أن يفارقي، حاله حال بروس، وفي كل مرة أحد شيئاً جديداً فيه. إنه أشبه برواية دون كيخوته. وأعتقد أنه سيقف حالداً. لكنه يبدو في هذه الأيام وكأنه بكلبي مباشرة. إنه عالمي. لقد أحسنه كلها. ذلك أشبه غومس الأطفال، وكنا ننقله في مايسا⁽⁶⁾.

وعلى الفور دعت روسا ريفاس غابو وميرثيديس إلى حفلة أقيمت على شرفهما في بيتها. حيث عرفتهما إلى بعض أعضاء جمعية برشونة الطليعية المؤثرين. وهناك التقيا بالروجي لويس وليتشيا فيودتشي اللذين ستتوق عرى الصداقة هما على مدى السنوات الثلاثين التالية وكان انجدهما إليهما إلى حد ما كرهما ليس من كاتالونيا. وكما هي الحال في المكسيك، فإن غارسيا مارتشا سرعان ما يتعامل مع حشد المهاجرين قبل أي شيء. كان لويس فيودتشي طليعاً نفسانياً ولد في مدريد، فيما احدثت ليتشيا من مالاقة ودرست الأدب في جامعة برشونة⁽⁷⁾. وقام الزوجان بإبصار ال غابو وهو الاسم الذي ميشوراه به إليهما، إلى بيتهما بعد انتهاء الحمله. وعندما توقفت اسياره تحدثوا مطولاً وانفصوا على اللقاء ثانية. وكانت نناقهما الثلاث، "الصغيرات"، عني حدّ تعبير غارسيا ماركير، حينذاك، في مثل من رودريغو وغوثالو بقرياً، وهذا يصبح الأطفال الحسة أصدقاء عني مدى العمر، كأهم أقرباء موصول⁽⁸⁾.

ومن أوائل المعارف امرأة برزيلية شابة تدعى بياتريس دي مورا، التي كانت بدورها متهمة أخرى من ملهومات اليسار وشخصية أخرى تدير، شأنها شأن روسا ريباس، دار نشر خاصة بها هي توسكيتس (وهي كنية زوجها آنذاك) عام 1969 وهي في سن الثلاثين. فإذا كانت الدار منتدئاً أديباً، فإن المصيفين كانوا حديثي السن تماماً. كانت بياتريس قد حلت في إسبانيا لأنها، وهي ابنة دبلوماسي، انفصلت عن أسرتها المحافظة بسبب سياسة، وشقت طريقها اعتماداً على موهبتها وعلى فتنتها الشابة بلا ريب. (وإذا كانت روسا تشبه فابسا ريدغريف في الشريط السيمائي الانحجار للمخرج أنطونيوني، فإن بياتريس كانت تشبه حين مورو في الشريط السيمائي جولي راجيم للمخرج السيمائي تروغو).

على كل حال، تبين أن غارسيا ماركيز جاء إلى برشلونه من أجل العمل، لذا، سرعان ما بدأ هو وميرثيدس بالحد من نشاطاتهما الاجتماعية، وانتقلا من شقة إلى أخرى في عموم أرجاء مصقفي غراسيا وساريا الجميلتين، بالرغم من انفجارهما إلى الضابع العصري، الواقعتين شمال الخط المطري قبل أن يستأجرا أخيراً شقة صغيرة حدة في مبنى جديد في شارع كابونانا الواقع في منطقة ساريا أيضاً. وقد بولت الدهشة الضيوف عندما رأوا وقار أثائها وديكورها - لا سيما الأسلوب المكسيكي الخاص بالحدود البيضاء والأثاث المختلف الألوان في كل حجرة - وهو ما سيميز كل أماكن إقامتهما من الآن فصاعداً. سيعيشان في هذا المكان، وفي هذه المنطقة الحسنة التي تذكرهما منطقة الصواحي الررينة الحالية من المياهاة التي عاشا فيها في المكسيك، حتى نهاية إقامتهما في العاصمة الكاتالونية.

قرر الأيووان إرسال رودريغو وعوشالو إلى مدرسة بريطانية عميلة هي كوليجيو كيمزمتون. كان مدير المدرسة السيد بول جابر من أهالي مقاطعه يوركشاير، درس الحقوق في جامعة كيمرج واشترك مع غارسيا بارتشا في بعض الأمور: فقبض افتتاح مدرسته في برشلونه كان يعيش في المكسيك. وكما هو شأن أبناء تلاميذه المشهورين، فإن غارسيا ماركيز كان يميل إلى السعرة التي لم يكن حابلاً بطبقها وهو الإنكليزي القح "بني لم أعمره كثيراً من الاتباه، فهو لم يكن معروفاً على نطاق واسع في تلك الأيام. وكان دمثاً بما فيه الكفاية، إلا أنه يميل إلى العدوانية.

أعتقد أنه كان متحملاً على الإنكسار. لكن ما الذي يجعله غير راضٍ عن فضائل الشعوب الأخرى، أعني، ما الذي يجعله يصب شراب الشعير في كأس الشراب الفرنسي الأحمر؟.. أنه جيد، كما يقولون؟ ماذا؟ جيداً مثل ثيرباتس؟ يا الله! من قال هذا؟ أعتقد أنه هو الذي قال ذلك"⁽⁹⁾

كانت صلاته بأكبر محررين في برشلونة هما كارمن باليسيس وكارلوس بارال، أحد مؤسسي دار نشر سيكس بارال. كانت علاقة غارسيا ماركيز ببارال مقصية عليها منذ البداية. فبالرغم من أن بارال بذل جهوداً أكبر من غيره في الترويج لانتعاش الرواية، فإنه هو أيضاً الرجل الذي، كما قيل، "فاته"، في سنة 1966 أو "فقد" رواية مئة عام من العزلة، مما يشكل، إن كان صحيحاً، أكبر سوء تقدير في تاريخ الشر الإسباني. أما باليسيس، فكانت عني العكس، وبلا أدنى شك، كانت أهم صلة لغارسيا ماركيز في برشلونة وأهم امرأة في حياته بعد لويسا ساسياعا وميرثيديس. وقد بدأت التفاوض لتحرير لعقود لبارال في مطبع عهد الستينيات من القرن العشرين، ثم استقنت نفسها. "عندما انطلقت في عملي لم أكن أعرف شيئاً. فالعالم منتشر في كل مكان، وكذلك الغنيات الجميلات. شعرت أنني أشبه بامرأة ريشة عند انغماره بمن. لكنني أصبحت في نهاية الأمر وكان أول روائي هو ماريو فارغاس يوسا ونوريس غوينيسونو، لكن غارسيا ماركيز هو الذي ساندني مساندة حقيقية"⁽¹⁰⁾.

وهكذا، بات غارسيا ماركيز في موضع القادر على إدارة شؤون شهرته وتأليف كتابه التالي بعد أن تولت ميرثيديس إدارة البيت (قال للصحفيين "كانت ثمجي مصروف الحبيب لشراء الحموى مثلما كانت تمنحه للولدتين"⁽¹¹⁾)، وتولت كارمن إدارة أعماله وبغية شؤونيه، وهو ما أقست عليه إقبالاً شديداً أول الأمر حتى تحول إلى تفانٍ في ما بعد. ولم يمتد وقت طويل حتى أدرك غارسيا ماركيز أن العالم كله قد دان له الآن. ونشاء عاداته في الاتصال الهاتفي أن تصل مستويات يتعلم تصورها: فقد كان يصل يومياً مع كمن يريد الاتصال به في أي منطقة استراتيجية - كولومبيا، المكسيك، كوبا، فنزويلا، إسبانيا وفرنسا - أو في أي مكان آخر في العالم في غضون لحظة واحدة. أما في ميدان العمل، فإنه لم يكن

مصطراً إلى متابعة الاحتمالات أو إطلاق المبادرات أو البحث عن المكاسب، فالعالم هو الذي سيأتي إليه من الآن فصاعداً من حلال كارم. وإذا كان ذلك يحتاج إلى قدر من التكيف فإنه قادر على تحقيقه.

يكسر جزء من عملية التكيف في توضيح العلاقة - ليس في الأقل لنمسه بين ميولوجية رواية مئة عام من العزلة، والأسد الميت، ومشروعه الراهس خريف البطيرسك كان من شأنه أن يُعَلِّد اسمه بفضل رواية مئة عام من العزلة حتى لو لم يكتب أي رواية أخرى من بعدها، لكنه لم يرقه الحديث عنها: فقد أراد أن يركز على الرواية الجديدة. وهكذا بدأ يقول للصحافيين إنه بات ضحراً من رواية مئة عام من العزلة - قدر ما كان يضجر من أسئلهم العبية - ووصل به القول، وبما للهول التشيع، إلى أن الرواية سطحية وأن بحاها يرجع إلى حد كبير إلى سسله من حيل الكاتب⁽¹²⁾. باختصار، يبدو أنه كان يريد القول إنه ليس ساحر حقاً، إنما مشعوذ موهوب.

الواضح أن عارسيا ماركيز كان على حق من ناحية ما. مرواية مئة عام من العزلة تحتشد حقاً بالخيال - وهي لا تحتشد بأعمال الشعوذة والسحر كالتي أُحِبَّ الفراء حباً حمياً في رواية ألف ليلة وليلة (التي أدنت بظهور ميلكيادس وموضوعاته واستراتيجياته ذات الصلة) وحسب، بل بتقنيات الخدانة أيضاً التي كتبت بمشقة، والتي سمحت للمؤلف بأن يتأى بعسه عن الاستعراق في رواية البيت، فتتخلل منها في الهواء الموحس - الأدبية وتلك التي تتصل بالسيرة أيضاً التي اشعر بها طوال حياته⁽¹³⁾. لكس وراء هذا كله، يكمن بعداً آخر بلا ريب هو بُعد خيبة الأمل والاستياء أيضاً. إن رواية مئة عام من العزلة تبدو الآن وقد سرت من البيت كما سرت الماضي أيضاً، ولم يعد في وسعه الرجوع إليهما الآن، بل لم يكن رغباً في معرفة ذلك⁽¹⁴⁾.

وهناك سبب آخر دفع عارسيا ماركيز ليصدر رد فعله ضد رواية مئة عام من العزلة ألا وهو قضية الشهرة بكل ما تطوي عليه من ضغوط ومسؤوليات وتوقعات⁽¹⁵⁾. لقد كان في هذا يجمع بين مومعين متصادبين، بل كان مسافقاً في بعض الأحيان، لكن ليس ثمة شك في أنه - بل جزء كبير منه - بدم منذ البداية وحرن

على ذلك. وكما هي حال الكثيرين ممن سبوه، فقد كان يصبر إلى المجد، إلا أنه كان متردداً في دفع الثمن. وبهذا حررته الرواية من الماضي المؤلم، لكنها حكمت عليه أن يحيا مستقلاً معقداً. ولهذا، فإن قصة بقية حياته ستكون قصة إنسان استحق الشهرة التي يعم بها الآن، وعليه يعد ذلك أن يتعلم كيف يتعايش معها، وأن يتحمل التوقعات والمسؤوليات، وأن ينتصر مرة أخرى (على الشهرة والحاح هذه المرة)، وأن يواصل انتصاره مع كل كتاب⁽¹⁶⁾.

استناداً إلى هذا الرأي، فإن رواية مئة عام من العزلة تمثل عسى ما يبدو محور حياة غارسيا ماركيز: نهاية ماكوندو (عالمه السابق الذي لم يتمكن من استيعابه) وبداية ماكوندو (بعد أن تحقق الآن تقلدها الناجح وأصبح ورائه)، ونهاية صالة شأنه وعدم شهرته وبداية "سلطته" (كما سترسخها رواية خريف البطريق)؛ ونهاية حقبة حدثاته وبداية حقبة ما بعد حدثاته. وإذا ما نظرنا عنظار أوسع فإن رواية مئة عام من العزلة تمثل أيضاً محور أدب أميركا اللاتينية في القرن العشرين، ورواية القدرة الوحيدة التاريخية العالمية والمتفق عليها عالمياً بلا مازع. وعنظار أكثر اتساعاً أيضاً، وهذا صحيح، فإن الرواية جزء من ظاهرة علمية تؤثر إلى نهاية "الحداثة"، ووصول العالم الثالث في حقبة ما بعد الاستعمار وأدابه إلى المسرح العالمي (من هنا تأتي أهمية كوبا وكاسترو)، ونهاية حقبة بدأت برايلييه (وتوديع العصور الوسطى لمحاء نظرهما العالمية) وترسخت بثر باتنس، ولكن أعلنت عن هانتها رواية يوليسيس، وبممكن القول إنها تأكدت برواية مئة عام من العزلة⁽¹⁷⁾. ما من أحد يجد سهول في التكيف مع فكرة؛ بل احتمال تلك الدرجة من الأهمية التاريخية.

* * *

قامت الأسرة بأول زيارة لها خارج إسبانيا في شهري نيسان وأيار عام 1968 فتوجهت إلى باريس وإيطاليا حيث كان جيانجيا كومو فيلترنلي يشر أول طبعة من رواية مئة عام من العزلة بلغة أجسة. وكان الإصدار حدثاً ومشهداً إعلامياً رفعا من مكانة الشخصيات الأدبية. لكن بالرغم من أن فيلترنلي قدّم عرسا ماركيز على أنه دون كينجوتو الحديد، إلا أن هذا كان وماً لكلمته ورفض أن تكون له أي صلة بإصدار الرواية أو بالدعاية لها لقد راود غارسيا ماركيز شعور

قوي بأن الناشئين يستعملون الكتاب، وأن عني هؤلاء أن يعالجوا العميات النهائية في الأقل من الإصدار: "إن المخرجين لا يساعدوني على تأليف كتبني، إذاً، لماذا يتعين علي أن أساعدهم على بيعها؟"⁽¹⁸⁾

انتهت تلك الرحلة الأوروبية في الوقت نفسه الذي اندلعت فيه الأحداث الثورية في باريس في شهر أيار عام 1968، لكن ددراً ما أشار عرسيا ماركيز إلى هذه الظاهرة التاريخية الهامة، على حين أسرع كارلوس فويشس وماريو هاراس يوسا بالسفر إلى باريس ولاشراك فيها. كما أن فويشس كتب تحقيقاً وتحليلاً مشهوراً عن التمرد الماشل الذي شهدته بأمر عينيه بصوان باريس. ثورة أيار⁽¹⁹⁾. لكن على حجة أمل عارسيا ماركيز التي لا ترقى إليها شت لما ألب إليه الأحداث، فإن ثقته كانت صعبة بقدرة البرجوازية الفرنسية، وحتى بقدرة شبيته الصلابة، على تغيير بلد وثقافة، هو شخص لديه تحفظات كبيرة بشأنهما، كما أن أنظاره كانت لا تزال معيقة على أمركا اللابية. ومع هذا، فقد قرر العودة إلى باريس خلال الصيف، وفي النهاية، أفصح لسينو مسدوتا عن مشاعره:

انخلعت باريس مني وأصبحت كأنها شظية انغرست في قديمي، وانقطعت آخر الخيوط التي تربطني بالفرنسيين. إن تلك الدقة وتلك القدرة المدهشة على المبالغة في توصيح الأمور الدقيقة شاعب الآن. لكن الفرنسيين لا يدركون ذلك. لقد وصلنا إلى هناك وكانت حجارة رصف الطريق لا تزال محطمة في أعقاب المعارك التي شهدتها شهر أيار، وقد انطبعت تلك المعارك في أذهان الفرنسيين انطباعاً قوياً، وحلل سواق سيارات الأجرة والخباز والبقال تلك الأحداث تحليلاً مرهقاً وأعرقوا في حمى العقلانيات، وبركونا بانطباع مفاده أن ما حدث كان نتيجة تصادم الكلمات يا له من أمر ينير الحق إن قدرتي هو أن أكون مضارع ثيران، ولكي لا أدري كيف أنعمت معي. وقد اضطرت إلى اللجوء إلى شقة تاتشيا المراجعة توجة رواية منة عام من العزة لقد أصبحت لأن سيدة محترمة متزوجة بزوج راق يتكلم سبع لغات بطلاقة لا تكشف عن أي بكة. وفي أول لقاء لنا، عقدت صداقة قوية مع ميثيديس أساسها القامر صدي⁽²⁰⁾.

صحيح. فقد التقى عارسيا ماركيز نادسيا ثابتة، وكانت قد عاشت بصع سنوات برفقة تشارلر روسوف، المهندس الفرنسي المولود عام 1914 والذي هاجر

أبواه من روسيا بعد إحقاق انتفاضة 1905. وقد عاد أبوه إلى البلاد مرة أخرى عام 1917 للانضمام إلى صفوف الثورة، لكنه تركها مرة أخرى عام 1924 بعد أن حاب طنه في أعقاب وفاة ليين. وكانت لاتشيا علاقات عابرة قبل مائتي روسوف، ولكنها لم تكن أي قصة حب جديدة بالرغم من أن بلامس دي أوتيرو جرى وراءه في باريس وحاول دكاء علاقتهما المضطربة. ومن المفاقات أنها التقف الرجل اندي تزوجته من خلال بلامس وذلك عام 1960. لكن عارسيا ماركير طهر في حياتها من جديد الآن عام 1968. "التقينا في شفتي في باريس. كت عابة في انونر، وتصرفنا تصرفاً سيئاً ونحدث حديثاً صافياً، لكن المناسبة كانت صعة جداً، متونة جداً لكننا نمكنا من التصرف وكأنا ما من شيء حدث بيسا، وواجهنا الأمر بحسارة".

كان عارسيا ماركير لا يزال في باريس لدى عمرو الجيش السوفيالي تشيكوسلوفاكيا في الحادي والعشرين من اب مهدف قمع حكومة الإصلاح الاشتراكية، أو "ربيع براغ" بقيادة ألكزاندر دوبتشيك، وهو الذي انتخب مؤخرًا ليكون السكرتير الأول للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي. كانت تشيكوسلوفاكيا تمثل لعارسيا ماركير قصة أشد خطورة من الأحداث التي جرت في باريس لأنها بدأت تكشف عن أن الشيوعية السوفياتية عاجزة عن انتطور. وقد لسيو ميلوث: "لقد امار عالمي، لكنني أفكر الآن، في أنه ربما يكون أفضل على هذه الحال. إن الكشف من دون محييص عن أنا نفب بين إمريالينج تسلاويان في الفسوة والجنح بما هو، بمعنى من المعاني، تحرير لصمير المرء... لقد أرسلت مجموعة من الأدباء رسالة إلى فيدل وبشرها صحيفة لأوبرفانور يقولون فيها إن دعمه العرو السوفيالي كان أول عنطة بالغة الخطورة تركبها الثورة الكوبية. وهم يريدون أن يوقع على الرسالة، لكن ردنا كان واضحاً تمام الوضوح: إنه غسيلنا العسر وسهتيم نه داخل البيت. لكن الواقع هو أنني لا أظن أن عمية العسيل ستكون سهلة"⁽²¹⁾.

أثبت عدم 1968 أنه أشد الأعوام التي عقلت في الذاكرة اضطراباً ففي شهر كانون الثاني استأنمت كولومبيا علاقتها الدبلوماسية مع اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية للمرة الأولى منذ عشرين سنة. كما رار البابا بولس السادس

البلاد في شهر آب، وهي أول زيارة بابوية إلى أميركا اللاتينية (كان قد تمّ توقع مثل هذه الزيارة في قصة جنازه الأم الكبير)، واغتيال مارتين لوتر كنغ في ممفيس في تيسان واغتيال بوبي كينيدي في لوس أنجلوس في حزيران، وفي الشهر نفسه أُطلقت النار على أسدي وارمول في مدينة نيويورك، وتظاهر رجال الشرطة في شيكاغو لدى اجتماع الحزب الديمقراطي في شهر آب، وانتخب ريتشارد نيكسون رئيساً في تشرين الثاني من دون مساعدة عمالية. كما بعد اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية عروء تشيكوسلوفاكيا بمساعدة كوبا. وفي مطلع شهر تشرين الأول قتل الجيش المكسيكي مئات المظاهرين العزل في تلاتيلولكو في مدينة مكسيكو، وذلك قبل أن تُعقد أول دورة للألعاب الأولمبية في العالم الثالث. كل هذه الأحداث تجري وغارسيا ماركيز يحتمي نفسه بعيداً في برشلونه ومع الطيريك الورقي بالرغم من كونه يعيش في ظل دكتورية حقيقة⁽²²⁾.

أما بخصوص إسبانيا، فإن غارسيا ماركيز لم يهتم إلا اهتماماً قليلاً جداً بسياسة البلاد حتى طس عدد كبير من الناس في برشلونه أنه "غير سياسي". وخلال وجوده في المدينة حدث اعتصامان كبيران ملّورا المعارضة ضد نظام فرانكو، وشارك فيهما عدد كبير من أصدقائه من ضمنهم ماريو فارغاس يوسا وكل عضو رئيس من أعضاء "اليسار الرائع"، لكنّ غارسيا ماركيز لم يشارك فيه. تقول بياتريس دي مورا بعد ثلاثين سنة: "كان عابو في تلك الأيام غير سياسي تماماً، فأنت لا سمعه يتحدث في السياسة وكان يستحيل أن تعرف ما هي أفكاره. وبما كانت نقضيه التقاليد أن يكون المرء متزماً سياسياً في تلك الآونة. غير أن عابو لم يكن متزماً"⁽²³⁾.

غير أن للروائي جوان ماركيز دكرات مختلفة عن غارسيا ماركيز غير السياسي. ففي أواخر صيف عام 1968 كان ماركيز عضواً من أعضاء لجنة التحكيم الأحاب الذين وجهت إليهم الدعوة لمح جوائز أدبية في المسابقة الرابعة للاتحاد الوطني للأدباء والعنابن في كوبا، ولما اتضح للسلطات أن جائزة الشعر ستسمح إلى الشاعر هيربيرتو باديا المتهم مناهضته الثورة وأن جائزة المسرح ستسمح للكاتب المسرحي منلي الحسن أنطون أروفا، تفجرت أزمة واحتج أعضاء اللجنة في

كوبا لصعوبة أسابيع. وكانت تلك الحادثة بداية الصراع بشأن حرية التعبير التي ستغير بعد ثلاثة أعوام من الثورة صورة كوبا أمام العالم تعبيراً كساً، وبخاصة في أوروبا والولايات المتحدة وتُكَبِّقُ بقطيعة نصف إعادة وصلها بين العديد من الأدباء من جهة، وبين ما كان يعتقد حتى تلك الأيام أنها ثورة اشتراكية لبرالية إلى حدٍّ معقول وأصراً أعضاء لجنة التحكيم على آرائهم واضطرت السلطات إلى إقناع بعضها بنطح "تخدير صحي" في الكتابين لدى نشرهما. وبعد ستة أسابيع من البقاء في كوبا كان خلافاً فيدل كاسترو ينتظر بلا طائل من أعضاء لجنة التحكيم أن يعبروا رأيهم، عاد مارسية إلى برشلونة في أواخر شهر تشرين الأول وروى ما جرى لمجموعة من الأصدقاء في إحدى الحفلات، وكان من ضمن أولئك الأشخاص عارسيا ماركيو نفسه. أخبرني مارسية ذاتلاً: "محت اللجة الحائرة لناديا لأن كتابه كان أفصل الكتب جميعاً. أما اتحاد الأدباء في كوبا. فقال إن الكتاب ليس هو الأفضل، والمؤكد أن الاتحاد وصلته رسالة من الجهات العليا بذلك الشأن. حقاً لقد تبين أن ناديا كان رجلاً غريباً ومحرراً ومخبولاً. لكنني حتى لو علمت بذلك، لم عثرت رأيي، لأن كتابه كان أفصل الكتب، وتلك هاته الحكاية، على كل حال، رجعت إلى برشلونة فأقامت كارمن حفلة لي، وبذلك رويت قصتي. يمكنني أن أشاهد عابو الآن وقد لف عنقه بحديد أحمر اللون وهو يحطو جيئة وذهاباً بيما أنا أشرح ما حدث. كان حافقاً عليّ، عاضباً حقاً. وقال إني أبنه، وإني لا أفهم أي شيء عن الأدب، وإن فهمي السياسة أقل من فهمي الأدب إن السياسة تأتي في المقدمة دائماً، ولا يهم إن شئت جميع الأدباء. كان ناديا ابن ربي اشتعل عنبلاً للشيء أي إبه، وما كان ينبغي علياً أن تمنحه الحائرة قط. إنه لم يُسِنِ إليّ، لكنه أوضح أن يعيش في عالمين ثقافيين وأخلاقيين مختلفين كل الاختلاف. وبعد ذلك أصبح صديقين، لكن شعوراً يداخلي بأن الأمور لم تعد كما كانت من قبل، وبخاصة من ناحيته" (24).

إن الشيء الذي لم يعرفه مارسية هو أن عارسيا ماركيو الذي كان يستشعر فطرياً الخطورة التي ستكون عليها هذه مشكلة، أيد التعامل معاملاً مباشراً من وراء الكواليس مع كاسترو بخصوص مشكلة ناديا. وفي أواسط شهر أيلول رار زيارة

مطولة مدينة باريس لرؤية حوليو كورتاتار الذي كان يرأسه، وإن لم يتمكن من لقائه. كان كورتاتار قد انفصل نواً عن زوجته الأولى أورورا بيرارديت، وكتب رسالة تقبص الصلر إلى باكو بوروا في بونيس آيرس، وقال فيها إن نقطة انصواء الوحيدة المرافقة فيها كانت لقاءه بعارسيا ماركيز: 'أريدك أن تعرف أنني التقيت بغابرييل ومكنت معي يومين آخرين. لقد وجدته هو وميرثيديس مدهشين إن الصداقة تطلق مثل نافورة ماء عندما تصلك الحياة بأشخاص من البشر'⁽²⁵⁾. وناقش الرجلان الرضع الكروبي ماقصة كافية لأفهما هما اللذان سيؤيدان لثورة بالتالي تأييداً تاماً في الأسراء والصراء، ويهدد بإيادان بنفسيهما عن معظم معاصريهما، وبالتالي عن أكثرهم شهرة مثل فارغاس يوسا ودونوسو وكاريرا إيهاني وعوتيسولو وحتى بونيس نفسه. ويرغم عارسيا ماركيز أنه هو الذي افترح الاتصاف سرّاً بفيدل وذلك بإرسال رسالة مشتركة إليه، وإن كان كورتاتار يؤكد أن تلك المبادرة مبادرته. كانت المفكرة في جوهرها تقتضي مشاهدة فيدل سرّاً ألا يعاقب بادياً لقاء سكوتهم. ولم يصح أي رد. لكن بادياً الذي كان قد أعفي من وظيفته في دار نشر كاسا دي لاس أميريكس أُعيد إلى العمل. وفي سنة 1971 تنصهر القصيدة كلها مجدداً لكن الناس من أمثال فرغاس يوسا وخواك غوتيسولو وسيبو ميدونا كانوا قد أوا بأنفسهم عن كوبا في سنة 1968 ولم تعد الأمور كما كانت عليه سابقاً أبداً

سافر عارسيا ماركيز في الثامن من كانون الأول في مهمة استثنائية إلى براغ لمدة أسبوع، وكان معه صديقه الجديد حوليو كورتاتار وصديقه كورتاتار الجديدة الأدبية والمترجمة اللتوانية أوجي كاربيس التي كانت تعمل في دار نشر عالمياري الداريسية الكبرى، فضلاً عن كارلوس فوينتس. كانوا يصون إلى اكتشاف ما يحدث حقاً في لعاصمة التشيكية المحنة حديثاً ويريدون التحدث إلى الروائي ميلان كوبديرا بخصوص الأرملة⁽²⁶⁾. وبحسب ما قاله كارلوس فوينتس، فإن "كوبديرا طلب منا أن يلتقي في حمام سونا على ضفة النهر ليحبرنا عما حدث في براغ. يسو أن ذلك المكان كان واحداً من الأماكن القليلة التي ليس فيها لاجندراد آدان.

لثة مستحة كبيرة في الحيد حملتنا على التحفيف من مشاعرنا وإعادة تشييط دورنا. ودفعنا ميلان كوبديرا برهي نحو ما لا يمكن إصلاحه. وبون يشبه لون زهرة

الأوركيدا البمسجية، غمرها أنعسا، أنا والعامد من بارنيكيا والعامد من فيراكروز، في ذلك الماء الغريب جداً عن جوهرنا المداري⁽²⁷⁾.

بالرغم من هذه المعامرات، فإن الصورة الطاعية التي ظهر بها عارسيا ماركير في تلك الاونة، كانت صورة نطل مستوحدا ارتطط بإحساسه الناطقي ارتطط الكرة بسلسلة من حديد لكن بالرغم من ذلك، بدا محروماً من الإهام، جوالاً في دهاير بيته المخلفة وقاعاته احاوية (إنه يسكن في شقة صغيرة أشبه بالمواطن كين في إحدى الروايات الخيالية، أو أقرب إلى بابا همغواي الذي لا يملك سوى رصاصات أدبية فارعة بدلاً من رصاصات حية). حقاً، كان بعيداً عن الانترامات البيئية في أثناء تأليفه رواية خريف البطريق تماماً مثلما كان بعيداً عنها عند كتابته رواية مئة عام من العزلة. ومع هذا، فإن عديده كان مضاعفاً بلا شئ، بالرغم من المشهد لمخترك غالباً لعديده الداخلي الذي يكرر عرضه على صفحات الصحف في جميع أرجاء أميركا اللاتينية.

بعد برهة من الزمان، راح عارسيا ماركير يرور مكتب كارمن بالسيسير الساعة الخامسة والساعة السابعة من مساء بضعه أيام في الأسوع، وذلك ليحفظ فيه آخر ما يكتبه من رواية خريف البطريق. وكان قسم المحفوظات في المكتب قد بدأ يتسلم أقساماً كثيرة من الرواية من الأول من نيسان عام 1969 وظل يتسلمها حتى شهر آب عام 1974 وعليها تعليمات صارمة معادها: ليست للقراءة ولاستعمال هاتهما بلا حدود لصفقاته التجارية ومهامته المؤقتة على أسرار. وقد أدى هذا إلى إبعاد العمل عن البيت، وربما أفقد مونيديس من معرفة أمور يمكن أن ترعجها، ليس أقلها الكميات الهائلة من ثروته الحديدية التي اختر أن يبددها طوال السنوات اللاحقة، وكذلك الأمور السياسية وغيرها التي أصحى بمرور الوقت مهمكاً فيها. كما قامت بالسيسير مقام الأخت التي في إمكانه أن يخبرها بكل شيء تقريباً، والتي راحت تحبه حباً شديداً يجعلها على استعداد للتضحية في سله. وقالت لي: 'بعد أن بقي مدة من الزمن في برشلونة جاء إليّ في يوم من الأيام وقال: استعدي، لدي عمل للسوبرمارك وكان يعني بكلامه، إذ هكذا كنت بالنسبة إليه حينها⁽²⁸⁾'. (و بالرغم من ذلك، لم تكن مماعة لسكنة في ما بعد. فقد

مرور سنوات سألها عارسي ماركيز في أثناء حديث هاتفني: أنغيبي يا كارم؟ فرددت عليه: لا يمكنني الإجابة عن هذا السؤال، فأنت تشكل 36.2 بالمئة من إيرادنا)

في غضون ذلك، كان الصبيان يتقدمان في السن. ويلاحظ عارسي ماركيز في فترة لاحقة أن العلاقة بين الأبوس والولدين أبي لا تعبر على مر القرون تعبر نعم جدياً في ستينيات القرن العشرين: فهذا الأبوان المتفان طلا شابين إلى الأبد، الأبوان اللذان لم يكونا حتى أكثر ساء كان عليه الناس متوسطو العمر. لقد أصبح رودريغو اليوم صانع أفلام ناجحاً في هوليوود، وأخوتي قائلاً: "إن أكثر ما أتذكره هو أننا بقينا بارعم من حياتنا الخافتة بالشايطات الاجتماعية أربعة أشخاص دائماً، أربعة أشخاص في العالم لا أكثر. كما عجلة بأربعة قصبان لا خمسة. وهكذا، فعندما رُق شقفي بطفل قل بصعة أعوام أصبت بالدهول، إذ لم أستطع أب أصدق أن هناك قصياً خامساً الآن. وكان ذلك بعد مرور سنوات طويلة على سكوني بعيداً عن البيت" (29).

ثم أضاف: "كنت أنا وشقيقي قد رصفت من حبيب أمنا، وفي ذلك عدد من الموائد الجوهرية. ثمة أشياء يتعين عليك أن تعرفها، أحدها أهمية الصداقة. ثمة تركيز هائل على الإعجاب بالآخرين وبحياقتهم. ذلكم هو دواء أسي. لا بد من أن تعرف عن حياقتهم وكل أعمالهم، وأن تشاركهم تجاربهم وأن يشاركوا في تجاربك. في الوقت نفسه نشأ نشأة بعيدة كل البعد عن الانحياز حلاً حالتين مهمتين. أولاهما، إن شعب أميركا اللاتينية هو أفضل شعوب العالم. هو ليس بالضرورة أدكى الشعوب، وربما لم يشيّد الشيء الكثير، ولكنه أفضل شعب في العالم، وأكثرهم إنسانية وكرمًا. وثانيهما، إذا ما حدث أيّ خطأ، فاعلم أنه خطأ الحكومة، وهي التي ينصب عليها اللوم دائماً، وإذا ما يكر السبب هو الحكومة، فاعلم أن السبب هو الولايات المتحدة. لقد اكتشفت منذ ذلك الوقت أن أسي يح الولايات المتحدة، وبكن الإعجاب المنجراثم، ويحمل مودة كبيرة بعض الأميركيين، لكننا في شأننا، كانت الولايات المتحدة هي التي تتحمل اللائمة على كل ما هو سيئ في العالم تقريباً. وعندما أتذكر ذلك أرى أن تربيتنا كانت تربية إنسانية جداً وصحيحة سياسياً، ومع

أنني عُمِّدت على يدي كاميلو موريس، فإننا لم نمتلك أي ثقافة ديدية. كان السياسيون أشراراً، وأفراد الشرطة أشراراً، وعناصر الجيش أشراراً⁽³⁰⁾. لكن هناك أموراً جوهرية أخرى. فإذا كنا لا نسمع إلا كلمة واحدة تتردد، فهي كلمة "الحد". فعلى سبيل المثال، كان والداي مفرتين جداً من حيث السلوك. إذ عليك أن تُغني الأبواب مفتوحة كي تمر السيدات، ولا يمكنك الكلام والطعام معاً فمك. كان الاعتقاد شديداً بالحد، وبالسلوك وبالذقة. عليك أن تحصل على علاقات جيدة، ولا يمكن لك أن تحصل على سواها. لكن عليك أيضاً أن تضع وقتك سدى، وعليك أن تعرف كيف ومتى تضعه سدى. بدت إضاعة الوقت سدى كأنها جزء من "الحد". وإذا وصلنا إلى القمة ولم نصنع الوقت سدى أكثر مما ينبغي، يحل علينا العقاب. شيان اثنان كانا يستحقان الاحترام حقاً: الخدمة؛ كأد تكون طيباً أو معلماً أو ما شابه، والأهم من هذا إبداع الأعمال الفنية. لكن المحفور في أذهاننا دوماً هو أن الشهرة ليست مهمة إطلاقاً، وكان يقول إنها ليست شيئاً جاداً. إذ يمكن أن تطلق شهرتك الآفاق، ولكنك تظل بالرغم من ذلك كاتباً ليس عظيماً. حقاً، إن الشهرة يمكن أن تكون موضع شك. فعلى سبيل المثال، قال لنا إن صديقه أليخاندرو مونتيس ونيو مونتيسو كانا كاتبين عظميين، لكن لم يسمع بهما أحد. من ناحية أخرى، رافا، عن لولدان، أن شاهد والدنا وقد بات معروفاً بين الناس في الشارع⁽³¹⁾.

في تلك الآونة تقريباً تحلى غارسيا ماركيز عن التدخين بعد أن ظل مدمناً عليه منذ سن الثامنة عشرة. وفي الوقت الذي تحلى فيه عن التدخين كان يدخن عالياً ثنتين سيجارة يومياً من التبغ الأسود. وكان قد صرح قبل ذلك بعامين أنه يفضل المسود على ترك التدخين⁽³²⁾. وقد حدث ذلك التحول ذات مساء خلال تناول طعام العشاء مع صديقه الطبيب ألفسانو لويس فيودتشي الذي شرح له كيف أفلح هو شخصياً عن التدخين قبل شهر واحد، وسب ذلك. بقي غارسيا ماركيز غير راغب في البرح عن التماصيل الكاملة لذلك، للحديث على مدى أكثر من ثلاثة عقود من الزمان لكنه أطفأ عقب سيجارته التي كان يدخنها في أثناء العشاء، ولم يدخن مرة أخرى بالرغم من أنه استشاط غضباً بعد مرور أسبوعين فقط عندما بدأ لويس فيودتشي يدخن علنياً⁽³³⁾.

في العام 1970 أعلن في فرنسا أن رواية مئة عام من العزلة هي أفضل رواية أجنبية لعام 1969، وحازت على جائزة استحدثت أول مرة في عام 1948. غير أن غارسيا ماركيز رفض رفضاً باتاً حضور المائدة. وبعد مرور بضعة أشهر تحدث في مقابلة صحافية فقال إن 'الرواية لا تناسب فرنسا'، وإلّا لم تحقق مبيعات جيدة جداً بالرغم من المراجعات الجيدة التي كتبت عنها. ولعل السب يكمن، بسوء الحظ، في أن "روح ديكرات هربت روح رابليه" في فرنسا⁽³⁴⁾.

غير أن الوضع، وبالمعارقة، كان مختلفاً اختلافاً شديداً في الولايات المتحدة، إذ لم يسن أن حصلت أي رواية في التاريخ الحديث على تقريظ مفرط أكثر من التقريظ الذي بدأ يحصل على غارسيا ماركيز هناك. وكتب جون ليونارد في صحيفة ذا نيويورك تايمز بوك ريبيو:

إنك لتخرج من هذه الرواية المدهشة خروجك من حلم. متقد الذهن. رجل شاب أصغر البشرة قرب الموقد. نصف مؤرخ. نصف عرّاف، يصوت ملائكي نارة، وممسوس قارة أخرى، يهدد أولاً قبضت كي تغفو وهي ممسكة بواقع لا سبيل إلى السيطرة عليه، ثم يسحبك داخل الخرافة والأسطورة. وبقفزة واحدة يقصر غابرييل غارسيا ماركيز نحو المسرح برفقة غتر غراس وفلاديمير نابوكوف، شهية هائلة يحجم خياله، قدرته أكثر من كليهما مذهل⁽³⁵⁾.

ثم جاءت لندن بعد ذلك في السادس عشر من نيسان. وفي شهر حزيران حصصت صحيفة التايمز - وهي ركن المؤسسة، ومن بعض الأوجه، أشد الصحف المحافظة في العالم. ولم تسمح بشر الصور إلا مؤخراً - صفحة كبيرة كاملة لفصل الأول من رواية مئة عام من العزلة أرفقته بعض الصور التوضيحية "المخترة" التي يمكن أن تكون قد سُرقَت من شريط هريك البث للرسوم المتحركة العروسة الصفراء.

وفي شهر كانون الأول أعلنت صحيفة نيويورك تايمز رواية مئة عام من العزلة واحدة من بين أفضل كتب السنة الاني عشر. وكانت هي الرواية الوحيدة من بين تلك الكتب، وعُدَّت النسخة الإنكليزية التي أبحر ترجمتها إلى الإنكليزية عبر عوي راباسا أفضل ترجمة أجنبية للرواية في ذلك العام.

أما بخصوص الكتاب، الآخرين من كتاب مرحلة الانتعاش، فقد اهتم ماريو فارغاس يوسا أكثر إلى إسبانيا في ذلك الصيف وكان قد فرع من تأليف روايته الثالثة حديث في الكاتالونية قبل عام واحد، وترك مهنة التدريس في جامعه لتلند منتقلاً إلى برشلونة. وأخذ أصدقائه يلقبونه بلقب الطالب العسكري، لا بسبب موضوع روايته **عصر البطل** التي تدور حول الأكاديمية العسكرية (1962) وحسب، بل لأن ماريو نفسه كان شديد التأنيق، مهنياً، حسن التنظيم، يسعى لفعل الشيء الصحيح نظرياً على الأقل، لكن الحدال غالباً ما كان يثار من حوله، إذ كان هد الشاب التقليدي على ما يبدو، متروجاً من قريته من الدرجة الأولى باتريشيا، ناركاً حلقه رواجه المخزي أيام مرافقته من عمته، الذي سيجعله في ما بعد موضوع روايته **العمة جوليا** و**كتاب النصوص**. وفي غضون ذلك، كان مشروعه الآخر، وهو دراسة في أدب غارسيا ماركيز السردية تحو منحى السيرة، من أكثر لأعمال المدهشة وفاءً وكرماً في الأدب التي يخصصها أديب كثير لآخر. وعنوان هذا الكتاب هو **غارسيا ماركيز: قصة قاتل إله**، ويظل حتى اليوم، وبعد ثلاثين سنة على تأليفه، مرجعاً رئيساً، حتى وإن قال عديد اسقاد إنه حوّل الكولومبي إلى أديب له صفات ماريو وهو أوجه.

ثمة روايتي مقيم بدوره وهو روايتي التشيلي حوسيه دونوسو المصاب برهاب المرص، وكان غارسيا ماركيز قد التقاه في منزل كارلوس فويتس عام 1965. وكان دونوسو العصور الخامس في عصر انتعاش الرواية (المكافئ للعضر الخامس في فرنس الشتر العالي) وهو روايتي كتب روايته مدهشة بعنوان **طائر الليل الداعر** (1970). ثم كتب دونوسو بعد ذلك يوميات عن تلك المدة الزمنية في كتابين مهمين هم **تاريخ شخصين عن فترة الانتعاش** (1972) وروايته **الحديقة المجاورة** (1981)، ويلفي فيها نظرة ساحرة - وغيرة - على العلاقة بين كارمن بلسيس (نوريا مونكلوس) و(36)كانتها "المعصل" غارسيا ماركيز (مارسيلو تشيربوعا).

وقرر بليسيو ميسدونا وروجه مارييل موريو الانتقال إلى ما وراء محيط الأطلسي حيث سافرا أولاً إلى باريس ومنها إلى ميورة³⁷. عاش عيشة متفشعة إلى أبعد الحدود وبدأ يرور برشلونة في أغلب الأحيان بفضل ثروة غارسيا ماركيز، إلا

أنه وجد الأمور الرجبية والمهادنة في شارع كابوتانا "تلك السيدة المشهورة المتشاختة ذات انغلاق للؤلؤة"⁽³⁸⁾.

في هذه الآونة التقى عارسيب ماركيز بابلو نيرودا وروحته متيلدا. كان نيرودا شاعر أميركا اللاتينية الأعظم، شيوعياً على الصرار، ولكنه كان صاحب مزاج، محباً للمدب الحياة، ولا بد من أن ألفارو موتيس الشهير في امرق نفسه كان يحسده على تلك الحياة ويعجب به. كان نيرودا أديباً آخر من أدباء أميركا اللاتينية الذين يصابون بالذعر من السفر جواً، وكان يوماً ما في طريق عودته بحراً من رحلة قام بها إلى أوروبا لحضور الانتخابات التي ستجيء بلرشف الاشتراكي سلفادور آلندي إلى الحكم. وكان أحد القرارات الناجحة الأولى التي اتخذها آلندي هو جعل نيرودا سفير تشيلي في باريس في عام 1971. ولما توقفت سمية نيرودا في برشونة في صيف العام 1970، كان أحد أهدائه الرئيسة لقاء غارسيا ماركيز⁽³⁹⁾. وقد كتب غارسيا ماركيز بعدئذ رسالة إلى ميدونا يقول فيها: "من المؤسف أنك لم تلتق نيرودا. لقد أحدث هذا المعون ضجة كبرى خلال طعام العشاء مما دفع متيلدا لأن تبعث به إلى الحميم. وقد دفعه من خارج إحدى السوافذ وأتى به إلى هنا ليستمتع بميلولة. وقبل عودتهما إلى السمة استمتعا بوقتاً استمتعاً مدهلاً"⁽⁴⁰⁾. كانت تلك المناسبة هي التي قدت نيرودا الذي لم يكمل قيلولته المهمة جداً إلى أن يهدي كتاباً ميرثيديس. وينذكر عارسيا ماركيز المناسبة فعول: "قالت ميرثيديس إنها ستطلب من بابلو توقعه، لكنني قلت لها: لا تكوفي مداهة إلى هذا الحد. ثم ذهبت واحتفيت في الحمام... فما كان منه إلا أن كتب: إلى ميرثيديس، وهي في مراشها. ثم نظر إلى ما كتبه وقال: هذا الكلام يشبه الشكوك إلى حد ما. ثم أضاف: إلى ميرثيديس وعابو، وهما في مراشهما. ثم فكر وقال: هذه العبارة أسوأ من سابقتها. فما كان منه إلا أن أضاف إليها عبارة: أخوكما بابلو. ثم انصهر ضاحكاً وقال: لكن هذه العبارة ماتت الآن أسوأ بكثير، لكن ليس ثمة ما يمكن فعله بشأنها"⁽⁴¹⁾.

شهدت الأشهر القليلة التالية ذروة مرحلة الانتعاش إذ بدأت مسرحية كارلوس فويتس الأعور ملكاً وعُرضت أول مرة في مديه أفيرون في شهر آب

ودعا فريتش جميع أصدقائه لمشاهدتها وتم تنظيم رحته بالقطار من برشلونه إلى أفينيون وكان من ضمن المدعوين ماريو فارغاس يوسا وباتريشا، وكانا قد انتقلا نواً للسكن في العاصمة الكانالوية، وخوسيه دوبرسو وبيلار، وغابو وميرثيس مع اسهما. كما سافر الروائي الإسباني خوان غوتسولو، وهو عضو الشرف في حلقة أدباء فترة الانتعاش إلى باريس. كانت أفينيون تبعد مسافة أربعين ميلاً فقط عن قرية سايجون حاضرة إقليم خوليو كورتاتار في فاوكلوس. وأعد فريتش حفلة ليل للمجموعة وعدد آخر من المتكلمين لمشاهدة كورتاتار وأوغني كارميلي في الخامس عشر من آب. وطم كورتاتار من جهته وجبة غداء كبرى في أحد مطاعم المنطقة، وانتقل بعدها جميع أفراد المجموعة إلى بيته وأمضوا طوال فترة العصر والمساء هناك.

لأسباب عديدة، أهمها أن هذه هي المرة الأولى والوحيدة التي يجتمع فيها جميع أدباء مرحلة الانتعاش، وهي مناسبة اتحدت منذ ذلك الوقت طابعاً أسطورياً. لكن لسوء الحظ كانت هناك مشكلتان تكمنان وراء ذلك ارح، أولاً كانت تكبر تدريجياً منذ قضية باديا الأولى في كوبا في عام 1968، وتعمقت بمسدة كاسترو ودعمه العزو السوفياتي تشكوسلوفاكيا. وتوشك المشكلتان الآن أن نصلا إلى مرحلة الأزمة، كما أن الثورة المهيمة بين الأصدقاء الستة توشك أن تصبح هوة غير قابلة للردم؛ لكن ليس الآن. كانت المشكلة الأولى ممثلة بقمع كوبا للكتاب والمثقفين. أما المشكلة الثانية المتصلة بها، فهي مشروع خوان غوتسولو لإطلاق مجلة جديدة يكون مقرها باريس ويكون عنوانها (لين) الحر، وهو اسم فكر العديد من أصدقائه المجتمعين معاً أهم مقتنعون أن هافانا ستطر إليه على أنه استغفار ودليل على أن مهندسي مرحلة الانتعاش كانوا عبارة عن مجموعة من الليبراليين "المورجواريد الصغار".

يكتب كورتاتار بعد أسبوع واحد من الحفلة: "كانت الحفلة جميلة جداً وغريبة جداً، شيئاً خارج الرمان، لا تتكرر، وداد مغري يهوتي"⁽⁴²⁾. كانت اللحظة الأخيرة التي يمكن فيها للحسين الجارف الطوباوي المؤطر بإطار مرحلة الانتعاش أن يستدام استدامة جلية بوصفه مشروعاً جماعياً. ومن المفارقة أن هذا

التجمع الحاشد الأول قد اتخذ شكل رحلة إلى المنزل المعرول الذي بقيم فيه كورتاتار الذي طالما تحب الأماكن التي تعج بالناس وبالبوهيمية المريفة، ولكنه لم يصبح اليوم عصباً في ملفها تماسكت برباط ذكوري عالياً وعلى نطاق واسع وحسب، بل تتجه نحو مشروعات جماعية من مشاريع الحلم الاشتراكي.

في الرابع من أيلول، انتخب سفاطور آليدي رئيساً لجمهورية تشيلي، وكان مفرراً أن يصّب رئيساً في الثالث من تشرين الثاني وأعدّ الشعب التشيلي باشرية كية ضمن الميراثية. لكن قبل تنصيبه رئيساً، أصيب قائد الجيش التشيلي ربيه شايدر إصابة قاتلة إثر هجوم عظمه السي أي أيه في الثاني والعشرين من تشرين الأول. كان عارسيا ماركيز قد التقى مؤخراً الأديب انتشيلي خورخه إدواردو، وهو الذي سيكتب لاحقاً سيرة بيرودا، وكان دوره في كوبا بوصفه سفير تشيلي، يتصل بالتيحة النهائية التي وصلت إليها قضية نادياً.

قل حول ايلاد بأسوع واحد، فاد كورتاتار السيارة برفقة زوجته أوعي من باريس إلى لشبونة عبر سايغون. وبعد وصوله ذهب جمع الأدباء وروحاتهم إلى مطعم المأكولات الكاتالونية لافوت دس أوسيت (حمام الطير) الواقع في الجزء القديم من المدينة. ويتبع المطعم نظاماً في تقديم الطعام يتلخص بأن يكتب الربائن طلباتهم من الطعام على قسمة مصنوعة، لكن الجميع كانوا منشغلين تماماً في الحديث حتى مرّ وقت طويل ولا تزال فيه القسمة حالية، فشكا المادل الأمر إلى صاحب المطعم. فما كان منه إلا أن خرج من المطبخ وهو يصيح بصوت كادالوني أحتر ملؤه السخرية بعارة طلت كلماتها حالدة: "ألا يعرف أحدكم كيف يكتب؟" وهذا لفّ الصمت المكان، صمت يكتمه الحرج والاستياء والمنعة. وبعد لحظة تكلمت ميرثيديس: "نعم، أنا أعرف كيف أكتب". ثم واصلت قراءة لائحة طعام ونظم الطلبات. كان هدوؤها الذي يجعي تحت ثورة عبيقة أسطورياً. ففي يوم ما انصلت بها بيلار قلقة لتخبرها أن دونوسو المصاب برهاب المرض، مقتنع كل الاقتناع أنه مصاب بسرطان الدم، فما كان من ميرثيديس إلا أن ردت عليها قائلة: لا تقفي. لقد أصيب عابو بسرطان في رأسه ولكنه شعبي منه الآن⁽⁴³⁾.

أمست المهرعة عشية الميلاد في شقة فارعاس يوسا الصغيرة كي يتمكن الأرواح من نقل الأطفال الصغار إلى الأسرة بسهولة. أما كورتاتار الذي كان يرمي كرات الثلج على الجميع بلا استثناء، فقد شارك في منافسة ضد فارعاس يوسا تتألف من سباق سيارات كهربائية كان الأولاد قد نفقوها هدية الميلاد. وبعد الميلاد، انضم لويس غوتيسولو وزوجته ماريا أنطونيا حفلة دُعي إليها الإسيان والأمير كيون اللاتيبون. يتذكر دويوسو عام 1971 وهو لا يزال محتفظاً بلباقته وحشمة: "أرى أن مرحلة الانتعاش انتهت بوصفها شيئاً - هذا إن كان شيئاً في يوم من الأيام خارج نطاق حبال الفرد، وإن كانت حقاً قد انتهت في العام 1971، وفي منزل لويس غوتيسولو في برشلونة مع مجموعة ترعمتها ماريا أنطونيا التي كانت تمثلها المهورات لنسة وترندي التابير متعددة الألوان والجرم السود وقرص فعيدي إلى الأدهن عودح ليون ياكست لشهرارد أو بينروشكا. كما رقص كورتاتار بلحيتة الجلدية ذات اللون الأحمر المتدرج رقصاً حيواً مع أوعي. كما رقص فارعاس يوسا أمام لصوف الدين أحاطوه حلقة رقصة فالس من بيرو، ثم دخل الحلفة بعد ذلك غارسيا ماركيز، فحار الاثنان على تصمق منقطع الطير وطلب الصيوف منهما رقصة مدارية. في غضون ذلك، كانت وكيلتنا الأديبة كارمن بالسبس تنكي على وسائل متفحة فوق أريكة وهي تنعق صلوع اللحم وتحرك محتويات البخه اللديدة، وتطعم مماعدة فيرناندو تولا وخورخه هيرالدي وسرجيو بيتول الأسماك العجينة الحاتعة التي رينت وهي داخل حوص ماء جذران العرفه. بدأ أن كارمن تمسك بكل الحيوط التي تدفع الجميع إلى الرقص كالدمي للحركة، وكانت تفحصها: ربما بذهشة، وربما بحوق، وربما غريغ من الاثنين، تماماً مثلما كانت تنصص الأسماك وهي ترقص داخل أحواصها. ودار أكثر الحديث في تلك الأمسية عن تأسيس مجلة اخر⁽⁴⁴⁾.

بعد أن رجع كورتاتار وأوعي إلى باريس في أثناء عواصف شجة في أواخر شهر كانون الأول، هدأت الاحتفالات رويداً رويداً. كان غارسيا ماركيز وميرثيس يروقهما دائماً أن يتطما حفلات رأس الة أكثر من ايلاد ولهذا، لقيت المجموعة الصغيرة المنتقية من ممثلي الانتعاش الترحيب في عام 1971. وم يعرف

أحد منهم إلا النزر اليسير عن أن هذه هي المرة الأخيرة التي يحملون بها أو يناقشون نقاشاً أعزياً معاً أي موضوع. فمرحلة الانتعاش توشك أن تنفجر من الساحل.

الأديب المستوحى يكتب ببطاء:
خريف البطريق والعالم الأرحب
1975-1971

بمحلول عام 1971، وبعد أن أمضى عارسيا ماركيز أكثر من ثلاث سنوات في برشلونه من دون أن يعرف من تأليف كتابه، قرر أخيراً أن يستمتع بإجازة بعيداً عن ضغوط الكتابة، ومضى إلى أميركا اللاتينية لتمضية تسعة أشهر فيها بعد أن شعر بالحاجة إلى أن يحس الأطلاع على عالمه من جديد. فآثر الذهاب إلى بارانكييا، لكنه كان قد أحرق الموسو هوبمايور في شهر آذار الماضي أنه ليس متأكداً إن كانت الأسرة ستدعه يرجع إلى قنص المدينة: فالونداك يختار حساً جارفاً إلى المكسيك ولم أدرك إلا الآن أنهما عاشا هناك مدة طويلة تعينها أشبه بماكوسو مما يدفعهما للسك في أطراف العالم بقية حياتهما، وكان المواطن العنصر الوحيد في المنزل هو أناء، لكسي لا أعيناً كثيراً دائماً⁽¹⁾. لكنه أهله، على كل حال، في إيمان أسرته المترددة بالبقاء بضعة أشهر في بارانكييا قبل زيارة المكسيك من جديد.

وصلت أسرته ماركيز بارتشا كولومبيا في أواسط شهر كانون الثاني. وفيما كان عارسيا ماركيز يعاد الطائفة في بارانكييا، انضم انضمام صغيرة ووقع إهمام يده مربي إلى الأعلى تجاه أولئك الذين جاؤوا للرحيب به. ويظهر في بصر وقد ارتدى الثياب الكاريبية - فميصاً مكسيكياً واشتمل حذاء لا كعب له من الجلد وبلا جورين - وبدا مثقلاً باهموم والمناعب، ممسكاً بخمس قطة الشاطئ والكربوهيدرات الرائدة في برشلونه، طويل الشعر - يشبه الأهارنة وهو ما كان يمر

ملك المرحلة فصلاً عن أنه اردهى بشاربه الذي أطلقه على طريقة ثاباما. أم ميرثيديس فكانت تنظاهر على ما يبدو من وراء نظارتها لداكة بأنها في مكان آخر، غير أن الولدين اللذين نادراً ما عرفا اللاد، فقد كات، لحماسه والجرأة ناديتين عليهما⁽²⁾. وخرجت الإذاعة والصحافة المحبة ساءً على تعليمات سارية، وهتف سائقو سيارات الأجرة عن بعد مسافة بأهم سيقولون عاينوا إلى ماكوندو لقاء ثلاثين بروس لا غير إكراماً للعهود الماضية. ومكر غارسا ماركر الذي أعلن قبيل مغادرته برشوية من أوز وهلة وعلى نحو فظ أنه داهب إلى وطنه، 'لتحضر من السموم'⁽³⁾ بأسلوب انجايي أكثر يشرح فيه ريارته، واتكر واحدة من عباراته المحددة عندما قال إنه اقتمى أثر أمه إلى الكاريسي بعد أن شتم "رائحة الغواصة"⁽⁴⁾.

انجعت الأسرة إلى منزل أنفارو ونيتا سيبيدا حيث كانا يقطنان يومذاك في منزل رائع أبيض اللون بين مركز المدينة ومطقة برادو، بالرغم من أن سيبيدا نفسه كان في مدينة نيويورك لإجراء محاضرات طبية. وتقرر أن تظل أسرة عارسيا بارتسا في منزل نيتا إلى أن تعثر على بيت أو شقة مناسبة. وسُمح للصحافي خوان غوسان بالحضور في أثناء تناول أول دفعة من الشراب وأصعبى إلى الحديث. أوضح عارسيا ماركير، كأنه يأثمهم عنى سر، اسبب الذي دفعه لهذه العودة السخية، إذ كان طوال حياته يرعب في أن يصبح أديباً ذا شهرة عالمية، وأنه تحمل سنوات من المؤس في العمل صحافياً يكتب التحقيقات الصحافية كى يعدو أديباً. والان، وبعد أن أمسى مؤلماً بكرس وقته كله للتأليف، فإنه يتمنى أن يكون صحافياً مرة أخرى، باحثاً عن الأحبار. وهكذا، فإن حياته دارت دورها الكاملة. "طالما أردت أن أصبح الشخص الذي لم أعده"⁽⁵⁾.

بعد مرور بضعة أسابيع لحق صحافي مكسيكي يدعى عيرومو أوتسوا عارسيا ماركير إلى الشاطئ في كارثاحيا حيث كان هو وميرثيديس واصبيان مستريحين تحت شجرة جوز هدي أثناء زيارته والديه. ركر الصحافي في مقاله الأولى على لويسا سانيغا وساعد على مدشين أسطورتها. وكى تحتفي بعودة أكبر أبنائها، عمدت إلى تسمين ديك رومي بكل حب:

قالت نانا: لكنني اكتشفت أنني لا أستطيع مجيء. ثم أضافت بثلث الرقة الغائبة التي تمزج أورمولاً وإغواران البطلة التي ألهمت في رواية مئة عام من العزلة: لقد أصبحت مفرمة به. كان الديك الرومي لا يزال حياً وفي حالة جيدة، واضطر عايستو لدى عودته، إلى لاكتفاء بمساء الحيوانات البحرية الذي يتناوله كل يوم منذ عودته إلى المدينة. هكذا هي لويسا ماركيز دي غارسيا إنفا امرأة لم تمشط شعرها ليلاً. لو أنني مشطت شعري فسيأخر البحارة. وعندما سألتها عن أكثر شيء يمكن أن يرضيها في حياتها ردت على الفور: أن تكون لها ابنة تصبح راقصة⁽⁶⁾.

كان المنزل الذي استأجره غايينو وميرثيديس يقع في ضواحي مدينة بارانكا في ذلك الوقت. كانت المنطقة مثيرة جداً لعونالو ويحتفظ بذكريات حلوة عن تلك التجربة. وبالرغم من أن والد الصبي رتب الأمور من قبل لإلحاق ولديه بالمدرسة، فإن الولد لم يندكر أبصوره رئيسة حادثة طريقة تنحصر بدحول قفاج كبيرة إلى البيت، مما كان مهم إلا أن تشتوا جميعاً عن تلك الزواحف لإبعادها عن بيوصه. ولكن، بالرغم من التحمس للعودة إلى المنطقة المدارية والعيش وسط أسرتين كبيرتين جداً في كارثانجيا وأرحوبا وشكة من أصدقاء جدد في نارانكيا، إلا أن الوندين كانا يدركان إضراكاً تاماً أنهما يحدران من مدينة مكسيكو. "حقاً كنت أنا ورودريغو متحصرين، ولم نكس تلك أي تجربة عن العالم الريفي، في حين أن والدينا كانا ريفيين وقس ذلك يحدران من منطقة مدارية. وقتلما أستطيع أن أتعرف إليهما عندما أشهدهما في كارثانجيا أو في هابانا. ويبدون متوترين نسباً في أي مكان آخر"⁽⁷⁾.

سافر غارسيا ماركيز وميرثيديس وحدهما إلى كاراكاس في الأسوخ الأول من شهر نيسان، إذ كان مهتماً بإعادة شحن بطارياته الكاربيية كي يولد كتابه الجديد حياً، لكنها كانت، من ناحية أخرى، رحلة رمزية بالبعني الحقيقي، وعودة إلى المكان الذي عاش فيه معاً أول مرة. ثم قاما بجولة حول الكاريبي. وكانت تلك الرحلة بداية عهد يترك فيه الألبان ولديهما وراءهما ويسافران في أرجاء العالم استجابة لالتزامات شهرة غارسيا ماركيز المترائدة وإغوائاتها.

وفي حين كان غارسيا ماركيز يحرق حول الكاريبي في شهر عمله الثاني، فإنه كان منشغل النال بمشكلة حدثت نواً في أكبر جرد الكاريبي، وهي مشكلة

ستجعل من هذه الرحلة آخر لحظة غير معقدة سبياً في حياته السياسية. ففي العشرين من شهر آذار، اعتقلت الحكومة الكويتية هيرتو باديا⁽⁸⁾ الشاعر الذي أحدثت قصائده عاصفة من الجدل في الجزيرة من حين إلى آخر في صيف العام 1968، وأدت إلى مواجهة عاصفة بين عارسيا ماركير وخوان مارسبه في برشلونة. فقد اتهم اشاعر الكوبي الآن بشايطات تخريبية مرتبطة بالسي أي آيه وفي الخامس من نيسان وقّع باديا في أثناء وجوده وهو في السجن على بيان طويل - يفترق إلى الأمانة كما يبدو - وجه فيه نقداً دانياً إلى نفسه.

بالرغم من أن عدداً كبيراً من الأدباء عاشوا في برشلونة، إلا أن باريس كانت لا تزال - من أوجه متعددة - عاصمة أميركا اللاتينية سياسياً. ففي التاسع من نيسان نظمت مجموعة من الكتاب المقيمين في أوروبا رسالة احتجاج موجهة إلى مدل كاسترو، مشرفاً أول الأمر صحيفة اليومود في باريس، فالوا فيه إهم بالرغم من مساندتهم "مبادئ" الثورة، إلا أنهم لا يمكنهم القول باصطهد الأدباء والمنقذين على الطريقة "الستالينية". وتضمنت الرسالة لائحة بأسماء عدد كبير من الأدباء منهم جون بول سارتر، وسمون دي موفوار، وخوان غويتيسولو، وماريو فارغاس يوسا (المحرض الرئيس للاحتجاج) وخوانو كورتادور، وبلينيو أبوليو ميلدوتا (المدان أصدر لاحقاً مجلة الحر مع غويتيسولو) و. غابريل عارسيا ماركير⁽⁹⁾

الحق أن عارسيا ماركير لم يوقع على الرسالة، فقد افترض بلينيو ميلدوتا أن عارسيا ماركير سيؤيد الاحتجاج، فوقع بالإجابة عنه، أما غارسيا ماركير، فقد طالب بشطب اسمه من اللائحة، لكن سبق السيف العدل وتصورت علاقته بكونها ضرراً بالغا، وأعقبها صعوبات لا تنهي مع جميع أصدقائه الذين التزموا بواقعهم: وكانت تلك هي أسوأ لنتائج، وأهم أزمة بلا أدل ريب في السياسة الأدبية في أميركا اللاتينية في القرن العشرين أدب إلى انقسام بين المنقذين الأميركيين والأوروبيين على مدى عقود تالية من الزمن. إن الأدباء والصحفيين لا خيار أمامهم سوى اتخاذ المواقف في هذا الصراع النقابي الشبيه بالحرب الأهلية. وم تعد الأمور كما كانت عليه في سابق عهدها، وليس أقلها العلاقة بين عارسيا ماركير وفارغاس يوسا التي ستنت الأيام اللاحقة أنها كانت أودح الخسائر وأشدّها ضحيحاً في هذه

الدراما السياسية. كما أنها الأكثر موارقة لأن سيكس بارال كانت نستعد في تلك اللحظة لطبع كتاب فارغاس يوسا بعنوان عارسيا ماركيث: قصة قاتل إله، الذي سيصدر في كانون الأول سنة 1971 بعد أن بدأت علاقتهما المشهورة تهدأ رويداً رويداً على وجه التأكد، ولم يسمح فارغاس يوسا بإصدار طبعة ثانية من الكتاب على مدى السنوات الخمس والثلاثين التالية⁽¹⁴⁾

وفي حين بدت ردود أفعال كاسترو عفيفة ومتحدية، فإن عارسيا ماركيث، الذي يذكره أصدقاؤه أنه في تلك الآونة كان مشغولاً بالعكر، أفلح في إدارة رد فعل الجمهور بأكثر درجة من البرود والاحتراز وذلك في "مقابلة" متقنة الإخراج مع الصحافي خوليو روكا المقيم في بارانكيا. واعترف أن النقد الداني الذي وجهه نادياً إلى نفسه لا يبدو نقداً جديراً بالمصادقة، وكما اعترف بأن تلك الحادثة أدت إلى إلحاق الضرر بصورة الثورة، لكنه من جهة أخرى أصرّ على أنه لم يوقع الرسالة الأولى ورغم أن نص فيدل كاسترو لم يورد على نحو صحيح وكامل عن سوء قصد، وأعلن عن تأييده المتواصل للنظام الكوبي، مؤكداً، وبحركة متميزة، أن فيدل كاسترو نفسه سيكون أول من يعلن عن وجود عناصر ستالينية في كوبا إذا كان وجودها حقيقياً، وأنه سيبدأ باقتلاعها من جذورها تماماً مثلما اقتنعها قبل عقد من الزمان عام 1961⁽¹⁵⁾.

بالرغم من قصة رد فعل عارسيا ماركيث، فإن محاولته في أن يبدو حكيماً وأن يرصّي جميع الأطراف أحققت في إرضاء أي فرد. وفي العاشر من حزيران ظالته الصحافة الكولومبية أن "تحدد موقعه علماً بخصوص القصة الكوبية". وفي اليوم التالي، وكان لا يزال يروع ويدهذب وإن أقلّ من السابق، أعلن: "إنني شعوري لم يجد بعد مكاناً يجلس فيه". كان معظم أصدقاؤه وزملائه يحدون المدخل التشيبي إلى الاشتراكية. أما عارسيا ماركيث فلم يجد ذلك مد البداية. ويقول خوان غوميسولو بعد ذلك موضحاً تصرفه بامتعاض واضح: "إن غايو الذي اشتهر بمهارته البارعة في التخلص بالحيلة والدهاء من الروايات الصعبة، عرف كيف سأل نفسه عن موقف أصدقاؤه المحرج ويتصدى في الوقت نفسه لمواجهة معهم. في هذا الوقت يوشك أن يولد عارسيا ماركيث الجديد، الاستراتيجي المتألق ذو الموهبة الهائلة، صحبة الشهرة،

المتفاني لكل ما هو طيب ورائع في هذا العالم، والداعي على مستوى الكوكب كله للقضايا الحقيقية أو التقدمية⁽¹²⁾.

مرَّ عارسيا بعباب شديد جراء القلق والحيرة لأنه وافق قبل اندلاع أزمة بادِّي على دعوه من جامعة كولومبيا في نيويورك لمنحه شهادة دكتوراه فخرية في مطلع شهر حزيران. وكان توقيت الدعوة الأشدَّ شؤماً، إذ كان يعرف أكثر مما ينبغي أن الشيوعي المشهور بابلو بيرودا وكارلوس هويتس المؤيد لكوبا منذ البداية، عزلهم الثورة في العام 1966 بسبب ريارقهما بيوورك. وها هو الآن، بعد أن نظر إليه الجميع كأنه حرد ترك المينة الغارقة على ما يبدو في وقت عرو خلع الحماير عام 1961. يقبل نكرم جامعة بيوورك الأولى، وهو تكريم تنظر إليه العيون الكوبية على أنه محاولة من الجامعة "لرد عافته" (ملغة تلك الحصة) خدمة لمصالح الولايات المتحدة⁽¹³⁾.

كان خصه الرسمي في آخر الأمر بتمثل بأنه يقس التكريم "بالإدبه عن كولومبيا"، وأن كل فرد في أميركا اللاتينية يعرف أنه ماهر للطام الحاكم في الولايات المتحدة الأميركية شأنها شأن جامعة كولومبيا نفسها، وأنه سمع مشورة سواق سيارات الأجرة في بارانكيا الذين يمثلون على حد قوله، أبطال الفطرة السليمة - كي يتحد قراره⁽¹⁴⁾. ومع هذا، فإذا كانت علاقته المستقبلية بالولايات المتحدة التي يتفدها نفسه في حين يرحب الأميركيون به - قد أصبحت قائمة منذ الآن وأدت إلى إحساسه بالارتياح فإن عاد ليواجه مشكلته مع كوبا، فعلى مدى السنتين المقبلتين، وبالرغم من بياحه الذي أكد فيه لعالم أنه لم يوقع على الرسالة الأولى، لم تعد له أي صلة مهما كان نوعها بالخزيرة الثورية.

غير أن الخط سيحالف عارسيا ماركيز مرة أخرى. فإذا كانت كوك قد أغلقت أبوابها في وجهه في تلك الأونة، فإن قضية أخرى مثيرة للجدل برشك أن تمجر، فتظهر من جديد. على المقياس السياسي، فإن عارسيا ماركيز لا يزال لديه جمهور واسع من القراء في كل مكان تقريباً باستثناء كوبا وكولومبيا. فبعد أسابيع قليلة، لا نعرف ما إذا كان الأمر محض صدفة أم لا، وصح صحافي إسباني يدعى رامون تشاو لاقضة صوب أمام ميغيل أنخل إسورياس الفائز بجائزة نوبل بالأدب

للسنة 1967 وسأله عن رأيه في الاتهامات التي معادها أن مؤلف رواية منة عام من العزلة قد سرق رواية البحث عن المطلق لبليزك، فما كان من إستورياس إلا أن يتوقف هيهة ليقول إنه يعتقد أن هناك قدرًا من الصحة في الاتهام. فما كان من تساو إلا أن نشر سفته الصحافي في مجلة مدريد الأسبوعية تريبونو، وأعادته نشره اللومود الباريسية في التاسع عشر من شهر حزيران⁽¹⁵⁾.

في تشرين الأول عام 1967 أصبح إستورياس ثاني أميركي لاتيني وأول روائي في القارة يعور بجائزة نوبل، لكن الانتقادات الحادة وجهت إليه في السوت الأخيرة لقبوله منصب السفير في باريس وهو منصب سياسي مثير للجدل. كان يوشك أن يكتشف أن "عابريل غارسيا ماركيز" وليس "ميجيل أنخل إستورياس" هو الابن عروا الأدب الأميركي اللاتيني. حقاً إن غارسيا ماركيز كان يسهر سد سنين إستورياس بالرغم من ملاحظات الأديب الأكبر سناً الكريمة على محز المؤلف الأصغر سناً وأعماله. فقد أقسم غارسيا ماركيز في مطلع عام 1968 إنه يكتبه عن البطيرسك السياسي الأميركي اللاتيني "سينقن" مؤلف رواية الرئيس، وهي أهم مؤلفات إستورياس، "كف يكتب رواية حقيقته عن دكتور" (16).

يبدو من الممكن أن موقف غارسيا ماركيز من إستورياس كات تنظمه من جهة ما حقيقة أن إستورياس فار بجائزة نوبل، وهو تكريم كان غارسيا ماركيز يريد أن يكون أول روائي أميركي لاتيني يعوز به، ومن جهة أخرى، هي أن إستورياس كان المشر الأميركي اللاتيني الأول لا بالواقعية السحرية (التي عُدَّت في ما بعد رواية منة عام من العزلة ركنها الأساس) وحسب، بل أيضاً برواية الدككتور، من خلال روايته الرئيس (التي كان يراد من رواية خريف البطيرسك أن تكون تفسيراً محدداً لهذا النمط الروائي). لقد جعل إستورياس من نفسه هدفاً كبيراً وسهلاً بسبب ضعف موقفه من تنوؤ مسؤولية السفر، ولأنه لم يكن قط أكثر الجادلين ندسكاً وسلامة من الناحية المعلية، فضلاً عن أنه بات الآن، رجلاً مساً ومربصاً. وكان قبول تخديه بشبه إطلاق الدر على فيل من مسافة آمة. لقد كان قرار إستورياس في أواخر الأربعينيات وفي الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين ليكون رميلاً أدبياً مسافراً إلى الشيوعية العالمية، داعماً بذلك حركة التاريخ عني وجه العموم من

دون أن يقسّد نفسه بتفاصيل، غودحاً لما كان يسعى غارسيا ماركيز تماماً لفعله، وعلى عرار علاقات إستورياس برئيس جمهورية غواتيمالا الماركسي، فإن غارسيا ماركيز سيصادق عمّا قريب فيدل كاسترو، أكثر الثوريين الشيوعيين حداية في عموم أميركا اللاتينية.

لم يعرف غارسيا ماركيز بعد أنه طرد مرة أخرى من الوطن الكوبي السياسي الأسطوري، فحاول نيل استحسان الجمهور اليساري. فهو لم يتسب مباشرة في صعوبات إستورياس، لكنه ساعد على التحريض عليها، فسقط إستورياس في الكمّين؛ منح قبل أن جاز التعبير. ثم بطرح السؤال عمّا إذا كان غارسيا ماركيز ينصب سلسلة من الفخاخ انتقائية في طريق ماريو فارعاس يوسا الذي يشكل انفرج الخطير الوحيد من بين محابليه، وهي الفخاخ التي ستسبب بمراجعة أشد عنفاً على امتداد السنوات المقبلة. لكن السخة الأخيرة من رواية خريف البطريق لم تكن من بعض الأوجه تكميراً عن هذه الآتام، وهي الرواية القدية الداتية التي تحكي قصة رجل لا يستطيع أن يتسامح مع نافس أولئك القريين منه.

عادت أسرة غارسيا بارنشا مطار سويداد في نارانكيا في التاسع من تموز، وهي في طريقها إلى المكسيك بعد أن أمضت أقل من ستة أشهر في كولومبيا. وصل غارسيا ماركيز العاصمة المكسيكية في الحادي عشر من تموز متدمراً من أنه لم يشاهد أي فتات خلال توقيعه في فلوريدا لأن "السلطة التنفيذية" كانت ترافقه، وتلك مزحة جعلت ميرندس تدرك بمرور السنين أنها سمجة. أمضى يومه الأول في المدينة يحيط به الصحفيون والمصورون المتدبون من صحيفة إكسيسيور، وأحدهم أن هذه هي المدينة التي يعرفها أفضل من غيرها من مدن العالم، وهو يشعر بأنه لم يرحل عنها قط. راقبه لصحافيون وهو يأكل التاكو ويبدل العملة ويطلق الكات ("إنني إنسان جاد في أعماقي وليس في مظهري"). وقال رودريغو إنه يفضل أن يكون لاعب كرة يسبول أو ميكابيكياً على أن يكون تلميذاً. فيرد عليه والده الممرط في التسامح والتدليل: "في وسعك أن تكون ما نشاء". ثم دار برفقة الصحفيين كارلوس فويتس وروجنه الممثلة ريتا ماثيدو - وكانت مرتدية بطلاً

من الجلد الأسود - في بيتهما في ساد آمل. وما إن وصلت سيارة غارسيا ماركيز حتى هتف فوينتس: "أيها السارق! أيها السارق!"⁽¹⁷⁾. وفي تلك الأمسية، أقام فوينتس واحدة من حفلاته المشهورة وحضرها عدد من المثقفين والفنانين التفيديين المكسيكيين المعروفين.

أصبح غارسيا ماركيز إنساناً صعباً الآن في المكسيك ولسيظل هكذا طوال النقية اللاحقة من حياته: إنساناً أحياناً متعانياً ومكسيكياً مكرماً. ولم يمسى المكسيكيون أبداً أن رواية مئة عام من العزلة كتبها غارسيا ماركيز في عاصمتهم وليس في باريس أو لندن. وكانت وسيلة من لوسائل لإبعاد الذكريات المؤلمة عن مذبحة ثلاثيلولكو التي حدثت في العام 1968، وتغطية إعلامية جيدة، حتى إن غارسيا ماركيز سخر من وجوده لذلك الهدف. وفي الحادي والعشرين من شهر آب، ذهب لزيارة رئيس الجمهورية لويس إيتشيبيريا، الذي كان يتقلد منصب وزير الداخلية إبان المذبحة، وذلك في المقر الرئاسي في لوس بيوس حيث تقادبا أطراف الحديث، كما يرعم غارسيا ماركيز، بخصوص "الكتابة والتحرير"⁽¹⁸⁾. ولم يتفد غارسيا ماركيز علايه قط إيتشيبيريا ولا رئيس الجمهورية السابق ديات أوردات بسبب أحداث عام 1968، مثلما لم ينتقد أبداً فيدل كاسترو بشأن أي قضية مثيرة للجدل في كوبا. لقد كانت كوبا والمكسيك في صراع دبلوماسي شائك ضد الولايات المتحدة، وضد إحداها الأخرى بدرجة أقل. لقد اضطرت المكسيكيون إلى التعاون مع جهود الولايات المتحدة المناهضة للشيوعية، إلا أنهم أصروا على الاحتفاظ بعلاقاتهم الدبلوماسية مع كوبا حتى أواخر القرن العشرين وقد وجه كاسترو وغارسيا ماركيز الشكر إليهم لصمودهم.

في أواخر شهر أيلول، عادت الأسرة جواً إلى برشلونة بعد أن غادرت مدينة مكسيكو، وتوقفت في كل من نيويورك ولندن وباريس، عاد غارسيا ماركيز الآن إلى عمله، وكانت قد مضت أكثر من أربع سنوات على نشر أحدث كتبه، وكان نواظاً إلى التقليل من الضغط عليه. وفي المدة الممتدة من أواخر عام 1967، وبالرغم من كون رواية خريف البطريق كانت مشروعه الرئيس بلا ريب، فقد انطلق لكتابة أول قصصه القصيرة مد سوات وأضاف إلى القصص الجديدة التي كانت

نستعمل على قصة رجل عحور جداً يحسب هائلين - قصة بحر الرمان الملب (¹⁹) التي ترجع إلى عام 1961⁽²⁰⁾. ونقصه أرينديوا البريئة تاريخ طويل تعود بمعنى ما إلى عالم جذبه الحرافي في صحارى عواحياء، بيد أن المرحع المباشر لها مستمد من حكاية من الحياة الحقيقية أسهمت بإطعام جزء بسيط من رواية مئة عام من العزلة، وهي عن بعى اضطرت إلى معايشة مئات الرجال كل يوم.

واقتست القصة بعد إكمال كتابتها لتكون نصاً سيميائياً قل أن نتحول إلى قصة طويلة قصيرة ونُشر في شكلها الأخير في مجلة سيميرا المكسيكية في تشرين الثاني سنة 1970⁽²¹⁾. ولما كانت بدايات القصص مكتوبة من قبل - بل منذ زمن بعيد في بعض الحالات - فقد تمكّن غارسيا ماركيز من "إخماء ذراعاه" استعداداً للعودة إلى روايته التي لم تكتمل.

يست قصص مجموعه أرينديوا البريئة بالقصص التي يوقعها المرء من كاتب عاد إلى الكاريبي ليحرب أن يضم ثيابه "رائحة العوافة". صحح أنها تدو من لوهلة الأولى بدائية ومطربة وسحرية (بحر وسما وصحراء وحلود) أكثر من قصص مجموعه جنازة الأم الكبيرة، وإن على نحو تصويري و"أدسي" كأن لمصر العاستاري الذي استملت عنه القصص المنكرة طُبق على سناريو جعراي واضح المعالم: كأن ماكدو و"بيبو" حقيقيان، على حين أن عواحيوا (التي لم يسبق لغارسيا ماركيز أن شاهدها) هي منكوت لسحر والخرافة (ووب بوغوتا والأراضي المربعة المحيطة بها إلا مناطق يسكنها الأشباح وبكتفها الظلال والأحطار). إن ملك القصص التي ينقسم بشأنها النقاد - نكرا، وبا للمعارقة، بالقصص المتبعة جداً لسلف غارسيا ماركيز الواقعي السحري ميغيل أنخل إسورياس، ومنها على سبيل المثال قصة امرأة ليذا سال⁽²²⁾.

هنا بدأ الان غارسيا ماركيز يكتب للمرة الأولى رواية خريف البطريق موقاً السابقين كنه أنه سيمرع منها، إذ لم تعد هناك أي أعداد، فقد استمتع بالراحة، ولم يعد هناك أي منجأ يلجأ إليه حتى في دمه في عصود ذلك، صدر العدد الأول من مجلة الحر في باريس، بعد مرور سنة كاملة على الحملة التي أقامها كورتانار جويبي فرنسا حيث جرى الساحت بشأنها للمرة الأولى. وبعد مرور أقل من سنة أشهر على

قصيه بادياً. مما لا شك فيه أن الحملة تعرضت إلى التحيص تحميماً دقيقاً في كوب
بعد أن أجرى رئيس تحريرها لينيو ميندوتا مقابلة مع غارسيا ماركيز في إسبانيا أيام
حكم فرانكو كي تنشر في العدد الثالث منها.

في شهر تشرين الأول، تلقى اليسار التقليدي - ومعه حكومة الوحدة الشعبية
بزعماء سلفادور أليدي في تشيلي - دعماً قوياً عندما أُعلن عن فوز سيمر أليدي
في باريس بابلو نيرودا بجائزة نوبل لسنة 1971. وقد مثل نيرودا الذي وصفه
الصحافيون على أنه بدا مريضاً، معتل الصحة، إن كان في وسعه أن يرشح أي
أديب أميركي لائبي للجائزة، فقال إنه فكر أول الأمر في غارسيا ماركيز "مؤلف
واحدة من أعظم الروايات المكتوبة باللغة الإسبانية"⁽²²⁾. وقبل الإعلان الرسمي عن
الجائزة، مسان نيرودا اتصل بغارسيا ماركيز ودعاه وميرثيديس ليمفر إلى باريس
لتناول طعام العشاء في مساء اليوم التالي. عبر أن غارسيا ماركيز قال على انغور إن
من المستحيل الوصول إلى باريس ضمن هذا الوقت القصير في ضوء خوفه من السفر
جواً. غير أن نيرودا لجأ إلى استخدام أساليبه المشهورة وبد كأنه يوشك على
السكاء. فما كان من الزوجين الكولومبيين إلا أن شعرا أنهما مضطرا إلى السفر.
وعند وصولهما إلى باريس، انتشر الخبر وتناولوا طعام العشاء في منزل نيرودا مع
رسام الجداريات المكسيكي ديفيد ألعازر سيكيروس (الذي حامت الشكوك حوله
على أنه هو الذي اغتال تروتسكي، وإن كان قد قام بمحاولة واحدة من هذا القبيل
في أقل تقدير) والرسام التشيلي روبرتو ماتا، وخورخه إدواردو الذي طرد مؤخراً
من كوبا، والمثقف الفرنسي ريمس دوبريه الذي عاد إلى باريس إثر إطلاق سراحه
من السجن في بوليفيا ونصبة مدة لاحقة من الزمن اقترح اسمه فيها بظم أليدي في
تشيلي، والمصور الكبير هنري كارتية - بريسون - وكانت حملة عشاء تلفي
بظلال التحدي السياسي، إن كان هناك أي تحدٍّ من هذا النوع.

صدر عن دار نشر بارال في برشلونة في كانون الأول كتاب فارغاس يوسا
الموسوم غارسيا ماركيز: تاريخ قاتل إله يشترك الكتابان اللذان يصفهما أصدقاء
تلك الحقبة بألفاظ "أخوان تقريباً" بأشياء أكثر مما يوحي الانطباع بها. فقد مرَّ الإنسان
بمط من أنماط الحياة الأسرية الرومانسية إبان طفولتهما. وكان لكل منهما مشكلات

مع أبوين لم يعرفا عههما شيئاً إلا بعد مدة متأخرة من الزمن (فقد طس فارغاس يوسا والده متوفٍ إلى أن بلغ سن لعاشرة)، وكان هذان الأبوان يهاجمان سلوكيهما ويلقيان بطلال الشك على مهنة لأدب التي اشتهنها كل واحد منهما. كان الولدان متسامحين، يقرأن الكتب، شأ كل منهما في بيت جدتيه لأمه في السموت الأولى الخامسة من حياتيهما. وترك الاثنان الدعة والأمان في بيتيهما الأولين ليعيشا تحت نظام مدرسة داخلية يتصف بصرامة تمت على الاعتراب، وعرفا مد صعرهما الدعارة وغيرها من تجارب الحياة الوطنية. واشعل الاثنان في الصحافة وهما في سن نصحوح مكر، وسافرا إلى باريس، وسمرا في آخر الأمر في الفندق نفسه، وإن في أوقات مشابهة. كان الاثنان صديقين عظيمين لأصدقائهما، وعندما التقيا كما من أكبر المؤبدن للثورة الكوبية، بالرغم من أن عارسيا ماركير، وهو الأكبر سناً، علش لحظات صعبة كثيرة مع العمية الكوبية، عى حين كانت أشد الصعوبات لا رال تنظر فارغاس يوسا في طريقه وبالرغم من أنه م يقرأ كتاب ماريو اندي كنه عنه، لأن "الشخص الذي يظهر لي كل أسرار اليات عملي ومصادره والسبب الذي بدعي للكتابة، سيصبي بالشك. ألا تمهم ذلك؟"¹²³.

التقى عارسيا ماركير وفارغاس يوسا أول مرة في مناسبة منح جائزة رومولو عاليوموس عام 1967 للأديب القادم من بيرو واليوم، يصح غارسيا ماركيز في العام 1972 الفائز الثاني بالجائزة، وقد أكد رد فعله على الون لشاسع يهده في هذه الصداقة العجيبة: فهي حين رفض فارغاس يوسا الترع بالجائزة لنقصاها التي تدعمها الثورة الكوبية، فإن غارسيا ماركير قرر أن يمنح قيمة الجائزة حرب ونسرويلي مششق عن الحركة باتجاه الاشتراكية التي يفوردها صديقه الشيوعى السابق تيودورو بينتكوف. وكان عارسيا ماركيز قد أقنع نفسه، شأنه شأن بينتكوف، أن الشيوعية السوفياتية لم تعد قوة ثورية حقيقية، وم تعد مهتمة بمعالجة حاجات أميركا اللاتينية ومصالحها الحقيقية. وقد أحرمني كارس بالسلس التي سافرت إلى كاراكلس برفقة عارسيا ماركير قائلة: "كانت رحلة طويلة بالرغم من أننا كما نسافر باندوجة الأولى، نتناول الشراب طوال النهار، وأمضى عابو، الذي كان يعلم أنه سيترع بكل المال لحرب الحركة باتجاه الاشتراكية وبينتكوف، الوقت كله مشعل اللال بأدف

التفاصيل عما سيقوله فارغاس يوسا. كان ذلك هو كل ما يستطيع التكمير فيه»²⁴.

صُدم الفنروربيون وهم يشاهدون رجلاً أطلق شعر رأسه على الطريقة الأفرقية، مرتدياً قميصاً معنوح اساقفة على طريقة أساء هاواي، وبطالاً رمادياً، وينتعل حذاءً أبيض بلا جورين. وهو يتقدم صوب المنصة في مسرح تياترو بريس في كاراكاس لتسلم الجائزة. وتساءل السكان في جميع أنحاء القارة عما سيعنه غارسيا ماركيز بقيمة الجائزة الفنية بعد أن تذكروا أن فارغاس يوسا رفض التبرع بجائزته للكفاح المسلح في أميركا اللاتينية. وعندما سُئل غارسيا ماركيز عن ذلك بعد الحصة مباشرة، أعلن أنه صاق من كونه فقيراً وأنه سيشتري "يختاً آخر" من أحد معارفه في كاراكاس أو من كارلوس بارال في برشونة. وقد أضحي ذلك الجواب واحداً من أشهر مكاته⁽²⁵⁾. لم تكن ميرثيديس قد سافرت جواً معه - وسصل بعده مع آل فيودتشي - لكن الذين شهدوا العرض أيضاً ولده رودريغو البالغ من العمر اثني عشر عاماً، وشخصان آخران يحملان اسمه نفسه تقريباً وهما والده غابرييل إلبيو وأصغر أشقائه إلبيو غابرييل الذي تروح مؤخرًا بنتاة كولومسه من لباوس ندعى ميريام غراتوف. وكان غابيتو قد دعا ابروحيو إلى كاراكاس لتمضية شهر العسل الذي يترامس مع قولته جائزة عاليوس أما والده غابرييل إلبيو، فقد دعا نفسه بنفسه وجاء مع الروجين وزار معهما المناطق التي أمضى فيها غابيتو وميرثيديس شهر عسلهما قبل أربع عشرة سنة وأقاموا معاً في الفندق نفسه. وتذكر ميريام: "أقام والد إلبيو في جناح منفصل من الفندق واحتج بشدة أمام الإدارة قائلاً: كيف يمكنكم أن تصرفوا هذا البصر معي، إنه ولدي. وعند السادسة من صباح اليوم التالي اتصل بنا وسأل: متى سننزل لتناول طعام العطور؟"⁽²⁶⁾.

وعلى ما هو موقع، فإن غابرييل إلبيو لم يعجه تصرف ابنه وسوكة على هذا المسرح العسيع والمحترم، ولم يعرف إلا لقليل عما سيحدث. وفي صباح اليوم التالي، تسلم عانو شكه بمبلغ اثنين وعشرين ألفاً وسبعمئة وخمسين دولاراً وأخذ ابنه رودريغو وشقيقه إلبيو الذي رتب أمره كي يكت لصحيفة التيمبر سلسلة من التحقيقات الصحافية عن منح أهم جائزة أدبية في أميركا اللاتينية لأخيه الأكبر،

وصحب معه صحافياً أو صحافيين متميزين ومصوراً فوتوغرافياً وحقيبة كبيرة إلى أحد مصاريف كاراكاس حيث استبدل الشيك بالنقود، ثم أخذ الحقيبة والنقود ومرافقيه إلى مقر الحركة باتجاه الاشتراكية وسلم النقود إلى رعيم الحزب نيودورو يتكوف الذي كان "صديقه منذ سنين"⁽²⁷⁾، وأوضح أن الحركة جديدة وشابة ومن النوع الذي تحتاج إليه أمريكا اللاتينية ولا ترتبط بالحركة الشيوعية بأي رابط، وليس لها أي مذهب

هت عاصفة من النقد من كل مكان، فرب وبعيد، من دون أن نستثي أسرة غارسيا ماركير نفسه. فقد كانت الحركة باتجاه الاشتراكية تعبيراً صعباً، لكن تأثيره كان كبيراً، وعده معظم اليساريين "تحريضاً"، ووسم اليمين بسمه "اتخريب". وحتى عندما بين في نهاية المطاف أن آمال كان محصلاً لمحة الحركة السياسية وليس للحرب لعصابات، فقد وصفته موسكو في أواخر شهر آب بأنه "رجعي"، وأحير أيسره الصحافة في كاراكاس أن ابنه الأكبر كان "مهادناً جداً" وأنه لم يتغير مد كان طفلاً، ويعرك الحكايات دائماً⁽²⁸⁾. لا بد من أن غارسيا ماركير اضطرب اضطراباً شديداً لدى عودته إلى أوروبا بسبب انتقال بابلو نيودا له والذي كانت أفكاره - بالرغم من عضويته لنشيطية الطويلة في الحزب الشيوعي - تشبه إلى حد كبير أفكار غارسيا ماركير نفسه، وعندما التقى الاثنان بعد ذلك أخبره نيودا أنه يستطيع أن يهزم تصرفه، لكن أي فائدة لمصلحة الحركة باتجاه الاشتراكية يفوقها ورأى وأهمية الانقسامات التي تسببها مثل هذه المبادرة ضمن الحركة الاشتراكية العالمية⁽²⁹⁾. ولعل غارسيا ماركير بدأ بعد هذا سياسته - التي أخذ يطبقها على كونا مذمومة - بعدم توجيه النقد علناً ضد الجماعات الاشتراكية من دون أن يستثي لأحزاب الشيوعية التي تتبع خط موسكو، لأن مثل هذا الانحدار سيربح أعداءها⁽³⁰⁾.

وبعد أن رتب أموره، سافر جواً إلى نيويورك في أواسط شهر آب لزياره صديقه ألفرو سيبيلا الذي كان يحضر بعلاج بسبب إصابته بمرض السرطان في مستشفى مموريان. كان غارسيا ماركير يصاب عادة بالدمر من استشفافات ومن الموت، وقد أكدت ريارته إحساسه بافتقار المدينة الكبرى إلى النسبة الإنسانية. وعندما رجع إلى برشلونة بعد أسبوع، أرسل رسالة إلى زوجة سيبيلا:

تبعاً،

لم أتمكن من الاتصال هاتفياً بك. إضافة إلى ذلك، ليس لدي ما أقوله: لقد كان الأستاذ حريصاً كل الحرص على أن يطمئني، حتى إنه جعلني أعتقد أنه ليس مريضاً البسطة وأنه هب حياته للعناية بي. لقد وجدته شديد الشحوب، منهكاً تقريباً، لكنني سرعان ما أدركت أن سبب ذلك يرجع إلى الإشعاع، لأنه غاثل للشفاء كثيراً بعد أن استراح أسبوعاً، ولم نفعل خلاله شيئاً سوى الحديث وتناول الطعام. لقد ذعرت عندما وجدت أنه فقد صوته تماماً، لكنه نفعتني أن سبب ذلك هو الإشعاع أيضاً. واسترجع صوته حقاً بعد بضعة أيام إثر تناوله علاجاً يريل الاحقان، وهو ما قرأته في الوصفة الطبية. لم يكن بإمكانني التحدث إلى الطبيب. لكنني كلمت أطباء آخرين، أصدقائي، وكانوا متفقين على أن بعض أنواع الورم اللينفاوي أصبح الشفاء منها ممكناً منذ ست سنوات!...

عناق كبير من عابو

إلا أنه شعر بالإحباط مرة أخرى لتوقفه عن كتابته روايته خريف البطريق، ولكنه شعر بالتردد أيضاً لعودته إليها. وعندما جاء إليه سيبينا ميندوتا في برشلونة، رآه أليخاندرو أبريغون ليخبره أن الآمال تخرت كلها وأن سيبينا يختصر وبعد يوم عصيب، اشترى عارست ماركير تذكرة طائرة. هنا يتذكر ميندوتا: 'لكنه لم يسافر، إذ لم يستطع السفر. لقد حانته قواه، أو رفضت ركته أن يأحدها فقد شعر عارسيا ماركير وهو واقف أمام باب المنزل حاملاً حقسته، وسيارة لأجرة تتقدم على امتداد الطريق، مما يشبه الدوار، وبدلاً من أن يطلق إلى المطار، أطلق باب المعرفة على نفسه وأسدل الستائر واستلقى على السرير. أخبرني بذلك ميرثيديس عندما كانت في المطبخ على مقربة من العمالة التي كانت تن وتؤوه كأنها بشر. وقالت لي: لقد أحجش عابيتو بالكساء. تولتي الدهشة: عابو يبيكي؟ عابو رهن عرفته؟ إنني لم أشاهد من قبل دمعاً واحدة عني وجهه العربي؛ وكما يقول أبناء بلدي، الله وحده يعلم ما مر به في تلك الآونة'⁽³¹⁾.

في الثاني عشر من تشرين الأول عام 1972، وهو يوم كولومبوس، توفي أنمارو سيبينا في مدينة نيويورك. كان سيبينا متملباً صعب المراس في كل شيء تقريباً، وكان العضو الوحيد في جماعة بارانك الذي لم يغادر بارانكيا منذ زمن بعيد، على

شوقه الكبير لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية. (كان ألفونسو وخيرمان وألفارو قد ظهرُوا جميعاً في رواية ليس للعقيد من يكتابه، ثم ظهرُوا من جديد في رواية منة عام من العزلة التي تُؤقَّع فيها أن ألفارو سيكون أول الراحلين وسيلحق به خيرمان ثم ألفونسو).

أعيد اجتماعان بالطائرة إلى كولومبيا بعد مرور يومين، وسهر على التابوت كل من أبريمون وعوليو ماريو سانتو دومينغو حتى صباح اليوم الخامس عشر عندما جاء حشد كبير من المعريين ورافقوا سيارة نقل الموتى إلى حديقة الموتى⁽³²⁾. وبعد مرور بضعة أسابيع أرسل غارسيا ماركيز رسالة إلى ألفونسو مونتيايور يتأمل فيها في موت سيبيدا: حسناً أيها الأسد. إنه لشيء مؤلم أن تضطر إلى الفوه به: لقد أصبحت كالبرار، في حالة بائسة من الدعر والعزيمة الواهية، ولسرعة الأوى في حياتي لا أستطيع أن أعتبر عسى مخرج. إني أقول لك هذا لأن قولي سيساعدك أنت أيضاً. عايتو⁽³³⁾.

وفي العام التالي، العام الذي توفي فيه بيرودا، يقول غارسيا ماركيز للصحافيين في بوغوتا: لقد صدمني موت صديقي العظيم ألفارو سيبيدا في أعام الماضي صدمه كبيرة أدركت معها أنني لا أستطيع تحمل احتفاء أصدقائي، وفكرت: ثأاً إذا لم أواجه هذه الحقيقة، فإنني أنا الذي سأموت في يوم ما عندما أنقضى ساً مثل هذا الموت⁽³⁴⁾. صحيح أن غارسيا ماركيز بذل جهلاً هائلاً في ضوء شهرته المتزايدة وهو يرى صديقه الذي دامه المرض، ولا بد من أن حزنه كان حقيقياً. لكن الصحيح أيضاً هو أنه كان يتعد عن سيبيدا، وكل أعضاء جماعة بارانكيا، وقد أكثرت زيارته المدينة في العام 1971 هذا الابتعاد. لقد تعلم غارسيا ماركيز، الذي كان يداحله الشعور بالخجل الجارف منذ بواكير حياته كيف يكافح هذا أكثر من معظم الناس. وبوفاة سيبيدا يرسم غارسيا ماركيز خطأ فاصلاً تحت تجربة بارانكيا. كان الخريف الذي حل بعد وفاة صديقه مكثراً. ففي السابع من شهر تشرين الثاني أديع حجر مشووم معاده أن ريتشارد نيكسون أعيد انتخابه مرة أخرى رئيساً للولايات المتحدة. في ذلك الشهر نفسه، عاد الرئيس السابق غون بيرون، عسى نحو معمم بالحيوية والنشاط في بادئ الأمر وعلى نحو كارثي آخر الأمر، إلى

بويس أبرس بعد سبعة عشر عاماً أمضاها خارج البلاد، واضطر سلفادور آليندي إلى تعديل حكومته، حكومة الوحدة الشعبية، لوضع حداً لموجة التظاهرات في تشيلي، على حين اضطر بابلو ميرودا إلى الاستقالة من منصب السفير في باريس بسبب إصابته بمرض السرطان. وكان غارسيا ماركيز حاضراً في باريس وهو يرى الشاعر الشيوعي القديم وهو يرحل هائئاً إلى أميركا الجنوبية. وكان ذلك آخر لقاء لهما.

* * *

استمر غارسيا ماركيز في تأليف روايته خريف البطريق وهو في حالة قوط، غير أن شعوراً غريباً بالششاط قد عاوده. فقد جعله موت ألفارو سيبينا يدرك أكثر من أي وقت مضى أن الحياة قصيرة، وعلمه أدرك أنه لا يريد أن يكون في أوروبا عسى حين تمر الأحداث في أميركا اللاتينية من أمامه. لقد كان كل شيء في إسبانيا في حالة من الشلل، على حين انتطرت البلاد أن يعاني الجنرال فرانكو منه. حقاً كان النظام على شفير الهاوية - فقد عين فرانكو في الثامن من حزيران الأدميرال لويس كاريرو بلانكو رئيساً بعد أن حكم وحده مدة أربعة وثلاثين سنة - إلا أن نهاية النظام كانت قد حانت منذ زمن بعد، فمماثل موت بطريق غارسيا ماركيز في الرواية التي اقترت من إكمالها. وفي شهر أيار عام 1973 بدأ غارسيا ماركيز يقول لرجال لصحافة إن رواية خريف البطريق اكتملت، ومع هذا، فإنه سبترتها في مكانها سنة أو أكثر "كي أتأكد من أنها لا تزال تروقي" (35). يبدو أن هذا الأديب لا يهتم حقاً سواء نشرت كتبه أم لم تُنشر، ولم يستجب على وجه التأكيد لضغوط الناشرين أو القراء، إذ كان من وراء ذلك المظهر الستم من المسرات الشعور القديم بنسبه بالافتقار إلى الأمان من ناحية الرواية التي كان يشتغل عليها بقوة منذ عودته من بارانكيا والمكسيك في أواخر عام 1971.

ما يدل على بصيرة غارسيا ماركيز الباعثة، أن كتابه الأول الذي يلي رواية صفة عام من العزلة هو رواية لم تواجه مراكب الشهرة والسلطة حتى قبل أن تشمل عليه وحسب، بل توقعت أيضاً، بذلك المعنى، الكهولة والشجوحة المكتوبتين حتى قبل بوعه إياهما بزم طويل، وبالرغم من ذلك، يستحيل الحديث عن رواية خريف

البطريك مصطلحات مبسطة، إذ ما من كتاب من كتب غارسيا ماركيز يبدأ بالانتراب من صعوته؛ ولعل أوضح دليل هو المفارقة بين العمال الأسر لصور الكتاب الشعرية وبشاعة موضوعه⁽³⁶⁾ إن الروايات التي أنتجت الشعور بالانعاش أمير كا اللاتينية في ستينيات القرن العشرين مثل عصر الطل وموت أرتيمو كرور والحجلة - كانت بصورة عامة أنماطاً محدثة عن الروايات الأوروبية والأمريكية الحديثة العظمى في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين؛ كروايات يوليس أو البحث عن الزمن المفقود أو هم ماغنان آر السيدة تالواي أو أمسالوم، أمسالوم! لكن الرواية التي بطرت ورسخت ذلك الانعاش الأمريكي اللاتيني وهي رومة منة عام من العزلة، تبدو أقل تعقيداً وحدثة من بقية الروايات. فهي رغم لم يظهر فيه بعد على السطح مصطلح ما بعد الحديثة، فإن نقاداً من أمثال أمير رودريغيث مويغال، تحدثوا عن المفارقة التاريخية العربية التي تطوي عليها رواية غارسيا ماركيز، لأف كانت رواية شعاعه على ما يبدو، سهلة القراءة ويمكن أن يفهم حتى الساس الذين يملكون ثقافة أدبية متواضعة⁽³⁷⁾. ولينابيع غارسيا ماركيز تلك الرواية، فإنه شعر بنحدر لكتابة شيء ما على عرار رواية مرحلة الانعاش السموجية. وهذا هو السبب الذي يعص من سمات جويس وولف واصحة في رواية حريق البطريك وصوحاً تاماً للقرء من ذوي الخبرة الذين شئت الرواية لأجلهم. وقد حدث هذا كله في اللحظة نفسها التي ابتعد فيها معظم الكتاب الذي حفهم نحاح غارسيا ماركيز عن أساليب مرحلة الانعاش المتبررة لبيكتوا أعمالاً "ما بعد حداثة" أكثر شفاة بكثير من السط الذي يقتصر أن نمته رواية فئة عام من العزلة

لقد مرت الرواية الجديدة بمراحل عديدة، إنها قصة جندي أمريكي لاتيني غير منعلم يحدر من بلد بلا اسم، متعدد الأطياف، يستولي على السلطة بالرغم من صالة تجربته السياسية، ويحطه للحكم حكماً دكتاتورياً في بلد مداري على مدى قرين من الزمن ومن بين الطعنة الدين يهل مهم غارسيا ماركيز لرسم لوحته المربعة كل من خوان هيشي غوميث (في السلطة من 1908-1935) وماركوس بيرث جيميث (1952-1958) في فرويلا، وبورفيرو ديات (1884-1911) في

المكسيك، وماتويل إسترادا كانارييرا (1898-1920) في غوانيمالا، وأسرة سومرز في نيكارعوا (أناسناسيو ولويس وأناسناسيو الأصغر (1936-1979) ورافائيل تروحيو في جمهورية الدومينيكان (1930-1961) أما إسايافرانكو، فإن غارسيا ماركيز يؤكد أنهما وقفوا في طريقه. وهو لا يزال حتى يومنا هذا لا يعرف إلا اللزر اليسر عن فرانكو، لأن مثل هذا الشخص الأوروبي البارد المتشقق لا يبيده ولا يثير اهتمامه إلا قليلاً.

إن البطل المسح في الرواية، الذي لا يعرفه القراء إلا على أنه بطريق مستوح وفوي وعاطفي مشما هو وحشي أيضاً. بالرغم من أنه يبدو مقترباً إلى الأحاسيس حدّ العباء، إلا أن لديه دافعاً عربياً نحو السلطة وبصورة فطرية يهدد بها إلى دوافع الشر الآخرين؛ وإن ظلت النساء بحس هين أمه الحبيبة، لمرأ له. يقول غارسي ماركيز في مقابلات صحافية إنه أدرك أن العقيد أورليانو بوربدا كان من شأنه أن يتحول إلى مثل هذا الدكتاتور لو أنه ربح الحرب، بمعنى، لو أن تاريخ كولومبيا كان مختلفاً وانتصر الليبراليون بدلاً من المحافظين على امتداد القرن التاسع عشر⁽³⁸⁾. وكما يجتهد الطل بقوله الخرافة، فقد قرر غارسيا ماركيز أن يبقه بلا اسم، ويشار إليه بلقب البطريق وحسب (ويعرفه قاده على أنه الحرال). ويوضح غارسيا ماركيز توصيحاً يثر الدهشة أنه رسم صورة متعاطفة نسبياً لأن "كل الدكتاتوريين بدءاً بكيرون فصاعداً هم صحابا". ويصر قائلاً إن الحقيقة التي يؤسف لها، هي أن تاريخ أميركا اللاتينية لم يكرس بالتاريخ الذي يتمناه الشعب: معظم الدكتاتوريين يتحللون من صفات شعبية ولم تُطرح بهم الشعوب التي كانوا يصطهدونها. هذا لا يعني أن الخرافة انتصرت على التاريخ، بل إن التاريخ نفسه هو الذي يحول إلى خرافة. ويصرح غارسيا ماركيز أن هدف الأدب الأساس يتمثل بالكشف عن هذا المسر، لكنه غير مستعد للخوض في أي تفاصيل أخرى. "إن مظهر الكتاب السياسي أكثر تعقيداً مما يبدو عليه، وأنا لست على استعداد لتوضيحه"⁽³⁹⁾.

بكن الأمر الذي لا بدع مجالاً للشك، هو أن هذه الرواية الجديدة عثرت من مدخل غارسيا ماركيز وعمقته في معاجته معصلي السلطة والحب - وهما الموضوعان الرئيسان - وما يكتسهما من دوافع أخرى مثل الذاكرة والخيال والعلة

والموت إن السلطة والحب، حب السلطة، وسلطة الحب، موضوعان أساسيان من موضوعات التجربة الإنسانية ويكتسبان دافعاً قوياً على وجه الخصوص في تاريخ أميركا للاتينية وعتمعه وأدائها.

تدور أحداث الرواية في بلد كاريبي متخيل يبدو أن كولومبيا - أو بوعوتا على وجه الخصوص - حيرته. من هنا يمكننا أن نفكر في أنه إما أن يكون موزويلا أو الساحل الكولومبي نفسه. هذا المعنى، فإن هذه الدولة التي لا تحمل اسماً نشأه البلدان المتخيلة التي ابتكرها جوريف كونراد في روايته *فوسترومو* (1904) أو الروائي الإسباني رامون مديا دل باي - نكلان في روايته *تيرانتو باندرياس* (1926). وتركز رامون صورة الدكتاتور الأمريكي اللاتيني العنيف والقبح وبخاصة على "حريته"، أي السنوات الأخيرة من عمر نظامه.

يستهل الكتاب أحداثه في زمن تاريخي مستحيل يمتد على مدى مئتي سنة، ربما من أواخر القرن الثامن عشر وحتى ستينيات القرن العشرين⁽⁴⁰⁾. ونسرد معظم أحداث الرواية عن طريق الذكريات وتتابع الحدود الفاصلة والعامة في تاريخ أميركا اللاتينية، بل أن يستولي الأجناب على البحر عند "فجر" خريف البطريق ليقلب ذلك موته، وبالتالي نظامه (الشتاء والتحلل). يعيش البطل في عالم يناور فيه العسكر والكنيسة والأجناب باستمرار من أجل تولد السلطة. أما "الشعب" فتراه سلباً، والرواية ينعدم فيها التطور الديكتاتوري بسبب عدم وجود التاريخ، وعدم وجود أي مرور للوقت، ولا أي مشاركة أو تفاعل سياسي أو اجتماعي حقيقي لكن، رى كانت العلاقة بين الدكتاتور والشعب هي محور الرواية. ويمكن للمرء أن يقول إن غارسيا ماركيز يلمح تلميحاً مقصوداً إلى أن الرواية تتعن انتقالها من البطريق إلى الشعب بأسطرها النهائية التي تدور دروه نشاطها - واشتملة بوصوح بدكرى سقوط بيرث خيمييث في موزويلا سنة 1958 - مقصودة حرفياً لا على سبيل المرافة.

بعبارات أكثر خصوصية، فإن أقرب علاقة للبطريق على وجه الأرض هي تلك التي تربطه بأمة بينديشون ألفرادو أما روحته ينشيا بالاريو فكنت رابعة سابعاً، ينظفها ويرى يقتلها، والحسة التي يلاحقها ولا يظفر بها أبداً هي ملكة

اجمال مانويلا سانتشيث، على حين أن علاقته الجنسية الوحيدة الناجحة مكس، وبالنسبة للبول، مع تلميذة مدرسة في سن الثانية عشرة بعد أن يكون قد خرب. أما من الجانب الذكوري، فلديه وجهان، أو وجه علي: بارثيو أراغويس، وصديق طيب هو رودريغو دي أبلار، ومن بعد ذلك عمقري شرير هو وزير الأمن الجذاب حوسيه إغناثيو سابيث دي لايارا الشبيه بمستناري الطعنة العسكرية الحاكمة في تشيلي والأرجنتين في سبعينيات القرن العشرين، وهو العقد الذي اكتملت فيه كتابة الرواية. وبمسحهم هيكل هذه العلاقات مع النموذج الكلاسيكي للأسطورة الغريبة⁴¹.

نكس سبب السيف العدل، لأن تجربة القارئ الشاملة تجربة يكسها الشك والاضطراب. ويقرر تنابع الرواة الذي يثير الارتباك يحمل وجهة نظر الرواية وسانت وحتي نسلل أحدثها، علماً أن هؤلاء الرواة غير متأكدين من أي شيء. في ومع المرء أن يقول إن المعصلة التي لا نهاية لها عما إذا كان الدكتور سيظهر أو لا سيظهر على جميع سلطانه، وربما كان ذلك أكثر المظاهر تكراراً وإيركاً في الرواية؛ وهو مظهر ارداد حجمه زيادة هائلة معقل حقيقة مفادها أنه يمثل كل شيء وجهة نظره (وهي وجهة نظر عيية وطائشة، مافقة وتخدم نفسها في لوقت نفسه)؛ نرى وعي الإنسان موضوعاً عقلياً موحداً؛ وتصور ماركسي عن هيمنة الطبقة والامبريالية (إذا ما اجتمع هذان التصوران فهما يمثلان وجهة نظر حدوثية)؛ ووجهة نظر تستند إلى فوكو مفادها أن سلطنة، في كل مكان، معرفية، لا بد من مقومتها دوماً، لكن يستحيل قهرها وهي خارج حدود قدرة أقوى موضوع على الميضة (تمثل هذه بطبيعة الحال وجهة نظر حدوثية وهي مهمة في الرواية). إننا نجد أنفسنا مصيرين في سرية هذا العمل العائسي والمصطفة من البشر والنسبة والنتيجة إلى أن نظير إلى السلطنة بوصفها حاصرة كي نكون جاهرة بالاسعمال، وإن "شخصاً ما عليه أن يستعملها"، لأن وجهه نظر غارسيا ماركيز عن التاريخ تقترب اقتراناً شديداً من تلك الرواية الكاخرة التي طرحها أولاً مكيايني وصرح عليها شكسبير لأنثلة باستمرار وبعد إكمال الرواية يتجه مباشرة سعيًا وراء علاقة مع فيدل كاسترو المحرر الاشتراكي الذي يتبين في ما بعد أنه ذلك السياسي اللاتيني

الأميركي الذي لديه القدرة الفائقة ليصبح أكثر الشخصيات تسلطاً المحبوبة والمعمرة في القارة.

جُمِلَت الرواية طويلة جداً فهناك تسع وعشرون جملة لا عمر في الفصل الأول، ثلاث وعشرون منها في الفصل الثاني، وثمانٍ في الفصل الثالث، وست عشرة في الفصل الرابع، وثلاث عشرة في الفصل الخامس، وجملة واحدة فقط في الفصل السادس، فيكون المجموع، على ما يبدو، مئة جملة. وتبدأ الفصول الأولى بثلاث أو أربع فقرات في الصفحة الأولى، كأهل أوركنس تراصبت إيقاعها الموسيقي. ثم تند وتند. ونمة انتقالات مستمرة في السرد من صميم المتكلم ("أنا"، "نحن") إلى صميم المخاطب ("السيد الخمرال"، "أيها الأم"...). إلى صميم العائث ("هو" و"هم")، بالرغم من أن الصيغة الأخيرة تدرج دوماً في صوت حر. إن غارسيا ماركر صغته رويًا بصيغة صميم العائث غالب دائماً تقريباً، لكن ما من رواية يهيم عليها صوته الأدبي التبر أكثر من هذه الرواية. ويبدأ كل فصل بموسم المؤلف وهو موضوع الدفن، وإن كان القارئ لا يمكنه أن يكون متأكداً مما إذا كانت الجثة التي عُثِر عليها هي جثة الطاعية، أو إن كانت هي حقاً جثته، فهل هو ميت؟ وبهذا، فإن صممه الصميم، "نحن" نحن الناس الذين عثرنا على جثة ستج علماً عن طريق التذكر من خلال جمل قصيرة محدودة العدد على الصفحة الأولى في كل فصل مع ماضيل متعيرة عن اكتشاف الجثة، وبعدها يعبر السرد في مناهة، أو دواعة، من خلال استرجاع المواقف والأحداث في حياته "هو"، "الخمرال"، التي تتحلل تدريجياً في صميم المتكلم المعرد الذي يستلهم في كتابة السيرة الذاتية، "أنا"، رجل السلطة. المنته، شأنها شأن كل المؤلفات الخداثوية، موضوع (الحياة) وتقية (أسلوب الدخول إليه).

إن رواية خريف البطريق تبدو بكل جلاء رواية كتبها هوى كانت مسوحد عن دكتاتور مهووس ومستوح. لكن التفاد، رأي المؤلف، الذي يمين عدد كبير منهم إلى الشعور بالعصب لأنه قدّم صورة متعاطفة إلى حدّ ما مع هذه الشخصيات المرعبة، كانوا بطيئين في فهم موضوع الرواية. ففي مدينة مكسيكو وفي شهر كانون الأول من عام 1975، أي بعد مسير من اسهالة من كتابه الرواية وبعد

مرور أشهر على صدورهما، طرح غارسيا ماركيز الذي صرح أن كل الذين كتبوا مراجعات عن الرواية بلا استثناء كانت قراءتهم "سطحية" لها، وتفسيراً لمفزاها لم يكن متوقعاً أبداً فقد أكد أنها صرّب من السيرة الذاتية: "إنها أشبه باعتراف شخصي، بلها السيرة الذاتية، وكتاب مذكرات إلى حد كبير. لكن الذي حدث، هو أن هذه المذكرات مشفرة. وبدلاً من رؤية دكتاتور، فإنك ترى كاتباً مشهوراً جداً لا يشعر بالارتياح بب شهرته. حناً، بهذا الدليل يمكن قراءه الكتاب هراء مهرومة"⁽⁴²⁾.

هذا التوكيد مثير للدهشة للوهلة الأولى. فغارسيا ماركيز رجل يحاول أن يترك الانطباع لدى قرائه بمثابة مآثرة كلاسيكية شعبية، رجل تحت ضغط، ويمكن أن يُتوقع منه أن يتزلف إلى الجمهور. أما رواية خوريف البطوريك، فقد كانت لوحة فنيّة لشخصية قبيحة جداً. إن هذا الدكتاتور، وإن عومل إلى حدّ ما معاملة متساهلة، هو واحد من أكثر الشخصيات التي تبعث على النفور إطلاقاً. هل كان غارسيا ماركيز يحاول أن يضح البورجوازية العالمية بتصرّيات مثيرة للصحافة، ثم تراه حقاً قد كتب واحداً من أشد الكتب المرعبة نقداً للدّت في الأدب العالمي، كتاباً قصصياً موازياً لاعتراقات روسو على سبيل المثال؟ أمكن مقارنة علاقات المؤلف بالرجال والنساء وبالعالم أجمع بعلاقات أولئك الذين ابتكرهم ابتكاراً شيعاً وإن كان مثيراً للعواطف والمشاغرة؟ وإذا كان غارسيا ماركيز يعتقد هذا الاعتقاد، أترأه ينجأ إلى استخدام نفسه ليكون مثلاً من عالم مليء بأجساد رضية جذيرة بالازدراء وعلاقات خطرة أكثر مما حلمنا به، أم أن ما يطرحه هو تحليل ذاتي وشخصي تماماً، وبالتالي فهو تحليل مدمر على نحو فريد؟ وفي ضوء انعدام التشويق والمتعة القاسي للصورة الذاتية، لا يبدو من المستحيل أن الإقامة القصيرة في إسبانيا المرابكوية الحديثة جذباً غريباً تحولت إلى تكفير مرضته الذات يطوي على تحليل ذاتي للشخص الذي طالما كان هو عليه، وهو يرنو الآن إلى المستقر. لعل تأليف رواية خوريف البطوريك انطوى على محاولة أن يستحق شهرته استحقاقاً معويّاً فضلاً عن محاولة إظهار أنه يستحقها أديباً (بالرغم من حقيقة أن عدداً كبيراً من القراء رأوا، وبما لسمارقة، النتيجة الطموح الواضحة برهاناً على عطسمة رضى ذاتي مبالغ فيها).

يمكن أن يكون "موت" البصيرك "الأول" استعارة لعام 1967، وهو عام رواية مئة عام من العزلة عندما احتفى عارسيا ماركير "الحقيقي" احتفاءً هائلاً تحت وطأة الشهرة والميثولوجيا: لعله كان يصف وداعه التدريجي للحصوية ولبقائه معزولاً واعتيادياً، وتلك عملية تحولت فيها أزمة العنزل في ستينات القرن العشرين، وعمارة مصحكة، إلى أزمة شهرة ونجاح في سبعينات القرن العشرين. ولعل هذا هو ما مثل، في وعيه شخصياً، ودعاً للشباب (مقد سب الأربعين عند صدور رواية مئة عام من العزلة) يضاف إلى ذلك، طالما كان مهتماً لسأمل في الشيخوخة، نعيم عليه أن يطرح أمامنا أرمته وهو في متوسط العمر ويبدأ "حريمه" قبل أي شخص آخر، وبهذا، تفتح أرمته في متوسط العمر في يرشولة مع أزمة الشهرة التي أحاطت به. لعمد وضع شهرته وتأثيره بعد استيعابه كل هذه الدروس في كتابة هذه الرواية الكابوسية أوداً في خدمة القصص السبيلة، وذلك بأن أصبح، شأنه شأن البصيرك في شأنه، "سيد سطاته كلها"، واعياً لها وبعزيمة مطبوعة على الخير العام.

ربما كانت نتيجة شهرته المباشرة انضماماً آخر في الشخصية حلول غارسي ماركر يائساً أن يوحده منذ كان مراهقاً، وكان ذلك صراعاً انصحت آثاره الأولى في القصص المبكرة وأكملتها، كما هو متوقع، رواية مئة عام من العزلة بفور كبير لكنه ربما لم يحل إلا مشكلة واحدة هي مشكلة الادرواحية، ليبدأ بعدها أن عليه أن يواجه مشكلة أخرى وهي الطلاق بين ما سيدعوه لاحقاً شخصيته المبرية والخاصة من جهة، وشخصيته العامة من جهة أخرى. لعل هذا هو السبب الذي يجعل الرواية تطرح احتمال أن الحنة التي يثر عليها الأهالي في مطلع كل فصل قد لا تكون حنة البصيرك. إن غارسيا ماركير الذي أضحي واسع الشهرة الآن، واحه باسمرر، كما الطاعية، أمام وسائل الإعلام مشكلة مثله، لديه التام، ومهارة رؤية بصره في مثل هذه الحالة من لمساواة، لعمد الله عليها، إن هذا الرجل هو أن، أم مخصوص بدليل الطاغية، البديل الرسمي أو الصورة العامة، باتريثو أراغويس، "فقد انكأ ليحيا إلى الأبد حنة ليست بحاته". حسناً، لقد شعر عارسيا ماركير أنه يحتم كلا الرجلين: "الحقيقي" و"البديل". في البدء، وجد البصيرك صعوبة في التكيف مع الأسماء الجديدة التي احتار أن يسميها به الناس أو وسائل الإعلام أو الدعاية

الحكومية لاحقاً، (تماماً مثل أسماء غارسيب ماركيز العديدة: "غابو" و"سيد ماكوندو" و"ملكباديس النجري" وغيرها)، لكن بصرف النظر عن عدم اكترائه لهذا النديل، أو وجوده المصاعف حقاً، فإنه لم يربك ارباك أولئك الذين من حوله.

وهكذا استحوذت قصة السيرة لداتة على غارسيب ماركيز (وبخاصة محنته بوصفه أديباً طبقت شهرته الآفاق) في أثناء تأليفه كتاباً بدا أنه عن إنسان يمثل قطب المعاكس، وهكذا، أمسى البطريق شيقاً فثيقاً غارسيب ماركيز نفسه، تماماً مثلما أصبح أوريليانو بويديا غارسيب ماركيز في رواية مئة عام من العزلة، ليسر الآن فقط أشد الأعماق ظلمة في الوضع الشرقي، متألاً تأملاً عميقاً في روحه الشخصي. إن البطريق هو أبا. الشهرة والحداية والهمود والسلطة من جهة؛ والعزلة والشهرة والطموح والقسوة من جهة أخرى. ومن ناعلة القول الإشارة إلى أن المعارفة الكبرى التي تطوي عليها السيرة الذاتية هي أن الأديب انطلق لتأليف كتابه عن السلطة والشهرة في أواخر خمسينيات القرن العشرين، قبل أن يعيش بمسره هذه الظاهرة بسنوات بعيدة. وعلى كل حال، ففي الآونة التي شن فيها آخر هجوم له على الموضوع، كان قد أصبح بدوره مشهوراً وذو سلطة، ومستوحلاً، وتحول إلى "هو"، وإلى "الأخر"، وإلى الشيء المرغوب فيه لقد كان المسيح الأدبي الذي ابتكره وإن عرم على هجائه وفصحته (ولكنه ربما حسده دوماً ورغب فيه عند الآخر) شخصية تلك الظاهرة التي تحول هو شخصياً إليها.

ربط غارسيب ماركيز في مقابلة أجراها معه خوان غوسان في العام 1971 موضوعات الحب والسلطة، مصرّاً على أن شخصياته كلها مستمدة من السيرة الذاتية، ومعلناً: "أنت تدري يا صديقي القسم أن حب السلطة ينجم عن العجز عن الحب"⁽⁴³⁾. يمكن لهذه الملاحظة أن تبدأ بمثابة صلة نغمية تربط كل روايات غارسيب ماركيز، وأن تمثل حيطاً بمساعد القراء على الخروج من المتاهة الأخلاقية والمعنوية المثابكة التي ابتكرها باستهلاله. لعله ابتداءً أولاً بدافع من عمو إحساسه انحصور على السلطة وأن يكون محبواً بها. ثم حلت أزمة شهرته في أواخر ميسيات القرن العشرين وبداية سبعيناه عندما وجد غارسيب ماركيز، الرجل الذي يتمتع بسيطرة داتة هائلة، وطاقة لسانة عظيمة، وتغلغل نفساني ضخم (وقبل هذا كله، قدرة

منهضة على الإقناع والمقدرة الكبيرة على لمودة وعلى النشاط عبر العام، وجد منه صفاة تحت رحمة أشخاص آخرين أقل موهبة في أعين الأحياء كالنقاد والصحافيين والوكلاء والناشرين، والطفيليين - ضمن المجال العام. لقد أصبح هو نفسه تحت رحمة الصحافيين بعد أن استمتع بسلطة الصحافي. أصبحى صورة وسعة لا يمكنه السيطرة عليهما سيطرة تامة هذا السبب، فمما لا يبعث على الدهشة أن تعدو كارمن باسيلس ذات أهمية فائقة بالنسبة إليه: لقد أسست "وكيلته" من نواح حتى يفوق تنظيم عقوده مع الناشرين. مما لا ريب فيه أنها مكّنه من فهم احتمال أن يتحول إلى 'سيد سلطانه كلها' شأنه في ذلك شأن أي إنسان يستطيع إلى ذلك سبيلاً.

إدأ، ربما قرر غارسيا ماركر، كما الدكاتور، أن يضبط منه العامة، وأن يصح دائماً أخرى (لا تكون دانه إلا جريباً، لكنه الآن عليه أن يختار صورته)؛ وبدلاً من أن يمتنع على محنته، كما احتج في السنوات الثماني الماضية، براه يتحل دانه المشهورة، ويستخدم شهرته، ويمر من أمام جمع غرمائه، ويعلمو رجل السلطة صاحب النفوذ المستتب، لا إلى الناح العدم الذي يحققه من خلال فعل الكتابة المستوح وحسب، بل إلى تألقه الخاص وقدرته من وراء لكونليس على العواية.

بصرف النظر عما قد يلو عليه الدكاتور من فجاجة في الصورة الجنسية التي يصوره بما غارسيا ماركير، إلا أنه عقري سياسي لسبب بسيط جداً: 'كان يرى الآخرين كما هم على حين لم يستطع الآخرون قط إلقاء نظرة حافظة على أهكارة الخفية'⁽⁴⁴⁾. وبالرغم من اغلاقه على نفسه، فإن الطيريك كان دائماً واضحاً الوضوح كله في مقدراته على رؤية واقع الآخرين ومستقبلهم⁽⁴⁵⁾. كان عظيم الصبر، يربح في آخر المطاف دائماً، تماماً مثلما اكتشف أخيراً - في حانة ممشاره سابيت دي لا بارا المهم والذي يتعذر الاستغناء عنه - السرح الذي لا يمكن تصويره والذي كان يحث عنه منذ سنين طويلة في ذلك الجدار الم حاجي البركاني الأسود المدهش⁽⁴⁶⁾. أهده صورة غارسيا ماركير نفسه، الذي يشتد الفور دائماً؛ ضد كل الوافدين، الأصدقاء والأسرة، الزوجه والأحباب، وخصوم الميه (إستورياس وفارغاس يوسا) والعالم⁴⁷ وهل تتحول فندل كامترو إلى الرجل

الوحيد - إلى بطريقه وحده الرمر - الذي لا يستطيع ولا يتحرأ، بل لا يتمي، أن يفوز عليه؟

الدرس الذي تعلمه قارئ هذه الرواية أخيراً - وهو درس يمكن أن يوصف بدرس ما بعد الحداثة - من خلال معايشتها أو معايشتها التطويرك على مضمّن هو أن الحياة يستحيل فهمها من دون أدن شك، لكن ثمة "حقائق" أخلاقية معينة، بالرغم من كل أوهامنا وكل نسبائنا المعاصرة⁽⁴⁷⁾، وهي ذات صلة، لا بالإحسان والعطف وحسب، بل بالسلطة والمسؤولية والتضامن والالتزام، وأخيراً الحب أيضاً. لعل العلاقة الداخلية المعقدة بين هذه القضايا البشرية هي الدرس الذي تعلمه عارسي ماركيز بأن أصبح دائع الصيت، وهو الدرس الذي ما كان ليعلمه لو لم يكن قد ساءت مشهوراً - وهو الذي لا يمكن أن يتعمه حصاً سوى المشاهير وأصحاب السلطة في كل الأحوال - حتى وإن ازداد حسنة أقوى الأشخاص الذين يبرون بتجربة التعم كالتطويرك نفسه بزيادة سلطتهم وعبودهم. وهذا هو ما يطرح احتمالاً جذرياً بعد أن عارسي ماركيز الذي بدأ إعطاء مقالات عن السياسة والأخلاق بين عامي 1972 و1975، على سبيل المثال، أصحى الآن عارسي ماركيز حديثاً عرف حقيقة عارسي ماركيز قديماً الذي كان لا يزال ساذجاً و"رئياً" نسباً، وقرر أن يكون أفصل وأن يتصرف نصرفاً أحسن بعد أن أماطت له لشهرة المكم عن الحقيقة.

أما بخصوص الحب، فإن القراء عندما يفكرّون في هذه الأيام في عارسي ماركيز وفي الحب، نراهم يميلون إلى الانسجام والتفكير في الرومانسي السادج فلورنسيو أرتيا في رواية الحب في زمن الكوليرا وفي وجه عارسي ماركيز الذي يشي بالحصافة والمعرفة، والذي أعاد إنتاجه نفسه على أعلامه ملايين الروايات. ومع هذا، فإن معالجته موضوعي الحب والحس، في رواية تحريف التطويرك وغيرها، وبها للعربة، معالجة فاسية تخبر من السحر أو الوهم. هو موقف البصيرك تجاه النساء فيه عنطية ويعتقر إلى الخيال إلى أقصى الحدود، لكن باستثاين اثنين: مكة الحماض ماريو سانشيث، المرأة التي يتعذر الحصول عليها، والتي يعجب بها من بعد لكنه لا يستطيع معرفتها أبداً، وفي الجهة المقابلة، تلميذة المدرسة في سن الثانية عشرة على

غرار لولبتا التي يعويها بعد أن بلغ مرحلة الحرف. وبلرغم من ذلك، فإن المرأة الوحيدة التي أحسها حقاً تدو أمه. فهل يحمل العلاقة بلويسا سانتياغا هي مفتاح هذه الرواية؟ وهل تمثل مانويلا سانتشيث بحثاً وهماً عن جدانية خارجية وحسب؟ وهل تمثل لينشيا ناناريو مدر كل الزوجات (وما ميرتيديس إلا اسم آخر من أسماء لينشيا)؟ وهل تمثل الرواية كلها إلى حد ما، الجانب الآخر المظلم لكتبته والده مع الأبعد في الاعتبار أن هذه الرواية تحلو تماماً من أي أجداد؟ ولأن الطيريك يعتقد أنه وُلد من لقاء نفسه؟

.. كان يرى أن ما من أحد هو ابن أحد، بل هو ابن أمه، هي وحدها بد ذلك اليقين صحيحاً حتى بخصوصه هو، إذ كان يعلم أنه رجل بلا أدب شأن شأن الطغاة الأكثر شهرة في التاريخ، وأن القريب الوحيد الذي يعرفه، وري القريب الوحيد الذي كان قريبه، هو أمه الحسنة بسديشون ألفارادر⁴⁸¹.

نبدو الحقيقة، الساطعة والعميقة معاً، أن الرجال يربعون في زوجة لتكون عشيقتهم على المدى البعيد، لكن عندما يحصلون عليها، يكتشفون أنهم يريدون أمّاً أيضاً في الوقت عينه الذي يواصلون فيه الرغبة في الحصول على عشيقات أخريات، كامالات الصفات. في أوقات البطريق المبكرة مع لينشيا ناناريو، كانت تُحلبه كل يوم لتعلمه القراءة والكتابة، ثم بمحياي عصر كل يوم عاريين تحت ناموسية سريرها، وكانت تحمّيه وتلسه ثيابه مثل طفل وبهذا، فإن النصف الأول من الرجل يستار لقمع النساء واغتصابهن وهو ينظر إليهن على أنه أصغر سناً وأدنى شأنً منه، وأن يتبرعن من غيره من الرجال. أما النصف الآخر، فيرعب في أن تعامله أولئك النساء أنفسهن على أنه طفل وهن ينظرون إليه على أنه أعلى شأنً منهن وأنه سابق لمن؛ لأن المساواة والتفاعل الديمقراطي غير واقعيين وحتى غير مرغوب بهما (لأنهما غير مثيرين). في هذا الكتاب، كما في غيره، نادراً ما يستخدم غارسيا ماركيز كلمة "حبس" التي تسبب عموماً دائماً بشأن الحب والعلاقة بين الحب والحب. من الواضح أن الشيء الأكيد الوحيد الذي في وسع معظمنا أن نمسكه عن الحب هو أن أما تبنا بصرف النظر عن أخطائنا أو جرائمنا. لكن هذا الشيء الأكيد، كما نعرف كلها، لم يُسمح لغارسيا ماركيز نفسه في السنوات اسكرة من حياته

قلما يتذكر ابطيريك في نهاية حياته شيئاً عني الإطلاق، إذ تحدثت إلى أطباء لا يستطيع أن يفهم أصواتها⁽⁴⁹⁾، وفي عصم كل العلاقات التي تشير إلى تقدمه في العمر، لا يزال يعرف بلا طائل في المجلس بعد أن سكر له الحب هائياً، وبهذا يأتي له العاملون عنده بساء من خدوح اليلاد، لكن بلا جدوى، لأنه لا يزال يهوى معشرة ساء الطيقة العاملة مما يجعله دائماً يبدأ بالعاء مرة أخرى (قمر كانون الثاني المنير)⁽⁵⁰⁾. أخيراً، ومع اقتراب الرواية من نهايتها، يتذكر أن حياته كلها كانت موهوبة لسان "طفولة بعيدة مثله للوهلة الأولى وهو يرتجف على الأراضي الفاحلة الماردة، وصورة أمه بيدينيون ألفارادو التي سرقت أحشاء كرش من بين كومة العايات لإعداد وجبة عداء"⁽⁵¹⁾. إن الطفولة، كما سيدكرنا بذلك كتاب غارسيا ماركيز ذكريات غائيات الحزينات، لا تقدم الأعداد بالضرورة، لكنه قد توضح

* * *

حاول غارسيا ماركيز أن يشغل نفسه بالرواية في الربيع الأخير من عام 1973 وحتى عام 1974⁽⁵²⁾. لكنها كانت قد اكتملت أساساً ونات قادراً على بدء التخطيط للمستقبل. لقد كان كاتباً مستوحداً، حس صراع مستوح مع بطر مستوح، لكنه بالرغم من ذلك، يواصل في الوقت نفسه حديثاً لا نهاية له مع العالم بشأن عزله، وبشأن أكثر القصايات الجمعية ألا وهي الساسة. وأقل ما يمكن قوله، هو إن المشهد كان عربياً على قراء الصحف، لكن غارسيا ماركيز أفصح بشق انفس في مواصلة مسعاها من دون أن يجمل من نفسه موضع هزاء واستمر. وجعلته التجربة حيواناً أدبياً وسياسياً أشد غلظة حتى بات أقل حساسية في مواجهة أي نقد تقريباً من تلك التحديات التي سنخبرها له موهنته وشهرته.

في مطلع ربيع العام 1973، كان قد سافر برفقة موفيديس من برشلونة إلى باريس لحضور رفاه ناتشا التي تزوجت في نهاية المطاف تشارلر في الحادي والثلاثين من آذار. وكان ابهما خوال قد بلغ النامة من عمره انذاك - وأقاما قبالة المستشفى التي أجهمت فيها سنة 1956، لينتقلا بعدها إلى شارع رو دي ناك. ونستذكر قائلة: "كان غامريل إشين في رواجي وكانت أختي أيريس وصبة

الشرف كما أن عابريل هو عراب ابني حوان وكنت أود حضور بلاس أيضاً في حفل لوف، لأن ذلك سيكون شيئاً رائعاً - لكنه لا يعتمد عليه ويصعب توقع تصرفاته⁽⁵³⁾. ليس ثمة سبب على الإطلاق يدفع للاعتقاد أن عارسيا ماركيز دم على انفصاله عن تاتشيا باستثناء بدمه على الأسوب الذي تم فيه الانفصال. لكنه نظل موضع إشارات كثيرة لرجل يكتب باستمرار عن الحب، ورمزاً إلى سبل غير مطروقة وعلاقات خارج الرواج، وبدائل عن الرواج مرة واحدة.

في وقت لاحق من ذلك العام، وفي الأيام التي كان فيها في المراحل النهائية من رواية غريفي البطريرك، حظي عارسيا ماركيز بتكريم عالمي كبير آخر متمثل هذه المرة بجائزة بيوستادت التي منحت بالمشاركة مع مجنة بوكس إيرود الصادرة عن جامعة أوكلاهوما. كان القرار مدهشاً، وحديراً ناشأ والإطراء، كي تتخذه مؤسسة أميركية بعد مرور سنة أشهر وحسب على الفضيحة التي أحاطت بزرعه بجائزة غاليلوس للحركة باتجاه الاشتراكية⁽⁵⁴⁾. وبعد أن أدى عارسيا ماركيز واجبه أداءً تعوره الحماسة في أوكلاهوما لقاء الاحتمالية والشيك، سافر حواً إلى لوس أنجلوس وسان فرانسيسكو لتعبئة إحارة أسرية قصيرة، سافر بعدها إلى مدينة مكسيكو حيث أمضى أفراد الأسرة فصل الصيف هناك. كانت حماسهم شديدة إذ عادوا إلى المكسيك معاً ليكونوا بين أصدقائهم وفي مسقط رأس رودريغو وعوشالو الحقيقي، حتى إهم اشترى منزلاً ريفياً متداعياً في ضواحي كبيرهاكا، ذلك المنتجع الجميل الذي اشتهر في رواية تحت البركان لماكولم باسم لوري⁽⁵⁵⁾. كان شراؤه صفقة حقيقية، إذ كان يحتوي على حديقة مساحتها ألف ومئة متر مربع، وعلى مقربة من منزل صديقتهما القديمين بيثيني وأليتا دوجو، وباتجاه لاس كوينتاس حيث يمكن مشاهدته جبال سييرا. في هذه المرة مضى عارسيا ماركيز قدماً في الصفقة على العكس من محاوله التي كاد فيها أن يشتري منزلاً ريفياً خارج برشلونه. ولما سجل العمار في مكتب الكاتب العدل تدفق جميع الموطعين من المكاتب المحاورة للحصول على نسخهم من رواية مئة عام من العزلة موقعة بتوقيعه. وابتهج عارسيا ماركيز بتهاجاً شديداً وقال: "إني رأسمالي. إن لدي ملكيه!" كان قد بلغ الثامنة والأربعين من عمره.

في التاسع من أيلول عادر المكسيك بعد إقامة لأكثر من شهرين، وسافرت ميرثيديس جواً إلى برشلونة حيث عاد الصبيان إلى المدرسة على مصص. كان غارسا ماركيز في طريقه إلى كولومبيا لإبحار بعض الأعمال، لكنه أخطر الصحافة المكسيكية أنه ابتهج انتهاجاً شديداً للاستقبال الذي حظي به في المكسيك، وأنه بصدد السر إلى برشلونة لتوضيب حاجيته والعودة إلى المكسيك بأسرع ما يمكن⁽⁵⁶⁾. وصرّح أيضاً أن قارة أميركا اللاتينية تعتقر افتقاراً شديداً إلى القادة العظماء وأن القائدين الحقيقيين الوجوديين في القارة هما كاسترو وأليدي، أما البقية، فهم ليسوا سوى "رؤساء جمهوريات وحسب". لكن بعد مرور يومين اثنين، وفي أول حادي عشر من أيلول يحمل الهلاك، مات أحد هذين الرعيامين، ولم تعد أميركا اللاتينية مرة أخرى كما كانت أبداً

تشيلي وكوبا:

غارسيا ماركيز يختار الثورة

1973-1979

في الحادي عشر من أيلول عام 1973 كان غارسا ماركيز يحس أمام شاشة التلفاز في كولومبيا شأنه شأن ملايين التقدميين السياسيين في أرجاء العالم ويشاهد، وهو في حاله من الملل، قاذفات القوة الجوية التشيلية تهاجم قصر الحكومة في سانتياغو. وبعد مرور ساعات قليلة تأكد سأ وفاة الرئيس اسخبت اسخبتاً ديمقراطياً سلعادور أليدي، ولم يعرف أحد إن كان قد قُتل أو انحر. واسنوب طعمة عسكرية على مقاليد الحكم، وبأت بطارد ما عُرف بأكثر من ثلاثين ألف مواض رُغم أنهم ناشطون من الجناح اليساري، وذلك في عصون الأسابيع القليلة التي أعقبت ذلك، ولم يخرج اعديدون منهم أحياء من مراكز الاعتقال. كان بابو بيرودا يختصر بسبب إصابته عرض السرطان في بيته في إيسلايغرا على ساحل تشيلي المطل على المحيط الهادئ. وأمسى موت أليدي وتحطم أحلامه اليسارية، إذ سقطت تشيلي في أيدي نظام فاشي، المادة المكونة للأيام الأخيرة من حياة بيرودا. على وجه الأرض قبل أن يسلم للعرض لدي ألمَّ به مد سواب⁽¹⁾.

كان المعلقون والناشطون السياسيون في جميع أنحاء العالم يطرون إلى حكومة الوحدة الشعبية برعاية أليدي على أنها تحرمة ستين إن كان لي الإمكان تحقيق مجتمع اشتراكي وسائل ديمقراطية. كان أليدي قد عمد إلى تأميم الحاس والسولاد والفحم ومعظم المصارف المحلية وغيرها من قطاعات الاقتصاد الخبوية، وتكثت حكومته، بالرغم من ادعاءه والتحرير المتواصلين اللذين كان يعدهما اليمين، من

ريادة حصتها في الصوت لصالح إلى نسبة 44 بالمئة في الانتخابات الصيفية في اذار 1973، مما دفع البين إلى التعميل بمصاعمة جهوده لتبريض النظام. وكانت التي اي آيه تعمل ضد اليدي حتى قبل انتخابه: فقد كانت الولايات المتحدة المطوقة في مستفهمها المينامي وقد بدأ حاجس كوبا يسير عبيها، منلهفة كي لا ترى أي نظام آخر معادياً لرأسمالية في نصف العالم الغربي. وقد كان تأثير تدمير التجربة التشيلية تليماً وحشياً أمام أظفار العالم أجمع في اليازين مشاهماً للتأثير الذي أحدثته هزيمة الجمهوريين في الحرب الأهلية الإسبانية قبل أربعين سنة تقريباً. عد الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم، كتب غارسيا ماركيز هذه الرقية إلى أعضاء لظفمة التشيلية الجديدة:

بوغوتا، 11 أيلول 1973

الحترالات أوغستو بنوشيت وعوستافو ليه وسيسر مينديث داياو والأدميرال جوسيه تورييو ميريو، أعضاء المجلس العسكري
 إنكم أنتم السبب الرئيس في موت الرئيس اليدي، ولكن يسمع الشعب التشيلي
 نفسه أن تحكمه عصاية من المجرمين الأجورين من إمبريالية أميركا الشمالية.
 غابرييل غارسيا ماركيز (2).

عندما كتب غارسيا ماركيز تلت الرسالة، لم يكن مصير اليدي قد عُرف بعد، لكنه قال في وقت لاحق إنه يعرف اليدي معرفة جيدة تكفي لأن يكون متأكداً من أنه لس يغادر القصر على قيد الحياة، ولا بد من أن الطفمة العسكرية كانت تعرف ذلك أيضاً. وإذا كان البعض قد قال إن إرسال هذه الرقية كان إشارة تناسب طالب جامعة أكثر مما تناسب أدياً كبيراً، إلا أنها أثبتت كونها أول عمل سياسي اتخذ غارسيا ماركيز الجدي، وهو الرجل الذي كان يبحث عن دور جديد، لكن أفكاره السياسية تعمقت ونصلت على نحو جدي بسبب النهاية العيفة لتجربة اليدي التاريخية. وصرح غارسيا ماركيز في مقابلة لاحقة: "كان الانقلاب التشيلي كارثة بالنسبة إلي".

وكما هو متوقع، اتضح أن قصة ناديا كانت الخط الفاصل في تاريخ لحرب الباردة في أميركا اللاتينية، وليس للمثقفين والمناين والأداء وحسب. وظل غارسيا ماركيز بالرغم من النقد الذي وجهه إليه أصدقائه وادي تراوح بين "الانتهارية"

و"السداجة" - أكثر كتّاب أميركا اللاتينية ثباتاً من الساحة السياسية صحيح أن الاتحاد لسوفيّاتي لم يمثل الاشتراكية التي كان عارسيا ماركيز يريدّها، لكنه نظر إليه من وجهة النظر الأميركية اللاتينية على أنه ضروري جداً ليكون عقبة أمام إمبريالية الولايات المتحدة وهيمنتها. ففي رأيه، هذه ليست "رفقة طريق"، بل هي تقويم الواقع تقوياً عقلياً. وإذا كانت كوب، بالرغم من إشكالياتها، بلداً تقدماً أكثر من اتحاد الجمهوريات السوفيّانية الاشتراكية، فإنه لا بد من أن يدعمها الأميركيون اللاتسيون المناهضون للإمبريالية والذين يتعين عليهم أن يذلوا ما في وسعهم لتعدين أي مظهر من مظاهر النظام القمعية أو غير الديمقراطية أو الدكتاتورية⁽³⁾، واحترار عارسيا ماركيز ما بدا له أنه طريق السلام ولعدالة لشعوب العالم؛ وهو الطريق الذي عرف عموماً بطريق الاشتراكية العالمية⁽⁴⁾.

مما لا ريب فيه، أنه تمى نجاح التجربة التشيلية، إلا أنه لم يعتقد أن ذلك سيكون مسموحاً به. وقد ردّ على سؤال وجهه إليه صحافي من مدينة نيويورك في سنة 1971 إذ قال:

طموحي أن تصبح أميركا اللاتينية كلها اشتراكية، لكن الشعوب في هذه الأسماء تعويها فكرة الاشتراكية السلمية والدستورية. يبدو هذا كله حسناً للأهداف الاندماجية، لكنني أعتقد أن هذه الفكرة طوباوية تماماً. تشيلي دولة تتجه نحو أحداث عنف درامية وإذا ما مضت الجهة الشعبية قدماً - بذكاء وبأساليب عظيمة فائقة وسريعة إلى حدّ معقول - فستأتي اللحظة التي نواجه فيها جداراً من المعارضة الجادة.

إن الولايات المتحدة لا تتدخل في الوقت الراهن، لكنها لن تقف دائماً وتفرّج مكتوفة الأيدي، بل إنها لن تقبل أن تتحول تشيلي إلى بلد اشتراكي. إننا لن نسمح بذلك، وأرجو ألا أكون تحت طائلة من هذه الأوهام في هذه المسألة إسي لا أعني أبي أرى العنف حلاً. بل أعتقد أن اللحظة ستحلّ عندما يصبح العنف وحده طريقاً لعبور جدار المعارضة. لسوء حظ، أعتقد أن هذا أمر محتمل. كما أعتقد أن ما يحدث في تشيلي جيد جداً إذا ما نظرنا إليه على أنه إصلاح وليس على أنه ثورة⁽⁵⁾.

قلّة من المراقبين نظروا إلى المستقبل مثل هذا الوضوح. قد أدرك عارسيا ماركيز أنه يعيش الآن في معترك طرق حاسم في تاريخ العالم. ففي السنوات

القبيلة المقتبة، وبالرغم من تشاؤمه السياسي عميق الجذور، راه يعد سلسلة من المبادرات على الالتزام السياسي، ولعل أفضل تلخيص لها هو ذلك الذي ورد في مذيلة صحافية تعود إلى العام 1973:

إن الإحساس بالانتماء، وهو يشبه ما يسميه الكاثوليك عشاء القديسين، ينطوي على مغزى واضح تماماً بالنسبة إليّ. إنه يعني أننا في كل فعل من أفعالنا، يكون كل واحد منا مسؤولاً عن عموم الإنسانية. وعندما يكشف المرء هذا الشيء، فذلك سببه أن وعيه السياسي بلغ أعلى مستوياته. وإذا ما تركنا التواضع جانباً، فإن هذه هي قضيتي، إذ لا يوجد في حياتي أي فعل غير سياسي⁽⁶⁾.

كان غارسيا ماركيز يبحث عن طريق القيام بعمل ما وأصبح مقسماً أكثر من أي وقت مضى أن الطريق الكوبي هو الطريق الوحيد الممكن المؤدي إلى استقلال أميركا اللاتينية سياسياً واقتصادياً، بمعنى المؤدي إلى كرامتها. إلا أنه أهد مرة أخرى عن كوبا. ونظراً إلى تلك الظروف، قرر أن طريق العودة يكون أولاً من خلال كولومبيا. فقد شارك في المناقشات لبعض الوقت مع المثقفين الكولومبيين المناسب، وبخاصة مع إيريكي سانتوس كالديرون من أسرة تحرير صحيفة التيمبو⁽⁷⁾، الذي تعرف إليه مؤجراً، ودانيال سابو الذي عرفه منذ عقد من السنين، ثم أغطيو كابييرو، وهو ابن الروائي الليبرالي من الطبقة الوسطى إدواردو كابييرو كالديرون، وكان الهدف تأسيس معط جديد من الصحافة في كولومبيا، وبخاصة تأسيس مجلة يسارية⁽⁸⁾ وتوصل غارسيا ماركيز إلى نتيجة مفادها أن الطريق الوحيد لإصلاح بلدنا المحافظ، إنما يتم بواسطة ما أسماه مارحاً "إعواء" و"تحريف" بجبل الأصغر سنًا من الأسر الحاكمة القديمة⁽⁹⁾. ومن المشاركين المهمين أيضاً أفضل مؤثر لحقة أحداث العنف التي مرت بها البلاد، أورلاندو فالس بوردا عالم الاجتماع المشهور عالمياً، وكذلك رجل الأعمال اليساري جوسيه بيتي كاتاريس الذي سيفو في ما بعد ناشر مؤلفات غارسيا ماركيز في كولومبيا. وسيكون اسم المجلة الجديدة أنثرباتسما (البديل)، وكانت بقصة انطلاقها متمثلة "بريادة احتكار المعلومات التي يعاها المجتمع الكولومبي على أيدي المصالح نفسها التي تسيطر على الاقتصاد الوطني والسياسة الوطنية". وكان هدفها يمثل بإظهار "وجه كولومبيا الآخر الذي

لا يظهر على صفحات الصحف الكبرى، ولا على شاشات التلفزة التي نخضع حصوفاً كبيراً كل يوم للرقابة الرسمية⁽¹⁰⁾. صدر العدد الأول في شاط سنة 1974، واستمرّ صدورها في السنوات الست المضطربة. لكن بالرغم من أن غارسيا ماركيز لم يُمنح إلا مده رمزية قصيرة نسبياً في كوبوميا - وإن كان ينوي ما هو أفضل من ذلك - فإنه بقي يشارك فيها مشاركة منتظمة، وكان حاضراً دوماً لتقسيم المشورة والصيحة. واستثمر هو وغيره من كبار المساهمين مبالغ كبيرة من مالم الخاص في هذا المشروع الذي يطوي على معامرة من أساسه. وصرّح غارسيا ماركيز في عصبون ذلك أنه سينقل إلى أميركا اللاتينية، وأنه، وبا للإثارة الكبرى، لن يكتب أي روايات بعد اليوم، فهو منذ الآن وإلى أن تسقط الطعنة العسكرية التي يرعها الجرال يوشيت في تشي في حانة "إضراب" بادر ما ينقص الأمر الأدب، وإنه سيهب نفسه كلها لخدمة العمل السياسي.

في شهر كانون الأول ولتوكيد قراراته الجديدة، قد غارسيا ماركيز دعوة ليكون عضواً في محكمة رسل الثانية دائمة الصيت التي تحقق وتحكم في جرائم الحرب اللوليه. وماله دلالة ذات معنى أكبر مما تبدو عليه للوهلة الأولى، هو أن هذه الدعوة كانت أول علاقة واضحة على أنه مسحط بقول عالمي في أركان ومستويات لم يعرفها غيره من أدياء أميركا اللاتينية، وأنه بالرغم من التزامه لمثير للجدل إزاء كوبا، ستكون له حرية نسبية في المشاركة في النشاط السياسي وإنما وحيثما شاء.

سبع من العدد الأول من مجلة التارتيغا الصادر في شاط 1974 عشرة آلاف نسخة في عضون الساعات الأربع ولعشرين الأولى وصادر رجال الشرطة في بوعربا بصع مئات من السح، غير أن هذه الحالة ستكون الحالة لوحيدة من حالات الرقابة المباشرة في تاريخ أمة (بالرغم من أنها ستعرض لاحقاً إلى رقابة غير مباشرة" متشبهة بهجمات انقلاب، وتدحلات المحاكم، وحصار اقتصادي، وتحريب عمليات التوزيع، فأسهمت كلها في وضع نهاية لها). ثم تصادف المجلة لاحقاً مشكلات مالية، غير أن الاستجابة لها في الأشهر الأولى كانت هائلة. وقبل أن يمضي وقت طويل، بدأت تبع أربعين ألف نسخة، وهو رقم غير مسوق لمطوع

بمساري في كولومبيا. كان العدد الأول يحمل شعاراً يحض ريادة الوعي - 'الحرأة في التفكير مدايه الصال' - وافتاحية بعنوان: "رسالة إلى الماري" أو صحت أن هدف المجلة الجديدة هو "الصال صد تشويه الواقع في الصحافة البورجوارية" و"مواجهة التضليل الإعلامي"، (وهو موضوع مُثل أصدق تمثيل في أعقاب مسحة الموز في رواية مئة عام من العزلة).

احتوت المجلة، التي كانت تصدر مرتين في الشهر، على أول مقالة من مفاوتين كتبها عارسا ماركيز بصواد تشيلي والاقبال والأحاب⁽¹¹⁾، وكانت أول مقانة سياسية صريحة يكتبها مد أن داعت شهره وورعت بوريعاً ناححاً في جميع أنحاء العالم (إد بشرت في الولايات المتحدة الأميركية وفي المملكة المتحدة في أدن) وأصحت ذات مكانة فريدة على العور. وقد رثى عارسا ماركيز ما عدّه نهاية سلفادور آلدي المصلحة:

كان مقدراً له أن يبلغ الرابعة والستين من عمره في شهر تموز المقبل. وستظل كبرى فضائله سارية، لكن القدر أثر أن يمنحه تلك العظمة التراجيدية، السادرة بالموت وهو يدافع دفاعاً مسلحاً عن صنف الفنون البورجوارية، لمنطوي على مفارقة تاريخية، دفاعاً عن محكمة العدل العليا التي تنكرت له وأصفت الشرعية على قتلته، دفاعاً عن مجلس يائس أعلن أنه غير شرعي، ولكنه اضطر إلى الخضوع لمشينة المفتصين دفاعاً عن كل ممتلكات لظم الحقير التي أكنها العث. النظام الذي اقترح هو إلغاء من دون إطلاق طلقة سار واحدة. وقفت المائة في تشيلي أمام أسف التشيليين، لكنها ستدخل التاريخ بصفقتها حدثاً أصاب به جميعاً، أبناء هذا العصر. وستظل في حياتنا إلى الأبد⁽¹²⁾.

إنما برة الاحتقار نفسها التي كان يتكلم بها عارسا ماركيز عن النظام الرئاسي الكولومبي مد أواسط خمسينيات القرن العشرين والتي تمثها أدق تمثيل قصة جنازة الأم الكبيرة. أما سلفادور آلدي نفسه، فقد كان شخصية من شخصيات عارسا ماركيز، شهساً آخر في مئوى أبطال أمير كا اللاحسة الذين لم يكتب لهم النجاح، وليسيلحق به شهداء آخرون، وسيعلو العديد من السياسيين المتعاقبين والمرعبين في آن أصدفاء عارسا ماركيز في السنوات اللاحقة في مسعى يائس أو حراقي ربما لتفادي مثل هذا المصير.

وكما هرب غارسيا ماركيز من المكسيك بعد صدور رواية فئة عام من العزلة وتمكنه من سداد ديونه، فقد أعدَّ العدة الآن مغادرة برشلونة بعد فراقه من كتابة رواية خريف البطريق وإعداده كتابه قصص مجموعة⁽¹³⁾ كان لديه دائماً شعور تعوده الحصة براء إسبانيا وإن كان مشوشاً إلى حدٍّ ما ومتعاليّاً في بعض الأحيان. كما أن فكره مشعل الآن بقصايا وأماكن أخرى. وستطوي لسته لقبة على تعديل تدريجي لكل من مقر إقامته وموضع اهتمامه، من أوروبا إلى أميركا اللاتينية، ومن الأدب إلى السياسة. في غضون ذلك، كان ماريو فارغاس يوسا الذي وصل إلى برشلونة قبله قد غادرها قبله أيضاً. وفي الثاني عشر من حزيران عام 1974 نظم كارمن بالسيلس حفلة وداع لـ فارغاس يوسا الذي قرر العودة إلى بيرو⁽¹⁴⁾. وحضر الحفلة معظم أدياء أميركا اللاتينية المقيمين في أثناء تلك الحفلة، من بينهم خوسيه دونوسو وخورخه إدواردو إين حاسب الكاتالونيين خوسيه ماريّا كاسيب، وكارلوس بارال، وخوان مارسيه، وخوان ولويس غويتيسولو، ومايول باتكين موتاسان وغيرهم. من المؤكد أن هذه الحفلة كانت مناسبة أشترت إلى نهاية مرحلة الاستعاش بكل ما فيها من أنق أوروبي بعد أن قرر فارغاس يوسا الرحيل وأعدَّ غارسيا ماركيز عدته للسفر أيضاً⁽¹⁵⁾.

أبحر فارغاس يوسا إلى ليما برفقة زوجته وأسره باركاً حله عددًا كبيراً من الأصدقاء في برشلونة يأسمون لرحيله، بالرغم من أن كارمن بالسيلس ظلت تمثل نقطة اهتمام.

في أواخر فصل الصيف، اتخذ غارسيا ماركيز وميرثيديس قراراً غريباً، إذ تركا الولدين في برشلونة برعاية أصدقائهما من أسرة فيودتشي وكارمن بالسيلس والمرأة التي كانت تطبخ وسطف البيت، وسافرا، وبا للعزلة، إلى لندن. كان غارسيا ماركيز قد قرر أن يوقت قد حان أخيراً لأن يهتم بما كان يعدّه الإحفاق الكبير الوحيد في حياته، ألا وهو عمّزه عن تعلم اللغة الإنكليزية. واقترح هو وميرثيديس على رودريغو وغوثالو أن يمضيا مسين في لندن، لكن الصييين رفضا رفضاً باتاً، ثم تولتهما الدهشة والامتعاض لإعلان أوبيهما أنهما مراً أخيراً السمر وترك ولديهما المراهقين وراءهما⁽¹⁶⁾. مكث الزوجان مدة من الزمن في فندق كـرنغتون هيلتون،

وهو فذوق يعرفه معرفة جيدة، والحقا بدورة مكثفة مدرسة كالان لتعليم اللغة الإنكليزية في شارع أو كسفورد، وكانت المدرسة تقيم نتائج ممتازة في ربيع امده المعهودة بمص طرائق تدريسها "التي لا تخطئ".

إن تعلم اللغة الإنكليزية - الذي لم يترك على ما يرام - لم يكن شغل عارسيا مركزا الوحيد. ففي لندن، وبأ للخرابة، اتخذت الخطوات الأولى لإعادة تكامله في الثورة الكورية. وكان منذ قضية بادئ في العام 1971 قد نُذ من بين ظهرايهم أكثر من قبل، لكنه اتصل في لندن بألبساندرو أوتيرر وهو الأديب الذي أدت مواجهته مع هيريرتو بادئ بصورة غير مباشرة إلى المرحلة الأولى من القضية في العام 1968. كان أوتيرر يعرف ريجيس دوبريه ووهق دوبريه على أن يكون وسيطاً بين عارسيا ماركيز ووزير الخارجية الكوبي رافائيل رودريغيث. وأخبر رودريغيث أن الثورة تترك حصاً فادحاً بتركها شخصيه مهمة مثل عارسيا ماركيز في "طلي السيان السياسي". فوافق رودريغيث ودعا سفير كوبا في لندن غارسيا ماركيز تناول طعام العشاء وقال لي: "يريد كارلوس راماتيل مي أن أتحرك أن الوقت قد حان لعودتك إلى كوبا"¹⁷.

في بداية إقامة عارسيا ماركيز في لندن، اكتشف وجوده في الصدق عدد من الصحفيين الأميركيين اللاتينيين العاملين في المحطة الأسبوعية ميحون امالية لولايات المتحدة وتحامل عارسيا ماركيز معظم أسئلتهم، ولكنه من ناحية أخرى طرح رأياً باهلاً البصرة مثيراً للاهتمام حول انطباعه عن لندن:

لندن أكثر مدن العالم إثارة للاهتمام: إنها عاصمة مترامية الأطراف، حزيئة. عاصمة آخر إمبراطورية استعمارية قيد التصفية قبل عشرين سنة، وفي أثناء زيارتي الأولى لها، كان لا يزال من الممكن أن نرى وسط الضباب أولئك الإنكليز بقبعاتهم (البيرلر) المستديرة السوداء والبناتيل المعططة. وكانوا يتجهون في مظهرهم كثيراً أهالي يوغوتا في ذلك الوقت. أما اليوم، فقد لا ذروا ببقوهم في الضواحي، مستوحدين، في حد تقهم الحرية، بكلاهم الأخيرة، برهراقهم الذهبية الأخيرة. بعد أن قهرهم ضغط المد البشري الذي لا يقاوم القادم من الإمبراطورية المفقودة. يبدو شارع أو كسفورد كأى شارع في باناما أو كوراساو أو فيرا كروز، وقد جلس هنلوس بواصل أمام أبواب متاجرهم المليئة بالحرير والعاج، ونساء سوداوات رائعات يتباهى زاهية

الألوان يبعث الألو كادر، وسحرة يجعلون كرة تختفي من تحت كوب أمام أنظار الجمهور. وعوضاً عن الضباب تجد شمساً حارة تبعث منها رائحة الغرافة والتمساح الغافية وتدخل حانة لاجتماع شراب، كما في حانوت في لاغويرا، فتفجر فتيلة من تحت مقعدك. وتسمع اللغات الإسبانية والبرتغالية واليابانية واليونانية من حولك. ومن بين كل الذين التقىهم في لندن، فإن الشخص الوحيد الذي كان يتكلم بلغة إنكليزية تخلو من العيوب والأخطاء وبلكسة أو كسفورد هو وزير المالية السويدي. إذاً، لا تتعجب إذا ما رأيتي هنا: في ساحة بيكادلي أشعر وكأنني في مدخل متجر حلويات في كارثاغينا⁽¹⁸⁾

قلعة من المراقبين توقّعوا هوية لندن المستقبلية بوصفها "مدينة عالمية" تمثل هد الوقت المبكر وهذا الوصوح. وعندما سُئل عارسيا ماركير إن كان أي نظام في أميركا اللاتينية يسمح لشروطه أن تكون بلا سلاح كالشرطة البريطانية، قال إن هناك حقاً بلداً واحداً وهو كوبا وأضاف أن الخبر الكبير في أميركا اللاتينية هو ترسيخ دعائم الثورة الكوبية - وإن كان اوراقون المعادون في ذلك الوقت يعتقدون أن مثل هذا "الترسيخ" يعني السير على عرار "الستالينية" - والتي بولاهما لما كان أي تطور من التطورات التقدمية الراهنة ممكناً في القارة بصفها مرحلة الاسعاش أيضاً. ثم كرر أحياناً رأيه بأنه لن يكتب أي رواية بعد اليوم حتى تطفح المقاومة المتسللة بالديكتاتورية النشلية التي تنفي أفرادها المال من التعاون ثمة حماس واضح في هذه المقابلة أب عارسيا ماركير كان يحرق السمن ويرفع علم الترامه الاشتراكي. لماذا؟ لأنه كان يعرف جيداً أنه سيعود إلى كوبا.

واصل عارسيا ماركير محاولاته لكتابة السحة الأخيرة من رواية حريف النظريرك، ومداعية الأفكار الخاصة بالصوص السيمائية الراديكالية وذلك في الأوقات التي لم يكن يحضر فيها دروس تعلّم اللغة الإنكليزية في لندن.

ثم جاء أصغر أشقائه إليخيو وروجه ميريام لزيارته ولزيرة ميرنيديس، وكان قد انتقل إلى باريس في شهر أيلول. وأصبح إليخيو وأخوه المشهور عاييو وثيفي الصبه بالرعهم من قهوة السوات العشرين التي يفصل بينهما. وكان من شأن إليخيو وميريام تمضية فترة الميلاد لعام 1974 في برشلونة مع عاييو وميرنيديس وولديهما

وفي أيلول عام 1974 تفجرت مشكلات سياسية داخل هيئة تحرير مجلة الثارانتيا ما دفع بهريق أورلاندو فالس بوردا لترك العمل في المجلة. وأنتوني إيريكسي سانتوس كالديرون في وقت نال: "كما نطمح إلى التعددية، لكن الناس سرعان ما انفسوا إلى جماعات متبينة. وعلى عابو معاناة شديدة كل تلك المشكلات وهو يحد صعوبة شديدة في معالحة التوترات الداخلية بين أصدقائه. وسيت كل عودة سريعه له أُلماً مُضْطاً، لكنهم حولوه إلى سياسي، ومكّنوه من التبيه إلى واقع الكماح المسح، وجصوه محبوب السار"⁽¹⁹⁾.

وفي شهر كانون الأول أجرى غارسيا لقاءً مع عميل المي أي أبي المنشق فلبس أخفي الذي ستغلبو كشوفاته اللاحقة عن نشاطات المنظمة في أميركا اللاتينية معث دهشة للعالم أجمع⁽²⁰⁾. في هذه الآونة، لم يكن هناك أحد يرفض لقاء غارسيا ماركيز. وفي انتخابات عام 1974 الكولومبية، وبعد انتهاء حلف المحبة الوطنية رسمياً، نول السلطة ألفوسو لوبيث ميتشيلسين الليبرالي بعد أن حاز على 8.63 بالمئة من الأصوات المقترعة بالرغم من أن 50 بالمئة من الناخبين احفقوا لي التصويت. وبالرغم من شكوك غارسيا ماركيز بشأن سياسة لوبيث ميتشيلسين، إلا أنه كان سعيداً لرؤيته وقد تبوأ الرئاسة، إذا ما أخذنا في الاعتبار رابطة النسب البعيدة من خلال علاقة أسرة كوتيس بباديّا، وعلاقته الأولى عندما درس الحقوق على يد لوبيث ميتشيلسين في جامعة بوغوتا ومسؤوليات الاشتغال مع رجل يس رجعيّاً على وجه التوكيد⁽²¹⁾.

أخيراً صدرت رواية خريف البطريق في برشولة في آذار سنة 1975. وراجحت الشائعات في الصحافة الأميركية اللاتينية ومفادها أن نشر الرواية موقع حتى عرض الكتاب في المكتبات، وكان بذلك أكثر الكتب التي طال انتظارها في تاريخ أميركا اللاتينية. وقد أصدر الناشر الإسباني بلانكا مي حانيس الكتاب بخمسمئة ألف نسخة بعلاف سميك. وفي حزيران سيصور الناشر نفسه كتاب قصص مجموعة ويكون غارسيا ماركيز بذلك قد صفّى حسابه مع قراء أدبه في مرحلة الراهة. وبالرغم من ذلك، أو ربما بسبب التوقعات الهائلة، كانت مراجعات الكتاب متبينة، بل إن عدداً كبيراً منها كان عدائياً⁽²²⁾. ولقي الكتاب هوئ في نموس بعض التفاد

لما فيه من شاعرية ممتلئة وبلاغة متوهجة المعارقة، تثيران معاً وتحاكبان أشد فانتاريات أميركا اللاتينية سوداوية في الوقت نفسه. إلا أن آخرين لم يرقهم الكتاب لكثير من الأسباب تراوح بين بداعاب مسوبة إلى ما فيها من مغالاة مستمرة، مروراً بالافتقار إلى علامات الوقف وانتهاء بثوقه السياسي الإشكالي على ما يبدو. فقد أثرت هذه الاختلافات على وجه الخصوص في الوقت الذي نشرت فيه الرواية. إلا أن الاختلاف الجذري استمر بمرور السنين.

ومع هذا، فإن رواية خريف البطريق هي التي أكدت أخيراً مكانة غارسيا ماركيز بوصفه روائياً محترفاً، إذ أوضحت عن تمككه من تأليف رواية صحيحة أخرى بعد رواية مئة عام من العزلة. كما أن الذين لم ترقهم الرواية، لم يحاولوا إنكار حقيقة أنها مكتوبة بقلم أديب عظيم وإذا كانت رواية مئة عام من العزلة تدل على بعد قاري هائل لا يرقى إليه شك، فإنها لا تزال رواية كولومبية بكل معنى الكلمة. أما رواية خريف البطريق، فهي بخلاف ذلك، رواية أميركية لاتينية كتبها المؤلف وفي ذهنه جمهرة القراء الرمرية، تكاد تخلو من أي بعد كولومبي ذي مغزى يس أقلها أن كولومبيا لم تعرف قط ذلك الصرب من البطريق الذي تصوره الرواية: فكولومبيا من الناحية الرسمية يد "ديمقراطي" على امتداد معظم سبي القرن العشرين. بمعنى من المعاني، تمثل رواية خريف البطريق وليست رواية مئة عام من العزلة، الكتاب الحاسم في حياة غارسيا ماركيز بوصفه أديباً لأنها تشتمل على كل مؤلفاته الأخرى خلافاً للاضطرابات الأولية. وسواء عدت "أفضل" رواياته أم لا، وهو ما أكدته غارسيا ماركيز نفسه غالباً، فإنه ليس صعباً أن نفهم السبب الذي يجعله يعتقد أنها "أهم" رواياته، خاصة إذا ما أضعنا إلى تكوينها الإيجازي اعتنايين آخرين سبقت الإشارة إليهما وهما: توكيدها أن صورة البطريق هي صورته هو نفسه، وحقيقة أنه كتب الرواية "لنفسه" مؤلفاً بعد النجاح المدوي الذي حققته رواية مئة عام من العزلة. إذاً، يمكن القول إنه إذا كانت رواية مئة عام من العزلة تمثل بلا أدنى شك محور حياته (وأهم كتاب قدر ما يتعلق الأمر بالعالم الأرحب وربما بالأجيال المقبلة)، فإن رواية خريف البطريق تمثل محور أعماله: بعد هذه الرواية تصل، وبالمعارقة، كل الطبيعة المستهلكة لحوسه الأدبي بالسلطة إلى

هابسها؛ في اللحظة نفسها التي تعدو فيها السلطة هي الموضوع الأساس في حياته. وهناك سبان اتد وراء نصريته بأنه لن يكتب رواية أخرى حتى يمسح بوشيت: أولاً وقبل كل شيء، كان قد عقد العزم على الاتصال ببطريك أميركا اللاتينية الحسي هيدل كاسترو. لكن، ثانياً، لم يعد أمامه في الوقت الراهن ما هو مهم كي يؤلفه، لأنه أصبح من الممكن ملاحظة أن النصف الأول من حياته بصفته أدبياً م بنة بنشوة روايه مئة عام من العزلة بل عمحه حريف البطريك. وبقدر ما ينص الأمر الأدب، فإنه لم يكن مؤكداً تماماً من الوجهة التي ستجدها لها بعد ذلك. هذا السب ركز على كاسترو.

كان عارسيا ماركيز في لندن مرة أخرى في ذلك الربيع برفقة أساندرو أوتيرو الذي يتذكر فيقول: "كنت أتناول طعام العشاء بصحة عارسيا ماركيز ومات في ممر السفير خرائتي لإبراهيمي عندما دلف أحد الخدم وجاء برسالة عاجلة إلى عابو الذي نوحه ناحيه الهاتف. كانت المتحدثه هي كارمن ناسيلس التي وصت نواً من برشونة وأحضرت معها السح الأولى من رواية خريف البطريك. وما لبث انتهيا من تناول الطعام حتى ذهبا إلى الصديق الذي نقيم فيه، وهناك سلّمت عابو اسسخ الخمس التي صدرت عن المطبعة عصر ذلك اليوم. وعلى جناح السرعة أمسك عارسيا ماركيز بقلمه وكتب إهداءً إلى هيدل وراؤول كاسترو وكارلوس راهانيل رودريغيث وراؤول روا واني. وأدركت من تلك الإشارة أنه يحاول أن يعلن عن الترامه على أوضح ما يكون بنشوة الكوبية"⁽²³⁾.

وإذا ما هتصنا أن معانته كاسترو كانت ناجحة، فإن ستراتيجهته الجديده ستتطلب منه تقديم نفسه على نحو ماهر ومعقد فهو يؤيد الاشتراكية والديمقراطية الليبراليه في وقت واحد من خلال "جهنم النعية" السريه وفي مطلع شهر حزيران من العام 1975 سافر جواً إلى لتبوية بخصوص محكمة رسل، وقضية حقوق الإنسان والديمقراطية لكن الثورة البرغاليه كانت قد اندلعت في نيسان 1974 - وثورة في بلد أروبي. ربما كل شيء ممكن! وقد نعد أول الأمر الحدود. وسيكون تأثيرها في أفريقيا - وكوبا - بعيد المدى مثلما سيكون في عارسيا ماركيز نفسه. والتقى رئيس الوزراء فاسكو كوكاليفيس والشاعر خوسه غومست فيريرا مع

آخرين، ومسرعان ما سبشر ثلاث مقالات مهمة في مجلة الترناتيفا عن عرى الأحداث في البرتغال بعد الثورة⁽²⁴⁾. وقد أظهر دعمه لثورة البرتغال وللثورة العسكرية في بروج التي كانت في أوج مراحلها، ولنظام الكوبسي الذي اصطنع مصعة عسكرية مكثفة اعتقاداً على المساهمة العسكرية. فقد دل في لشبونة إن اسراع منكة الصحف في بروج لا يختلف عن اسراع ملكية النفط، وثلت نصية كان يدعمها. فهو لم يعتقد شخصاً بالحرية البرجوازية للصحافة التي هي في نهاية الأمر حربة مخصصة للبرجوازيين وحسب⁽²⁵⁾. وهذا ما أثار اهتمام ماريو فارغاس بوس الذي عاد إلى بروج.

انطلق غارسيا ماركير إلى الكاريبي عن طريق مدينة مكسيكو. وندى وصوله إلى العاصمة المكسيكية تصرع إلى الله ألا ينال جائزة نوبل، لكن مجلة إكسسبور كانت مصعة إليه وكان الحصول على هذا مستقلاً قد رُرع في أدهاء الآلاف⁽²⁶⁾. أما بخصوص الثروة، فقد أفادت المجلة في عددها الصادر بتاريخ السابع عشر من حزيران، أن رواية مئة عام من العزلة ورواية حريف البطريق قد حوكت غارسيا ماركير إلى رجل ثري جداً⁽²⁷⁾. والواضح أنه كان قادراً على تحمل مهنته الأدبية التي فرضها على نفسه، وأنه يستطيع أن يتحمل المحاصرة بشعبته بحثاً عن مهنته الأدبية.

وفي الكاريبي، بدأ بحث عن إجابات عن أسئلة كانت ترققه الآن. فالحكومة الكوبية تحكمها عصابات ثورية حولت نفسها وعموم الشعب الكوبسي إلى جنود. لقد أطيح باليدي على يد طليعة عسكرية يمينية. واليوم، أسقط الجيش في البرتغال أطوار دكتاتورية عاشت في أوروبا. فهل الجنود الثوريون - الذين ظهر من بينهم سيمون بوليفار - هم الجواب عن مشكلات أمير كا اللاتينية؟ وسافر إلى أمير كا لوسطى بحثاً عن إجابة. وفيها التقى شخصية عاصفة وطائشة هي الثانية بعد فيدل كاسترو التي أثارت إعجاب غارسيا ماركير: الجنرال عمر توريجوس، دكتور باناما الشعبي منذ عام 1968 وهو من الذين قالوا إن دكتاتورية الشعب للشعب، ولكن ليس بالشعب ضرورة أحياناً في صوء الطرف الاستعماري الحديد الذي تعشب في ظله أمير كا اللاتينية المعاصرة⁽²⁸⁾. وسصح غارسيا ماركير وعمر

توريغوس صفيين وخطيلين بن أحوي بالدم تقريباً. (وكان توريغوس هو الذي نظر إلى غارسيا ماركيز بعد أن جلس ومراً رواية حريف البطريوك وقال: "هكذا نحن. إنما نشبه ذلك". كان توريغوس شخصية مختلفة كل الاختلاف عن شخصية كاسترو (اسدي نصرهاته "الشعبية"، كما يقول البعض ساخراً، تصرفات رافعه تعديداً) وكان قد بدأ حملة تاريخية لاستعادة قلة يناما للباناميين وشرح لغارسي ماركيز عن معاصاته مع الولايات المتحدة الأمريكية للتوصل إلى معاهدة جديدة بشأن القناة والشروط التي سيوافق والتي لن يوافق عليها. وكما أوضح غارسيا ماركيز، فإنه مما لا يلائم الولايات المتحدة الأمريكية في الأقل، حدوث تمرد عسكري في بلد توجد فيه مدرسة الأميركيين التي تديرها الولايات المتحدة، "والتي يتعلم فيها جنود القارة كيف يحاربون تمرد شعوبهم". وأخبر توريغوس صديقه الجديد أنه على استعداد لتحمل كل النتائج لاستعادة القناة ولقضاء على الاستعمار في بلاده

كان غارسيا ماركيز مهتماً بناما اهتماماً خاصاً، فهي ليست جزءاً من كولومبيا وحسب، وذلك قبل شحيع الإمبرالية الأمريكية انفصالها عن كولومبيا، بل هي أيضاً البلد الذي سافر فيه جده نيكولاس ماركيز أيام شبابه واقتضى أثر واحدة من أهم قصص عرماه. كان ممكناً لرجل مثل توريغوس أن يولد في بارانكيا؛ حقاً، إنه يذكرنا من أوجه متعددة، بل يشبه من حيث المظهر والسلوك صديق غارسيا ماركيز الراحل ألفارو سيبيل. وعلى جناح السرعة يعقد الرجلان صداقة تستند إلى جاذبية عاطفية عميقة تحولت مرور الأيام إلى محبة ولم يكن غارسيا ماركيز وحيداً في هذا الشأن فقد طوّر الكاتب الإنكليزي البارز كاتلج عراهم عرين علاقة وثيقة مع الزعيم البانامي وكتب كتاباً مكشوفاً عن عملية "التعرف إلى الجنرال"

لكن توريغوس كان شخصية ثانوية مقارنة بصيبل كاسترو الذي أصبح آنذاك واحداً من أعظم الشخصيات لسياسية في القرن العشرين. ويسهل تصور مدى جاذبية فكره انتعرف إلى كاسترو بالنسبة إلى إنسان مهووس منذ سن مبكرة بفكره السلطة مثل غارسيا ماركيز. وفي رواية خريف البطريوك ثمة توازيات لا يفرق بينها

الشك. والرواية التي صدرت قبل زيارة غارسيا ماركيز الأول إلى كوبا منذ أربع عشرة سنة، تصف لك دكتاتوراً مهووساً بتسلطت فلاجية لا سيما تربية الماشية، لكنه بالرغم من ذلك، يتمتع بدين داعمتين مثل أيدي الفتيات ومعه خاتم السلطة تشير هاتان لفقطان إلى فيدل. قد تكون بعض الإشارات مصادفة محضة، لكن هناك إشارات عيونه تقبل الحداد. "تُشد أكثر مدعب للعب كرة البيسبول في الكاريبي، ويخلع على مريضاً شعار النصر أو الموت".

كذلك يغير البطريق تغييراً عتباطياً بالتواريخ والأرمدة، بل حتى يلقي أيه الاتحاد تماماً مثلما سيلهي فيدل كاسترو نفسه في نهاية الأمر ذكرى الميلاد ليحيها بعد ذلك بسنوات. وكما هو شأن فيدل، فإن دكتاتور غارسيا ماركيز يطوف على نحو غير متوقع في السنوات الأولى من سلطته في جميع أرجاء للاد ويفتش نفسه الأشغال العامة، أو يعمل على فعلها مما يكسبه شعبية دائمة، وهذا لا يوجه إليه الشعب اللوم على ما حل به من مصائب: "في كل مرة يسمعون فيها عن عمل جديد وحشي يتهددون من أعماقهم: آه لو علم الخنرال!". وفي آخر الأمر، وبعد أن يستولي الأمر كيون على الحر وهو ما يمكن تفسيره على أنه "الحصار" المفروض منذ خمسين سنة تقريباً، والذي قاومه الشعب الكوبي مقدومه بطولية يمكن البطريق: "عليّ أن تحمل وطأة هذا العقاب تمردي. لا أحد يعرف أفضل. أن الأفضل أن يكون بلا بحر على أن تسمح بمرور جنود المارينز". انفارقة الغامضة هي أن الصورة تطبق طباقاً متزايداً على كاسترو بعد مرور خمس وعشرين سنة على كتابة الرواية. فقد حُرّم هو الآخر، بسبب الحصار، من "البحر"، كما أنه يرأس نظاماً أحد يأكل أمام أنظار العام كله، على حين يظهر هو شخصياً هادئاً، رابط الجأش، وإن كان أشد أعدائه طرفاً ينظرون إليه على أنه "مسح".

في العام 1975 يبدأ كاسترو مرحلة من أكثر مراحلها نجاحاً. ونظامه يمر باللمحة 'النسائية' التي اشتملت على قضية نادية، ويبدأ على الفور بطلاق حملته العسكرية النارية وحرية في أفريقيا. ففي سنة 1975 أعاد أربع عشرة دولة من دول أميركا اللاتينية علاقاتها الدبلوماسية مع النظام الحاكم في الجزيرة بما فيها كولومبيا التي كانت قد قطعتها إبان حكم رئيسها ألبرتو بيراس في عام 1961.

وعادت فاسأفها في السادس من آذار وهو يوم ذكرى ميلاد عارسيا ماركير الثامن والأربعون. لا بد من أن المرار الذي اتخذه لوبييت ميتشيلسين بلنا بديراً استثنائياً آخر لعارسيا ماركير الذي كان قد اتخذ قراره السري بإعادة تأسيس علاقات مع الثورة الكوبية ووصل إلى بوغوتا قبل أربعة أيام من ذلك.

وفي شهر تموز حاست اللحظة أخيراً وسافر إلى كوبا برفقة رودريغو. وأخيراً عاد، ووفرت لهما السلطات كل استسهيلات الضرورية للسفر في طول البلاد وعرضها، يدهسان حيث يعجبهما النهاب ويتحدثان إلى من يشاءان. وبلنقط رودريغو أكثر من ألبي صورة ويتذكر عارسيا ماركير قائلاً: "كنت أفكر في الكتابة عن كيفية تخطيم الكوبيين الحصار من داخل مارلهم. ذلك ليس عمل الحكومة أو الدولة، بل الشعب نفسه الذي حل مشكلة الطمح والعس وخاصة الشباب، باحتصار، حل كل إشكالات البومة"⁽²⁹⁾. وفي شهر أيلول نشر ثلاثة موضوعات لا تُنسى تحت عنوان رئيس: "من أقصى كوبا إلى أفصاها" مرج فيها بين العرفان الكبير والقدر لقليل بأسلوب يوضح لسلطات أن هناك لاحقاً ثورياً في دور كبير، مأمون اليلدين على نحو لم يسبق له مثيل⁽³⁰⁾.

لتأم شغل الأسرة كلها في أثناء فصل الصيف في المكسيك. فقد وجد عارسيا ماركير وميرثيديس مرلاً في كايي فيغو (شارع النار) الواقع في منطقة بيدريغال ديل أخل خيف الجامعة الوصية جنوبي العاصمة ولا يزال هذا البيت المتواضع مقرر إقامتهم الرئيس على مدى أكثر من ثلاثين سنة. وكان لا بد من بناء بعض جسور الأسرة، ولعل هذا هو السب الذي حدد بعارسيا ماركير إلى أن يصطحب رودريغو معه إلى كوبا في وقت ربما كان من شأنه أن يشكل عائقاً له وبخبري رودريغو عن العودة إلى المكسيك فيقول: "حفاً، لقد أصبحت المكسيك البلد الذي بقينا نرجع إليه دائماً وليس إلى كولومبيا، فإن والذي أصحيا مكسيكيين في تلك السنوات الممتدة من عام 1961 وحتى عام 1965"⁽³¹⁾.

سمح العودة إلى المكسيك للصبيون بتأكيد هويتهما على المدى البعيد وإعاده بانهما. ولم يشعر أي واحد منهما أنه كولومبي أو إسباني، لكن علاقتهما بالمكسيك انقطع عني نحو بات، إذ قرر رودريغو أن يستقل بنفسه ويشق طريق

حياته من دون الاعتماد على اسم غارسيا ماركيز، وسنراه في نهاية المطاف يرحل عن البلاد. أما غوثالو، وهو الابن الأصغر سناً، فمن يكون مفرطاً في حساسيته في هذا المجال، لكنه كان يفضل أيضاً أن يشق طريقه بنفسه من دون اعتماد كبير على شهره والده على صعوبة ذلك في المكسيك. مره أخرى، الفتح القوي. بمدرسة إنكليزية لإكمال تعليمهما الثانوي.

في غضون ذلك، انصهرت قبيلة في موعوتا، في مكاتب مجلة انتارنايفا في تشرين الثاني سنة 1975. ونُسب الحادث إلى عضو في لجنة أمن أهلية، وكما أحرق إنريكي سانتوس كالديرون، "في الوقت نفسه الذي كما فيه نشجبت مشكلات الفساد في قمة الجيش"⁽³²⁾. وبالرغم من أن غارسيا ماركيز كان سالماً على نحو لا يمكن إنكاره في المكسيك، إلا أنه أصدر بياناً بكل شجاعة أعلن فيه أن المسألة تدور من نديم الجيش الكولومبي، ولا يد من أها قد جاءت من المراجع العليا. وأضاف أنه من الواضح أن رفض لوبيث متشيليس إغلاق المجلة دفع العسكر للإقدام على هذا العمل. لكن حماسه السابقة للحدود لم تمتد إلى النوع الكولومبي. بل حدثت بالاسم تحديداً استمرارياً وريث الدفاع الجرائل كاماتشاو ليغا على أنه المتورط شخصياً في هذه السياسات القمعية. ولهذا، لم يعفر له العسكريون الكولومبيون، كما لم ينسوا شكوكهم في أن القاتمين على مجلة انتارنايفا قد تعاصوا، وربما تواطأوا مع عصابات أم - 19 وهم صموة الثوار من لصقة الوسطى وجموعة التي سرقت زمرياً سيف سيمون بوليفار عام 1974.

ومع هذا، كان العام يتغير تغيراً سريعاً، نحو الأفضل كما يبدو. فقد أصيب الجرائل فرانكو بموبة قلبية حادة في الحادي والعشرين من شهر تشرين الأول، وتبرأ الأمير خوان كارلوس مقاليد الحكم. ويذكر أن نظام فرانكو كان قد صد حكم الإعدام الخمسة متشدد من إقليم الناسك في السابع والعشرين من أيلول بالرغم من الاحتجاجات التي شملت العالم أجمع (ووصف السويدي أوف بالمه أعضاء الحكومة الإسبانية بأنهم "قلة دمويون"). وفي العشرين من تشرين الأول، توفي أخيراً فرانكو وسمت الفرحة أو ساط اليسار في جميع أنحاء الكرة الأرضية. ونُصّب حواك كارلوس ملكاً على البلاد في الثاني والعشرين من الشهر نفسه، وبعد ثلاثة أيام أعلن عن عفو

عام، وهذا توشك إسبانيا أن تسفل إلى مرحلة الديمقراطية مسغير تغيراً جذرياً. وفي العاشر من تشرين الثاني استفتت أنغولا عن الارتحال وسط صراع دموي؛ فانقوى الماركسية في الحرب الحاكم، وهو حرب الحركة الشعبية لحرير أنغولا التي يدعمها الخبراء الروس، اصطفت ضد حزب الاتحاد الوطني للاستقلال الكامل لأنغولا المدعوم من الولايات المتحدة والذي يرأسه يوباس سافيمبي. وفي الحادي عشر من تشرين الثاني، أعلنت كوبا قرارها إرسال آلاف الجنود إلى أنغولا حيث ظفروا فيها ثلاث عشرة سنة. وكانت تلك فرصة غارسيا ماركيز ليظهر ما يمكن أن يفعله صحافي كبير من أجل الثورة.

* * *

غير أن سلوك غارسيا ماركيز الذي يتمثل بالاستحواد على الاهتمام، ما كان ليعجب كل فرد. ففي الثاني عشر من شهر شاط سنة 1976، كان غارسيا ماركيز مقيماً في مدينة مكسيكو، فذهب لمشاهدة العرض الافتتاحي لشريط السيمائي المقنّس عن رواية الناجون من الإلديز. ولدى وصوله، كان ماريو فارغاس يوس الذي جاء، إلى المدينة لمشاهدة العرض - إذ كان هو كاتب النص يقف في الردهة. ففتح عابو ذراعيه وهتف. "يا أحي"، لكن ماريو، الملاك الماوي الممتاز، سدد إليه لكمة عيفة على وجهه فسقط على رأسه على الأرض. كان غارسيا ماركيز شبه راجع عندما صاح ماريو معتمداً على مصدر الخير: "هذه بسبب ما فكه لباتريشيا"، أو "هذه بسبب ما فعله لباتريشيا". وأصبحت تلك اللكمة هي الأشهر في تاريخ أميركا اللاتينية، ولا تزال موضع توقعات كثيرة حتى يومنا هذا. هناك العديد من شهود العيان، كما أن هناك تصيرات كثيرة أيضاً لا عما حدث حقاً وحسب، بل عما لم يحدث أبداً⁽³³⁾.

يقال إن زواج درعاس يوساً مرّ بلحظة صعبة في أواسط سبعينيات القرن العشرين، فأخذ غارسيا ماركيز على عاتقه طمأنة روجة ماريو التي كانت على مبدو مستاءة، ومشوشة الفكر. يقول البعض إن غارسيا ماركيز نصحتها بالبدء بإجرات الطلاق، على حين يقول آخرون إن الطمأنة التي قدمها إليها كانت مباشرة أكثر. فاستجبت ماريو أن غارسيا وباتريشيا يوسا هما وحدهما اللذان يعرفان

ما حدث أو ما لم يحدث⁽³⁴⁾. كما أن باريشيا يوسا وحدها تعرف ما قالت لزوجها عندما التأم مثلها من جديد، أي إما هي وحدها التي تعرف القصة كاملة⁽³⁵⁾. أما بخصوص ميرثيديس، فإنها لن تعرف ليوسا ما فعله، كما لن تسي ما وضعته بالنصرف الحان والمشين بصرف النظر عن سبه.

يشكل مزيج السياسة والحس والخصومة الشخصية كوكبلاً قوياً بصرف النظر عن الكميات المعروجة منها. ربما كان وراء شعور فارغاس يوسا الواضح بالحياة قلق من أنه لم يعد باستطاعته تحمل الكولومبي الصغير المعتفر إلى الحذية. الحق أن محاج ماريو الأدبي الاستثنائي الذي يستحقه بكل معنى الكلمة وطلعه البهية لم يكونا كافيين وحدهما بدءاً؛ ربما لم يبقَ لديه أي سلاح آخر يستعمله سوى لكنته الموية، ولعله لم يجح فيها إلا بسبب عصر المجاعة الذي انطوت عليه: وبصرف النظر عن الأسلوب الخلد الذي يكتب به ماريو، وبصرف النظر عن الدعاية الكبرى التي كان يحظى بها، فإن أكثر ما كانت الصحف والجمهور يريدان سماعه هو عن غارسيا ماركيز نفسه. وبصرف النظر عن شعور ماريو بأن لديه ما يسوّغ له رفض كاسترو وكوبا، فإن غارسيا ماركيز ظهر سامعاً، غير مصاب بأدب غير الذي تطاير بعد قضية ياديا، وأضحى الطفل الأدبي الذي لا يصاحبه أحد للبسار في أميركا اللاتينية. لا بد من أن هذا الواقع كان مثيراً للإحباط جد⁽³⁶⁾. ولن يلتقي لرجلان بعد ذلك مرة أخرى.

عاد غارسيا ماركيز إلى كوبا في شهري آذار ويسان وكان قد حظي بإعجاب منقطع الظير في جميع أرجاء العالم بسبب مقالاته التي كتبها عن الانقلاب العسكري التشيلي، ولا بد من أن يكون قد شعر بأنه أديب موهوب وأنه لمن الحق أن يستجابه فيدل كاسترو. لهذا، قرر أن يقدم إلى الزعيم الكوبي عرساً لا يستطيع رفضه، واقترح على كارلوس رافائيل رودريغز أن عليه أن يكتب القصة المدحمة للحملة الكوبية في أفريقيا، وهي المرة الأولى التي تقم فيها دولة من دول العام الثالث نفسها في صراع تورطت فيه دولتان عظيمتان من العام الأول والعالم الثاني. وفي ضوء تاريخ كوبا الذي انطوى على العبودية والاستعمار، فقد كانت حركات التحرر الأفريقية في تلك الحقبة تمثل اهتماماً خاصاً لكوبا، كما أن بلسون

مانديلا بعينه هو الذي سيحكم بأن كوبا أسهمت إسهاماً مهماً، وربما حاسماً، في الإطاحة بنظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا.

نقل وزير خارجية كوبا فكرة غارسيا ماركيز إلى فيدل كاسترو وانظر الكولومبي شهراً في هدف ناسيونال في هافانا اتصالاً من اقتائد⁽³⁷⁾. وعند الساعة الثالثة من بعد ظهر أحد الأيام، حضر كاسترو نفسه يقود سيارة من طراز جيب كوي يجلس غارسيا ماركيز، الذي اصططح ابنه عوشلو، إلى حامه. انطلقوا صوب الريف، ونحدث فيدل ساعتين عن اعداء. يتذكر غارسيا ماركيز قائلاً:

سألته: من أين لك كل هذه المعلومات عن اعداء. فرداً: أيتها النقة المكسيكية، عندما تكون مسؤولاً عن إطعام شعب بأكمله، إذاً، لا بد من أن تفتش عن الطعام

وكما هي حال العديد من الناس من قبله ومد ذلك الوقت، فإن غارسيا ماركيز تولاه الذهول ما رآه من حب كاسترو المدهش للحقائق وقدرته الهائلة على سرد التفاصيل. لعله كان يتوقع مثل هذا الكلام وهو يصعي إلى خطوات الرعيم العظيم عبر المكتوبة التي تستغرق ثلثي ساعات، لكنه لم يكن مهياً لحادية كاسترو الشخصية ومحاولة التلويح في وسهما إضاءه حجرة تضم عشرين أو ثلاثين فرداً، وليس إضاءة هذا الحديث الذي يجري على افراد بين شخصين اثنين وحسب.

بعد انتهاء الرحلة قال فيدل: "ادعُ ميرثيديس أن تأتي ثم تحدث إلى راؤول". وفي اليوم التالي وصلت ميرثيديس، لكهما انظرا شهراً آخر بأكمله حتى تصبهما راؤول. كان راؤول فائد القوات المسلحة، كما أنه هو الذي قدم إبحاراً إلى غارسيا ماركيز قال عنه غارسيا نفسه: 'في حجرة تحتشد بالخبراء والخراط، بدأ يكشف عن الأسرار العسكرية وعن أسرار الدولة على نحو اثار دهشة. وجاء الاحتصاصيون حاملين برقيات مشفرة، وفكوا شعرائها وشرحوا كل شيء لي: الخراط السرية والعمليات والتعليمات وكل شيء، دقيقة بدقيقة. بقيا على تلك الحال من الساعة العاشرة صباحاً حتى الساعة العاشرة لماً. ثم أعطوني لائحة تضم أسماء كبار الشخصيات وتعليمات لهم بالتحدث إلي بكل حرية. جمعت المادة كلها وسفرت إلى المكسيك وكنت وصفاً كاملاً لما اصططح عليه تسمية "عملية كارلوتا"⁽³⁸⁾.

بعد أن فرع غارسيا ماركيز من كتابة المقالة أرسلها إلى فيدل "ليكون بذلك أول من يقرأها". وبعد مرور ثلاثة أشهر، لم يحدث أي شيء، فعاد غارسيا ماركيز إلى كوبا للتحدث. وبعد التشاور مع كارلوس رافائيل رودريغيث، نُفِخ ما كان مكتوباً و"أُصحح أسئلة مهمة، وأضاف تفاصيل كانت مافضة". ثم نشر المقالة في وقت واحد في جميع أنحاء العالم، فاعبط الأخوان كاسترو. وأحرر غارسيا ماركيز أول انتصاراته الثورية، أو "أصبح تابعا لفيدل كاسترو" على حد وصف ماريو فارغاس يوسا.

لم يبحث غارسيا ماركيز السرور في نفس فيدل وحسب، بل تلقى أيضاً جائزة الصحافة الدولية من منظمة الصحافة العالمية عن مقالاته التي كتبها عن كوبا وأندولاً. وبمكس الادعاء أن ما من أحد أدرك أن لغارسيا ماركيز ثلاثة مساعدين بارزين. كما أن غارسيا ماركيز ظل برهة من الزمن، بعد أن احتشى صداقته الشخصية مع أهم شخصية في تاريخ أميركا اللاتينية الحديث، يقول للمصححين إنه لا يرغب في الحديث عن كاسترو لأنه يخشى أن يبدو متملقاً ذليلاً؛ لكنه سيهدر في كل موضوع بعد ذلك وكانت عباراته قد أثارت المعيين الكوبيين في ميامي وغيرها.

استمر غارسيا ماركيز في بحثه وتثقيفه الذاتي بوصفه مدافعاً مطلقاً عن الثورة الكوبية. لعله أحسن كتابه عن الحياة اليومية في ظل الحصار، وإن ظل يستخدمه عطاءً بعض الوقت. لقد أدرك منذ البداية أن قضية حقوق الإنسان والمهجاء السياسيين ستكون قضية حاسمة يقدها بوجه أعداؤه. لكن عندما بدأ الأمر كبير في ظل إدارة نيكسون وكيسنجر المحجوم بلا هوادة في تعاملهم مع الحركات الإقليمية في أميركا اللاتينية، واطبقوا في تدريب الأنظمة العسكرية على "وسائل أمنية" بما في ذلك الاعتقال والتعذيب والتنصّل الإعلامي، وبعد أن تحالف غارسيا ماركيز مع كوبا برعاية كاسترو، فقد احتاج إلى أن يؤثّر نفسه في قضايا تخص السجون؛ حتى إن كان مثل هذا التوثيق يعني بحد ما ينبغي له بذله لإقناع نفسه أن الوضع مقبول ولا بد من مساعدته في كل الظروف (بدأ يتعلم الشيء الكثير عن أنظمة السجون من خلال عمله مع محكمة رسل). وفي الوقت نفسه، وبا للمعارفة، أصبح للولايات

للمسحدة الأمريكية رئيس جديد هو جيمي كارتر المرمب المادي لحقوق الإنسان مائة مدت صادق. وهكذا، فقد علم بيكون عارياً ماركيز أن حكومه الولايات المتحدة لن تتغير، لكن كارتر علمه أن العلاقات العامة والدبلوماسية والدعاية أصبحت اليوم جزءاً حيوياً في الصراع الإيديولوجي على المسرح العالمي. واقنع غارسيا ماركيز أن المعارضة الخارجية كانت تريد من كوبا حقاً أن يكون لها سجد سياسي كمي تواصل من حجمها عليها. وقد اعتند، ولعله اعتماد سادج، أن على البلاد أن تخفض أعداد مثل هؤلاء السجاء إلى حد يقترب من الصفر إن أمكن. وسيكون هذا جزءاً كبيراً من مسعاه في السنوات التالية. كما أنه سيحاول مرور الوقت اهتمامه بالتشدد في مجلة الثارباتيفا والدفاع عن التدخل الكوبي في أفريقيا إلى الاهتمام بالدبلوماسية العالمية، ومن ثم إلى الدفاع الوقائي عن سلامة المسادة الكوبية بعد أن ازدادت الأمور صعوبة.

في أواخر سنة 1976 استعد عارسيا ماركيز للحديث إلى السجاء المهضمين للثورة الذين يحضون مدد طويلاً في سجن باتانابو. واحتر اعتباطاً من بين القضايا الواردة في اللوائح قضية رينول غونثالث وهو رعيم معارض عمل من خلال حركة النقابات العمالية المسيحية، وكان كاثوليكياً ملتزماً، وبالتالي ديمقراطياً مسيحياً⁽³⁹⁾. وكان قد اعتقل في العام 1961 بتهمة التآمر لاغتيال فيدر كاسترو باستخدام سلاح الباروكا قرب مطار رانشو بويروس، وباضرام البران في مركز التسوق إل إسكانتو في هافانا، واعتبار موظف حكومي يدعى في دل فال. ويعترف غونثالث في ما بعد أن تلك الاتهامات صحيحة. وبعد أن تحدث غارسيا ماركيز إلى غونثالث في باتانابو، اتصلت به تيريسيت أنفاريرو روجة غونثالث في مدينة مكسيكو وحظت معه المساعدة على تأمين إطلاق سراح زوجها. فتأثر عارسيا ماركيز بتوسلاته ورأى أن ثمة إمكانية لمناورة راحة، وعقد العزم على أن يكلم كاسترو، إلا أنه التقاه أربع أو خمس مرات من دون أن يتجرأ على طرح الموضوع.

أخيراً، اصططحه كاسترو واصطحب معه أيضاً ميرنيديس في رحلة بسيارته الجيب. بتذكر عارسيا ماركيز قائلاً إنهم كانوا في طريق العودة "في عجانة إلى حد ما، وكب قد دُوبت من ملاحظات على بطاقة أردت أن أطحها عليه. لكن

فبدل ضحكت تدق في كل ملاحظة وقال هند، نعم، وذلك لا، وستعمل هذا، وستعمل ذلك. وعندما أجاب عن الملاحظة السادسة كما داخل الحق المؤدي إلى هافانا، فسألني: وما الملاحظة السابعة؟ لكن لم تكن هناك ملاحظة سابعة على الطائفة، ولا أدري إن كان الشيطان قد وسوس في أذني، لكنني قلت في نفسي: قد تكون هذه هي اللحظة المناسبة. إن الملاحظة السابعة موبة هنا، لكنها منشوشة. فقال: لا بأس. انصبري ما ممي. فقلت له كآتي أرمي نفسي عن ظهر طائرة بانطلاقة: أندري؟ سكوت الأسرة مسرورة جداً لو تمكنت من اصطحاب ريبول وعوناليت، بعد إطلاق سراحه، إلى المكسيك لتمضية إميلاد مع زوجته وأطفاله. لم أنظر إلى الخلف، لكن فيدل ومن ميرثيديس من دون أن يروا لي وسأل. لكن ما السبب الذي يجعل ميرثيديس تنسو هكذا؟ فما كان ممي إلا أن أجيب عن سؤاله، من دون أن أدير بصري إلى الوراء، من دون أن أشاهد الملامح التي علت وجه ميرثيديس، وقلت: لأنها ربما تحقد لي إذا ما اصططحت ريبول وعوناليت، ثم بدأ بممارسة حلاً فطرة ضد الثورة، فإنك ستطعنني قد امتدت كل شيء، غير أن فيدل أجاب موجهاً كلامه إلى ميرثيديس وليس إلي: انظري إلي يا ميرثيديس، إنني وعامريل سمعنا ما نعتقد أنه صواب، لكن إذا ما تبين أن هذا الرجل يدل وخسيس، فذلك مشكلة أخرى. ولدي العودة إلى الصديق، وثبتت ميرثيديس ذقة الرأي دوماً روجها على سفاخته، إلا أن عارسيا ماركير كان جديلاً. ومع هذا، مرّت النهور، وقال كاسترو إنه لم يتمكن من إقناع زملائه في مجلس الدولة، ثم قصايا شائكة في القصة وما على عارسيا ماركير وعوناليت إلا التحلي بالبصر⁽⁴⁰⁾.

في غضون ذلك، شهد شهر آب عام 1977 أول اتصال مهم بين عارسيا ماركير وأحد الاشتراكيين الأوروبيين الذي سيش أنهُ مصدر حاسم وصدق على ممداد السنوات التالية: فليب عونثاليت زعيم الحرب الاشتراكي الإسباني الذي كان قد انتخب في الخامس عشر من حزيران نائباً عن مدريد في أول انتخابات إسبانية منذ إحدى وأربعين سنة، وهي الانتخابات التي أصبح فيها أدولفو سوريث رئيساً للوزراء لحزب اليمن الوسط الحاكم، وكان الشيوعي الأسطوري المتشدد لا باسبوناريا قد عاد إلى إسبانيا للمرة الأولى منذ احترق الأهلية بسبب هذه

الاسحباب. وفي أواخر شهر آب، كان عونثالث الحامي في بوغوتا، ومسح مقابلة صحافيه لكل من أبطوليو كبايرو (رئيس التحرير)، ويريكي سانسوس كالديرون (المدير)، وعارسيا ماركير (مستشار التحرير) في مجلة التارانتيا. وكانت المقابلة بعنوان "فيليب عونثالث: اشتراكي جاد"⁽⁴¹⁾، كانت سياسه الحزب الاشتراكي الأساسي في أميركا اللاتينية تنلخص في دعم كل الأنظمة الشعبية في دول ديمقراطية تقريباً، ودعم حركات التحرر في دول غير ديمقراطية: "إننا موحدون بهدف تصفية الأنظمة التي تعرقل الإيقاع الديمقراطي". ولم تتضمن المقالة أفكار عونثالث عن كوبا، وهو موضوع كان من شأنه أن يتسبب في مناعب يسه وبين عارسيا ماركير على مدى سبع⁽⁴²⁾.

ربما بدأت تلك المقالة تفرغ العديد من الأحرار في رأس عارسيا ماركيز. ولم يعض وقت طويل حتى ينهمك مع عدد من أعضاء الاشتراكية الدولية المتحسة والديمقراطية، على ارتيابه معقلاتهم وشاطأهم، بدءاً بصدفه الودود كارلوس أنلرياس بيرث رئيس جمهورية فيرويل الذي يحذر وإدناه من أصول كولومبية، مروراً بهراسوا ميتران رئيس جمهورية فرنسا، وفيليب عونثالث نفسه. وكان ميتران وعونثالث قد تابعوا عن كتب فوز آليندي ومصرعه - لكن أوروبا مختلفة على وجه التأكيد. وفي كانون الأول، جرى نقاش حاد في باريس بين عارسيا ماركير وريجيس دوبريه ذلك الثوري الذي كان يفكر في المسار الديمقراطي (الذي سيسلكه من خلال حكومة فرانسوا ميران). كان دوبريه في تلك الاونة عضواً في الحزب الاشتراكي الفرنسي، وقد سأله عارسيا ماركير إن كان لا يزال "اشتراكياً حقيقياً"، وما رآه في تطور الثورة في أميركا اللاتينية⁽⁴³⁾. يبدو مرجحاً أكثر أن غارسيا ماركير كان مد هذه اللحظة في طريقه للخروج من مجلة التارانتيا بحثاً عن دور آخر، وسيكون ذلك الدور مردوجاً: الأول في أميركا اللاتينية، والثاني في أوروبا. مرة أخرى، كان عارسيا ماركير يبحث عن فسحة للمناورة.

في مطلع شهر حزيران كان قد نشر مقالة أخرى عن صدفه عمر نوريجوس، وكان قد أشار إليه في عنوان أحد أعماله "للحزب بوريجوس من يكابه"⁽⁴⁴⁾، وهو من شأنه أن يطرح سؤالاً عن عارسيا ماركيز يومذاك ومستقبلاً هو: أترأه يكتب

على رجال السلطة، إلى رجال السلطة، أم من أحلهم؟ وكما في كوب، فقد بدأ يتطرق إلى قضية حقوق الإنسان في باناما، مقدماً نفسه على أنه وسيط أمين بين الواقع والقارئ (تعلماً مثلما سيحاول التوسط بين كاسترو وتورخوس من جهة، وغونزاليث ريبتران من جهة أخرى). وبهذا قدّم عرضاً في معرفة حالة السجناء السياسيين المزعومة في باناما - إذ وُجّهت الاتهامات أكثر من مرة إلى تورخوس بصلوحيته في أعمال تعذيب وعرض التوسط بين نظام تورخوس والباناميين المنفيين في المكسيك. وفي شهر آب نُشرت مقالة رئيسة أخرى لغارسيا ماركيز عن الزعيم النازمي ومفاوضاته مع لولايات المتحدة الأمريكية والتهديدات التي تكسف حياته⁽⁴⁶⁾. وقد أشار غارسيا ماركيز إلى تورخوس على أنه عبد وشجاع، وحصم مدهش ومفاوض ذكي، وإنسان ومحرب إلى أبعد الحدود وسط المس الاعتيادي⁽⁴⁶⁾.

أخيراً، وقّعت الاتفاقية الجديدة لقناة باناما في السابع من أيلول سنة 1977 في مدينة باناما. وكان من بين أعضاء الوفد البانامي عصوان إضافيان هما غراهام غرين وغابرييل غارسيا ماركيز اللذان سافرا بجوازي سفر باناميين، واستمتعا كثيراً بالرحلة كأهمما تلميذان كبيران⁽⁴⁷⁾. وأعجبا على وجه الخصوص لأن مظهرهما اللذي تشابه مظهر بيوشيت الرضيع. وفي شهر تشرين الأول صادق الباناميون على الاتفاقية الجديدة باستفتاء عام، بالرغم من أن الولايات المتحدة ظلت تدخل تعديلات عليها، وأخيراً صدقت على النسخة المصحّحة في الثامن عشر من نيسان عام 1978.

في العام 1977، بدأت أسرة غارسيا ماركيز أخيراً بإعداد التدبير لإزاء حتمية الانفصال بعد أن كبر الصبيان وبدأ كل واحد منهما يهيج همه الحاصل في الحياة. صحيح أن غابو وميرنيديس كانا قد تركا ولديهما عامي 1974 و1975 قبل أن يتمكن الولدان من تركهما، لكن في تلك الفترة كانت الأسرة لا تزال تملك بينها، وإن كان بيتاً مؤقتاً في برشونة حيث كان في استطاعة كل واحد منهم أن يرجع إليه على نحو طبعي. أما الآن، فالولدان في طريقهما لمعادرة المنزل، وكان رودريغو بخاصة في طريقه إلى مدرسة تعلم الطبخ في باريس، على حين كان غوتالو يفكر في اللحاق به ولكن للدراسة الموسقى.

كان عارسيا ماركيز يسطر طوال هذا الوقت بأ عن مبادرته بشأن ربول
عوثاليت. وأخيراً، في كانون الأول 1977، بدأت الأمور تتطور⁽⁴⁸⁾. هي حملة
استقبال في هافانا أقيمت على شرف رئيس وزراء جامايكا ميشيل مانلي، اقرب
ميدل كاسترو من عارب ماركيز وقال له: 'حسناً، في وسعك أن تصاحب
رنبول'. وبعد ثلاثة أيام وصل عارب ماركيز وريبول عوثاليت، الذي تولاه
العجب، إلى مدريد حيث التحفت به على الفور زوجته نريسيئا. وفي مطلع شهر
كانون الثاني عام 1978 التقى عارب ماركيز وميرثديس ورودريغو بغوثاليت
وأُسره في برشلونة حيث استمعوا معصلاً إلى ثغاره المربعة في السجون الكوبية.
وفي الخامس عشر من كانون الثاني، سافرت أسرة غوثاليت جواً إلى ميامي. وفي
وقت لاحق، يره عوثاليت على صحة استراتيجية عارب ماركيز وموافقة
كاسترو عليها، وذلك عندما يؤدي دوراً رئيساً في المفاوضات عندما بدأت الثورة
حواراً مع الجماعة المعنية خارج البلاد بعد أن قرر كاسترو أن الأول قد آن
لتخفيف التوتر مع أسر ثلاثة آلاف سجين مناهضين للثورة.

غير أن عارسيا ماركيز يظل على مدى سنوات طويلة بعد ذلك يقلل من شأن
دوره في المساعدة على إقناع القيادة الكوبية اتحاد مل هذا الإجراء الحاسم بإطلاق
سراح العالية العظمى من أولئك السجناء. لقد أظهر عارسيا ماركيز للأحويين
كاسترو أنه ليس رجل المساعي الحميدة وحسب، إنما مؤيد محلي للثورة أيضاً،
لبيرانية أقل واشتراكية أكبر مما قد يبدو عليه، وقبل هذا كله، وكما خموا، فإنه
مأمون اليدين. ورويداً رويداً انتقلت العلاقة مع كاسترو إلى ما وراء الطابع
السياسي أو العمال وتحولت إلى صداقة بتأثير الاهتمام الذي يبداه الآخر (ويؤكد
غارسيا ماركيز للصحافة أنه وكاسترو كانا يتحدثان في الأدب عموماً). كان
كاسترو مدمساً على العمل، حياته سرية، مقبنة، وخصوصية تماماً، وحياته
الاجتماعية محدودة. وظل الاعتقاد سائداً على مدى سنين أن علاقته طويلة الأمد
والوحدة بامرأة، إنما كانت مع رفيقته الثورية سلينا سانتشيث التي وافتت السنة عام
1980، وأنه بعد وفاتها ارتبط بعلاقات عابثة وقتية مع ساء أخريات، وأن تلك
العلاقات أثرت أطفالاً غير شرعيين. ولم يتصح إلا مؤخراً أنه بدأ في أواخر ستينيات

أنقر العشرين علاقة طويلة الأمد، وهي علاقة روحية، مع داليا موبو ديل فالي التي أصبحت معه خمسة صبيان، ولا تراه العلاقة مستمرة حتى اليوم، إلا أن داليا لم تتمتع بأي دور رسمي، وما صورة العزلة الواضحة التي دأب عليها كاسترو باستمرار إلا الدليل على أنها لم تكن جزءاً من تلك الحياة الاجتماعية المحدودة.

ولم يعرف أيضاً عن كاسترو منذ وفاة نشي غيفارا أن لديه مجموعة كبيرة من الأصدقاء الذكور باستثناء أخيه الوفي دائماً راؤول وأخوه مثل أنطونيو سينيث ومايول بيسيرو وأرماندو هارت. وهذا، فإن صداقته مع عارسيا ماركير كانت صداقه غير مكلفة تماماً وغير متوقفة أبداً. أما إن كانت تلك الصداقة مبعث دهشة، فهذه قصبة أخرى عند تأملها. لقد كان عارسيا ماركير أشهر أديب أسجحه العالم المتحدث بالإسبانية منذ ثيودوس، وكان، بصره امتثانيه، اشتراكياً ومبدأً لكوبا، وكان أيضاً في مثل سن فدل تقريباً، وكان لاثان من منطقة الكاريبي، كلاهما ماهضان للإمبريالية كرد فعل على احتكار الولايات المتحدة منتجي المور عبر شركة الفواكه المتحدة. ومما يُحكى أيضاً أن كلا الرحدين كانا في بوغوتا في نيسان عام 1948 إبان أحداث العنف، ويعتقد بعض أنصار بطرية المؤامرة أنهما بدأا تخريب أميركا للاتينية معاً منذ ذلك الوقت. لكن بالرغم من أن عارسيا ماركير أديب عظيم، إلا أنه لم يكن بأي حان من لأحوال من عيسى احمان وم يكن مثقفاً متعاليًا، كما أن أسلوب حياته سمح له بأن يُغني على صلات كاسترو مع العالم الأرحب بالرغم من عزلته العميقة داخل حدود جزيرته الصغيرة تحت نور الشمس. وقد أحيرني كاسترو شخصياً أن إرنهوا الكاريبي المشترك وشعورهما الوطني الأمر كي اللاتيني المشترك كانا الأساسيين الحاسمين المدين تشيد عسهما الصداقة. وأصاف: "كما نسا من سكان الريف ومن الساحل أيضاً... إنا نعتقد نحن الاثنان بالعدالة الاجتماعية وبكرامة الإنسان، وأن سمة عابريل الباررة هي حبه للآخرين وبصامته وإياهم، وبذلك سمه كل ثوري إذ لا يمكنك أن تكون ثورياً من دون أن تكن الإعجاب للآخرين وتلق بهم" (١٩٩).

سارت الأمور سيراً حسناً بالنسبة إلى كوبا عموماً بعد أن تلقت الخمسة اثنورية اجديدة فيها دفعة جديدة معانمرها في أفريقيا، لكن بدأ فجر مرحلة جديدة بالبروع.

وفي السادس من آب توفي انايا بولس السادس، فعين يوحنا بولس الأول خلفاً له، لكنه توفي بعد شهر واحد، مما أدى إلى تعيين كارول فويتيلا الذي أصبح البابا يوحنا بولس الثاني وتحالف مع رونالد ريغان ومارعريت تاتشر الذين اتحبا في عصون لأشهر اثنا عشر من معييه وسكر لشروط العمل السياسي مع كوبا الذي استمر على مدى للمسوات الخمس والعشرين الثالثة (فصلاً على التعجيل بموت الاتحاد السوفياتي). والأمسوا من هداء من وجهه نظر كوبا، وبعد يومين من وفاة البابا يوس السادس في آب 1978، أعين شاه إيران القانون العربي في بلاده، وهو الإجراء الذي عجل بالإصلاح به، وبالتالي بسقوط الرئيس جيمي كدتر و انتخاب رونالد ريغان البني.

كان أداء اليسار سناً كعدته في الانتخاب الكولومبية سنة 1978، وانتخب المرشح الليبرالي حوليو سيسر طر به رئيساً للجمهورية في البلاد وبدأت ولايته في السابع من آب. واتحدت مجلة البارنا تبقا مساراً معادياً لطر به الليبرالي اليميني مد البداية، وكانت المقالات والرسومات الكاريكاتورية تركز على مدى مدته، وربطة عقه فرائشية السشكل التي باتت علامته امارقة، و بطارته⁽¹⁵⁾. وحاورت المجة باستمرار، وهي تأمل في تفويض ترشحه واستفزاز الليبراليين كي يجدوا ماساً أكثر اعتدالاً، أن تثير الشكوك حول دوافعه وانتخبه. وهاجم غارسيا ماركيز ومجة التارنا تبقيا، معاً وعلى افراد، رثاسته هجوماً عيفاً لم يفسس به مثيل في السوات الأربع التالية ليجد أن طر به، أو في الأهل القوى التي كان يمتنها، يحكى أن نرد الصاع صاعين وبأساليب أشد عفاً وغير متوقعة.

في عصون ذلك، استمرت أمير كا الوسطى في مساهمها الثوري المنشع هيب كان جيمي كدتر عاجراً على ما يبدو، شأنه شأن بيلاطس البطي⁽¹⁶⁾، عن اتحد فرار بالقاء محيداً أو الانصمام إلى أحد طر في الصراع فهي بيكاراعوا شلذ الثوار الساندينينون من ضعفلهم على دكتاتورية سومورا طوال تلك السنة. وعالياً ما كان الثوار الساندينينون يمتعون في منزل عرسب ماركيز في ملديه مكبيكو، وشاهد في بعض الأحيان توماس بورعا المؤسس المشارك حركة الساندينينين في كوبا. وساعد غارسيا ماركيز في معاوضات للاتفاق على بوحيد الفصائل الثلاث المعرمة ونشكيل جبهة ساندينيسا، بل رغم في وقت لاحق أنه هو الذي أطلق على الثوريين

الشباب كنيسة "الأطباء"⁽⁵¹⁾. وفي الثاني والعشرين من شهر آب عام 1978 ستولت مجموعة من الكوماندوز التابعين لحركة ساندينيستا بقيادة إدنا باستورا على القصر الوطني في ماناغوا وحظفت خمسة وعشرين نائباً وحجزتهم مدة يومين، ثم أرسلت أربعة منهم جواً إلى ماناغوا مع سجن سجيناً سياسياً أطلق سراحهم لقاء الإفراج عن بقية الرهائن. كان دستوراً قد فكّر في هذه الخطوة منذ ثمانية أعوام⁽⁵²⁾، وقد اتصل عارسيا ماركيز بتوريجوس على الفور وأخبره أنه يود الإعلان عن هذا النجاح الثوري الاستثنائي، فعرض توريجوس أن يبقى التوار من غير اتصال بالآخرين حتى وصول عارب ماركيز. فما كان من عارسيا ماركيز إلا أن شدّ الرحال على الفور وأمضى ثلاثة أيام في ثكنة عسكرية يتحدث إلى رعماء الهجوم الصاعق المهمكين وهم إدنا باستورا ودورا ماريا ثبيت وهوغو توريس، لكتابه تحقيق يشبه في مطلع أسول⁽⁵³⁾. وبحلول نهاية الشهر حثت الولايات المتحدة الأميركية مومورا على الاستقالة، وقال عارسيا ماركيز في ما بعد إن ذلك التحقيق هو الذي كان يمثّر فيه عندما غلّى عن الأدب وبدأ الصحافة السياسية: 'ستسلم أدبنا باستورا وهوغو توريس للوم من شدة الإعياء في حين انصرفت أنا إلى العمل برفقة دورا ماريا، وهي امرأة خارقة. حتى الساعة الثامنة صباحاً ثم توجهت إلى الفندق الذي كنت مقبلة فيه لكتابة التحقيق ولما استيقظنا صباحاً ما فيه من معومات وحددا على وجه الخصوص الأسماء الصحيحة للسلاح ولثنية المجموعة... وغير ذلك. وم أتمكّر من اليوم في الليلة التالية، فقد كنت في حالة توتر شديدة تشبه الحالة التي مرتت بها عندما عملت نادئ الأمر في التحقيقات الصحافية وأنا في سن العشرين'⁽⁵⁴⁾. وفي وقت لاحق من تلك السنة، يُطبع عارسيا ماركيز مجلة التارناتيفا على مشاركته في العديد من المساحات التي دارت على مستوى عالٍ بشأن أزمة نيكاراغوا.

وفي شهر أيلول وفي حصص حمى النشاط السياسي الذي كان يعيشه عارسيا ماركيز، سافر ابنه رودريغو إلى هارفارد للتخصص في دراسة التاريخ بعد أن خاب طمعه بمدرسة الطب. تدو تلك الوجهة غريبة لفرد من أفراد أسرة ثورية، ولعل هذا التناقض الواضح هو الذي دفع غارسيا ماركيز لطمأنة صحيفة النيبيو في شهر آب قائلاً: "إن أسري أكثر أهمية من مولعائي".

ما إن وصل طريقه إلى المشهد في كوبومبيا حتى بدأ الأمور تتغير نحو الأسوأ. بعد مرور شهر واحد على نصيه رئيساً للبلاد في آب، أثت أوراق اعتماده الرجعية بإحداث تشريع أممي انتقدته منظمة العفو الدولية. في تلك السهور كان عارسيا ماركير مشاركاً في تنظيم حركة حقوق الإنسان مع عدد من أصدقائه اليساريين وأطلق عليهم اسم هاسس. وكانت سياسة جمعي كارتر الخاصة بحقوق الإنسان، وهي سياسة صادقه بلا ريب، ووسيله ناجحه في إبعاد الأنظار عن العديد من المنظمات التي كانت تحتج على موجة الدكتاتوريات اليمينية في أميرك اللاتينية - في تشيلي والأرجنتين والأوروغواي والبرازيل وغواتيمالا وبيكاراغوا - ونعارضها. وحاجح كارتر في أن حكومتي كوبا وباناما دكتاتوريتان أيضاً وأن ساندليستا ترعب في إقامة نظام يشه هاتين الحكومتين. تبوأ عارسيا ماركير واجهة المنظمة الحديدية التي اتخذت مقرها العام في مدينة مكسيكو الامنة نسبياً، واهتحت في أحد فنادق العاصمة الكبيرة في العشرين من كانون الأول سنة 1978⁽⁵⁵⁾. (غير أنه ليس واضحاً إن كانت الوعود قد أطلقت للسلطات المكسيكية بأن المكسيك لن تخترق). وتمكن عارسيا ماركير في ذلك لاجتماع من إعلان أن كوبا لم يعد فيه سجناء سياسيون، لكنه كان حريصاً ألا يدعي لنفسه أي فضل في ذلك

شكّلت هابسي لتكون منظمة لحقوق الإنسان في أميركا اللاتينية وخاصة للدفاع عن السجناء السياسيين، وهو السب الذي جمع أول مرة إيريكي سانتوس كالديرون وعارسيا ماركير في حريف العام 1974⁽⁵⁶⁾. وكان لعارسيا ماركير دور حيوي في تأسيس المنظمة الجديدة وتعهده بتحويلها بمبلغ مقداره مئة ألف دولار من عوالده على مدى الستين اتاليتين. أما صديقه دابلو بارتوليس، الذي عمل طبيباً خاصاً لسلفادور آلندي وكان معبته في ساعاته الأخيرة في قصر موبدا، فقد أصبح مسكرتيراً تمهيداً. ثم تقرر أن يُعيّن لها ممثلون في كل بلد من بلدان أميركا اللاتينية، ممن فيهم أروستو كارديبال القس الثوري اليكاراغوي، وعمره من أصحاب المكانة المماتة والابجهاات المقدسة. وكان لمعظم هؤلاء الممثلين تاريخ في مناهضة الولاء لأميركيا، وم يكن مرجحاً أن يرعب أي واحد منهم في تحويل مشكلات قانونية سجن الأشخاص المعتقلين باتجاه كوبا؛ وخاصة في ضوء الفضائع التي كانت تُمارس

في تشيلي والأرجنتين والأوروغواي وصرّح غارسيا ماركيز ساحراً إن محبة التارنايد عارمة عسى "مد يد العون للرئيس جيمي كارتر لنعيد سياسته الخاصة بحقوق الإنسان". واقترح عسى الرئيس الأميركي أن يقوم بزيارة بورتوريكو حيث أمضى واطون ثوريون مثل لوليتا ليرون خمسة وعشرين عاماً في السجن حتى تلك اللحظة لأقامهم بحرايم أقل حضوراً بكثير من تلك الجرائم التي تتسمّع فيها الآن الحكومة الكوبية⁽⁵⁷⁾.

في كانون الثاني عام 1979، التقى غارسيا ماركيز الباب الجديد يوحنا بولس الثاني وطلب منه مساندة منظمة هايس. وقد جرى اللقاء لمدة خمس عشرة دقيقة في مكتبة الفاتيكان⁽⁵⁸⁾. ولم يعلن غارسيا ماركيز عن طيه أدك، لكن من الواضح أن عرس ماركيز وجد لعاءه الفصير نابا محطاً؛ وأص في ما بعد أن نابا عاجز عن التفكير في نعية أنحاء العالم - حتى "المختصين" في أميركا اللاتينية - من دون أن يعزو ذلك إلى هوسه بأوروبا الشرقية. وفي يوم الاثنين اتساع والعشرين من شاط، انتهى من ملكة إسبانيا بحية خيسوس أغوييري دوى ألبا ومدير الموسيقى الوطني. والتقى الجميع في قصر ثارثوبلا واسمعى حديثهما عن حقوق الإنسان في أميركا اللاتينية أكثر من ساعة. لقد أضحى غارسيا ماركيز شخصية نرعب في لقائهما، لا الشخصيات اليسارية المهمة مثل ريجيس دوبريه وفينيب أغني وحسب، بل شخصيات دولية أخرى أيضاً. وعندما سُئل غارسيا ماركيز عن مدى استجابه مع الملك والملكة مقارنة بالسياسيين الذين اعتاد أن يلتقيهم ردّ بالقول: "حسباً، حقاً هما من الأساس الطبيعيين جداً، ويمكنك أن تتحدث إليهما في كل شأن. أما في ما يخص البروتوكول، فقد سهّل الملك الأمور عني... فلهذه معلومات جيدة عن أميركا اللاتينية، ولديها ذكريات مشتركة عن شعوبها ومآطرها الطبيعية ونحدثنا عن قدرات عمدة حقيقة طول للقاء". وعدت صحيفة إلبايس ذنت للقاء علامة جدّ إيجابية بعد أن تحدث العاملان لمثل هذه الشخصية العالمية المهمة، الشخصية التي وجهت في روايتها الأخيرة نقداً إلى السلطة المطلقة⁽⁵⁹⁾.

في التاسع عشر من تموز عام 1979، استولى الساندستيون على مفاليد الحكم في بيكاراغوا، وهو حمر طال سطره على مدى عام كامل، لا سيما بعد أن قطع

الولايات المتحدة الأمريكية علاقتهم بظام سومورا في الثامن من شباط. وكان سومورا قد أعلن عن حالة حصار في السادس من حزيران ولكنه واجه الواقع في نهاية المطاف وهرب من البلاد في التاسع عشر من ثور. لقد كان هذا أول خبر سار للبصار في أميركا اللاتينية منذ زمن طويل، وفي سنة بدت فيها الأمور تشتت بالخبر؛ فقد قصت حركة موريس يشوب الخوهره الحديدة للمواوية لكوب رئيس وزراء عريبادا في الثالث عشر من اذار، وفي السابع والعشرين من تشرين الأول سنقلت اخبرية عن بريطانيا، وكان من المتوقع أن تصح اتفاقية قاة تاماما سارية لمفعول في الأول من تشرين الأول. وتخصي أميركا الوسطى في طريق الثورة حيث أطاح انقلاب عسكري بالرئيس السلعادوري كلولوس روميرو في الخامس عشر من تشرين الأول. وقبل أن يستولي الساندنستيون على مقاليد الحكم أجرى عاريس ماركيز مقابلة عبر اتصال هاتفي من مدينة مكسيكو إلى كوستاريكا مع صديقه الأديب سيرجيو راميريث الذي أعلن قبل وقت قصير عن أنه واحد من خمسة رعاء في حكومة بكارعوا المؤقتة في المي⁽⁶⁰⁾. وناقش الاثنان تشكيل الحكومة الحديدة ووظائفها والوضع العسكري وسياسة كولومبيا القاضية بعدم قطع العلاقات مع سومورا واحتمال الرد الأميركي. وعندما سأل عاريسا ماركيز عما يفعله أديب مهتمك في العمل السياسي أجاب راميريث: "في الحرب الوطنية، الحرب التحررية ضد قوة احتلال مثل قوة سومورا، يتحى الجميع عن أعماصهم، ومن صمتهم الشاعر، ويجملون البنادق. إني أنظر إلى نفسي على أنني في ميدان المعركة"⁽⁶¹⁾

لقد اهتم عاريس ماركيز اهتماماً كبيراً باثورة النيكاراغوية وساعدهم مساندة فعالة، إلا أنه لم يُظهر تجاهها الحماسة التي أظهرها لكوبا أولاً، هو لا يعرف نيكاراغوا معرفه لكاسترو، ولم تربطه أي علاقة وثيقة بأي عضو من الأعصاء البارزين كذلك التي ربطته بعدل. وهناك سبب آخر يمثّل شكوك حتمية معينة كنتك التي أظهرها تجاه التجربة لنشيليه: ما لم تتحد دولة ما الإجراءات العسكرية والسياسية المشددة كنتك التي نبأها الكوبيون، فانفرصة ضئيلة في أن تسمح الولايات المتحدة الأمريكية بوجود أي نظام يساري الحوى. فضلاً عن ذلك، فقد تأكدت شكوكه برد فعل كوبا نفسها. فقد ساعد الكوبيون نيكاراغوا لكن صم

مطور قري يفيد باستمرارية الثورة، وعليهم الآن أن يكونوا حساسين أكثر تجاه الولايات المتحدة الأميركية التي اضطرت إلى قبول فيتو سوفياتي بشأن غزو كوبا نفسها، لكنها لن تقبل أبداً بكوبا ثاية

بعد موسم صيف أمضته الأسرة في السفر حول العالم، واشتمل على زيارة اليابان وفيتنام وهونغ كونغ والهند وموسكو، عاد رودريغو ثاية إلى هارفارد في حين استقل عابو ومير نيديس وعوشالو إلى باريس التي سبداً فيها عوثالو دراسة الموسيقى، مركزاً على آلة العنوت. أما والده، فسيمضي شهراً في مهمة مع منظمة اليوسكو التي دعتة للعمل في موضوعة ماكرايد التي تحقق في احتكار لعالم الأول المعلومات من خلال وكالات الأنباء العالمية. وأجرى صديقه رامون تشاو وإعاسيو راموسيت مقابلة لكتابه مقالته حفرها عمله مع الموضوعة، وكانت بعنوان استمراري هو بدأت حرب المعلومات⁽⁶²⁾. وقال الصحفيان إن عارميا ماركير موجود في باريس "على أساس حفي" وسري تقريباً. أوضح عارميا ماركير أن الموضوعة أسسها مدير عام ليوسكو أحمد مختار أمبو في أعقاب مباحثات جرت في العام 1976، وانطوت منذ بدايتها على وافات كثيرة، وبخاصة أن الروس طالبوا بصحافة حكومية تماماً، عني حين طالب الأميركيون بصحافة حرة تماماً. وكانت البعات الرسمية المستخدمة هي الإنكليزية والفرنسية والروسية، وتقرر إرسال التقرير إلى المؤتمر العام لليوسكو في بعباد أواخر شهر تشرين الأول سنة 1980⁽⁶³⁾. ويوضح غارميا ماركير في ما بعد أنه لم يشعر بمثل ذلك الضجر الذي شعر به بوصفه "صيد كلمات مستوحداً"، كما لم يشعر من قبل أنه يمثل هذه اللاحدوى وأنه لم يتعلم أي شيء، والأهم، أن المعلومات تدفق من الأقوياء إلى الضعفاء، وأنها وسيلة حاسمة في سيطره (الأعنياء على الفقراء)⁽⁶⁴⁾. وقد عارصت كل من لولايات المتحدة والمملكة المتحدة عمل ماكرايد وانتهى بهما الأمر إلى الاسحاب من اليوسكو في نواسط ثامنيات القرن العشرين.

كما بسعت على العراة أن عارميا ماركير بدأ يعبر من تصريحاته العامة وشخصيته أمام اللس نزماً مع غزو الاتحاد السوفياتي الكارثي لأفغانستان. ومن الأمثلة اسكرة ما قاله في اجتماع عقد في الخامس والعشرين من كانون الثاني عام

1980 في مدينة مكسيكو إن أميركا اللاتينية كانت ضحية لا حول ها ولا قوة، منمرجة لا أكثر على الصراع العائم بين الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية⁽⁶⁵⁾. ولكن بالرغم من كلامه المبالغ فيه مع تشاو ورامونت، فإنه لم يكن واقعاً بشأن مستقبل الأرض عموماً ومستقبل أميركا اللاتينية خصوصاً وثوقه من الكلام الذي تفوه به؛ وعلى وجه التأكيد وثوقه من أن مستقبل العام سيكون اشتراكياً. وعندما يعكّر في انتخاب رونالد ريغان تراه يعلى أمامه أن ريغان ما دام ليس قوياً كما كان يدّعي، فسيثبت سمعته المعروف بما كشفني مسلح في أميركا اللاتينية، "ثلث الباحة الرحبة المنعزلة غير مهتأة لأي شخص سوانا للتضحية بسعدته"⁽⁶⁶⁾. وقد أثبتت هذه العبارة أنها توقع صادق تماماً.

لكس غارسيا ماركيز يتوق إلى العودة إلى الأدب. فقد ظهرت إشارات متواصلة من الصحفيين أن غارسيا ماركيز كان قد تعبت من الوعد المتسرع الذي قطعه على نفسه بشأن بيتوشيث قبل ست سنوات تقريباً. وذكرت مجلة إكسبليور في الثاني عشر من تشرين الثاني أن غارسيا ماركيز بدأ يكتب سلسلة من الموضوعات عن الأميركيين اللاتين الموجودين في باريس، وأنه سينشرها بعد مرور أربع وعشرين ساعة على إسقاط بيتوشيث. لكن هذا الكلام خيب طرأ أولئك الذين فسروا كلامه على أنه لن يتوقف عن النشر وحسب، بل عن كل نشاطه الأدبي إلى أن يموت دكتاتور تشيلي. يبدو هنا أنه يكتب أعمالاً ستفج في انتظار نشرها حالما ينتهي "إضرابه الأدبي"، وكأنها طائرات عملاقة تخوم حول مدد العالم الكري منظر أن فقط

لكمه لا يزال حتى الآن لا يعترف بحقيقة كبرى: وهي أنه بدأ كتابة رواية جديدة. ففي وقت لاحق ومبكر من تلك السنة، استمر بصرح أن موضوعاته هدت، وأنه "لا توجد لديه رواية أخرى، في أعماقه"⁽⁶⁷⁾. إن روايته التالية، وهي رواية لا سياسية، ستثير حتماً تحولاً مهماً. ولم يدرك غارسيا ماركيز ولا قراؤه أنه كان يبحث عن الحب. ففي العالم كله بدأت العودة إلى الشخصيات، وما غارسيا ماركيز إلا جزء من هذه العملية وذلك بخلاف الانطباعات الأولى.

تقد كانت مجلة الثرماتيفا محاولة مذهشة، لكنها واجهت صعوبات مالية متزايدة خاصة بعد أن بدأ الصعق الحكومي يبعد المعلمين إثر تسم طريه السلطة. وتخلول العام 1979 كانت تلك اشكلااب قد تعاقمت، وواصل المشرفون على مجلة دعمها من مواردهم الخاصة، لكن عندما أعمت أخيراً في السابع والعشرين من آذار عام 1980، عاد سانتوس كانديرون وسامير إلى صحيفة التيميو. أما المدين كانوا غير مرسلين مؤسسه برعوتنا، فقد بدأوا البحث عن وسائل أخرى لدعمه، في حين كان عارسيا ماركير حراً في إعادة النظر في خياراته السياسية والأدبية في تخطيط المرحلة المقبلة من حياته.

عودة إلى الألب: قصة موت معن وجائزة نوبل 1982-1980

بعد أن استقر عاربي ماركيز استمرراً يبحث عن الارتياح في حدود سوفييتل
في باريس، قسم وقته بين كتاباته الإبداعية صباحاً ومهمة معوضيه ماركيز في المثيرة
للجدل التابعة لليوسكو عصرًا. كانت مهمة ماركيز استمحة وإيديولوجيات العام
الثالث، في ذلك الزمان، تمثل بالنظر في إمكانية قيام "نظام معنومات عالمي" جديد
يخفف من قبضة الوكالات العربية على بحرى الأخبار العالمية وتقنيها". وكما
استحسن عاربي ماركيز هذا التعاون كثيراً، فإنه سؤثر إلى هايه مرحبه التشدد اعام
الذي اتصف به. فمن تكون بعد اليوم محكمة محكمة رسل، ولا مهمة كمهمة
ماكرايد، ولا ما يشبه محلة التارامبا أو 'الصحافة المتشددة' (وهي مجموعة مقالات
سياسية نشرت في بوغوتا في سبعينات القرن العشرين). من إن مصمة هابيس كانت
محولة ناشطة سرعان ما سينحى عنها لقد اتخذ قراراً بالتوقف عن شغله السياسي
عالي النعمة والتحول إلى الدبلوماسية والتوسط من وراء الكواليس. ولما كان من غير
المرجح عنى ما يبدو الإحاحة ببيوشيت قريباً، فقد قرر عاربي ماركيز أن يرتد عن
قسمه ويعود إلى القصة الإبداعية التي تشكل، في كل الأحوال، أفضل شكل من
أشكال العلاقات اعامه الذي في وسعه أن يحققه. وفي أيلول 1981، أعلن عاربي
ماركيز من دون ارتباك أنه 'بصفته كاتباً، فهو أشد خطراً من كونه سياسياً' (7).

بالرغم من أن عاربي ماركيز أصبح اليوم واحداً من أهم الأدباء في العالم،
فإنه لم يشر سوى روايتين اثنتين هما مئة عام من العزلة وخريف البطريق على

مدى عشرين سنة منذ ظهر رواية في ساعة محس و احتاج إلى روايات أخرى إذ ما أريد له أن يكون واحداً من أعظم كتاب عصره. أما بخصوص السياسة، وبالرغم من أنه لم يتحلى عن أميركا اللاتينية أو عن قيمة السياسة الجوهرية، فقد قرر التركيز على كسوب قبل كل شيء بوصفها مركز اهتمامه الأساس وأمنية فله السياسة، وكذلك كولومبيا إلى الحد الذي يمكن فيه تحيل نتائج إيجابية لذلك لبعيد الذي لم يدق طعم المادة. لقد مثلت كوبا لغارسيا ماركيز انتصاراً أخلاقياً في الأقل، صرف النظر عن عيوبها السياسية والاقتصادية. وكان فيدل أميركياً لاتينياً، لم يعرف الإحسان أو الرحمة، وكان يحس شعور قدرة كاملة بالأمل، وقل ذلك كله، بالكرامة. وقرر غارسيا ماركيز أن يتوقف عن صرب رأسه مجدداً تاريخ أميركا اللاتينية المبسبة باللين، ولكنه سيتمسك بما هو يجايب.

وقدما كان يأتى بنفسه على حو غير مدرك بالحس أو بالعقل عن مواجهة مشكلات أميركا اللاتينية موجهة مباشرة، ما عدا مشكلات كوبا وكولومبيا، بدأ يخصص وقته بين مكانين لم يروفا له من قبل وهما باريس وكارثاجيا. وفي غضون تلك الحقبة اشترى شفتين في كلك المدينتين في شارع ستانيسلاس في حي موتسارتاس، وفي بوكا غراندي في كارثاجيا نعل على شاطئ يومه السباح على البحر الكاريبي الذي كان يعيشه وعندما أنهى إصراره الأدبي في أيلول سنة 1980، بدأت قصة أنثر دمك على الفلج تعكس تماماً هذه الحقيقة الوجودية الجديدة: بالقصة تبدأ في كارثاجيا وتنتهي في باريس (كما أنها تعيد تشعير ماضيه الباريبي برفقة تانسي⁽³⁾)، وكانت مما يتطابق وحده تماماً وتوقيته أو خطه، أن يُسحب اثنان من أصدقائه في تلك الحقبة في الحكومة الفرنسية وهما هرائسوا صيران وحاك لانغ، الأول لرئيس الجمهورية واثاني لوزاره الثقافة، فيما يصح صديق ثالث له هو دنجيس دوريه مستشاراً حكومياً بارداً، وإن مثبواً للجدل. أم كارثاجيا، فستعوى بعض الخدمات الجوهرية المتصورة والتحول التدريجي في عقلية الكاشاكو، مرتعاً لضربسي السلطة الأعياء في برعوتا.

وبين أن تلك اللحظة كانت لحظة تحديد قوى وشاط مثيرة لرجل بات اليوم في الخمسينيات من عمره وفي وسعه لادعاء أنه مسح الشاطئ النوري أفضل أنواع

المدعم. كان رودريغو قد بدأ الرحيل عن باريس والدرسه في هارفرد بعد تجربته القصيرة تعلم الطبخ الفرنسي رفيع المستوى، على حين بدأ غارسيا ماركس يبحث عن دروس في الموسيقى لانه الأصغر غوثالو وكان إحيو يقص في باريس أيضاً مدد بضعة أعوام ولكنه تنقل مؤخراً إلى لندن. في غضون ذلك، كان بعض الصحفيين الكولومبيين الشبان من العامين سابقاً في مجلة التاراباغا موجودين في باريس ولا سيما الربيين إريك سانتوس كانديرون وأنطونيو كاييرو والصحفية عن صحيفة الاسكندور ماريا جيمينا دوتان. وكان بيسو مهلوثا يشتغل في السفرة الكولومبية. وكانت صلات غارسيا ماركس بالمراجع العليا مفيدة جداً لهم^{٤٤}، أما ميرثيديس، فقد أمضت من وقتها في باريس أقل مما أمضاه عابو، إذ كانت بمكامة الأم لكل الكولومبيين السائب، وعملت على تسهيل رواجهم، وكفكف دموعهم عندما كانت علاقتهم العاطفية تنوء بالمشغل أما غارسيا ماركس فقد أمضى ساعات الليل المتأخرة في مقاشات طويلة أظهرت لأصدقائه أن أسايبه ربما تعبر، لكن معتقداته ظلت ثابتة^{٤٥} غير أن عونتانو الذي كان لديه استوديو خاص للموسيقى، فإنه فقد اهتمامه بانه الصوت مما أثار حيه أمل أليه. ثم بدأ بدرس الفنون العريفة سنة 1981 وكان في سن ثمانية عشرة، والتقى روجة المستقل يا أليثوسو وهي اسة الأدب المكسيكي الطليعي سلفادور أليثودو الذي كان يعمل رئيس تحرير سابقاً في مجلة أس. بوب. وأدت تانتسيا دور عمه غوثالو خلال عباب والديه عن المدينة. وكانت لا تزال تفض في شارع بوليفارد دي لوبرفاتور قبالة المستشفى الكليب الذي شهد ساعة محسها. وعندما نشرت قصة أثر دمك على الثلج في صحيفة الاسكندور في السادس من أيلول سنة 1980، كانت صورة علاف ماعاران دومينيكال تمثل زهرة تقصر دماً.

وبعد بضعة أسابيع من نشر هذه القصة المهمة، نشر كوسمويو ميلوث دي رياسو، وهي أخت بليو، مقالة عن ميرثيديس أشارت فيها صراحة إلى قصة عرام عابو الباريسية في خمسينيات القرن العشرين، وأوضحت أنه رى أحبها حباً حراً. وألحت إلى أن ميرثيديس كانت سادحة لا يعرف عن ذلك لعرام ولا عن أشياء كثيرة أخرى وسواء أكان ميرثيديس قد فهمت معنى القصة القصيرة التي

بشرت مؤحراً، أم لم تفهمه، فإن هذه المتابعة الصريحة والواضحة تماماً لا بد من أن تكون مفاجأة لها. ومع هذا، فقد انتهت بمحوم مصداق من المتحدثة في الغفلة. وتسجل كونسولولو ميدونا: "إنها لم تكن نعتاً بالمصححات بالأديب، وكانت تقول: أتدري أن غاييتو معجب دائم بالنساء، وفي إمكانك ملاحظة ذلك من كتبه، ولديه صديقت في كل مكان يحين حياً جماً بالرغم من أنهن لسن كاتبات. على كل حال، الكاتبات في بعض الأحيان مرعجات. ألا تؤيدن هذا الرأي؟"⁽⁶⁾.

في التاسع عشر من آذار سنة 1980، كان غارسيا ماركيز قد صرّح خلال زيارة لكوبا أنه أكمل في الأسبوع الماضي - تأليف رواية لا أحد يعرف تقريباً أنه كان منهمكاً في كتابتها، وهي بعنوان قصة موت معلن، وقال إن الرواية صرّبت من صروب الرواية المرفقة والتحقيق الصحفي الكادب، ولكنه يرغم في ما بعد أنه "لا تختلف اختلافاً شديداً عن الصحافة الحديدية في الولايات المتحدة". وكرر صورة أسيرة لديه وهي أن كتابة القصص كانت تشبه عملية مرج الحرسنة، في حين أن كتابة الرواية تشبه رصف القرميد. ثم أضاف: "الرواية كالرواح: ففي وسع المرء إصلاحه يوماً فيوماً. أما القصة فهي أشبه بقصة حب: إذا لم تنجح فلا يمكن إصلاحها"⁽⁷⁾.

بس من إجماع على أن غارسيا ماركيز الحديد كان محبوباً بحسب الحصة المطلوبة. فعندما أراد أن يشرح مشكلة الكوبيين لطالبي اللجوء السياسي الذين تواجدوا جماعات مؤحراً على السامرة البيروية في هافانا، كتب الكاتب الكوبي المثنى ريبالدو أرباس مقاله 'راد أن يبين فيها أن غارسيا ماركيز لا يمكنه أن يضلّه. وكانت المقابلة بعنوان يطوي على تورية تصعب ترجمتها، لكن في وسعنا أن ينكر ما يواريهها: غابرييل غارسيل ماركيز: أهر حمار أم هو دهر حمار؟ مشيراً على وجه الخصوص إلى نقد غارسيا ماركيز المزعوم لركاب الزوارق الميسامين وطالبي اللجوء الكوبيين، مؤكداً:

إن كاتباً مثل السيد ماركيز الذي عاش وكتب في الغرب، والذي ترك مؤلفاته أبلغ الأثر ونحوي بكل التقدير لما ضمن له أسلوباً في الحياة، وتبوأ مكانة ثقافية مميزة، نقول إن كاتباً مثله يحظى بحماية الحوية والفرص التي منحه

إياها العالم، فليجأ إلى استعمالها للاعتماد على الشيوعية الشمولية التي تحول المتقنين إلى رجال شرعة، ورجال الشرطة إلى مجرمين، إنما هو لأمر بشئ السخط الشديد... لقد حان الوقت كي يخذ المتقنون في العالم الحر (فلا يوجد غيرهم على الأرض) موقفاً ضد هذا الصرب من مروجي الدعاية للشيوعية الذين يحتمون تحت ضمانات ونسيجات توفرهم لهم الحرية. فيعملون على تفويضها⁽⁶⁾.

في معاملة أجزائها إلى رايدع وشرتها صحيفة نيويورك تايمز في أيار، أوضح غارسيا ماركس الذي رار هافانا هذا الشهر في خصم مشكلة لاجئي كوبا مع الولايات المتحدة، لرايدع أنه أسس منظمة هايس "التي قصايا معينة تتطلب الاتصال مع كل من اليسار والحكومة، وتقديم المساعدة من حين إلى آخر لإطلاق سراح صحايا عمليات خطف يقوم بها الثوار"⁽⁷⁾. يبدو هذا الكلام شبيهاً بكلام شخص يريد الجمع بين تقصير، واحتمال الوقوع تحت عناية "الحكومة"، بصرف النظر عما يكون أفرادها. أم بخصوص كتابه الذي طال انتظاره عن كوبا يقول: "كانت الأبواب كلها مشرعة أمامي، لكنني أدرك الآن أن لكتاب بطوي على قد رعا يستخدم ضد كوبا، ولهذا فإني أرفض نشره بالرغم من أن الكوبيين يريدون مني أن أمضي قدماً فيه". ويذكر رايدع "على كثرة تردده على هافانا، فإنه يقول إنه لم يستطع الاستقرار فيها: إنني لا أستطيع أن أحيي في كوبا لأنني أمر بتجربتها، وستكون هناك صعوبة في الذهاب إليها الآن وكيف نفسي مع ظروفها، إذ سأفتقد أشياء كثيرة، فأنا لا أستطيع العيش في ظل الافتقار إلى المعلومات، إنني قارئ مهم للصحف والمجلات العالمية". لكنه لا يستطيع العيش في كولومبيا أيضاً، إذ يقول: "ليست لدي حياة خاصة فيها، وإذا ما صحت رئيس الجمهورية تعين علي أن أدلي برأيي في صحته، وإذا لم يصحك، فينبغي لي أن أوضح السبب الذي أدى به إلى عدم الصحك"، ويعطي رايدع قائلاً: "هذا السبب عاش غارسيا ماركس في مدينة مكسيكو بصورة مستمرة تقريباً منذ سنة 1961".

وكما أصبح معروفاً، فإن الكتاب الجديد الذي جاء أخيراً بعنوان قصة موت معلن لم يكن سوى مشروع قدم حقاً: فهو رواية عن الاعتيان المطيع الذي تعرض له صديقه الودود كابتانو ختلي في بلدة سوكري قبل ثلاثين سنة. كما استمدت

الرواية أجواءها من أحداث العنف السياسي في مطلع خمسينيات القرن العشرين، وهي فكرة لم تكن عابئة عن رواية في ساعة نحس، لكن الكاتب الذي وهب سبع سنوات من حياته للسياسة، يعود بأحداث الرواية إلى سنوات الماضي، إلى حقبة من التاريخ الكولومبي أقل تعجراً من الناحية السياسية، كما أنه لن يحو باللائمة على النظام الرأسمالي بسبب ما حدث، ولا حتى على الحكومة المحاطة التي لا ترحم، كما هي الحال في رواية في ساعة نحس، بل على نظام اجتماعي يبدو أهدم وأعرق كغيره، متأثراً تأثراً بالغاً بالكيسة الكاثوليكية، إلا أن هوسه بالفروق الإيديولوجية والسياسية أقل من هوسه بالفروق الأخلاقية والاجتماعية. لقد مثلت رواية الجديدة تحولاً هائلاً في نظرتة الأدبية بالرغم من عدم ملاحظة قرائه ونقاده ذلك التحول إلا في ما بدر.

نلقى شاب يدعى ميعيل بالثيا في يوم رفاعه في كانون الثاني سنة 1951، رسالة في يده الصغيرة سوكري تعيد أن عروسه الجديدة مارعربتا تشيكا سالاس لم تكن عذراء، فأعادها إلى أسرتها بحصة بالعار. وفي الثاني والعشرين من اشهر نفسه قتل شقيقها فكتور موبيل وخوسيه حواكين تشيكا سالاس صديقها لسبق كاتانو حنيلي جيمنتو في الميدان العام في البلدة وأمام جميع سكانها بعد انقائه بعواية مارعربتا وقصاً بكرتها وحجرها⁽¹⁰⁾. كان القتل مروّعاً، فقد قُطعت جثته إرباً إرباً إلى حذّ كبير⁽¹¹⁾. وكانت والدته حنيلي صديقة حميمه و(رفيقة) للويسا سانياعا ماركيز، وكان كاتانو صديقاً حميماً لغابيتو ولأخيه لويس إريكي ولأخته الكبرى مارغوت. كان لويس إريكي قد أمضى النهار السابق مع كاتانو، وكانت مارغوت ممعنة قبل دقائق قليلة من قتله. وقد شاهده حامي البالغ من العمر أحد عشر عاماً وهو يُقتل. ومنذ ذلك اليوم أراد غابيتو دوماً أن يكتب قصة هذا الموت الرهيب من الداخل، لكن لما كان أولئك الصالعون في الحدث أناساً يعرفهم هو وأسرته معرفة وثيقة، فقد طلت منه أمه ألا يكتب أي شيء ما دام والد الطين الرئيسيين في الحادث على قيد الحياة. (كان القتل سبباً دفع عارسيا ماركيز للهروب من سوكري، في شباط سنة 1951). وبحلول العام 1980، عندما بدأ غابيتو يدوّن الرواية، كانت أمنية قد وافق معظم أولئك المطبعين على أحداثه، وكان هو في

وصح بمكته من إعادة ترتيب حقائق العنسية وشخصيات المس الذين يعرفهم على النحو العيف الذي طبقه على نظمه في **خريف البطريق**⁽¹²⁾.

كان عارسيا ماركيز قد امتلك تصوراً للشكل الهائي لكتابه الجديد وهو في طريقه إلى البيت عائداً من رحلة أسرية حول العالم سنة 1979 وفي مسار الجزائر، فتح مشهد أمير عربي يحمل صغراً عبي عارسيا ماركيز فجأة عبي أسوب جديد لعرض الصراع بين أسرة كايانو خنثلي والأخوين تشسكا. وهكذا يتحول خنثلي المهاجر المسحدر من أصل إيطالي إلى سانياعو نصار العربي، وهذا يكون أقرب إلى حد ما من نراث أسرة ميرثيديس نارتشا. أما مارعسا تشسكا صديقة ميرثيديس فتصبح أخيراً فيكاريو، ويصبح معين بالثيا متمظهراً بشخصية ياردوساك روماد، فيما يتحول فكتور مانويل وحوسيه حواكين تشيكا سالاس في الرواية إلى الأخوين التوامين بيدرو وبابلو فيكاريو. أما بقية تفاصيل الكتاب فهي لا تختلف عن تفاصيل الحياه الحقيقية أو هي مشاهة لها. وثمة تعديل على بعض العلاقات، لا سيما العلاقات ذات الصلة بالطقه. وأخيراً، فإن عارسيا ماركيز بعيد كتابة نث لفصية الدرامية بصيرته الروائي السحرية.

وفي حين تختلف رواية عارسيا ماركيز الحداثيه وأكثر رواياته اعتماداً على سيرته اداتية عاصفة الأوراق كل المرجعيات والإشارات لذاتية، فإن قصة موت معلن التي تصف بصمات رواية "ما بعد الخيانة" تجعل من بُعد السيرة الذاتية أشد وضوحاً؛ فالراوي هو عارسيا ماركيز الذي لا تحد لاسمه ذكر، لكا يعرف أنه هو، لأن زوجته تدعى ميرثيديس (ويبدو أنها تتوقع ما أن يعرف من هي) وأمه تدعى لويسا سانياعا، وأخوته هما لويس إيريكي وحلبي، وأخته هي مارغوت. وهناك أخت أخرى راحة بلا اسم، بن، ولعمره الأولى، أت بلا اسم أيضاً. يتلاعب عارسيا ماركيز هنا مع قرائه ومع الواقع ما دامت هذه التفاصيل ذات الصلة بأسرته وبحياته صححة إلى حد كبير، لكن ليست كلها؛ فعلى سبيل المثال، كانت لويسا سانياعا ولويس إيريكي ومارغوت وحلبي في سوكري حقاً في اليوم الذي وقع فيه حادث الاعتقال. أما عابيتو وعابريل إلخيو وعابدة وميرثيديس فلم يكونوا فيها. وإذا كانت العمة ويفريدا في منواها تحت الثراب منذ سنين طويلة سبقت حادث

الاعمال، وإها تعود لظهور حبة في نهاية الرواية ويظهر أفراد الأسرة لا بأسمائهم وحسب، بل بتصرفاتهم وبطريقة كلامهم أيضاً.

ويذكر الراوي أنه اقترح على مورتيديس الروح ها وهي طفلة صغيرة، وهو ما حدث حقاً في الواقع، لكنه يذكر أيضاً في الرواية عاهره الحبي ماريا اليحادرينا ثيرب-بسم التي يسميها اسم امرأة كان يعرفها حقاً في بلدة سوكري، وعمر السطر الأعظم من الرواية وهو معها في الفراش.

أما بخصوص البلدة، التي لا تعمل اسمها أيضاً، ففيها هر مثل هر سوكري نفسها. كما يقع بيت الأسرة على امتداد صمة الهر بعيداً عن المدين العام، وفي يكة مشرفة بشمار المائحا تماماً مثل بيت أسرة عارسيا ماركير في سوكري. وإن كاتب سوكري لا تشتمل على سمر بحاربه كثيرة فقط، بخلاف ما تقرأ عنها في الرواية، كما لا توجد فيه مركبات من أي نوع، كما لا يمكن مشاهدة كارتاخيا عن بعد مسافة، لكن البلدة من معظم الواحي الأخرى تقريباً تماشى البلدة الأصل تماثلاً تاماً إلى حد كبير.

عُدَّت الرواية عملاً أدبياً رائعاً، مؤلفها هو حقاً كما يبدو، رجل آخر، كاتب آخر، شخصيه معبرة تماماً. هو لأن أشبه بمصارع ثيران عارم على قتل ثوره بصورة لا تُنسى، درامية وجمالية على حد سواء. والتسعة هي أنا أمام رواية نستوي في شعبيتها وقوتها الأسرة التي لا تقاوم مع مقطوعة بوليرو للموسيقار رافيل. كما أنها موازية لها من حيث محاكاة الداتة التي تشفع لها. وما أن اكاتب يعلن هارتاً ضمناً مفهوم التشويق، عن موت بظله في السطر الأول من الفصل الأول ويعلنه مرات ومرات في الفصول التالية، وأخير، وعلى نحو فريد، ربما يعلن بظله يعلن، وهو يُمسك بأحشائه كأنها بقعة رهور في الصفحة الأخيرة من الرواية: "لقد قتلوني أنيها الآسنة ويعريدا". ثم ينهار الناس المسكين وتنتهي الرواية. وهكذا، عندما يشير عارسيا ماركير في عنوانه إلى موت معلم، فإنه يشير إلى كل من طبيعه الرواية التي يعكس مصولها والأسلوب الذي اختاره لحكايتها. إن هذه الرواية، بما فيها من معارقات وتكافؤ الأضداد، تمتشد في كتاب غنصر تعقيداته الاستثنائية التي تتورى بمهارة عن أعين المرء الذين يشق مؤلفهم الخير طريقه أمامه رباطة جلتش واعتداد بالنفس من دون أي مشقة على ما يبدو.

عندما يعيد بياردوسان رومان زوجته أجيليا هيكليريو إلى أسرقا في ليلة الرفاف لدى اكتشافه أنها ليست عذراء، تخبره في آخر الأمر أن معويها كان ساتساعو نصار وبعد أن ينفذ أحواءها عمية قتل نصار انتقاماً لها، يلودان باكيكية وحيوان الراهب: "لقد قتسناه ونحن نكامل وعسا ولكب بريكان"، وأغنس محامي التوأمين أن القتل كان دفاعاً مشروعاً عن الشرف، لكن بالرغم من انقضاء م يكونا يادمين. إلا أنهما بدلا كل ما في وسعهما لتحذير نصار أو أن يوقصهما الآخرون ويحولوا دون فلهما إياه، وانتظراه في مكان حيب من غير المرجح أن يملكا من مشاهدته، ولكن حيث يمكن لكن شخص آخر أن يشهدهما معه، يعلق الراوي: "ما من موت أعلى عمل هذا السكل" هبكية سكان البلدة يرون أنه ليس هناك سوى صحية واحدة حمصة وهو العرس انحنوع بياردوسان رومان الذي يضي لعرساً وصول أي شيء للراوي بعد ثلاثة وعشرين عاماً عندما يسقيان ثانية، ولما يعث على العجب أن اجيليا تعلم به عراماً شديداً ويستجود على فكرها مد اللصة التي يرفضها فيها بعد أن كانت مترددة في الزواج به. أخيراً، يظهر للعيان بعد أن طعما في النس ويحمل ألبي رساله غير مفتوحة ويحييها تحيه مقتصبه: "حسباً ها أما ها".

الشرف وانعار ومرص الإحساس المفرط بالرجولة تشكل كلها موضوع الرواية لاجتماعية المركزية، شأها شأن عديد الأعمال الإنسانية مد "العصر الذهبي" في القرن السابع عشر وحتى مسرحيات لوركا في القرن العشرين. (كم يمثل حنبار هذا الموضوع اعطاف المؤلف الواضح اعفاظ) ولعل الخلاصة المختمة التي يظهرها عارسيا ماركير هي: الرجال يستحقون العنف الذي يمارسه أحدهم ضد الآخر بسبب ما يصعبونه بالساء.

لا مد من أن قصة اعقيد ماركيز وميداردو حالت في دهن عارسيا ماركير مرة أخرى طوال عمية كتابه هذه الرواية إلى أي حد يكون مسؤولين عن أفعالها، وسيطر على مصيرها؟ اعصاره نعم عملها في كل المستويات: الحصة العشية الهائلة هي أن ساتساعو نصار قد لا يكون هو الذي رتكب ذلك العمل الذي تسبب قتله، وأن الأحوي لم يكونا راعين حقاً في قتله. إنه مريخ من القدر وسقوط الإنسان، والأهم من هذا كله هو تشوش الاتيين مما تسبب بالموت.

لعل العنوان قصة موت معلن هو أكثر العناوين التي احارها عارسيا ماركيز تأثراً، إذ استخدم في آلاف العناوين الصحافية والإشارات في المجلات. ويرجع السبب كما يتضح إلى أنه بطوي على أن كل ما يُعلن يمكن معه، وأن القوة البشرية يمكن أن تقرر مسبقاً العلم (بالعزم من أن لم روايه تبدو، وما للمعارضة، أم ترسل رسالة معارضة). على كل حال، إن كتاب عارسيا ماركيز ليكر يحيل إلى الإحياء بأن هناك أشياء تخصص للقوة الشريفة أكثر مما يعتد الوعي الجماعي في أميركا اللاتينية. أما الكتاب الأخير، فيميل على وجه العموم إلى التشكيك على نحو أكثر في ما يخص وما لا يخصص للقوة الشريفة، ويحيل إلى القول إن معظم الأشياء لا تخصص عا. وما بطوي على تناقص ظاهري هو أن العمل الأول يبدو أكثر تشاؤماً، لكنه معمم حقاً بتناول ضمني دي منظور اشتراكي، ويهدف إلى تغيير العقول والقلوب الكتاب الأخير أكثر رهواً، لكنه بوجهة نظر عامة لا يتعد كثيراً عن اليأس.

* * *

في نهاية المرحلة الممتدة من نشاطه السياسي والدعائي من العام 1973 وحتى العام 1979، ولاتخاذ التدابير اللازمة للمستقبل الذي حدسه بمطهرته، بدأ الآن يعتقد دوراً طاملاً رسمه، ألا وهو الشهرة. بعد إكمال روايته قصة موت معلن وتوقع رجوعه إلى كولومبيا، تحدث إلى أصدقائه العاملين في الصحافة كي يأخذ عن عاتقه ضرباً آخر من الصحافة. فمقالاته الجديدة كانت عودة إلى ذلك السط المكتاسي السي سبق له أن امتلك فيه في عقدي الأربعينيات والخمسينيات في كارتاجينا وبارانكا، يحيل إلى لأدب أكثر مما يحيل إلى الصحافة⁽¹³⁾.

وكانت فصلاً عن كونها مقالات وتعليقات سياسية وأدبية، أشه ما تكون مذكرات سلسلة، ورسالة أسبوعية إلى أصدقائه، وشرة إلى عشاقه، ومذكرات عامة متصلة⁽¹⁴⁾. لكن تلك المذكرات لم تكن مذكرات كاتب عمود احتاج إلى اسم مستعار كي يمتح نفسه هوية، بل كانت إلى حد بعيد مذكرات شخص ما.

أرسل عارسيا ماركيز مقالاته للنشر على وجه الخصوص في صحيفة الأسكتادور في بوغوتا وصحيفة الباييس في إسبانيا وغيرهما من صحف أميركا اللاتينية وأوروبا. وكان الشيء الثير في هذه المقالات منذ البداية، هو التحول الكبير

الذي صاراً على موقفه. فالرغم من أن عدداً كبيراً من تلك المقالات يعالج موضوعات سياسية راهنة، إلا أن النبرة ايسارية كانت قد تلاشت فيها. كان لمرجل الذي يكتب تلك المقالات رجلاً عظيماً كأنه روائي من القرن التاسع عشر حظي بالإعجاب والتكريم على نطاق عالمي. كتاب لا يزال ودوداً حقاً إنه لأمر عظيم أن يكون هناك مثل هذا الرجل المهم هذه الدرجة من الود (كلاهما في حالة ملائمة حسن الكلام) - لكن لم تعد فيها تلك الروح الرفيقة الفريدة التي كان يكتب بها أعمده *الراحة* أو الروح الرفيقة التي عرفها خلال كتاباته في مجلة *النارباتيد*. لمد كان هذا التحول في الموقف وفي سيره واحداً من أكثر عوامل شهرته سائراً التي تطوي على براعة مؤكدة. من الواضح أن هذا الصوت الهادي رابط اجأش الذي كان يعرف كل شيء ولم يظلم بأي شيء، من شأنه أن يسب المتابع إذا ما عاد صاحبه إلى بوعونا حيث تنشر مقالاته كل يوم أحد.

بدأت مقالات عارسيا ماركير بالظهور منذ شهر أيلول سنة 1980، واستمرت من دور اقطاع حتى اذار سنة 1984، فوصل عددها إلى مئة وثلاث وسبعين مقالة أسوعه خلال مرحله من أكثر مراحل الكاتب نشاطاً على امتداد سني حياته⁽¹⁵⁾. وبما يشير الدهشة أن المقالات الأربع الأولى كانت عن جائزة نوبل⁽¹⁶⁾. وكشفت بين سطورها عن أ. عارسيا ماركير لم يقم بحث شام وحسب، بل كان يعرف الشيء الكثير عن سنوكهولم، كما أنه التقى عضو الأكاديمية البارز آرثور لاندكهنست ورؤره في مرله ونحت عارسيا ماركير في تشكيل لجنة الحائزة، وطريقة اختيار المرشحين، وإجراءات طقوس منح الحائزة. وكسب في مقالاته الأولى أن الأكاديمية السويدية تشبه الموت، إذ إن اختيارها غير متوقعة دائماً، لكن هذا لا يطبق على حالته!

قدم عارسيا ماركير إلى قرائه منذ البداية الاضباع بأنه سمح لهم بدحول "حياة الأعياء ولساهير"، وما تطوي عليه تلك الحياة من "شراب وأحلام وكاهيار"⁽¹⁷⁾. ولم يعمد عارسيا ماركير إلى سرد وقائع حياته الراحة وأسلوها والناس المهمين الذين يعرفهم وحسب، بل يذكر ماضيه أيضاً كأن ذلك الماضي يهم قرائه في جميع أنحاء العالم. يبدو وكأن خمسة وعشرين عاماً انصرمت من آخر مقالة كتبها في مجلة

الباراغواي في سنة 1979 والمقالة الأولى التي نشرتها صحيفة الاسكتندور في أيلول 1980، وهو أمر يشبه ما قد يحدث لإحدى شخصيات حورحه لويس بورخس؛ كما في المعجزة السرية، في الوقت نفسه، تمكن غارسيا ماركيز من شن حملة متواصلة ضد الحملة الإمبريالية التي تقوم بها حكومة ريفرن في أميركا الوسطى والكريبي من دون أن يأى بنفسه بعيداً عن اتجاهات الرأي العام الليبرالي العالمي. فكان ذلك إنجازاً رائعاً يشتمل، من بين ما يشتمل، على استدال التأكيد على الأصدقاء الثوريين وحركة شكوف ورعيم الثوار الساحلي حائمي ناغان بإشارة إلى السياسيين اللينينيين المحترمين مثل غونزاليث وميتزن وكارلوس أندرياس بيريت ولغونسو لوبيث ميتشيليسين.

واكتشف فراقه أن هذا الرجل العظيم يحشى، شأنه شأن الكثيرين منهم، ركوب الطائرة، وتكفى من ابوح بسر مفاده أن هناك رجلاً عظيماً آخرين يدعون هذا الخوف مثل بونيل وبيكاسو وحتى كارلوس فوينس الذي كان كثير لسفر. لكنه بنا بالرغم من هلعه يواصل السفر، ووصف كل رحلة من رحلاته الجديدة لقرائه بلعجين "أين أذهب؟ ومع من؟ وكف هم؟ وما هي تصرفاتهم الغريبة؟" (إد من الواضح أن بكر واحد ما تصرفاته الغريبة القليلة). وكان يخفف بالحرفات أيضاً ويرغم أنها تستهويه كثيراً، بل كانت تداحه شكوك ويشعر بعدم الأمان أيضاً فهي شهر كامون الأول سنة 1980 فكر وهو في باريس في قضية اعتيال حول ليون والحير الحرف الذي انساب أنحياً لمعددة لموسيقى البيتلز وقال يرثاء. "في عصر هذا اليوم، وعما أنا أفكر في كل ذلك وأربو من حلال باعده كتيبة إلى الثلج المنساقط أبوء بأكثر من خمسين سنة على كهلي ولا أزال لا أعرف حقاً من أنا إلى حد كبير، أو ماذا أفعل في هذا المكان، الذي يطاع أن العالم لا يحتف مد اللحظة التي ولدت فيها إلى اللحظة التي بدأ فيها فريق البيتلز بالغناء"¹⁸. وأكد غارسيا ماركيز أن ليون ارسط اسمه قل كل شيء بلحب. وربما رسط اسمه - كما قل يطى اقراء - بالنصه والعربة وعباب انسب أكثر في ارسط لأي شيء آخر. لكن، سنعتبر هذا كله.

كانت مقالة غارسيا ماركيز عن جون ليون رسالة مشفرة لم يكن باريس أو أوروبا هي الجواب. كان حاجة إلى الرجوع إلى كولومبيا حيث تدور أحداث

روبيته الأخيرة مرة أخرى، وهو ما أعله مراراً في سلسلة من المعاملات في ذلك الوقت. كان يقصع الوعود بالرجوع مد سس طويلة، لكن البلاد سرعان ما بدأت تميل مرة أخرى إلى الموصى مع إغلاق مجلة التارناتيا في بواكير العام 1980: مرجع جديدة من العنف، موجة جديدة من تهريب المخدرات، ومخط جديد من جماعات مسلحة اختارت بعمليات مذهلة

إلى مثل هذا الجو عاد عارسا ماركيز وميرنديس إلى كولومبيا طرقة الرجعة والمعمية في شهر شباط سنة 1981. واتخذ غابيتو الثريبات الالتزام كبير لشمل الأسرة في كارتاجينا حيث تألفت لحانة العبر، كالجمعة، "الحالة نا" التي أدهشت ذاكرتها جميع الحاضرين⁽¹⁹⁾. وبدأ يعمل في الشقة التي شترها مؤجراً لأخته المفصلة مدعرت في بوكا غراندي وراو الشاعر والباقد الكولومبي حوال عوستافو كويو بوردا عارسا ماركيز بعد وصول الأخير إلى كولومبيا بوقت قصير وسمح له أن يأخذ مخطوطة قصة موت معلن بعد أن قرأها على مدى ساعتين في الطابق التاسع عشر في أحد العادق الفرية⁽²⁰⁾. وقال كويو بوردا إن الكاتب كان يستغل كل يوم في شقة مارغوت، ثم يهبط اسلالم إلى الطابق الأرضي ويقود السيارة لزيارة أمه في مانعا، ويصعي إلى "نكات أبيه غير المفهومة".

في العشرين من آذار، حصر عارسا ماركيز حصة بضعتها السفارة الفرنسية في بوعونا وهناك التقى مرة أخرى بكويو بوردا، وهو اللقاء الذي اتفق الاثنان على وصفه بأنه "لقاء الكائناتكو تحيل العود والساحي لوعد" وقال كويو بوردا إنه لم يشاهد من قبل عارسا ماركيز. يمثل تلك السعادة وهو في كولومبيا. لكن هذا الشعور بالرصاص كان وقتياً فقد نكتم الاثنان في اليوم الذي تقرر فيه أن يعين رئيس الجمهورية قطع العلاقات مع كوبا. ثم هناك ما هو أسوأ؛ فقد بدأ عارسا ماركيز يتلقى معلومات يفيد أن الحكومة تحاول إيجاد علاقة بينه وبين حركة الثور المعروفة بالاسم أم - 19 التي كانت مرتبطة بدورها بكويو، بل وصفت الشائعات حد القول إنه ربما يتعرض إلى عملية اغتيال وفي وقت لاحق، أبحر عارسا ماركيز الصحفيين المكسيكيين أنه سمع أربعة تفسيرات لقصة واحدة معادها أن الطغمة العسكرية في كولومبيا تخطط لاغتياله⁽²¹⁾. وفي الحادي والعشرين من شهر آذار أحاط به

الأصدقاء الذين تمهروا لخدمته وقدم طلباً للجوء في السفارة المكسيكية وأمضى ليلته فيها⁽²²⁾ وبعد الساعة السابعة والدقيقة العاشرة من مساء اليوم التالي، سافر جواً تحت حماية سفيرة المكسيك في كولومبيا ماريا أنطونيا سانتشيث - غافينو ولدى وصوله مطار مدينة مكسيكو، خرجت مجموعة أخرى من أصدقائه وعدد أكبر من الصحفيين لمرحب به. وعلى الفور وعرب له حكومة المكسيك حراسة شخصية

تحدث غارسيا ماركيز مطولاً إلى الصحافية الكولومبية مارغريتا فيدال في أثناء هروبه. وقد كتبت تلك الصحافية مقالة معمقة عن الأحداث المثيرة التي مرَّ بها⁽²³⁾. وبما هما يحققان فوق البحر الكاريبي، أكد ها غارسيا ماركيز أن كاسترو وبورخوس لا يروّذان الثوار لكولومبيين بالسلاح، فقد توصل كاسترو إلى اتفاق مع لوبيت ميتشيليس بصف على عدم دعم كاسترو الثوار بالسلاح والترم بذلك. ثم يعود غارسيا ماركيز إلى كولومبيا عندما أصبح لوبيث ميتشيليس رئيساً للجمهورية مجدداً كما كان يتوقع، وقال إنه يهاض الإرهاب، وأن الثورة هي الحل على المدى بعيد مهما كلف ذلك من نصحيات، لكنه لم يعرف كيفية تحقيق ذلك. إذ طالما كانت كولومبيا بدأً ضعيف الوعي، فاضحة لما هو شعوي ولكن ليس للثورة. ولم يعد الكولومبيون يتقنون بأي شيء، فالسياسة لم توصلهم إلى أي مكان، وبات الرأي السائد اليوم هو أن لكل واحد طريقه مما شكل تهديداً كاملاً بالتمكك الاجتماعي. إن بلداً بلا يسار منظم، أو يسار عاجز عن إقناع أي فرد، يعمى حياته ممزقاً نفسه إلى أشلاء، لا يمكن أن يحقق شيئاً.

هذا هو السياق العام الذي سيشتر فيه رواية بعنوان قصة موت معلن. ويمكن للمرء أن يتخيل الضباط الكولومبيين جالسين في نكتاتهم العسكرية قبل بضعة أيام ويضحكون ملء قلوبهم على المفاجأة غير السارة والمعارفة التي يعدون ليساري الساحلي المروور. لكن في غضون ذلك كله، كان الصور قد حنق بعيداً، وجرى الاحتمال في بوغوتا برجوعه إلى الوطن من دونه.

اكتشف القراء أن رواية قصة موت معلن سرد أحداث قصة لا يمكن أن تكون مثيرة أكثر. لكنه بالرغم من ذلك، وحدة من تلك الروايات التي ستكون هــ

قصة مثيرة بعد نشرها. بلغت مبيعاتها أرقاماً حبابية حال صدورها في وقت واحد في كس من إسبانيا (عن دار نشر بروغرا) وكولومبيا (أوبيخا بيغرا) والأرجنتين (سوداميريكانا) والمكسيك (ديانا) وفي الثالث والعشرين من شهر كانون الثاني سنة 1981، أُنشئت صحيفة إكسيلسيور أن مليون نسخة طُبعَت من الرواية للعالم المتحدث بالإسبانية، بمعدل ربع مليون نسخة بغلاف ورقي في كل قطر من الأقطار الأربعة المذكورة سابقاً، وخمسين ألف نسخة بغلاف سميك في إسبانيا. وأشارت در ستر أوبيخا بيغرا إلى أنها فرغت من طبع الكتاب في شهر نيسان وهي أطول مدة استغرقها طبع كتاب عمره في تاريخ أميركا اللاتينية. وفي السادس والعشرين من نيسان، أوضح إكسيلسيور أن مئة وأربعين ألف دولار تُعقب على الإعلان عن الرواية في المكسيك وحدها، وأنها تُرجمت إلى إحدى وثلاثين لغة، وباعها مائة الصحف وباعة العلكة في الشوارع في جميع أنحاء أميركا اللاتينية.

وأجريت مقابلة مع حوسيه بيتشي كاتاراي مدير دار نشر أوبيخا بيغرا حال صدور الرواية⁽²⁴⁾، وتوضح في ما بعد أن مليون نسخة من الرواية طُبعت وبيع مليون نسخة فقط: مليون نسخة في كولومبيا ومليون نسخة إضافية في كل من إسبانيا والأرجنتين: بالرغم من أن كاتاراي لا يعتمد عليه أبداً بخصوص الأرقام، وهو ما يلائم اسم دار نشره أوبيخا بيغرا ومعناه الحروف الأسود* وإذا كان أكبر رقم سابق بعدد نُسخ أول طبعة كولومبية من أي كتاب يقدر بعشرة آلاف نسخة، فإن كتب غارسيا ماركيز الجديد طبع منه أكثر مما طبع من أي طبعة أولى أخرى لأي كتاب أدبي نشر في العالم. إن صبح مليون نسخة من الكتاب يعني شراء مئتي طن من الورق، وعشرة أطنان من الورق المقوى، وألف وستمئة كيلوغرام من الحرير، وكانت هناك حاجة إلى خمس وأربعين طائرة من طراز بوينغ 727 لملء نُسخ الرواية خارج كولومبيا وحدها. وفي التاسع والعشرين من نيسان، صرّح غارسيا ماركيز، وكأنه يريد المساعدة في كل هذا الذي يجري من حوله، قائلاً إن "قصة موت معلن" كانت "أفضل رواياتي". إلا أن بعض النقاد الكومبيين زعموا في الثاني عشر من أيار أن الكتاب ليس سوى 'نصف'، وأنه أطول بفيل من قصة طويلة قصيرة، وهو لم يضيف شيئاً إلى محركات الكاتب الأولى⁽²⁵⁾. غير أن الرواية تبوّأت المكانة الأولى

بين مبيعات الكتب في إسبانيا حيث قُورمت بكتاب Fuenteovejuna (قرية في مرطنة) الذي ألّفه لوبي دي بيدا، وظلت تحتل ذلك الموقع حتى الرابع من تشرين الثاني. وكانت الرواية أكثر الكتب رواجاً في إسبانيا سنة 1981. لقد عاد عابو الروائي الكبير بنجاح مدوّ.

وفي السبع من أيار رفع محام من بوغوتا يدعى إيريكي ألفاريز دعوى قضائية ضد عارسيا ماركيز يطالعه بها بتعويض معادله نصف مليون دولار لافترائه على سمعة الأخوين اللذين بصورهم الرواية. وبخاصة أن القضاء حكم "بإعتقهما" من اجريمه المسبوبة إليهما، على حين أظهرتهما الرواية على أنهما قاتلان. إن التعكير في كاتانو حنيلي سيئ الخط، وربما البريء أيضاً، والذي قُتل حقاً - وإن لم يكن قتله ليستند إلى قانون - على أيدي الأحيوي قبل ثلاثين سنة، من شأنه أن يزيد الضرر من بالانتقام⁽²⁶⁾ واجتمع في كولومبيا بعض من "شخصيات الرواية الأساسية" صوّرو فيها، أو حين لهم أهم صوّروا فيها، مع عدد من أفراد الأسرة الآخرين الذين جاء قسم منهم من مناطق نائية من العالم مناقشة مطالبهم. لكنهم سيصابون جميعاً بحية أمل وس يحصلوا على جزء صغير من أرباح عارسيا ماركيز الحالية لأن المحاكم في كولومبيا، البلد الذي يستع فيه معظم أفراد الطبقات الوظيفية بثقافة أدبية راسخة، كان في وسعها أن تحدد العوارق الأدبية الدقيقة بين الحقيقة التاريخية والنص القصصي، وهكذا، تعزرت مكانة حرية المؤلف على نحو لا لبس فيه.

أضحت رواية قصة موت معلن من أمتع روايات عارسيا ماركيز، إن على صعيد القراء أو على صعيد النقاد؛ فما إن تُقرأ الرواية حتى سطع في الذاكرة. لكن لعلها من ناحية أخرى أشد مؤلغاته تشاؤماً. إن هذا التحول ذو صلة على ما يبدو بإحاطات نشاطه السياسي من عام 1974 وحتى عام 1980 وظروف كولومبيا في نهاية تلك المرحلة.

كان عارسيا ماركيز في باريس في الحادي والعشرين من أيار لحضور مراسم تنصيب فرانسوا ميران، وكان معه كارلوس فويتس وخوليو كورتاتار وهورنيسيا أرملة أليسي. وكانت أول حملة من حملات التنصيب برئاسة التي يتبعها أصدقائه للشخصيون على مدى السنوات المقبلة بالرغم من أن آياً من تلك الحملات

لم تكن أكثر دهاشاً واستمراءً وشاعرية من ذلك المشهد الاستثنائي الذي صممه ساسوه الأشد وعداً بالذات، والأشدّ وعياً بالتاريخ. كم تغير غارسيا ماركيز منذ الأيام التي لم يرق فيها إلى ما هو أكثر من مستوى الصعاليك البشريين⁽²⁷⁾، وفي الشهر التالي، نراه في عافانا حيث يمحك في جناح في فندق الريفيرا، وهو الجناح الذي أبقته السلطات محجوراً له دائماً واستقرت علاقته ببدل على أسس مغير. فقد أصبحا يتمتعان بإحارة معاً في مقر إقامة كاسترو في كابو لارغو، وكانا بمصاحبة الوقت، وحدهما في بعض الأحيان، أو برفقة ضيوف آخرين في أحيان أخرى، بالإبحار بينه السريع أو برورقه أكواداماس. وقد استمتعت ميونديس في تلك المناسبات على وجه الخصوص لأن لفيدل أسلوباً خاصاً في معاملة الناس، يضعي بانه وبأدب كأيام زمان، مما يعيد على السرور والإحساس بالمبالغة في التقدير.

أصبحي غامبو وفيدل الآن في مباح يسمح على الاسترخاء، مما دفع الكولومبي أن يؤدي دور الأح الأصغر المتردد، غير الرياضي والعباس، واستندم دائماً من المتاعب والجنوح وغير ذلك من ضرورات الحياة سيئة الخط. إنه مثيل صائب راق هيدل ونثار ضحكته، حقاً إن وهو الناس لم يكن يعجب المائد كثير، لكس في حالة غارسيا ماركيز، ثمة أسباب تدفع للاستثناء. فهو لم يتصرف تصرف الأح الأصغر معالياً على وجه العموم في التقدير والاحترام وحسب، بل كان يعرف أيضاً متى يُمازح، ومتى يسعى للصحت، ولأي مدى يصل إن هيدل لم يكن بالضرورة من يحترموا الكتابات عموماً - ولا حتى حرياتهم - لكنه كان يقر دائماً عندما يكون أحدهم متفوقاً في عمله.

أما الشخص الآخر الذي احترم غارسيا ماركيز أكثر من احترام كاسترو له وعامه معاملة الأح الأكم ساء، والأكثر حكمة، فهو الجرال توريجوس. لقد أحري قلب عوتاليت في ما بعد أن من ذكرياته التي لا تسي عن توريجوس وعارسيا ماركيز تلك التي كان الاثنان يختصيان فيها الشراب في أحد بيوت توريجوس. وبعد الإفراط في الشرب والقصف، بدأت رحة مطر مدرية، فما كان من الاثنين إلا أن هرعاً وهطاً من فوق الشرفة حيث كانا يختصيان الشراب ويدحرجا فوق العشب تحت المطر العري، بضربان الهواء سيقاهم، ويقهقهان ضاحكين مثل صبيين صغيرين

أحباً أن يكونوا معاً⁽²⁸⁾ رار غارسيا ماركيز توريجوس أواخر شهر غور مع لرئيس المعزولي كاريوس أندرياس بيريث وألموسو لويث ميتشيليسين الذي كان غارسيا ماركيز يأمل في فوره في انتخابات العام المقبل وأمضى الجميع عطلة نهاية الأسبوع على جزيرة كوندادورا الجميلة. ومكث غارسيا ماركيز مع صديقه العسكري بضعة أيام أخرى ثم قفل راجعاً إلى المكسيك في لحظة كان العالم كله، وسعده أمير كا اللاتينية، يشاهد على شاشات التلفزة شريطاً متلفراً عن رواج الأمر تشارلز وليدي ديانا سبسر في لندن لكن أسوأ صربة عاناها غارسيا ماركيز شخصياً، والأسوأ سياسياً مد مصرع سلما دور اليدي عام 1973، حصلت في احادي والثلاثين من غور عندما أفادت الأنباء بمقتل توريجوس في حادث نخطم طائرة على جبل بانام. وكان غارسيا ماركيز قد قرر في آخر لحظة ألا يرافقه في تلك الرحلة.

توقعت الصحافة كثيراً إن كان توريجوس قد اعتيل وإن كان غارسيا ماركيز سيحضر مراسم لتشييع التي ستجري بعد أربعة أيام، وكانت معاجلة كبرى وخسة أمل عضيمة عندما لم يحضر. وعلى الغور، دخل نفسه سفر قرارات غارسيا ماركيز الكلاسيكية إذ قال: "بني لا أدفن أصدقائي"⁽²⁹⁾. كانت عبارة غريبة من مؤلف عاصفة الأوراق وليس للعقيد من يكاتبه اللتين تضمنت عمليات دس وتركران على الافتراض المتمثل بأن التأكد من دس الجنة دفناً يليق بكرامتها واجب أخلاقي أساساً. وبعده أقل متطلبات إسائيتا غير الأكيدة دائماً - كما هو الأمر في قصة أنتيونا.

لم يذهب غارسيا ماركيز أصدقاءه، لكنه استمر في اشاء عليهم. فقد ظهر مقالته التأنييه توريجوس في صحيفة الاسبكتادور في التاسع من آب خلال حضوره معرض عاليه في كوروه⁽³⁰⁾. رأى البعض في سلوكه هذا قوراً يجمع بين موفيق ماقصين. لكن موت توريجوس كان قد أصابه في الصميم. فقد أكدت مرنيديس في وقت لاحق: "كان هو وتوريجوس صديقين عظيمين وقد أحبه حباً جماً، واضطرب اضطراباً شديداً لمصرعه حتى إن المرض دامه لشدة تأثره. واعتقده كثيراً حتى إنه م يذهب بعد ذلك إلى باناما"⁽³¹⁾. ثم يتذكر غارسيا ماركيز لاحقاً من

دون سب: "كان يسافر مضطراً، فسمح الممر بذلك حرصاً كثيرةً تماماً مثلما منح أعداءه. لكن ثمة شائعة على مستوى عالٍ تصد أن أحد معاونه ترك جهازاً هاتف لاسلكي المتنقل على مصدة قبل وقت قصير من الرحلة الرسمية. ويقولون إن ابنه تيم استبداله بأخر يحتوي على متفجرات عندما ذهب معاونه لأخذه معه". وبصيف عارسي ماركيز قائلاً: "إذا لم تكن القصة حقيقية، فإنها جذابة من الناحية الأدبية" (32).

السنة هي سنة الانتخابات في كولومبيا، وكان لويس ميتشيليس المندوب من عارسي ماركيز هو المنافس البرازيلي للمرشح المحافظ بيساريو بيتانكور. وكان عارسي ماركيز قد حفر في الثاني عشر من آذار قائلاً إن لويس ميتشيليس هو أفضل أمل للديمقراطية في البلاد⁽³³⁾. وبعد يومين اثنين، كشف في عموده أنه هو نفسه على لائحة هرة موت يمينية (غير الحزب السياسي الذي ينزعه بيسكوف في مسرويل). وكان على لائحة الأسماء أيضاً ماريانا جيبا دوتان التي سبق ما أن سهرت لقائمة رجال حركة أم - 19 قبل أسبوعين. اتهم عارسي ماركيز الحكومة والجيش بالتواطؤ مع هذه الجماعة اليمينية، وقال إنه كان يأمل دوماً أن يبقى مصرعه "على يدي زوج غيور. وليس على يدي أكثر الحكومات خرقاً في تاريخ كولومبيا"⁽³⁴⁾.

بالرغم من دعم عارسي ماركيز للويس ميتشيليس، فإن أغلبية 55 بالمئة من الناخبين الذين أدلوا بأصواتهم لم يوافقوا، وفاز المرشح المحافظ بيساريو بيتانكور بمسبة 48 بالمئة. 8 بالمئة من الأصوات مقابل 41 بالمئة لصالح لويس، بعد أن أخذ البيروالي المشق لويس كارلوس عالان 10. 9 بالمئة من الأصوات، فعاد بذلك مرشح المحافظين. ورفع الرئيس المسهية ولايته طرئاً حالة الإحصار التي كذب مفروضة بين حين وآخر منذ أربعة وثلاثين عاماً في ماكوندو هذا وقد شن ديبغو ابن بيتانكور حملة ضد والده بالإبادة عن حرب العمال الثوري اماوي. وأعلن بيتانكور حال سلمه مقاليد السلطة عمراً عن حركات الثوار وبدأ أول مباحثات جادة في الأمره الجديدة مع الثوار لإحلال السلام.

لم يسر أول مدخل لعارسي ماركيز في السياسة الديمقراطية على ما يرام، لم حلب إلا مصيبة أخرى في أميركا اللاتينية، فحيت طه. ففي مطلع ذلك الشهر

احل الجيش الأرجنتيني حرر فوكلايد جوبسي المحيط الأطلسي، فأرسل البريطانيون موه عسكرية لاستعادتها. لقد كانت طاهرة طعمة عسكرية فاشية ولكنها تمثل، بالرغم من ذلك، نظاماً أميركياً لائيباً يقف في مواجهة دوبة أوروبية مثل اختبار لثلاثة عارسات ماركيز الديمقراطية الحديثة على مدى اثني عشر شهراً المقلد إذ وجد نفسه، مثله مثل فيدر كاسرو، يفصل الدكتاتوريين في أميركا اللاتينية على المستعمرين الأوروبيين. وجاء أول تعليق له في مقالة نشرت في الحادي عشر من نيسان بعنوان: مع أهالي مالوبس أو من دوحهم⁽³⁵⁾. وفي الأسابيع القليلة التالية وبعد أن بات واضحاً أن القوات الأرجنتينية تمضي نحو المهزلة، ازداد الشعور بالدعم في القارة.

في الواقع، إن كل الأخبار السياسية في قارة أميركا اللاتينية منذ نصار الثوار الستينيات عام 1979، بدت وهي تسير من سيئ إلى أسوأ، ثم كانت هناك مشكلات النظام الشيوعي في بولندا حيث كانت حركة نقابات العمال التي تقودها "تضامن" تشكل في شرعية الحكومة. وبدأ كل شيء وهو يسير في الاتجاه غير الصحيح برأي عارميا ماركيز الذي كان آنذاك يسافر جواً عبر المحيط الأطلسي ويحرق قراءه عن تلك الرحلات، ومن ضمنها رحلة بطائرة الكونكورد وسط "رحلات أعمال فاتي الشمور وعاهرات فانتات من نقطة العليا"⁽³⁶⁾. كما أنه سافر إلى "باكوك الرهبة" بعد أن استأجر سيارة رولز رويس في هونغ كونغ (لا أحد من أصدقائي يملك مثلها)، مقعاً نفسه مرة أخرى، وهو في عاصمة العالم من حيث السياحة الجنسية، أن الفسادق الأميركية هي أفضل الأماكن لممارسة الحب حيث الهواء النقي والملاعب النظيفة⁽³⁷⁾. لكن يبدو أن موضوعاته الأدبية قد نصبت. فقد أدت شمس الاشتراكية، وبعد أن بدا أن العزلة والسلطة السبر طالما كتب عنهما، قد قدّرهما الانتشار في جميع أنحاء الكرة الأرضية، شعر بالحاجة إلى العزور على موضوع آخر، موضوع يعدي به تعاؤله وبهم لأحرار في الحدو حدوه. ما الذي يمكن أن يكون عليه هذا الموضوع؟ الحب بلا جدال! سيصبح عالمي مشاري شامل عالم الأدب، وسيعمل العام يتسم ويحب.

كانت أول علامة عن هذا التحرك تتمثل بمقالة بعنوان مسخني قلة يا يعي تسد أساساً إلى رسالة كتبت على جدار في اشارع الذي يقطن فيه عارسات

مركيز في مدينة مكسيكو⁽³⁸⁾. وهل إنه تأثر لهذه الدعوة الساذجة في عالم تسوده أخسار مرعجة دالماً، وعاصمة تلك الآتية من كولومبيا لكنه ارتاب في أن الحب يعود عودة حميدة. (وكان قبل أربعة أشهر لا أكثر قد أسرّ لقرانه أنه لا يجوز أبداً على الكتابة ما لم تكن هناك وردة صفراء على مكتبه؛ وضعها بلا شك زوجته الحية)⁽³⁹⁾. المضيق هي أنه ليس معادياً للحس - فقد قال للعام أجمع أساك، ومن ذلك المكان، تبدل وهو في سن الثالثة عشرة - لكن الحس يكون أفضل مع البقية، إذ يكون حياً كاملاً. مرة أخرى اردادت مبيعات الروايات، بحسب رأيه، كما أن اغاي البولير الأمريكية اللاتينية انقذت عادت للظهور مرة أخرى.

لعل هذا كله لم يكن محض مصادفة، إذ وافق بعد أكثر من ربع عني إجراء مقابلة طال انظارها معه في مجلة بلادي بوي في باريس عاصمة الحب. وكانت المحبة قد أرسلت كلوديا ديفوس، التي أصبحت في ما بعد واحدة من أحج اللواتي يحرين مقابلات، كما أن المقابلة التي أجرتها مع عارسيا ماركير كانت من أنفصل المقابلات بحثاً وشمولاً في الحديث إلى المؤلف⁽⁴⁰⁾. وأوضح عارسيا مركيز آرائه السياسية لقرء المجلة الأمر كبير مؤكداً أن أكثر ما يجاد به أطراف الحديث مع بيدل هو موضوع الأدب وليس السياسة، وأوضح أن علاقتها علاقة صداقة! ثم اتسل إلى موضوعات الحب والحس. رقل إن ما من أحد عرف الآخر معرفة كاملة، وإنه لا يستتي نفسه مع مويثديس في هذا الشأن. ولا يزال لا يعرف عمرها بالضبط، مشيراً إلى أن معظم علاقته بساب الهوى أيام شبابه كانت لترجية الوقت، ورفقة الآخرين، والهروب من الوحدة:

لدي ذكريات رائعة مع الغانيات، وإنني لأكتب عنهن لأسباب عاطفية... لسواغير تكلف مالاً، كما أنما موئل الرجال الأكبر سناً. المبادرات الجنسية تبدأ عادة في البيت مع لحادمت ومع القربيات، لكن الغانيات كن صديقاتي عندما كنت شاباً يالها. وكنت لدي صداقات جيدة مع الغانيات دالماً؛ من صمهن غنابات لم أعاشهن كنت الحدا إلى النوم معهن لأنني أجد النوم عمودي أمراً فظيماً، أو لأنني لم استطع لنوم كنت دائماً ردد، على سبيل المزاح، إنني تزوجت كي لا أصطر إلى تناول الغداء بمفردي. وطبعي أن مويثديس تفعل عني إنني ابن زنى.

وقال غارسيا ماركيز إنه يحسد ولديه اللذين يعيشان في عصر تسوده المساواة بين الرجل والمرأة: "لقد أظهر كتاب قصة موت معلن لأمور كم كانت عبيه عندما كنت شاباً" ثم وصف نفسه أحياناً على أنه رجل كان بحاجة ماسة إلى حب: "إنني أكثر رجال العلم حملاً، وأنا أيضاً أكثرهم عصماً ورحمة. وفي هذا المجال لا أدخل في جدال ولا في مناقشة.. أمي تلك نقطة ضعفي الكبرى؟ لا أدري. إنه قلبي، بالمعنى العاطفي أو الجذلي. لو كنت امرأة لعلت فوراً نعم، إنني بحاجة إلى أن أكون محبوباً جداً. مشكيتي الكبرى هي أن أكون محبوباً أكثر، وهذا هو لسبب الذي يدعيني للتأليف". بلاي بوي: "إنك تدور وكأنك ذو علاقة بالشقيق السوي؟" غارسيا ماركيز: "حسباً، نعم. لكن هذا الشيق يتصل بالقلب... فلو لم أصبح كاتباً، لرغبت في أن أكون عازف بيانو يعزف في إحدى الحانات، وأكون بذلك قد أسهمت في جعل العشاق يشعرون بحب أكبر تجاه أحباهم. و أمكنني أن أحقق هذا الشيء على نحو أكبر وأنا أكتب - أي أن أجعل الآخرين يحب أحباهم الآخرين من خلال كتيبي - فإني أعتقد أن هذا هو المعنى الذي أردته حياتي" إنه يحاول الآن أن يحقق هذا الشيء للآخرين من خلال قصص الحب، ويحققه للأفطر من خلال تأملاته.

فبين هذه المقابلة، التي نُشرت بعد مرور عام تقريباً على إخراجها، صدر واحد من أفضل كتب غارسيا ماركيز حيث ظل يباع بأعداد كبيرة على مدى سنوات. إنه كتاب **رائحة الغواصة** الفصل لدى بلينيو ميلوثا الذي مرّ مجدداً بأوقات عصيبة. يبدو الكتاب حواراً صريحاً وهادئاً يقدم مسحةً لجمال حياة غارسيا ماركيز وأعماله، كما يعرض لأفكاره في مختلف الموضوعات، بدءاً بفلسفة وانتهاءً بالمرأة⁽⁴¹⁾. يصعب كثيراً ألا تصبور لتلميحات المدهلة عن المعارلات الجنسية والعلاقات العاطفية خارج نطاق الزوجية وهي، بقدر ما، فائقة لسوق جديدة لكاتب ارتبط أسلوبه الأدبي وتعبه عن اللاحب سائماً بالعنف والمأساة.

بدأ، أكد غارسيا ماركيز قراره بالعودة إلى الكتابة وعلم تحليله عنها مرة أخرى أبسلاً ما دام يستطيع ممارستها. لقد كانت الكتابة حتى وقت قصير شعوراً بطنياً، ودافعاً لا يقاوم، وطموحاً، وفي بعض الأحيان عبثاً. لقد بدأ الآن يستمتع بها حقاً.

وكان قد ذكر في مقابلة صحافية منذ سنوات بعيدة، في أثناء مرحلة "إضرابه" الأدبي وعلى نحو تشويه اللهجة والحرب إلى حد ما، أنه بدأ يدرك أن سعادته بالكتابة لا تواريه أي سعادة أخرى⁽⁴²⁾. وأخيراً راودته فكرة عن تأليف كتاب جديد: كتاب عن الحب والمصالحة. وبدأ بحلول الربيع في أوروبا بتدوين ملاحظاته. في صيف ذلك العام، سافر برفقة ميرثيديس إلى جميع أرجاء لقارة القديمة ورافقهما في سفرهما صديقاها الكولومبيان ألفارو كاستانو، الذي بات بملك أكبر محطة إذاعية في بوغوتا تدعى الموسيقى الكلاسيكية وهي محطة أجي جي كيه، وروحته غلوريا بلثيا" وهي أشهر مقدمة برامج تنموية في كولومبيا، وسافروا إلى بدرس وأمستردام واليونان وروما. ثم عاد غابو وميرثيديس إلى المكسيك، وكان في تلك المرحلة قد نبت النقاط الأساسية في الرواية الجديدة، التي ستدور حول قصة حب بين أبويه، وهي القصة التي ظل ينكرها منذ سنين.

في أواخر شهر آب، أمضى غارسيا ماركيز وميرثيديس إجازة أخرى مع هيدس كاسترو على الساحل الكوبي. كان روبرتو قد تخرج توأ من جامعة هارفرد، فرافقهما في تلك الزيارة، وهو يهكر في العمل في السيماء. وأمضى أصباء الأسره من ال فيودشني وكارمن بالسلس وقتاً معهم ومع القائد. وكرمهم فيدل بجولة بحرية على صهر بخته إكواراماس وأقام لهم مأدبة عشاء في شقته في الشارع الحادي عشر التي لم يتناول فيها الطعام إلا عدد قليل من الأحباب منذ وفاة سيليا سانتشيث. كان كاسترو طباحاً متحمساً للطبخ. وكان الطبخ واحداً من الموضوعات لفصلة التي يحب الحديث عنها، وبخاصة في الوقت الذي املكه فيه في حملة لإنتاج جبن الكمبر الكوبي وحين أروكفورب الكوبي حاد السكهة. وفي الليلة التالية تناول الجميع طعام العشاء في منزل أطوبيو بيويث خيمبيث وهاك تحول النقاش من موضوع الطبخ إلى موضوع المال⁽⁴³⁾. كان كاسترو يهكر في زيارة كولومبيا وقال إن على غابرييل، وهو لاسم الذي كان يصر على مخاطبته به، أن يرافقه في تلك الزيارة موضعاً "إلا إذ كنت تخشى أن يهموك بألك عمل كوبي".

مرّد غارسيا ماركيز:

- فات الألوان على مثل هذا الاتهام.

قالت مريديس

- عندما أسمع الناس يقولون إن كاسترو يدفع المال لغارسيا ماركيز، فإنني أقول: حان الوقت كي نرى قدرًا من ذلك المال.

فما كاسترو:

- إنه لأمر سيئ إذا ما أرسلت إليّ لائحة مبلغ لأدفع. لكنني لذي قول لا بمكس مافنته: أيها السادة، إننا لا نستطيع أن ندفع المال لغارسيا ماركيز لأنّ ثمة عالٌ جدًا. وقبل مدة ليست طويلة، ولكي لا نتفاخر بأننا صعب شرائنا، قلت لبعض اليانكيين: القضية ليست هي أنا لن نبيع أنفسنا، ولكن الولايات المتحدة الأميركية لا تملك ما يكفي من المال لشرائنا. هذا تواضع. صحيح؟ الأمر نفسه ينطبق على غارسيا ماركيز، فمن لا يستطيع أن يجعله عميلًا لنا. أتدرون السب؟

لأننا لا نملك ما يكفي من المال لشرائه. إنه أغلى بكثير مما نستطيع دفعه.

في هذه اللحظة قال رودريغو، وكان صامتًا طوال هذه المدة:

عندما وصلت إلى إحدى الجامعات في أميركا الشمالية سألتني كيف وفق والذي بين أفكاره السياسية ومانه وأسلوب حياته. فقلت وأنا لا أحد جواراً أفضل: ليس ثمة جواب سرّني عن هذا السؤال.

فما كاسترو:

- انظروا كل ما عليك قوله هو: المشكلة مشكلة والدني وليست مشكلة

أبي. إن أبي لا يملك فلساً واحداً. أما أبي فهي التي تتولى صرف النفود.

فما غارسيا ماركيز من دون أن يزوج عليه ظل اهتمامه:

- وهي لا تفق النفود إلا لشراء العارولين.

فردّ كاسترو:

- إنني أفكر الآن في سياسة تخص أسلهم عن حساباتك في مصرف. يعني

لك أن تخبرهم أن الصيغة الاشتراكية هي من كبر حسب قدرته لكل حسب حاجته،

وبما أن غارريل اشتراكي - ولم يصح شيوعياً بعد - فإنه ندفع حسب قدرته ويتلقى

حسب حاجته فضلاً عن ذلك، فإن الصيغة الشيوعية غير مطفة في أي مكان

نخمس رودريغو للموضوع فقال:

- في يوم ما، جاعني حتى فجأه وقال لي: والدك شيوعي. فسألت: ما معنى هذا؟ هل معناه أن لديه هوية حزبية؟ هل يعني أنه يعيش في بلد شيوعي؟
أجاب كاسترو:

- كان لا بد لك من أن تقول له: إن أبي شيوعي فقط عندما يذهب إلى كورباء، ولكنهم لا يدفعون له أي شيء. وهو يعطي عسب مدرته. لقد صنعوا له مليون نسخة من كتبه وهو يتلقى عسب حاجته.
قال عابو:

إنهم لا يدفعون لي أي شيء. إنهم لا يدفعون لي هنا مستأقر واحداً على شكل عوائد.

خلال الزيارة تحدث غارسيا ماركيز وكاسترو عن مضامين انتخاب بينانكور في كولومبيا الذي يمثل من الوجهة الأولى انتكاسة كبرى لعارسيا ماركيز ولسورة لكويبة. لقد تبوأ بينانكور منصبه في السابع من آب. وبالرغم من أنه محافظ وأنه كان رئيس تحرير سابقاً لصحيفة إيليسيفولو الرجعية، فإن سمعته تشير دائماً إلى أنه سياسي "متحضر" لا يتصف بصيغ الفكسر، وأنه شاعر هادٍ ذكر أسماء عدد كبير من الشعراء من بين أصدقائه الشخصيين. وكان عارسيا ماركيز قد بدأ بتدح النظام الجديد في مقالات صحافية بعد الانتخابات مباشرة، إذ صلافة إلى تكراره القول عن "الحزن" الذي يشعر به.

وبالرغم من أن عارسيا ماركيز رفض حضور مراسم تنصيب بينانكور، إلا أنه أثنى على الرئيس الجديد أمام كاسترو معلناً أنه "صديقي الفاضل". كان ابن سابق بعل، وكان أحدهما يعرف الآخر منذ عام 1942 عندما كان عابو يشتغل في صحيفة الاسيكادور، وكان بليسايريو في صحيفة الكولومبيانو، وكان علي صلة به منذ ذلك الحين. وأوضح عارسيا ماركيز لكاسترو: "في كولومبيا إما أن تكون محافظاً أو ليبرالياً مسد الولادة، ولا يهم ما تفكر فيه". وقال إن بينانكور لم يكن محافظاً إيديولوجياً حقيقياً وإن حكومته تمتشد بالمستقلين. وهو حطيم بلاغي مصقع، ويدخل أعماق الناس، حقاً يدخل أعماقهم". ثم تأتي القطة الحاسمة في الحديث فيقول: "كما يطلب مشورتي دائماً"⁽⁴⁴⁾.

اقرب موسم جائزة نوبل مرة أخرى، وكما حدث في السنوات السابقة، فقد ذكر اسم عارسيا ماركير من جديد، ولكن بإصرار هذه المرة. غير أن المفاجأة هي أنه احنار قبل منح الجائزة بشهر واحد شن حملة شعواء ضد مفاهيم ييغن، وهو محرم صمحي على مؤسسة نوبل التي منحتة جائزه نوبل للسلام لعام 1978. في مطلع شهر حزيران كان ييغن قد أصدر أمره بغزو الجارة لسان، ولم يعمل قائده العسكري ايمرال شارون على حماية اللاجئين الفلسطينيين من المحرم، فساعد بذلك على حدوث المحررة في معسكري صبرا وشاتيلا في بيروت في الثامن عشر من أيلول. واقترح عارسيا ماركير وقتئذ منح شارون وييغن جائزة نوبل للموت⁽⁴⁵⁾. لكن الدلائل كلها كانت تشير إلى أنه يسعى لترشيح نفسه. وعندما سأله صديقه ألفوسو هويساير في وقت لاحق من ذلك العام إن كان قد سافر من قبل إلى ستوكهولم، ردّ مكشراً: نعم، لقد جئت إلى هنا قبل ثلاث سنوات لأدري أموري مع جائزة نوبل⁽⁴⁶⁾.

لا بد من أن هذا الكلام لا يبدو أن يكون مكته من مكانه. إذ إن الحقيقة هي أنه قام بصنع زيارات إلى ستوكهولم في سبعينات القرن العشرين، بل اتصل بأرنور لاندكفيست، الأكاديمي السويدي اليساري والمؤلف المرموق الذي كان له أثر كبير في منح الجائزة للأميركيين اللاتبيين ميجيل أنغل إستورياس وبابلو بيرودا. كما أن عارسيا ماركير أمضى إجازة في كوبا برفقة السفير السويدي في صيف العام 1981. إذا كان عارسيا ماركير يبحث عن فال حسن، فإن أفضل فال تمثل بعودة الديمقراطي الاجتماعيين بزعامة أولف باله إلى السلطة في الانتخابات السويدية في التاسع عشر من أيلول سنة 1982. كان باله صديق عارسيا ماركير منذ سنوات، وكان يؤكد دوماً ذنبه اشخصي لأعمال لاندكفيست الأدبية التي فتحت عينيه على عالم أرحب. في غضون ذلك، كان شقيقه إليخيو، حبيب الأسرة في مجال الأدب، موقفاً اليمين كنه أن عابريل سيمور بالجائزة عام 1982، وكان متأكداً أيضاً أن عابريل نفسه كان متأكداً من ذلك. وكان أليارو موتيس قد قال إن سلوك صديقه كان "مشكوكاً فيه" في ذلك الوقت. وفي يوم السبت المصادف السادس عشر من شهر تشرين الأول انفجر عاستو ضاحكاً خلال حديثه الهاتفني مع أخيه إلخيو الذي

ذكر له موضوع الجائزة، وقال إنه واثق أنه إذا ما ربحها شخص ما، فإن السوبر السويدي سيتحدث إلى ذلك الشخص قبل الإعلان عن الجائزة شهر⁽⁴⁷⁾.

وفي يوم الأربعاء المصادف العشرين من شهر تشرين الأول، كانت الصحف المكسيكية تعلن أن رواية عارسا ماركيز الجديدة ستكون عن الحب. ومما كان غارسيا ماركيز وميرنيديس جالسي إلى مائدة العشاء من بعد الظهر اتصلا بهما أحد الأصدقاء من ستوكهولم ليقول لهما إن كل الدلائل تشير إلى أن الجائزة في حكم المنتهية، ولكن عليه أن يحتفظ بهذا الخبر لنفسه إذ قد يغير الأكاديميون رأيهم. وبعد أن أنهى عابو المكالمات الهاتفية، تبادل وميرنيديس النظرات وهما في حالة ذهول عبر قادري على أن ينبسا بكلمة. وأخيراً قال: "يا الله! ما الذي سيحدث لنا الآن؟"، ثم غصا مباشرة من وراء المائدة وهربا إلى بيت ألمانو موتيس طلباً للراحة، ولم يعودا إلى مسرحهما إلا في ساعة مبكرة في انتظار تأكيد الجائزة التي كان يرغب هو نفسه فيها على الأقل، ولكنها تعي حكماً مسي الحياة على كليهما.

لم يستطع أي منهما النوم. وبعد الساعة الخامسة والدقيقة التاسعة والخمسين من صباح اليوم التالي توقفت مدينة مكسيكو، اتصل نائب وزير خارجية السويد بير شوري بمنزل غارسيا ماركيز في مدينة مكسيكو وأكد الخبر. وعندما وضع غارسيا ماركيز سماعة الهاتف في مكانها، التفت إلى ميرنيديس وقال "أصبحت في ورطة"⁽⁴⁸⁾. لم يضيعا الوقت في مناقشة الموضوع أو في إعداد نصيهما للهجوم الختامي، وبكر الهاتف بدأ برن. كان أول المتحدثين هو رئيس الجمهورية بيتانكور من بوغوتا الذي اتصل بعد مرور دقيقتين على اتصال بير شوري فقط، وقال له إنه سمع توأ التبا من هراسوا ميران الذي سمعه بدوره مباشرة عن أولف باله. غير أن التفسير الرسمي أفاد أن بيتانكور علم بالسأ من صحفي يعمل في أرسى أن عند الساعة والنصف صباحاً بوقيت بوغوتا⁽⁴⁹⁾. ارتدى عارسا ماركيز وميرنيديس ملابسهما حال الانتهاء من الرد على المكالمات الهاتفية الأولى واتفعا طعام الإفطار اللاتس الذي أتت به إليهما خادمتهما ناني عندما سمعتهما تبحر كان في الطابق العلوي.

باستثناء كتابة رواية مئة عام من العزلة، لم يُناقش أي شيء آخر من ميثلوجيا عارسيا ماركيز الكبرى قدر ما نُوقش الإعلان عن جائزة نوبل وما ينشع

ذلك من صخب وحلبة ورحلة عارسيا ماركيز إلى ستوكهولم لتسلم الجائزة. لو أن أمير كنيا أو إنكليزياً، ذكراً كان أم أنثى، يعوز بالجائزة، فقلما يكون ذلك الحدث حيراً (ما أهمية الكتاب، ومن يطل السويديون أنفسهم على كر حال...) لكن هذه الجائزة ليست مجرد تكريم الإنسان من كولومبيا، ذلك البلد الذي لم يألّف ممماً تلقى التهدي العالمية وحسب، بل تبين أنه تكريم الإنسان هو موضع إعجاب وعجة على امتداد القارة واسعة الأرجاء والمتحولة، إنسان نظر إليه الملايين من أبناء تلك القارة على أنه يمثلهم، بل بظلمهم حقاً. انقلب النهائي على المسرل في مدينة مكسيكو من جمع أنحاء العالم عبر هاتفات وديرمات. فانتصب أولاً يتانكور ثم ميتران مكوشانار وبورخس وعريموري راباسا وخوان كارلوس أوبيتي عضو مجلس الشيوخ الكولومبي. وم بتمكن كاسترو من الاتصال هاتفياً في ذلك اليوم فأرسل برقية في اليوم التالي قال فيها: "أحيراً تحقق العدل، إن الاحتمالات ماضية من يوم أمس. مستحيل الاتصال هاتفياً، أهنيك أنت وميرنيديس من أعماق فؤادي. كما أرس عرهام عري بدوره بريقة: "أحرّ النهائي، يؤسفني أساً لا نستطيع الاحتمال بما برفقة عمر". ونورمان ميلر أيضاً: "ما كان يمكن لما أن تعصى لمن هو أفضل. لكن الأهم من هذا كله هو أن تلك كانت فرصة لأمر ك اللابيه كي نقول أخيراً ما كنت تشعر به نحو غارسيا ماركيز فقد دعت كولومبيا وكوبا والمكسيك أنه أديها - وبشرت صحفها وصحف العالم أجمع عدداً هائلاً من مقالات المديح واشاء. لذا الأمر وكأن رواية مئة عام من العزلة صدرت الآن، وأن ميار إنسان قرأها في آن واحد بعد خمس ثوان من صدورها في وقت غريب وساحر، وأرادوا الاحتمال معاً. في عصون دقائق قليلة، بات المسرل في مدينة مكسيكو تحت حصار فرصته وسائل الإعلام، وأقامت الشرطة الحواجر في كلا هاتين شارع فيغو. ودعا أول الصحافيين عارسيا ماركيز للخروج إلى الشارع وتناول كأس من الشراب - والتقاط الصور أبصاً وحصر الجيران لتصير عن انتهاجهم. وعندما حصر أليخاندرو أبريقون في صباح ذلك اليوم لبقى مع صليقه القدم وشاهد العرضي قال في نفسه: "تأ! لقد مات عابو!" (كان أبريقون في المكسيك لاستعادة لوحة مسبو له أن أعطاها لعارسيا ماركيز، ثمثله وقد حفظت عياه في بوبة مسكر)⁽⁵⁰⁾.

وسواء عشرات الصحفيين داخل منزل غارسيا ماركيز يصفون كل التفاصيل الخارجية والداخلية؛ وتنبهوا على وجه الخصوص إلى الورد الصفراء والعرافة فوق كل منصة، وكان كل واحد منهم يريد مقابلة حصراً عليه مع رجل اللحظة

لم يكن غارسيا ماركيز قد تكلم إلى أمه منذ ثلاثة أسابيع بسبب عطل جهاز هاتفها، فما كان من أحد الصحفيين إلا اللجوء إلى أعاجيب التكنولوجيا كي يوصل الاثنين معاً ليتكلموا أمام الملأ. وهكذا أنجرت لويسا سانتياغا كولومبيا أجمع أنها تعتقد أن أفضل ما في البأ ربما سيكون "إصلاح جهاز هاتفها"، وهو ما تحقق على وجه السرعة. وقالت أيضاً إنما طلت تمنى ألا يحصل غابيتو على الجائزة أبداً لأنها متأكدة أنه سيفضي عنه بعدها حالاً. أما ابها الذي اعتاد على مثل هذا الكلام الغريب، فقال إنه سيأخذ الورد الصفراء معه إلى ستوكهولم لتحميه.

اتخذ غارسيا ماركيز في نهاية الأمر الترتيبات اللازمة لمؤتمر صحافي مرتحل حصره أكثر من مئة صحافي احتشدوا حول منزله. وقال إنه لن يرتدي ملابس سهرة في الاحتمال في ستوكهولم، بل سيرتدي قميصاً من الكتان الأبيض وبطالاً كالدني يرتديه فلاحو أميركا اللاتينية في أشربة هوليوود السينمائية اعتراضاً وتقديراً جده. لقد أسمى هذا الموضوع هاجساً في كولومبيا التي يسكنها الكاشاكو، حتى لحظة الاحتفال، ورمراً خشية أن يتسبب غارسيا ماركيز بفصحة دولية أو أن يتصرف تصرفاً مشيناً يصعب قبوله فليحق الإهانة بالبلاد. كما أعس أيضاً أنه سيستخدم قيمة الجائزة لتأسيس صحيفة يدعوها صحيفة إل أوترو (الأخر) في بوغوتا. وقال إنه يعتقد أن نصف الجائزة كان اعترافاً بعمه في الصحافة، وإنه سيبني بيت الأحلام في كارناخينا.

عند الساعة الواحدة من بعد الظهر، ترك غارسيا ماركيز ومورثيديس الصحفيين عند ذلك الحدّ وهربا من شارع فيغو وسزلا في غرفة في فندق تشابولتيك في ريسيدانته وبدأ الاتصال بأقرب أصدقائهما، وأمضيا فترة ما بعد الظهرية في حلوة مع ثمانية أشخاص، في حين ظل بيتهما في حالة صعب. ونقرر أن يغدو ألفارو موتيس سائق أسرة غارسيا يارنشا طوال مدة الشاط الإعلامي.

في غضون ذلك، أكدت واشنطن في اليوم نفسه أنها لن تمنح غارسيا ماركيز بالسرعة من مكاتته الجديدة تأشيرة دخول لزيارة الولايات المتحدة التي منح من

دحوها مد أن عمل لمصلحة كوبا عام 1961 (وفي السابع من تشرين الثاني كتب في عموده في صحيفة الاسبكتادور أنه يفصل أن يكون الباب موصداً على أن يكون موارباً - لكن هذا غير دقيق تماماً لأنه كان لا يزال مزرعاً بقرار الحظر - ولهذا هدد تهديداً متسرعاً ممسماً على أن يحظر طبع كتبه في الولايات المتحدة، إذ ما سبب السماح بدخول كتبه إليها في حين لا يرالون يرفضون معه النشر؟⁽⁵¹⁾.

صادف ذلك اليوم أيضاً يوم إطلاق سراح الشاعر المشق أرماندو باينديريس من سجنه في كوبا بفضل وساطة عارسيا ماركيير بين كاسترو وميتران. كان الاعتقاد سائداً بين أنصار الشاعر على أنه مصاب بشلل، ورافقه ريجيس دويريه مستشار ميتران، وهناك أدهش الجميع عندما نفض عن كرسيه المتحرك وبدأ يسير على قدميه لدى وصوله مطار باريس.

احتفل أصدقاء عارسيا مركيز في جميع أنحاء العالم. وبكى بليو ميندونثا في باريس، لكنه لم يكن الوحيد في ذلك. أما لناشر حوسيه بيشتي كاتاراي، الذي كان في طريقه إلى المكسيك، علم بالخبر لدى وصوله إل المطار فأسرع يرقص. وعندما سأله الفتاة التي تباع الصحف إن كان قد ربح جائزة البانصيب قال إنه ربحها حقاً. وفي كارتاجينا قال غابرييل إيجيو في غمرة احتفال الأسرة لكل من يريد أن يصفي إليه: "كنت أعرف ذلك دائماً". لكن ما من أحد ذكره بأن عاييتو "سيأكل الورق". وقالت لويسا سانتيغا إن أباهما العقيد لا بد من أنه تحتفل في مكان ما، إذ لطالما توقع حدوث أشياء عظيمة لغاييتو ووصفت معظم التقارير الصحافية الأسرة عى أنها من أهالي ماكوندو الصغيرة غرباء الأصوار: فلويسا سانتيغا هي أورشولا، وعاريل إيجيو هو حوسيه آركدو بال رغم من أنه تساعل كمهده إن لم يكن هو ميلكياديس نفسه. لكن عاريل إيجيو بدأ رويداً رويداً يسيء التصرف بالرغم من رهرة وحماسه اللذين لا يرقى إليهما شك: لقد حصل عاييتو على الحائزة من خلال تأثير ميتران، على حد قوله (هذه الأنساء أهمتها كما تعلمون). كان غاستو مجرد كاتب من الكتاب الكثر في أسرته، ولكنه لم يستطع أن يفهم السبب الذي يجعل هذا الكاتب موضع هذا الاهتمام الشديد.

قرر حاكم مديرية مجديا أن يعلى اليوم الثاني والعشرين من تشرين الأول يوم عطلة في الإقليم، واقترح أن ينحول منزل العقيد ماركيز القديم في بلدة أراكاتاكا إلى نصب تذكاري وطني وفي بوغوتا نظم الحزب الشيوعي مظاهرات ساند عارسيا ماركيز العودة إلى اللاد ليكون ناطقاً باسم المهوورين ولتقد كولوم. ما. وسأل صحافي عامرة في الشارع إن كانت سمعت البأ، فقالت إنها سمعته من أحد زبائنها في العراش. لقد ساعد الاعتقاد أن هذا هو أفضل وفاء يمكن لغارسيا ماركيز أن يحظى به. وفي بارانكيا سمع سائقو سيارات الأجرة في شارع بوليغار بالبأ عبر أجهزة المدياع، فما كان منهم إلا أن أطلقوا أبواق سياراتهم دفعة واحدة: عني كن حال، كان غايبو واحداً منهم.

بدأت الصحف تصف غارسيا ماركيز بأنه "تير باتس اجديد"، مرددة بذلك صدى فكرة كان يابلو برودا هو من أوائل الذين اقترحوها عندما قرأ متة عام من **العزلة** سنة 1967⁽⁵²⁾ وصلت هذه المقاربة تتكرر من نك اللحظة وعلى مدى سنوات. ووصفته مجلة نيوروك التي نشرت صورته على علاف لعدد بأنه 'رؤي الفصة الساحر'⁽⁵³⁾. لعل سلمان رشدي الذي يواصل الكتابة من لندن هو أفضل من لخص الفكرة التي عادت يومئذ، وبعد ذلك نشر مقالة بعنوان "مركز ساحر" قال فيها. إنه واحد من أكثر حيارات حكّام نوبل شعبية على مدى سير، واحد من السحرة الحقيقيين القلائل في الأدب المعاصر، وفاد دو حاصية نادرة في إتاح عمل من الطراز الأول الذي يصير إلى أوسع الجماهير ويسحرها. أعتقد أن رائعة متة عام من العزلة هي أحد أهم عملي أو ثلاثة أعمال روائية وأعظمها إبحاراً نشرت منذ الحرب⁽⁵⁴⁾.

في غضون ذلك، وبعد أسبوع واحد من الإعلان عن الجائزة، انتخب واحد من أحسن أصدقائه وهو فيليب عونثاليت رعيم الحرب الاشراكي الإسامي رئيساً للوزراء في بلاده، هكذا بذلك سبباً آخر للاحتفال والنشاط السياسي. في العام السابق انتخب متران والآن عونثاليت. أكانت الجائزة ما ترى علامة على أن كل شيء بدأ يتغير؟ لقد قال عارسيا ماركيز لمجلة حينت الصادرة في بويس آيرس: "يمكن أن أموت سعيداً لأنني أصبحت الآن خالداً". لعله كان يرمح.

في الأول من كانون الأول نُصب مبعوث دي لا مدريد رئيساً لجمهورية المكسيك لست سنوات. لم يكن الاثنان فريين، لكن عارسيا ماركيز حضر مراسم التصيب. وفي ذلك اليوم تقلد فيليب غوثاليت منصبه رئيساً للوزراء في الحكومة الإسبانية الجديدة في مدريد. وفي الأيام الأولى من شهر كانون الأول حضر عارسيا ماركيز حوّاً إلى مدريد، بعد زيارته لكوبا، للترحيب بغوثاليت؛ ولحيّيه غوثاليت بدوره. وأُصبح عن أنه تباحث مع كاسترو على مدى إحدى عشرة ساعة في هافانا. وأن حكومة ريفان رفضت محبة ناشرة دخول غير مشروطة للهبوط في نيويورك. في غضون ذلك، انتقت ميرتيديس غوثالو في باريس ولكنها لم تلتق رودريغو وكانت خيبة أمل عارسيا ماركيز هي أن ابنه الأكبر الذي كان مبعوثاً في التصوير شمالي المكسيك انهماكاً كبيراً، لم يستطع السفر معه إلى ستوكهولم التي تمثل بلا شك مرحلة عالية من حياة والده المميرة. وكان الاثنان قد التقيا قبل شهر في تاكاتيكاكس، ولكن ما من أحد يعرف نتيجة ذلك اللقاء. ولم يذُ على أيٍّ من الرجلين الاستعداد للحديث أكثر في ذلك الموضوع.

بعد الساعة السابعة من مساء الاثنين السادس من كانون الأول أُلغيت طائرة جامبو تابعة لخطوط أفيانكا مستأجرة من الحكومة من بوغوتا إلى ستوكهولم في رحلة مدتها اثنتان وعشرون ساعة، تحمل على متنها وهذا رسمياً برئاسة وزير التربية حائمي إرياس راميريت مع اثني عشر صديقاً من أصدقاء عارسيا ماركيز اختارهم غيرمو أنحولو - وكان عارسيا ماركيز قد توسل إلى صديقه القديم أنحولو إعفاءه من هذه المهمة المثيرة للصعائ وأحصاء ورواجهم وعدد كبير من الناس دعهم دار نشر أويها سيفرا، وسبعين عارف موسيقى يمثلون مختلف الجماعات العرقية، اتحد التدابير اللازمة تتألمهم وزير الثقافة بمساعدته ومشورة علوريا تريانا المتخصصة في الأنتروبولوجيا.

عندما وصل أخيراً ضيوف عارسيا ماركيز إلى مدينة ستوكهولم، كانت الحرارة قد انخفضت منذ قليل إلى ما دون الصفر. وكان المئات من الكولومبيين وغيرهم من الأميركيين اللاتينيين المقيمين في أوروبا ينتظرون في المطار. ومرار الليل ازداد انخفاض درجة الحرارة إلى ما دون عشر درجات تحت الصفر، لكن السويديين

أحبروهم أنهم محطوطون لأن الجو لم يكن أكثر برودة مما كان عليه سابقاً، كما أن الثلوج لم تسقط بعد⁽⁵⁵⁾، وكانت مجاميع من أصدقاء الأسرة من إسبانيا وباريس قد حصرت مكررة منذ العصر كرامن بالسيلس ومجديليا أوليفر من برشلونة، وأسرة هيودنستي والصباحي رامون تشاو، ميرثيس وعونالو، تاتشا وتشارلر ويسو ميلوتا من باريس مع ريجيس دوبريه ودانييل روجة ميتران، ولكن الصديق وريز السقافة جاك لانغ لم يحضر إذ اضطر إلى إلغاء سفره في آخر لحظة، وكان السمر الكولومبي حاضراً أيضاً فضلاً عن السمر الكوبي والقائم بالأعمال المكسيكي. كانوا كلهم ينتظرون تحت برد القطب الشمالي⁽⁵⁶⁾

عبث تاتشا نفسها المصور الرسمي لعارسيا ماركيز وعكس هي وأصدقائها من أن يحصلوا لها على هوية صحافية، وهي كد محورها الملتزم يتقدم من الطائرة بانعاش صالة الانتظار، اندفعت إلى الأمام والتقطت أول الصور ليلطل عانج، ثم التقطت بعد ذلك صوراً للكولومبيين الذين اشتعلوا حماسة وهم يريسون أن يلسوا عارسيا ماركيز من خلال حواجز المطار الولادية وسط ظلمة الشمال.

اتجه عابو وميرثيس إلى فندق غراند حيث كان في انتظارهما جناح مؤلف من ثلاث غرف ليمضيا فيه الليالي القليلة المقلية⁽⁵⁷⁾. استسجم عارسيا ماركيز لليوم مجهداً، واهناً من السمر بالظاهرة الفاتنة، مععلاً انفعلاً شديداً ومبركاً ثم "هضت" فجأة من اليوم وتذكرت أنهم يعصون المائر محائزة بوبل العرفة نفسها وفي العند نفسه. وفكرت: لقد نام روديارد كيلغ على هذا الفراش، وتوماس مان وبيرودا وإستورياس وهوكر". أرعتي لمكررة، فخرجت أخيراً من العرفة وواصلت يومي عني الأمريكية⁽⁵⁸⁾.

تاوون عارسيا ماركيز طعام الإفطار في صباح اليوم التالي مع مجموعة كبيرة من الأصدقاء الذين يمنون ماضيه كنه من صمهم كرامن بالسيلس وكاتاريس. لم يستق أن اجتمع من قبل مثل هذا الحشد من الناس، بل كد بعضهم لا يعرفون السمر الآخر، وربما لم يرق بعضهم بعضاً. وقال بلسو مسدو إن عارسيا ماركيز نصرف في المطار وكأنه مصارع ثيران رائر يحيي محبيه، وبه كان يرتدي ملابس كل يوم في جناحه في المسدق، كأنه مصارع ثيران أيضاً، محاطاً بأصدقائه من كل

حانف. وفي إحدى المرات اصططحب ألفوسو فوينمايور من "حاح القلعة السعيدة" إلى الحجرة المتفردة وناولته حصابه قائلاً: "أتق نظرة إلى هذا أيها الأستاذ، وقل لي ما رأيك". قرأ فوينمايور الخطاب بإعجاب وقل إنه فهم أحراً موقف غارسيا ماركيز السياسي. مرةً صديقه: 'إن ما رأيته ليس سوى مئة عام من العزلة لا أكثر ولا أقل' (59).

يتذكر ميبدو ثا عدد اقتراب الساعة قائلاً: "شاهدت عايو وميرثيديس هادئين مطمئنين، يتحدثان عبر عابئين تماماً باحتماا التتويج الذي يقرب منهما، كأنهما لا يزالان في بلدة سوكري أو ماغانغي قبل ثلاثين سنة، وفي بيت العمة ييترا أو العمة خوانا في مساء يوم سبت ما" (60). كان من المقرر إلقاء كلمة جائرة نوبل للأدب عند الساعة الخامسة مساءً في مسرح الأكاديمية السويدية للأدب ابتكاش في سوق سبادل الأوراق المالية بحضور مني صيف وُجِّهت إليهم الدعوات حصيصاً حضور المأمة ليلغ إجمالي الحضور أربعئة شخص، تلي ذلك مأدية طعام عند لساعة السادسة والنصف تكريماً لكل الفائزين بالجائزة في منزل سكرتير الأكاديمية.

عند الساعة الخامسة مساءً ظهر غارسيا ماركيز مردياً ستره، وبطالته داكن اللون وقميصه الأبيض واصعاً ربطة عنق حمراء، وقدمه سكرتير الأكاديمية الدائم لارس غيلبيستين المفرط في الطول والحافة، وهو أيضاً روائي مشهور كتب البيان الذي أعس فيه عن منح الجائزة. ولم تكن صوت غيلبيستين مسموعاً إلا نادراً وهو يتكلم بالسويدية لأن معلفي الإداعة الكوبومية الحاصرين في الاحتمال بدوا وكأنهم ينقلون مسارة كرة قدم، واصصر غارسيا ماركيز إلى أن يشير بأصابعه إشارة إلى تخصيص الصوت، قبل أن يبدأ إلقاء كلمه بعوان عزلة أميركا اللاتينية. وقد ألقى الكلمة المؤلف نفسه بأسلوبه العنواي التحدوي المتوهج المتناويد، مارحاً بذلك واقعية سحرية مفككة بالسياسة، فبدأ الخطاب هجوماً واصحاً على عجز الأوروبيين أو عزم رغبتهم في فهم مشكلات أميركا اللاتينية التاريخية وترددهم في منح العزة وقتاً لمضوح والتطور بمائل الوقت الذي احتاج إليه أوروبا من قبل. كما أوضح في حصابه اعتراضه الدائم على الأوروبيين، (س صسهم الأميركيون في أميركا الشمالية)، رأسمالين كانوا أم شيوعيين، في فرص "مخططهم" على حقائق الحياة في

أميركا اللاتينية وادّعى عارسيا ماركيز أن الجائزة محت له جرتاً بسبب نشاطه السياسي وليس لأدبه وحده، وخرج من القاء كلمته عند الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والثلاثين، فوقف له المحاصرون عدة دقائق⁽⁶¹⁾

في مساء يوم الخميس المصادف التاسع من الشهر، ذهب عارسيا ماركيز وميرثيديس إلى مقر إقامة رئيس الوزراء في هاربسوند لتناول عشاء خاص مع أولف باله وأحد عشر ضيفاً آخرين من ضمنهم دانييل مينران وريغيس دوبريه وبير شوري وعتر غراس والشاعر والسياسي انركي بولد أحافيد وأرتور لوند كهيست. وقالت وزارة الخارجية السويدية إن الدعوة كانت امتياريّاً خاصاً م توجه من فل إلا في ما ندر. وكان عارسيا ماركيز قد تعرف إلى أولف باله عن طريق مراسلوا ميهران في منمرله الكائن في شارع بيغر قل سوات. ومارعهم من الإجهاد التام إلا أنه وجد نفسه قادراً على المضي في الكلام لساعتين آخرين عن الوضع في أميركا الوسطى وذلك في حديث سيكون له أبلغ الأثر في الاقتراح بالتوصل إلى عقد اتفاق سلام بين الرؤساء الستة للبرازيل، وهو ما سيعرف في ما بعد بعملية كوتادورا⁽⁶²⁾

لم يكن هذا كله سوى مقدمات للوحة الرئيسة في العاشر من كانون لأوّل، وهو يوم "أحفاف نوبل": عند الصباح، التمرينات في الكوسيرتوس، وعند العصر، الحدث الكبير المتمثل بتسليم ملك السويد جوائز نوبل عند الساعة الرابعة أمام جمهور يتألف من ألف وسعمئة شخصية. في ذلك اليوم ظهرت صورة ميرثيديس "روحة نوبل" على غلاف مجلة كاروس وهي مسح بصحيفة التيمو. وكنت فريتها بياتريس لوبيث دي بارتسا مغلة على الصفحات الداخلية من المجلة بعنوان: "انتظري عانيتو حتى أكبر"⁽⁶³⁾. يمكن للمرء أن يتخيل أن القرية قالت لها: حساً، أتريدين محو تلك المغالة التي كتبها كوسيلو ميدوثا في العام الماضي؟ لم لا تسمحين لي بإجراء مقابلة عمارة معك مرفقة بالصورة؟ فقالت ميرثيديس: 'لا بأس... لكن هذه المقابلة لا أكثر'.

وبعد طعام العشاء ارتدى رجل الساعة ملاسه، وكان يتحدث عن ندلة تقبديّة خاصة بأهل هسزويلا منذ اليوم الذي سمع فيه النأ. وقال أحياناً إنه يريد بذلك أن يكرم جده العقيد، وفي أحيان أخرى، بتواضع أقل يريد أن يكرم أشهر

الشخصيات التي ابتكرها وهي شخصية العقيد أوريليانو بويديا. ونشرت صحيفة الاسيكنادور رسالة في اليوم الذي أعقب الاحتفال كتبها دون أريستيديس غوميث أيليس من مدينة مونترال في كولومبيا، وكان يتذكر جيداً العقيد ماركيز، وقال إنه ما كان ليُشاهد ميتاً وهو يمس البدلة التقليدية: فهو أرفع من أن يرتدي ذلك، كما أنه ما كان ليُشاهد في الشارع بلا سترة، وبدرجة أقل في احتمال جائرة نوبس⁽⁶⁴⁾ في عصم هذه المفاشات لم يأت أحد على ذكر الإنسان الذي ليس بدلة تقليدية في شبابه وهو غابريل إينخيو غارسيا.

الجناح 208، فندق عراند في ستركهولم، العاشر من كانون الأول سنة 1982، الساعة الثالثة عصراً. كانت تانشيا قد اشترت قبل سفرها من باريس ثياباً داخلية لعارسيا ماركيز من النوع الذي يعث الحرارة في الجسم. وقد طهر بماء الشب في صورة مشهورة له محاطاً بأصدقائه من الذكور الذين ارتدوا ثياب سهرة لقاء استبحارها بمحتي كورونو لكل قطعة. ماولتهم ميرثيديس رهوراً صمراء، واحداً نلو الآخر، لطرد الحظ السيئ أو ما يعرف باسم "لا بافا" في منطقة الكاريبي التي متكلم الإسبانية، وساعدتهم في تثبيتها في ثنية صدر ستراتهم: "والآن دعوني أنظر إليكم أيها الرفاق..."، ثم اتخذت التدابير اللازمة لالتقاط الصور⁽⁶⁵⁾. وأخيراً ظهرت البدلة التقليدية، مما يعني، كما أشارت آنا ماريا كانو في صحيفة الاسيكنادور بعد ثلاثة أيام، إن غارسيا ماركيز وصل الاحتفال وقد بدا "متجعد" مثل الأوردون⁽⁶⁶⁾.

حدث هذا في ما بعد. أما الآن، فقد أعد غارسيا ماركيز نفسه للحظة الحقيقة بعد أن ليس متحدثاً البدلة التقليدية وهو الشيء الأقرب، بعد أن قبل كل شيء ونقد، لما يعرف بزي الطبقة الأمريكية اللاتينية الدنيا، وانتعل حذاء أسود طويص الصاق، وبألهول. إذا كانت البدلة التقليدية معقدة، فمما لا شك فيه أن ما يرتديه أوعسو ساديو في بيكاراغوا وحوسيه مارتي في كوبا وغيرهما من أبعال المعلومة الأمريكية اللاتينية كان مجمداً أيضاً ناهيك عن ثوب أوريليانو بويديا. ثم ارتدى معطفاً بقيه غائلة برد اسكندنافيا. ويتذكر بلينيو ميلوثا تلك اللحظة: "احتشلمنا كلباً وهبطنا السلام لمراقبة عانو نحو اللحظة الخالدة في حياته"⁽⁶⁷⁾. ثم ينحون

ميندوثا إلى لزمّن الراهن: "التوارع مكسوة بالثلج، لمصورون في كل مكان. أرى وأنا، إلى جانب عامسو اشداد وجهه للحظة. أستطيع أن أشعر بالتوتر المفاجئ المصاحب لصديقي الصاعد من برج الخوت بوساطة جهاز الإرسال الهوائي المثبت عنده. الزهور والبريق والشخصيات بثياب سوداء والبساط الأحمر. ردى يكلمه أسلافه في عواجيز من الصحاري البعيدة التي دفنوا فيها، ربما يقولون له إن أمة الاحتمار بالهخذ تشبه أمة الاحتفال بالموت. شيء ما من هذا القس مستمر في حدوث لأنني أسمعهم وهو يشق طريقه إلى الأمام وسط الألقى الخذاب والشخصيات شباها الرسمية، وهو ينتم بصوت خفيض تشوبه دهشة مفاجئة، مدعورة ومؤنة: "تياً! كأن الناس يحضرون جنازتي!"⁽⁶⁸⁾.

دلفوا إلى قاعة الرقص الكبرى للكوسيرتوس المصممة على نحو يوحي بمبدأ من معابد الإغريق: ألف وسبعة شحص من صميمهم ثلاثئة كولومبي. ونهات إلى الأسماع شهقة لمأى عارسيا ماركيز مرتدياً ملابس بضاء اللون: يبدو كأنه لا يزال بنيه الداحية التي تشيع الحرارة في جسمه! جلست الأسرة المالكة في الجهة اليمى من حشبة المسرح التي تعصها زهور صفراء فوق كراس ورقاء ودهبية: الملك كارل عوساف السادس عشر والملكة سلفيا الحساء المسحدره حراً من أض برابليسي، (التي أمصت طمونتها في ساوناولو، والأميرة ليليان والأمير بيرتيل الذين وصلوا كلهم عند عرف السلام الوطني. وكان إلى جانبهم مصة يتحدث منها السكرتير الدائم عيلستين. أما الفائزون فكلهم جالسون إلى جهة اليسار على كراسي حمراء اللون: السويديان سوي بيرعسروم وبعيت صامويلسون والبريطاني جون فاني في الطب، والأميركي كيبث ويسون في الفرياء، والجنوب أفريقي آرو-كلوع في الكيمياء، والأميركي جورج ستيلغر في الاقتصاد. وإلى الراء يمتد صفار من الكراسي جلس عليها أعضاء الأكاديمية ومجلس الوزراء السويدي وغيرهم من الشخصيات المهمة. أما عارسيا ماركيز فكان يجلس وحداً باندلة التقليدية تحطه بدلات سوداء وكراسي وفرو وقلادات لؤلؤية وبه وبين الملك الحرف (ن) نخط كثير دلالة على الاسم "نوس" وقد كتب بشكل دائري: بالطلاء أم بالعيشور؟ وهو في انتظاره.

لواضح أنه كان متوتراً عندما بدأ سكرير الأكاديمية السويدية البروفسور غيلستين الكلام. وعندما وصل إلى لحظة عارسيا ماركيز، وهي اللحظة ما قبل الأخيرة، نكم غيلستين باللغة السويدية ثم التفت إلى الساحلي الكولومبي الذي هض واقفاً، ينظر بعينين متألفتين إلى العالم كله وكأنه ذلك العشي لصغير الماكند من مدرسة سان حوسيه دي بارانكيا، ثم تحوّل إلى اللغة الفرنسية ليوجر ما قاله، ثم دعا الكولومبي ليتقدم من الملك لتسلم الحائزة. ترك عارسيا ماركيز الذي حذر مقطوعة مارتوك الموسيقية أنترفيرو لمصاحبتة، انوردة الصفراء على مقعده بعد أن تحرك لتسلم الجائزة واكتشف لحظة لمصية يصعب تحيلها من دون تلك الرحرة الطوطمية وهو يمشي فوق خشية المسرح الكثيرة شاداً قبضته وسط دوي الأيق ثم توقف فوق الدائرة المطوية بدهان منتظراً الملك. وفيما كان يصفح العاهل مربي بالأومعة، بنا وكأنه صعلوك تشابلي يتودد إلى نفسه بقدر من التألق. وبعد أن سلم الوسام ولعامة من الرّق انحنى انحناء صارمة وجاعة للملك، ومن بعد لصيق الشرف ثم لجمهور الحاضرين، في الوقت الذي حظي فيه بأطول رفقة احترام في تاريخ هذه الاحتفالات المهيبة: عدة دقائق⁽⁶⁹⁾

نهى الاحتفال عند الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والأربعين عصراً، وفيما كان عارسيا ماركيز يغادر مع غمره من الفائزين رفع كتفا يديه فوق رأسه كأنه نطل مصارعة، وهي العلامة التي بدأ منذ ذلك الوقت فصاعداً يرسمها مرات ومرات في حياته مستقبلاً. وكان لدى أولئك المحظوظين ممن دُعوا لحضور الاحتفال حمساً وأربعين دقيقة للوصول إلى القاعة البرقاع الكبرى للاستاد هوس (دار بلدية ستوكهولم) حضور مأدبة الأكاديمية السويدية الكبرى. كانت لائحة المأكولات قد أعدها جوني جوهاسين، أوبر طاحي السويد، وكانت مؤلفة من طعام سويدي أساساً: شرائح لحم الرنة والسلمون المرقط وفريديس وامور والنور، والشراب من مختلف الأنواع⁽⁷⁰⁾. وأشعل عارسيا ماركيز سيجاراً كريباً بتحدّ، وكان أوبر هورات الاحتفال - وهو ما يتفق عليه الجميع - هو حضور سبعين عارفاً موسيقياً كولومياً، وكان بيرو لويث وهو صديق عارسيا ماركيز يتابع معارفهم وحولتهم السيفة في ستوكهولم مع آلة تصويره⁽⁷¹⁾. وقد رقب عبوريا نريانا وهي ترافق بلهفة

كل النساء "كلهن عذاروات وقد معهدت هن أمهاتهن". ولدى وصول الجميع إلى دار البلدية التي كانت مكسوة بلوحات كبيرة ذات رسومات نظريزية مدكبة، حثا واحد من المجموعة القادمة من رير سوثو وصى معتقداً أنه في كنيسة. وساعل لوبيث عن شعور السوديين وهم يشاهدون "الجماعة غير المتجانسة القادمة من ماكوندو وهي تمط السلا لم حليطاً من هنود واسود والكاريبيين والإسبان هم قوم الهوية الكولومبية". وبحسب رأيه، فإن أفضل ما قُدم حتى تلك اللحظة هي اشجالات المعروفة باسم نوبل فلامبي. بدأت الحياة تندفع إلى الداخل الآن. وكان العرض الذي يقوده نوتو لا موسوسا وليوور لا ينغرا غراندي دي كولومبيا غاية في الروعة وقد شجعهم التصفيق على الاستمرار في العرض لثلاثين دقيقة بدلاً من خمس عشرة دقيقة⁽⁷²⁾.

قرأ كل فاز بالجائزة كلمة لمدة ثلاث دقائق أعقبتها شرب الأخاب. وبدأ غارسيا ماركيز أولاً بكلمة بعنوان في الشاء على الشعر رغم فيها أن الشعر "كان أكبر الأدلة الدامعة على وجود الإنسان"⁽⁷³⁾. غير أن ما لم يعرفه أحد في ذلك الوقت هو أنه تلقى ما هو أكثر من مساعدة قليلة من صديقه أنطرو موتيس، وهو ما يمكن أن يتوقعه كل من يقرأ الكلمة ومن ثم يفكر فيها. وطلب اثنان من الفائزين بسوس أن يوقع لهما على نسخ من رواية مئة عام من العزلة وبعد الأختاب ارتقى اجمع السلام إلى الطابق الأول حيث 'القاعة الذهبية الكبرى' للرقص. وبدأوا أولاً برقصة الفالس، ثم رقصات متفرقة من شمالي أوروبا، وأغاني "يسامي موشو" و"بيفيديا" وغيرها من أغاني البوليرو، وأخيراً رقصة المو كسترت والروما

في وقت متأخر من مساء ذلك اليوم، وبعد أن رجع الجميع إلى الفندق، انقص رودريغو هاتنياً من صحراء المكسيك الشمالية، كان الفائز الجديد برقصة عشرين من أصدقائه، ولا يزال يعب من الشراب سار كل شيء يهدوء، وانته غارسيا ماركيز نحو الهاتف والمزيق يشع من عينيه. ثم يعبر الصحفيين بعد ذلك متهاياً أن لولديه "لكمة الإحساس بالعمل التي ينصف لها أبوهما وأمهما"⁽⁷⁴⁾.

في ذلك الوقت، وعلى بعد آلاف الأميال، كان ثمة احتمال أشدّ صحباً ومحسنة قائماً على قدم وساق في بلدة أراكاتاكا الكاريبية الكولومبية الصغيرة،

وكان الوقت لا يزال ليلاً وأقيمت تسبيحة شكر إلى البيت الذي عُقد فيه عاينته عند الساعة التاسعة صباحاً، أعقتها زيارة إلى البيت الذي ولد فيه. واقترحت حملة تحويل بلدة أراكاتاكا إلى بلدة سياحية تاريخية على غرار بلدة بروست بإميه كوميره، ثم اجتمع مجلس الحكم في مديرية محلياً في بيت الثقافة برئاسة الحاكمة المعممة بالسناط والحيوية سارا بالشيا عبد الله، وهي مواطنة من بلدة أراكاتاكا أيضاً⁽⁷⁵⁾. تستذكر ريتا شقيقة عارسيا ماركيز قائلة: "في اليوم الذي مُنحت فيه الخائزة، جرى احتفال في بلدة أراكاتاكا بملطمة حكومة محلياً. واستأجرت الحاكمة قطاراً ينقل كل الضيوف وأفراد الأسرة على امتداد السكة: الأحوال والحالات والأعمام والعمات وأولادهم ويافهم، فوصلنا جميعاً إلى أراكاتاكا حيث التقيا حميد من الأقارب وعدد آخر من الأعمام والعمات والأحوال والحالات والأسر. عدد كبير من الناس. كان يوماً مذهشاً، نخلته الألعاب النارية، وقنادل، ولحم نصف بقرة طولي مشوي في الهواء الطلق، ومشروبات لجميع أبناء البلدة. وحضر قريسا ورير المعادن كارلوس مارتينيث سمعان. وفي ذلك اليوم، دشن مسي الاتصالات الذي شيده شقيقنا خالجي. لكن أروع ما في الاحتفال تمثل باللحظة التي أطلقت فيها فراشات صفراء"⁽⁷⁶⁾.

وفي سنوكهولم بدأ رجل الساعة بالاسترحاء. لقد شعر أنه مسؤول عن إعطاء العالم صورة إيجابية للأمريكا اللاتينية مدرّكاً أن هناك من ينتظر في كولومبيا، ولا سيما أعداؤه، على أحر من الجمر كي يقترف هفوة، لأن فكرهم عن "الصورة الحسنه" لبلاد تختلف اختلافاً جذرياً عما كان يريد أن يفعله. يقول غاسيا ماركيز لاحقاً: "ما من أحد شك في أنني لم أكن سعيداً طوال تلك الأيام الثلاثة، مراعيّاً أدق تفاصيل كي يسير كل شيء على ما يرام. لم أكن أقوى على ارتكاب أي خطأ لأن أصفر خطأ، مهما كان تافهاً، سيكون كارثة في هذه الظروف"⁽⁷⁷⁾. (عند رجعا بعد ذلك إلى مدينة مكسيكو، قال المائر الجديد لألفارو مونسيس: أخبرني عما حدث في سنوكهولم، إني لا أتذكر أي شيء. كل ما هالك هو أنني أشاهد وميص آلات التصوير وأرى نفسي متحملاً أسئلة الصحفيين وهي أسئلة متشابهة دوماً. قل لي ما تذكره"⁽⁷⁸⁾).

لكس بحاج غارسيا ماركيز كان مدهلاً، حتى إن صحيفة التيمبو التي ظلت علاقته بها سهلة أنت عليه ثناءً شديداً في إحدى مقالاتها الافتتاحية، إذ هبّته وأقرت أن حياته كانت شاقة وأنه كسب كل درة من محبته، وانتهت المقالة بما يلي: "بعد الصحة التي صحت احتمال بول، لا بد لسلاذ من أن تعود إلى أروافع وتواجه مشكلاتها وترجع إلى أمور اليومية. لكن شيئاً واحداً لن يبقى كما كان: الاعتقاد بأن طقاتنا لا تزال ثروة غير مكتشفة، وأنا بدأت الآن إلى حد ما بالظهور على المسرح العالمي. وها هو غارسيا ماركيز يثبت ذلك، لهذا، فإننا لن ننسى هذا الدرس الثمين" (79).

نوبة الشهرة وعطر الغوافة:

الحب في زمن الكوليرا

1985-1982

في صباح اليوم التالي، الصباح الذي أعقب الاحتفال، سافر عابو وميرنيديس جواً إلى برشلونة ترافقهما كارمن بالسيلس. وذهبوا إلى صدق الأميرة صوفيا ليسوا الوقت نائمين حتى الساعة الجديدة. غير أن غارسيا ماركيز وميرنيديس لهما برباره أخرى لرئيس الوزراء الإسباني الجديد. وقد دون غارسيا ماركيز في عموده الأسبوعي أنه رآه قصر موبكلوا مرتين في الأسبوعين الأخيرين لتجاذب أطراف الحديث مع فيليب الشاب، الذي بدا مظهره أشبه بطالب جامعي وليس رئيساً، ومع زوجته كارمن التي رافقتها ميرنيديس وغونزالو⁽¹⁾. بدا واضحاً أن العائر الجديد بجائزة نوبل سيكون أمس تحفظاً وأكثر اعتداداً بمسه من أي وقت مضى. وأشار في مقالته: "إنني أنظر إلى نفسي، بل أفتخر أيضاً، على أنني أشد الناس تحسناً وراء الرسومات... ولا أزال لا أضيق فكرة أن يصبح أصدقائي رؤساء، ولم أتمكن حتى الآن من التغلب على إحساسي بالتأثر بقصور الحكومة". لقد كان مقتنعاً قائد العامة العالمي أن فيليب الذي فهم أميركا اللاتينية "أفضل من أي شخص غير أميركي لاتيني"، سيكون له "تأثير بالغ في العلاقات الأمريكية اللاتينية - الأوروبية". بنا لا تعلم إن كان فيليب نفسه ينظر إلى الأشياء بمثل هذه البصرة، لكن من الواضح أن غارسيا ماركيز كان يأمل في دفعه لتأييد استراتيجية طويلة الأمد تجاه كوبا والكاريسي وأميركا اللاتينية، وليس لديه اعتراض على السماح للعالم بمعرفة ذلك.

وبالرغم من ذلك، وفي أثناء الحديث غير الرسمي مع الصحافة، كان أول شيء يأتي عونثاليت على ذكره هو "مكانة كوبا في المنطقة والحاجة إلى اتفاق أممي بشأنه فيه إجماع"، وليس هذا بالضرورة ما كان يفكر فيه غارسيا ماركيز الذي صرح أن الحب سيسبب كل مشكلات العالم. وأضاف أنه يريد العودة إلى روايته الأخيرة لمعالجة هذا الموضوع، وأنه كان يفصل بين الحادثة في العام التالي كي يتمكن من إنهاء الكتاب⁽⁷⁾ في التاسع والعشرين من كانون الأول، سافر الفائز الجديد إلى هافانا بعد أن صرح أنه لا يزال يريد أن يؤسس جريدته الخاصة كي يستمتع "بهمة حمل الأخبار" التي تشه عريضة من يقوم بدور الوسيط الذي يطبق عبه بالإسبانية Correvidile أي "اركض وانظر وأخبره". إن محور مدريد هافانا سيمثل شغل غارسيا ماركيز الشاعل على امتداد السنوات التالية بالرغم من أنه لن يتمكن من تسوية الخلافات بين كاسترو وعونثاليت.

حقيقتان عامتان عالماً ما تترددان عن حائزة نوبل للأدب هما: إنها تجمع عادةً لأدباء أكملوا دورتهم الإبداعية ولم تعد لديهم في أعماقهم مؤلفات جديدة بالاهتمام، وإن الحائزة تمثل حتى في حالة الأدباء الشباب تشويشاً يسرق منهم السمعة والتركيز والعلوم. الحقيقة الأولى لا تصح كما هو واضح على غارسيا ماركيز، فهو واحد من أصغر كل الذين فازوا بجائزة نوبل، وواحد من أشهرهم وأكثرهم شعبية. أما الحقيقة الثانية فتوقعها أولئك الذين استأؤوا من نجاحه، أو عاروا منه، غير أن الحقيقة هي أن غارسيا ماركيز ذاق طعم الشهرة قبل الآن وعلى مستوى قلما يحظى به الفائزون بجائزة نوبل. فهو ليس بذلك الرجل الذي يكف عن السعي مكتئباً بما حقق من نجاح وحسب، بل مرّ أيضاً بمثل هذه التجربة في السير التي أعقت نشر رواية مئة عام من العزلة كأنه حصل على جائزة نوبل الأولى، إذ، يمكن للمرء أن يتوقع منه أن تور من جديد: أن يكتب أكثر، وأن يسافر أكثر، وأن يجد أشياء جديدة ليحرقها، هكذا انصحت الأمور. فقد كان أكثر من مستعد لمكاته الجديدة: ومع هذا...

ومع هذا... كان قد قرر في العام 1980 أن يشق طريقاً جديداً في الحياة بسعهم وموقعه الجديد الذي يتمتع به ببسطة وباحترام، وكان صديق الرؤساء،

وأضاف إلى علاقته بكاسترو علاقة برئيس جمهورية المكسيك لوبيث بوريلو، والرئيس الفنزويلي أندرياس بريت، ورئيسي كولومبيا لوبيث ميتشيلين وبيتامكور، والرئيس الفرنسي ميتران، وأخيراً رئيس وزراء إسبانيا غوثالث. ورد من شهرته باكتسابه ضرباً من مكانة الرؤساء (وكان فيدل كاسترو يقول: نعم، إن عارسيا ماركيز أشبه برئيس دولة. لكن السؤال هو: أي دولة) وأحرر الصحفي أنه سيأخذ قسطاً من الراحة، إلا أنه كان يأمل في استخدام تأثيره الجديد لتساحت على نحو أكثر تأثيراً مع تحالفاته الرئاسية الجديدة. في وسع المرء أن يقول إن مرحلته السياسية العلنية استمرت من عام 1959 حتى عام 1979 وكانت في عطفها في الفترة الممتدة بين عامي 1971 و1979، لتعقبها مرحلة أكثر "دبلوماسية" والسؤال هو: هل يأتري يحمي أفكاره السياسية الحقيقية في أثناء المرحلة الدبلوماسية ويظل في ابوقت نفسه مساهراً كما حدث في المرحلة الممتدة بين عامي 1960 و1979؟ ثم تراه سيكيف موقعه السياسي من وراء غطاء وساطته ومفاوضات السرية ومشاريعه الأدبية؟

لا بد من أن عارسيا ماركيز نفسه شعر في أثناء عودته إلى ما وراء الأطلسي بكن مجده الذي خطط له خططاً كبيراً في حياته عن وعي أو من دون وعي، بوطأة الشهرة والمسؤولية الملقة على عاتقه. لقد حصل على بعثته، لكن كما عنت مارين مورو أعنيته الشهرة، فإن المرء لا يريد الشيء بعد أن يحصل عليه. لقد مصت مدة من الزمن الآن وهو مضطر إلى التكيف مع مستويات الترف والمداهة التي لا يمكن أن ينصورها أديب جاد إلا إذا كان قد شاهدها بعينه: لا شيء أقل من "توبة الشهرة"⁽³⁾ وعليه الآن أن يحول حياته كلها إلى مشهد منظم نظيماً دقيقاً.

يقول لدين عروه طوال حياته تقريباً إنه بات أكثر احتراساً إثر فوره بالحاقرة. وشعر بعض أصدقائه بالامتناع لأنه استمر في الانغماس هم في حين استاء آخرون لإهماله إياهم. وقال الكثيرون إن "هوه ارداد اريداداً وأصحاً، وأصبح عروه أن نمكه من البقاء طبعياً أمرٌ يدعو لدهشة وقال قريبه عوح إنه كان دائماً أشبه "هانز مجازة بوبل ولد حديثاً"⁽⁴⁾. ومالت كارميس باليسليس التي كان في وسعها أن تنظر إلى المشاهير بصره باردة أكثر من غيرها، إن مدى نجاحه وشهرته إلى

بكرّر⁽⁵⁾ ("عندما يكون لديك شخص مثل غارسيا ماركيز، وفي استطاعتك أن تؤسس حزباً سياسياً أو تنظم ثورة"). أما غارسيا ماركيز نفسه، فيقول في مرحلة لاحقة إنه حاول أن يبدل كل شيء ممكناً كي "يبقى دون تغيير"، لكن لم يطر إليه أحد اضطره نفسها منذ أن سافر إلى ستوكهولم. ويقول إن الشهرة "تنشأ إشعال الضوء دائماً" إن الناس يخبرونك بما يعتقدون أنك تريد سماعه. الجائزة تطلب هبة دس يكون في وسعك بعد الآن أن تقول لـ "نأ"، والمطلوب منك أن تكون دائماً مسلياً ودكياً. وإذا ما بدأت الكلام في حفلة ما، حتى إن كان الكلام مع أصلاء قديمي، فإن الآخرين يمسكون عن الكلام ويصنعون إليك. ومن المفارقة أنك "عند تكون محاطاً بعدد أكبر من الناس، فإنك تشعر بأنك أصغر وأصغر"⁽⁶⁾. ولن يمضي وقت طويل حتى تبدأ لعب كرة المضرب لأنه بات من المستحيل تماماً ممارسه التمارين بالسير في الشوارع. وفي كل مصعبه يهرع السادلون إلى أقرب مكتبة لشراء نسخ من كتبه كي يوقع عليها. أما المطارات، فهي أسوأ الأماكن إطلاقاً لأنه لا تستطيع أن تجد فيها محرراً للهرب منه. وهو الأول الذي يوضع في الطائرة، إلا أن العاملين في الخلفة في الطائرة يريدون كتباً أو مجلات عن الطيور أو ملابيح مائدة ليوقع عليها. لكن هذا الإنسان حجول، وجل وقلق من أوجه متعددة⁽⁷⁾. "مهني الأساسية لأن أن أحافظ على حالتي، وهي أمر صعب، إذ لا يمكنك أن تتوقع وطأة ذلك اللعب عليك. لكنني سعت إلى ذلك"⁽⁸⁾. ثمة أكثر من سبب يدفع للاعتقاد أنه سجد السنوات المقبلة أكثر صعوبة مما كان يتصور، لكنه بالرغم من ذلك لم يعد يشعر بالقدرة على لشكوى كالسابق عندما كان يكتب رواية خريفه البطولي.

سافر غارسيا ماركيز وميرثيديس إلى هافانا جو عند الساعة الخامسة من صباح اليوم الثلاثين من كانون الأول سنة 1982 للقاء مدة أطول، وحضر لهما بيت البروتوكول في الرقم 6، وهو المنزل الذي سيصبح مسرحاً الكوبي بعد سنوات قليلة. وكان كاسترو قد حضر مراسم تشييع برجينيف في موسم حيث ناقش مع أنديرا غاندي توجيه الدعوة إلى غارسيا ماركيز لحضور مؤتمر دول عدم الانحياز الذي يقرر عقده في دلهي في آذار سنة 1983 (وذكرت غاندي أنه كانت تقرأ رواية مئة عام من العزلة عندما أعمت جائزة نوبل) واشترى في أثناء

وجوده في موسكو كمية كبيرة من الكافيار المفصل لديه لغارسيا ماركيز أما عارسيا ماركيز، فكان من جهته يحمل رسائل من هيليب عوثاليت وأولف باله مع سمك القد من ال فيودنشي والشراب من كارمن بالسيلس. وفي ذلك الأسبوع مرَّ عراهام عرين هاهنا مع صديقه البانامي تشوتشو مارتيتيث الذي كان أقرب مساعدي توريجوس. وفي السادس عشر من كانون الثاني، كتب عارسيا ماركيز عن الكاتب الإنكليزي مقالة بعنوان ساعات عراهام عرين العشرون في هاهنا، ولم يكن الإنسان قد التقيا معاً منذ سنة 1977. وكشف عارسيا ماركيز عن أن غرين ومارتيتيث وصلا في متهى السرية وخصص لعرين سرل يليق بكار السياسيين لمصية يومه وسيارة مرسينس بزر. وكان غرين وكاسرو قد ناقشا تجربة عرين الشهرة مع الروليت الروسية وهو في سن التاسعة عشرة. وانتهت المدالة بحارة: "عدما اترقا اصطربت لأن اللقاء سيدكر عاجلاً أم آجلاً في مذكرات واحد منا أو كلنا"⁽⁹⁾. لقد أمسى لكلام مع عارسيا ماركيز يشكل حظورة - إذ ستر الصحافة خبر مثل ذلك اللقاء في غضون ثمان وأربعين ساعة - وتساءل البعض إن كان يليق بمقام الفائز بجائزة نوبل إجراء لقاءات مع غيرهم من المشاهير والفيم بأداء دور رجال الصحافة.

كانت المقالة عن عراهام عرين هاهنا فيها من وجهه نظر الكوبي لني عير مو كابريو إيماني الذي ردَّ بمقالة بعنوان مشاهير في هاهنا:

أعلم أن هناك قراء (وكتّاباً) أميركيين جوبيين وإسبان يفراون العمود الأسبوعي الذي يكتبه عارسيا ماركيز ليصححوا بصوت عال، ولينظروا إلى تصرجاته بأجواء مترفع نحو الغرباء، أو ما يفعلونه عندما يلاحظون دردشة أحد الأجلاف... أهذه هي قمة السخافة أم هي تقليد مبتدل؟ للقراء الذين هم علم بالموضوع، فإن مقالة عارسيا ماركيز لأسبوعية في السابس غخل ابوعد الأكيد على الرعشة الجديدة لكن ليس لي أنا إني أحل الروائي على محمل الجد، وهذه الكتابة دليل على ذلك بالرغم من احتمال وجود البعض الذين يواجهون رأيي بتفليق الأعذار الخاصة: يا رجل، الأمر لا يستحق كل هذا، لا تغلق، لن يهتم أحد. لكنني أهتم، واعتقد، أسوة بغولدوني، أن في الإمكان ضرب السيد بمساعدة الخادم⁽¹⁰⁾.

بدء اليمين في أميركا اللاتينية والمصير الكوبيون على وجه الخصوص الذين قسم بسبب منح الجائزة، يصايون باهلع بسبب عارسيا مار كير. ربما اعتقدوا من قبل أنه لن يُمنح الجائزة، لأن حنة نوبل تعلم أنه "أحمر" وأن قربه من الشيوعية لا يشكك مرقاً من وجهة نظرهم، أو ربما ليس هناك ما يُعسرونه، بل هناك كسب كبير بالمحجوم عليه علامة بعد أن وصل أميره إلى حده النهائي. أو ربما لم يستطيعوا تحمل نجاحه واتهامه الواضح وشعسته التي لا يرمي إليها شك. من المؤكد أن غارسا مار كير كان يعد نفسه عن علاقته الشخصية بفيدل مد أكثر من عام بعد أن تحلى عن الصحافة المتشددة. والآء، إذا لم يكن واضحاً من قبل، فإن الوضع الآن هو أن فيدل احتاج إلى عارسي مار كير أكثر من احتاج عارسيا مار كير إليه على كل حال، وبالرغم من أن الجائزة منحت غارسا مار كير وميه للوصول إلى الطلقات العليا ذات العقود السياسي والديبوماسي في أميركا اللاتينية، فإنها أطلقت في الوقت نفسه مستوى غير مسوف من العداء المبي الذي لم يهدأ خلال العقدين الماضيين من الزمان (وإن لم تلحق به إلا صرراً قبيلاً، وهو أمر يثير العجب) في حين أن شهادة نوبل التقديرية تحت الكتاب الكولومبي في جميع أنحاء العام، وحتى في العام العربي الليبرالي الجديد، من كل شيء سوى أشد البقاد عملاً وصراراً.

وإذا كانت المكسيك قد شعرت أنها مهملة بسبب علاقته بكل من بيتانكور ومينران وعوناليث وكاسترو، فقد كتب مقالة ودية عن أهمية المكسيك في حياته بعنوان عوده إلى المكسيك بشرى في الثالث والعشرين من كانون الثاني⁽¹¹⁾. ولم تفعه عواطفه من تسمية البلاد "بالمدينة الشيطانية" ولا تريد عنها قبحاً سوى ناكوك وأصبحت صته اليوم بحمسة سياسيين من ذوي العقود القوي يتلوه أهم البلاد في حياته بامتشاء هروويلا، وهي كويوما وكوب وجرسا وإسبانيا والمكسيك، وكانت هذه البلاد ذات حيوية بالعه بالنسبة إليه إذ ما أراد أن يستمر في الدور السياسي العالمي الذي كان يحلم به. ومن المدهش أن نلاحظ إلى أي وقت يمكنه الاحتفاظ بهذه الأوراق الخمس، وهل في وسعه أن يحس من وضع يديه أو يقدر على تدليل الأوراق بأوراق أخرى استعملها غيره بنجاح ثم رماها جاساً.

في الثلاثين من كانون الثاني نشر غارسيا ماركيز، ويده كل تلك الأوراق الرئاسية، مقالة عن رونالد ريغان بعنوان مهم، الدب آت حقاً⁽¹²⁾، يذكر فيها تجربته مع الإمبريالية الأمريكية منذ حليج الخنازير. وكان الغناء المستتر لأمر كيتشك دافعاً يوحد بقدر أو يأخر دوله الخمس في لحظة بدا فيها اضمحلال الاتحاد السوفياتي وعجزه المستمر حتمياً. لكن لسوء حظ غارسيا ماركيز أن الوضع الدولي لم يكن مؤقتاً "لاهتماماته" السياسية في ذلك الطرف المناسب له شخصياً. وبالرغم من أن وزراء الخارجية لما أصبح يعرف بدول الكونتادورا (كولومبيا والمكسيك وبنما وبيرو) قد اجتمعوا مؤخراً، إلا أنه كان مقتنعاً أن جهود الولايات المتحدة في زعزعة الاستقرار ستثمر في أثناء السنة. وكان حقاً في ذلك.

فصد أعلى نيلساريو بيتانكور في مستهل عهده الرئاسي أن كولومبيا تسعى للانضمام إلى منظمة دول عدم الانحياز التي كان فيدل كامسرو يرأسها في ذلك الوقت⁽¹³⁾. وفي مطلع شهر آذار 1983 سافر الوفد الكوسي إلى الهند، وكان على مدى الطائرة كاسترو وغارسيا ماركيز وبونيث وكارلوس رافائيل رودريغيث وجوس مونتاني وموريس بيشوب رعيم حركة الجوهرة الحديدية في غرياد. الذي وافقته السنة بعد ستة أشهر واحتلت الولايات المتحدة جبرته، وديسيري ديلاو بوتيرسيه رئيس المجلس العسكري في سوريام. وبالرغم من أن كاسترو أبدى شعاعاً ورباطة جأش، إلا أن رئاسته أفسلها ذلك الرداء المتصاير الذي أحدثه العزو السوفياتي لأفغانستان وشعر بالارتياح بتسليم الرئاسة إلى من هو أقل تمهاً مع اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية. وبعد المراسم الرسمية توجه الكوبيون إلى الملتنى الرسمي في فندق أشوكه، لكن غارسيا ماركيز كان قد حذر جاحاً خاصاً في فندق شيراتون كي يتمكن من الترحيب بأصدقائه القدامى الذين كان يتوقع أن يلتقي بهم. وفي صباح اليوم التالي وحده بريت في حالة فوضى، ثبانه معتر في جميع أرجاء العرة محاولاً أن يعثر على بدلة مناسبة لتليق بعملة الاستقبال. كانت ميرثيديس هي التي تتولى اتحاد القرارات بهذا الشأن. وقال لبونيث "لو أن كل الرجال عرفو هاتدة الزوج لعد ما لدينا من سوء، وعدت ستحل مصيبة"⁽¹⁴⁾. وكان احتماله مع ميرثيديس يذكرى رواجهما الخامسة والعشرين في الحادي والعشرين من آذار.

أخيراً، في الحادي عشر من نيسان رار غارسيا ماركيز تحديداً كولومبيا التي لم تطأها قدماء بيل بيا فوزه بجائزة نوبل بستة أشهر تقريباً وتوفيت الصحف كثيراً بخصوص الريارة، إلا أنها لم تتحدث عن شيء واحد وهو قضية سلامة غارسيا ماركيز الشخصية، لكن يتناكور أصر على أن يكون لديه فريق من الحراسة الشخصية في كولومبيا بسقيم وقبول للحكومة. وبعد مرور بضعة أيام على وصوله سر معاً في عموده لأسوعي يعود إلى الغواصة⁽¹⁵⁾ ومن رحلة الغول الإشارة إلى أن القراء في بوغوتا سيدركون جيداً أن "الغواصة" شفرة تدل على أنه لن يعود إلى "كولومبيا" قرر ما سيعود إلى "ساحله" الحبيب. وبالرغم من صعوبة تحديد مكان إقامة غارسيا ماركيز من خلال قراءة مقالاته (إذ باتت تنحو محي مرد متسلسل ومهلل لحواطر ودكريات أكثر مما هي مذكرات) غير أن الحقيقة هي أنه سيمضي معظم هذه السنة في بوغوتا معتقداً بلا ريب أن جائزة نوبل مكنته لأن يعد الألفية احاكمه التي ستعجب به، أو في الأقل تحترمه. لكن الكثيرين ظلّ الشك براودهم، بل إن قطاعات من الصحافة بدأت تهاجمه على الفور تقريباً⁽¹⁶⁾.

سافر جواً إلى مدينة كارتاجينا القديمة، التي ترفى إلى حقبة الاستعمار، في نهاية شهر أيار. وسرعان ما استصح هذه المدينة هده الرئيس في كولومبيا وإطار معظم كنية اللاحقة. ومنذ إنشاء قصر المؤتمرات بالقرب من أسياء سنة 1982، فقد باتت أمراً ميسوراً أن تعقد الاجتماعات الدولية المهمة في هذه المدينة التاريخية. كانت المدينة تحصل في تلك الأيام بذكرى تأسيسها الأربعمئة والخمسين، وكان مهرجان كارتاجينا السيمائي قائماً على قدم وساق أيضاً. ولم يكن الزائر الأجنبي الوحيد المدعو هذه الاحتمالات سوى الأندلسي فيليب غونزاليث الذي يشق طريقه مع غارسيا ماركيز وسط الحشود المحتمة، وكان غارسيا ماركيز يلبس الدنة التقليدية التي باتت لأن علامة مسجلة له، ويرقص بعض الأحيان مع إحدى المعجيات⁽¹⁷⁾. كما صاحب وعربد في "سحر" و"فوضى" مسقط رأس أسرته. وكما هو شأن يتناكور، فإن غونزاليث الذي كان في طريقه لإجراء محادثات في الولايات المتحدة، التزم التزاماً قوياً بتشجيع دول كوتادورا على إحلال السلام في أميركا الوسطى. وفي أثناء وجوده في كارتاجين عقد محادثات مع وزراء خارجة الدول الأربع الضامنة للمباحثات⁽¹⁸⁾.

في أواخر شهر تموز، دار غارسيا هاركيو كدراكس صم، عد كولومبي رسمي للاحتفال مرور نصف قرن على ولادة بولسار. لم يكن قد دار فنسروبل مد خمسة أعوام. والتقى هو وميرثيديس هاك بالصحافي والكاتب الأرجنتيني لمتي توملس بوي مارتينيث الذي كان يأمل أن يؤسس معه صحيفة إل أوترو. وناقسا المشروع في مقهى سواق الشاحات على ممرية من أحد طرق كراكاس حيث يمكن لوجهه الذي بات مشهوراً جداً الآن أن يمر من دون أن يلاحظه أحد. ويذكر مارتينيث:

"التقيا عند الساعة الثالثة صباحاً تقريباً. كنت ميرثيديس التي تناولت العشاء مساءً محاطة ببارئيس الفزويلي والملك خوان كارلوس ملك إسبانيا، وكنت ترتدي ثوباً طويلاً مدهت لم يشف إليه سواق الشاحات. أحضر ك نذل أعرج بعض الشراب، وهدية تحول الحديث إلى الماضي. لكن ميرثيديس عادت بنا ثانية إلى أرض الواقع وقالت: هذا المكان لطيف. ألم تستطع العثور على مكان أفضل؟ فقلت: اللوم يقع على شهرة زوجك لأننا إذا ما ذهبنا إلى أي حانة أخرى في كراكاس، فسيقاطعنا الناس باستمرار فقال غارسيا هاركيو:

كان ينبغي لنا أن نذهب إلى ركس لحب كما فعلنا في بوينس آيرس أول مرة. فصاحت قوله. درب لحب. اعتقد أنه لم يعد له وجود اليوم. فما كان من ميرثيديس إلا أن غمرت غمرة خفية. هل كنت تتصور أن غابو سيعد مشهوراً هكذا؟ نعم. لقد شاهدت اللحظة التي هلّت فيها الشهرة عليه من السماء. كما في تلك الليلة في المسرح في بوينس آيرس. عندما تبدأ الشهرة على ذلك النحو فإنها لن تحب. قال غارسيا هاركيو: أنت محظي. فقد بدأت الشهرة قبل ذلك برمس طويل. كنت ساحراً ماذا؟ في باريس عندما مررت من تأليف رواية العبد؟ هنا في كراكاس عندما شاهدت طائرة بيرث خيمينيث البيضاء تقار وطائرة بيروت السوداء تعود؟ أم حدث هذا قبل ذلك في روم عندما مررت صوفيا لورين بها فالتصمت لك؟ قال موضحاً: بل قبل ذلك بكثير وكان جداً في إيصاحه. وفي الخارج. كانت الجبل تشي بطوع الفجر من ورائها. وهضى يقول: كنت مشهوراً منذ أن تخرجت من المدرسة في ثيابكم، أو ربما قبل ذلك، عندما أخذني حدي من أراكاتانكا إلى بارانكيو كنت دائماً مشهوراً منذ اللحظة التي ولدت فيها. المشكلة هي أنني الوحيد الذي أعرف ذلك" (10)

في شهر تشرين الأول كان غارسيا ماركيز يسعى لتمنصة مدة أطول في بوغوتا، وكان يعكّر في منح جائزة نوبل للأدب لكتاب الإنكليزي الممل ولیم غولدم، وجائزة نوبل للسلام لرعيم حركة التضامن البولندي ليح فاليسا عندما أنه أثار مزعجة. فقد أطاح انقلاب مورس بيتوب في غرينادا وأعدم في التاسع عشر من تشرين الأول⁽²¹⁾. وبعد خمسة أيام، عرت الولايات المتحدة الجزيرة مبرهه بذلك على صحة مخاوف عرسيا ماركيز بشأن سياسة الولايات المتحدة في الكاريبي، ولم تُحدث إدانته الأمم المتحدة في الثامن والعشرين أي نتيجة ملمسا لم يؤدّ احتجاج مارغريت تاشر إلى أي شيء بعد احتلال إحدى دول الكومنولث التابعة للناح البريطاني. وفي الثالث والعشرين من تشرين الأول احتوى عمود غارسيا ماركيز الصحفي على تأييد للرئيس الذي اعتيل مع دكریات عن مؤتمر دول عدم الانحياز في بيودهي. وفي الأسابيع القليلة التالية توسط بيتانكور بين كوبا والولايات المتحدة بخصوص إعادة الجاء الكوبيين الذين أُسروا على أرض الجزيرة. وكان في حالة اتصال مستمر مع غارسيا ماركيز، وهو ما سيصرح به الأخير للأمة في مقابلة في مطلع شهر تشرين الثاني⁽²²⁾.

بالرغم من أن عرسيا ماركيز قد بدل قصارى جهده، إلا أنه لم يكن سعداً في بوغوتا. وتساءلت الصحف كل أسبوع إن كان غارسيا ماركيز يجد صعوبة في التكيف في كولومبيا. لكن كولومبيا ليست هي المشكلة. فقد أحرقت الروائية لورا ريسنريو عن حادثة وقعت في ذلك الصيف عندما تطوع غارسيا ماركيز لإعطاء درس خصوصية للصحافيين في صحفة سمانا التي كان يديرها لوبيث ابن ألفونسو لوبيث مينشيسين، وكان قبل ذلك ببضعة أشهر قد ساعد الصحافي فيليب لوبيث من بوغوتا للحصون على شرف إجراء لقاء مع فيدل كاسترو. وتحدث الاثنان حول موضوع العنوين الرئيسة وسأل غارسيا ماركيز ذات مرة، وهو متحمس جداً، عن العنوان الرئيس الذي سيختاره الصحافيون إذا ما حرح من مكاتب الصحفة وأطلق عليه لرصاص في الشارع. قال فيليب لوبيث بسرعة وقد لاحظ عليه انتسامة واهة: "مقتل ساحلي"⁽²²⁾. ففي بوغوتا لا توفر جائزة نوبل الحماية ضد قتل الآخرين من قبل الأقلية الحاكمة أو ممثليها.

خلول نهاية العام، قرر غارسيا ماركيز أن يعي بوعده ويذهب إلى أراكاتاكا. لقد مرت ست عشرة سنة منذ زيارته لأخيرة لها وأُملت زيارته مرحلة استراحته. وبعد أسبوع واحد، كتب وصفاً غريباً عن ذلك النهار بعنوان عودة إلى البقرة، وهي إشارة لم يُطلق لها من قبل إلى قصة مشهورة لأليخو كاربنيه⁽²³⁾. واعترف أن الدهشة تولد عندما تلقى مثل هذا الرحيب الحار (دلالة على ديب؟ إد طلماً وجه إليه النقد لعدم "إبعاد" أراكاتاكا من التحلف)، وما إن تذكر كل شيء غامضاً، بعد أن أحاطت به الوجوه من الماضي، وجوه نشه وجهه عندما كان يحل السرك في البلدة. لكنه ذكر لاحقاً أنه لم يلجأ إلى إضفاء الميثولوجيا على أراكاتاكا ولم يشعر بحس جارف إليها (كما كان يحس الآخرون؟ وهو ما كان يريد الإبقاء به)⁽²⁴⁾. لقد قبل الشيء الكثير جداً عن الصلة بين أراكاتاكا وماكويديو، وبعد أن رجع إليها الآن، فإن المكايين يدوان غير متشابهين أكثر من أي وقت مضى. "يصعب تصور أي مكان آخر مسي غامضاً كهذا المكان وأكثر وحشة. كيف يمكن للإنسان ألا يشعر بأد روحه يمزقها شعور بالتردد؟".

في نهاية هذا العام الممل الذي مضاه غارسيا ماركيز في إحارة عن الكتابة، اسس إلى هاماسا لاستقبال العام الجديد فيها وفي هذه المرة دعا ريميس دويريه للحضور وتمضية الوقت في صدق الريمير معه ومع صديقهما القديم ماركس ماراميو المسؤول السابق عن فريق حماية أليدي الشخصي، بات اليوم شخصية مهمة في المظلمات التجارية بكوبا. ووجد دويريه أمامه غارسيا ماركيز العليم نفسه، "موزع كمشهده بين مودته (لرميه اللاتيني العليم) وسحريته (لنرسي المفرط في هرسينه، المتعطرس والمخترس) في الوقت الذي أعرقني به بأشرطة سنمائية مثل أرمنة كليككو وأعلى براساس التي كان يحفظ كلماتها عن ظهر قلب⁽²⁵⁾".

* * *

سيكون العام 1984 عاماً أفضل على غارسيا ماركيز، ولكنه عام سيئ جداً على كولومبا. فما إن انتهت احتفالات لسنة الجديدة حتى غلغلي عن مطالب كوبا الدبلوماسية المستمرة وبدأ يهتئ سلسلة من التحولات: من "إحارته" السوية إلى مهنته الحقيقية؛ تأليف الروايات، ومن عموده الأسبوعي إلى الرواية الكبرى التي كان

فقد بدأ بها في فصل الصيف الذي سبق إعلان جائزة بوبس، "الرواية التي تدور عن الحب"، ومن الإقامة في بوعونا، التي كانت سيفة له دائماً، إلى كارتاخينا والساحل. لقد كانت العودة إلى أراكاتاكا تطوي على تناقص كما كان متوقعاً فمن جهة أولى، كانت عودته إلى المكان الذي سبق له أن صورته في أفضل قصص الحب التي كتبها تحت اسم ماكوسو، ذلك المكان الذي أهم روايته الأولى عاصفة الأوراق ورواية مئة عام من العزلة. ومع هذا، فالعودة أكدت بساطة إعاءه ذلك التجربة. فقد نفى فعلاً علاقته بأراكاتاكا تماماً مثلما نفى بأشكال عدة رواية مئة عام من العزلة نفسها.

لأن سيتجه إلى إعادة الكيان عن نفسه - يعيد كتابه ما أعاد كتابه - وملء العجوات المفقودة. ومما لا ريب فيه أن يبدو فائز بجائزة نوبل حتى الآن مسكوناً بهواجس الطفولة لا سيما عقدة أوديب المركبة التي عاها عندما أربح عن أبيه واحتضنه جده. لقد حذف حتى الآن بعض الحقائق السائية وأحمى المشككة، في حين كان يجري تعديلات درامية من الساحة الأدبية، ومرصبة من الساحة الجسدية. وسكت مرة أخرى عن أبيه عبر الشرعي في القصة أما غابريل (إليجو)، فقد عاد إلى أراكاتاكا قبل سنة، في الوقت الذي حرب فيه احتفالات بوبس وحصل من نفسه، كما في 'عذب الأحياء، نجم العرص. (إذا كان أبيه قد ورث شيئاً واحداً عن أبيه فهو حيوته). إلا أنه كان متشياً أيضاً لدى سماع خبر نجاح عابته وبعم علابة وللمرة الأولى بالمجد الذي انعكس عليه.

في اليوم الذي سمع فيه غارسيا ماركيز أنه فاز بجائزة نوبل صرّح لصحافة أنه سود أن تشيد بيت أحلامه في كارتاخينا، لكن هذا هو الأمر الذي لم يسر على ما يرام في كارتاخينا التقليدية حيث التأكيد فيها دائماً على جمط البيوت الموجودة فيها أصلاً - وكان لدى العديد من الناس مشاعر مبابية وليس سبية إزاء عودته⁽²⁶⁾ لقد قرر نفسه أن يتحصن من أحزان بوعونا ويظهر بمظهر آخر. أو لعله أراد حقاً أن يشعر أنه في وضع أفضل بالعودة إلى الكارسي. أو ربما كان ذلك بسبب تكريس نفسه للحب كل الوقت على كل حال، وجد الأصدقاء والصحافيون غارسيا ماركيز جديداً مظهره الكاريسي الأبيض في كل شيء بعد أن

نقص ورنه مقدار خمس كيلوغرامات، وصفف شعره، وقلم أظفاره، وفاحت منه رائحة عطور باهظة الثمن وهو يتسكع في شوارع كارتاجينا القديمة وشاطئ بوكا عرابدي وشوارع مابعا؛ كان يفعل كل ذلك عندما لا يصحب في قيادته سيارته الحمراء الجديدة مستمتعاً⁽²⁷⁾.

يهض غارسيا ماركيز عدد الساعة السادسة صباحاً ويقرأ لصحف ونيلس ليهي نفسه للكتابة من الساعة التاسعة وحتى الساعة الحادية عشرة، ثم يهض ببطء (كأنه الميطاد الذي يريد أن يعترعه في كتابه وفي الشريط السيمائي رسائل من المتنزه). وقال إن الشيء العظيم هو أنه "استرجع كولومبيا". أما ميرثيديس فندهب إلى الشاطئ عند منتصف النهار وتنتظر هناك بصحبة صديقتها حتى يأتي غارسيا ماركيز إليها. ثم يتناولان طعام العشاء المكون من الروسان أو جرارد البحر وبروكان بعدها في قيلولته. وعند الأصيل يتحادث أطراف الحديث مع أبيه، وفي كل مساء يسير في أحياء المدينة أو يتحدث إلى أصدقاء "ليحشر ذلك كله في الرواية في اليوم التالي"⁽²⁸⁾.

وبالرغم من أنه يسكن في مدي يوصف بأنه "الآله الكاتبة" بسبب شكله، إلا أن غارسيا ماركيز بدأ تحولاً ثورياً آخر فبدأ هذه المرة⁽²⁹⁾. ربما لحسن الحظ أنه كتب قبل الآن الأقسام الأولى من روايته القادمة التي ستعرف بالعنوان الحب في زمن الكوليرا التي محتته صرباً من جسر أدبي يعبر خلاله إلى ما وراء تجربة نوبل برمتها. لقد قرر الآن أن يعود إلى الكتابة باستعمال الحاسوب، وطلب من كاتبة عسى الآلة الكاتبة أن تنقل إلى الحاسوب المخطوطة الجاهزة، مما سهل على رجل مهووس برمي كل صحيفة من الورق فيها خطأ مطبعي واحد والمضي قدماً عسى نحو أسرع، وربما ساعده ذلك على إجهاض ذلك النوع من الحاجر الذي يقف أمام الكاتب والذي ابتلي به العديد من الفئرين بجائزة نوبل على مر السنين. ويقرب السواد من هالك تحولاً في الأسلوب ربما طرأ بسبب التكنولوجيا الحديثة وقد يكون ذلك مفيداً أو غير مفيد.

بعد أن التحول الأعظم الذي طرأ على حياة غارسيا ماركيز، حياته العسية في الأقل، تتمثل بعلاقته بوالده. فعلى مدى السنوات السنين لم يكلمها إلا نادراً. واليوم

نصائح الابن مع أبيه عما يكفي كي يقود سيارته ويعبر الحسر إلى مادفا في معظم أوقات العصر ويتكلم إليه وإلى لويسا سانتياغا - كل على انفراد تقريباً - بمحورين شباهما ومحبتهما. وكان الدافع الأكبر من وراء ذلك كتاب جديد لا بد من تأليفه، لكن هناك أكثر من سبب للاعتقاد بأن غارسيا ماركيز بات مهياً الآن لهذا الصول، وأن الكتاب سيج له بإخفاء وحماية كبريائه والتخفيف من حدة الذنب الذي يشعر بلا ريب أنه إزاء هذا الرجل، إزاء أبيه. فقبل ثلاثة أعوام كان يكتب عن امرأة في كتاب قصة موت معلن أدركت فجأة شيئاً ما عن أمها 'شاهدتها أخيراً فبكارتو بتلك الالتسامة للمرة الأولى منذ ولادتها كما كانت عني حقيقتها' امرأة مسكينة وهبت نفسها للإعجاب بعيوها⁽³⁰⁾. مما لا شك فيه أن غارسيا ماركيز كان قادراً بعد أن أصححت كل عدياته خلفه عني تقويم غابرييل إليخيو تقوياً مزيجاً وإن كان أقل قسوة.

لا يمكن أن يكون ذلك سهلاً. فعابرييل إليخيو هو الرجل الذي أحد أمه بعيداً عنه ثم عاد بعد سنوات ليعده عن جده المحبوب، العقيد رفيع الشأن كما كان يراه غاييتو. وبالرغم من أن غابرييل إليخيو لم يكن أباً فاسداً متعسفاً، فإنه كان يطلق التهديدات بالجوء إلى العنف دائماً ليحافظ على سلطته الاعتبارية المتقلبة غالباً. فقد حس روجته المعذبة منذ زمن بعيد داخل البيت على أساس أبوي صارم، لكنه كان يسهر متى يحلو له السفر، ويجوها في معاشراته - على نحو مفصوح - في كثير من المرات. وإذا ما طرأ إليه نظرة عامة، فإنه بالرغم من قدرته على الاحتفاظ بأسرة كبيرة تآكل وتلبس وتلفى في معظم الأحيان تعليماً جيداً، وكان ذلك كله إيجازاً غريباً، فإن وجهة نظر الابن الأكبر هي أن خاصية عدم إمكانية توقع ما سيعمله، ومخططاته المنوية، وتعبير الخطط والنكات الساذجة التي يتعب على الجميع الاحتفال بها، والطبع السياسي المحافظ العبد، والهوة المؤلة أحياناً بين منحرج الرجل الحقيقية وتفويجه لفسه؛ كل هذه الأشياء، وفي مقدمتها الاستياء الأوديسي أساساً، مما يصعب تحمله تماماً.

في مثل هذه العلاقة يتأمر كل شيء كي تزداد الأشياء صعوبة وسوعاً. ولعل عبارة غارسيا ماركيز الأكثر انتشاراً وشعرة في أميركا اللاتينية هي أنه لن يسي

بعض النظر عن السحاح الذي حققه أنه ليس أكثر من طفل من الأطفال الستة عشر عاملاً التلغراف في أراكاتاكا. وعندما سمع غابرييل إليخي هذه العبارة أول مرة، انفجر في حطبة لادعة غاضبة، بأنه لم يشتغل عامل تـلـغـراف إلا مدة قصيرة، وأنه أصبح الآن صبيّاً محترفاً وشاعراً وروائياً أيضاً⁽³¹⁾. وشعر بالإهانة لأن الجميع كانوا يعلمون مقدار تأثير انعقد المشهور في ولده وإلى أي حدّ أهم شخصيات كتبه التي لا تـسـي، على حين أنه، غابرييل إليخي، لم يُذكر قط، وبدأ مستعداً عمداً، وإن ليس مُهاناً كما هي الحال الآن.

في أواخر شهر آب سنة 1984 كان غارسيا ماركيز قد أبحر تأليف ثلاثة فصول - أكثر من مئتي صفحة - من مجموع ستة فصول خطط لها، وبدأت الرواية وقد أصبح هـ شكلها العام. كان يتحدث إلى أبويه بهدف الحصول على فهم عام للحقيقة الرمزية التي عاشا فيها، ويناقش ترددها وغرلها في حصص تلك الأحاديث العامة إلى حدّ ما بوصفها دراسة حالة لا أكثر، على حدّ قوله. وأخير صحيفة الميس أن الكتاب يمكن تلخيصه بجملة واحدة: "إنه قصة عن رجل وامرأة أُعزم أحدهما بالآخر غراماً حروباً لكنهما لم يستطيعا الزواج في سن الثمانين بعد أن شهدا تفلات الدهر وصروفه لكبر سنهما". وقال غارسيا ماركيز إن الرواية تكتسب معامرة لأنها تستخدم كل وسائل الثقافة الجماهيرية: كل ما تتمتع به الميودراما والمسلسلات الاجتماعية وأغاني البوليرو من ابتداء وقلة تهذيب. وتبدأ الرواية المتأثرة أيضاً بحوروث الرواية الفرنسية في القرن التاسع عشر بحارة وتنتهي في قارب. أما نهايتها فسعيدة⁽³²⁾. ربما كان هذا هو السبب الذي دفعه لأن يقرر أن تدور أحداث الرواية في الزمن الماضي. وربما شعر غارسيا ماركيز أيضاً أنه لا يمكنه الحديث عن قصة حب تنتهي نهاية سعيدة وتدور أحداثها أواخر القرن العشرين وبأعلىها لباس عبي عمم الحد.

غادر غارسيا ماركيز بعد أن هـرغ من تأليف نصف الرواية إلى كارثاغينا أواخر فصل الصيف وتركت نسخة من المخطوطة في حوزة مارغوب، وأخبرها أن تحتفظ بها إلى أن يصل سالماً إلى المكسيك ثم تعلقها. "وهكذا جلست وفي حصني علية بمكسيك فارعة بدأت أُمرفها ورقة فورقة ثم أحرقتها"⁽³³⁾. وبعد أن قام بريرة

عمل إلى أوروبا في خريف ذلك العام، حدثت صدمة كبرى. ففي الثالث عشر من كانون الأول سنة 1984، توفي غابريل إليحيو عارسيا فجأة بعد ذكرى ميلاده الثالثة والثمانين بوقت قصير في مستشفى بوكاغرايدي في كارتاجينا، وكان المرحوم قد دامه مند عشره أيام. يتذكر بيو (إليحيو غابرييل) الذي يُعدُّ عادةً أشد أفراد الأسرة قلقاً. "عندما وافق المية أبي، انقلب كل شيء رأساً على عقب. فقد وصلت إلى المنزل في يوم الوفاء لأجد في حالة عوصى، ولم يكن هناك من يقدر على اتخاذ قرار. حلت الساعة الخامسة عصراً ولم يصل خايمي أو غاييو بعد. فاضطرت إلى أن تُتولى رمام أمور الأسرة وإحراجهم من المستنقع والمصي قداماً. وفي اليوم التالي اجتماعاً للقرار كجمعية ترتيب لأمر، فكانت الحال عوصى عارمة لأن ما من اثنين منا اتفقا على شيء واحد" (34).

هذه امرة فقط حضر عاستو مراسم الدفن إذ تمكن من الوصول يوم التشيع، بعد رحلة استمرت عشر ساعات، من صحتها بديل الطائرة مرات عدة، وكان السابوت يوشك أن يُفل من صالون باروكيال دي مانعا بعد الجسارة. (ووص عوستافو قداماً من فنرويل متأخراً جداً عن موعد الجسارة) وكان برفقة عاستو حاكم مديرية بويغار دتورو ماتسون هيجروا وشارك الاثنان في حمل العرش. كان احاكم يرتدي بدلة سوداء ويضع ربطة عرق. أما غاييتو فقد ارتدى سترة ذات مربعات صغيرة وفيصاً أسود مفتوح الياقة وبطلاً أسود. يتذكر خايمي أن "الجسارة كانت كارثة، وتحولنا نحن الرجال إلى كتبة هلامية عديمة الشكل، وأضحى مجموعة من الأطفال لباكين لا فائدة ترحى ما في تلك اللحظة الواقعية. ولحسن الحظ، كانت النساء حاضرات لتدبر كل شيء" (35). (إن التحول إلى مادة هلامية عديمة الشكل لم يردع الرجال من ريادة صفسية إلى ماحور من أجل الزمان الماضي - لنشرب فقط - والرابطة القديمة).

هكذا فجأة، فقد عارسيا ماركيز أباه إلى الأبد بعد أن أعاد تحديد علاقته به. حقاً كان قد أصبح قرناً جداً من جمع أفراد الأسرة مرة أخرى ولبعض الوقت، لكن وفاة غابرييل إليحيو ولدت بصورة طبيعية وصعاً جديداً تماماً. ويتذكر بيو: "بعد وفاة أبي بصمة أيام قالت أمي محاطة غاييتو مثل أي عواخيرية طسة القلب:

لقد أصبحت الآن مسؤولاً عن الأسرة. فدار حول نفسه وقال: 'وما الذي فعلته من أجلكم؟ وماذا تريد أن تصعبي في هذا الوقت؟' المشككة هي أن أحوالي وأحوايي لا يمكن السيطرة عليهم علاوة على أهم كثرة العدد" (36) أصبح الأديب مشهور على نطاق عالمي الآن مسؤولاً عن أسرة كبيرة ومتشعبة. لقد ساعد من قبل أخوه وأحوايه بأساليب لا عداها ولا حصر - ورائف، ثم الدواء، أفساط المدرسة، القسط العقاري - لكنه مات الآن مسؤولاً عن أمه من الناحية المالية أيضاً. وكان مناسباً جداً أن يحدث هذا كله في وقت أصبح فيه "عودته" المدرجة إلى كرومبيا قائمة، وفي وقت كان يكتب فيه رواية ستد إلى حوادث أدت إلى ظهور أسرة عارسيا ماركير الصغيرة.

اضطر عارسيا ماركير بوماه أبيه وترمل أمه الحرة إلى التفكير لا في الحب والجنس وحسب، بل في الشجوخة والموت أيضاً. وبالرغم من أنه ذكر دائماً أن تأليف روايه الحب في زمن الكوليرا عمل ممتع، إلا أن الأمور لم تكن بالسهولة التي ظنّها. فقد بدأ يجد صعوبة في التكيف مع مسؤولياته في أعقاب جائزة نوبل. وكنت تجربة وفاة أبيه عاريسيل إلى الحزن ومشاهدة أمه تتعبد عداً شديداً معه تمكس الروائي من امتعائها بتدوينها في روايته لا سما في الأقسام الأولى والأخيرة منها. لقد حرمت عاداته لتأصلة باتلاف محبوباته وكل آثار تطورها من تحول حياته المدهش إلى من بعد أن كان حفيصاً واقعية. إن الحاسوب لم يعبر في كل الأحوال محل مسار التأليف الأدبي وحسب، بل راد من صعوبة متابعة مراحل تطوره أيضاً. لقد أراد عارسيا ماركير دائماً أن تكون الرواية انعكاساً لا عن الحب وحده بل عن الشجوخة أيضاً، بالرغم من أن الحب بات أولوية مند مسحه جائزة نوبل. في أواخر صيف العام 1982 كان قد نشر مقالة عن شجوخة لويس بونويل للشباب، أظهر فيها أنه لا يتأمن في هذه القصايا بأملاً عميقاً وحسب - وهي قصايات نشتم على السؤال إن كان حليفاً نكار السن أن يحبوا ويمارسوا الحب - بل به كان يقرأ كتاب سيمون دي بوفورا الرائع سن الرشيد⁽³⁷⁾ وفي شهر شباط سنة 1983. أحر عارسيا ماركير بعد عودته إلى مدينه مكسيكو كاريس سيمون أن فكرته الأولى عن الرواية تلور عن عجوزين يهربان في قارب، وكان ذلك بعد أن قرأ عن عجوزين

اعتادها مراكبي⁽³⁸⁾ وقبل ذلك كان قد قل إنه اعتاد أن يكتب عن كبار السن لأن جذبهم أفضل لشخصين مهمهما. أما الآن فتراه ينتظر شيخوخته. ثمة سطر في رواية بيت الحملات الثالثة لياسوناري كازاباتا استحوذ عليه استحوذاً تاماً: "لكبار السن الموت ولصغار السن الحب، والموت لا يأتي إلا مرة واحدة، لكن الحب يأتي مرات عديدة"⁽³⁹⁾.

عندما التقى عارسيا ماركيز الصحافية لكولومبية ماريلا ألفيرا ساسر في مدينة مكسيكو لتحديث مقبلايه الصحافية في ربيع العام 1985 (رعمت صحيفة سيمان أن عامين مرّاً منذ أن تحدثت لآخر مرة للصحافة حديثاً مطولاً) أخبرها أن القضية ليست شعوره بتقدم عمره، لكنه يلاحظ علامات الشيخوخة ويواجه الحقيقة. ووجد أن الإلهام يأتي غالباً عندما يكون المرء أكبر سنّاً إلا إذا أدرك المرء أن ذلك ليس إلهاماً. الإلهام يشبه الخلوس في بستان والمصفي في الكتابة وكأنك في حالة طفو على السطح". في هذه الأيام "أعرف ما الحملة الأخيرة في الكتاب حتى قبل أن أجلس لكتابته. عندما أجس يكون لكتاب جاهراً في ذهني، كأنني قرأته، لأنني كنت أفكر فيه طوال سير". شعر أنه "بلا جدور" لأنه يشعر بالمشاعر نفسها تماماً حيثما كان في أي مكان من العالم، وكان يشعر بأنه يمر بحالة يتم وعداب" نتيجة لذلك. ثم يتصور بعبارة مذهشة: "لقد دوست كل فانتازياتي، واحدة تلو الأخرى. أعني، أنني عرفت منذ سنين أن كل شيء سيحدث على النحو الذي حدث فيه. لقد أدبت ما عني ويسعي لي الآن أن أقسو على نفسي". وعدّ نفسه "غليظاً تماماً" بالرغم من أنه كان يعتقد، إسوة بتشبي عيفار، أن على المرء أن يحتفظ بجانبه "الرفيق". إن الرجال رقيقون لكن "نسوة" النساء تقذهن وتحميهم. لا يرال يحب النساء، فهو يعيش في نمسه الإحساس "بالامان" وبأنهن "يهتمسن به". واليوم، كما يقول، يجد نفسه ضحراً بالكلام مع أي شخص تقريباً لا تربطه به صدقة، وقلما يستطيع أن يصمي إلى أحد. "إبني صاحب أسوأ مزاج، وإبني أعنف رجل أعرفه. لهذا السبب، إبني الأكثر سيطرة على نفسي"⁽⁴⁰⁾.

تحدث أيضاً عن الحب والجنس بالرغم من أن كلمة الجنس، كما أوضح، لا ترد إلا نادراً في رواياته. ويلجأ إلى استعمال الكلمة نفسها، وهي الحب، في كلا

السياق الذي ينتج جواً غير مميز على نحو يبعث على العرابية لكنه لنشء الكثير عن نكهة ورعما حادية كتاباته في هذا الموضوع.

عندما ظهرت الرواية الحديثة، الكلمة الأخيرة عن الحب، كان الإهداء موجهاً "إلى ميروثيديس، طبعاً"، لكن الإهداء في الترجمة العرسية كان موجهاً إلى تاتشيا.

* * *

تدور أحداث رواية الحب في زمن الكوليرا في مدينة كاريبية يُفهم منها على الفور أنها مدينة كارتاجينا دي إندياس بين سبعينيات القرن التاسع عشر ومطلع ثلاثينيات القرن العشرين. إنها قصة عن الحب والجس، الزواج والحرية، الشباب والشحوخة، وتستند إلى مثلث الجس الطبيب الوقور خوسه أورشو المشي إلى الطبقة العليا، وموظف الشحس فلورنسيو أرنيتا المفتقر إلى الاحادية على نحو مؤلم، وفيرميا داتا الجسء حديثة العهد بالنعمة والإثراء. ثمة عناصر من شخصية بيكرلاس ماركر في خوسه أورشو بالرغم من أنه يستند قبل كل شيء إلى طيب بارر في المنطقة يدعى هيريك دي لاييكا هو في حقيقه لأمر طبيب أسرة غارسيا ماركير (حضر خلال وفاة عابريس إليحيو ليموت بعده بأقل من خمسة أشهر). أما الشخصية الرئيسة فلورنسيو، فعنه عناصر من عابريس إليحيو وعائيتو نفسه، وهذا فهو مزيج غريب ومدهش في الوقت نفسه. كما إن فيرميا مزيج مدهش من ميروثيديس (قبل كل شيء) وشيح تاتشيا والتفاصيل الخارجية للويسا ساتتباعا في شبها وعزها. ينقسم الكتاب إلى ستة أقسام، القسم الأول والأخير مكرسان للشحوخة بوصفهما الإطار لباني للرواية. والقسمان الثاني والثالث مخصصان لمرحلة الشباب، والرابع والخامس لحريف العمر. وتنقسم بنية الأقسام الستة إلى نصفين متساويين يتألف كل واحد منهما من ثلاثة فصول، مما يثير إشكالية في رواية تنقسم إلى نصفين وإلى ثلاثة أقسام، وإلى مثلث يهدد دائماً بالانهيار ليصبح روجاً. على وجه العموم، تطرح الرواية ضمناً امصالحات الأربع الكبرى التي أنجزها عارسيا ماركير وهو يقترب من الشحوخة: مع فرسا، وفوق كل شيء مع بارس (حيث خوسه أورشو وفيرميا يشعرا بالسعادة على وجه الخصوص)؟ ومع تاتشيا التي أعزم بها هالك في

خمسينيات القرن العشرين، ومع كارتاجيا تلك المدينة الرجعية التي ترجع إلى حقبة الاستعمار؛ وربما قبل هذا كله مع أبيه الذي كان قومه في كارتاجيا حساً دائماً.

تبدأ أحداث الرواية في يوم أحد العصور في مطلع ثلاثينيات القرن العشرين بعد تسلم الحرب الليبرالي السلطة للمرة الأولى منذ نصف قرن تقريباً. يلقي حوفيندل وأرييو مصرعه وهو في العقد الثامن من عمره عندما يسقط عن سلم ارتقاها في محاولة منه لإنقاذ بقاء الأسرة، في اليوم نفسه الذي دفن فيه صديقاً قديماً وكشف حقيقة مرعبة بشأنه. ففي جنازة أورييو يحاول فورتيو أريشا، محبوب روحته فيرميسا السابق، أن يدكي نر القصة التي حدثت بينهما عندما كانا مراهقين قبل ما يربو على نصف قرن من الزمان. أما بقية الرواية فتشتمل على سلسلة من الاسترجاعات المدججة بعناية، تتقص علينا أولاً قصة ذلك الحب الأوي ثم تدخل حوفينال ورواج فيرمينا بحوفينال ورحلتها إلى باريس وإياه وصعود حوفيندل سلم الشهرة بوصفه حجة كارتاجيا الرائد في موضوعات الصحة لا سيما وباء الكوليرا وبمؤامرة هذا كله، تابع مسار فورتيو عمر الشرعي، المنحدر من أصول سوداء حرمياً والأقل مراعاة للأعراف والتقاليد: إذ يقرر يسوره أنه لا بد له من أن يصحى مواطناً محترماً فيرتقي رويداً رويداً سلم المناصب في شركة الشاحن التابعة للعم. لكنه في الوقت نفسه، وبسبب انقراض الذي اتخذه بانتظار فيرميسا أطول مدة نحتاج إليها من حق وفاة روحها إن اقتضى الأمر بدأ إقامة سلسلة من العلاقات مع مختلف النساء وأوهن المعاهرات والأراميل فضلاً عن فتاة قريبة لها من العمر أربعة عشر عاماً وتدعى أميركا فيكونا تتحرر عندما يهجرها ويختار فيرميسا التي ترملت مؤحراً عندما تصل الرواية إلى نهايتها. وعلى القيص من ذلك، ليست لحوفينال سوى علاقة واحدة عابرة مع مريضة سوداء من جامايكا، وكلفت تلك العلاقة زواجه تقريباً.

بهاية الفصل الثالث، وهو مصنف الرواية، يبين لنا أن فيرميسا دانا الكولومبية المنحدرة من أدنى الطبقة الوسطى قد رفضت الكولومبي الأصل فورتيو أريشا وفضضت عنه حوفينال أوريو "الفرنسي" المنتمي إلى الطبقة العليا إلى الحد الذي

تعرف فيه. كما حوفينال، إلى أوروبا، على حين م يعادر فلورنتينو أريثا كارناحينا ولا يملك أي رغبة في الرحيل عنها. يمثل حوفينال أوريينو الطبقة العليا في كارناحينا التي كان عارسيا ماركير يكتب ها، بمعنى ما، في أثناء تأليفه كتابه. وهذا، يُظهر لك الرواية في منتصفها إلحاق أوروبا والحدث المبرمة بالعالم الكريولي أو المصحين المتخلف الذي تمثله الطبقة الدنيا عبر الشرعية في كولومبيا. ثم يعبر النصف الثاني من الرواية كل هذه الاتحادات عندما يطور فلورنتينو من موقعه ويحصل في نهاية المطاف على "العلة".

بالرغم من أن حوفينال أوريينو يمثل هنريك دي لايغا والعقيد وغابرييل إليخيو - "الطبيب" - إلا أنه يمثل كل شيء عن الطبقات العليا التي يحسدها عارسيا ماركير ويحجبها ويبرر منها ويحصرها في آن: اسحب الحاكم في بوغوتا وكارناحينا، المترجحه كثيراً في السنوات الخمس والعشرين الأخيرة، نحو بوغوتا التي كان عارسيا ماركير يعتقد أنها رفصته، ونحة كارناحينا التي رفصته هو والدة. يلاحظ بالرغم من ذلك أن الرواية بأي معنى من المعاني الأرية لا تنور حول صراع أو تماس بين الرجال، بل هي عن علاقات بين مختلف الرجال والنساء.

أما العواد فعن أعية يعنيها ليوناردو ديث، وهو معن صرير من معني أعاني التروبادور العالياتو: "الكلمات التي ساعبر عنها: لها الآن سادتها المتوجون" إن هذه الإشارة المركبة التي ستحصر إلى حد ما بلاد الإغريق القديمة والسكية، والإساسة الإمبراطورية، وكولومبيا الطيفه الدي التي اشتهرت بمهرجانات الجمال، تطوي على صراعات ثقافية متباينة في الرواية. لقد أصبح عبر الرواية، الذي يلدو من الوهلة لأولى أقل عماوين عارسيا ماركير فتة وجادية، واحداً من أكثر تعاوين المحبوبة والمثيرة للإعجاب: إنه عواد يتحدث عن الحب وعن الرمان: حب بوصفه مرضاً أو علة لا تقاوم، كما هي الحال دائماً مع عارسيا ماركير، ورمال بوصفه اسنمراراً وتاريخاً، ويوصفه أيضاً أسوأ الأمراض قاطبة، مرضاً يقضم كل شيء. ولكس الرواية بالرغم من ذلك ستوقف في لحظة يكون الرمان فيها معلوباً عليه بصرف النظر عن صفته الزائفة.

من بين المصالحات التي تحققت بتأثير هذا الأديب الذي يحج نحاحاً باهر^{٤١} الآن، والذي بدأ يقترب من أواخر عريف العمر، ثمة مصلحة، وإن بدت تحكيمية ساخرة وتنتمى إلى ما بعد الحداثة، مع الرواية البورجوازية نفسها ومع الطبقة البورجوازية الكولومبية الحاكمة، وإن كانت مصلحة تطوي على مفارقة ونقد، ليست منه الرواية عملاً من أعمال سندان أو فلوهر أو يلزك (بمعنى أن تكون عملاً من أعمال دوماس أو لاريود وإن انطوت على محاكاة ساخرة)⁽⁴¹⁾. لكن هذه الرواية "تعرف" كل شيء، عن تلك الروايات، ولكنها تلعب لعبة معايرة تماماً. إنها تدأب مد السطر الأول ذلك المعنى الذي ينقلنا إلى الماضي وتذكرنا "حنماً" بحيث لا يعوض. كثير من العاصر هي عناصر القصص الرومانسية الرخيصة أو الاجتماعية التي تعالج المشكلات المزلية أو الموسيقى الشعبية في أميركا اللاتينية، وهم يحاول المؤلف أن يوه به. لكن هذه العاصر تقابلها قواعد وأعراف حاضرة في الرواح البورجوازي والاحتفاظ بالمظاهر. لقد حاطر عارسيا ماركيز محاطة كبيرة هيا بسمعته الفنية، إذ تغدو الرواية، بمحملها، حليطاً عجيباً من السطحية والواقعية للعبة ونحرو على نصفي أكثر العبارات المألوفة "بندلاً" في رسائل ترسل إلى أعمده المعدين والحقائق النائية التي تعطى إجابة عنها؛ إنك لا تعرف حقاً أي شخص. إنك لا تستطيع الحكم على الناس. في إمكانك بعض الناس أن يغيروا من سلوكهم، وبالتالي شخصياتهم. وفي وسع آخرين أن يبقوا على حالهم من دون تغيير إلى ما لا نهاية بالرغم من مرور الزمن. إنك لا تعرف أبداً ما الذي سيحدث في الحياة. إنك لا تفهم الحياة إلا عندما يكون الأوان قد فات؛ وحتى في تلك اللحظة، قد تغير من وجهة نظرك إذا ما عشت عمراً أطول. يصعب الوعد بشأن الحب والجنس، ويصعب أكثر فصل الحب عن الجنس، ويصعب كثيراً فصل الحب عن العادة والامتنان والاهتمام الدائم. يمكنك أن تحب أكثر من شخص واحد في الوقت نفسه. هناك صروب من الحب، ويمكنك أن تحب الناس بطرائق مختلفة كثيرة. ولا يمكن معرفة ما هو الأفضل: حياة الغزوية أم الرواح أم الحياة البوهيمية أو التقليدية. كذلك، يصعب كثيراً أن تعرف إن كان الأمان أفضل من المعامرة أو بالعكس. لكن لكل ثمة الواجب دفعه. من جهة أخرى، لا توجد سوى حياة واحدة، ولا توجد

فرصة ثانية أنت لم تبلغ من الكبر عتياً بعد وبالرغم من هذا، وبالرغم من ذلك وبالرغم من ذلك، فإن الحياة الواحدة ليست بأفضل من الحياة الأخرى. هذه الموضوعات كلها تتراءى في القسم الأول ثم تخرج ببقية الرواية

لقد اكتشف القراء في رواية مئة عام من العزلة أن حمرة ميلكيداس تميد بوصفها فضاء أدبياً، وأن ميلكيداس كتب القصة التي نقرأها قبل رمائها بقرن من الزمان. وفي حدية رواية الحب في زمن الكوليرا يكتب فلورنتينو أريشا رسالة طويلة إلى فيرمينا دانا، إنها ليست رسالة حب بل "نأس شديد في حياة تستند إلى أمكارة، وإلى تجارب الرجال والنساء، والعلاقات التي تنشأ بينهم"، فتعلمها بوصفها رسالة تأمل "في الحب والحياة والشيخوخة والموت". إن نطاق هذا الطموح المرتبط بسهولة الوصول إلى العمل اندهشه يعي من بعض الأوجه أن الرواية تنمى لرواية مئة عام من العزلة التي لم تستطع رواية خريف البطريق أن تكملها.

مرع غارسيا ماركيز من روايته وأماها بعبارة "مدى الحياة"، وأرسلها إلى الموسمو فويسمايور في بارانكا ليقراها هو وخيرمان فارغاس. وتسمت كارمن بالميليس نسخة أيضاً في لندن، وردد أنها أمصت يومين سكي فوق المخطوطة. واضطر غارسيا ماركيز إلى عقد اجتماع عمل معها، فقرر أن يبدأ أولاً ببيورك وهو في طريقه إلى أوروبا كان صديقه القديم غيرمو أعولوا آنذاك قصلاً كوتومياً في التفاحة الكبيرة*، وكان المصور هيرنان ديات هناك أيضاً لم يكن غارسيا ماركيز متحمساً جداً لانتهاه من كتابة الرواية وحسب وهي الرواية التي أثارت تحولاً جديداً في مسيرته الروائية - بل لأنه كان يمر أيضاً بمرحلة الحماسة واللوعة اللتين يمر بهما كل مسخلمي جهاز الحاسوب في الأيام الأولى: هل كان لديك بدل؟ هل الأفراس هارعة؟ أمكنتك حفظها في مكان آمن كي لا تعرض إلى السرقة أو نصاب بضرر مادي؟ كان مدركاً كل الإدراك أنه واحد من أوائل الأدباء المشهورين في العالم وربما أولهم، في إهاء تأليف كتاب صحم على جهاز الحاسوب. سافر جواً إلى نيويورك برفقة ميرثيديس وعونثالو وألكراندريا بارتشا بعد أن وضع الأقراس التي تحتوي على الرواية معلقة في رفقه شأنه شأن ميلكيداس الذي عثر على حجر الملسوب، ولم يطق يحمل ضياعه⁽⁴²⁾.

اصطحب عارسيا ماركيز ابنه الأصغر إلى سكرينر، إحدى أشهر مكبات مدينة نيويورك، وكان يمر من أمامها يومياً في سنة 1961 وهو في طريقه إلى مقر عمله. وصدم هيرنان دهاث عندما اكتشف أن سكرينر لا تحتوي كما يبدو على مؤلفات صديقه دافع الصيت، لكن اتضح أنها في قسم "الكلاسيكيات". وتبع ذلك عاء وإهداءات عندما علم العامون في المكبة من يكون هذا الرجل الصغير الذي يرتدي ستره ذات مربعات صغيرة. كما اقترب منه المارة في الشارع وهو يستمتع تناول القاقق النيويوركية الحارة فيما المصور يخلق إليه. ثم ذهب إلى محل متخصص ومسح النسخ الست الأولى من الكتاب في غضون دقائق وهو مندهش كما اكتشف ثجاً⁽⁴³⁾.

في حريم العام 1985 سافر عارسيا ماركيز جواً إلى برشلونة ولا تزال الأقراص الثلاثة متدلة من عنقه كي يسلمها شخصاً إلى كارمن باليسلس. برل في فندق الأميرة صوفيا، وفي ذلك الوقت اقتحم لصوص عرفته، وهذا ما كان يخشاه، وسرقت منه حاجيات لكنه أخبر الصحافه أنه لم يكن يتصور أن اللصوص كانوا يريدون الاستيلاء على مخطوطة روايته الحب في زمن الكوليرا.

كان عارسيا ماركيز خارج كولومبيا عندما حانت واحدة من المحطات السياسية الحاسمة في تاريخ البلاد في اقرن العشرين. فقد كان الثورتر آخداً في الاردياد مع حركة أم - 19، وفي الثالث من ثور تحتل الحركة عن وقف إطلاق النار الذي كان قد أعلنه بيتانكور، فازلقت البلد نحو الكارثة. (ارتاب عدد كبير من الثوار في أن بيتانكور كان يجدهم إلى مع تاريخي بدلاً من أن يسمى لعملية سلام دائم). وفي التاسع من آب، كان عارسيا ماركيز قد قال إن عسى وريبر الدفاع ميعيل يفا أوريبسي أن يستقبل إثر القمامات وجهت إليه ممارسة التعذيب. وفي الثامن والعشرين من آب، اغمال رجال الشرطة إيمان موديو أوسيا رعيم حركه أم - 19 اجديد بعد موت حاجمي بالمان صديق غارسيا ماركر. وأخيراً، وفي السادس من تشرين الثاني استولى الثوار على قصر العدل، وهو مبنى المحكمة العليا في بوغوتا، فابتأت بذلك سلسلة من الأحداث التي أنارت هلع المشاهدين في جميع أنحاء العالم عندما بدأ التلغاز يكشف عن عنف

الأحداث وظهر حلمي، شقيق رئيس الجمهورية الكند، على مسرح الأحداث مره أخرى بعد أن كان قد احتفظ مؤخرًا، صرلت قوات الجيش الكولومبي بالدبابات والمدفعية وأهت حصاراً استغرق سبعا وعشرين ساعة فيما العالم يشاهد ما يجري في دهن. وقتل ما لا يقل عن مئة شخص من ضمنهم رئيس المحكمة العليا ألفونسو ريس إتشاندبا. كما أصيب القاضي هومبرتو مورينا في ماقه في أثناء محاولته الهروب حيث رمى الساق - الخشبة بعيداً وهرب من القاء الخندق. وقتل قادة الهجوم، لا سيما أندرياس أماراليس. في المعركة من بين كثيرين غيره. وراجت شائعات قوية تعيد أن الجيش وليس بيتانكور، هو الذي يسيطر على رمام الأمور - ولا تزال القضية مثار جدل حتى اليوم - وقد أخبرني بيتانكور في وقت لاحق أنه قد جرى النصر إلى بقاء عارسيا ماركيز صامناً على أنه "عمل من أعمال الصداقة"⁽⁴⁴⁾. وبعد أسوع واحد حدثت مصيبة أخرى هزت كولومبيا، إذ انفجر بركان بيغادو دى رويث ودهس مدينة آرميرو وقتل ما لا يقل عن خمسة وعشرين ألف شخص.

كانت مأسة قصر العدل هي القشة الأخيرة عند عارسيا ماركيز. فقد شنرى شقة حديدية وأرسل حزماً مهماً من الثياب والملوكات إلى بوغوتا، إلا أنه لم يتقل إليها. وفي اللحظة نفسها التي جرت فيها الحادثة، كان يفكر في العودة جواً إلى بوغوتا لكنه ذهب إلى باريس عوضاً عن ذلك، حيث بدأ يفكر في الأمور مرة أخرى، فالعى خططه بالعودة إلى كولومبيا وذهب إلى مدينة مكسيكو حيث كان الزلزال قد دمر المدينة مادياً لكنه أعشها معوياً في ذلك الوقت، كان عارسيا ماركيز يخطط لمشروعه الجديد - رواية عن بوليفار - وكان قد التقى لسرة الأولى المؤرخ غوستافو غارغاس في أيلول سنة 1985.

في الخامس من كانون الأول، وبعد هذه السلسلة المتلاحقة من الكوارث التي حلت بكولومبيا، صدرت رواية الحب في زمن الكوليرا، فأثارت دهشة القراء والبقاد في جميع أنحاء العالم لأنها قدمت إليهم عارسيا ماركيز من طرار جديد، قدمه كائناً حوياً معه إلى حد ما، إلى ما يشبه رواياتاً من القرب التاسع عشر، ولكنه يكتب في الأرملة الحديثة، ورجلاً لم يعد يكتب عن السلطة بل عن الحب وسلطة

الحب، وتفقدوا الرواية بين الناس الذين أحبوها هي الأكثر شعبية من أي رواية أخرى. كانت رواية الحب في زمن الكوليرا التي نشرت بعد عشرين سنة تقريباً على نشر رواية مئة عام من العزلة ثاني رواية تمح انتقاد وعموم القراء متعة الكتابة عن العلاقات الإنسانية والعالم الخاص بوصفه واحداً من أمور ما يشغل ذهنه، وأن يجعل من هذا الموضوع مركز نشاطه المتجدد في صناعة السينما⁽⁴⁵⁾ وربطت اسمه لا بالحب والعاطفة والانتماءات والرهور والموسيقى والغذاء والأصدقاء والأسرة وما أشبه وحسب، بل بالحرف الخارف أيضاً والنظر إلى الورداء صوب الطرقات الفلسفية في الماضي، وإلى الدروب والأهمار التي كانت قائمة يوماً ما: عطر العوافة وعبير الذاكرة. وستسمح به هذه الفصائل بأن يحطها في التيارات السوداء الموجودة دوماً في ذهنه تحت عطاء كتابته لاسرة.

حتى صحيحه التيمير نزع عنها صلاحها. فقد توفعت الصحيحة في الأول من كانون الأول، نسل نشر لكتاب، أن الرواية "ستأتي بالحب إلى بد مصاب بالكوليرا". ولم يطر إلا عدد قليل جداً من النقد نظرة سلبية إلى الرواية. غير أن الاستقبال الذي حظيت به كان بصرأ، وكان أحد الردود المتميزة متملاً بإطراء استثنائي صادر عن واحد من أكبر الروائين اسشككيين قاطبة وهو توماس بييسوب عند نشر الرواية بالإنكليزية. فقد قال يشون إن لغارسيا ماركيز حرأه مذهشة للكتابة عن الحب في هذه الأزمنة لكنه "أدى مهمته بنجاح".

و - آه أيها الفتي - هل يكتب كتابة جيدة. إنه يكتب مسيطراً سيطرة متجردة، من وسط لحد، اجنوبي. لا يوجد هناك ما قرأته كهذا الفصل الأخير المدهش، السيمفوني المظمن إلى قوته وإيقاعه، فيتحرك مثل قارب مصري أيضاً، مؤلفه، ألا وهو ملاحه، يملك تجربة عمر في قيادتنا في هذا النهر الذي يعرفه كلنا، والذي لولا إبحره، لما كان هناك حب، ولدي في حال السير عكس تياره، يكون الجهد المبدول من أجل الرجوع لا يستحق أبداً اسماً أقل شرفاً من اسم التذكرو. في أفضل الأحوال، ينتج هذا في أعمال يمكنها أن تعيد أرواحنا المهككة إلينا، والتي تنمي إليها على وجه التأكيد رواية الحب في زمن الكوليرا، تلك الرواية الذكية التي تقطر القلب⁽⁴⁶⁾

بعد خمس عشرة سنة قال غارسيا ماركيز لي:

لقد نظرت إلى رواية الحب في زمن الكوليرا مؤحراً حولي الدهشة حقاً. إن قدراتي كلها موجودة فيها، ولا أدري كيف تدمرت أمرها، وكيف كنتُ عن كل ذلك. شعرت حقاً بالرهو. على كل حال، لقد مررت... لقد مررت ببعض الأوقات السودوية في حياتي"

- ماذا؟ بل مئة عام من العزلة؟

- لا. في السنوات التي أعقت جائزة نوبل. لقد فكرت غالباً في أبي ساموت، ثم شيء ما هناك، في المهلاء، شيء ما أسود، شيء ما تحت سطح الأشياء⁴⁷

* * *

-22-

خلفاً للتاريخ الرسمي:

بوليفار غارسيا ماركيز

(الجنرال في مئاته)

1986-1989

مثلما أثبت غارسيا ماركيز بشر رواية خريف البطريق في العام 1975 أن رواية مئة عام من العزلة، من غير م، وأن على عالم الأدب أن يتوقع منه أن يكون حاصراً لقطع المساحة الطويلة، فإنه أثبت لأن روايه الحب في زمن الكوليرا أنه ليس واحداً من أوثق الكتاب الذين تنتهي حياتهم بصعظ تكريمهم جائزة نوبل وكان غير كنه دمج موضوع الحب في كتابته، يوازيه يؤكد جديد على السم والدفعه و انتعاش في مشاعه اسباسي. فقد كان واضحاً أن حكومه ريعان لم تكن مستعدة لسماح بأي نصر يحققه أي نظام نوري في أميركا الوسطى والكاريبي. كما أصحى لكوبون الذين أهموا معظم الحركات الثورية وشجعوها، أكثر حذراً من دي سل، لأن الترامهم الثقيل امتد إلى تحرير جنوب أفريقيا ولم يكونوا قادرين على التعرض لصعظ أكبر من لولايات المتحدة في الكاريبي. إضافة إلى ذلك، لقد بدت ستطورات في لاعاد السوفيالي توضح أن الاعتماد على الترم اتحاد الجمهوريات السوفيائية الاشتراكية مانوره العنية على مدى أطول غير مأمون وفي الوقت نفسه، كان ريعان قد وجه صعوبات في مواسته الحرب ضد الثورة في نيكاراغوا، بل قد ثبت أنه حساس إزاء مباحث السلام. (في أواسط العام 986 اكتشفت محكمه العدل الدولية في لاهاي أن الإدارة الأميركية حرقت القاون

الدولي بتقديم دعمها إلى متوردي الكونترا في نيكاراغوا. وفي وقت لاحق من عام نفسه انتشرت قصيدة إيران - عيت في الولايات المتحدة نفسها، فاهتزت لها حكومة ريعان برمتها)

وسمى في كولومبيا، كانت ثمة عملية سلام منذ أن جاء بيتانكور إلى السلطة سنة 1982. بالرغم من أن معظم المراقبين حينها يتسوا من قدرته على متابعة العملية بنجاح، وكان غارسيا ماركيز حسه يتحدث بتشاؤم متزايد عن الطريق الذي تسير فيه البلاد. في أواخر تموز 1986، حذر من أن كولومبيا "على شفا محرقة"، وأن الأحداث الرهيبة التي جرت في قصر العدل في أواخر سنة 1985، كانت نتيجة حتمية للمزيج الأصار للثوار المدعوم وقوات الحكومة القمعية والتفصير لعام والصف¹¹. ربما سيكون المراقبون الحياذيون أكثر تأثراً لو أن هذا التصريح صدر قبل الأسبوع الأخير من ولاية بيتانكور، وبخاصة أن منظمة العفو الدولية كانت تتفقد انتقاداً شديداً بيتانكور بصدده انتهاكات حقوق الإنسان التي ينفذها العسكري. نتيجة لذلك، كان التحذير موجهاً إلى حكومة بيرخيليو باركو الليبرالية المقبلة، وليس إلى صديق غارسيا ماركيز المحافظ بيتانكور.

وهكذا، بدأ غارسيا ماركيز يجي خطاباً ديمقراطياً اجتماعياً مباحصاً للاستعمار كمي يتلاءم مع رسالته عن السلام والحب، إلى الحد الذي لا بد من أن يكون فيه قد أثار حفيظة أصدقائه العدائي، وأدخل البهجة في قلوب أعدائه الذين لس يشعروا بالرضا إلى أن يطاح به ويبدل من فوق جواديهما. كما أن فارغاس بوسا وصفه مرة أخرى بأنه "تابع لعيدل كاسترو" وأنه "انتهازي سياسي"¹². وكانت الصفة الأخيرة غريبة على رجل يسبب لنفسه مشقة سياسية كبرى مساند كوبا، بل وكان مستعداً أيضاً لأن يمنح أموالاً طائلة دعماً لالترامانة السياسية، وهو ما أظهره إزاء مجلة التارابايا في كولومبيا في سبعينيات القرن العشرين، وكما سيكشف مرة أخرى على حلق أوسع بكثير في كوبا.

ففي كانون الثاني سنة 1983 كان عابرو فيدل قد بدأ حلال لقاتهما لأول في أعقاب مغامرة غارسيا ماركيز مع جائزة نوبل، يعلمان بتأسيس مدرسة للسمم الأمر كبة اللاتينية يكون مقرها هافانا، بعد أن أدرك فيدل إدراكاً متزايداً - وري

متأثراً أكثر الثقافة الإيديولوجية، وهو الذي كان ملماً بظاناً واسعاً بالدعاية، وكان بلا ريب معجناً بمكانة عارسا ماركير وتأثيره على نطاق علمي بعد محه حياته بوس. وفيما كان يفاخر موضوع سيم مع عارسيا ماركير، بدأ يتساءل إن كان تأثير السيمما أشد حتى من تأثير الكتاب، ونساءل أيضاً إن كانت السيمما الأميركية اللاتينية مؤحراً، تستوي في تأثيرها والأحلام العظيمة التي شهدتها سبببات وسببببات القرن العشرين التي كان انصار الثورة قد ألهم جميع رجاء القارة، ومن صممها كرونا نفسها. عندما جلس الاثنان معاً على شاطئ الكاريبي يتناقشان نقاشاً جاداً، كان لغيره حتماً أسلوبه المولع بالقتال في تصور الموضوع "لا بد لـ من أن يطلق ملك السيمما... وبعد أن أمضيت عشرين سنة في الكهاج، أعنفد أن تلك الأشرطة السيممائية أشبه ما تكون سطارية مدفع تضيق النار داخلاً وخارجاً. كم هي ثرية السيمما عندما بهذا الأسلوب؟ طبيعي أن الكتب تؤثر في الناس تأثيراً كبيراً، لكن قراءه الكتاب تتطلب ملك عتشر ساعات، اثني عشرة ساعة، يومين. أم مشاهدته شريط سيممائي وثائقي، فلا تتطلب سوى خمس وأربعين دقيقة"⁽³⁾. وإذا كان كاسترو قد تأثر بالقوة غير المتوقعة بمنزل من هوليوود في البيت الأبيض الأميركي، فذلك من باب الخلدس والتحمين، لكنه بدأ هو وعارسيا ماركير يتحدثان عن إمكانية تأسيس مؤسسه سيممائية أميركية لانيه مركزها في هافانا، لتكون وسيلة لرددة الإتحاح القاري، وتصوير استنونات، وتحرير الوحدة الأميركية اللاتينية، ونشر القيم الثورية أيضاً.

ما إن هرع عارسيا ماركير من تأليف روايه الحب في زمن الكوليرا حتى بدأ يعمل في مشروع جديد. في السنوات الممتدة بين 1974 و1979، كان قد ركز جهده في الصحافة السياسية، ولكن هاجس السيمما عاد بحلول عام 1980 واستمر حتى تسعينيات القرن العشرين، وكانت المقالات التي كتبها بين عامي 1980 و1984 عالياً مرتطه ارتباطاً وثيقاً بآسيا عمومياً، ومشاريعه المحددة خصوصاً. وكان أكثر مشاريعه السيممائية طموحاً تأسيس مؤسسة السيمما الأميركية اللاتينية في هافانا، والمدرسة العالية للسينما والتلفاز التي مقرر أن يكون مقرها في سان أنطونيو دي لوس بابوس خارج المدينة⁽⁴⁾. وهنا يضع عارسا ماركير أمواله حيث يوحد همه

النوري، وكان شعاره عندما لا يكون السياسة محكمة، تحوّل إلى الثقافة. وكان هدف مؤسسة السيمما هو العمل على توحيد إنتاج لأشرطة السيمائية ودراستها في القارة، كما أن هدف المدرسة هو تدريس صناعة الشريط السينمائي نظرياً وعملياً، لا للشبان الأميركيين اللاتين وحسب، بل لطلاب من مختلف أنحاء العالم. بحلول العام 1986، كانت الحظوظ المرسومة لكلتا المؤسستين الخدينتين قد قطعت شوطاً بعيداً، وكان غارسيا ماركيز على اتصال وثيق بصناع السيمما الراديكاليين بخصوص تطورات مستقبلية. لكنه بدأ العام، لا بالعمل في شريط سينمائي، بل بكتاب عن صناعة الأشرطة السينمائية. وكان صديقه صانع الأشرطة السينمائية التشيلي الذي يعيش في المعنى ميغيل ليتين قد عاد سراً إلى تشيلي في أيار وحزيران 1985، وهرب من دون أن يلاحظه أحد مع مئة ألف قدم من شريط سينمائي عن يوشيت⁽⁵⁾. ورأى غارسيا ماركيز في هذا فرصة للانتقام، بعد أن شعر بوضوح أنه كان قد هُزم مرعباً على يد يوشيت عندما عاد إلى نشر الروايات قبل سقوط الدكتاتور، فالتقى ليتين في مدريد في مطلع سنة 1986 للتباحث في أخبارات المناخلة. وهناك، أجرى مقابلة استغرقت ثلثي عشرة ساعة على مدى أسبوع، ثم عاد إلى المكسيك واخترع سمعة صفحة من السرد إلى منه وخمسين صفحة. وذكر: "فصلت أن أجعل قصة ليتين بصير المفرد المتكلم بالاحتفاظ بنبرتها الشخصية - وإسرية لي بعض الأحياء - من دون أي إضافات درامية أو ادعاءات تاريخية من جانبي. إن أسلوب البعض الأخير هو أسلوب سي ما دام صوت الكاتب غير قابل لتسلسل... على كل حال، حاولت أن أبقى على المصطلحات التشيلية للبعض الأصلي كما هي، احتراماً لأسلوب الراوي في التفكير الذي لا يتفق دائماً مع تفكيري". وصدر الكتاب ميغيل ليتين مرأى في تشيلي عن دار نشر أويخا نيفرا في أيار 1986 تحتين وحسين ألف نسخة⁽⁶⁾. ولا بد من أن غارسيا ماركيز رضي كثر الرضا في تشرين الثاني عندما أحرقت السلطات التشيلية خمسة عشر ألف نسخة من الكتاب في مرءاً بالارايسو التشيلي. لو أن حكومة تشيلي لترمت الصمت، لكان ذلك رد فعل أشد تأثيراً، لأن ما من أحد عرف به بالرغم من أن الحكومة كانت في عامها الأخير.

بالرغم من هذه السباحة القصيرة في ميدان الإنارة السياسية، فإن عارسيا ماركير كان ملتزماً التزاماً شديداً برسالة الجديدة كمحقق للسلام، الذي اتفق به كي بلقي كلمة في السادس من آب من ذلك لصيف في مدينة إكستابا في المكسيك خلال المؤتمر الثاني "لمجموعة الدول الست" التي تهدف سياسياً إلى الحيلولة دون محرقه سووية. وحثت الدول الست (وهي الأرجنتين واليونان والهند والمكسيك والسويد ونسرايا) على تعليق كل التجارب النووية في الذكري الحادية والأربعين لسمير هيروشما⁷⁷. ابتداء المؤتمر بكلمة لعارسيا ماركير بعنوان *جناحه داموكليس*⁷⁸، وقد حدد فيها من أن الأموال تُنفق على التسليح بالرغم من إمكانية حل مشكلات العالم، وأن الصراخ وحدها التي سنقى على قيد الحياة بعد المحرقه النووية⁷⁹. كانت كلمة عن مستقبل الأرض قد قرئت بالترادف مع كلمته في احتفال بوبل عن قدر أمير كا اللاتينية.

الصحق رودريغو في ذلك الحريف بمعهد الفليم الأميركي في لوس أنجلوس - وهي خطوة تناقض تماماً نشاطات أبيه في هافانا الثورية - جاءت بعد أن كان عارسيا ماركير يعد الترتيبات اللازمة لمؤسسة السيمما الجديدة. ومن المقرر أن يبنى رودريغو هناك أربع سواب، في حين كان عونزالو قد انتقل إلى المكسيك مع صديقه بي أليثوندو، وعمل في مشروع خاص به وهو تأسيس دار نشر ربيعة المسوى باسم الأكليريسا (بهران على جبل مشهود) مع ديفغو عارسيا إيو، وهو ابن حومي عارسيا إسكوت وماريا لويسا إيو⁸⁰ وكان من أول مشاريعهما نشر قصة *أثر دمك على الثلج* في شهر تشرين الأول بصيغة أيقية جداً.

كان عارسيا ماركير نفسه مهتماً بتشجيع أشرطة سيمماته الجديدة مستعنه بحققها محررون أميركيون لانسون، لكن صاع الأشرطة السيممائية الآخرين كانوا مهمين أكثر باقباس رواياته لسيمما. ففي سنة 1979، صنع المخرج المكسيكي حاكمي هيرموسيلو شريطاً سيممياً بعنوان *عزيرتي ماريا* عن نص كتبه عارسا ماركير وفي مطلع ثمانينيات القرن العشرين، حقق المخرج البرازيلي روي غويرا الشريط السيممائي *أريدبر*، وهي قصة غير معدلة تقريباً مأخوذة عن رواية عارسيا ماركير القصيرة، وتدور حول فتاة مراقة من مصطفة عواحرا الكولومبية اضطرت

إلى التحوّل إلى عاهرة - توفر خدماتها لعشرات الرجال يومياً - كي نعوض لخداف
القسية عن حرق منزله قضاءً وقدرًا. في نهاية المطاف تقلل أريدور قيمة حريته
حتى قدرها، فتعجز يوسيس الشاب الذي يحبها وتهرب منه بعد أن ساعدها على
قتل جدتها والمهرب من مسرتها؛ إن إعادة كتيبة أثوية مثيرة للاهتمام لقصاص
الحياث الأوروبية الأسلوب عن سندريللا والساحر ب ولأمير اوسيم. وفي شهر تموز
سنة 1984، كان أن أعلن عن إعادة حور حه علي نريانا صبح قصة عصر الموت،
التي أنتجها بعد محاولة ريشتان الأولى بعشرين سنة، وستعرض على شاشة التلفاز
الكولومبي في السابع من آب. في هذه المرة، صبح اشريط السينمائي في كوبومب
وليس في المكسيك، وبدلاً من وليس بالأسود والأبيض. ومرة أخرى تثبت صحة
قتل بيكولاس ماركيز لمساردو. وكما هي الحال من قبل، فإن دقة حكم عرس
ماركيز السوفوكلة التحققة، التي توارى دفة الساعة، مدهشة بالرغم من أن مله إلى
الحكم والأمثال للادعة بدلاً من الحور الواقعي، كان تشويشاً سيئاً احظ وفي
كانون الأول سنة 1985، كانت صحيفة أكسيلسيور قد أعلنت عن بدء العمل
بتصوير يوميات قصة موت معلن. وكان فرانيسكو ووري في مومكس مع الي
وأنطوي ديلون (لكن آل سيرك العمل لاحقاً)⁽¹¹⁾. ومن بين نجوم الشريط، كل
من إيريس بانس وأوريليا موتي وروبرت إبيريت. وعندما كتب ميشال براندو في
اللويمود عن الشريط السينمائي في أيلول 1986، ركز على الجهود التي بذلت لأجل
تصويره في البلدين الساحنيين كارتاجينا وموموكس ليكون نسخة من
القصة نفسها⁽¹²⁾.

في الرابع من كانون الأول سنة 1986، افتتحت المؤسسة خلال مهرجان
هاغان السينمائي اثامس بكلمة من غارسيا ماركيز. رئيس المؤسسة، ومعاينة ورعت
على نطاق واسع مع بيدل - اندي لم يعرف عنه أنه من رواد السينما الكبار -
وصبح كلمات من غريغوري بيك الذي كان يرور المدينة آنذاك. قال غارسيا
ماركيز في كلمته إنه كان في الفترة الممتدة بين 1952 و1955 موجوداً في سترو
سبيرميتالي دي سينانوغريا في روما بصحبة خوليو غارسيا ماركيز إسبوسا،
وفرناندو يري، وتوماس عيتريت. وكانت الواقعة الإيطالية الجديدة التي ألهمتهم

كلهم في تلك الأيام "أشبه بالسيمما التي يريد أن تصفها نحن، بينما بأقل الموارد، لكنها الأكثر إنسانية"⁽¹²⁾. ووصلت أحلص النهائي من بعمار بيرعماد، وفرانيسكو روزي، وأغنيس نارد، وبيتر بروك، وأكيرا كيروساوا. وفي الخامس عشر من كانون الأول، انسحب بنورها المدرسة الدولية للسيمما واللفرد، وأصبح صديق غارسيا ماركيز القزم هيرناندو يري مديرها الجديد. وبعد أسبوع واحد تقريباً، أعادت الأخبار أن المؤسسة تصدد إنتاج سبعة نصوص كتبها غارسيا ماركيز بنفسه، وهو رقم قياسي ربما لتحقيق نتائج سريعة على يدي شخص من داخل المؤسسة. وكان أقرب المساعدين إلى غارسيا ماركيز خلال السنوات القليلة التالية هو الكيمياء بينا المحرّح الكوبي لأشرطة المؤسسة، وأليسيو ألبرتو ديبغو المعروف أمام الجميع بالكعبة ليتشي، وهو ابن أليسيو ديبغو أحد أعظم شعراء كوبا ولن يعمل ليتشي مع الرئيس الجديد في التدريس في البدوات وحسب - أو ورش العمل كما يصرّ غارسيا ماركيز دائماً على تسميتها - بل في إنتاج وتطوير محمل النصوص السماوية. أما غارسيا ماركيز، فقد رمى بكل ثقله في هذه المشاريع، وكانت طاقته وخماسته وصلاته مشر دهشة زملائه والعديد من الزوار الذي صاروا يأثرون إلى هذين المعهدين الحديديين على مدى سنوات لاحقة

في خصم هذه الاحتفالات، ورد بآ صاعق من كولومبيا ليلقي سحابة على المشروع الجديد، فقد اعتيل مدير صحيفة الاسكتادور غيرمو كانو في السابع عشر من كانون الأول عند معادته مكبته في بوغوتا، وكانت الحرب بين ملك تهرب المخدرات في ميديلين بايلو إيسكوبار ونظام العدل الكولومبي قد وصل مرحلة الدروة. كان إيسكوبار، صانع أعين رجل على وجه الأرض، وكانت استراتيجته المبنية بالرشوة أو بارتباط في محاولة إغراء أي شخص أو تصفيته إذا ما وقف في طريقه، قد أصابته صفة أخرى من الفساد والعجز إلى نظام كوبوميا العجور الذي عرف عنه الاستغلال والعبث لقد حذت ظموحاته السياسية، فيما ساندت صحيفة الاسكتادور التي عارضته ببساطة طرد مهرسي المحدرات لمشنه فيهم إلى الولايات المتحدة. لقد دافع كانو الآن عن شجاعته. وكان وزير العدل ورئيس المحكمة العليا وقائد الشرطة الوطنية قد اعتيلوا، كتبهم من قبل، لكن اعتيال مثل هذا الصحافي

المخترم. كان له تأثير مدمر في المعويات القومية. لقد أحرزني الصحافة ماريا جينيا دونان التي تعمل في صحيفة الاسكتلندر قائلة: 'شهدت عارسيا ماركيز مرة أخرى في كوبا في كانون الأول 1986، في الوقت نفسه تقريباً الذي افتتحت فيه مؤسسة السيسما. وبعد مرور بضعة أيام، جاء يبحث عني، وأخيراً اتصل بي هاتفياً وقال لقد اعتالوا غيرمو كانو، اعتالوه توأ، وهذا هو السبب الذي يجعلني لا أرحب في العوده إلى كولومبيا. إنهم يقتلون أصدقائي. لا أحد يعرف القاتل أو القاتل. ثم توجهت إلى منزله وأنا مرتبكة، فحياتي عابو قاتلاً إن غيرمو كانو هو الصديق الوحيد الذي دافع عنه حقاً. ثم وصل كاسترو وكث أحشش بالكاء، فأوضح عابو ما حدث، فتحدث فيدل مطولاً. وقال لي عابو مرة أخرى إنه لن يرجع، وإنه معمم بالمرارة. فقلت له: أنت تسري، لا بد لك من أن تتحدث بصوت عالٍ عما يحدث في كولومبيا. لكنه لم يتحدث، فاستنتجت أنه متقلب المراح مد حادثة طريه عام 1981⁽¹³⁾. ولم يصرح عارسيا ماركيز بأي تصريح علي عن حادثة الاعتقال، ولم يرسل أي رسالة إلى آنا ماريا باسكتش، أرملة كانو.

على قسوة الحبر القدام من كولومبيا، بدأ عارسيا ماركيز واجتاه الجديدة في هافانا باستمتاع شديد. ومكث في كوبا عدة أشهر ينفذ أعمالاً عذبة في وقت واحد، فهو يقرر كل شيء ويشارك في كل شيء. وكانت الأخبار تنشر بانتظام في الصحف في جميع أرجاء أميركا اللاتينية وفي إسبانيا عن مشاطات عابرييل عارسيا ماركيز ذات الصلة بالسيسما، واحتمال لقياس كتبه لها⁽¹⁴⁾. يبدو أن الأمور هكنا، فالسيسما ليست كالأدب، مبدعه محكوم عليهم بالعزلة. السيسما أسس وصحبة وحيوية وشباب، السيسما جسس ولهو ومرح، فأحب عارسيا ماركيز كل دقيقة منها. كان محاطاً بفنياب شبكات حساوات، وشباب ممعين بالحوية والنشاط والعطوح، وإن كانوا معالين في التدبير والاحترام والمعاملة. كان في بيئة تنفق ومبولة وانجماهاته، وإن كان ثمن ذلك باهظاً. ويصول باستياء واضح إنه استمر في هذه الهواية المظلمة بالرغم من استهجان ميرثيديس: "عندما كنا فقراء أفقنا كل مالنا على السيسما، الآن نحن نملك المال ولا أزال أتفق على السيسما. كما أنني لمنحها الشيء الكثير من وقتي"⁽¹⁵⁾. يقول العيص إن عارسيا ماركيز تبرع للمدرسة بنصف مليون دولار من جيبه الخاص في ذلك العام إصابة إلى معظم وقته

التميز. وبدأ الآن يطلب من الصحفيين الأوروبيين أو الأميركيين، عشرين ألف أو ثلاثين ألف دولار لقاء الجلسة الواحدة من المقابلة معه كي يوفر المال مؤسسة السيماء، ودعمت أعداد مذهشة من هؤلاء الصحفيين المال على مضض.

بدأ عارسيا ماركيز يتخصص في رواية القصة وكتابة النص السيمائي في المدرسة الجديدة، وأقام دورات منتظمة عن كيفية كتابة القصة، وعن تمويل القصة بعد ذلك إلى نص سيمائي. وكان من بين الرواة والمحاضرين في السبوات القليلة التالية، هرسييس فورد كوبولا، وجيلو بونتيكورفو، وفيرناندو سولاس، وروبرت ريدفورد⁽¹⁴⁾. كانت العلاقة بريدفورد بالغة الأهمية عند عارسيا ماركيز. إذ سيدفع ديه للأميركي الراديكالي الموسم بالسمر نفسه إلى أوتاوا ليظم دورة في مدرسة ريدفورد صبي داس للأشرطة السينمائية، وللمهرجان في آب سنة 1989⁽¹⁷⁾. ويوضح عروماً أن سياته تمثل سبع مؤلفاته ثم عالٍ للمتجحين خارج أميركا اللاتينية، وشمس محس أو محاماً للمتجحين الأميركيين اللاتينيين. ثم كتب، مثل رواية مئة عام من العزلة، لم يوافق قط على السماح بتحويلها إلى السيماء، مما أدى إلى مواجهة به وبين أنطوي كوين قبل ذلك بضع سنوات. (فيل إن أنطوي كوين عرص مليون دولار لشراء الحقوق، وقال كوين إن عارسيا ماركيز وافق على العرض لكنه تنكر للصفقة وهو ما يكره الكولومبي دائماً)⁽¹⁸⁾. أما الروايات الأخرى، مثل الحب في زمن الكوليرا فقد ذكر أنه يفكر في بيعها، لكنه أكد في ذلك الوقت أنه لن يبيعها إلا لمخرج أميركي لاتيني. أخيراً، وفي العام 2007، قرر أن يسمح لصانع أفلام آخر من هوليوود، وهو الإنكليزي مايك موبل، أن يحقق الشريط السيمائي في كارثاجيا مع حافير باردم الذي سيؤدي الدور لرئيس فيه⁽⁹⁾. في ذلك الوقت، راجت أفلاويل تفيد أن ميرنيديس فقد صبرها أخيراً بسب أعمال الخير التي يقوم بها زوجها باستمرار، وأرادت أن تدخر بعض الأموال لورثتهما. «الكتاب "كتابها" في كل الأحوال.

في ضوء التحول من السلطة إلى الحب في شاط عارسيا ماركيز الأدبي، يصح من المنطقي أن يرى الحب وقد تبوأ مكانة مهمة في مشاريعه السيمائية. أم حقيقة تفكير الكوبيين في هذا التطور، فهو ما لن نعرفه، لكن المؤسسة السيمائية

الجديدة سيعمرها نبأ أنجات غارسيا ماركيز السينمائية، من خلال سلسلة من المخرجين المختلفين، في موضوع الحب في العلاقات الإنسانية. وكانت لرواسنة الأساس في هذا كله، سلسلة من ستة أفلام خطط لها أن تكون مجموعة تدعى كله بالاسم قصص حب صعبة وهو عنوان سبق أن استخدمه إيتالو كالكينو في مجموعة قصص قصيرة مقصورة. (عندما عرضت الأشرطة في جهاز الإذاعة العامة في الولايات المتحدة، أطلق عليها اسم قصص حب خطيرة) وكانت كلها أشد سوداوية مما أرادت أن توحي به الدعاية عنها، كما تبحث كتب بشكل أو بآخر في العلاقة بين الحب والموت⁽²¹⁾.

بعد ستة أعوام، أي عام 1996، سيج عارسب ماركيز شريطاً سينمائياً مستنداً إلى سوهوكليس بموان أوديب عملة (حلاًفاً لأوديب ملكاً) مع خورخه علي تريان (وكان النص السينمائي لغارسيا ماركيز أيضاً مع طالبة سابقة في مدرسة هافاد للأشرطة السينمائية تدعى ستيل مالاغون) ويدور موضوع الشريط حول عمدة بلدة صغيرة يواجه المظالم والأهوال التي مرت على كوما إبان القرن العشرين - مثل غريب المخدرات، والمليشيات العسكرية، والثوار والجيش الوطني - كما يواجه أيضاً المأساة القديمة الخاصة بقتل أوديب أبيه ومعاشرته أمه التي تؤدي دورها الممثلة الإسبانية أنجيلا مولينا. وهاجم عدد كبير من النقاد الشريط هجوماً عيماً لا يرحم مع أن له فضائل وحسنات مهمة، ويمكن عدّه على نحو أكثر إصفاً وملاءمة على أنه إحفاق بطولي: فقد نقل الشريط تعقيدات الحق الكولومبية وبعض أهوالها، وتمكّن تريانا من الحيلولة دون تقويض الأفكار الخرافية للسرد السياسي. لقد أراد أن يصور شريط ليس للعقد من مكاتبه أيضاً، وربما كان عمله سينتهي إلى نتيجة متقنة وفي هذه الحالة، أعطى عارسب ماركيز ذلك المشروع، وبا للمحب، لأرتورو ريشنتاين الذي كانت علاقته به صعبة دوماً. (قل إن ريشنتاين غضب لأن تريان أعاد صنع الشريط عصر الموت)، وفي سنة 1999 ظهرت الرواية أحرار على الشاشة العربية: شريطاً لا بد من أن يعدّ واحداً من أقل الأشرطة السينمائية إقناعاً لعمل من أعمال عارسب ماركيز، بالرغم من شهرة ريشنتاين العالية وتمثيل عدد من النجوم العالميين فيه مثل فيديريكو بوجان، وماريسا بارديس، وسلمى حايث⁽²²⁾.

أكدت التجربة المختلفة ما سبق أن قاله غارسيا ماركيز مراراً: إن علاقته بالسيميا تسبه رواجاً عمر سعيد. فهو والسيميا لا يتفاهمان، لكن لا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر. ربما يمكن للمرء أن يقول بقسوة أكثر إن حبه غير مطلوب (إنه امرأة بوجه واحد كما يظهر عيون أحد أشرطته التلفارية المكسيكية). لم يستطيع العيش بلا سيميا، لكن السيميا في وسعها لاستمرار بسعاده من دونه. أما الحقيقة، فهي أنه غالباً ما وُجّه إليه التوم عن السخ الأخيرة من أشرطه السيمائية. في حين أنه ليس مسؤولاً في نهاية الأمر بصفته كاتب النص الأصبي عن المتوج النهائي. كتب ميل غوسو في صحيفة نيويورك تايمز أن غارسيا ماركيز بحاجة إلى صانع أشرطة سيمائية في منزله، وأن ذلك قد يتطلب محرراً له عقرية بونويل المتميزة ليصفه⁽²²⁾. (لعل هذا يعسر السبب الذي جعل هيرموسيلو، الذي يعد نسخة مصغره عن بونويل، أكثر نجاحاً من معظم الآخرين) أحرري رودريغو اس غارسيا ماركيز أن والده 'لا فائدة' منه في موضوع الحوار، حتى في رواياته. غير أن سيرة قصة عصر الموت نغمة لا يرقى إليها شك، كما أن إدراك الأشرطة، مضافاً عن الحوار، اتحاد تاماً. إذاً، هو أمر يدعو للرناء عدم خوض ميلابي التجربة، كما أن أكيرا كروساوا الذي كان متحمساً في ثلث المرحلة لاحتمال تصوير خريف البطريق لم يتمكن أبداً من إطلاق المشروع.

وبالرغم من كل من نجاحه وبشائطاته المثيرة في كوبا، فقد كانت سنوات صعبة تلك التي مر بها غارسيا ماركيز. فقد اضطر إلى أن يفهم أنه ربما قام بأعمال كثيرة، وأنه أطلق العنان لموهته وطاقته في كل ميدان، فوجد نفسه موضع هجوم أعدائه من اليمين، وتورط في محادثات ومناقشات لم تكن تعجبه إلا قليلاً يومئذ. فضلاً عن عدد من العصائح أو ما يشبه الفصائح المرتبطة بنميمة نخينة توجهه ضد إنسان يقترب من الستين من عمره. وفي آذار 1988، احتفل بذكرى ميلاده الستين وذكرى زواجه الثلاثين عمرثديس (في 21 نيسان) في مدينة مكسيكو وكينياهاكا. وحصر الاحتفال بليساريو بيانكور وثلاثون صديقاً من جميع أنحاء العالم، وساءلت الصحف الكوبومية إن كانت ذكرى ميلاد غارسيا ماركيز الستين أو الحادية والستين - حقاً هي الحادية والستون - وكانت عاوييه الرئيسة نقل:

غارسيا ماركيز في الستين من عمره مرة أخرى ولم يتمكن من الاستمرار مع هذا العرض الساخر المفعم بالمخديعة لمدة أطول، بالرغم من أن معظم لكتاب، ولحق يقال، من ضمنهم الكتاب الذين يعرفون بالكتب على الأعلف العالمون عند باشري كته، يظفون يشيرون إلى سنة 1928 بوصفها سنة مولده حتى نشر كتاب عشت لأروي عام 2002، وبعضهم بعد ذلك التاريخ أيضاً.

في هذا الشهر أيضاً نشر صورة فيلر كاسترو التي أعيد طبعها مراراً وهي صورة دقيقة، محددة الملامح لا تقبل العير - مرحلة وودية - بعوان الاشتغال بالكلمة أكد فيها خصائص كاسترو اللفظية بدلاً من العسكرية. وأشار إلى "الانضاض الحديدي" لصدقه و"قوة إغرائه العظيمة"، وقال: "إن من الصعب تصور أي شخص أكثر مه إدماناً على عادة الحديث"، وإن كاسترو "يرفاح بالكلام" إذا ما شعر بالإحكاك من الكلام، وهو قارئ نهم أيضاً. وأماط اللثام عن أن "فيلر كال واحداً من الكوبيين القلائل الذين لا يعون ولا يرقصون"، واعترف: "لا أعتقد أن أحداً في العالم يمكنه أن يكون حاسراً أسوأ". عبر أن الرعيم الكوبي كان أيضاً "رجلاً متقشعاً في أسليه، أوهامه لا ترتوي، ذا ثقافة رسمية عيفة الطراز، كلماته حدره وتصرهاته دقيقة. أعتقد أنه واحد من أعظم المثاليين في عصرنا، ولعل هذه هي حسسته الكبرى بالرغم من أنها أيضاً أكبر أخطاره". لكن عندما سأله غارسيا ماركيز ذات مرة عن أحب الأشياء إليه ردّ الرعيم العظيم قائلاً: "أن أتكع عند ناصية أحد الشوارع"⁽²³⁾.

الآن، حدثت انعطافة باتجاه المسرح. ففي كانون الثاني سنة 1988، أعس عن أن الممثلة الأرجنتينية عراشياً دوحاو ستمش في مسرحية مقتبسة عن عمل قصر كته عارسيا ماركيز بعوان هجاء الحب ضد رجل جالس⁽²⁴⁾. يقول غارسيا ماركيز إن المسرحية كلام مكرو يطوي على ككد، كلمة توحى أن من يناكد - وهو امرأة عادة - لا يحصل، بل ولا يتوقع رداً من انشخص المقابل. (كان غارسي ماركيز في أثناء حياته الراشدة يقول دوماً إن لا هائلة من الجحادلة مع النساء)، وقد ميطر هذا الهاجس، الموضوع، على غارسيا ماركيز لسنوات طويلة، وكان من ألكاره المبكرة لرواية خريف البطريق هجاء مقدد صد الدكتاتور تشه إحدى النساء أباررات في حياته⁽²⁵⁾.

نأجل العرض الافتتاحي في مسرح نوبانتس في بوينس آيرس من السابع عشر إلى العشرين من آب 1988. وفي نهاية الأمر بقي غارسيا ماركيز في هافانا إذ كان ملقاً جداً - خلق عنه من الطبقة الراقية نُقدٌ إلى المجتمع أو من مرة بحسب تعبيره - لا يطبق مواجحة تمثيل حي لأحد مؤلفاته، وأرسل ميرثيديس وكارمن بالسيلس وبها المصور ميغيل الذي كان في الرابعة والعشرين من عمره لمواجهة نقاد بوينس آيرس الذين يصعب إرضاء متطلباتهم، علاوة على كونهم الأشد هولاً في أميركا اللاتينية. كان "العالم السياسي والثقافي" لبرونيس آيرس كله حاصراً ومن ضمنهم عدد من وزراء الحكومة. وكان عياب الرئيس الفوسيس وكاتب المسرحية البارز ملحوظاً، مما يبعث على الأسى. إن العودة إلى مسرح عصيم في بوينس آيرس لم يكرر التجربة السابقة لعام 1967. ولم تحط المسرحية بما هو أكثر من تصفيق مؤدب ولم يقف أحد تعديراً لها. أما المراجعات التي كتبها نقاد الدراما في بوينس آيرس فكانت متباعدة، لكن أغلبها كان سلبياً. وكان رد الفعل النموذجي قديماً من أوسالدو كيروغا من صحيفة لا ناسيون ثقبلة الورد إذ قال: "يصعب التعرف إلى مؤلف رواية منه عام من العزلة في هذا الموبولوج الطويل الذي تلميه امرأة شئت من السعادة بلا حب... إنما تظهر جهنم التام باللغة الدراما ولا يمكن نكران حقيقة أن المسرحية ميلودراما سطحية ومكررة ومضجرة"⁽²⁶⁾.

بدور أحداث المسرحية، وهي موبولوج من فصل واحد، في مدينة بلا اسم، شأن رواية الحب في زمن الكوليرا، لكنها بلا شك كارتاجينا دي إنديس. أما الكلمات الأولى التي تنطق بها غراتييللا التي تعبرت تعبيراً طعيفاً منذ أن استشهد بها أول مرة غارسيا ماركيز هي: "لا شيء يشبه الخجيم على الأرض كالزواج السعيد!". للروايات معارفة سردية كامنة في بنيتها، أما المسرحية، فتعتمد على المفارقة المسرحية التي تحتاج إلى نوع مختلف من الحدس الإبداعي، نوع يبدو أنه لا يشعر به إلا قليلاً. بيد أن ما هو أسوأ من هذا، بل ما هو أسوأ حتى من الاعتقاد إلى الفعل الدرامي، هو أن لعب المسرحية الأشد صرراً يبدو في العجز عن التحليل والتأمل احاديثي. إن مسرحية هجاء الحب ضد رجل جالس تعامل، كما هو شأن رواية الحب في زمن الكوليرا إلى حد ما، مع صراع مادي (كما تعاملت معه رواية

ليس للعقيد من يكاتبه قبل أكثر من ثلاثين سنة⁽²⁷⁾، والواضح أن القصة المركزية - وهي أن الرواج التقليدي لا يتجح مع معظم النساء - مهمة، بالرغم من أن هذا المؤلف الذي له من العمر ستون عاماً قد يكون مؤلفاً حديثاً بما فيه الكفاية كي يبحث بحثاً راديكالياً ذا معنى. ومما يدعو للأسى، أن مسرحية هجاء الحب ضد رجل جالس عمل أحادي البعد، وهي بخلاف رواية الحب في زمن الكوليرا لا تصيف إلا الغليل أو حتى لا شيء إلى الأعمال العالمية المعصية التي تجسد الحب. لقد صرح غارسيا ماركيز قبل مدة ليست ببعيدة، أنه لم يرغب قط في أن يكون مخرجاً سينمائياً "لأنني لا أريد أن أخسر"⁽²⁸⁾. إن المسرح هو مشروع أشد خطورة. وإذا كان قد خسر في المرة الأولى، فإنه لن يحول الكرة مجدداً.

* * *

بعد النجاح المدوي الذي صاحب نشر رواية الحب في زمن الكوليرا، وبالرغم من الإحساس بالهشاشة المؤلمة لمعلق الذي ظل يظهر في حصص ديمومة غارسيا ماركيز الواضحة، فقد بدأ يتصرف كأنه لا توجد حدود لطاقاته أو لقدرته على العمل على مستوى عالٍ فوق مجموعه كبيرة من النشاطات المتسبة. لكن ثمة علاقات لا تغطي على الإنهاك. فهذه "قصة في تشيلي" تلوح عليها بوضوح أمارات العجالة، وكانت هجاء الحب ضد رجل جالس تجربة في ميدان عجز عن تنوع موضوعه. وربما كان اشتغاله على سنة بصوص سينمائية في آن واحد أكبر من طاقة أي رجل، علاوة على أنه بدأ منذ مدة كتابه الجدد الرئيس الذي يتمثل برواية عن شخصية سيمون بوليفار أعظم بطل في تاريخ أميركا اللاتينية قاطبة وعلى مرّ العصور.

كان غارسيا ماركيز ملتزماً التزاماً شديداً بسياسة وإدارة المؤسسة السينمائية والمدرسة السينمائية الحديثتين، إلا أنه حصص وقتاً أقل بكثير في الأشهر الأخيرة للسياسة الدولية ولتأملاته ومكائده. وبالرغم من أن الأوضاع في أميركا الوسطى كانت تبدو سوداوية، فإن كروا بدت في أكثر لحظاتها المريحة والواقعة. لكن الأوضاع أحدثت تدل فيها أيضاً. فعارسيا ماركيز يوشك أن يكشف أن فترة إنجازاته القصيرة من السياسة والدبلوماسية ستنتهي عندما بدأت سحب سواد

تتجمع فوق كل من كوبا وكولومبيا، وهي سحب لن تنفث طوال النقية الناقبة من القرن.

ففي عوز سنة 1987، كان عارسيا ماركيز ضيف شرف في مهرجان موسكو الموسمي. وفي الحادي عشر من الشهر نفسه، استقبله ميخائيل غورباتشوف في الكرملين، حيث عارسيا ماركيز الرعيم السوفييتي الإصلاحي الراديكالي على رياره أميركا اللاتينية. في تلك المرحلة، كان غورباتشوف أكثر السياسيين الذين يدور عنهم الحديث على وجه الأرض وقد أوضح بيان رسمي أنهما ساحتاً "في إعادة الطيكة القائمة على قدم وساق في اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية ومضامينها الدولية، ودور المثقفين، وإشاعة القيم الإنسانية في العالم اليوم" (29). وقال غورباتشوف إن من يقرأ كتب عارسيا ماركيز لا يجد فيها حططاً، فهي مستوحاة من حب الإنسانية. وقال عارسيا ماركيز إن العلامات وأبيروسترويكاً كمتان كيرتان سطويان على تحول تاريخي هائل. وقال إنه ربما هناك بعض الناس ممن يرتابون مهماً؛ مما لا شك فيه أنه كان يعني فيدل كاسرو. أترأه كان متشككاً بدوره؟ هناك تعميمات صدرت لاحقاً عنه تعيد أنه كان يشك في النتائج التي يستخلص عنها تلك التحولات، وكشف في تلك التعليقات أنه أعبر غورباتشوف بقلقه، إذ قد يمتي بعض السياسيين ريعان وتاتشر وألبا يوحنا بولس الذي كما يبدو - أن يتهروا حسن منه، فتلوح المخاطر أمامه. وقال إنه لم الواضح أن غورباتشوف كان مخلصاً، وقد صرّح له، أي لعارسيا ماركيز، أن اللقاء به كان أهم حدث في حياته مؤخراً (30). للمرة الأولى، قد لا يكون مبالغاً في كلامه.

خلول أو حر العام، اقرب من مركز السلطة في المكسيك، ذلك البلد السي عش فيه أكثر من عشرين سنة إجمالاً. ففي كانون الأول 1988، أصبح كارلوس ساليس دي غورتاري رئيساً للجمهورية، فتحرك عارسيا ماركيز سريعاً لتأمين علاقته مع الرعيم الجديد. وعمل الإنسان معاً عن كتب في السياسة الدولية في السنوات التالية. ومن المكسيك سافر إلى كاراكاس لخصور احتفال تصيب الرئيس السرويي كارلوس أندرياس بيريث لولاية ثانية؛ وفاءً بوعده سبق أن قطعه على نفسه عندما مكر هو وحده، عارسيا ماركيز، في أن الرعيم الشعوي المتقلب قد يعود مرة أخرى إلى سدة الحكم.

كاد عارسيب ماركيز يشتغل على رواية بوليفار منذ اللحظة التي خرج فيها تقريراً من كنانة رواية الحب في زمن الكوليرا. وإذ كان قد استند في كل رواياته إلى فهمه لتاريخ أميركا اللاتينية والعالم، وقرأ كثيراً عن الدكتاتوريين والدكتاتورية كي يكتب رواية خريف البطريق، فإنه لم يصطر إلى التفكير فقط في وسائل البحث في التاريخ والكتابة عنه. وآلان، وما أن شخصيته المركزية تتمثل عمش تاريخي. بل واحد من أشهرهم إطلافاً، فقد شعر بأن كل حدث في روايته لا بد من أن يتحقق منه تاريخياً. كما أن كل فكرة من أفكار بوليفار وكل عبارة من عبارته، بل كل مقالة صمغ فيه يرد ذكرها في الكتاب، لا بد من بحثها بحثاً متأنياً في ساقها. ويشتمل هذا كله، لا على قراءة عارسيب ماركيز عشرات الكتب عن بوليفار وعصره وآلاف الرسائل التي دوها وحسب، بل على استشارة مجموعة كبيرة من الثقافات من صمغهم عدد من كبار الخبراء في حياة المحرر العظيم ورومانه⁽³¹⁾

عندما انتكر عارسيب ماركيز شخصيه بطريقه في سبعينيات اقرن العشرين، كان حراً في اختيار جانب من جواب أي دكتاتور يروقه، وفي أي لحظة، كي يصوغ توبيخه مبتكرة ذات معنى ضمن الإطار العام. أما مع بوليفار، وبالرغم من أن كل مؤرخ يكتشف أو يتكر شخصية معيرة، فإن المادة الجوهرية موجودة أصلاً وبالعكس متاعها، وبعدم سرعة أن كل تأكيد يفسري لا بد من أن يستند في حالة المؤرخ إلى أكثر من دليل، وفي معظم الحالات، إلى أدلة كثيرة، فتكون النتيجة هي أن ما يبدو في العمل المنتج النهائي، ليس سوى قطعة صغيرة من جبل جليدي هائل⁽³²⁾. واضطر إلى حد ما، إلى عربة كل ذلك الكم الهائل من المعلومات، لكي يتبعى به أيضاً أن يحتفظ بمكنة الإبداعية كي يهض بوليفار، نوعاً ما، متشياً من هذا البحث، بدلاً من أن يبقى مدفوناً تحت جبل من الحقائق الخفية.

بالرغم من أن المحرر كتب، أو أمسى عشرة آلاف رسالة، وكُتبت عنه أعداد لا تحصى من المذكرات من لدن معاويه أو غيرهم ممن صادفهم في أثناء حياته، إلا أن هناك مراحل رسمية لم يعرف فيها إلا الشيء القليل عما كان يفعله. كما أن حياته الخاصة - لا سيما حياته العاصية - ظلت مفتوحة سياً. إضافة إلى ذلك، فإن السبق الذي أثار اهتمام عارسيب ماركيز أكثر من أي سبق آخر لأسباب شخصية

وأدبية معاً يتجسد في رحلة بوليفار الأحيوة على امتداد عمر محبينا، وهي الرحلة التي لم تأت على ذكرها لا الرسائل ولا المذكرات، تاركة الحرية للروائي كي يبتكر قصصه ضمن حدود الاحتمال التاريخي.

بشأن عارسيا ماركيز أن يهدي الرواية لألفارو مونيس الذي أهدها فكرة تأليف الكتاب، بل إنه كتب مقطعاً قصيراً للطبعة الأولى بعنوان الوجه الأخير عصب كان سجيناً في المكسك أواخر عقد الخمسينيات من القرن العشرين وقد جمعه عارسيا ماركيز يعترف بأنه لم يهني المشروع، فتشتت به بمسه. أما العنوان، الجسرال في مناهضته، فقد تقرر منذ اللحظة التي بدأ فيها عارسا ماركيز بحثه في موضوع الكتاب.

ولد سيمون بوليفار في كاراكاس في 1783 لأسرة أرستقراطية من الكريول في زمن كانت فيه الفارة برمتها، التي مدعوها اليوم بقره أميركا اللاتينية، واقعة في قبضة إسبانيا والبرتغال، وظلت كذلك مدى ثلاثة قرون من الزمان تقريباً، على حين سيطرت كل من إنكلترا وفرنسا على عدد من الجزر في البحر الكاريبي. كان الرق منتشرأ في كل بلد من بلدان أميركا اللاتينية مثلما كان منتشرأ في الولايات المتحدة الأمريكية التي استقلت مؤخراً. وفي الوقت الذي توفي فيه بوليفار سنة 1830، كانت قارة أميركا اللاتينية قد أصبحت مستقلة كلها تقريباً عن أي قوى أجنبية، وصدرت إداة رسمية ضد الرق، بر ألعي في بعض الحالات. ويعود الفصل في هذا كله إلى بوليفار أكثر مما يعود إلى أي شخص آخر.

توفي والد بوليفار، وكان مالكا من ملاك الأراضي، عندما كان بوليفار يبلغ سنين ونصف السنة من عمره. وتوفيت أمه ولم يكن قد بلغ التاسعة ولما بلغ لثانية عشرة، ثار صمد حاله الذي أحده عده وانتقل إلى مسرل معلمه سيمون رودريغيث. وبعد رحلة أمصاها في أوروبا، تروح وله من العمر تسعة عشر عاماً بشابة توفيت بعد رواحها منه بأقل من ثمانية أشهر. في تلك اللحظة، يبدو أنه قرر أن قدره حكم عليه أن يعيش وحداً في هذا العالم. (فلم يروح مرة أخرى بالرغم من أنه تربط بعلاقات مع عشرات نساء أشهرهن عشيقته الأكو دوريه الشجاعة مابولتا سايت التي أصبحت اليوم أسطورة مهمة، وأنفدت حياته أكثر من مرة).

ولدى عودته إلى أوروبا، حضر مراسم تويج نابوليون في باريس في كانون الأول 1804، وكان معجباً بإمجازات نابوليون بوصفه محرراً أوروبا، لكنه أثار استنوازه بسبب قراره الذي اتخذه لجعل نفسه ملكاً ولدى رجوعه إلى أميركا اللاتينية. بعد أن أقسم البشير على التضحية بحياته في سبيل تحرير المستعمرات الخاضعة للسيطرة الإسبانية، بدأ حياته العسكرية التي نبأ فيها مكانة لائقة على اسداد القارة وبيع محرراً. وسلم بنية العدة، ضوعاً أو كرهاً، واحداً تلو الآخر، بقيادة بوليفار ومهم كبار الخيالات مثل سان مارتين، وسوكره، وسانتاندر، وأوردوبيتا، وبايث.

عندما يتأمل المرء عدد المرات التي تقدم فيها بوليفار على امتداد القارة شمالاً وجنوباً، وفيما وراء جبال الأنديز وعلى امتداد الأنهار العظيمة في تلك التضاريس التي لا تزال وحشية، وبصرف النظر عن عدد المعارك التي ربحها أو خسرها، فإن الخفايا والأرقام في حملته التي دامت عشرين سنة كانت مذهلة لكنه بالرغم من كل ذلك، لم يصب بأي جرح خطير في المعارك. وكان يبلغ من العمر تسعة وعشرين سنة عندما بدأت مهمته الأولى على اسداد بحر مكدلينا في كولومبيا وما إن بلغ الثلاثين من عمره حتى بوع محرراً لفنزويلا، وفي الثامنة والثلاثين انتخب رئيساً للجمهورية كولومبيا التي كانت تصمم آنذاك ما يعرف اليوم بـفرويل والإكوادور. وفي هذه المرحلة كتب بعضاً من أهم الوثائق عن هوية أميركا اللاتينية وأشهرها وثيقه "رسالة هامابكا" في سنة 1851 أشار فيها إلى أن جميع أقاليم أميركا اللاتينية فيها من التشابه أكثر مما فيها من الاختلاف، وأنه لا بد من القبول بهوية القارة متعددة الأعراق والاعتراف بها.

لكن ما إن خسرت الإنسان حتى بدأ الرعماء الغلبون بتأكيد مصالحهم الماطمية والإقليمية، كما ابتدأ تقسيم الجمهوريات التي أصبحت محررة الآن وظهرت العوضى والديكتاتورية وعيبة الأمل مثل أشباح مأساوية في لأوس، وبدأ حم بوليفار الكاسح بتوحيد أميركا اللاتينية بتلاشي، فأصبح مشاكساً وصوتاً للمثالي غير الواقعية. أما الآخرون الدس ما كان يمكن لهم أن يحققوا لإنجازات شبه المستحيلة التي حققها بوليفار، فقد أحنوا ينظرون إلى أنفسهم على أهم أكثر واقعية منه في مرحلة ما بعد التحرير. وأول مثال على ذلك هو خصم بوليفار الرهيب فرانسيسكو

دي بارولا ساشاندير الكوبومبي الذي يمثل في نظر عارسيا ماركير ركباً من أركان الكائنشاكو. وتبدأ الرواية في اللحظة التي يدرك فيها بوليفار أن لا مستقبل له في كولومبيا بالرغم من كل إنجازاته وامتيازاته المتواصلة، فيبدأ بالتراجع عن بوغوتا، وهو تراجع عن رؤيته العظيمة وفي السادسة والأربعين من عمره، ينطلق المحرر العظيم بعد أن داهمه المرض وأصيب بحمية أمل، في رحلته إلى المعنى عن طريق لهر مجدلتا، بالرغم من أن غارسيا ماركير يوحي أن بوليفار لم يخل قط عن الأمل، وأنه لا يزال عازماً على تنظيم حملة تحرير عسكرية أخرى إذ ما تبث إمكانية القيام بها.

تقع الرواية في ثمانية فصول، وتقسم، مرة أخرى، إلى نصفين: النصف الأول، من الفصل الأول إلى الفصل الرابع، يروي قصة الرحلة على امتداد النهر العظيم، الذي سبق لغارسيا ماركير أن رحل على امتداده بعد ما يزيد على القرن من الزمان وهو في طريقه إلى المدرسة⁽³³⁾. ونستغرق رحلة بوليفار الأخيرة من الثامن وحتى الثالث والعشرين من شهر أيار سنة 1830 أما النصف الثاني، من الفصل الخامس وحتى الفصل الثامن، فيروي قصة الأشهر الستة الأخيرة من حياة بوليفار، وذلك من الربيع والعشرين من أيار وحتى السابع عشر من كانون الأول سنة 1830، وهي الأشهر الستة التي أمضاها في مصطبة الساحل البحرية التي سنشهد لاحقاً طفوة غارسيا ماركير وشوطاً كبيراً من شبابه. ثمة قصيدة من أحب لفصائد الإسبانية للشاعر حورحه ماريكي أشعار عن موت أبيي، نُظمت أواخر القرون الوسطى، اشتهرت قبل كل شيء بسبب بيت شعري فيها ألا وهو: "حيانا أفكر تصب في البحر الذي هو الموت"، وبيت شعري آخر يوضح أن الموت هو "المح" و"الكمين" الذي يسقط فيه نحن. أر كما يقول غارسيا ماركير وهو يهيج هج بوليفار هو "المناعة" التي يسقط فيها. وبالرغم من أن غارسي ماركير لا يوه ماريكي، إلا أن رواياته لها منطوق قصيدة ماريكي العظيمة تماماً.

يشير موضوع العنوان الجرمال إلى السلطة، لكن مفهوم "المناعة" يبين لنا من أن تبدأ الرواية، أن أصحاب السلطة أنفسهم لا يمكنهم أيضاً من السيطرة على الفسر والمصير. من الطبيعي أن مثل هذا العجز قد ينطوي على نبرة ذمه أصحاب السلطة، وحتى التعاطف معهم، وهو الشعور الذي يمكن أن يكون غارسيا ماركير

قد دخله وهو طفل صغير عند كان العقيد بيكولاس ماركيز صاحب السلطة الوحيد - المؤثر والمحترم والحامي - الذي عرفه. هل يا ترى أن مؤلفاته كلها ليست سوى تأمل في استحالة التثبت بذلك الرجل العجوز، والعذاب، لأن "الأب" شخصٌ بلغ من الكبر عنياً، واه، وإن أهم درس تعلمه وهو طفل صغير أن لأمر الوحيد لديك، حدث اعجب، لا بد له من أن يموت "حالياً" إن مثل هذا الدرس تعلمنا أن السلطة مرعوب فيها كلها وهي ضرورية، لكنها هشة، غير صادقة، زائلة ومخادعة. إن غارسيا ماركيز هو لوحيد تقريباً في الأدب العالمي المعاصر المهووس برجال السلطة، بل والمتعاطف وإيهم. وبالرغم من أنه كان دائماً اشتراكياً، فإن هذه الملاحظة الدائمة عن التماهي الأرستقراطي، بصرف النظر عن تعديلها بالمفارقة (أو حتى بالإدانة الأخلاقية)، قد تفسر السبب الذي يجعل لكتبه سلطة يصعب سر غورها كما يسو: من نافذة لقول إن المأساة تكون أعظم، وأشمل، وأعمق عند يتعاطف الأبطال بالسلطة، وبالعرف، ويتأثروهم في حيوات ملايين الناس والتاريخ أيضاً.

في الوقت الذي كتب فيه غارسيا ماركيز الجنرال في متهاته، كان على معرفة ونسقة مسند زمن طويل فيديل كاسترو، وهو مرشح بارز بلا ريب لأن يكون في الموقع الثاني بعد بوليغار في لائحة رجال أميركا اللاتينية العظماء. فمن حيث طول عمر فيدل كاسترو السياسي - نصف قرن تقريباً في السلطة - نلاحظ أنه لمن الصعب تكرار تاريخه. كما أن غارسيا ماركيز أحبري ذات مرة أن فيدل "ملك". أما غارسيا ماركيز نفسه، فهو على العكس من ذلك، إذ أكد مراراً أنه لا يملك الموهبة ولا الحس الوطني ولا الرعة - بل والقدرة إلى حد أقل - في تحمل مثل هذه العسرة. وقد اعترف مراراً أن عسرة الأديب المحاد هائلة، لكن عسرة الفائد السياسي العظيم من طقة محلفة تمام. ومع هذا، ففي هذه الرواية نجد أن شخصيه بوليغار تستند، من حيث الحقائق بلا ريب، إلى شخصية المجرر، وما نقاط ضعفه ووهه العديدة إلا مزيجاً من نقاط ضعف بوليغار وكاسترو وغارسيا ماركيز ووهنهم أيضاً. الموصوع لرئيس، إذًا، هو السلطة وليس الطغيان. بعاره أخرى، يُنظر في بعض الأحيان إلى مؤلفات غارسيا ماركيز من وجهة نظر صاحب السلطة، وفي

أحيان أخرى من وجهة نظر الضعفاء الذين لا سلطة لهم، إلا أنها لا تهدف إلى إصرام نار الحقد ضد الطغاة أو "الضيقة الحاكمة"، على عكس مئات من روايات الاحتجاج المكتوبة ضمن التيار العام في السرد الأدبي في أميركا اللاتينية. موضوعاته المستمرة، والمحبكة دائماً، هي مفارقة التاريخ (لا سيما السلطة عدم تحول إلى عمر، والحياة تحول إلى موت) والقدر، والمصير، والمثل، والطمحيات، والخسائر الجارفة إلى الماضي، والمظهر، والخط، والعرض، والمصادفة، والتزامن، والأحلام، والتوق، والجد، والإرادة، ونوع مادة السر. وغالباً ما تشير علويين أعماله إلى السلطة (العقيد، البطريق، الخمرال، الأرم الكبيرة)، سلطة نواجه تحدياً عادةً (ليس من يكتتب، عمره، حريف، حارة، ماسه، موت معلن، اختطاف)، كما يشير إلى مختلف أشكال منطهر الواقع المتخصص مختلف أساس تصورات الرمن وتنظيمه في تاريخ أو في سرد (ليس من يكتتب، ومعه عام، ورم، وقصة، وحير، وذاكرة) ويستعمل أعماله في أصعب الأحيان على موضوع الانتظار الذي يمثل بطبعة الحال الخاسب الآخر لسلطة، ونجزة العاجر وعلى امتداد صفحات هذه الرؤية، على سبيل المثال، نحد بوليفار يعنى عن رحيله، أولاً عن بوغوتا ثم عن كولومبيا، إلا أنه في الواقع يرحل عن السلطة، في حين يتظاهر أمام نفسه أنه لا يرحل عن أي شيء، أفله حياته، وإن لم يكن هناك من يؤخر ذلك الرحين المحتمي. إذاً، الاسطار موضوع كبير، لكن التأخير (الذي يستطيع صاحب السلطة - مثل كاميترو - أن يفعله، ويجب أن يفعله) يشكل موضوعاً كبيراً لها (إذاً يؤخر بوليفار رحيله عن كولومبيا وعن السلطة وعن الحقد، ويؤخر قبوله بالواقع وبالموت...).

لا بد من أن بعض محرمات الكتاب تهمل من اشتغال غارسيا ماركيز على كلمته التي ألقاها في احتفال جائزة نوبل، حيث شعر، مثلما شعر آخرون غيره من قبل، أنه يسعى له أن يتكلم بصوته مثلاً، لا عن بلد واحد، بل عن قارة بأكملها، فالكثير مما تنمو به في تلك المساسة، هو كلام بوليفاري، كما أن العديد من الأفكار ظهرت مرة أخرى في الرواية حقاً، لقد كانت كلمته في احتفال نوبل توفر حلقة ضرورية لا يمكن الاسعاء عنها في قراءة الرواية وتفسيرها، وتلك مفارقة كبرى ما دام غارسيا ماركيز. وهو ما لاحظناه عنه، كان بظيماً جداً في الوصول إلى

درجة الوعي 'بأميركا اللاتينية'، حتى في أثناء إقامته في أوروبا لكنه بعد ريارنه لمقل الرأسمالية ومقل الشيوعية بدأ يدرك، بالرغم من إيمانه إلى الاشتراكية نظرياً ومعويّاً، أن كلا النظامين ليسا إجابة لأميركا اللاتينية، لأهما عملياً بعملاق لمصلحة البلدين اللذين يدافعان عنهما. وعلى أميركا اللاتينية أن تهتم نفسها، وأن عليها أن تتوحد. لدى بوليفار أفكار حادة في الرواية عن مختلف الحسيات الأوروبية، مفصلاً البريصبين في صوء مساعده برطاسا حركات التحرر في أميركا الجنوبية في ذلك الزمان. أما الفرنسيون فيظهرون على نحو سيئ وأما الولايات المتحدة، "فهيئة، فادرة على كل شيء" بحسب بوليفار نفسه، وأن "حكايتهما عن الحرية ستكون في نهاية المطاف وبالأغلب جميعاً".

هذه هي الموضوعات الواردة في الكتاب والمشكلات التي يسي عنها. لكن بعض النظر عن مدى البحث الواسع الذي اشتمل عليه الكتاب، وبعض النظر عن التصميم الإيديولوجي والمعمار الأدبي اللذين يدعمانه، فإن الرواية كتاب تفتش فشلاً دريعاً لو لم تقرر الشخصية المركزية لها حبة؛ وهذا ما حدث فعلاً. لقد تناول غارسيا ماركيز واحداً من أشهر الشخصيات الأميركية اللاتينية والمألوفة، وقدم تفسيره لها بحساسة تحس الأعاس، وحس فطري بحس الأناب. وبالرغم من أن هذا الكتاب ليس أعظم كتبه، إلا أنه يحكى أن يكون أعظم محراته، لأن قوة التحدي ماثلة أماما كي يراها. إن أي قارئ مطلع على سيوة بوليفار، يرحح أن يستنتج لدى الانتهاء من قراءة هذا الكتاب، أن ما كتبه غارسيا ماركيز عن هذا الرجل، وبأقل من ثلاثئة صفحة، ويشتمل على مجمل الحياة ضمن الرحلة التي اكتملت في غضون الأشهر الستة الأخيرة منها، لن يكون في الإمكان من الآن فصاعداً نفسه عن أي صورة لبوليفار نقشت إلى الأحياء اللاحقه.

إن بوليفار حي، بالرغم من إصابته بمرض مميت، منذ الصفحة الأولى حيث يستلقي عدياً - مدفوناً إن جاز القول - في حمامه الصباحي إن عريه يصدم العديد من القراء، مثلما سيصدمون عندما يرويه بقاءاً ويطلق العارات ويعاشر النساء ويلعب أو يمشي خلال نعب الورق، أو يظهر جاباً شكساً، طموحاً في شخصيته، بعداً بعض الشيء عن الرؤية التقديسة الشائعة جداً في الخطب والاحتفالات الأميركية

اللاتينية. ومع هذا، فالصورة هي أيضاً صورة إنسان متحول إلى آخر برسالة مؤثرة: من المؤكد أن بلاياه ورفضه وموته القادم نحوه هي التي جعلته على هذا النحو، لكنه لم يهزم أخيراً حتى في أشد الظروف سوداوية وبأساً. لقد أمسى بوليفار شخصية من شخصيات عرس ماركير في الرواية، هذا لا يمكن إنكاره، لكن جرماً من عظمة هذا الروائي، هو أن "الشخصية الأميركية اللاتينية" هي التي استحوذ عليها وأصبحت عليها الدعوة قبل أن يلتفت إلى بوليفار بوقت طويل. وما هو المحرر العظيم أمام مكشورها، رمزاً لأعداد لا حصر لها من الأميركيين اللاتينيين المعديين والمكافحين المستسلمين أحياناً في مملكة هذا العالم المنهك. وبالرغم من كل خيلاء غارسيا ماركير، وعطرسته أحياناً، فقد كان رد فعله إزاء هذا التحدي الجدي والتاريخي، بسم عن رسالة وطيب خاطر لم يستطع إلا عدد قليل جداً من الكتاب أن يبدوا مثلهما، لا سيما أنه كان حاضراً لصعوبات لا تحيلها، لا عدد قليل من الأدباء. ومن هنا مصدر التأثير الهائل الذي أحدثته الكتاب في معظم قرائه.

أعلن عن الرواية قبل أسابيع من صدورها. وقد تهاوى غارسيا ماركير دائماً بأنه لا يحضر حفلات صدور كتبه، ويوحي عالماً أنه شخصياً يشعر بالضالة دائماً ما اضطر إلى التطواف والإعلان عن شيء، مثل ما يعلن عن متروحة بحاري، هو بالنسبة إليه، يدفعه الحقيقتي، إبداع جمالي لا يعاً تماماً بأي قيمة صرف قد يمكنها في سوق الكتاب الرأسمالي. غير أن الحقيقة هي أن مئة عام من العزلة قد أعلن عنها من صدورها بوقت طويل. ومع كل كتاب تزداد الحقيقة، لهذا السبب بدأ بعض الناس يسمونه بعد سنوات "بشويق غارسيا".

في التاسع عشر من شباط، كان أول رد فعل إزاء الرواية التي قرئت مصدرة على الآلة الكاتبة، متمثلاً برسالة من الرئيس السابق لجمهورية كولومبيا ألفونسو لوبيث ميتشيليسين وليس من قارئ اعتيادي، وكان رده: "لقد التهمت كتابك الأخير"، قد نشر في صحيفة التيسو واستخدم ليكون إعلاناً عن الكتاب حتى قبل صدوره⁽³⁴⁾. وصرح لوبيث أن غارسيا ماركير أظهر مواهب متعددة ومدهشة: فقد افترس فيه أنه واقعي سحري، لكنه كتب الآن عملاً طبعياً لو قدر لزولا أن يمتلك الموهبة، لكنّه بنفسه. لم يستطع لوبيث أن يرمي الكتاب جاساً، وقال إن قصة

بوليفار معروفة للجميع في أنحاء أميركا اللاتينية كافة، لكن الفارئ يخدعها على أنها قصة من نصوص التحري. إن أطروحة عارسيا ماركيث الأصلية الجديدة، التي معدّها أن بوليفار كان لا يزال يأمل في العودة سياسياً حتى ولو على فرض الاحتمال، مذهشة جداً، لأن هذه القصة هي "قصتنا جميعاً عندما نفقد سلطتنا". ويتبيّن في ما بعد أن الرئيس السابق يتكبر قرأ الكتاب أيضاً (لكنه كان أقل إيعالاً في المدح، لأن التأويل "البيرواني" لا يحظى عنده، وهو المحافظ، إلا بقول أقل من قبول لوبيث)⁽³⁵⁾، وسهر الرئيس الليبرالي الحالي بيرخيليو باركو طوال الليل كي ينهي من روايته⁽³⁶⁾. وحتى فيدل كاسترو نفسه، المصحح الكبير بحوسبه مارتي الذي حرر كوبا، قد قرأ الرواية، وقيل إن هناك من سمعه يصيح بأن الكتاب منح بوليفار "صورة وثيقة"⁽³⁷⁾. لكن ما من أحد عرف معنى تلك العبارة ولا إن كانت مدحاً أو قدحاً.

تُشرت مراجعات كثيرة حول الكتاب في الصحف والمجلات في جميع أنحاء الدول التي تتكلم الإسبانية. فهذه الرواية ليست رواية جديدة من تأليف أعظم اسم أدبي يكتب بهذه اللغة وحسب، بل هي أيضاً صورة لأهم شخصية في محمل تاريخ أميركا اللاتينية، شخصيته وصورته عزيرتان على قلوب الملايين، وليس على قلوب الأوصياء على الشعلة بوليفاريه، سواء أكانوا مؤرخين جادين أم إيديولوجيين أم ديمقراطيين. وكانت معظم المراجعات إيجابية إلى أبعد الحدود، لكن الشيء الذي لم بأنفسه عارسيا ماركيث، وإن لم يستعربه، هو بعض محاولات التي كانت مصممة على الهدم. فقد أشارت قلة لا بأس بها من النقاد إلى أن إحساس عارسيا ماركيث بالبالغ فيه مجده. وقف حجر عثرة في صريق تصويره لبوليفار؛ وهو عرض ينهم بأنه معرط في مؤثراته اللامسية ذات الطابع المشهدي، شأنها شأن الألعاب الداربية اسطوية على قننة الدت بدلاً من نص شخصية بوليفار الممكنة بقلأ ماسياً، علاوة على سلسلة من العبارات المندولة باستمرار، والنية العرضية التي كدت وظيفتها الحقيقية حبس الاهتمام إلى عارسيا ماركيث، فتصبح الرواية صريحاً محمداً للكاتب نفسه لا لطلها⁽³⁸⁾.

وكما هو موقّع، ربما كان أشد ردود الأفعال سلبية. قد صدر عن صحيفة التيمبو، بمع عارسيا ماركيث، العدم، التي وجدت في الرواية عملاً مضاداً لكونوميا، بحسب ما ورد في مقالة افتتاحية لها:

لكن للكتاب خلفية سياسية، إذ لا يستطيع المؤلف أن يُخفي فلسفته على صفحاتها المتن والأربع وثلاثين، وبخاصة في الميدان الإيديولوجي. فقد نفى عن مشاعر حقد غير مكبوتة ضد سانتاندير، وكشف عن وصءٍ وذئبٍ إزاء بوعونا وإنتاجها الكلاسيكي من الكاتشاكو، على حين يلجأ إلى خصائص الخيال الشخصية، ويعزو إلى أصوله الكاريبية الجزء الأعظم من الدافع الذي نقله إلى الخلد. إنه يؤكد بمهارة وحذق عالين شخصية بوليفار الدكتاتورية، وجدوره الخلاسية، ونزعه الدنيوية ليتجسج مقارنة بفيدل كاسترو لا يشعر بها العقل⁽³⁹⁾.

يظهر هذا المنحى المثير للاضطراب، مدى الانزعاج الذي سببه استيلاء غارسيا ماركيز على أنظار الأوصياء على هدية كولومبيا الوطنية. لقد صعدت عني كل زر، مما جعل كاتب الافتتاحية يعقد هدوء أعصابه، ومما لا شك فيه، أن غارسيا ماركيز شعر برضا المخارب الذي أحرق عدوه في الهواء الطلق عندما ردَّ على الإهانة بتلها:

سبي أن قلت إن التيمو صحيفة فقدت عقلها، تحميها حصانة غير مألوفة تماماً. فهي تقول ما يخلو لها ضد كل من يخلو لها، من دون أن تحسب النتائج، أو تفكر في الضرر السياسي أو الاجتماعي أو الشخصي الذي يمكن أن تلحقه. فلعل جداً من الناس يملكون الجرأة على الرد عليها خوفاً من سلطانها المطلقة. نحن بحاجة إلى أن نكشف أنفسنا، ولا نريد أن يظل كولومبوس مكتشفنا.

وقد ردت الصحيفة نفسها على هذه المقالة بمقالة بعنوان ثورة غضب نوبلي، نُشرت في الخامس من نيسان، وأعلن فيها أن "غارسيا ماركيز لا يقبل إلا للمديح"، ثم وُصف بأنه "بارون ماكوتلو"⁽⁴⁰⁾.

من الواضح أن شيئاً ما كان يحدث لغارسيا ماركيز ولمسمعه. علاقاته مع الكبار ومع الطيبين كانت تنمو باطراد - فالقادة السياسيون من أشتار كاسترو وساليناس وبريت اعتقدوا أنهم بحاجة إليه أكثر مما هو بحاجة إليهم - لكن بقية العالم بدأ يلاحظ، وبخاصة في بعض الأوساط، مشاركة أقل من ذي قبل. كما أصبح غارسيا ماركيز فعلاً تحت ضغوط متزايدة؛ مما يتعلق بعلاقته بكاسترو وكوبا، وإشارات صحافية لا أساس لها من الصحة عن علاقات جسية، وحريف

عمر سقيم، وحواف من أن تكون شعبيته في تناوُل، فيتبع ذلك تناوُل في نفوذه السياسي، وكان يميل إلى التسالعة في ردود أفعاله إزاء المحجمات أو النقد. لقد بد، للمرة الأولى وكأنه سيفقد لمسته قليلاً. وكانت الصحف الكولومبية تنشر، بل نشرت حقاً، أن تأثيره وشهرته صعد إلى رأسه، وأنه يقتصر بأعلى دواعي الزهو والرحسية والحماسية المفرطة

لكن الأمور كانت أشد تعقيداً من هذا كله. حقاً، كانت لعبة الحرب المارده التي لعبها غارسيا ماركيز أفضل من أي شخص آخر قد انتهت تقريباً، وإن كان بعض المراقبين يتوقعون أن هاجتها ستحل بأسرع ما يمكن في تشرين الثاني 1989. لقد تغير المناخ تغيراً كبيراً، وكانت مناورات غارسيا ماركيز أقل وتوقاً وارتجافاً، وقد فطر إليها صحافيون استجابوا حتماً للحو المتغير، وإن لم يستطيعوا رؤيه المستقل في كرة بورية بالوضوح الذي كان يراه فيه.

لقد كب غارسيا ماركيز كتاباً هو أكثر الكتب المنشورة في دار الحديث عنها عن بوليفار أهم سياسي في تاريخ أميركا اللاتينية - وأصبح كما كان يتوقع حتماً في خصم سلسلة لا تنتهي من المجادلات السياسية في مختلف الأماكن وعلى مختلف المستويات. في غضون ذلك، كان صديقه السابق ماريو فارغاس يوسا مشغلاً مشغلاً سياسياً مباشراً أكثر مما مضى، بل رشح نفسه ليكون رئيساً للجمهورية البيرو بوصفه ليبرالياً حديداً. وكان هو وغارسيا ماركيز قد اختلفا اختلفاً حاداً بخصوص الشؤون البيروفية في أواخر عقد الستينيات من اقرن العشرين عندما ساند، شأنه شأن معظم اليسار الأميركي اللاتيني، مساندة مشروطة النظام العسكري التقدمي للجنرال خوان بيلاسكو، على حين وقف فارغاس يوسا صده. اعتق أن كره العسكر كان سمة من سمات فارغاس يوسا في جميع الأوقات، على حين أن غارسيا ماركيز، الواقعي دئماً، وإن لم يكن شخصياً عبقاً، كان يعلم أن ما من دولة أو نظام يمكنه البقاء بلا جيش، ولهذا، كان يرى أنه لا بد من منح العسكر قدرأ من الاحترام دائماً. وبحلول نهاية شهر دار، تمى غارسيا ماركيز لصديقه السابق أطيب التمنيات وإن أبدى تحفظات: "نحتم على كل شخص في أميركا اللاتينية لديه جمهور ما، أن ينتهي به الأمر إلى السياسة. لكن ما من أحد

مضى بعيداً في هذا الشوط فدر ماريو فارغاس يوسا. أتمنى ألا تكون الظروف قد جذبه، بل أن يكون وانقأ من أنه يستطيع حقاً أن يجد حلاً للوضع في البيرو. ولا ينعكس للمراء حتى في خصم هذا العدد الكبير من الاختلافات الإيديولوجية إلا أن يسمي، إذا ما انتخب، أن تسيّر الرئاسة على ما يرام معه لمصلحة البيرو⁽⁴¹⁾ ثم أضاف: "إذا كان المراء متهوراً عليه ألا يكون سادجاً كي لا يستغنه أحد". وأخيراً، أصيب معظم المراقبين لأديبين ثغينة أمل عندما حشر فارغاس يوسا أمام أليبيرو فوجيموري، وهو شعوي معمر تحول إلى واحد من أسوأ حكام أميركا اللاتينية في نهاية القرن.

كادت إسبانيا في شهر آذار ما كان يتوقعه غارسيا ماركيز عاصباً مند أشهر عندما تست قوانين المجموعة الأوروبية التي تعني أن الأميركيين اللاتينيين يحصلون منذ الآن على تأشيرات لدخول شبه الجزيرة بصورة روية. وفي نوبة عصب واستياء، تذكر بنية العصب العاشلة ضد بينوشيت صرح قائلاً: "لن أعود إلى إسبانيا أبداً"⁽⁴²⁾ عني عن القول إنه سيضطر إلى تغيير برته، لكنه شعر بإهانة حفيفة. ومحر سادراء أن الإسبان لم تكن لديهم تأشيرات عندما وصلوا إلى أميركا اللاتينية سنة 1492. وأضاف أن هراكو نفسه سمح للأميركيين اللاتينيين أن يصبحوا مواطنين إسبان. وأخبر الصحافة أنه قد حذر فيليب عوثاليت قائلاً إنه إذا ما انصمت إسبانيا إلى الاتحاد الأوروبي، "فسولي ظهرت لأمركا اللاتينية"، وما هم قد ولوا ظهورهم لها⁽⁴³⁾. حملاً، إن علاقة غارسيا ماركيز بعوثاليت كانت مضطربة باستمرار بسبب اثنين بالرغم من أنها كانت علاقة وثيقة: أولاً، لقد قطع عوثاليت شوطاً طويلاً من النشاط الهدام السري ضد نظام هراكو، إلى العضوية في الجماعة الأوروبية وحلف الناتو أيضاً، وبهذا، لم تعد مصالح إسبانيا "مكملة" لمصالح أميركا اللاتينية، كما كان الإسبان يرعمون، بل معادية لها: فقد أصبحت إسبانيا اليوم، للمرة الأولى في تاريخها الحديث، جزءاً من "العرب"، وهو ما سببته عوثاليت بنفسه عما قريب، ودلت عندما أرست إسبانيا قواتها لحوص حرب الخليج ضد العراق سنة 1991. ثانياً: لم يكن هناك شيء يروق عوثاليت أن يعمل أكثر من الاستجابة لمطالب غارسيا ماركيز المسيرة به في تسهيل عودة كوبا إلى حظيرة

المجتمع الدولي، لكن غوثاليت وجد ممارسات كاسترو الدكتاتوري غير مقبولة - بل غير ملائمة أيضاً - في العالم الذي يتحرك فيه الآن، ونرعى باستمرار لما رآه من عناد كاسترو المتأصل وعجزه عن التكيف مع الدهج الذي يسم عليه العالم. (عني عن القول إن كاسترو كان يرداد اقتناعاً بأن عوالت قد ضل لا اشتراكاً العالمية)

في غضون ذلك كانت كوبا تمر بأحداث مثيرة. ففي أواخر سنة 1988، أرسلت ما تسمى "لجنة المئة" رسالة إلى كاسترو تدين فيها سياسات بلاده في مجال حقوق الإنسان، وتطالب بإطلاق سراح جميع السجناء السياسيين: "في كانون الثاني 1989، يكون قد مرّ عليك وأنت في الحكم ثلاثون عاماً من دون أن تكون حتى الآن قد أجرت انتخابات بقررها الشعب الكوبي إن كان يرغب في أن تستمر في الحكم بوصفك رئيساً للجمهورية، ورئيساً لمجلس الوزراء، ورئيساً لمجلس الدولة، والفائد العام للقوات المسلحة. وسيراً على نهج تشيلي حيث تمكن الشعب بعد خمسة عشر عاماً من الدكتاتورية أن يعبر عن رأيه بحرية في مستقبل البلاد السياسي، فإسأله الرسالة، نطالب بإجراء استفتاء عام كي يمكن الكوبيون عن طريق الاقتراع الحر والسري من التوكيد، بكلمة نعم أو لا، موافقتهم أو عدم موافقتهم على بقاءك في السلطة".⁽¹⁴⁴⁾

حدث هذا بعد مرور تسعة أشهر على نشر عاربي ماركيز صورته القسمية عن فيدل كاسترو المتحدث المحبوب والصديق الطيب لأصدقائه. كانت الرسالة قد وقعها في باريس عدد كبير من المشاهير والمثقفين، بالرغم من أن مجموعة الأحرار (خوان غوتيسولو، وبينيو ميدونا، وماريو فارغاس يوسا) باتت مرة أخرى في مركز الحدث ومع الحففاء الفرنسيين بصورة رئيسة. وكانت الدعوة الأولى كبيرة منذ قضية باديا، علاوة على حاصر آخر تمثل بأن الشيوعية كانت تترج قبل سقوطها في أوروبا. ولم تكن الأسماء الأميركية مؤثرة على وجه الخصوص باستثناء سوزان سونغ، مشم لم تكن الأسماء الأميركية اللاينية مؤثرة بدورها (إدخت من كارلوس بوينس وأوغستو روا باستوس، وغيرهما) لكن التحدي كان قوياً بالرغم من ذلك.

لقد كانت الرسالة أخطر هجوم لفظي على كاسترو وكوبا منذ سنة 1971، وكانت حقاً أشدها تأثيراً، لأنها لم تكن تستند إلى حادثة واحدة أو مشكلة منعزلة، بل إلى النظام السياسي الكوبي برمته، ووقعها عند كبير من المثقفين المؤثرين الذين مهما أطلت المرء العنان لحجائه لا يمكن له أن يصفهم بأفهم من الجناح اليميني. لقد كان عداء ريمان وتناثر الشذيد لشيوعية، المدعوم من البابا، والمسود بلا حدود من استسلام غورباتشوف اغفال، قد بدأ يعبر بسرعة الملاح الدولي، بل ويعبر العالم في الوقت المناسب، وسيكون فيدل كاسترو واحداً من أكبر صحباياه، وسيكون عام 1989 عام الرؤيا. وما لا يصدق، أن غارسيا ماركيز كان وسط كل هذه السحب المتجمعة، يحس معظم الوقت في هافانا يكتب رواية عن الأيام الأخيرة لبطل أميركي لاتيبي آخر - الوحيد الذي يمكن أن ينافس كاسترو - ويعتقد بعض المؤرخين أنه تحول إلى دكتاتور في أواخر أيام حياته.

لا بد من أن الحوادث المحيية للامال في كوب عررت رغبة غارسيا ماركيز في العودة إلى كولومبيا. وفي حين كان ماريو فارغاس يوسا قد بدأ حملته الدون كيهوتيه للرئاسة في اييرو، كانت الحكومة الكمية تلقي القبض (في التاسع من حزيران) على الجنرال أورلاندو أوتشوا ونحاكمه وهو أعظم أبطالها العسكريين في حمة أفريقي، تلك المعامرة التي سمحت تعطيتها لغارسيا ماركيز أن يقترب من فيدل وراؤول والثورة. وكان من بين الذين حوكموا أيضاً ثمان من أصدقاء غارسيا ماركيز، ومما العقيد طوبى لا غوارديا، وهو حيمس بوند على الطريقة الكوبية وشقيقه التوأم باتريثيو. كان غارسيا ماركيز يومئذ في كوبا يدرس في مدرسة السيام. وقررت المحكمة أن المتهمين مذنبان بتهمة قريب المحدثات، وبهذا فإنهما كانا يحوال الثورة الكوبية، وحكمت على أوتشوا وطوبى لا غوارديا واثني آخرين بالإعدام في الثالث عشر من تموز 1989، في حين حكمت على باتريثيو لا غوارديا بالسجن ثلاثين عاماً.

عد نهاية رواية الجنرال في مفاصله، يهبط بوليمار إلى أدنى مستوى له ويكي في مره بعد أن ساء في المطر وسهم من الانتظار من دون أن يعرف السب. وفي اليوم التالي، يتفادى أسوأ ذكرياته وهي إعدام الجنرال مانويل بير في أنغوسترا قبل ثلاث

عشرة سنة كان الحمرال يبار حلاسبا من كوراساو، رفض باستمرار سلطة اليص من ضمهم بولسبار نفسه بالإيانة عن السود ولولدين، محكم عيه بالإعدام لعصيانه الأوامر وتحامل بصيحة أقرب أصدقائه. وجاهد لكبح الدموع ولم يتمكن من رؤية الإعدام. يعلق الراوي: "كان ذلك أشد أمحاط استخدام السلطة وحشية في حياته، لكنه جاء في أنسب وقت في حيه أيضاً، لأنه رسخ به سلطته ووحد القيادة، وفتح الطريق للأحماده⁽⁴⁵⁾". على امتداد تلك السنوات الأخيرة، حل بوليمار بنظر إلى حادمه خوسيه بالثيوس ويقول: "سأفعل ذلك مرة أخرى". وهو ما قيل إن العقيد ماركيز نموه به بعد أن قتل ميداردو باتشيكو في بارانكاس). ليست لمة ضرورة على أي حال من الأحوال، كي يصع هذا المثال عن عمل يسم بوحشية تامة، وقد بعد لأسباب تعود إلى الدولة في هابه فصله ما قبل الأخير الذي يعدو، على نحو لا سبب إلى تعبيره، الدراما الأخيرة الكبرى، وانفعل السردى الأخير في الرواية (وإن كان ذلك قبل هاية حياة بوليفار بثلاث عشرة سنة فيظهر على نحو استرجاعي). إلا أن غارسا ماركيز فعلها، إذ يرى مرة أخرى قدرته الاستثنائية على توقع أحداث كبرى وقد اقشعرت لها الأبدان. لا بد من أن كاسترو قرأ هذا الفصل قبل أسابيع من اشتراكه في إصدار الحكم على مصير أوتشوا. هن تذكره وهو يتخذ قراره⁽⁴⁶⁾.

والآن، أعدم واحد من أقرب أصدقاء عارسيا ماركيز صديقاً آخر من أصدقائه المقربين. (أعس كاسترو أن القرار ليس بيده). وقد تسبب الإعدام بألم مص "لعارسيا ماركيز، وخرج سياسي شديد، إذ ناشدته شخصياً أسرة طوبى لا عواردها أكثر من مرة. فوعد أن يتوسط لدى فيدل، وقد توسط، لكن من دون فائدة.

رحل غارسيا ماركيز عن كوبا قبيل نعيد الإعدام وفي اليوم التالي، الذي نفذت فيه الإعدامات، كان عارسيا ماركيز مع صديقه أهارو كاستانو في باريس حيث التقى هناك جيسي نورمان، ووزير الثقافة الفرنسي جاك لانغ الذي كان يعد الترتيبات النهائية لمناسبة مرور الذكرى المثوية الثانية على نوره أخرى انتهت بأب أكلت ألباءها. وفي اليوم التالي، حضر عارسيا ماركيز مأدبة احتفالية للذكرى المثوية

الناسبة لافتحام سجن الباستيل، وكان يحشى أن يكون جنوسه بجانب مارغريت نانشر ("عينا كاليغولا، شفا مارلين مونرو"، بحسب وصف مصيفهم فرانسو ميتران)، لكنه كان مملوطاً إذ جلس بجانب بناتير بوتو رئيسة وزراء اساكستان الحذابة، في حين ظهرت مارغريت نانشر، ونحبت تغير إحدى الصحف البريطانية، كأها "شيخ المأدبة"⁴⁷، وكانت قد "عمت" أن الثورة العرسية هي التي بشرت بنعم الشيوعية". وفي اليوم التالي، وصل عارسيا ماركيز إلى مدريد وقال، "نه شاهد فيدل كاسترو" في لأسوع العائت"، وأصاف بوهن أنه أحمر ميلد أنه "لا يناهض عقوبة الموت وحسب، بل يناهض أيضاً الموت نفسه". وقال إن إعدام أربعة من جود الثورة "عمل مؤلم جداً، وحدث ألبا كلنا". وأصاف أن لديه "معلومات جيدة جداً"، أن لرجال الدين قصوا حوكموا محاكمة عسكرية، وأعدموا بتهمة الحياة وليس بتهمة قهرت المخدرات، وأن "قمة الحياة عقوبتها الإعدام في جميع أنحاء العالم"⁴⁸.

كانت العودة إلى كولومب جزءاً من استراتيجية عارسيا ماركيز الحديدة الصموح - هل تراه أثر الانكفاء أم تراه، كما يقول انفرنسيون، يعود القهقرى ليققر قصرته نحو الأمام؟- لكن كولومبيا كانت تدخل في هذا الوقت مرحلة كانوسيه حديدة ربما لم يسبقها مثيل على مدى تاريخها النصول فهي الثامن عشر من آب سنة 1989 لقي لويس كاربوس عالان المرشح الليبرالي الرسمى الآن، وأعظم اسيايين الكولومبيين شخصية منذ غايتان، المصير نفسه الذي لقيه سلفه عندما اعتنق في نظاهرة سياسية حاشية في صواحي بوغوتا على أيدي مهاجرين بعمون لمصحة بالبو إسكوربار. وكان رد فعل كولومبيا، التي اعتادت على مثل هذه لفظنغ، الدهول والياس الشامل"⁴⁹. مرة أخرى، م يرسل عارسيب ماركيز أي رسالة إلى الأرملة علوريا بانشود التي كانت أول صحافية نغري معه مقابلة صحافية لدى عودته إلى كولومبيا سنة 1966، لكنه صرّح في اليوم التالي أن اللاد "يجب أن تساعد الرئيس باركو"، ثم سدد عناية مهربى المخدرات" ألا يحولوا كولومبيا إلى بلد كريبه لس يستطيع العيش فيه لا هم ولا أولادهم ولا أحفادهم⁵⁰.

كان هذا العام عاماً استثنائياً على الصعيد السياسي، ومع هذا، فإن أكبر الأحداث قاطبة يوشك أن يقع، وهو سقوط جدار برلين في التاسع من تشرين الثاني. وكما ألمحت مارغريت ثاتشر، وكما توقع غارسيا ماركيز نفسه، يحتمل أن معني سنة من تاريخ العرب قد آلت إلى نهايتها والآن، لم تعد وفاء اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية والشيوعية نفسها بعيدة. وفي كانون الأول أُسر غارسيا ماركيز إلى العالم "أن فدل يحتمل أن يتأثر اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية بأعماله، مما سيؤدي إلى إهمد شأن العالم الثالث"⁽⁵¹⁾. من المؤكد أن غارسيا ماركيز لم ينهل المحتوى الحميمي لأحاديثه مع كاسترو، وأضاف أن اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية ضروري ليوارن الولايات المتحدة الأميركية، وأنه إذا ما سحب دعمه المالي عن كوبا هذا هو الشبح الأكبر الذي يواجه الثورة فيسكون ذلك "أشبه محاصر ثان". وأقر غارسيا ماركيز أن كوبا بحاجة إلى تحولات عميقة، بعضها بدأت حتى قبل ظهور البريسترويكا بر من صوبل. لكن أعداء كوبا يواصلون معارضة دحولها مرة أخرى إلى عالمها الطبيعي وهو أميركا اللاتينية لأن الجماهير ستري في ذلك انتصاراً لفيدل كاسترو. لا بد من أن غارسيا ماركيز اعتقد أنه من حسن الحظ إعادة انتخاب فيليب غوثاليت وحكومته في إسبانيا في التاسع والعشرين من تشرين الأول، وهو خير جيد صغير في حصص باوراما مثيرة للجدل.

رأى غارسيا ماركيز أن جزءاً يكامله من التفكير التقدمي والعمل السياسي في العالم في طريقه إلى التلاشي. وستلي ذلك حقبة غير مسوقة من التحول الاجتماعي. لكن في حين كانت لحظات التحول الكبرى في الماضي، بصرف النظر عن ارتباطها، نرافها إيديولوجيات سياسية واجتماعية تفسرها، فإن كل شيء الآن أصبح مدفوعاً بدافع التحول الاقتصادي نفسه وما يرافقه من إيديولوجية العوامة. وفي الوقت نفسه، يمكن أن يبدو معنى هذا كله وقد اسلمه التقدم التكنولوجي والإحصائي. من هنا لا بد من عودة ضرورية جداً إلى أصول الدين الباطن من القلق ومن المخوف، من وحتى من اليأس. فكّر غارسيا ماركيز في هذا لكنه لم يصرح بشيء عنه. لكن مهما حدث في العالم امادي، فإن غارسيا ماركيز سيطلق بحثاً عن

طريق سدين كي يظل معائلاً. لأن رد فعله كان هكذا تجاه جميع المحطات السودوية. واليوم، يرى أن هذا هو واجبه تجاه كوكب الأرض.

-23-

عودة إلى ماكوندو

خبر كارثة تاريخية

1996-1990

كان العام 1989 أسوأ الأعوام قاطبة في تاريخ كولومبيا الحديث. فهي شهر آذار أصيب أرمنستو سامبر، رئيس الجمهورية مستقلاً، بعدة إطلاقات نارية في محاولة لاغتياله في مطار إلدور دو ونجا بأعجوبة. وفي أيار حاولت ميليشيات أن تعجز ميعيل ماتا ماركيز، قائد الشرطة السرية دي أي أس، ونجا بدوره بأعجوبة. وفي آب اعتيل لويس كارلوس غالان من الحرب الليبرالي أمام الملأ. وفي أيلول لحق الدمار بمكتاتب صحيفة الاسيكنادور إثر هجوم آخر، وتعرض فندق هيتون في كارتاجينا لقذف بالقنابل. كما هدد مهربو المخدرات حياة سير عافيريا، بديل غالان وعصو الحرب التكتونرافي، حال أعلن عن ترشحه⁽¹⁾ وفي محاولة سابقة لاغتياله في تشرين الثاني، قذفت طائرة مدنية تعود إلى شركة الخطوط الجوية الوطنية ألبانكا بالقنابل محملة منه وسبعة قتلى، لكن عافيريا لم يكن على منها. وفي شهر كانون الأول، فُجرت قنلة أخرى كبيرة أمام مبنى الشرطة السرية في بوغوتا، ففني عشرات المارة مصرعهم. وهناك حوادث أخرى كثيرة مماثلة. لكن هذه الحوادث كانت شيئاً جديداً تماماً. صحيح أن عدد الناس الذين يموتون اليوم لا يزيد عن عدد الذين لقوا مصرعهم في دروة أحداث العنف التي وقعت في خمسينات القرن العشرين، لكن العالوية العظمى من أولئك الذين قتلوا كانوا جمهوريين في المصالح الرعنة. حقاً، لقد كانت الشكوى التي قدمها الكثيرون في الماضي ضد النظام السياسي الكولومبي، هي أن كل فرد يمكن أن يلقي مصرعه باستثناء مرشحي

الحريين التقليديين؛ إلا إذا كان أولئك المرشحون (كم هي الحال في قضيتي عايزان وغالان) يهرون قارب الثرمانية الذي يبحر فيه كل حزب بالشاوب باتجاه انتصارات مريحة معدة سلفاً في مياه سياسية سلسة.

غير أن الاختلاف يكمن في واقع الأمر في المخدرات. فالأحزاب السياسية التقليدية لم تعد تسيطر سيطرة تامة على رمام الأمور، لأن جزءاً كبيراً من المورد الوطنية لم يعد مكانها لتوزعه بأي سبل كان يحافظ على "استقرار" وضعها القائم. غير أن مصالح أخرى باتت اليوم في خطر، وبهذا، أضحت هناك أهداف جديدة. فهي الثالث من تشرين الثاني، أوردت صحيفة إكسيبيور قول عارسيا ماركير بأن ما يسمى "الحرب ضد المخدرات" (وهي العبارة المفصلة لدى الولايات المتحدة)، يحكمون عليها بالإحراق، استناداً إلى لتصور الراهن⁽²⁾. وبدأ بحث على ضرورة البدء من جديد بمباحثات تشارك فيها الحكومة والشوار ومهربو المخدرات، وإلا، فإن كولومبيا، بحسب تعبيره، سيتهي بها المطاف إلى أن تكون ضحية مخططات الولايات المتحدة الإمبريالية الموحدة إلى جميع أرجاء القارة، وذلك بشن معارك بالإندية عن نفسها.

بعد ستة أسابيع لا غير، سينمكس كل فرد من رؤية أن عارسيا ماركير أظهر مرة أخرى أنه على دراية بصف الكرة الأمريكي. وفي أواخر كانون الأول، رأت الولايات المتحدة الشجاعة إثر سقوط حدار برلين، إذ بدلاً من أن تم تاح لذلك، عبرت برئاسة جورج دبليو بوش باناما، وقتب مئات المديين الأبرياء، وحفظ رئيس الجمهورية الأمريكي الالتيي (صنيعهم أنطونيو موريغا) لسرة الأولى في التاريخ. كان موريغا دكتاتوراً على وجه التأكيد، وكان أيضاً رجل عصايات ومهرب مخدرات وابن عاهرة بكل معنى الكلمة (وكانت هذه كلها مبررات الغزو)، لكنه كان أيضاً رجلاً بصعة أشهر. وهكذا، رجعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى سياسة العرو لخارجي في السنة نفسها التي اعترف فيها اسوفيات أن عروهم الكبير لأفغانستان كان خطأ. دان غارسيا ماركير التدخل اسانامي في صحيفة عرائم الكورية (الحادي والعشرون من كانون الأول) بالرغم من استيائه من نوريجا، لكن عرائم لم تكن مطبوعاً يحظى باهتمام مسطات الولايات المتحدة.

وكانت هناك العديد من الكتب الجديدة على الجدران، كما كانت هناك أيضاً كتابات قديمة.

سارت الأمور في كولومبيا سنة 1990 مثلما سارت سنة 1989، وشرت مجموعة من "الوجهاء" و كبار الشخصيات العامة، بدعم من رئيس الجمهورية باركو على ما يبدو، رسالة مفصولة يقترحون فيها عقوبات "أقل قسوة" نحو مهربي المخدرات إذا ما أرادوا وضع حد لحملة العنف. تعرضت عناصر باركو في كارتل ميدلين أن توقف حمام الدم وتسلم مشآت تفقية الكوكايين مقابل ضمانات حكومية. لكن، لم يوافق جميع مهربي المخدرات على هذا العرض، فالمرء لم يمدح مرشح نائب لرئاسة الجمهورية مصرعه وهو برناردو خاراميبو عن حرب يونيو باريوتيكا (الاتحاد الوطني) وكان يعرف سابقاً باسم القوات المسلحة الثورية الكولومبية (أف أي آر سي) وذلك على أيدي كارتل ميدلين في أواخر شهر آذار. (كان تنظيم القوات المسلحة الثورية الكولومبية (أف أي آر سي) يقدم التنظيمات الثورية، مؤسسوه من يسار الحزب الليبرالي إبان المراحل الأخيرة من حقبة العنف، ثم أسسوه ليكون الجناح المسلح للحزب الشيوعي في ستينيات القرن العشرين. كما أنه يُعتبر المنظمة الثورية ذات الجذور العميقة جداً في أوساط الملاحين في بلد شتهرت في مطلع القرن الحادي والعشرين بأنها ذات أكبر عدد من الملاحين امشردين في العالم. وعندما حاول التنظيم أن يسلك الطريق الانتخابي في ثمانينيات القرن العشرين، حسم زهاء ألفين وخمسمئة مرشح وموظف اغتالتهم فرق الموت التابعة للميليشيات المرتبطة عالياً بقوات حكومية. وبما لا يبعث على الدهشة، أن التنظيم عاد إلى حرب العصابات على نطاق شامل).

واقعت المعارضة وزير الداخلية كارلوس ليموس سيموندس بالتحريض على اغتيال خاراميبو، فاستقال. وفي أواخر شهر نيسان، لقي نائب مرشح برئاسة الجمهورية مصرعه، وهو كارلوس بيثرو، الذي كان منتبهاً إلى حركة أخرى من الحركات الثورية اسابقة وهي أم - 19، وذلك خلال رحلة طيران داخلية، على يد مهاجم استأجرته فرق موت مدعومة من الشرطة أو الجيش؛ بحسب اتمام شقيق بيثرو. في غضون ذلك دفع مهرب المخدرات البار باركوبار مبلغ أربعة

ألاف دولار عن كل شرطي يتم تعيينه، فصحجرت انقالب في طول البلاد وعرضها وقتلت مئات الناس. وعندما جرت الانتخابات الرئاسية. فاز سير غاهيريا رئيس الأركان السابق في حكومة إعلان بسبة 4.37 بالمئة من الأصوات، ولم يكن قد ذهب إلى صديق الاقتراع سوى 45 بالمئة من الأربعة عشر مليون ناخب يمن لهم الانتخاب. وعندما عرض مهربو المخدرات تعليق حوادث العنف. رفضت الحكومة الجديدة العرض، إذ كان برنامج غاهيريا يشتمل على الاستمرار في سياسة القمع ضد كارتلات المخدرات ومواصلة الإصلاح لدستوري.

في هذه اللحظة نفسها قرر عاريسا ماركيز أن يبدل مجهوداً آخر ليضع نفسه في كولومبيا. ولا بد من التساؤل إن كان قد فكّر في ذلك في مثل هذا الوقت الكبير على المستوى الوطني لو لم تكن كوبا تثير حرجه سياسياً وعندما تمكن من الرفوف على قدمه مرة أخرى وبدأ يوسع من استراتيجيته السادسة الجديدة، فإن هدفه لم يعد مثلاً بتحسين الثورة الكوبية، بل المساعدة على إيقاد حبل؛ من نفسه إن كان ذلك ضرورياً⁽³⁾. وابتدأ عاريسا ماركيز يقرّ في مناسبات عدة - وإن كان يطرح ذلك على أنه حدى طلبعي - بأنا "في البدايات الأولى من مرحلة جديدة يصعب توقعها"، ثم حدد على نحو ربما أقل إقناعاً، بأن هذه المرحلة الجديدة ستو "محكوماً عليها بتحرير تفكيرنا"⁽⁴⁾ إلا أن الشيء الذي لم يعترف به هو أن هذا العهد الجديد حسد هزيمة كل شيء كان يعتقد به دائماً. وقرر ألا يوح بمحسوب صدره، بل أن يستفيد من كل ما يحدث وأن ينصرف كأكل ما يجري كان بتطلع إليه. فالرجعون، وفي مقدمتهم حكومة الولايات المتحدة، هم الذين لم يفهموا حسامة ما كان يحدث في العالم ونطاق الفرص التي تنتظر البشرية الآن. وقال إن ما يحدث يستدعي من الجميع إعادة النظر في معتقداتهم السياسية⁽⁵⁾. كانت تلك لحظة حاسمة في تفكيره

هل يمكن للأمر أن تتحسن حقاً؟ لا، فقد ساءت أكثر سرعة. فهي أواخر شهر شباط. وبعد بضعة أسابيع على حادث باناما، حسرت حكومة السانديستا في الانتخابات بعد أن كانت قد فازت بالسلطة وتمسكت بها وهي بين أسنان المعارضة الأمريكية، إذ صوت صدها شعب تعب من الحرب وعدا متشائماً بشأن

المستقبل في قارة لا يزال يهيم عليها عملاق الشمال أصيب غارسيا ماركيز بالدهول، لكنه أفصح في القول إن الساندينسفا ستفوز في الانتخابات المقبلة^(٦٦). ولم يكس فيدل كاسترو ليندهش مما جرى في بيكاراغوا، لكنه لا بد من أن يكون قد شعر بحجة أمل مريرة وحتى على مستقبل بلاده. والحقيقة هي أن أميركا اللاتينية باتت على وجه العموم أشد فقراً في أواخر ثمانينيات القرن العشرين مما كانت عليه في الستينيات، وكانت أعب أقصاها عارقة في ديون تقية. وكان يمكن مشاهدة الحنف الاقتصادي والظلم في كل مكان لقد ساد الاعتقاد أن رواية مئة عام من العزلة شاهد على التأخر في تلك اللحظة نفسها التي كان يوشك فيها على الرحين هائياً بفصل نورات عقد الستينيات. لكن ما حدث هو العكس، إذ بدت أموك اللاتينية في أواخر عهد الثمانينات وهي في طريقها عائدة إلى ماكدونو.

لاحق الصحفيون غارسيا ماركيز في كل مكان في كولومبيا، وهو أمر معاد. كان قد بدأ الاشتغال على دراما تاريخية أخرى تدور حول العواطف الحسية، ويكون عنوانها أحب وشياطين أخرى، وأثر عودته بالإعلان عن أنه سيقبض بللمربون الكولومبي فيسه ماريا (1867) لخورخه إسحق، وهي أشهر قصة كولومبية وأكثرها شهرة قبل صدور مئة عام من العزلة. وكان من المقرر أن تُعرض في شهر تشرين الأول. وقال إنها تمثل تحدياً كبيراً ومسؤولية عظيمة، لكنها هي الفسه التي كان يتطلع إليها كثيراً، وكان يأمل أن يجعل سيدات البيوت في أميركا اللاتينية يهش بالكاء بهذه السحرة التلفزيونية أكثر مما أجهشت بالكاء جداث جداث ومن صمنهن جلة جدته عندما كانت الرواية الأصلية في أحصافه في سبعينيات القرن التاسع عشر وصرح: "إن الحب أهم موضوع في تاريخ البشرية" - إذ كانت قصة ماريا أشهر قصة حب في تاريخ أميركا اللاتينية "يقول البعض إن أهم موضوع هو الموت، لكني لا أظن ذلك، لأن كل شيء يقترب بالحب"^(٦٧). ما كان من شأن غارسيا ماركيز أن يكون أشد إيماراً في نقل تطور في ضوء مكر الحذب الموضوعاني.

وبالرغم من تعميخاته بأنه "راجع" - وهو ما نصر إليه الكولومبيون بارتباب بعد أن سمعوه من قبل يردد ذلك مرات عديدة - إلا أنه سافر برفقة ميرثيس إلى

تشيلي والبرازيل قبل العودة مؤقتاً إلى المرفأ الأمير في المكسيك. كاتب ربارة غارسيا ماركيز إلى تشيلي لحضور احتمال نصيب باتريثيو إيلوين في الحادي عشر من آذار، وهو أول رئيس ديمقراطي في تشيلي منذ سنة 1973. وأخيراً استطاع غارسيا ماركيز أن يشر بالمادة وهو يشاهد بينوشيت وقد حُسر في الانتخابات مثل حسرت الساندينيستا (وإن لم يخرج من الحياة السياسية النشيطة)

وقد سبق أن رأى غارسيا ماركيز بينوشيت في واشنطن سنة 1977 عند توقيع اتفاقية قننة باناما خلال إضراب غارسيا ماركيز الأدبي (الذي كان بسبب نسلم بينوشيت السلطة). وها هما الآن معاً في احتمال لا بد من أن الجبرال التشيلي شعر معه أنه أقتل الاثنين ارنياحاً. (لقد دُكر في صحيفة الفايستيفال تانز اللدية على نحو مناسب تماماً، أن بينوشيت أضحي الآن ضائعاً في متاهته)¹⁸. أهم تجربته جديرة بالذكر مرّ بـ غارسيا ماركيز، هي اشتراكه في إعادة فتح منزل نابو بيرودا في إيسلا نيرا الذي أغلقه الدكتاتور على مدى سبعة عشر عاماً. وكان يرفقه حوسب دو موسو، وخورخه إدواردو، والشاعر بيكانور بارا، وإنريكي كوربا، والسكرتير العام للحكومة الجديدة.

في شهر آب، توال غافيريا السلطة في كولومبيا بعد أن كان قد انتخب في شهر أيار، وله من العمر ثلاثة وأربعون عاماً، وكانت مبادرته السياسة الأولى اقتراحاً بتشكيل مجلس تأسيسي وطني لإصلاح النظام الحكومي - كان الدستور احيائي يرجع إلى رئيس البلاد الساحي الوحيد راهانيل بويث عام 1886 - وهو ما كان غارسيا ماركيز يريد لغافيريا أن يفعله بعد أن صرّح دائماً أن الدستور القديم ليس سوى دستور نظري. (في الرابع من أيلول، لقد تمّ التساؤل في صحيفة النابيس بلاغة إن كان غارسيا ماركيز من "أنصار غافيريا"¹⁹). فكان رده: ليس الآن، لكنه سيكون من أنصاره بعد حين). إن دستوراً جديداً من شأنه أن يعيد تعريف البلاد، وقد يؤدي إلى مستقبل مختلف تماماً. وغرض اقتراح أن يكون غارسيا ماركيز مرشحاً للمجلس التأسيسي في السابع والعشرين من آب مهمته رسم الوثيقة الجديدة، مما جعل الصحافة تناقش مطولاً مشاركته المحتملة على مدى الأشهر القليلة المقبلة، وتستمع كثيراً بالكشف عن تناقضات إسناد كان "صديق الدكتاتوريين"، وأنه لم يشارك في انتخابات طوال حياته.

بالرغم من بداية عافيريا الباءة، إلا أن مهر بي لم يتركه في شهر عسله، واستمرت السياسة كالمعتاد في الشهر الأول من نصبه. وفي اثلاثين من آب احتلطف رجال العصابات العاملون لدى بابلو إيسكوبار الصحافية دينا طريه ابنة الرئيس اسابق حوليو سيسر طريه، وخمسة صحفيين آخرين. وفي الحادي والثلاثين من آب، حاول رجال العصابات أيضاً احتطاف الصحافي في دار الإذاعة ياميد آمات. وستشمل هذه الحوادث وغيرها من القصايا المشابهة، الأساس برواية عارسيا مار كير الوثائقية خبر اختطاف التي صدرت بعد أربع سنوات، بالرغم من أن مودج تلك الحوادث لم يكن واضحاً لديه في تلك اللحظة. وفي الثالث من أيلول، وجد العبارة الثانية من شعاره الجديد. كانت العبارة الأولى معروفة وهي: "الأزمة تغير وعينا أن شكيم". أما العبارة الثانية فكانت جديدة: "بدل وحده هو الذي يمكنه أن يغير كوبا، لكن الولايات المتحدة برى دائماً غولاً"⁽¹⁰⁾ بها عبارة ذكية حقاً، لكن المشكوك فيه هو أن يكون هيل قد استشير في موضوع الحاجة إلى تغيير كوب. من المؤكد أنه لم يكن يتقوه عبارة بهذا الكلام، لكنه سرعان ما سدر ك أن تتم كوبا للاقتصادى من دور الاتحاد السوفياتى، والحصار الذي لا تزال الولايات المتحدة تعرضه عليها، وب يسمى 'بامر حلة الخاصة' من التقمص الذي ليس له نظير، كلها أمور لا بد من أن تعلق قريباً.

في العام 1991 طور عارسيا مار كير عملته الكولومبية وأكد غرمه طويل الأمد على أن يقسم حياته بين المكسيك وكوبوميا وذلك بأن عين مارغريت مار كير، ابنة حاله اراحل حوان دي ديوس، سكريرة له في لشغة العميصة التي اشراها هو وميرثيديس في بوغوتا كي يرجع إليها رجوعهما الأسطوري. لكن شهر ربارة عارسيا مار كير الأخيرة كان شهر عيب أيضاً. بعد أحداث ماريلا مونتويا، وهي حدة، من بين ارهائى اندي حلفهم إيسكوبار، وقُنت. حاول احبش أن يقد دينا طريه في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني، لكنها قُنت في أثناء محاولتها الهروب من حاطفيها، مما حصر عارسيا مار كير على الحديث علناً وهو المعروف بترده في إطلاق تصريحات المؤيدة للحكومات الكولومبية. فقد كان في مقابلة إذاعية في السادس والعشرين من كانون الثاني إن

أولئك المعرضين للاعتقال والإبعاد إلى الولايات المتحدة تعرض محاكمتهم^(*)، ينبغي لهم أن "يحترموا حياة الصحافيين"⁽¹¹⁾. وفي السادس من آب، أطلق سراح الرهينة يانثريث بيايمار، لكن ماروخا باتشون، وبانثيو سانسوس وهو عضو في أسرة مميعة التيسو (ومائب رئيس البلاد مستقبلاً) طلاً في الأسر. ولربادة الطين بلّة، فقد كانت هناك نشاطات مكثفة لرجال العصابات في أطراف بوغوتا عسها. في غضون ذلك، أصدر رئيس الجمهورية عافيريا بياناً في الولايات المتحدة أعلن فيه أنه لا يرل بفصل، بعد أن أخذ كل شيء في الاعتبار، تسليم مهرسي المخدرات إلى حكوماتهم، وهذا يعني أن مستويات العنف الراهنة ستواصل بل ستزايد أيضاً. بدت الأوضاع حرباً حتى اموت بين كارتلات المخدرات والمجتمع المدني.

عاد عارسيا ماركير إلى المكسيك في شهر تموز في زيارة قصيرة ليلتمت إلى شؤونه والترامنه فيها، لكن قن سهره، كان رئيس الجمهورية عافيريا، الذي رمى أصعى إلى عارسيا ماركير، قد هاوص بابلو إيسكويار ووصل معه إلى صفقة مثيرة لكنها تنير جدلاً عميقاً، سلّم موجهها سد المجرمين نفسه لقاء حكم محصف وظروف سحر مربحة؛ ليس في الولايات المتحدة كما كان يحشى كل مهرسي المخدرات، بل قرب مسقط رأسه في مدينة ميدلين. وصف عارسيا ماركير الاتفاق الذي سيدينه ابيمين الكولومبي والولايات المتحدة على أنه "انتصار الذكاء". وأوضح أن الولايات المتحدة الأميركية عسها ذات تاريخ طويل في التفاوض مع العصابات عندما تكون هناك أسباب طرية للتفاوض⁽¹²⁾. إنه لن الصعب تأيد كل المس والمناورات المولة التي تصطر سياسة الحكومة إلى اتحاده على مدى السنوات الثلاث المقبلة، لكن عارسيا ماركير سينذل قصارى جهده في المساعدة.

وسيكون عافيريا معيداً نه. فعندما رجع غارسيا ماركير إلى كولومبيا، كان لديه عمل ضروري يهتم نه، ومسطهر لكل المتشككين - وهناك الكثيرون مهم - أنه ملتزم، لا بالعودة إلى البلاد على أساس المدى الطويل وحسب، بل المشاركة أيضاً في الحياة السياسية. وكان قد قرر أن يشتري بالمرايدة بشرة أحبار تنفرونية مسائية بعوان "كاب" (وهي كلمة عامية يلجأ سواق سيارات الأجرة إلى استعمالها دلالة على الاسعداد، أو في خدمتك، أو جاء دورك في الحديث). كانت الفكرة

لإنريكي سانتوس كالديرون. وكان من بين الصحفيين الآخرين المشاركين كل من ماريا ألفيرا سامير وماريا إيزابيل رويد. أما جوليو أندرياس كاماتشو، صاحب مجلة كروموس، فكان حامل أسهم بالغ الأهمية شأنه شأن عارسيا ماركير (بالرغم من أنه سدعي لاحقاً أنه ليس سوى روح مشروع). ولم يكن هناك ما سبعت على الدهشة عندما منح حكومة عافيريا "كاب" رخصة للبدء بالإداعة في الأول من كانون الثاني سنة 1992.

في غضون ذلك، كان عارسيا ماركير وميرثيديس يُظهران التزامهما بالعودة الكبرى بأكبر قدر مسحوط. فبعد أن انتاعا الشقة في بوغوتا اختاروا موقعاً لبيت جديد في كارثاجيا في مواجهة البحر قرب أسوار المدينة القديمة وبحوار دير سانت كلارا المهجور الذي يعد واحداً من أحمل مباني المدينة التي ترفي إلى عهد الاستعمار. وتقرر أن يرأس المشروع المهندس المعماري الرائد في كولومبيا روجيليو سالوبا الذي سبق له أن كان مصدر عون لعارسيا ماركير في باريس سنة 1957. لم تعد كون في مقدمة أولويات عارسيا ماركير كما يبدو، أو في الأقل، قرر أن يجعها تسو وكأها م تعد في مقلعه أولوياته.

في آب سنة 1991، وكجزء من عمل عارسيا ماركير المستمر في التكيف مع انتصار العالم الرأسماني الليبرالي، دخل الولايات المتحدة بتأشيرة دخول اعتيديه للمرة الأولى منذ سنة 1961، إذ أدت انقراض الجديدة بشأن الشيوعية والهجرة إلى دفع اسمه في هدية المطاف عن لائحة الملع. لقد ظل يسطر ثلاثين سنة من أجل الحصول على تأشيرة اعتيديه، وما هو الآن يدخل الملاد لفتح مهرجان نيويورك استثمائي الذي يعقد من السادس عشر وحتى الثلاثين من شهر آب لقد أروعج الملع عارسيا ماركير أكثر مما كان عني استعداد للاعتراف به. أولاً، وكما هي حال معظم الناس في منطقة اساحل. لس أقلهم بقية أعضاء جماعة باراكيا. لم يشعر قط بكرهية عميقة تجاه الولايات المتحدة الأميركية، و باحتقار متكرر لثقافتها، وهو الأمر الذي كان يشارك فيه العديد من الأوروبيين لا سيما الفرنسيين (ولم يكن فيدل كاسترو أيضاً، ويا للمعارفة، محاراً ضد الشعب الأميركي وثقافته، وما عشقه طوال حياته للعبة البيسبول إلا أحد الأمثلة على ذلك).

حفاً، إن اعتراضات غارسيا ماركيز على الولايات المتحدة الأميركية كانت في مجملها اعتراضات سياسية بطبيعتها، وتنه بسرعة إلى أن قرأه من الأميركيين كانوا أكثر حماسة من قراله الأوروبيين، وأقل اسرعاجاً بكثير، وبألحاح، من مواقفه خارج الحدود الأدبية. وكانت ترجمات كتبه إلى الإنكليزية تناع بشكل جيد دائماً وتحظى بإعجاب النقاد، وكان المرحمان الرئيسان لمؤلفاته، وهما عريغوري راباسا وإيدث عروسمان، أميركيين. وفي الأعوام الأخيرة كان متلهماً لإقامة أي روابط مستطع إقامته مع صناع الأفلام الأميركيين التقدميين وبخاصة فرانسيس فورد كوبولا، وروبرت ريدفورد، وودي ألي⁽¹³⁾. كما بدأ يحب مدينة نيويورك كثيراً لأن وهو يرورها بوصفه سائحاً بارزاً وليس تحت حصار دائم من الكوبيين المهاضين للنوار. لهذا، ارتاح رتيحاً كبيراً عندما أصبحت حالته اعتيادية. وعندما كان في نيويورك، حدثت المحاولة الانقلابية ضد ميخائيل غورباتشوف في موسكو، مما أدى بعد ذلك إلى سقوط الرعيم السوفياتي في شهر كانون الأول، وبالتالي إلى تفكك اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية. شاهد غارسيا ماركيز الأحداث على شاشة التلفزيون في غرفته في الفندق في نيويورك، ولم يناقش هذه التطورات وتطورات أخرى سواها إلا مع بعضه السابق، وزير خارجية الولايات المتحدة الأسبق هنري كيسنجر؛ الذي م تكن هناك شخصية مكروهة أكثر منه سوى شخصية بيوشيت⁽¹⁴⁾. وكانت كوما علي رأس جدول المناقشات.

في أواخر فصل الحريف، عاد غارسيا ماركيز إلى إسبانيا، المستعمر الأول لغارة أمير كاللاشنة، بعد أن توصل إلى السلام سنة وبن الولايات المتحدة. وكان العام 1992 يقترب بسرعة كبيرة، واقتربت معه احتفالات الذكرى الثوية الخامسة ما يسمى "اكتشاف العالم الجديد". ونطت عزيمة الإسبن الذين لم يدر كوا دوماً كل الإدراك مدى أساع نطاق وصايتهم التي سيسعرها الأميركيون اللاتينيون خاصة عندما تراحموا للإعلان عن أنهم لم يكونوا محتاجين إلى "اكتشاف"، فشكراً جريلاً لكم - فقد اكتشفوا هم أو أمهاتهم وأسلاتهم الهود أنفسهم قبل قرون عديدة من الزمان - ولم يكن من الواضح هم، بأي وسيلة من الوسائل، أن هيء الإسبان إلى ما أسموه خطأ "جرر الهند"، سنة 1492، كان سبباً للاحتفال، فأعاد

الإسبان بعجالة ما أسموه تسمية الحدث القادم باسم الذكرى المثوية الخامسة "للقاء الصالحين". كان غارسيا ماركيز واحداً من أكبر المتشككين، إلا أنه لا بد من أن يكون قد انتهج سراً بالمستقبل، فقد كان صديقه فراسوا ميران في السلطة في أثناء الاحتفال بالذكرى المثوية الثالثة للثورة العرسية. واليوم صديقه الإسباني فيليب غونثايت في السلطة لتعظيم الاحتفال بصف الألفية على وصول أوروبا لعالم الجديد.

وعما أن غارسيا ماركيز يوافق دوماً مع التاريخ، فقد بدأ يشعل في مشروع أدبي ملائم لهذه المناسبة. فمد سنينات القرن العشرين، وبعني من المعاني، مند أن عاش حقاً في أوروبا في أواسط خمسينيات القرن لعشرين، كان يلهم بقصص نقل بحيرة معايرة للتحفة التي يحتفل بها الإنسان، وهي وصور الأميركيين اللاتيين إلى أوروبا ومواجهة ما بطروا إليه على أنه ثقافته غريبه بالرغم من كل شيء، معني ما، هذا هو ما كان يتحدث عنه مؤحراً مخصوص هجرة ذوي الأصول الإسبانية إلى الولايات المتحدة، وهو صرب من صروب الاستعمار العكسي الرمزي، ربما يذهب القول بالعص إلى عودة لمصطلحين، ووضح الخطوط العريضة لعشرات الحكايات على امتداد سنوات، وما هو الآن قد قرر اختيار أفضلها، تلك التي نقت، بعد عربنته لأخيرة، لإنتاج مجموعة قصصيه يمكن أن تصدر سنة 1992. وقد ظهرت بعض تلك القصص بين عامي 1980 و1984 عندما قدّم قصصاً يمكن أن تشمل عليها هذه المجموعة القصصية الجديدة، تماماً مثلما كتب يوميات تتحول في نهاية الأمر إلى نصوص سينمائية لسلسلة قصص حب صعبة. لم يكن غارسيا ماركيز في عجلة من أمره، لكن من جهة أخرى، لم تصعب منه فرصة للشر أيضاً، إذ ضلت العديد من المشاريع متواصلة على مر العقود الزمنية، ولكنها وجدت نفسها في شكل هي - وفي شكل كتاب في نهاية المطاف وفي اللحظة التالية في أغلب الأحيان. وهكذا أحرر إكمال روايته بجديدة الحب وشياطين أخرى، كما أحرر شرها والنقت إلى قصصه المسووحة من أوروبا

سافر إلى مرسونة حيث أصبح يملك الآن شقة ضخمة في شارع باسيو دي غراسيا، إحدى أرقى المناطق في المدينة، وفي مبنى أعاد تأهيله المعماري المشهور

ألفونس ميلا. ثم سافر بعد ذلك إلى مختلف أنحاء أوروبا، كأنه يريد بذلك أن يعلن حقه في الأراضي التي كانت إسرائيلية يوماً ما، والتي كانت بعض أجزائها تستميد المغامرين فيها. وررر سويسرا والسويد من بين دول أخرى. وكان السبب الأساس وراء هذا كله، هو أنه قرر أن يطلق على مجموعته انقصصية الجديدة عنوان Cuentos Peregrinos. المعنى الأول لكلمة peregrinio لإسبانية هو الاسم pilgrim أي مهاجر، لكن هناك معنى آخر يأتي صفة وهو "عريب" أو "مدهش" أو "ذخيل". لهذا، فإن عنوان الترجمة الإنكليزية يكون Strange Pilgrims أي مهاجرون غرباء، لأن غارسيا ماركيز نفسه كان مهجراً ذحياً عربياً، لا يشعر بالانتماء السياسي لهذا العالم بقدر ما يشعر بالتصميم على أن يمضي قدماً ويفكر تفكيراً إبداعياً، أو في الأقل يتكلم. غير أن مشروع قصصه القصيرة احتل الآن إلى خمس عشرة قصة، لكن زيارته إلى أوروبا، التي كان القصد منها أن تكون رحلة استجمام لآخر لحظة، ورحلة عاطفية أكثر مما هي تحديث معلوماته عنها، وصعته في موضع يدعو للبهلج. فلوروسا التي يتذكرها هي ليست أوروبا الحاضرة اليوم، كما لم يعد أي من الأوروبيين اليوم عارقاً في قراءة كتابه، فدوّن ملاحظات على عجل، ثم خصص الأشهر القليلة التالية لتنفيح الكتاب الحديد تنفيحاً شاملاً، وهو الذي كان قد وعد وكيله وشاره أن يكون جاهزاً للصدور، مع معرض أشبيلية في عمور المنفل بما يعت على الحرر أن كونا بدأت سنة الذكرى المئوية اعامة بإعدام آخر، وهو إعدام إدواردو ديات بيتانكورت المتمرد العاري. طالب غارسيا ماركيز بالرأفة علاية، وهو ما طالب به رعاء آخرون من صمنهم زعاء دون يتعاطفون مع كونا تعاطفاً كبيراً، لكن بلا طائل¹⁵. فقد أوضحت السلطات الكوبية أن ردع الثورة المسداة والإرهاب في ظل ظروف كونا هو قصة حياة أو موت. واجتمع انثقف المكسيكي الكبير الشاعر أوكافيو باث، واليمبي الأموركي اللاتيني في يوم مشهود في الهواء الطلق، فاضطر غارسيا ماركيز إلى أن يتدافع بالماك ليبرر علاقته بالرعيم الكوبي، بأن أوضح دوره في العمو عن السجاء وإطلاق سراحهم. وم تصعف شعبيته، وبخاصة في أوساط الجماهير الأميركية اللاتينية. وعندما ظهر للعبان لعنره قصورة في شهر شباط في مزمر جامعة المكسيك الوطنية المسفلة على بعد بضعة

شوارع من منزله، وقف له جميع الحاضرين حال دحوله القاعة وصفقوا له بصعيفاً حاداً لمدة دقيقتين^(١٦). لم يكن غارسيا ماركيز من بين المشاركين في المؤتمر، لكن، هكذا كانت الأمور تجري معه حينما تطلأ قدماءه. تاريخياً، لم تكن أميركا اللاتينية فارة فائزين، لكن غارسيا ماركيز كان بطلاً عالمياً لا يقهر ولا يصاهيه أحد.

إلا أن البطل انكفأ فجأة أمام عدو غير متوقع. لقد كان يشعر بالثعب مد بعض الوقت، بل وجد على حين عرة، مشقة في التنفس لدى رجوعه إلى هواء بوغوتا القليل، فقرر إجراء فحوصات طبية. وها وجد الأطباء ورماً على بعد سنيمتر واحد من رتبه اليسرى سه على وجه التأکید، التنغ الأسود الذي كان يشقه طوال تلك السنين أمام كل الآلات الكاثية. اقترح عليه الأطباء إجراء عملية جراحية. وأحبر رجل الصحافة أن فندل كاسترو و كارلوس مالباس اتصلا به قبل إجراء العملية الجراحية منسبين له الصحة والعافية. وعرض عليه كاسترو طائرة خاصة نقله إلى كوبا مع طبيبه الخاص، وعثر سالياس عن أسفه لعدم رجوع غارسيا ماركيز إلى المكسيك لتلقي العلاج لكن غارسيا ماركيز وعده أن تكون لمكسيك أول محطة يتوقف فيها بعد أن يتمثل للشعاع. كان في وسعه أن يختار بين الذهاب إلى كوبا أو المكسيك أو الولايات المتحدة، لكنه قرر أن يجري له العملية الجراحية في كولومبيا. لم تكشف الفحوصات الطبية عن وجود أي انتشار ثانوي لسرصر، وكُتبت لعملية الجراح الناهر، إذ م يشعر بصعوبات في عملية التنفس، وكانت إمكانيات النجاح ممتارة، وقيل إنه كان في أفضل حالاته المعوية.

كان غارسيا ماركيز يهاب الموت طوال حياته، وهذا، كان يحسنى المرض أيضاً. ومد أن أصبح مشهوراً، بدأ يصعي بعناية إلى الأطباء، مبيع نصائحهم كلها تقريباً مخصوص الحياة الصحية. والآن، وبعد كل هذه الاحتياطات، دامه المرض، وليس هناك ما يدعو للهلل أكثر من سرطان الرئة. لكنه أثار دهشة نفسه ودهشة أولئك الذين عرفوه، فقبل التحدي القائم وأصر على معرفه كل الحقائق عن المرض، والتقديرات عما قد يحدث، حتى تهاى أخيراً بالقول: "لقد حكمت نفسي"^(١٧). كان يفترض به أن يتمتع براحة نامة لمدة ستة أسابيع، لكن، أعلى في العاشر من حزيران أنه سيحضر معرض أشسلة في تمور، كما كان مقرراً، لا لتدشين الجناح

الكولومبي وحسب، بل لإطلاق كتابه الحديد أيضاً. أصبح من المعلوم الآن أن الكتاب يضم اثني عشرة قصة، وأنه جاهز.

استحوذ غارسيا ماركيز على كل شيء في معرض أشيلية، فقد أصبح سيد جناح المعرض الكولومبي إثر وصوله إلى لمدية الأندلس، بالرغم من أنه سبق له أن صرّح في مدريد بأنه لن يكون في أشيلية "جراح ماكوندو"⁽¹⁸⁾. (كانت ماكوندو كلمة لم يستعملها منذ حين، وأصبح ذكرها اليوم علامة على أحداث مفقولة). وكما حدث في مدريد، فقد أعلن غارسيا ماركيز في كل فرصة متاحة عن كتابه الحديد مهاجرون غريباء الذي طبعته مع خمسمئة ألف نسخة. وحيثما كان يذهب، تلاحقه الجماهير مطالبة بتوقيعه. وعندما كان السياسي الكولومبي والمرشح لمنصب رئاسة الجمهورية لاحقاً هورثيو سيرا، ينتظر لدخول الجناح الكولومبي، سمع اثنين من الإسبان يتبادلان الحديث حول صورة لغارسيا ماركيز على يافته تعين عن الذكرى الخامسة والعشرين لتصور رواية مئة عام من العزلة.

من صاحب هذه الصورة؟

آه. إنه دكتاتور كولومبيا، وقد مضى على وجوده في السلطة خمسة وعشرون عاماً⁽¹⁹⁾.

الحق أن تلك هي المرة الأولى التي حصر فيها غارسيا ماركيز لإطلاق كتاب من كتبه. وعلى كل حال، كان العام هو 1992، وفي اليوم الوطني الكولومبي، وكان لا بد لرجال الشرطة من التدخل للسيطرة على الجماهير. وقام غارسيا ماركيز بمقام رئيس الجمهورية لمدة يوم واحد، لأن بالمو يسكوبار هرب من السجن فاعلى عاصرياً رحلة كانت مقررة إلى إسبانيا. وهكذا، وجد الفائر بجائزة نوبل نفسه وهو يفتح معمل كولومبياً للفتي الرجاجة في مدريد.

إن مجموعة قصص مهاجرون غريباء، هي أول مجموعة من القصص التي كتبها غارسيا ماركيز تدور أحداثها خارج أمريكا اللاتينية، ونطوي جميعها على مسحة من السيرة الذاتية إلى حد ما. يقول المؤلف في مقدمته للمجموعة إن جميع القصص ما عدا اثنين منها (وهما قصة أثر دمك على الثلج وقصة صيف الآتية فوريس السعيد) اكتملت كتابتها في نيسان 992. بالرغم من أنها بدأت كتبها بين 1976

وكانوا الثاني 1982، معني آخر. إنها بدأت خلال المرحلة الزمنية التي كان غارسيا ماركيز يشتغل في صحيفة التارناتيفا وعزم على ألا يشتر أي مادة أدبية إلا بعد سقوط بيوشيت من سدة الحكم في تشيلي استعادياً، يبدو من قبيل الدهشة أن يكتب غارسيا ماركيز هذه الابتكارات السطحية المهلهلة، في وقت كان منهمكاً فيه كل الاهتمام مع فيدل وراؤول كامسترو، ويكتب المقالات السياسية المحالية الملتزمة ضد الولايات المتحدة والطبقة الحاكمة الكولومبية.

إنّ القصص غير مرتبة ترتيباً قابلاً للإدراك أو للتفسير، سواء من حيث تسلسلها الزمني أو موضوعاتها. إنّ القصة الأولى: رحلة عوفقة سيلبي الرئيس، التي نرى بصمير العائب، مفصلة لدى عدد كبير من القراء، وتندور أحداثها في جيبف في خمسينات القرن العشرين، وهي المدينة التي رارها غريب ماركيز أول مرة في العام 1955 بعد هبوطه في باريس مباشرة. تطل القصة، وهو رئيس جمهورية بيورتو سانتو الكاريبية سابقاً، يعود من لمعى من جزر الماريبيك لإجراء محادثات طيبة في سويسرا. إن هذه القصة، شأنها شأن القصة الأخرى ماويا دوس براتريس، وشأن روايته الأخيرة ذاكرة غائباني الخزينات، تحكي حكاية رجل يكتشف أن أفضل شيء هو سيان الموت. إذًا، هي قصة رعا نالام المؤلف في المراحل النهائية لإعداد المجموعة. فأمامنا أحد أبناء الطبقة الحاكمة، هو أسر، ولكنه كثير السحرية، يفور على اثنين من البرولتاريين مبرر ما لحا إليه من وسائل مايقول: "إنها أكاديب فاد كانت تخص رئيساً، فإن أسوأ المحاري يحكى أن يكون صحيحة وكلاية في الوقت نفسه"

نقد قرر غارسيا ماركيز أن يمضي صيف المثوية الخامسة في أوروبا بعد إقامته الإلزامية في بوغوتا هجرة عرية. عرو معاكس. قال كل من التفاه إنه بلد مذهشاً. وصرّح: "لقد اشرع الأطباء الأتباء العليبة من داحي وحسب"⁽²⁰⁾. ثم قفل راجعاً إلى المكسيك وفي السادس من تشرين الثاني بلغت ميرثيديس الستين من العمر، وأهدات تقريراً لها تلقت باقة ورد كثيرة من رئيس الجمهورية سالياس لمناسة ذكرى مولدها⁽²¹⁾. وكان لديها صف هائل من المعجيين وسط رحلات السلطة وأصحاب لعود، كثير منهم حسد غارسيا ماركيز على رعية أظهرت - من دون مباحاة - مثل هذه السجاياء المخلفة، كالرأي اسديد، والدعم المواصل. كانت

دبلوماسية بكل معنى الكلمة، ولم يكن هذا إلا بعد أن مثل زوجها عما يوقعه في العرب الحادي والعشرين، هرداً بالمول به يعتمد أن على النساء أن يأخذن برمام العالم لإتقاد البشرية⁽²²⁾

لما وصلت تعديلاته الدبلوماسية، اتخذ أول خطوه سياسية ضد ممثلي اليسار الكولومبي: رجار حرب العصايات في البلاد. فوَّع رسالة إلى صحيفة اليمبو في الباي والعشرين من تشرين الثاني، تصم لائحة بأسماء عدد كبير من المثقفين الكولومبيين، من صمهم الرسام فيرناندو بوترو كانت الرسالة أصلاً تدعم قرار عافيريا الأخير بتس حرب شاملة على رجال العصايات الذين لم يُصهروا أي اهتمام بمبادراته السلمية⁽²³⁾ وكانت نتيجة ذلك بلا ريب، ترك رجال العصايات يشعرون بالعار، وبخاصه عن "مقفى الوجوازيه الصغيرة"، وجعلهم بالتالي يتسبون خطأ أكثر تشدداً سنمر حتى يومنا هذا كان القرار قراراً كبيراً بالنسبة إلى عرسيا ماركير، إلا أنه بلا شك يسهم وقرارات أخرى سبق له أن اتخذها نتيجة سقوط جدار برلين. جعل أكثر ما كان يأمل فيه، هو أن يخطي بوقت أكثر هدوءاً في أعقاب مرصه، ولم يكس يربح في أن تدفع دعماً لتأييد من يتعذر تأييده، إذ لم يعد يملك التأثير الذي كان يملكه في اليسار الكولومبي حتى تلك اللحظة. كما أن اليسار الكولومبي نفسه لم يعد له ذلك التأثير الذي كان يملكه من قبل. أخيراً، رجت شائعات وانشرت انتشاراً واسعاً تفيد أنه سيبتعد عما قريب عن كاسترو أيضاً، بالرغم من كل شيء، كان هيدل مؤسس ورمز معظم حركات الثورة التي اكتسحت أميركا اللاتينية منذ بواكير عقد الستينات. لكن عارسا ماركير سخر من الشائعات، فهو لن يتحلى عن فيلد⁽²⁴⁾.

لقد فك ارتباطه عن رجال حرب العصايات في اللحظة نفسها التي كان يوشك فيها رتبس جديد على دحول البيت الأبيض في واشنطن وقد أعادت تقارير أن بيل كستون، أول رئيس ديمقراطي مد اثني عشر عاماً، كان قارئاً متحمساً لمؤلفات عارسيا ماركير. ربما بدت الأمور نشر باخبر له أخيراً: كما بدولت التقارير كثيراً أن أسرة بوش لا تمكك كفاً في سرها وأنها تفضل مشاهدة التلفزيون عوضاً عنها.

مكث عارسيا ماركيز في كارثاحيا وفي الحادي عشر من كانون الثاني شوهه في صورة يترها صحيفة الاسكتلادور في حلقة مصارعة الثيران يتحدث إلى أوعستو لوبيث بالشا رئيس شركة حوليو ماريو سانتو دومينغو متعددة الجنسيات في مادريدا⁽²⁵⁾. لم تُعق الصحيفة بأي تعليق ولم توضح سبب اللقاء. لقد كان عارسيا ماركيز في ما مضى من الرمان يتأكد من أن مثل هذه اللقاءات إما أن تظل قيد الكتمان أمام العالم، أو يقدم تفسير لها من ضمنها اكتشاف أمرها مصادفة. لكن الأمر لم يعد هكذا بعد الآن، فقد أصبح بدوره في العام الوريجوري وكان مُهيأً للالتزام بانفصال السوق. كما أنه عارض، بوصفه اشتراكياً، أعمال الإحصاء معارضة مبدئية (وإن كان كريماً بماله، في السر، مع أفراد يحتاجون إلى من يساعدهم من دون أن يجذب الاهتمام إلى ذلك أبدأ)، لكن في ظل غياب أي شكل من أشكال الدحر لقضايا يعتقد بها، فإنه تحول إلى طاهرة بدأت تعود إلى العالم العربي على نطاق لم يشهده أحد منذ آخر انتصار كبير حققته الرأسمالية الاحتكارية في زمن "العصر الذهبي" الأميركي أواخر القرن التاسع عشر: الصدقة العامة (إد سيولف بيل كلتون نفسه كتاباً عن "الهمة")⁽²⁶⁾ كان مصطراً إلى إدارة مؤسسة كورية للسينما، وبدأ يعكّر في مشروع آخر مماثل باهظ التكاليف: معهد للصحافة، فقد وضعت الحرب الاشتراكية المكشوفة، المسحة والثقافية، أوزارها، والصراع الطبقي معنق أو معطل، كما أمسى واقعاً من أن حرب المراكز الثقافية والسياسية. والنصرف تصرفاً تقديمياً قدر الإمكان بحسب الظروف - هي كل ما يمكن أن يتطلع إليه. وهذه أضحي بشجع الأعياء والمشاهير وأصحاب السلطة بدأت ومنابر أكثر من ذي قبل.

وكجزء من عاده تحديد الهوية الذاتية الدبلوماسية، سمح لاسمه بأن يرسل إلى منتدى الفكر التابع لليوسكو، أو منتدى "الحكماء" المؤلف من واحد وعشرين شخصاً، كما أسمته الصحافة الكولومبية، لمناقشة المشكلات المتزايدة حسس ما يسمى "النظام العالمي الجديد"، في وقت كان فيه اليوسكو تعرض لعدد كبير من الولايات المتحدة الأميركية بدلاً من العمل الفعال. لقد كان الاعتماد السائد أن الكلام يخطر في بيوت السلطة في العرب الليبرالي للمرة الأولى منذ عقود من الزمن،

مدد محيي، ناتشر وريعان إلى السلطة. الكلام بسبب المناع ولا يسارث فيه إلا الباريزو، ثم ما هائده توقعات تافهة لا أساس لها، في حين لا يوجد شيء اسمه مجمع كما صرّحت ناتشر نفسها. وكاتب قد رشحت عارسي ماركير لهذا المسمى عموريا باتشون، أرملة لويس كارلوس غالان، التي كانت سعيه كولومبيا لدى اليونكسو في باريس، كما رشحه أيضاً رئيسها عفيريا. ودل عارسي ماركير إنه يعمل هذا لمصلحة بده ولمصلحة العام أجمع⁽²⁷⁾. وكان من بين الأعضاء الآخرين فانسلاف هامل وأميرتو إنكو وميشيل سريس وإدوارد معد. وعقد الاجتماع الأول في باريس في السابع والعشرين من شهر كانون الثاني سنة 1993، عاتقى عارسي ماركير بأول مدير إسباني لليوسكو فيديريكو مايور الذي سرعان ما أصبح صديقاً وهاً. يبدو أن عارسي ماركير أراد أن يؤكد هيته ومكتبته المعززين، وري إثارة إعجاب مواصيه في بلدته "أثينا أميركا الخوييه". فتابع ريادة لاريس، مقر العفلية الأكاديمية، بنقد شديد الملحة ضد الأكاديمية الملكية الإسبانية التي وضعت، بحسب رعمه، "معجم مركز الأرض"⁽²⁸⁾. مرة أخرى، لم يكن في الماضي سنارل وشير إلى الأكاديميات، لكن سى أن هذا لقد كان حركة أخرى بالغة الدكاء على المدى اسعيد ستتحله مرة أخرى، على غمس وثيق مع الناس من الأكاديميين والمتخصصين في فقه اللغة والشعراء، اليمينيين - الذين ما كان "ليهنر" وقته عيهه سابقاً أند. ولن يمضي وقت طويل حتى يسي علاقات مع جامعة عوادا لاخارا في المكسيك حيث كان قد طور فيها علاقته مع مديرها رؤول بديا لوبث، وأيد هو وكارلوس فويتس منح كرسي الشرق في الجامعة لحووليو كورناتار. كان عارسي ماركير وفويتس قد بدأ منذ مدة الحديث عن أسايب للقرع من رئيس الولايات المتحدة ابجديد بيل كلنتون، الذي سادت التوقعات بأنه أكثر اعتدالاً - وأكثر ثقافة من أسلافه الدكتراطيين السابقين

في شهر حزيران، نجاهل عارسي ماركير كل شكواه مما يشعله عن الكتابة وسامر إلى برشلونة للعمل للانتخابات مع فيليب عونثاليت، فأتج شعوراً قريباً أمام أربعين ألفاً من مؤيدي الحرب الاشركي في واحده من تظاهرات التأييد الأخيرة لعونثاليت في مونتخويك. ربما كان من الأفضل لو ساهر إلى فسرويل حيث كان

صديق آخر له، وهو كارلوس أندرياس بيريث، يواجه أزمة سياسية لن يشفى منها أبداً. ففي العشرين من أيار أعطي بيريث من منصبه رئيساً لجمهورية فنزويلا بعد اتهامه بسرقة سبعة عشر مليون دولار من أموال الدولة عند مجيئه للسلطة سنة 1989. مع كون من غارسيا ماركيز، إلا أن أرسل رسالة تأييد مؤكداً شجاعة بيريث في مقاومة عدة محاولات انقلابية ضده - إحداهما قادها جندي يدعى هوعو شافير - وهو الآن يعضي محكومة في السجن، "وإحساسه الرائع بالصدقة" (ما شأن هذا جداً كم. تساءل العديد من القراء) بالرغم من عدم الثناء على إحساسه العميق بالزاهة. ول سوء الحظ، ذهب غارسيا ماركيز في ما هو أبعد من هذا ووصلت به امرأة إلى انتقاد مؤسسات البلاد وممثليها موحياً بالانتماءات كانت مرفقة مسيرة بالتواطؤ. ولم يتورع عن انتقاد الشعب الفنزويلي⁽²⁹⁾، ولم يعد محبوباً كثيراً في فنزويلا مرة أخرى. لقد بدأت علاقاته الشخصية بأصحاب السلطة تنكمه عالياً.

التقى غارسيا ماركيز في تشرين الأول علوريا باتشون شقيقة ماروخا وكانت يومئذ وريثة الثرية في كولومبيا، و زوجها ألبرتو بيايتار. اقترح الزواج عليه أن يؤلف كتاباً عن تجاربهما في 1990-1991 عندما تم اختطاف ماروخا. كان غارسيا ماركيز لا يزال مهمكاً في إعداد كتاب الحب وشياطين أخرى فطلب منهما مهنة سنة واحدة للتفكير فيه، لكنه عد إليهما بعد بضعة أسابيع وأعلن موافقته وسط دهشتيهما. كان له من العمر سنة وستون عاماً عندما قبل بمشروع آخر منهك يتطلب منه القدر الكبير من الجهد. سيكون عنوان الكتاب خبر اختطاف. وكما حدث، ففي حين وافق على المشروع، كان اتان من المحققين الرئيسيين قد توفيا، وهما الألب رافائيل غارسيا ماركيز هيرروس الذي كان قد أقنع إيسكوبار أن يمسك نفسه، إذ توفي في الربيع والعشرين من تشرين الثاني سنة 1992، كما أن إيسكوبار نفسه أطلقت عليه الشرطة الكولومبية النار وأردته قتيلاً في مبدلين في الثاني من كانون الأول سنة 1993 بعد مرور بضعة أسابيع على حديث غارسيا ماركيز الأول مع ضحيته السابقين ماروخا وألبيرتو.

لكن قبل أن يتعقب رجال الشرطة إيسكوبار للمرة الأخيرة، جاءت حصيته كل الجهود التي بذلها غارسيا ماركيز مع عالمها، إذ أعلنت كولومبيا أنها قررت

إعادة علاقاتها الدبلوماسية مع كوبا. كان غارسيا ماركيز في طريق عودته من بوليفيا إثر حصاره نصيب رئيس جديد فيها عندما رار كارثانياً "زيارة خاصة" - أخيراً شعر غارسيا ماركيز بالسروور وهو يجني أصدفائه على تراب كولومبيا - والآن، وبعد مرور بضعة أسابيع، أعيدت العلاقات كاملة. عاد هيل وجرج إيسكوبار؛ إنه شهر عظيم لكل من غاميريا وغارسيا ماركيز، في أواخر العام، التأم مثل أسرة غارسيا ماركيز كلها في كارثانياً للمرة الأولى منذ سنوات طويلة. ولتقطت صورة تاريخية للويسا سانبعا مع جميع أبنائها. ولم تكرر مثل ذلك الاجتماع أبداً.

استمر غارسيا ماركيز مهمكاً في عمله، مهمكاً أكثر مما ينبغي على وجه التأكيد. وكما هو مألوف، فإن ما من أحد تقريباً كان يعلم أنه شرع بتأليف كتاب جديد حتى قبل أن ينشر كتابه الأخير. لقد اصبر إلى أن يتكلم في الموضوع في ذلك الوقت. وفي شهر آذار سافر إلى إيتاعي بالقرب من ميدلين شمال غربي كولومبيا مع عدد من الصحفيين الأميركيين من ضمنهم جيمس بروك مرسل صحيفة نيويورك تايمز. وكان الهدف من وراء الزيارة لقاء الأخوة أوتشوا أبرز مهربي المحدرات بعد إيسكوبر. يستذكر بروك الزيارة قائلاً:

الرؤساء يأتون ويرحلون، لكن الكاتب الذي يُدعى باليوم والمعروف عالمياً بكيته غيبو يقي - بعد مضي يوم واحد مع السيد غارسيا ماركيز، أصبح من الممكن رسم أبعاد شخصية هذا الإنسان بسرعة. ففي المطار في كارثانياً، حيث يقم، تعرف إليه المسافرون من نظارته ذات الإطار الأسود ورددوا كيته باحترام ووقار. وفي السجن في إيتاعي، خارج مدينة ميدلين، خطا خطوات رشيقة سريعة ثلاثة مدانين بهريب الكوكايين يعرفون بالاسم الأخوة أوتشوا وهم يتأفسون على شرف تقديم وجبة طعام الغداء إليه. وفي ثكنة عسكرية في نيفا، محامل ملاحو طائرة مروحية بالزني الرسمي من شرطة كولومبيا لمكافحة المخدرات قائد الشرطة الوطنية وتداولوا بالمأكبات لالتقاط صور تذكارية مع الكاتب⁽³⁰⁾

كانت تلك هي الرحلة الوحيدة التي قام بها غارسيا ماركيز خلال إعداد نخته لكتاب خبر احتطاف وأصبح بعد سنتين أنه أفسد من بروك وغيره من الصحفيين ونحدث إلى حورنحه ولويس أوتشوا بنفسه، إذ لم يكن راعماً في أن "تخترق" مصدره ولا أن يعطي أوتشوا معلومات غير صحيحة عن اللقاء.

فجأة، وكما كان غارسيا ماركيز يتطلع إلى نشر كتاب الحب وشياطين أخرى، بدأت المكسيك، ملاده وموطن استقراره، تنعمر داخلياً، وبدأ صديقه العظيم كارلوس ساليناس يواجه مشاق أكثر من تلك التي عاها مؤحراً سني الطالع كارلوس أندرياس بيريت في هرويللا. أولاً، بدأت حركة جديده من سكان البلاد لأصليين في منطقة تشياباس، حوبي المكسيك، وتدعى حركة ثابانيساتس ومنهها رعيم رجال العصابات العاصم وعوي الشخصية المعروف بالاسم 'لقائد ماركوس"، بالاستحواد على العاوين الرئيسة في العالم، وبدأ ساليناس وقد بوعت بالأمر ماعنة لم يحسب لها حساب ولم يعرف ماذا يفعل. لكن الأمر الأكثر إثارة حقاً من هذا كله، هو أن المرشح الرسمي للحرب احاكم لحوض الانتخابات المقصة لويس دونالدو كولوسيو، وهو صديق سبل من أصدقاء غارسيا ماركيز، لقي مصرعه شمالي البلاد، وهو أول سياسي بهذا المستوى الرابع يموت هذه امته مد المرحلة الجمهورية التي سالت فيها الدماء في عشرينيات القرن لعشرين. وراودت الشكوك عدداً كبيراً من المراقبين في أن ساليناس نفسه هو الذي خطط لعصبة اغتيال حلله مما وضع غارسيا ماركيز في موقف لا يختلف اختلافاً كثيراً عن ذلك الموقف الذي وجهه قبل أربع سنوات في هافانا عندما أعدم صديقه طوي لا غوارديا على يد صديقه فيدل كاسترو. كانت علاقة غارسيا ماركيز قد أصبحت وثيقة جداً بكولوسيو، وكانت آماله كبيرة في أن المرشح غير المنزمت إلى حد ما يمكن أن يسير بالبلاد إلى وجهة تقدمية أكثر. وللمرة الأولى يحرق غارسيا ماركيز قانونه الشعبي - وقوانين المكسيك - بإصدار بيان عن الحدث داعياً إلى التهدة في هذه البلاد التي أحبها⁽³¹⁾. كوبومسا وكوبا وهرويللا، والان المكسيك نفسها، كل فلاحه تتساقط: إنها عوده إلى ماكوندو بروح انتقامية.

ونساء غارسيا ماركيز نفسه إن كان قد بدأ هو أيضاً يضعف ويتهور.

أخرى مراسل صحيفة واشنطن بوست ديميد ستريتفيد مقابه مع غارسيا ماركيز في شهري آذار وسنان، في وقت احدث فيه كل التدابير لإصدار كتاب الحب وشياطين أخرى. ولاحظ ستريتفيد أن مؤلفات غارسيا ماركيز مبهوسة بانوت هي ومؤلفها الذي شعر أنه إذا توقف عن التأليف فقد توافه امته. "فقد بدأ

حسده بحونه بطرائق أخرى غير السرطانات". ويقول: "إنه لأمر غريب أن يبدأ امرء بإدراك علامات التمسك في السر. فقد بدأت أول الأمر أنسى الأسماء وأرقام الاموات ثم كسل شيء، إذ لم أعد أستطيع تذكر كلمة واحدة أو وجهاً من الوجوه أو حتى لحناً"⁽³²⁾. مما لا شك فيه أن هذه الحالة ساعدت على تفسير السبب الذي يحصل تأليف المذكرات تبدو مهمة عاجلة أكثر من ذي قبل.

في السنين والعشرين من نيسان، وفي خضم فوضى سياسية كبرى، صدرت رواية الحب وشياطين أخرى وترانم صدرورها مع معرض بوعونا للكتاب حيث ألقى صديقه القديم عوشالو مالاريو كلمة ملتهبة أثنى فيها على رويه صديقه الجديدة، إذ قال فيها إن عارسيا ماركيز وص دروة طاقاته⁽³³⁾. وكان إهداء الرواية موجهاً إلى كارمن بالسيلس "العارفة في الدموع". مرة أخرى ندور الأحداث في كارتاجينا، حيث يُرسل إلى السدة أواخر سنة 1949 صحافي شاب يعمل في صحيفة رئيس تحريرها، هو كليمنت مانويل تابالا لتقصي موضوع ما. في السدة دير قسم هو دير سانتا كلارا يُراد تحويله إلى فندق فخم، ففتحت بعض قبوره المغطاة في القديم بهدف نقل رفات أصحابها إلى مكان آخر. (ها يتصالح عارسا ماركيز مع ماضي كارتاجينا بذكر اسم تابالا والاعتراف به. كما أنه يتحيل طريقه إلى حاصر كارتاجينا لأن بيته الحديد سيشيد قفالة الدير القديم) يبدو أن أحد القبور كان يحتوي على جمجمة وفيها خصلة من شعر أحمر ظلت تسو على مدى قرون من الزمان تقريباً حتى تجاوز طولها الآن اثنين وعشرين متراً ويقرر الصحفي الشاب قصي هذه الحادثة، فكانت النتيجة هي هذه الرواية

نصوّر الرواية كلياً مسعوراً في شهر كانون الأول أواخر الحقبة الاستعمارية بعصرٍ عدداً من الناس في اسوق في بلدة كارتاجينا، ثم فيهم فتاة ذات شعر أحمر طويل تدعى سبيرفا ماريا نوشك أن تحتفل بذكرى ميلادها الثانية عشرة. بالرغم من أن والدها ماركيز كاسالديرو وهو أحد أثري الأثرياء في البلدة، إلا أنه معتز بالصحة، سمح لسبيرفا ماريا اني لا تحبها لأنها أن تشأ في باحة العيد. وبارعم من أن مرض داء الكلب لا يظهر على الفتاة، إلا أن الكنيسة لكاثوليكية تعتمد أن الفتاة قد تملكها الشيطان - وأنها تعتقد بمعتقدات أفريقية - فنحت آل ماركيز على طرد

الشیطان من جسمها، فتؤخذ إلى دهر سائتا كلاً لراً للإشراف عليها، فيأتي الأسقف بواحد من الخبراء الناشئين الذين يُنتظر لهم مستقبل باهر في قضايا نلس الأرواح الشريرة وطردها من الحسد، ويدعى كاتانو ديلورا قبل إنه لاهوي وأمين مكتبة سيأخذ طريقه إلى اعاتيككن. ولن ترى العتاه شوارع كارثاعينا مرة أخرى مدى الحياة.

رود ديلورا الذي لا يملك أي تجربة لهم الساء، حلم عن العتاه حتى قبل أن يلتقيها، إذ شاهدتها في حجرة - هي الخجرة التي كان يسكن فيها عندما كان طالباً يدرس في سالامانكا - تنظر صوب أرض تقطعها الثلوج، تأكل عناً من فوق حضنها من دون أن يبعد، وإذا ما نفذ العتاه فستمتد. العتاه لتي يلتقيها في صباح اليوم التالي مفيدة اليدين والرجلين بسبب ثورات عظمها تشبه تماماً العتاه لتي رآها في الحلم. فكان أول رد فعل له أن أحمر رئيسة الدير أن المعاملة لتي تعانها ستحور كل شخص إلى شيطان. أما رد فعله الثاني فهو هوسه الشديد بالطفلة، يبدأ بالتفتيش في الكتب المصوعة في المكتبة التي لا يسمح لأحد سواه بالاطلاع عليها، فيجد فيها مدحلاً سرياً يؤدي إلى الدير، ويبدأ برباره سيرفا ماريا كل ليلة ويقرأ لها الشعر. أحراراً يعلن عن مشاعره الحقيقية ويطوقها بذراعيه ويستسلم للوم معاً من دون أن يكتمل العاشرة الحسية. ولكن عملية طرد الأرواح الشريرة تبدأ في يسار، بعد خمسة أشهر تقريباً من عصبة الكلب المسعور، فيقص شعرها ويحرقه، ويؤدي الأسقف مراسم ديبه أمام جميع السلطات والراهبات لكة يهارة، وتتصرف سيرفا ماريا كأنها ممسوسة، وتتكشف أعمال ديلورا السيئة وتدينه محكمة التفتيش بتهمة الهرطقة - وهو مهترطق حقاً، الحق أنه مذنب وسيرفا ماريا بريئة - وتحكم عليه بتمصبة سنوات عديدة في مستشفي الحمام. فتتصره سيرفا ماريا من دون طائل، وبعد ثلاثة أيام ترفض تناول الطعام ولا تفهم سب عدم رجوع ديلورا، لكةا تحلم بلورها في التاسع والعشرين من أيار يحقل تعطه الثلوج لكةا تتناول العتاه الآن حبتين كل مرة وهي مصابة بالحمى كي تصل إلى الحفة الأخيرة. وقل إحراء عملة طرد الروح الشريرة للمرة السادسة تقضي بحياة، لكن رأسها الخلق يتمو فيه الشعر ثانية

هذا الكتاب علامة أخرى على انشغال غارسيا ماركير ببلدة كارتاجينا. ويمكس أد تُفسّر رواية الحب في زمن الكوليرا على أنها مواجهة نائية مع أبيه ومع ماضي كولومبيا علاوة على استكناه الفرق بين الرواح والمعامرة الحسية، والأهم من هذا كله، هو أنه كتب عن صاحبه مانغا حيث عاش أبواه وحيث اشترى مزحراً شقة لأمه. أما قصة الحب وشياطين أخرى، تنحكي عن المدينة القديمة المسورة حيث يُشيد لغارسيا ماركير "قصر" جديد خلال تأليفه الكتاب. وهذا، فإن الرويين تقتربان إلى حد ما بعقاراته وبسلطته. في هذه المرة، يستعد غارسيا ماركير بحمل تاريخ كولومبيا منذ عهد الاستعمار. للكتاب سلطة سوداوية ثقيلة؛ ويشه إلى حد ما بعض مؤلفات ألفارو موتيس مع بعض اللمسات الخفيفة. لقد كتب غارسيا ماركير رواية الحب في زمن الكوليرا قبل كوارث سنة 1989 التاريخية. أما الحب وشياطين أخرى، فهي بالرغم من إظهارها الزمي الذي يعود إلى حقبة الاستعمار، إلا أن فكرها تبلورت من العام بعد سنة 1989، وهي أشد سوداوية. وبالرغم من كل تصريحاته انتقائية بشأن المستق، إلا أنه في أعماقه كان يرى العالم يعود إلى الوراء للمرة الأولى منذ مئتي سنة إلى الوراء، من بعض الأوجه، إلى ما قبل الثورة الفرنسية وعصر التنوير؛ إلى الوراء قبل استقلال أميركا اللاتينية عن إسبانيا (الآن انقلب كل شيء، في الأقل بالمعنى الاقتصادي)؛ إلى الوراء بعيداً عن أحلام ثورة 1917 الاشتراكية. إنه يكتب الآن في عالم لم يعد من الممكن فيه تخيل حدوث أي ثورة، فيبدأ المفهوم البوليفاري، ومفاده أن العمل السياسي في كولومبيا عبث لا طائل من ورائه، يستحود على كل تفكيره.

إن استخدام الأحلام في هذا الكتاب مذهل، إذ يهيد من عناصر تجربة غارسيا ماركير أيام مرافقته (ابتعاده عن البيت والذهاب إلى مدرسه في مناحات للعبة، جسمه، كتابه بلا علاف، كوايسه انظيعة). نهاية الرواية، مثل نهاية دي بالما في شريط هتشكوك، نقشع لها الأبدان، تدكر الفرائ بأد طاقات هذا الكتاب لا تصابها أي طاقات عندما يركز تركيزاً شديداً. الصفحات الأخيرة تمحاً ألفاً استعاديّاً، لكن، لعل الإعجاز الكبير في الرواية، وهو ما لاحظته الفرائ في الصفحة الأخيرة من رواية الجنرال في معاهقه، تمثل منح الكاتب قراءه ما يتوقعون

حدوثه - الموضوعات نفسها وإن كانت مرفقة بنظام مختلف، لنبة نفسها، والأسلوب نفسه، والتقنية السردية نفسها - من صحتها أكثر شيء برعب فيه الحراف وتناقضاً. أن يصيغنا بالدهول، للأسلوب الذي يمكن فيه للمؤلف أن يعاجلنا، ضمن م هو مأثور، عما لا يمكننا أن نتوقعه أبداً. إنها أشبه برحلة فوق سكة حديد أدبية في مدينة الملاهي المرتفعة والمحجفة تكون أكبر حصّة للمعدة في نهاية المطاف.

خطي الكتاب يقول جده، لا سيما في لوسط الأكاديمي حيث سمرو بالسرور لرأى غارسيا ماركيز وهو يتبنى اهتمامات "ما بعد الحداثة" السائدة في الجامعة، لا سيما في موضوعات السوية والجنس والإثنية والدين والهوية وتركة عصر التنوير. وصرّح جان فرانسوا فوجيل في صحيفة اللوموند أن غارسيا ماركيز ظل "واحداً من الروائيين القلائل الذين تمكنوا من استحضار الحب من دون مصارعة أو حرج"³⁴. ووصفت أي. أس. نيات الرواية في مقالة نشرت في صحيفة نيويورك ريفيو أوف بوكس بأنها "تعليمية تقريباً، لكنها مؤثرة، وعمل بصوي رائع"³⁵. أم يتر كيمب، فتحدث في صحيفة الصندياي تايمز اللندنية عن الأحداث المدهشة المروية بأسلوب هادئ: "إن رواية الحب وشياطين أخرى التي يشع منها احين الجذوف والمجاء في آن واحد، هي قصة خرافية راهية وحكيمة رمزية كثيفة، بل هي تحسيد مذهش آخر للسحر والتحرر من السحر الذي تثيره في غارسيا ماركيز بلاده كولومبيا"³⁶. بالرغم من كل شيء، فإن "ماركيز"، وهو الاسم الذي يصر عليه معظم كتاب المقالات الإنكليزية، قد مارس سحره مرة أخرى.

* * *

في الوقت الذي نشرت فيه رواية الحب وشياطين أخرى في كولومبيا، رار غارسيا ماركيز إسبانيا ليمارس عاداته في أن يكون عند نهر أحد كتبه في مكان معابر، ورار إشبيلية مرة أخرى لماسة مهرجان الربيع وحضر بعضاً من مصارعات الثيران التقليدية في وقت مبكر. التفتة روسا مورا من صحيفة لاييس في بيسا، فأخبره بأنه يشتغل على مذكراته، لا سيما قصة عودته إلى أراكاتاكا برفقة أمه: "أصغر كل ما أنا عليه لأن قد حرج من تلك الرحلة"³⁷. لكن كتابة المذكرات توقف مرة أخرى، وإن كان قد قرر في كل الأحوال أن يكون كتابه الثاني صريحاً

من ضروب الحقيقات الصحافية. وقدل إنه لم يقتقد الصحافة وحسب، بل إن اليوسكو تؤيد واحداً من أكثر المشاريع التي تاهت إليها نفسه وهو إنشاء مؤسسة صحافية تسجدي مدارس الاتصال الحديثة ما دامت هذه المدارس، حسب رأيه، "يريد أن يستغني عن الصحافة".

في السواول الأخيرة، قُتل عدد من الصحافيين في كولومبيا أكبر ثم قُتلوا في أي فعه من العالم. ولسوء الحظ، كانت هاك موصوعات كثر إثارة ومأساوية في هذه البلاد من أي بلد آخر، إذ لم تكن سسة الاعتقالات أعلى مما هي عليه في أي مكان آخر، وهو ما كان يتفاخر به ذلك الحليط الكولومبي العظي، والقابل من الإرهاف، وفهريب المخدرات، وحرب العصابات، وبشاط لمبستبات، علاوة على ردود أفعال الشرطة والجيش التي كانت أحياناً تتساوى في عنفها والعلل التي تريد اجنثائها. وكان سيسر عافيريا في نهاية سنوات حكمه الأربع المهووسة، وكافح كفاحاً بطولياً للحيلولة دون اسرلاق البلاد إلى فوصى عديمة، لكن الحكومة التالية التي يخبز موعد انتخابها في شهر أير كانت أمامها تحديات كابوسية. وكان عارسيا مركزيز لا يرال يشتعل سراً على كتابه الحديد (الذي يشبه التحقيق الصحافي) الذي بسسد إلى المرحلة الماضية. لكنه لم يكن مستعداً بعد للإعلان عنه بشكل تام، لأن التكم على مصادره وحمائتيه في تلك امرحلة كانا أمري حاسمين.

في شهر حزيران عد إلى أميركا اللاتينية وحصر المؤتمر الإيري - الأميركي الرابع لقادة أميركا اللاتينية ونه جزيرة إيريا الذي عقد في كارتاجين. نظم الاجتماع ملك إسبانيا، وفيليب عونتاليث، وكارلوس سايلس دي عورتادي، وفيدل كاسيرو، فصلاً عن عافيريا نفسه، في مسقط رأس عارسيا ماركيز. وكان عارسيا ماركيز ينظر إلى هؤلاء جميعاً، من ضمنهم الملك، على أنهم "أصلفاء"، بالرم من أن بعض الكولومبيين علقوا قائلين إن عارسيا ماركيز بنا عصواً من أتعفاء الوهد الكوسي، وأنه عرض أن يكون حارساً شخصياً لفيدل كاسيرو: "لقد حصرت إلى هناك لأن شائعات راحت تفيد أنهم سيعتالون فيدل كاسترو. ولم يكن رجال الأمم الكوبيون ليسمحوا لفيدل بالاشتراك في العرض، لهذا اقترحت أن أرافقه في العربة التي غرها الحيايد. وقدت هم إبي إذا رافقته هنا في كولومبيا، فإن ما

من أحد سيحرو عني إطلاق النار عليه ولهذا، كنا خمسة في العربة، انخرنا فيها ممأً ومارحاً بشأن الموقف. وفي اللحظة التي قُت فيها لفيدل إيني واتق من عدم حدوث شيء وإذا بالحواد يشبُ وينصب على قائمته الخلفيتين⁽³⁸⁾. اقترح كارلوس سالباس في هذا المؤتمر تأسيس "رابطة دول الكريسي" لتضم كوبا أيضاً. وقال فيدل إنه طالما كانت كوبا مستعدة عن أي شيء، "بإرادة أولئك الذين يدبرون العالم"، فإنه يقدر هذه الدعوة كل التقدير⁽³⁹⁾. كما شعر عارسيا ماركير بالرضا والسرور لأنه تمكن من أن يظهر للزعيم الكوبي بعضاً من غار كل مشاهه الديموماسي المعظم بالحوية.

عقدت الجولة الأخيرة من الانتخابات الكولومبية بعد أسبوعين، وكان المرشحان هما الليبرالي أرسنتو سامير والمحافظ أندرياس باسترنا. وبما كشف عن كولومبيا أن باسترنا، عمده بوغوتا سابقاً وابن رئيس جمهورية سابق، بات ممياً في حكم المؤكد عندما احتل عني أيدي أحد كارتلات المحدثات سه 1988، في حين نحا سامير، الذي أنهى من وقت قصير مدة عمله سفيراً لكولومبيا في مدريد، بأعجوبة عندما أطلق عليه الرصاص في مطار إندورادو في بوغوتا في العام التالي. ينبغي لسامير أن يكون حليفاً طبعاً لعارسيا ماركير، فهو عني سار الحرب الليبرالي وشقيق صديقه القلم دانيال سامير (الصحافي في صحيفتي التارباتيه والنيمبر) وكان عارسيا ماركير قد دعا هو وهوراثيو سيرا لمعايلة فيدل كاسرو في كوبا في شهر اذار سنة 1987، لكن البقاء م يسر على ما يرام⁽⁴⁰⁾. إذ إن سامير الشعبي كان معادياً للكاستروية أكثر من عداء أي محافظ، لكنه كان أنصب سياسياً واقعياً مثلما تبين عافرياً أنه سياسي واقعي أيضاً، وكان سامير سياسياً فظاً، متشككاً ومتصلاً في رأيه، يخطئ بتعبية واسعة جداً في الأقاليم بالرغم من انحداره من بوغوتا. أووياته تختف عن أولويات عارسيا ماركير.

وفار سامير في الانتخابات، لكن باسترنا سرعان ما أعلن عن محالفة في الانتخابات، إذ أعطته هيئة الحاسوسية لأميركية شريط تسجيل يحتوي على ما يوحى أن مدير حملة سامير لانتخابية، تلمى تبرعات ضخمة من أحزاب مرتبطة ارتباطاً مبشراً بكارتلات قهرت المحدثات، مما أدى إلى حدوث أزمة سياسية

ودسبورية لم يصب لكونوميا أن مرّت عَشْرُها، وظلت تتعقب مدة السنوات الأربع من رئاسته سامير، بل لم يكن من المؤكّد أنه سيملح في إكمال مدّة رئاسته. وقد أنكر غارسيا ماركيز منذ البداية أنه صدّ الرئيس الجديد في بداية حكمه، إلا أنه لم يؤيّد تأييداً غير مشروط، كما أنه بدأ يقيم علاقات مع سياسيين أصغر سناً، مثل خوان مانويل سانتوس وهو "ابن بكر" آخر من أبناء أسرة اليمبو، وأصبح وزير التجارة الخارجية في أثناء رئاسة غافيريا، وعيّنه الحكومة المنتهية للتّرحيب بالضيوف البارزين لدى وصولهم المؤتمر الإقليمي الأميركي. وقد عدّ غارسيا ماركيز سانتوس رئيساً لكونوميا في المستقبل وبدأ يرعاه ويشجعه. ويغدو سانتوس بعد ذلك واحداً من أعدى أعداء سامير من داخل حربه.

صحّب غارسيا ماركيز فريقاً صحافياً من مجله باري ماتش لمشاهدة ينة الجديد المشد في كارتاجينا وأخبرهم أنه "ظل ينتظر ثلاثين سنة سيبي البيت التالي في المكان التالي"⁽⁴¹⁾. أخيراً، تحقّق حلمه الآن، لكن لسوء الحظ، خيّم ظل على حظّته، إذ تخوّل دير سانتا كلارا، وهو المص السبمائي عن قصة حب وشياطين أخرى إلى فندق خمس نجوم سرق أن توهت بشأنه الرواية عندما كتبت في العام 1993، وكانت جميع العرف في الحالب العربي من المني تطل مباشرة على منور غارسيا ماركيز الجديد الذي كان لا يزال قيد الإنشاء، لا سيما الشرفة والمسح.

في السابع من آب سنة 1994، وهو يوم تنصيب سامير، أرسل غارسيا ماركيز وميرثيديس رسالة تهنئة إلى الرئيس الجديد عبّرا فيها عن أطيّب أمنيتهما له، ونشرت في الصحف، لكن لم تكن هناك صعوبة في معرفة أن هذه الرسالة ليست رسالة تحيات حارة، بل إنها توقعت صمّاً أوقاتاً عصيبة أمام الحكومة الجديدة. وكانت، كما كشفت عدووين الصحف، نوعاً من التحذير: "اهتمّ بأحاسيسك اهتماماً جيداً"⁽⁴²⁾.

من لا شك في أن الأحداث كانت تنحو نحو محمّي شكسبيرياً، فقد سارت الأمور على ما يرام مع غارسيا ماركيز مؤخراً. لكنها بدأت بداية سيئة جداً مع سامير منذ اليوم الأول لتوّته السلطة، بما جعل غارسيا ماركيز عادةً يمحّق في تحقيق عايتة نتيجة المعالاة في الثقة بنفسه منذ بداية عهد سامير. لكنه تمكّن أخيراً في شهر أيلول، من

الوصول إلى مركز القوة على الأرض عندما وجه وليم سارويان، صديق فويتس، الدعوة إليه وإلى فويتس للقاء بل وهيلاري كلنتون في مسرل سارويان في مارتا فايارد. وكان ملكو صحفيي الواشنطن بوست ونيويورك تايمز حاضرين أيضاً. كان عارسيا ماركيو يأمل في أن يتحدث عن كوبا؛ إذ كان من أسبوع واحد قد أُنح فيدل بالسماح للكاتب استنق بوريتو فويتس بمغادرة البلاد، لكن لسوء حظه، كانت العلاقات بين الولايات المتحدة وكوبا تمر في تلك الاونة بواحدة من أسوأ مراحلها، وقيل إن كلنتون رفض الحوض في الحديث في الشؤون الكورية⁽⁴³⁾. إلا أنهم عذّبوا عر الأرمه الكولومبية، ودافع عارسيا ماركيو إلى حد ما عن سامر وحث كلنتون على عدم معاقبة كولومبيا بسبب أعمال سامر. لكن الشيء الذي جعل الرئيس الأميركي والأداء الثلاثة تعقون عليه اتفاقاً ردياً هو حماسهم لأعمال ريه فوكس. وتولت الدهشة فويتس وعارسا ماركيو عندما سمعا كلنتون وهو تلو عن طهر فب مقاطع كامرة من رواية الصخب والعنف. أما بخصوص كوبا، فإن كلنتون وجد نفسه غير قادر على مقاومه صعود الكوبيين في ميامي ومجلس الشيوخ الجمهوري المعادي للشيوعية عداءً شديداً، وسيصطر إلى السماح بفرص عقوبات أشد ضد دولة الجزيرة. الدليل واه جداً على أن علاقات عارسيا ماركيو المستقبلية مع أقوى رجل على كوكب الأرض أدت إلى نتائج إيجابية سواء لكوبا أو لكولومبيا، وإن كان اللقاء شيئاً جيلاً على وجه التأكيد في ضوء هيئته وحداثيته.

صبح سيمر عاهيريا في الشهر التالي سكرتيراً عاماً لمطمة الدول الأميركية. لكن عاهيريا اللبرالي احدث على عمن الوسط وحد، ويا للمعارفة، صعوبة في الاستمرار في ميله لتحرير علاقات نصف الكرة الأرضية في كوبا في وجه معارضة رئيس ديمقراطي في الولايات المتحدة الأميركية، لكنه واصل سعيه بالرغم من ذلك. إذ، أصبح لعارسيا ماركيو الآن علاقات مهمة مع الأمين العام منظمة الدول الأميركية والمدير العام لمطمة ليوسكو ورؤساء كن من الولايات المتحدة والمكسك وكولومبيا وإسبانيا. كولومبيا وحدها هي العائبة. في غضون ذلك، وفي مناسبة شو عاهيريا منصبه أميناً عاماً، قال كارلوس فويتس الحاذق سياسياً إن عني بيل كلنتون أن "يتعللى عن فلوريدا ليربح العدم"، وإن عني فدل كاسترو أن

"بحسب عن ماركس ليقدر الثورة"⁴⁴. لكن ما من واحد من الرجلين كان على استعداد للاستماع إلى نصيحته

في العشرين من أيلول نوبل أنفوسو فوسمايور آخر عصر أساسي في حماية باراكيبا، بل قلبها النابض في مدينة باراكيبا (كان حيرمان مارغاس قد توفي سنة 1991 وألبيخاندرو أريغون في السنة التالية). وكان غارسيا ماركير قد نأى بنفسه عن رميله ومعلمه الفلمن منذ أن داهمه المرض قائلاً: إنه "جبان" لا يطيق مواجهة صديقه في مثل هذه الأرملة⁴⁵. لكن مرضه جعله يفكر في أنه بدأ يقترب بدوره من الموت. واشترك في السهر على الحنة رودريغو ابن فوسمايور وعصوا الجماعة كيكلي سكوبل وخاو تشو حيمي مع رجاحة شراب انتصت بين الثلاثة، وبهذا أصبح لمارو موييس أبرر أصدقاء غارسيا ماركير القدامى، وكان لا يزال قوياً.

وفي شهر شباط تروح رودريغو ابن غارسيا ماركير بأدريان شيباوم في حفل هادئ في قاعة ريكورد في إيست لوس أنجلوس، وورق الانسان بليزابيل، أول طفلة لهما، في الأول من كانون الثاني سنة 1996، وإيس عام 1998. وكان غارسيا ماركير قد أكد بحدة باري ماتش في تموز المصرم: "علاقاتي ممتازة مع ولدي". إلهما الآن كما نتمنى أن يكون وكما تمنيت أن أن يكون⁴⁶. وبدأت حياة رودريغو في ميدان صناعة الأشرطة السينمائية تردهر أكثر فأكثر في هوليوود

في الخامس من آذار، أجرى غارسيا ماركير أول مقابلة له مع جاك لايغ في كارثاجيا، واختار سيرجيو كاناريرا مخرج الشريط السينمائي استراتيجية الخللون، الذي حظي بإطراء منقطع النظر، ليكون مصوره. كان لايغ في الأيام الأخيرة من عمله وريراً. أما هراتسوا ميتران، الذي أصحى معتل الصحة إلى درجة كبيرة، فقد عاش حتى أكمل دورتين رئاسيتين، أمدة كل واحدة منهما سبعة أعوام، وتوفي في الخامس من كانون الثاني سنة 1996. ثم يحسر الحرب الاشتراكي الفرنسي في الاستجابات وليس يتحجب ثابة طوال القية الباقية من حياة جاك لايغ السياسية، وبدأت علاقات غارسيا ماركير تضعف بالميسيين في فرنسا.

الآن دشن أصحراً مؤسسته الخاصة بالصحافة الإمبرية - الأميركية الجديدة وبدأت تعقد "ورش عملها" المنتظمة في كل من بارانكيا وكرثاجيا، وإن كانت

كارثاجيا ستفوق رويداً رويداً على برانكيا وبعندو مركز العمليات أحب غارسيا
ماركيز كلمة "مؤسسة" مثمناً أحب كلمة "ورشة"، لأنهما كانت تذكرانه بلا أدنى
ريب بجده العقيد، ذلك الرجل الذي طالما رعم أنه "أسس" بلدة آراكافاكا وكانت
هذه المؤسسة الحديدية هدية غارسيا ماركيز لمدينته الكولومبية التي تسته، وأقوى رعم
على الترمه المتجدد تحاه بلده ورفاهيته. (ومع هذا، فقد كان مدير المؤسسة الشاب
حائمي أبلو من بلدة نارانكيا وليس كارثاجيا، والمؤكد أن الاختيار لم يكن
اعتباطياً). وقد بدأت المؤسسة بإقامه دورات قصيرة للصحافيين الشباب من جميع
أرجاء أميركا اللاتينية، وكان حاضرم متمثلاً بغارسيا ماركيز وهو يقود عدداً مهماً
منهم مع صحافيين مشهورين عالمياً، مثل الصحافي البولندي ريسرارد
كابوتشيسكي والأميركي جون لي أندرسون اللذين اشتركا أيضاً في تدريس
الطلبة.

في الوقت الذي نشرت فيه رواية حب وشياطين أخرى، كان غارسيا ماركيز
قد تصد صوره تماماً مع الرئيس الكولومبي الجديد. وفي مقابلة مع الصحافية
الكسبكية سورانا كانو في المكسيك، م يُحَفِّ غارسيا ماركيز إحباطه من سامبر
واحترقه إياه. وعندما سألته: "ما الذي يطل الكولومسون أهم فاعلون كي لا
يدخلوا القرن الحادي والعشرين في الحالة نفسها التي هم عيها اليوم؟"، ردَّ غارسيا
ماركيز:

كيف تقترضين بإمكاننا أنه أن نفكر في القرن الحادي والعشرين في حين أننا
لا نزال نحاول الوصول إلى القرن العشرين؟ فكري فقط في أنني أصبحت
ثلاثة أعوام وأنا أحاول التأكد من عدم وجود أي معلومة غير صحيحة في
كتاب عن بلد لم يعد معروف فيه ما هو الصبح وما هو الخطأ ما المستقبل الذي
يمكن أن تكون عليه الرواية إذا كان مرشح لرئاسة الجمهورية لا يعرف أن
مستشاريه ينقلون ملايين الدولارات من الأموال القدرة لحمته؟ في حين لا
يؤخذ منهموه عليّ بحمل الجدة، لأنهم في خضم الحقائق الكثيرة التي ينقلون
ها، يرون عدداً كبيراً من الأكاذيب أيضاً، وحيث الرئيس بدوره يُصَب من
نفسه مُدْعياً عسي مُدْعيه مجازياً أنهم تلقوا فعلاً أموالاً قذرة، لكنهم لم
يستفوه في حملتهم لأنهم سرقوها... في بلد كهذا البلد، لعنة الله عليه، ليس
أماناً كروالين أي خيار سوى البحث عن مهنة أخرى⁽⁴⁷⁾

إم عودة إلى مافانات فندقة لرجل محتج لأن كل ما يريد ليس إلا توثيق الحقائق الطبيعية لكل يوم، لكن أهوال كولومبيا عرّجت عن نطاق مفاهيم التحقيق الصحافي الاعيادية. ماكوندو لم تمت ذكرها

سارت الأمور من سيئ إلى سوء، وراود عارسيا ماركيز الفتن لأن إدارة حرسه الخاص، الذين وفرّهم له الحكومات المتعاقبة مد نظام بيناتكورا، باتت الآن ضعيفة وغير متسقة. وكان الحرس معرّضين للتبديل في العالب حتى أصحى أكثر من ستين حارساً منهم يعرفون معرفة دقيقة أسوب حياته وتفاصيلها الشخصية. هذه حالة بالغة الخطورة في كولومبيا عندما يجد المرء نفسه فيها، فيبدأ بالتسؤل عن مدى سلامته وأمه في البلاد. استمر هو وسامير في الحديث، وكان التوتر يردد بينهما. وقبل إن عارسيا ماركيز بدأ يتحدث كميّات أكثر من الشراب إلى أن التقيا للمرة الأخيرة في الفصح سنة 1996 وذلك في شقة عمدة كارتاجينا السابق حورحه إريكي ريثو وأحر عارسيا ماركيز سامير، الذي كان الكونغرس يوشك أن يحكم عليه، إن الإصلاحات الدستورية التي كان يفكر فيها ربما يُعتقد أنها عربون يدفع مقدّم لأعضاء الكونغرس لثروته فما كان من سامير إلا أن ردّ بعد أن حفره لاذع الإهانة قائلاً: "لا بد من أن مؤيدي عابيريا هم الذين يحشون رأسك هذه الفصص". فقال عارسيا ماركيز: "أرجو أن تحترمني قليلاً عندما أقدم إليك فكرة تتفق مع ما نرغب في سماعه، نعرني بأنها من بات أفكاري، أما عندما لا نتفق، فإنك تقول إن المعارضة تعسل دماغي. لماذا؟". هنا حاول سامير أن يطفئ الجوى، لكن عارسيا ماركيز ثتم: "ليس لي ما أفعله هنا بعد الآن". وسد تلك اللحظة بدأ بسحب من المشاركة الصعالة في قصايا الأمة ولم يلتقي هو وسامير مرة أخرى لسنوات طويلة^(٢٨).

على كل حال، من يهاجم يمكن أن يتعرض للهجوم بدوره فقد كتب مؤخرًا الكوسبي المفي نورينزو هويتس، الذي كان صديق عارسيا ماركيز الوثي، والذي تمكس عارسيا ماركيز من إقناع السلطات بإطلاق سراحه من الحزيرة مؤخرًا، أن مقالته عن مجموعة من مقالات كشف فيها أنه لم يشعر بأي مشاعر شكر وامتنان لغارسيا ماركيز، بل ندّد به تنديداً قوياً لنوره في امشروع الكوسبي وقلل من مدى

تأثيره ومجازاته⁽⁴⁹⁾ وعلى عادته. فقد امتنع غارسيا ماركيز عن الرد عليه، لكنه أقدم في شهر نيسان على عمل آثار دهشة كل الذين يعرفونه، وذلك عندما ألقى محاضره في المدرسة الحربية العليا في بوغوتا. وفي خصم بعض الكات المربكة، أحبرهم على نحو يندر بالشوم أن الرئيس سامبر يحسن مستقبل هذا البلد بيده". ومما قاله أيضاً، وإن لم يكن ليبطوي على دبلوماسية كبيرة: "إننا سكون في أمان أكبر لو حمل كل واحد منكم كتاباً في حقبة ظهره"⁽⁵⁰⁾. ثم ألقى المصيح رفقة كارلوس أندرياس بيرث في كاراكاس. هل فكر سامبر يا ترى، في أن غارسيا ماركيز اسعد الفسرويلين لمحارلهم التحلص من رئيس جمهوريتهم مثلما يحاول الآن بعض الكولومبيين التحلص منه؟

في الساب من شهر نيسان، وفي لآونة التي اشذت فيها احماسة تجاه رواية الحب وشياطين أخرى التي تقرر أن نصلر في أثناء معرض بوغوتا للكتاب في شهر أيار. احتطعت مجموعة كانت محولة سيقاً مقرها في تشيلي، وطلق على نفسه اسم حركة هبة كولومبيا، شقيق الرئيس السابق غافيريا المعماري حوان كارلوس. ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي يُستهدف فيها أقرباء غافيريا. وأعلنت الحركة في بيان لها أن مشكلة كولومبيا ليست قانونية بل أخلاقية، وبالرغم من أن الحركة بمنى على ما ينو، إلا أنها امتشهدت بعاره غارسيا ماركيز مفادها أن كولومبيا في حصم كارثة أخلاقية، وطلت منه أن يتنوا السدطة بدلاً من سامبر لأن غارسيا ماركيز، كما أوصحت احركة، واحد من الفلائل في كولومبيا الذين "أيديهم نظيفة". كما طالبت الحركة أيضاً أن يستقيل سبتر غافيريا من منصبه أمنأ عاماً لمنظمة الدول الأميركية. ولما كان أمام غارسيا ماركيز شهر واحد على نشر كتابه الجديد عن مشكلات كولومبيا المعاصرة، ولما كان أحد موضوعات الكتاب الرئيسة هو الخط المتشدد الذي انتهجه غافيريا في مقاومة ماشدت أسر الصحايا المختطفين، ولما كان غافيريا نفسه واحداً من أبرر المدين يرودون غارسيا ماركيز بالمعلومات، فإن معارفات الموقف عظيمة. وغال إيريكي ساتوس كالديرون في مقالة في صحيفة الليمبو "إن غارسيا ماركيز ذكر في مقابلة مع مجلة كامبو 16 أنه يشعر بأنه يعيش وسط تحقيقه الصحفي. حقاً إن المرء ليرتعش عندما يرى اليوم الرئيس السابق غافيريا في اموقف نفسه السذي مرت به أسر الرهائل في تلك الأيام، أو يرى "قبصر

الاحتطاف" الراس البيرتو بياميتار بفعل الشيء نفسه الذي فعله قبل خمسة أعوام عندما كان يحاول تحرير زوجته ماروغا باتشون⁽⁵¹⁾.

كان بياميتار وباتشون البطليز الرئيس في كتاب عارسيا ماركيز الحديد خير اختطاف. وم يكن عارسيا ماركيز قد كتب كتاباً عن كولومبيا المعاصرة منذ ريس للعقيد من يكاتبه وفي ساعة خمس وجنازة الأم الكبيرة في حمسيات القرن العشرين وكانت أكثر رواياته التاريخية المنطوية على بعد سياسي كبير، وهي رواية الخنرال في ماتهته. قد جعلته مكروهاً تماماً وسط الطبقة الحاكمة الكولومبية في اللحظة نفسها التي كان يكرّ فيها في الرجوع إلى كولومبيا على المدى الطويل. ولم يكن مرححاً أبداً، وبا للمفارقة، أن تترلف إلى مجتمع الطبقة العليا في كارتاجيا - لأن الساحلي من الطبقة العليا لم يحترم أبداً من ينحدر من الطبقة الدنيا - حتى وإن حصص ثلاثة كتب على التوالي "لديتهم الطويلة"، وحتى إن كان يملك اليوم أكبر وأفخم وأعلى بيت في البلدة، وإن كان هذا سبباً جزئياً فعلاً.

لا. كانت بوغوتا هدفه في كولومبيا حتى وإن كان لا يشعر بالارتياح دائماً فيها. ففي تلك المدينة تكمن سلطة البلاد. إن كتابه الجديد مكتوب من بعض الأوجه عن الطبقة الحاكمة التي مركزها في بوغوتا؛ ويمكن أن يكون هذا أيضاً. ولم يجد مزيداً اليساريون لقداً الكتاب ملائماً لدوقهم، بخلاف البورجوازية الوعوتية التي وجدت رقص الكتاب أمراً مستحيلاً. منذ وفاة لويس كارلوس عالان، الذي لم يكن الأخير بل كان دروة ورمز موجة الاعتيالات والاحتطاف التي أثارت لرعب في البلاد، بدأ العديد من الكولومبيين بإقناع أنفسهم أخيراً أن بلدهم مسؤول منه فعلاً. فقد رقص عالان مراراً عروضاً قدمها إليه بابو إيسكونار بالانضمام إلى حملته وغويلها. ولم يكن عارسيا ماركيز مقرباً من عالان، وم يكن أيضاً معجباً بأولئك الذين بدوا، مثله، يشعرون أن لديهم رسالة روحية أو سماوية. (كاسترو وحده هو الذي يحق له مثل ذلك الادعاء). وبد سيّر غافيريا، الذي حلف عالان، بارداً أكثر مما يعني، جاداً أكثر مما يعني، ومستقيماً وواضحاً أكثر مما يعني أيضاً لعارسيا ماركيز. لكن الرجلين احتاجا إلى صديق قوي سنة 1990. وكان لكل واحد منهما ما يمنحه للآخر، رد على ذلك أهما م يكونا من بوغوتا.

حقاً كان الكتاب الجديد إجازاً مدهشاً، بل هو عمل رائع ومدهش لأي كاتب في أي وقت كان، بل رجل بلغ التاسعة والستين من عمره حين الانتهاء من كتابته. لقد ظل العقاد يرددون القول إن مواهب عارسيا ماركيز تلائم الأحداث الدرامية المثيرة التي تلور في الرمان الماصي البعيد، وأنه - شأن معظم الروائيين - ربما لم يكن مُعداً للكتابة عن القضايا المعاصرة. فضلاً عن هذا، شعر معظم المراقبين أنه لم يستحيل تقريباً على أي مرد أن يفهم الفوضى التي كانت تضرب أطباعاً في كولومبيا في تلك السنين، وأن محاولة إنتاج حبكة متماسكة وبهاء قصة تحلب اللب عنها بخارج قدرة الجميع. لكن عندما صدر الكتاب وافق الجميع، ومن ضمنهم أولئك الذين لم ترقهم انجذاراته ووجهة نظره، على أن راوي القصة الكبير قد فعلها مرة أخرى وقدم قصة من الطبقة الأولى. حقاً، لقد قار كثيرون إهم لم يتمكنوا من اليوم إلا بعد أن فرغوا من قراءة الكتاب، واعترف بعضهم أنهم إذا لم يكملوا قراءة الرواية بخمسة واحدة، فإن الرهائن، وهم أبطال الرئيسون، ربما لم يتمكنوا من الهروب من معتهم. هكذا كانت قوة السرد. والسؤال الواضح المطروح هنا هو: هل صحت عارسيا ماركيز بالتعقيد من 'حل' الموضوع في تقديم أشعث السببية التي أحدثها عن بعده؟

لقد انطلق المؤلف على وجه التأكيد للإحاطة بتعقيد كولومبيا المشابه لتعقيد النهاية ضمن الأحداث المثيرة التي وقعت لسمع شخصيات رئيسة. الشخصية الأولى هي البطلة ماروفا باتشون، الصحافية ومديرة مؤسسة فورتيس السيمائية وشقيقة علوريا باتشون (أرملة عالان وسفيرة بلادها لدى اليوسكو مؤحراً)، والشخصية الثانية هو البطل ألبيرتو بيامبار زواج ماروفا وشقيق الرهينة الثانية بيانريث بيامبار صديقة ماروفا وشقيقة زوجها. يذل ألبيرتو قصارى جهده لإطلاق سراح شقيقته وروجه من هذه المحنة الكابوسية. أما فراسيمسكو سانتوس، (المعروف عمومًا بالاسم باتشينو) فهو ثالث الشخصيات الرئيسة، صحافي نارر يعمل في صحيفه التيمسو وابس مديرها هيرمانلو سانتوس. (يحتل اليوم منصب نائب رئيس جمهورية كولومبيا). الشخصية الرابعة هي ديانا طريه، صحافية تعمل في التمبريون واسة رئيس الجمهورية السابق خوليو مسسر طريه حيث يلقي عليها القبض مع زملاء

آخرين لها يطلق سراحهم واحداً تلو الآخر، لكنها تلقى مصرعها على نحو مأساوي في أثناء محاولته عاشلة بهذا الجيش لإنقاذها. أما الشخصية الخامسة فهي مارينا مونتويا شقيقة عضو بارز في حكومة باركو. وهي أكثر الرهائن سناً، والأولى التي يتم احتطافها، والوحيدة التي يُجهز عليها مهرجوا المحدثات. أما الشخصية المركبة السادسة فهي الرئيس عافيريا، الذي خُلِقَ به أن يكون هو بطل الرواية، وبخاصة في ضوء علاقته الوثيقة بغارسيا ماركيز، لكن مما يبعث على الدهشة أنه ليس بطلها. والشخصية السابعة هي بابلو إيسكوبار الذي نادراً ما يظهر في الرواية، لكنه احاطي فيها بروح الشر التي نفث وراء كل الأحداث، وهو رجل يبدو بلا شك أن لغارسيا ماركيز مشاعر متنافضة تجاهه من دون استبعاد مشاعر الإعجاب به. ويظهر في الرواية عدد لا يحصى من أفراد الأسر وخدمهم، وعدد آخر من مهرجوي المحدثات والتابعين لهم، وعدد كبير من وزراء الحكومة وغيرهم من موظفي الدولة (من ضمنهم قائد الشرطة السرية وأحد أقرباء المؤلف ميغيل ماتا ماركيز). ويجمعهم غارسيا ماركيز كلهم ويظمهم ويهندس بمهارة سرد الأحداث المرعة.

يقول غارسيا ماركيز في مقدمة الكتاب إن هذه "المهمة الحزينة" كانت "الأكثر مشقة وحرماً في حياتي". لكن الذي يبعث على الدهشة هو أن الكتاب الذي لا ينتهي نهاية سعيدة لكولومبيا وللعديد من الأبطال (مارينا وديانا ولرهبة الخلاسي الذي لا اسم له وتُسمى أمره سرعة) ابتكرت له نهاية سعيدة، ويرجع العيب الرئيس في ذلك إلى التركيز على أبطال بعضهم ورغبة غارسيا ماركيز في أن يكون "حاملاً للخبر السار". يبدو كأن كتابه عن الصحافة السياسية الذي أثغره إنجازاً باهراً قد احتفظه كتاب آخر فيه كل متطلبات وتصورات روية تشويق هوليوودية ذات نهاية تُمثل نهاية قصة من القصص الاجتماعية. إننا نفتتح بأن علينا أن نحصر الخرص كله ما إذا كان ماروخا ستنجو بالرغم من مصرع مسبقها في الصفحة الرابعة من الرواية - الذي أجهز عليه المؤلف سريراً مثلما أجهز لمتلة على المساق الحقيقي - والذي لم يعد نسمع له ذكراً بعد ذلك (ويطبق الشيء نفسه على سائق باشتيتو سانتوس). لا يبدو مهماً من ناحيته تأثير السرد عدد الناس الأقل شأنًا الذين سيموتون ما دام للحوم باقين على قيد الحياة. حقاً إن موت البعض

صم أعراف الرواية البوليسية المثيرة، يشكل تصاداً مع بقاء الأصلح الموعود "كثير وهذا هو السرد القاسي الذي لا يرحم في هذا الكتاب، وهو بعيد جداً عن ثباتي، أو حتى فيليب في شريطه لا دولتشي فينا

يتمثل المفهوم الأساس في الرواية بالانتقال بين العصور ذات الأرقام الفردية التي تصب على الرهائن وحاطفيهم والعصور ذات الأرقام لزوجية التي تخص أسر الرهائن والحكومة. إن الحدث المتدرج في الرواية، أصلاً، هو أولاً محنة الرهائن وجهودهم في البقاء على قيد الحياة والحديث عن الحياة اليومية مع حراسهم، وثانياً، جهود الأسر من أجل التفاوض مع كل من المخاصم والحكومة لإحلاء سبيل الرهائن. لكن على المستوى الأعنف يكمن الصراع الحقيقي بين "الإكستر ديتابيلين" والحكومة، تكون فيه الرهائن والأسر يبادى ضيقة لا حول ما ولا مود، لكن عارسيا ماركيز يحولها إلى قصة "دات اهتمام إسائي" قدر استطاع. ويركز فل كل شيء على الشخصيات الأربع الرئيسة من مجموع الرهائن العشر. ماروفا وماريسا وديانا وباتشيتو. ولا ينجو من هؤلاء الرهائن الأربع سوى ماروفا وباتشيتو، إذ يطبق سراحهما خلال ساعات قليلة في العشرين من أيار سنة 1991 وذلك في الفصل الحادي عشر. أما ماريسا وديانا فتموتان خلال يومين (الثالث والعشرون والخامس والعشرون من كانون الثاني سنة 1991) في الفصل السادس بعد أن أمضتا عدة أشهر في الأسر.

إن نهاية هذا الكتاب الفعلية الذي أريد له أن يكون قصة حب شتم على أرملة (عادة في كرب)، وصراعاً بطولاً (فارساً) وعودة سائلة إلى الست، لتتحقق في حاتم الفصل الحادي عشر بعودة ماروفا السارة إلى المبنى الذي تقع فيه شقتها حيث تستقبلها موجه فرح عارمة من أصدقائها وجيرانها، وأخيراً زوجها الذي يرحب بها برحباً حاراً جداً. الواضح أن عارسيا ماركيز رعب في أن يوضح أن النهاية السعيدة يمكن أن تتحقق حتى في كولومبيا؛ وما لها أيضاً. وما استسلام إسكوبار وموته إلا ملاحظة حامية لهذه القصة، شأنها شأن إعادة الحاطفين، ثم ماروفا، والدي تنهي به الحكاية والملاحظة الختامية التي تنطق بها ماروفا عندما تقول: "لقد كان هذا كله شيئاً يتعين تدوينه في كتاب" غير أن معالجة موت إسكوبار تطوي على

مخادعة. ففي القصص الاجتماعية والبوليسية نادراً ما يكون موت الشرير خاتمة الكتاب، وبخاصة إذا كان الشرير من مستوى إسكوبار. لكن المرء يشعر ها أن موت إسكوبار الذي عُوِّج معالجة عريية، يُعطل الأعراف نفسها التي تبدو وقد صُممت كي تصل إلى الذروة.

وكما هو شأن معظم المؤلفات السابقة لعارسيا ماركير، فإن كتاب خور اختلاف ليس عن الصفقات الدلّيا من المجتمع (حتى في زمن بعيد كزمن تأليف روايه في ساعة محس، فقد كان ظهور الفقراء المهجرين ظهوراً مفاجئاً في القرن صدمة)، غير أن اعياب له أهمية أكثر وصوحاً وحسماً ها. إنه كتاب عن ناس يتسرون إلى الطبقة العليا، وبخاصة من ضمهم عدد من البمسير البارزين (والدا ديانا طربه وبناتيتو سانتوس من الأشخاص الذين سبق لعارسيا ماركير أن عارضهم وندد بهم). وقد شس كاتب العمود الصحافي روبرتو موسادا عارسيا بيا (دارتاعنان) من صحيفة التيمبو هجوماً عيماً على عارسيا ماركير، لاحتفانه بورحوارية بوغوتا⁽⁵²⁾.

ومما يُحير أن عارسيا ماركير يستبعد الولايات المتحدة من الكتاب هائياً وإنّ هُنع مهربي المحذروب من طردهم إلى الولايات المتحدة الأميركية - "الأفضل لإيسكوبار قبر في كولومبيا وليس رسرانة في الولايات المتحدة" - هو الذي يقرر الصراع لدى يمثل القوة المحركة للأحداث الرواية في الكتاب، والتي تتطلب مؤكداً عطفاً من أعماط القند اساهص للإمبريالية. لكن في عمل يسقد حتى رجال حرب العصابات - وبالرغم من ارتباطاته بكونا - "لكن الأعمال الإرهابية"⁽⁵³⁾، فإن جانب لولايات المتحدة لا نجد له معالجة أبداً، وبهذا، فإن بحمل نية الرواية السية - التصيرية مرتبكه وتفقر إلى التركيز. والمؤكد أن هذا ليس بالكتاب الذي سيحرح مؤلفه عندما قدمه فور بشره إلى بيل كلنتون، وليس هاك ما بيعت على الدهشة أن كلنتون أثنى في هاية المطاف على الجانب "الإنساني" فيه، وليس هاك من جانب آخر في القصة، وهذا مما نطرح أصعب الأسئلة فاطمة: هل كُتب هذا الكتاب من أجل بورحوارية بوغوتا وبيل كلنتون (غنى والولايات المتحدة) وليس "لنا" نحن "القراء"؟ أو، لصعب السؤال في صياغة أخرى: هل كُتب الكتاب "لنا" نحن القراء،

تماماً مثلما تكتب لنا القصص الاجتماعية كي نخعنا نرعى برأعها ولتجعلنا نعتقد أن الأثرياء والمشاهير هم "بشرو"... "مثلاً" تماماً؟

نكن كما هي الحال دوماً، ثقة أكثر من أسلوب للنظر به إلى الأشياء صحيح أن هذا الكتاب هو أول كتاب يكتبه عارسيا ماركيز مستلهماً به بوغوتا، ويبحث في قضايا كيووميا المعاصرة منذ الوقت الذي قرر فيه أن "يفادر" كوبا بتحدود الدم 1990 (بالرغم من أنه لم يعادها معاً) ومرر "العودة" إلى كولومبيا (بالرغم من أنه لم "يعد" إليها عودة كاملة). وهو أيضاً كتاب عن الاستيلاء على السلطة أكثر مما هو جردٌ لأي شيء آخر. إنه معنى من المعاني عرض للطلولة والشهامة وإجابة مطلة عن كل تساؤلات نقاده الكولومبيين. هو لم يعيش هنا؟ حسناً. لكن هل استطاع أي كولومبي معاصر آخر أن يجمع معاً كل تعقيدات تاريخ البلاد الحديث ويقدمها متعاسكة ومفهومة كما فعل هو؟ أكان رجلاً فاضلاً من رجال البلاط يتودد إلى السلطة؟ حسناً. انظر إلى ما يمكن أن يفعله العلاقة المباشرة بالسلطة: أملاً "صحافي" في إمكانه الوصول، بفصل هبته، إلى أي مستوى من مستويات "المعارف" و"المصادر"، ومن لا يستطيع الوصول إليها، لا يستطيع أبداً الحصول على "القصة الكاملة". هل أضحت كتاباته تافهة، وتكرر دائماً، وتفتقر دائماً، وتفتقر في دائماً؟ حسناً. هذا ما كاد في وسع هذا الرجل المسن الذي يقترب من المبعين - أن يفعله.

من شأن الافتتاحيات اللادعة التي تنشرها صحيفة التيمبو، كذلك التي حيث الجبال في مناهته، أن تكون غير واردة أمام عمل لأدب استحوذ استحواداً رمزياً على البلاد على نحو تام الجلاء. واليوم يغادر ذكرها بسبب عياها. إن عارسيا ماركيز لم يظهر أي شيء، لكنه منذ زمن نشر رواية الجنرال انتظر سبع سنوات كي يتفهم، كي يصل إلى مفاصل "صينانية" للصحافة للتعبير عن عدم إحساسه بالأمان إزاء الكتاب الجديد، بخلاف ما حدث عند نشر رواية الحب وشياطين أخرى. قال مصارع الثيران الراحل: إليك هذا: ربما يبدو مذهشاً أن كيووميا أضحت عاتية إلى عارسيا ماركيز وله من العمر تسعة وستون عاماً، وعلى نحو لم يحدث من قبل. فقد جعلت رواية مئة عام من العزلة أميركا اللاتينية كلها تعود

إليه، بل العالم أيضاً، لكن ليس كولومبيا. المؤكد أن مئة عام من العزلة كانت "ماكوسو"، لكن الجميع كانوا يرهون، في بوعوما وغيرها من المدن الكبيرة في اندانل (مثل مبدلين وكالي)، أن ماكوندو هي الساحل، ولم يصعرو أنفسهم صر مرجعياتها، لكنهم اليوم نجدهم أقل ثقة ورصني على حين استحوذ عارسيا ماركيز أحيراً على كولومبيا وليس الساحل وحده. لكن الطعن في انطهر سينمر مدى الحياة - طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية - لكن ثقة أقل بكثير. لقد بات فوق القند الآن، وأضحى في وسعه أن يعمل كل ما يحلو له

لكن السؤال يمكن أن يتكرر مرة أخرى: لقد كتب كتاب غير اختطاف للكاستاكو من وجهة نظرهم إلى حد ما، فهل استسلم لهم بالتالي؟ هل فوّض في لحظة نصره (أو حتى بسبب صعوبة ذلك النصر) مساعدته الأخلاقي والسياسي كله؟ لعله أمسى محافظاً على الحق الموحع والكيب الذي يساق إليه كمار السر فينحوكوا إلى محافظين. أو لعله أدرك في نهاية المطاف "الواقع السياسي"، لا سيما "الواقع السياسي بعد سقوط الجدار". أو لعل كل ما يريده الآن أساساً، هو أن يرى فندل والثورة الكوبية يعاومان مقاومة رمزية المتناهية التاريخية إلى الحد الذي لا تترك لها فيه المتناهية الأخيرة العظمى أي خيارات أخرى. أو لعله لا يزال يرفض كل تلك الوقائع المحيطة به، كل تلك الخيارات والتفسيرات. أو لعل عارسيا ماركيز يصور حلمه بالطريقة الوحيدة التي يعرفها هو حتى نهاية المطاف. ربما. لكن هذا هو لسؤال على وجه التأكيد.

طبعي أن الكتاب تنوّأ المركز الأول في لائحة الكتب الأكثر رواجاً حال صدوره. وبالرغم من أن المقالات التي دُبجت عنه كانت إيجابية تماماً، إلا أن عدداً قليلاً منها كان غايه في العدوايه، وحتى هداماً وبذنيماً، وبخاصه من الولايات المتحدة، إذ اختلعت ببرقها عن نبرة حتى المقالات التي شرت عن رواية الجنرال في صحيفة اليمبو⁽⁵⁴⁾. غير أن عارسيا ماركيز اسعصر خياراته واختار ما يحبو له. وفي وسعنا أن نكون واثقين من أنه كان راضياً.

غارسيا ماركيز في سنّ السبعين وما بعدها

مذكرات وغانيات حزينات

2005-1996

والآن ماذا سيعمل؟ لا يزال الكاتب البالغ من العمر تسعة وستين عاماً مفعماً بالنشاط، لديه خطط كثيرة، ولا يزال مفعولاً بالسياسة ومسرماً بأد "يكون مفعلاً؟" على حدّ تعبير الأمر كين. لكن هل لا يزال كاتباً قصصياً؟ كانت رواية الجراح في متاهة رواية تاريخية في إطار قصصي دكي، لكنها تظل رواية تاريخية. كذلك، فإن خبر اختطاف رواية وثائقية، بل وثائقية أكثر من رواية. الواضح أن رواية الجراح كانت عن "الماضي"، عن الأسلوب الذي نشأت به كولومبيا قبل مئتي سنة أما خبر اختطاف من "الحاضر" عمّا ألب إليه كولومبيا. الروايات مكتوبتان بحماسة لا يمكن تكرارها. لكن، هل لا يزال في أعماق غارسي ماركيز عمل طموح آخر ذو حيل إدعوي؟ أم أن المعنى التاريخي العالمي الأعظم نصب في النهاية؟ مما لا شك فيه، أن العالم هو تحاربه، لكنه لم يعد ذلك العالم الذي صعد أي وسعه الاستجابة لهذا العالم الجديد، لهذا الكون في عصر ما بعد الشيوعية، وما بعد المثالية، وما بعد الحداثة الذي يمتد الآن أمام الكوكب لتعجب على مشرف القرن الحادي والعشرين؟

أحق أن ما من أحد استجاب استجابة كاملة للحقبة الجديدة. إنه سؤال ثقيل يواجهه العالم إلى شخص كثير السن بالرغم من أن غارسيا ماركيز كان يطرح السؤال نفسه على نفسه. إن هذا العصر هو عصر الأدب الجديد، لكنه ليس عصر الأعمال العظيمة. فبعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم لا يوجد سوى عدد قليل جداً من الكتاب - بل وعدد قليل جداً من المدعين في كل جنس أدبي - اتفق بتأهم

القراء واستقاد على النحو الذي اتفقوا، ولا يزالون متفقين، فيه خصوص الفلاسفة العظماء إبان حقبة الحداثة بين ثمانينيات القرن التاسع عشر ونلاثينيات القرن العشرين. وكان غارسيا ماركيز اسماً من الأسماء القليلة، وكانت رواية مئة عام من العزلة من معاوين الروايات العظيمة التي تبرز في لائحة كل فرد عن الأدباء العظماء والأعمال العظيمة في النصف الثاني من القرن العشرين، وقد أضاف رواية الحب في زمن الكوليرا التي ظهرت دائماً في البوائق التي تحمل معاوين "أفضل خمسين رواية" أو "أفضل مئة رواية" في القرن العشرين. أفي وسعه أن يصيف شيئاً آخر؟ بل هل يتعين عليه أن يحاول؟

بما لا ريب فيه أنه أراد لاستمرار. سبق أن قال إنه لم يعد في جعبته شيء بعد رواية مئة عام من العزلة والحب في زمن الكوليرا⁽¹⁾. لكنه وجد دائماً العزم والإصرار، والإلهام بالتالي، للعثور على موضوعات جديدة وأشكال جديدة ليقدم مشروعاً جديداً، كتاباً أراد أولاً أن يكتبه، ثم احتاج إلى كتابته، ثم اضطر أخيراً إلى كتابته. وليس الأمر مختلف الآن. فهو دائم البحث. وقد قال في مقابلات صحفية إنه كان "يريد العودة إلى الرواية". وكذابه، كان لديه مشروع. كانت لديه ثلاث روايات قصيرة تصلح أن تكون كتاباً مثيراً للاهتمام بحسب رأيه إذا ما جمعت معاً، كتاباً آخر عن الحب، الحب والنساء. وقال لصحيفة الأسيس: "إنني عاطف بالنساء، أصدقائي من النساء عموماً، وكان على ميرثيديس أن تتعلم أن هد هو أسلوب حياتي، وأن علاقتي بهن ليست سوى معارلات لا تضر. فالكمل يعرفون الآن حقيقتي"⁽²⁾.

ثم أضاف أنه بدأ يفقد ذاكرته التي اعتمد عليها حياته وأعماله كلها (وهو ما حدث تماماً لطل حريف البطريق المستمد شخصيته من السيرة الذاتية). يمكن، وبما للمفارقة، كانت آلة تقطيع الورق هي الآلة المستعملة أكثر من غيرها في بيته. لكن بالرغم من ذلك، استعاد في وقت متأخر مسودات قصة الحب وشياطين أخرى وأعطاها لميرثيديس لتكون هدية لها. بدا أنه غير مدرك أن المسودات فقدت قدراً كبيراً من سحرها - من صممها المالي - في عصر الحاسوب، لأن الحاسوب يحمي معظم الآثار الوراثية. حقاً كان التحول من الكتابة باليد إلى الكتابة على الآلة

الكاتبة ثم إلى الحاسوب جرأاً من تفسير اصطحلال حالة المؤلف في ذهن القراء، وبما فقدان الثقة بمقول المؤلفين أنفسهم. ولقد قاوم عارسيا ماركير هذه العملية مفرومة أقص من غيره. واستحجم ابتلاؤه معظم أعماله التمهيدية، أو غير الكامنة، مع اعتقاده بحارم أن مهمة الفنان هي إنتاج أعمال كاملة تماماً على وفق النموذج الكلاسيكي، وإن لم يكن يرغب في التعبير عن هذه المهمة على هذا النحو.

كان تقاعده عن العمل موضوعاً يُنم عليه، وكانت سادر سيئة كلها. بهد هو حريف كن اسطاركة، فقد كان سامر يرفض رفضاً باتاً وقاطعاً الاستقالة، بالرغم من أن ملايين الناس كانوا يطلبون منه أن يستمل. واضطر كارلوس أندريس بيرث إلى الاستقالة بالقوة. وتمكن كارلوس سالياس من إبقاء مدة ولايته، إلا أنه اضطر إلى معادرة البلاد بعد أن هُذد بالسجن أو ما هو أسوأ من السجن. لكن لم يستطع أحد أن يرغم فيدل كاسترو على الاستقالة، لكنه سرعان ما سارع السعير، وقد شاحب الثورة. لكن من يا نرى يمكنه أن يحل محله؟ وبدلاً من أن يحصر عارسيا ماركير جعل إصدار كتابه في بوغوتا، سافر لزيارة متقاعد آخر تقاعد على مصص. وهو فليب عوشاليت، إذ أقصي من مصص إثر اتهامات وفصائح في إسبانيا بعد ثلاث عشرة سنة أمضاها في قصر مونكلوا الجمهوري في مدريد. وما إن وصل عارسيا ماركير حتى أسرع إلى مونكلوا، لكن الرئيس لم يكن في البيت، بل كان وحده مع حرسه الشخصي في حديقة مونكلوا الوطنية، كأنه شخصية أخرى من شخصيات عارسيا ماركير حُرمت من السلطة والمجد⁽³⁾. وقال عوشاليت في آخر مرة التقيا فيها وهما يتعاقبان: "يا الله! أطلعت الرجل الوحيد في إسبانيا الذي يريد أن يعانق الرئيس". ثم أعلن أنه ارتج لركه مصص وأنه في طريقه إلى التقاعد، وسيحل محله الرعيم اليميني نحوسيه ماريا أنار

سافر عارسيا ماركير بعد شديد إقامته في إسبانيا إلى كوبا للاحتفال بذكرى ميلاد فيدل كاسترو السبعين معه، فكانت الزيارة حدثاً حريصاً آخر لا تختلف عن زيارته فليب عوشاليت. لم يكن فيدل يعكّر في التقاعد، لكنه كان في حالة تأمل غير اعتيادية لقد عاش صويلاً في المستقبل، وكفي يصل إلى المستقبل، اضطر إلى التغلب على الحاضر دقيقة مدقيقة. أما الآن، فهو يعكّر في الماضي للمرة الأولى. في

ماضيه هو وكان قد صرّح بأنه لا يريد احتفالاً خاصاً، لكن غابو قال إنه سيسافر إلى كوما برفقة ميرنيديس في كل الأحوال. لم يتمكن فيدل من الاحتمال بذكرى ميلاده رسمياً في اليوم المحدد - الثالث عشر من آب - بسبب ضغط العمل، لكنه توجه إلى بيت غارسيا ماركيز بعد إصرار الأخير في ذلك لسماء ليحمد هدية نقدية، وهي نسخة من معجم جديد أصدره معهد كولومبيا اللساني إيسيبو كروي كبير هو، ومعد أسوعين، كشف فيدل عن مفاجأة من عنده: صبح غابو وميرنيديس، وعدداً قليلاً من المقربين، وصحافياً، ومصوراً إلى سدة بيران الصغيرة حيث ولد فيها: "رحبه إلى ماضيه، ذكرياته، المكان الذي تعلم فيه الطق والرمابه ونسرية ديوك العراك والصيد والمصارعة، المكان الذي تعلم فيه وصار على ما هو عليه، المكان الذي لم يذهب منه منذ 1969، الذي تمكن فيه للمرة الأولى في حياته من أن يقف أمام قري والديه ويقدم إليهما بعض الزهور، وإظهار التقدير اللائق بهما بعد وفاتهما، وهو تقدير لم يتمكن حتى تلك اللحظة من تقديمه إليهما".

رافق فيدل صيوفه في جولة في أنحاء البلدة، ثم ذهب إلى مبنى المدرسة انقدم (وجلس على طاولته القديمة) وتذكر شحاته أيام صباه. ("كنت راغي بقر، أكثر من ريعان، لأن ريعان كان راغي بقر في السبما وحدها، أما أنا فكنت راغي بقر حقيقياً")، وتذكر شخصية أبيه وأمه وعراة أطوارهما، وبعد أن شعر بالرصى قال: "لبي لم أحلظ الأحلام بالواقع، وذكراياني تخلو من الفاتاريا"⁽⁴⁾. لا بد من أن غارسي ماركيز أصبح لديه عدااء فكري كثير، وخاصة أنه كان يكس يومئذ مذكراته؛ لا سيما عودته مع والدته قبل أكثر من نصف قرن من الزمان إلى المكان الذي ولد فيه.

أضنى غارسيا ماركيز بعض الوقت في بيته الجديد عند رجوعه إلى كارتاغينا في شهر أيلول، فإحساسه بأنه غريب عن المكان لم يعد سراً، ولم يكن اللب هو أن فندق ساساكلا كان يطل عليه هو وميرنيديس: كل ما هناك أنهما لم يشعر بالراحة والاطمئنان، لأنه لم يرفقهما ثمه صحافي أرحتيني يدعى رودولفو برانيلي سبق له أن أجرى مقابلة مع ماروخا بانثون عن بحارها التي مرت بها بين عامي 1990 و1991 وعن ظهورها في كتاب غير اختطاف، فاستغل معرفته به ليجد طريقه صوب غارسيا ماركيز المرعج، وإن كان لا يزال على استعداد لتعمم

المساعدة والمعلومات، والذي بدأ يظهر في المقابلات الصحافية في تلك الآونة متأماً ومتفلسماً على نحو متزايد، كأنه جندي عجز أصبح وحيداً ولم يعد هناك من يمد له يد مساعدة، فذعن لسانه ولم يحجر جواباً كان مثيراً للاهتمام، غير المعنومات، حتى إنه كان يكثر من التحليلات، لكنه لم يعد يركز على الحملة الموجهة التي تمسعد احتمالات الأخرى - القادمة - ولم يعد منضبط الرأي كالأيام الماضية⁽⁵⁾. ونوء مره أخرى بأنه بدأ يسيئ الأشياء، لا سيما أرقام المواتف، بالرغم من أنه كان "أسناداً في الذاكرة". وكانت أمه تقول له في بعض الأحيان: "إن من أنت؟"، ثم تعود إليها فآكرها في أيام أخرى تقريباً، فيسألها عن ذكرياتها عن طفولته⁽⁶⁾، "فتأتي ذكريات كثيرة لأنها لا يحفيها الآن، إذ سبت أهواها واختيارها".

أحمر رائيلي أن لديه عدداً كبيراً من الأصدقاء وقد بنوا السجين فجأة، مما أثار دهشته، "فأنا لم أسألم قط عن أعمارهم". وقال إن شعوره اشخصي تجاه الموت هو "العصب". ولم يمتكر في موته تفكيراً جاداً إلا بعد أن بلغ لستين من عمره. "إني أتذكره تماماً. فقد كنت أقرأ في إحدى السالي كتاباً، وفجأة فكرت: تساً، إني سأموت، الموت محم، لم يكن لدي وقت، لم يكن لدي وقت في السابق للتفكير منه، لكن ها هو فجأة. تساً، لا سبل إلى الخلاص منه. وشعرت برجة ما... ستون منه من اللامسؤولية أشه بصوء ينصفني، أو أشه محذر.

من الواضح أنه كان في حالة تأملية يسترجع فيها سيرته الدائنة، وإن كانت هذه الترة واضحة، في الأقل في البداية، مد نهاية مجلة التاريايقا وبناية عموده الأسبوعي في الاسبتادور وفي البابس. وبالرغم من أنه أنلف معظم الآثار المكتوبة عن حياته الشخصية وحتى عن نشاطه الأدبي المهني، إلا أن تفكيره إرداد مخصص مطهرين معينين من عمه: أولاً، كيف ومي، التقنية والتوقيت. يتصح أنه حرق أسناد في حرفته، يعني وعياً متريداً أن سرد الحكايات على طريقته أو على طريقة همنعوي يس في ميسور الجميع. لهذا السب ولدت "ورشة" في كتابة النصوص السيمانية في مافانا ومدينة مكسيكو، والآن ورشه الصحافية في مدريد وكارناحيا، وكانت هذه "الورش" تخص كتابة المعصص: كيفية تمكيك الواقع إن أناصيص، وكيفية تمكيك لأفانصيص إلى العناصر المكتوبة لها، وكيفية سردها بحيث نقود كل

نقطة إلى أخرى على نحو صيغي، وكيفية تأطيرها تأطيراً يجعل القارئ، أو المشاهد، يشعر بأنه لا يفوق على اتوقف عن القراءة أو المشاهدة تائياً، ماذا ولماذا؟ كان بسر من الإفراط في إظهار العواطف والاستيطان بسبب شعوره "باخري وإخرج" لكس مرت عليه حتى الآن منه من الزمن أدى فيها اهتمامه بتحديد لماده الختم للعائنة بحرمه أبي مصحب بأصاليب متباية، ولأعراض أدية وحمالية مختلفة في مؤلفاته على مر السنين. إنها وسيلة ما للسيطرة على قصته، للتأكد من أن أحداً لا يستطيع صياغتها من دون أن يقلل بمعظم نفسه. لقد ظل يسيطر على صورته على مدى ثلاثين سنة، والآن يريد أن يسيطر على قصته.

سافر غارسيا ماركيز إلى باساديا في كاليفورنيا في شهر تشرين الأول لحضور الاجتماع الثاني والخمسين لرابطة الصحافة في لدون الأمير كيه، حيث حضر أيضاً مئتا مائت صحفية، إضافة إلى الأميركيين العائرين خاتمة بومل للسلام وريغوريت مينشو، وأوسكار أرياس، وهري كيسجر، وانتخب رئيس تحرير الاسكتاتور لويس غابريل كدو رئيساً جديداً للمنظمة، وتمت الموافقة على عقد الاجتماع الثاني في مدينة غودالاجارا كتب غارسيا ماركيز يحرص على أن يضع مؤسسته الصحافة الجديدة في المقدمة، فقد قال في كلمته "لقد أصبح الصحفيون صائعين في مناهج التكنولوجيا العمل الجماعي لا يحظى بتقدير حقيقي، ولناقص من أجل الحصول على كسب صحافي يدمر العمل المهني الخاد، ولا بد من الاهتمام بثلاثه مبادئ أساسية" "لا بد من إعطاء الأولوية للموهبة والشعور بالباطني. ويسعى الطر إن التعميمات الصحافية على أنها نشاط من نوع خاص لأن الصحافة كلها حب أن تصوي على تحقيق. كما لا يعبر على الأخلاقيات أن تكون مسألة وقتية، من لا بد من أن تراقب الصحافي دائماً منساي رافق الصبر الدبابة"⁷⁷. (العارة الأخيرة ستصبح شعار مؤسسه الصحافية، أما شعارها الرئيس فهو: "لا أن تكون الأفضل وحسب، بل أن تكون معروهاً بألك الأفضل". وهو ما يطلق تماماً على ع م). كانت كلمة غارسيا ماركيز قنم، شأن مؤسسته الجديدة، عما ينبغي للصحافيين الأفراد أن يفعلوا للارتقاء بمستوى انهم المهني والأخلاقي، في حين كان يهتم في سبعينيات القرن العشرين بملكية الصحافة. لكنه يتحرك الآن في عام مختلف. لعله الوحيد الذي

حاول أن يحيا هذه الحياة المزدوجة التي ناقش فيها مشكلات الصحافة الورجوارية في دون ديمقراطية رسمياً، ولكنه أبد بإخلاص كوما، الدولة الوحيدة في نصف الكرة الأرضية التي لا توجد فيها صحافة حرة، ولن توجد ما دام كاسترو في السلطة. وكانت مقالات عارسيا ماركيز التي تشر في آن واحد في مختلف البلاد، بعد طريقتها للنشر بنظام في صحفيي غراما وخويسود ريبالدي. وكان ذلك صعباً جداً عليه في عصر لم يعد يستطيع فيه استخدام مبرر الأهداف الاشتراكية وصورة بناء اقتصاد اشتراكي. لكن لو كان لا يزال يتكلم عن ذلك كله، حتى بالافتراض أنه شاء ذلك، لما تمكن من الاختلاط بالأنطاط الصاعين - إذ كان أحد أكبر الماشين لورنثو نامبراو ملك الإسمت القادم من مونتيري - ولما تمكن من إقناعهم مع أمورايم.

كان سامير قد أعلن قبل ذكرى الميلاد أنه يصدد شرع قبول جديد للنهزبون يأخذ على عاتقه تأسيس معوصية، تقرر إن كانت القوات منمرمة خبيديتها. وقد افترض الجميع أن الوقت س يطول حتى تجده وقد ألقى رخصه قاة كات التي كانت من أشد نقاد سامير قسوة. وعندئذ، لصحي عارسيا ماركيز تحت راحة السلطة للمرة الأولى منذ سنة 1981. وهنا استشاط غضباً وأعلن أنه لن يحتفل بذكرى ميلاده السبعين في كوبوميب. وفي السادس من آذار، أمضى هو وميرثيديس ورودريغو وغونزالو انتهاز في مكان سرّي بعيد عن البلاد^(٨). وقد توهب جميع الصحف الإسبانية بذكرى ميلاده السبعين، كما توهبت أيضاً بذكرى ميلاد رواية مئة عام من العزلة الثلاثين. كانت الصحافة تبحث عن أي سبب لذكر اسم عارسيا ماركيز في الصحف، لأن اسمه يريد مبيعاتها مثلما يريد من عدد الكتب المدعه وتبين الآن، أنه بالرغم من إصراره بأنه لا يريد "تقدير" بعقب وفاته وهو لا يزال على قيد الحياة"، فقد كان عارداً على تأكيد عيابه عن كولومبيا حتى بطريقة اسعرابية أكثر عندما وافق على السفر إلى واشنطن - من دون كل الأماكن - لحضور احتفالات متعددة في شهر أيلول لمناسبة الذكرى الخمسين لأول قصة تشر له. إن مثل هذه الاحتمالات في واشنطن تتطلب تعاون سفارة الشخص المختص وتصميمها وتأنيدها. غير أن عارسيا ماركيز لم تكن لديه علاقة منطوية مع رجل

البيت الأبيض وحسب، بل كان أيضاً صديقاً حميماً للأمير العام لمنظمة الدول الأميركية، وهي المنظمة التي تم تكرر الولايات المتحدة فيها إلا أولى بين متساويين. أما عافيريا، فقد أصبح الآن منعصاً بما عدّه حرج حكومة سامير، وثارت نائره لما عدّه أيضاً نديلاً للإرث الذي تركه هو، عافيريا، له. هذا، لحاً إلى معارضة تريب سلسة من المسبات تكرماً لغارسيا ماركيز تُوجت بحتفال أقيم في مقر إقامته، ومأدسة عشاء في جامعة جورج تاون كان فيها غارسيا ماركيز وطوب موريسون، وهي رواية أخرى سبق أن قارب مجازة نوبل، صيفين من صيوف مدير الجامعة الأب يو دوفوان.

كان الميل إلى الذكرى لسوية يطور على مدى السير في الثقافة العربية مع اقتراب الألفية الكيرة. لقد أصبحت التواريخ 1492، و 776، و 1789 في طين طروف م بعد الحداثه معادلات رمية لمسنودعات ثيمية، وكان غارسيا ماركيز في حصم هذه لأشياء كلها في طريقه أنصاً ببعده مستودعاً ثيمياً خاصاً به، نصاً هائلاً لا بد منه مصب آخر في عالم الأدب مد ثيرباتس أو شكسير أو تولستوي، وهو م أدركه حال متر مئة عام من العرلة، نبت الروابه التي عثرت العم في عيون كس الدين قرأوها داخل أميركا اللاسه، وعمون عدد كير منهم حارجها لعد أحد غارسيا ماركيز يعي شيئاً فشيئاً أنه هو الإورة الذهبية، وإن "نوبة الشهرة" التي أحاطت به كانت عصفه، ومعدنه، حتى لم بعد مهمماً ما يعنه بصرف النظر عن حطظه واستراتيجياته وماورانه. لقد دخل روح العصر، بل سم فوقها ونجارها نحو المرمديه. يمكن للتسويق أن يعمل عمه في الهوامش لرداد أو لشفص، لكن سحره مسفل استقلالاً ذاتياً وسيرداد الصعط عليه ريادة كيرة كي يحول دون أن تتحول حياته إلى احتفاء مستمر بحياته، وإلى ذكرى سعيدة واحدة وطويلة. كيف يمكنه الهروب من هذه المناهة؟ وهل يريد الهروب بعد اليوم؟

في احدى عشر من أيلول، زار غارسيا ماركيز بيل كلنتون لتناول لعلاء معه في ايبس الأبيض. كان كلنتون قد قرأ من قبل رواية خير الختطاف وهي مخطوطة، لكن غارسيا ماركيز أهداه الان طبعة إنكليزية بعلاف من الخلد "كي لا تؤدي كثيراً". (سبق أن أرسل كلنتون رسالة إلى غارسيا ماركيز عندما أرسل إليه الباشر

نسخة المخطوطة من الكتاب، "قرأت لجنة أمس كتابت من البداية إلى النهاية" وأراد أحد ناشري عارسيا ماركيز استخدام هذا المديح المغالي فيه، والذي لا يقدر بثمن على غلاف الكتاب عندما نشر في نهاية المطاف، فردّ عليه عارسيا ماركيز قائلاً: "نعم، إنني متأكد أنه سيوافق، لكنه لن يكتب إليّ رسالة أخرى بعد اليوم". وتعددت الرحلان في الوضع السياسي الكولومبي خاصة، وفي مشكلة إساح المخدرات في أميركا اللاتينية، واستهلاكها في لولايات المتحدة عموماً⁽⁹⁾.

لكن سامر بقي لا يتراجع عن موقفه. وكان عارسيا ماركيز قد التقى قبل الاحتمال في واشنطن السياسي المساعد حوان مانويل، من أسرة سانتوس، لمناقشة الوضع الكولومبي الذي لا يزال يتدهور. وكان سانتوس قد صرّح أنه سيرشح نفسه عن الحرب الليبرالي لخص الانتخابات الرئاسية المقبلة في سنة 1997. لا أحد يعرف إن كان ثنان يتأمرام معاً أو منفصلين لإسقاط سامر إلا هذان الاثنان اللذان طرحا بالرفع من ذلك "حطة السلام" - وقد قال سانتوس، وهو تحت ضغط عسيف، إن الفكرة هي فكرة عارسيا ماركيز نفسه "لا بد لنا من عمل شيء جريء، لا بد من دفع الجميع للكلام كي نشارك في المهرقة، لأننا كلاً نحسر هذه الحرب"، وهي حطة تنطوي على مفاوضات بين جميع قطاعات المجتمع الكولومبي باستثناء حكومة سامر، إلا أن سانتوس أنكر أنه كان يسعى لإسقاط الحكومة بعد أن افصح أمر الحطة في الأسبوع الثاني من تشرين الأول. وسافر هو وعارسيا ماركيز جواً إلى إسبانيا - سافر عارسيا ماركيز مباشرة من واشنطن إلى مدريد - للباحث مع رئيس الوزراء السابق هيليب غونثاليث (وهذا تشامخ عنى رئيس الوزراء اليميني الجديد غوسيه ماريا آثار). لكن هيليب غونثاليث أجهر على المبادرة بقوله إنه لن يدعمها إلا إذا وافق سامر على المفاوضات وأيدتها الولايات المتحدة وغيرها من القوى.

في كانون الثاني سنة 1998، قام البابا يوحنا بولس الثاني، المريض والمعجور، بمرارته التي طال الإعلان عنها إلى كوبا كامترو، وكانت نتجة مفاوضات شاقة وعجدة. (سبق أن أكد لي عارسيا ماركيز في سنة 1997 أن البابا "رجل عظيم ويستحق عليّ أن أكتب سيرته"، وأتبع مدل أسلوبه في إظهار كوبا على أنها قادة

على المرونة، في الوقت نفسه الذي تحافظ فيه على مبادئها - الثورية - وسمح بإعادة الاحتمار بذكرى الميلاد، وأعرب عن استعداده للتفاوض مع القوة العظمى على الأرض ومن سيحلس إلى حوار كسترو في أثناء الاحتفالات التي تشتمل عليها الزيارة سوى غارسيا ماركير⁴ بالرغم من أن البابا معروف بتاريخه الطويل والساحج في النشاط ضد الشيوعية إلا أنه كان معروفاً أيضاً بمعاداته للرأسمالية من أوجه كثيرة، وأنه ضد مظاهر الانحلال في المجتمعات الاستهلاكية الجديدة التي جعلت زيارته تبدو محاطة يستحق أن يقوم بها. لسوء حظ كوبا وكاسرو أن الحدث الذي كان يمكنه أن يمنح كوبا قدراً كبيراً من الدعاية المؤيدة لها، ليس ألقاه في الولايات المتحدة، أطلع به عن شذات التلمهرون العالمية قصبة فضيحة بيل كلستون مع مويكا لويسكي المتدربة في البيت الأبيض. وكانت الكارثة مردوحة: كارثة زيارة لاد لم تؤثر تأثيراً قوياً في العالم كم كان يُراد لها، وكرثيه أيضاً لأن كسنون، وهو صديق غارسيا ماركير، يصصف كثيراً من الناحية السياسية على أثر الفضيحة والتحركات التي أعقبتها لانتهامه دلتفصو. واضطر إلى أن يبقى جالساً طوال ما تبقى من مدته الرئاسية لا حول له ولا قوة تماماً مثلما كان حال سامبر. المعارفات لا يرقى إليها شك.

قرر غارسيا ماركير عدم الرجوع إلى كولومبيا في الجولة الأولى من الاستجابات في شهر أيار، لكنه أرسل رسالة متلفرة من بيته في مدينه مكسيكو موضحة السبب الذي يدفعه لدعم المرشح للمرة الثانية أندرياس باسترنا عفاط ("الخصوص مع أندرياس"). غارسيا ماركير يدعم عفاطاً؟ ما الذي في وسع العقيد ماركييز أن يقوله! ينظر أفراد أسرته الناقون على قيد الحياة إلى هذه الإشارة منه نظرة مسهحان ودهول لكن، لقد تردد أن باسترنا قريب من الكوبيين في ميامي، ويعمل غارسيا ماركير مكرّ في أنه بهذه الوسيلة، وبوسائل أخرى، قد يساعد في موضوع الوضع الكوبي. ولقاء ذلك، كان يفترض بغارسيا ماركير أن يجد يد العون في موضوع الترية، وهي الشغل الشغل الرسمي عند باسترنا بعد موضوع اهتمامه الأول التمثل بعملية اسلام مع رجال حرب العصابات

استعدت الصحافة اللبيرة عارسي ماركير انتقاداً عيماً، وإن على مصغر فقد كتب دارتايان في صحيفة ليممو مقالة الغرض منها أن تكون مرثية لغارسيا ماركير

الذي تدخل في الشؤون السياسية الكولومبية حتى هذه اللحظة، لكنه يبدو الآن وقد قصي عنه. أما مدى التأثير الذي قد يحدته في إدارة باسترانا فهو أمر مشكوك فيه. ولم يُشاهد لا هو ولا أندرياس وهما "مجاهدون" سواء معاً أو كلاً على «فرد»⁽¹⁰⁾ حاول عافيزيا ليراعماني الواضح إعادته كروب مره أخرى إلى منظمة الدول الأميركية بعد عيائها عليها منذ أربعة وثلاثين عاماً. لكن القرار صوتت صده الولايات المتحدة، وهو أمر متوقع ثامناً، مما أخرج باسترانا مقدماً - بل ربما ارتاح كثير له - وكان معرته أن استراتيجية عارسيا ماركير لبقاء أسيريس في الحكم، قد قصي عليها قبل حتى أن تبدأ، وهو يفسر بلا شك السب الذي يجعله لا يظهر إلا اهتماماً قليلاً بالشؤون الكولومبية على مدى السنوات الأربع التالية بالرغم من وعوده بالالتزام. لم يكس كستون مهماً بتطوير العلاقات مع كوبا بل "عملية السلام" التي نادر بها باسترانا وما تنطوي عليه من وعد بوضع نهاية لتجارة المخدرات. وفي الحريف قدم رئيس صندوق التنمية لدول الأميركية، وهو من الزوار الذين يعدون غالباً على منزل غارسيا ماركير في مدينة مكسيكو، قرصاً هافلاً إلى كولي لإحلال "السلام من خلال التنمية"⁽¹¹⁾. وفي السنوات الأربع التالية، وفي حضم كل الأحداث المثيرة غلباً وعالمياً، يُصحي باسترانا واحداً من أكثر الصيوف الذين يحفظون بأكرم تقدير في واشنطن ففي السابع والعشرين من تشرين الأول قام بأول زيارة رسمية يقوم بها رئيس جمهورية في كولومبيا منذ ثلاثة وعشرين عاماً إلى الولايات المتحدة مع عارسيا ماركير، وكان محاطاً أيضاً بمجموعة منتقاة من "الإسبان" و"اللاتينيين" الأميركيين، ومعظمهم من الموسيقيين والمثاليين⁽¹²⁾. لقد كان من شأن مثل هذا الاحتمار أن يكون مكافأة لباسرانا على موافقه الأول على "خطة كولومبيا" التي أعلنها كلتون والمثمنة سياسة مناهضة للهدم ولتحريب تذكرنا باستراتيجيات الحرب الباردة، وهو الموضوع الذي لم يوه عنه عارسيا ماركير بأي تعليق واضح في هذا الوقت. وإن كان قد أربكه إرباكاً شديداً.

بعد أن حُرم عارسيا ماركير من فترة عرصه التلفزيوني بحلول أواخر العام 1997⁽¹³⁾، اتخذ قراراً على الفور بشراء محله كالميو المرصه أصلاً لمحله كاميو 16 الإنسانية ذات التأثير واسع الانتشار بأن حصة التحول الإعلامي في ثمانينيات القرن

العشرين كانت مجلة كاميو ("التغير" التي تبين أن اسمها مأخوذ عن شعار أندريس باسترايا الوحيد خلال حملته الانتخابية) في حالة منافسة مباشرة مع مجلة سيمان وهي أكبر المجلات السياسية الأسبوعية تأثيراً في كولومبيا وكانت المنافسة بينهما تشبه المنافسة بين مجلتي تايم ونيويورك. وتناهي إلى مسامع غارسيا ماركيز أن ياترنيشا لار، وهي صديقة ورميلة رقة لشقيقه إلهيو، كاتب على استعداد لبيع المجلة، فقرر هو (ماريا ألفيرا سامبر، المدير السابق لكاتب، وموريشيو فارغاس، وهو ابن حيرمان فارغاس (عصر سابق في حكومة عافيريا عرف عنه نقده لسامبر) وروبيرتو بوسو، وهو صحافي من مجلة سيمان، وغيرهم أن يتقدموا بمعرض شراء (وهو عرض اشتمل على ميرنيديس أيضاً). وبحلول ذكرى الميلاد، أُرمت الصفقة، وأصبح اسم الشركة الجديد هو أريوشيو أس. أي، على اسم الطبيب في رواية الحب وشياطين أخرى. وبهية كانون الثاني بدأ غارسيا ماركيز بتأليف مقالات ذات عناوين طويلة - أساساً عن شخصيات ذات أسماء كبيرة كاسمه (تشافير وكلثون وديسلي كلارك وحافير سولانا) - كي يعرر المبيعات. وفي السنة التالية تحدث إليه لاري روهتر من صحيفه نيويورك تايمز، ودوّن في ملاحظاته أن "غارسيا ماركيز سهر في الليلة التي أقامت فيها مجلة كاميو أواخر كانون الثاني 1999 احتفالاً بإعادة مولد المجلة، حتى منتصف الليل محبباً ألفي صيف مدعو". ثم عد إلى مكانه وظل يعمل طوال الليل في كتابة مقالة طويلة عن لرلس الصرويلي الجديد هوغو تشافير أمّاها بطلوع الشمس قبل الموعد النهائي. وقال والفرحة ثلاً صوته: "لقد أقدمت على مثل هذا العمل قبل أربعين سنة، وهو عمل مدهش" (14).

كان عدد المجلة الخاص بتشافير بحاجة. فالعقيد هوغو تشافير هو الجندي الذي حاول لإصاحه بكارلوس أنطرياس بيريث صديق غارسيا ماركيز، لكنه كان أيضاً الرجل الذي جاء، بعد تسلمه السلطة في فبراير، لإنقاذ كوبا كاسترو في الألفية الجديدة، وأبعد كاسترو عن الفرق ببيع النفط رخيص الثمن. كما أنه كان "بوليفارياً" يطالب باستقلال أميركا اللاتينية ووحدها. وكان يعمل من وراء الكواليس لمساعدة كوبا وتوحيد أميركا اللاتينية، فقد كان متوقفاً أن يحضي تشافير بدعته لنظام وإن كان حقيقياً. غير أن غارسيا ماركيز ظل يردد المهمة إزاء تشافير لأنه

(أي عارسيا ماركيز) كان قد توصل إلى تسوية علاقته مع باسترنا و كلبتوف، على حين كان عدا تشايفر لأسير كما دائماً وسافراً. كان عارسيا ماركيز قد التقى تشايفر في هافانا في كانون الثاني سنة 1999 وسافر جواً إلى فيزويلا معه وهو في طريق عودته إلى المكسيك. ثم كتب بعد ذلك مقالة طويلة نشرت في جميع أنحاء العالم - حصل من خلالها على أموال طائلة لخله كامير - وأصبح واسع انتشار. وانتهت لمقالة.

هبطت طائرتنا في كازاكاس عند الساعة الثالثة فجراً. نظرت من خلال نافذة صوب تلك المدينة التي يتعذر سياتها وهي في بحر من الأضواء. اسادون الرئيس بالانصراف بعد معانقة كاربيو. ولما أنا أشاهده يتعد حطاً بحراسه الذين تغلو النيشي والأوسمة صدورهم راودي شعور غريب، وهو أنني مافوت وتحدثت إلى رجلين مختلفين تماماً كان الأول رجلاً مُسحت حطوطه الطبية العيدة الفرصة لإنقاذ بلاده، وكان الثاني رجلاً مخادعاً يمكن أن يدخل لتاريخ بوصفه مستهدلاً آخر¹⁵.

كان عارسيا ماركيز في كوما مع كاسترو وخوسيه سارامغو الفائز جائزة نوبل، الذي ظل شيوخاً وثورياً يحبر بثورته، لاحتفال بالذكرى لأربعين الثورة الكوبية. وفراً فيدون وهو يصعب نظارة على عيبه حطاً قال فيه إن العالم في عصر الرأسمالية متعددة الجسيات (لأقطب الصاعحات والأعمال) والرأسمالية الاستهلاكية (مستهلكيهم) مات اليوم "كاربيو عملاقاً"، وستكون السنوات الأربعون لقصة حاسمه ويمكس أن تأخذ أحد هذين المسرين، وهذا يعتمد على إدراك لشعوب في أن الأمل الوحيد لكوكب الأرض في العيش إنما يمثل بسهاء النظام الرأسمالي¹⁶. من يعلم ما الذي كان يدور في دهن عارسيا ماركيز وهو يسمع هذا الكلام؟ لكن عيبه بدتاً مثل عبي رجل مريض، مرتبكين، بعيدتين، غير أنه بالرغم من هذا كله، بذل جهداً هائلاً في محاولة لزيادة مبيعات كاميرو المحبة للأمال وكتب مقالة انتشرت انتشاراً أوسع من تلك المقالة التي كتبها عن تشايفر بعنوان. "ماذا اضطر صديقي بيل إلى الكذب" أثار حلع الإناس في جميع أنحاء العالم، لأنها بدلاً من أن تركز على الحواش المسينة في مؤامرة لجمهوريين لاثام كلسون، عامته على أنه ليس سوى رجل مثله مثل أي رجل يبحث عن مغامرات جسدية - وهو ما يبحث عنه كل الرجال - ونحاول أن نخفيها عن زوجته وعن أي شخص آخر.

أُصغى غارسيا ماركيز إلى فيدل في هافانا وهو يدعو لوضع حد لأسمائية التي كانت، بحسب تعبيره، تدلّ على المراحل الأحيرة من تدميرها لكوك الأرض. لكنه عند رجوعه إلى أوروبا في السنة الأحيرة من القرن العشرين ليواجه الترامات أخرى، ومعالجة المشهير لكتابة مقالاته بصحيفة كامبيو، أضحيّ مسهمكاً في منظمة جديدة، هي حليط غريب من المثقفين والأفطاب، تدعى فورو إيرو أميرك هدفها الظاهر التفكير في مشكلات تنمية العالم "خارج نطاق المحة". ونظمت اليونسكو وأنتراميركان ديفلومكس بانك والحكومة الإسبانية الجديدة في مدريد ما يشبه اللقاء الشهيدي، وكان اللقاء إلى حدّ ما استمراراً لعرض غارسيا ماركيز سارامغو. وأعلن غارسيا ماركيز في كلمته القصيرة أن الأميركيين اللاتينيين عاشوا مصراً غير حقيقي: "وانتهى الأمر بما إلى مختير أو هام فاشلة. فضلنا الوحيدة هي أننا مبدعون، لكن بالرغم من ذلك، لم فعل ما هو أكثر من العيش وسط معتقدات حامية وحروب عريضة، نحن ورثة كريستوفر كولوموس سيئ الطالع الذي عثر عيب مصادفة في أثناء بحثه عن الهند الشرقية. ثم نوه بوليغار بوضعه رمز الإخفاق، وكرر ما سبق أن ذكره في خطاب بول: "لنسمح اسجماً هادئاً مع عصورنا لوسطى". ثم قرأ إحدى قصصه الجديدة: "إلى اللقاء في آب"، وهي قصة عن العاء لا تناسب مثل هذا ستدي⁽¹⁷⁾. واقترح سارامغو وهو يؤدي الدور الذي يؤديه غارسيا ماركيز أن "يصبح كل فرد في العالم حلاسياً"، وعبدل لا تكون ثمة ضرورة للحدث عن الثقافة.

بعد بضعة أسابيع يعود غارسيا ماركيز إلى بوغوتا حضور اكتساب كارلوس فويسس وحيسوس دي بولانكو، مالك صحيفة الباس، عضوية الشرف في معهد كارو كيريو للبيولوجيا في كولومبيا. وجلس على المنصة وبدأ أكبر ساً من أي وقت مضى، لكنه لم يسس بكلمة. وكما هي الحال في سنة 1992، فقد وجد أن ارتفاع بوغوتا عن مستوى سطح البحر سبب له مستوى معيماً من الإرهاق لم يعهده من قبل في أوروبا. ثم تقوى على الأرض، وتوارى عن الأنظار بضعة أسابيع، على حين أنكرت ميرنيديس شائعات راجت عن إصابته بالسرطان، وطست من الصحافة أن "تترهب" برهة من الزمن. في البدء وردت أنباء عن أنه مصاب

مرض مادر غريب يدعى "عارض الإرهاق العام"، ولكن لجميع حشوا كما هو أسوأ
 فى النهاية أظهر التشخيص أنه مصاب بالورم الممدوي، أو سرطان جهاز المناعة.
 ها هو يداعمه المرض مرة أخرى فى بوغوتا، وها هى بوغوتا تشخص مرة
 أخرى مرضه. ونظراً إلى خطورة التشخيص، فقد سافر هذه المرة إلى لوس أنجلوس،
 حيث يقطع ابنه، لاستشارة أطباء آخرين إنه ورم غلاوي وقرر الأسرة أن
 يكون علاجه فى مدينة لوس أنجلوس، فاستأجر عارسيا ماركيز شقة فى بادى الأمر،
 ثم مرراً من طابق واحد فى الأرض المحيطة بمبنى المستشفى. كانت أنواع جديدة
 من علاج مرض الورم الممدوي تظهر باستمرار، وكانت إمكانيات الشفاء تختلف
 اختلافًا جذرياً عما كانت عليه الحال عندما اضطر ألفارو سيبينا إلى مواجهة تحدٍ
 بمائل فى نيويورك. واستدعى عارسيا ماركيز وميرثيديس به سيبينا باتريشيا، وهى
 مترجمة تحريرية وفورية سقى لها أن مدت لهما يد اعون فى ربارات سابقة إلى
 الولايات المتحدة، وأشهرها اللقاءات التى جرت مع ميل كستون. كانت باتريشيا
 متروجة بحزن أوليري، أحد مرافقي كلتون وعلم رميل سقى له أن عمل سفيراً فى
 شيلي. وبعد العلاج والتحليل التى أعفته، كان عارسيا ماركيز، كما قال لي،
 بهضطر 'إلى الذهاب إلى الطبيب سهرياً كي أتأكد إن كنت سأعيش أو سأموت'.
 لكن التقارير كانت جيدة فى كل شهر، وبحلول فصل الحريف، عاد إلى مدينة
 مكسيكو وطن يسافر إلى لوس أنجلوس لإجراء فحوصات طبية شهرية.

فى أواخر تشرين الثاني سنة 1999، سافرت جواً إلى مدينة مكسيكو لزيارة
 عارسيا ماركيز. كان غيبيل العود على نحو لم أره فيه من قبل، قصير الشعر. لكنه
 كان مفعماً بالحياة والنشاط، وفكرت مرة أخرى فى أنه ظل يردّد طوال حياته أنه
 يحشى الموت، لكنه بالرغم من ذلك، ظهر كأنه واحد من الماضيل الكبر عد
 تقلبات الدهر. وكان اللقاء بيساً مشحوناً عاطفياً لأنه كان على علم بأني أصب
 قبل أربعة أعوام بمرض الورم الممدوي وبعت على قيد الحياة⁽¹⁸⁾. وأخبرني أنه لم
 يعمل شيئاً طوال شهر، لكنه أخذ الآن تراجع ملاحظاته التى كتبها بشأن مذكراته،
 وقرأ علي قصة ولادته. أظهرت ميرثيديس هدوءاً وإصراراً، لكنى لاحظت أن الجهد
 الذى يبذله عارسيا ماركيز يستنزف قواها. ومع هذا، فقد واجهت الموقف

وكان تخطيط بروجها على نحو اعتيادي، بما في ذلك عدم الانزعاج التّـهـ و راره عوئالو وأطعـاله، وتصرف الحد كما كان يتصرف دوماً.

كان غارسيا ماركيث قد أخبر جون لي أندرسون من محبة دا بيوركر، أن "عطلة كولومبيا" التي اتفق عليها كلتـون وباستـرنا لا يمكن أن تصبح"، وأن الولايات المتحدة الأميركية بدت وهي تراجع إلى "نودج إميرالي"⁹، وفي شهر أيلول، هدد برفع دعوى قضائية ضد وكالة أخبار إي أف إي ومقاصـلـها بعشره ملايين دولار بسببها خبراً معاده أنه "ساعد في معاوصـت مع الولايات المتحدة لتتقم الدعم العسكري لكولومبيا"¹⁰. يُحتمل أن هذا هو أسلوبه بالإشارة إلى انفصاله عـباً عن باستـرنا وكـتـون و"خصـتـهما" القتـالـة"¹¹. وقال لي: "أما بخصوص كولومبيا، فأعتقد أنني بدأت أعتقد عليها وأظن أن كل ما عليك فعله هو القول بذلك. الأمور تسير نحو الأحسن في هذه اللحظة بالذات، وحتى الميليشيات أدركت أن الأوضاع لا يمكن أن تستمر. لكن البلد سيظل كما هو دائماً. فقد شهد على الدوام حروباً أهلية، ورجال حرب العصابات، وسيظل يشهدها أبصاً. إنه أسلوب حياة هناك حد سوكري عني سبل المثال. رجال العصابات يسكنون في منازل هناك، لكن الجميع يعرفون أنهم رجال حرب عصابات. الكومينيون يأتون لزياري هنا أو في بوغوتا فيقولون لي: نحن من منظمة القوات المسلحة الثورية الكولومبية. ما رأيك بسبحار فهو؟ شيء طبيعي". إنني أقول هذا لأعني أنه أخذ في نهاية المطاف بسبب الجهود المبذولة لتحويل البلد الذي يتعدى إصلاحه بواسطة النشاط السياسي المباشر، فضلاً على عدم التوبه بالإدراك الخفي بأن وضع شهرته في أيدي المحافطين السياسيين - في هذه الحالة باستـرنا والجمهوريون والأمر يكون الذين ساقوا كلـتـون رهبة سيامية - يمثل خطوة بعيدة أكثر مما يعني، وهو ما قاله له معظم أفراد أسرته وعدد كبير من أصدقائه. لقد وقر المرض، ويا للمفارقة، عطاءً لراجع خفي عن هذه التحالفات غير السارة. ربما حان الوقت للعودة إلى مذكراته.

كتب مقالات متفرقة وظل على اتصال بصحيفة كامسو والمؤسسة الصحافية بكارتاجينا، لكنه بقي في معظم الأحيان في مدينة مكسيكو، متعلداً عن الأصرار، وركر على قنائه للشـاء، وعلى زيارته لمدينة لوس أنخوس، حيث استطاع هو

وميرثيديس أن يخصص معظم الوقت برفقة رودريغو وأسرته وطور عابو وميرثيديس علامة وثيقة بروبورتو موميو الصحافي والمستشر في مجلة كاميو الذي انضم إلى أسرة جريدة التيمبو، وهو الآن أرسل للعمل في مدينة مكسيكو، وسعدوا كأنه الابن الثالث لعارسيا ماركيز وميرثيديس على مدى عقد من الزمن. ويكتب عارسيا ماركيز مقالات لمحطة تحو معنى السيرة الذاتية باسمرا، إصابة إلى مقابلة مع شاكيرا، ويخصص له ركن بعنوان "عابو يحب"، يكتب فيه مقالة مستوحاه من أسئلة القراء. وتضل المحلة تعبر عن هذه المقالات كما توفر موقعاً ثابتاً لأونيك الذين يودون الاطلاع على النسخة الخاصة بالإنترنت.

لكن سناحه الرئيس سبقي بطبيعة الحال مذكراته. وفي طرح غالباً بأن الأشخاص الذين يريدون تأليف مذكراتهم، يكونون قد تقدموا في السن إلى الحد الذي لا يستطيعون فيه تذكر أي شيء، لكنه لم يذكر أن بعض الناس وافهم المنه حتى قبل أن يبدأوا بكتابتها لقد أصبح هدفه الأساس إكمال مذكراته التي تعرف اليوم بعنوان عشت لأروي. لعله تذكر محه بوسعار قرب هاية كتانة الجورال في مناهته: "لقد هرّه ببناء عاصر بأن السبق الطائش بين بلاياه وأحلامه، قد وصل في هذه اللحظة إلى حط الهابة، وما تبقى فهو ظلام ثم تنهد وقال: "اللعة! كيف سأخرج من هذه مناهة؟".

حاول أن يأى بنفسه عن السياسة، لكن مجلة كاميو كانت تعيده إليها مره أخرى. كاتب اللجنة عميل في عبايه إلى اليمين، لكنه كان هو نفسه عميل هذا اميل، كتب قد يقول الصحفيون الشبان كان تشاهير يراد قوة على قوة، رعيماً شعبياً للعالم الثالث، لكن عارسيا ماركيز أحرري قائلاً: "يستحيل أن تحدث معه". الرأصح أن كاسترو م يوافق على هذا الرأي ما دام قد التمي تشاهير وتحدثنا عالاً. ولما واجهته بهذا الكلام قال: "إن كاسترو يحاول أن يكبح نظره". يقول تشاهير في أواخر سنة 2002 إن عارسيا ماركيز لم يتصل به منذ لقائهما في مطلع العام 1999، وبه يأسف لهذا. لما كان تشاهير لا يختلف اختلافاً كبيراً عن عمر توريجوس رئيس جمهورية باما - في ما عدا أن تشاهير كان أقوى منه بسب ما يملكه من فط، ولأنه سحاب انتخاباً ديمقراطياً يبدو أن عارسيا ماركيز نظر إليه؛ على الأرجح

حارح نطاق القصايا الشخصية (عما فيها صداقته مع كارلوس أندرياس بيريت ونيو دورو يشكوه)، على أنه مدفع مطلق لا يباسد إلى حدّ كبير المرحلة الجديدة والدسوماسية من وراء الكواليس التي عمل هو نفسه فيها طوال العقد الماضي من الزمن.

ومن أمثلة ذلك، حين أذيع في تشرين الثاني سنة 2000 مفاده أن انصاعى المكسيكي لورينثو تامرايو - من مدسة مونثري - وملك الإستمات المكسيكي المعروف بالاسم سيميكنس، قرر أن يبرع بمبلغ قيمته مئة ألف دولار كجوائز تُمنح للفائزين في مسابقات تظمها مؤسسة الصحافة الإيبرو - أميركية الجديدة في كارثاجينا⁽²²⁾ وبعد مرور أسابيع، أُعني عن أن العملاق الإعلامي، مؤسسة تيليمبرا، ستشارك مع مجله كامسو لإصدار طعة مكسيكية من المجلة، يتولى إدارتها روبرتو بومبو. كان هذا هو عالم غارسيا ماركيز الراهن وقرآن تصيب الرئيس المكسيكي اليمسي الجديد بشيئ هوكس مع اجتماع هورو إيبرو - أميركا الذي لم يشتمل هذه المرة على غارسيا ماركيز وكارلوس فونسن بوصفهما من المنفيين المقسمين وحسب، بل على فيليب غوثالث رئيس إسبانيا السابق أيضاً، وكل من حيسوس دي بولانكو مالك مجله الديس، والمصرفية العالمية آيا بون، وكارلوس سليم، وهو أغنى رجل في المكسيك قُدّر له أن يصحح أغنى رجل في العالم لمدة من الزمن في أواسط العام 2007، وأن يرتبط بصداقة شخصية مع غارسيا ماركيز، وحوليو ماريو سانتو دومينو أغنى رجل في كولومبيا ارتبط أيضاً بصداقة الماخين الأسحياء لمؤسسة كارثاجينا. لكن مما هو غير واضح أن يكون غارسيا ماركيز، بوصفه مدير مؤسسة الصحافة المستقلة، قد اضطر إلى مادامة رأتمايين اختكاريين يمكنون صحفاً كبيرة ومحطات تلفزيونية من بين ما يملكون من أسهم أخرى كثيرة. كما أن هذا الموضوع، لم يود به أحد أمامه علناً ورفض غارسيا ماركيز أيضاً إبداء أي ملاحظته للصحف، لكنه ذكر أنه لا يملك أي فكرة عما يعمل هو أو أي شخص آخر في المدى إلى أن سمع كلمة كارلوس فونسن الرائعة، التي أوضح فيها أهميه التعامل بين عالم الأعمال وعالم الأفكار! أما بالنسبة إلى المكسيك، فم تكن لديه أي فكرة عما يجري فيها. وأدخل سروراً أكبر في نفوس الصحفيين عندما قال

إنه ليس الآن سوى "روج ميرثيديس"، مما فسّره البعض على أنه إقرار منه باعتماده الجديد عليها وامتثاله لأسلوها في النظر إليه طوال محاولته السابقة والمستمرة⁽²³⁾. لقد استعاد معظم شعر رأسه وخمسة عشر كيلو غراماً من العشرين كيلو غراماً فُقدته، بالرغم من أن المربين لما سوسوا فائس إنه لم يستعد فقطته الحادة وقدراته السامة في التعبير ربما ساعد العلاج الكيميائي على عممية فقدان الذاكرة، وهو ما كان يشكو منه منذ بضع سنوات.

لقد أحس غارسيا ماركيو صعباً بمعادرتة كولومبيا. فقد اختطفت عاصره من مظمة الموت المسلحة الثورية، الكولومبية صديقه القديم عيرمو أنخولو عندما كان في طريقه إلى مسرله الريفي خارج العاصمة بوغوتا. ولكن، قد أطلق سراحه بعد مرور بضعه أشهر وكان في العقد السابع من عمره، وأخبرني أنه راق من أن غارسيا ماركيو كان له فصل في إخلاء سبيله الذي يعد حدثاً استثنائياً، إذ بقي معظم رهائن هذه المظمة سنوات طويلة مثل المرشحة لرئاسة الجمهورية أفريد بيتاكورت⁽²⁴⁾. وبحلول أواخر سنة 2000، كان هناك إجماع كبير على أن أفريديس باسيرانا ربما كان أضعف رئيس جمهورية كولومبي في حقبة ما بعد سنة 1948. وعندما أرسلت بعض الشخصيات البارزة مثل إيريت هويزباوم، وأرنستو ساباتو، وإريكي سانتوس كالديرون رسالة إلى باسيرانا وجورج ديليو. بوش مؤرخة بناريخ شباط 2001 يطالسون بمشاركة الأمم المتحدة والمجموعة الأوروبية في أي نشاط كولومبي أميركي في كولومبيا. وكان اسم غارسيا ماركيو مرفقاً في الرسالة⁽²⁵⁾. مرة أخرى، يؤثر غارسيا ماركيو معارضته "حظة كولومبيا" مما يعي حرق مراكزه، لا مع باسيرانا وحسب، بل مع عافيريا الذي كان يدعمها.

في شهر آذار فاد الزعيم ماركوس رجاله غير المسلحين من حركة ثابانيسنا ودخل مدينة مكسيكو كما وعد منذ زمن طويل. فتخلص غارسيا ماركيو من تعاقده برهه وجيرة بمساعدة روبرتو بومو وأخرى معاملة لخملة كامبيو. كان رجال هذه الحركة قد جذبوا إليهم تعاطف الحناح اليساري والدعم من جميع أنحاء العالم، على فيهم عدد كبير من المهاجرين السياسيين والمثقفين المشهورين والشخصيات الفنية. ولم تكن هذه المظمة من المنظمات التي لدى غارسيا ماركيو من الوقت ما

يهدره عليها. بل إن صممه عن معاناة الجماهير، ليس أقفهم الفلاحين المهجرين في كولومبيا الذين وجدوا أنفسهم في عالم كابوسي بين رجال حرب العصابات والمليشيات وملاك الأراضي والشرطة والجيش، يُحير كل من يراقب نشاطاته على مدى الأعوام التي تلت سنة 1980. لكن هذا الرجل ليس هو من يصدر بيانات سياسية تُسر من أجل إراحة ضميره، بل كان إنساناً واقعياً وملتزماً التزاماً سياسياً شديداً، يفعل ما يعتقد أنه ضروري ولا يعمل - ما يؤكده النقاد - ما يعتقد أنه سيريد من شعبته.

في حين كان غارسيا ماركيز يصارع السرطان، كان شقيقه الأصغر يخوض معاركه الخاصة به. فقد كان، شأن غابيتو، يكافح لإكمال كتابه 'في أعقاب معاتج ميلكبادس: قصة مئة عام من العزلة'، على حين كان يعاني من ورم مرمس في دماغه، ولم يكن قادراً على الانتهاء من تأليف الكتاب كما كان يريد، لكنه قرر هو وأسرته وأصدقائه وجوب صدور الكتاب قبل وفاته. وعندما بشر في شهر أيار كان إليحيو مقعداً في كرسي ذي عجلات، نادراً ما يستطيع الكلام. إنه آخر فرد من سلالة بوينديا، وستواجهه المية بعد أن يمكث مغالين وثيقة أسلاف أسرته، تماماً كما توقع على نحو عرّيب في رواية مئة عام من العزلة (كان كوكي هو أول من يقضي عبه من بين إخوته وأخواته في تشرين الأول سنة 1998) وعندما شيعت جرة إليحيو في أواخر حزيران، لم يجد غارسيا ماركيز لديه من القوة ما يمكنه من السمر لحضور الجارة.

في احدى عشر من أيلول انقضت طائرتان مدينتان يقودهما جهاديو القاعدة على مسي مركز التجارة الدولي في نيويورك ودمرتهما، فتعبرت السياسة الدولية تعبيراً مثيراً وعجلت من السير في طريق الحرب الذي كان جورج دبليو. بوش قد صمم على سلوكه، وإن لم يكن بما حدث هو السياريو الذي كان ينصّره بوش. كان غارسيا ماركيز قد زار مؤخراً كوبا لرؤية كاسترو والذي راجت شائعات مفادها أن صحته تتدهور. بعد مرور أسوعين على الأحوال في نيويورك، وبعد ثلاثة أسابيع على إطلاق سراح عيرمو أنخولو، في الرابع والعشرين من أيلول سنة 2001، احتطف رجال لقوات المسلحة الثورية الكولومبية كوسويو أراوfo بوغري غيري،

وريرة الثقافة الكولومبية السابقة وروحة المدعي العام في الجمهورية، ودلت قرب مدينة بايدينبار، وبعد أسبوع واحد تقريباً عُثِمَ جثتها في الثلاثين من أيلول، ويبدو أنها قتلت بسبب نيران متقاطعة كانت معروفة في جميع أنحاء البلاد بالاسم "لاكاتا" ("الرئيس")، ومن أكبر الدعاوى إلى الرفح من شأن مايدوبار ومهرجان أعاني المالكاتو فيها، وكانت صديقة عارسيا ماركيز وألفرو سييدا وراهائيل إيسكالونا (وهي التي كتبت سيرته) وداسال سامير (حتى نشب الخلاف بينهما بسبب سيره لمربوية كتبها) وألغوسو لوبيث ميتشيليس. وكان بيل كلنن قد لقاها وكتب عنها في مذكراته. كانت أحر امرأة يمكن أن ينجل لأي مرءٍ إنما ستلقى مصرعها على يد أولئك الذين يرعمون أنهم المدافعون عن الشعب الكولومبي وثقافته.

عُحِلَ شهر كانون الثاني سنة 2002، أصبح أن عارسيا ماركيز مُقدِّمٌ على عمل ما. كان قد بدأ يعود تدريجاً إلى الحياة العامة، ولاحظ الدين التقوى أنه بات أكثر تردداً، مرتبكاً في بعض الأحيان، مفتقراً إلى الذاكرة، إلا أنه يبدو بحير فهو يقترب من سس الخامسة والسعين، لذا، فإنه في هذه السن وبالترامات المتراصة بد لا يرل يسهم في الكتابة لشحنة كامبيو والعمل في مؤسسته الصحفية يكون قد شفي شفاءً مدهلاً مما يشير مرة أخرى إلى حيويته الاستثنائية. بعد هذا الكلام، فإن التأخير في إصدار مذكرته يدل على أنه لم يعد يعمل بصورة فعالة كما في السابق. وعُحِلَ أواخر شهر تموز أرسل نسخة أولى من المخطوطة إلى مونيس، إلا أن شيئاً مما أحرّ تقدمه مما جعله يستدعي ابنه عونالو والكتاب الكولومبي ولم أوسيا لمراجعة الحقائق وملء الصفحات في ذاكرته الضعيفة. لقد كان يصنع للمسمات الأخيرة على كتابه عندما توفيت أمه لويسا سانياعا ماركيز إغوارن في كارثاها وها من العمر ستة وتسعون عاماً وكان روحها واثلاً من أولادها قد راعهم لمثبة فيها. مرة أخرى، يحقق غاييو في حضور الحمازة⁽²⁶⁾.

وفي السامع من آب، نُصِّبَ ألفارو أوريسي، الليبرالي المرد، رئيساً لجمهورية كولومبيا بلائحة انتخامة ماهرة لرجال العصابات. وفي يوم التصيب، أطلق عليه رجال منظمة القوات المسلحة الثورية الكولومبية الصواريخ، وكانوا منهيين باغتيال أبيه من قبل. مرة أخرى خسر الانتخابات هوراثيو سوريا المرشح الليبرالي وخادم

أرستو سامير المحلص وشعرت البلاد بالفرح وهي تشاهد باسترانا يرحل، لكنها بدت وهي تتحمل مخاطرة كبرى بوجود أوربي. فهو أحد ملاك الأراضي من بلدة أنتيوكيا، تربطه شائعات بقوات الميليشيات. لكنه بالرغم من هذا، سيحكم البلاد بموه استثنائية عريضة، بأسلوب شعوي تسطي في الوقت نفسه، مما أبهى تقديره، وبما للعراية، عالياً تقريباً لقد ترك أصحابه في كولومبيا، في حقبة تنافسها، والسولا في السررايل، وموراليس في بوليفار، ولانغوس وباتشيليت في تشيلي، وآل كيرتشر في الأرجنتين، البلاد تحت الحكومة اليمينية الوحيدة المهمة في أمريكا الجنوبية، بالرغم من أن الكولومبيين اعتادوا أن يكونوا غير متحاسنين في حصولهم. وقد أضحى أوربي حينئذ وثيقاً خورج دليو. بوش ومؤيداً له.

اقترب الوقت أخيراً لنشر المذكرات التي تعطي المدة الزمنية من ولادة عارسيا ماركيز إلى سنة 1955. وفي اللحظة الأخيرة تعبر عنوان الكتاب من Vivir Para Contra o Vivir Para Contrala أي من صيغة المذكر إلى صيغة المؤنث، أي من "it" Living to tell والمقصود العيش كي يروي فعل الحياة نفسه، إلى "it" Living to Tell أي الحياة. أما عنوان الترجمة الإنكليزية لكتاب فقد أضاف، كما هو معهود، بعداً رومانسياً إذ كان Living to Tell the Tale بمعنى معايشة معامرات كثيرة، ومن ثم سردها من دون التخطيط لذلك مقدماً، ولا لتكون المعايشة أسلوباً في الحياة⁽²⁷⁾. وللطبعة الإنكليزية أيضاً وجهة نظر أخرى فقد تأخرت هذه المذكرات بسبب قصة مثيرة، هي قصة عارسيا ماركيز اثيرة في صراعه ضد الموت، وضد السرطان وانتصاره الطولي. وقد أدرك الجميع هذا وأولهم قرائه.

لقد ظل عارسيا ماركيز يتحدث عن مذكراته منذ نشر روايته العظيمة عن ماكوندو، ويتبعي لهذا أن يكون قد منح قراءه متحاشاً لأعمق محمراته بوصفه أديباً. فالعودة إلى الماضي هو كل ما أراده، الكتابة عن نفسه هو كل ما رغب فيه. لقد أراد ترسيوس* العودة إلى وجهه الأصلي، لكن وجهه الصانع في الرسم، الضائع في كل الأرملة، كان كثير التحولات ولم يزل على صورة واحدة، فحتى لو وجد ذلك الوجه الأصلي - الخالد، الموحى - لراه مختلفاً في كل مرة يظهر له فيه. ولكن هذا هو ما أراده. ففي العام 1967، سمعه الناس يتكلم عن مذكرات، ولا بد

من أهم ظنوا أن هذا الإنسان لم يعيش طويلاً بعد. لكن برسيسوس عاش دائماً عمراً طويلاً يكفي لأن يجعله يريد أن يرى إن كان وجهه لا يزال هو الوجه نفسه. لكن إن لم يحره أمه قط إن وجهه كان وسيماً لقضى الكتاب يبحث لويسا ساتياعا عن ولدها المفقود في نارايكيا في سنة 1950، فبحلنا إلى ذكريات مثيرة للحزن والألم عن رحلة أخرى كانت قد قامت بها قبل ذلك بست عشرة سنة.

طلبت ممي أمي أن أذهب معها لبيع البيت. كانت قد وصلت في ذلك الصباح من بلدة بعيدة حيث تعيش الأسرة، ولم تكن تمك فكرة عن كيفية المرور علي... وصلت عند الساعة الثانية عشرة تماماً. حطت خطرات رشيقة لتجد طريقها وسط ماصد صفت عليها كتب معروضة. وتوقفت أمامي، تنظر في عيني بابتسامة مأكرة من ابتسامات أفضل أيامها. وقبل أن أتكن من إبداء أي رد فعل قالت:

- أنا أمك.

هكذا يبدأ عارسيا ماركير وهو في سن الخامسة والسعين قصة حياته بمشهد تكون فيه أمه، مرة أخرى، خاتمة من ألا يعرف من هي، فتصطر إلى أن تعرفه إن نفسها. يرعم عارسيا ماركير أن ذلك اللقاء الحديدي - وهو موضوع المذكرات الرئيس - حدث في "اليوم الذي ولدت فيه حقاً، اليوم الذي أصبحت فيه كاتباً"⁽²⁸⁾. به اليوم الذي استرجع فيه أمه، وسافرا معاً عائدين إلى البيت العودة إلى البدية.

كان عارسيا ماركير قد بدأ يقول شيئاً مدهشاً عن مذكراته للصحين منذ سنة 1981: إن عارسيا ماركير يتحدث عن مذكراته التي يأمل أن يكتبها قريباً، وستكون فعلاً "مذكرات كاذبة لأنها تتحدث عما كاذب عليه حياته، لا كيف يمكن أن تكون، بل بما يعتقد أنه هو نفسه كيف كانت"⁽²⁹⁾. وبعد واحد وعشرين عاماً يقول الكلام نفسه. ماذا تعني؟ حساً. لديه الآن عبارة في صدر الكتاب توصلح المعنى: "الحياة ليست ما عاشه أحدنا، بل هي ما تذكره وكيف يتذكره ليرويه".

نحن أن كتاب عشت لأروبي هو أطول كتبه، وكما هي الحال مع بقية كتبه، عبده يقسم - وإن ليس انقساماً تاماً - إلى نصين، لكن الدليل الثنائي لذي حلف له مشكلات خطيرة يتمثل بأن كلا النصين يتهان نهاية هي الأقل إثارة

للاهتمام - به، ولسوء حظ ل أيضاً - تخص بلاد الكاتشاكو أولاً، القسم الخاص بشياكير (1943-1946) وثانياً، بوغوتا وصحيفة الاسيكتادور (1954-1955).

بالسرغم من أن الجزء الأكبر من الكتابة غير عادي، لكن لا بد من الاعتراف أنها كتابة تحفيق رعية: فهي تخفي كل ما هو مؤد (وهو أمر مدهش في ضوء الطريقة التي بدأ بها). ثمة ملاحظات قارصة أحياناً عن أبيه، لا شيء إلا لشخصيته التي حُس عليها، وليس لأن عايير نفسه يشعر بأي عدا، أو أن لديه مشاعر أوديبية أو وجهة نظر شاملة لا يرال يصوغها جاب ماركير إغواران من الأسرة. على العموم، الكتاب يواصل الإحسلس بالمصالحة - وصنع السلام - اندي بدأ في رواية الحب في زمن الكوليرا. ويحرص المؤلف على أن يرمل - أحياناً فقرة واحدة، وأحياناً سطر واحد - عبارات تقدس إلى جميع أصدقائه وزوجاتهم أو أراسهم. ولا يحتوي الكتاب على صداقات حميمة أو اعترافات، بل يشتمل على حياته العامة وحياته "الكادية" المتدعة، لكنه لا يحتوي على قدر كبير من حياته "الخاصة"، ويحتوي على قدر ضئيل جداً من حياته "السرية".

الموضوع الرئيس في الكتاب هو الراوي الذي يتحول إلى كاتب من خلال شعور باطني متنام تتعدر مقاومته، وتجربة حياته غير اعتيادية ومتميزة. (ولا يتحول، على سبيل المثال، لراوي إلى كاتب يطور في الوقت نفسه وعياً سياسياً جاداً ومعتقداً برود ما يكتبه بالمعلومات ومصوغها). المعارضة التي يبدو أنه لم يدركها (مع فراغه من تأليف الكتاب، يكون قد فقد شيئاً من وعيه، الحاد الذي كان يملكه) هي أن الكتاب - وحياته - تشككه ونسيطر عليه الفترة الزمنية التي تسق وعيه بمهنة، وعلى وجه المحديد، بالحقبة الرمية التي سبقت تعلمه القراءة والكتابة، بل عارسيا ماركير غير مرتاح لحس السيرة الذاتية نفسه. فهو منسقط بوصفه كاتباً، يكتب قصصاً تصريحية وغير حقيقية في الوقت نفسه. لكنه عندما يقص قصة حياته تكون حاجته النفسانية إلى الإحشاء أكثر من حاجته إلى الكشف. إضافة إلى ذلك، يمكن أن يكون الادعاء في المذكرات بمعرفة ما ليس لك به علم وبالأ - وهو الحرير الذي ستمد منه روح الفكاهة في مئة عام من العزلة على سبيل المثال - لتأكيد الحقائق التي هي أصلاً متناقضة. كما أن العلاقة المسجلة لأسلوب عارسيا ماركير - العلو

والطباق والمحتصر المفيد والإراحة - تتم إشكاليات أكبر في السيرة الدائمة. فعندما يكون كل شيء قد قيل ويُقدّم، لا تبقى أمامنا سوى مفارقة غارسيا ماركيز نفسه الذي كشف عن نفسه تماماً في رواية خريف البطريق التي يصعب ولوجها، وتراه الآن يُعفيها كلياً في عشت لأروي الشفاعة عني ما يبدوا!

من الواضح، في أقلّ الاعتياد، أن غارسيا ماركيز أمسى مهووماً بمدكراته، لا بسبب زهوه الذي يُنسب إليه، بل بسبب أن المدكرات هي أفضل وسيلة لمخاطبة شهرته وعذابه، وذلك بأن يجلبك بنفسه قصته، ورواياته عن حياته وشخصيته. لكن بالرغم من الوعد الذي تشي به الصفحات الأولى، إلا أن هذا ليس كتاب اعترافات.

في الثامن من تشرين الأول سنة 2002، نشرت عشت لأروي في مدينة مكسيكو تهليل عجيب ومبيعات مقلماً للكتاب. لقد عاد الساهر مرة أخرى. عاد، حقاً هذه المرة، من بين الأموات.

لقد جاء غارسيا ماركيز من الموت بأعجونه كبيرة. فهو لم يتحمل علاج السرطان عقلياً وجسدياً وحسب، بل أكمل الجزء الأول من مدكراته. لقد عاش حقاً ليروي الحكاية - وترك عن نفسه صورة رصي هو شخصاً لها وعلم أيضاً أنه ستنظر بآية. إن الطفل الصغير على علاف الكتاب وهو يُمسك نطقة بسكويت أصبح اليوم رجلاً في الخامسة والسبعين. وبها لها من حياة تلك التي عاشها. لقد أحدثته الحياة على مدى كل تلك الأعوام ليرحل وسط المناهضة التي لا بد ل جميعاً من أن سير أعوارها، وهي مباحة من صنع العالم ومن صنع إدراكها لها. لقد قرر غارسيا ماركيز وهو ينظر إلى البراء أنه وُلد لينكر لقصص، وعاش رمتاً طويلاً حياً كي يحكي قصة وجود كما عاشه بنفسه. إن الطفل القلق الذي احتار غارسيا ماركيز أن يتركه عني ذلك العلاف ناحياً عن أمه، انتظر كل تلك السنين ليروي للعالم كيف وجدها حقاً مرة أخرى عني أرض الواقع، واستعادها مدى الحياة، وكيف أنه ولد مرة أخرى كأنه بعد ذلك، فاطلق على الدرب الذي سيجمعه صاحب رؤية بفتى العالم. وفي اللحظة نفسها التي بدأ فيها الدفعة الأخيرة لإكمال كتابه، إنما هي

نفسها، ويا للمأساة، فقدت ذاكرتها، وإها في اللحظة التي كان يضع المسات الأخيرة على كتاب هو كتابها بالدراجة الرسمة مثلما هو كتابه، فارتت الحياة التي كان يلوها بنفسه

إن القسم الأول من المذكرات الذي تعثر منه أمه عليه (ولس العكس)، وبحيره من تكون، ويعيده معها إل المنزل لذي ولد فيه. المنزل الذي تركته وهو ينمو فيه ويتزعزع من ضلل إلى ضلل، مثل مفتطعت أدبية مخارة، وعملاً رائعاً من أعمال لسيرة الذاتية الإبداعية بكل المقاييس. وقصة يرويها كاتب كلاسيكي عظيم من كتاب الأدب الحديث. إنها قبل كل شيء القصة التي أراد أن يرويها، وحساً بريق كل القصص الأخرى عندما رفعها أمام الأكلون الرائية تلك الرحلة، وأمام العواطف التي كانت سبباً في روايتها. أما بقية الكتاب، فمرءته سمعت على العطة إذ يتحدث غارسيا ماركيز، أحياناً مباشرة عن حياته وأوقاته المدهشة، لكن ما من شيء فيها يماثل ذلك الانتصار الباهر الذي جمعته الصفحات الخمسون الأولى. ومن المؤكد أن هذا الكتاب سيخيّب، من دون لكسب الأخرى، توقعات قرائه. لكن ما إن يكيفوا أنفسهم مع حقيقة أن السيرة الذاتية - حتى وإن كانت سيره دائية عن سحره الأدب - قلما تكون ساحرة سحر الروايات، فإن معظمهم سيجدون الكتاب مرضياً ومقبولاً، وأنهم رابعون في قراءته مرة أخرى، وإن كانت تجربة اقراءة تشبه تجربة الاستحمام حمام دافئ ومريح يزيل ماعب الحياة وآلامها في أثناء لتقدم في السن. عمل هذه السرعة.

في غضون ثلاثة أسابيع بيعت مليون نسخة من الكتاب في أميركا اللاتينية وحدها ولم يتحدث من قرأ أن بيع أي كتاب من كه يمثل هذه السرعة. وفي الرابع من تشرين الثاني أخذ غارسيا ماركيز نسخة من الكتاب إلى الرئيس هو كس في قصر لوس ميوس في مدينة مكسيكو واستطاع الرئيس الفسريي شافير أن يحصل على نسخة وأرسل ثمانية ولوح به أمام عدسات التصوير في أثناء كلمته الأسبوعية التلفزيونية حاثاً الفزوليين على قراءته. وفي الثامن عشر من الشهر نفسه، حظّ ملك ومكة إسبانيا في مدينة مكسيكو في زيارة رسمية. وكان أمراً طبعاً أن يخصصوا وقتاً لرؤية غارسيا ماركيز. ربما أهدياها نسخة

وفي شهر كانون الأول، سافر عارسيا ماركير مرة أخرى إلى هافانا لحضور المهرجان السيمائي، والتقى هناك فيدس وبيري وأصدقائه الآخرين. ولما فعل راجعاً من المهرجان في كانون الثاني، أعطى مقابلة هي الأخيرة. كما سنبين لاحقاً، في بيته في مدينة مكسيكو، وفي الحديقة، وفي مكتبته بحضور المصور الأميركي كاليب باج. وكانت مسكنته موزيكا ألونسو عاراي حاضرة، وقالت إن لرئيسها ذاكرة مذهشة، لكن للملاحظ أنها كانت عالياً ما تندخل بالإجابة عن الأسئلة بالإدابة عنه. تحدثت عارسيا ماركير إلى باج عن صورته وهو طفل صغير، وهي الصورة التي احتارها علافاً لكتابه عشت لأروي، وكان مسروراً من النتيجة. وقال إن لديه سماء له من العمر سبعة وعشرون سنة يدعى كارلوتوس. وكشف عن سر - بعد أن سبي أنه سبق له أن أقسم على عدم السوح به - يخص ما قاله به صديقه الطبيب المصالي (لويس فيودنتي) في برشلونه في سبعينات القرن العشرين، فترك التدخين في اليوم نفسه: إنه يسبب ضعف الذاكرة عند الشيخوخة... (31).

في آذار سنة 2003 عرت الولايات المتحدة وبريطانيا عراق صدام حسين من دون موافقة الأمم المتحدة بديعة أن العراق يملك أسلحة دمار شامل (وهو ما كان يملكه العراق حقاً، وسبق أن العراق لا يملك شيئاً منها) وأنه يؤيد متشددي القاعدة (وهذا غير صحيح، لكنه أصبح بأويهم بعد لغزو). يقول البعض إن الحادي عشر من أيلول هو الذي غير العالم إلى الأبد، لكن آخرين قالوا إن رد فعل الولايات المتحدة لحدث الحادي عشر من أيلول، والتي كان غزو العراق أبعدها مدى وتأثيراً، غير لعالم أكثر بكثير، ولكن ليس على النحو الذي كان يريد الغزاة، بل على النحو الذي كان يريد مديرو حدث الحادي عشر من أيلول. إنه صدمة ورعب للعراقيين، ذهول وعدم تصديق بقية العالم ليس أتهم عارسيا ماركير. ونقل موقع بي بي سي الأميركي اللاتيني مقالة عن تحذيرات نعطية الحزب بعوار عشت كمي لأروي، وفتحت الولايات المتحدة معسكر اعتقال جديداً في خليج عوانتامو الكروبي، وهي المنطقة التي كانت قد احتلها مثل احتلالها قناة باناما، منذ مطلع القرن العشرين. واعتقل ثلاثه متشدد يُسبون إلى القاعدة في أفغانستان والباكستان ووضعوا في الحبس طواس سين، وربما غذبوا من دون أي شكل من أشكال المحاكمة

في تلك الحزيرة التي تصر الولايات المتحدة على أن حكومة كامترو سجوناً سحر فيها معارضوه منذ سنوات، و بما عذّبو، من دون أي شكل من أشكال المحاكمة، وقالت إن لا وجود لحقوق الإنسان في جزيرة كوبا. لغة مناقصة لأهداف دعائية. واتضح أن حكومة بوش لديها خطة رسمية لغزو كوبا تمهّداً لـ حان الانتهاء من كوبا الشمالية والعرق وإيران "محور الشر"

في التاسع عشر من تموز نشرت صحيفة لبايس صورة رجل عجوز في مدينة مكسيكو، وقد كُتبت تحتها عبارة "غاريسيا ماركير لا يسمح أن يراه أحد: لهدبات من اسنادر رؤية غاريسيا ماركير في أي مكان عام"⁽³¹⁾. وفي المداينات التي كان يظهر فيها كان يرفض الحديث أباً كد للصحافة. الحق أن ما كانت الباييس تعنيه هو: هل أُلّمّ حطب غاريسيا ماركير؟ لماذا يتوارى بعيداً؟ أهو مريض؟ ماذا يرفض الحديث. أراه يفقد ذاكرته؟ هل انتهى؟

في غضون ذلك نشرت المذكرات بالإنكليزية وبالفرنسية، وباللغات معسة. الصور العالمية معسها في الشهرة المهيطة به. ولم تل الحاح الذي ناله في العالم المتحدث بالإنكليزية، وإن أقل منه بكثير في فرنسا وتراماً مع صدورهما، نظم نادي القسم في نيويورك احتفالاً خاصاً بغاريسيا ماركير في الخامس من تشرين الثاني سنة 2003، وفي صوء تقاليد لنادي التمثلة حماية حرية الكلام وحقوق الإنسان بالنسة إلى اسؤلص، فإن القرار منهش إذا ما أُخذ في الاعتبار الهجوم الذي كد يشه الأميركيون وغيرهم ضد غاريسيا ماركير بسبب ارتباطاته بكوبا في مطلع السه. وكان من بين منظمي الاحتفال للرئيسين روز ستايرون، التي لم تكن صديقة للرئيس السابق كلنتون الذي طهر على شاشات التلفزيون - وحسب، بل كانت في حملة عشاء حرافيه بالكامبلوت التي أقدمها بعاين والمقنعين الرئيس كيدي وحاكي في مطلع ستنيت القرن العشرين⁽³²⁾. وحصر عدد كبير من أربز الأدباء والمشاهير والشخصيات في نيويورك، ولكن لا بد من أن طههم قد حاب كثيراً عندما أحضر غاريسيا ماركير في الحياء حتى إلى هذا الاحتفال لم يكن على ما يرم تماماً. هذا صحيح. لكنه كان نائب الأمل تماماً بالتطورات في مجتمع الولايات المتحدة وسياسة الولايات المتحدة في كل من كولومبيا والشرق الأوسط إنان مدة

رئاسة جورج دبليو بوش. وأرسل رسالة إلى المحتجين لم تكن مفتقرة إلى الدبلوماسية - وإلى العرفان - وحسب، بل كانت واحدة من أشد التصريحات التشاؤمية التي تصرح بها هذه الشخصية التي لا تتيقن، إذ قال إن الوقت ليس وقت احتمالات. لكن بالرغم من ذلك، فقد أضحت رواية مئة عام من العزلة في كانون الثاني سنة 2004 'كتاب أوبرا'، وقد أوصى به برنامج أوبرا التلفزيوني الذي يحظى بإقبال مقطع النظر في الولايات المتحدة. وقرر الكتاب من تسلسله بالرقم 3116 إلى الرقم 1 في لائحة المبيعات⁽³³⁾.

شعر عارسيب ماركير أنه غير قادر على تجاهل التراماته الكثيرة على المدى البعيد والتي كان قد قبل بها في المكسيك وقد التزم بمعظمها، لكنه لا يزال لا يعلن عن أي تصريحات للصحافة. فقد كان يحضر وحسب، كأنه ساحر عجور أبيض الشعر، عطوف، ويجلس في المكان المخصص له على انصبة أو يسلم جاثرة. وبقي يحضر اجتماعات مجلة كاميو التي كانت تعقد في المكسيك، في حين كان روبرتو بومبو يتولى العناية به مثلما كانت كارمن بالسيلس تعني به في إسبانيا وبترينث سييدا في الولايات المتحدة.

كان يأمل أن يكون أكثر حيوية ومعامرة. واستبدل هو وميرثيديس شفتهم الرئيسي بشتفه أخرى مؤحراً، كما تركا الثقة الصغيرة في شارع متسلسل واشتريا شقة أكبر في شارع دوبك، وهو من أكثر الشوارع المرعوب فيها في باريس، ويقع تحت شقة تانثيا مباشرة. وهذا، أصبح عنك الآن ثقة تحمها على نحو غريب من الوفاء لحب سني الطالع أضحي في ما عد صرباً من صداقة صعبة وغير مريحة وكانت فرص ديارنه الشقة الجديدة ضئيلة جداً، لكن ابنه عوشالو وأفراد عائلته انتقلوا إليها لبعض الوقت عندما رحلوا عن المكسيك إلى باريس سنة 2003 (إذ رعب عوشالو في دراسة الرسم مرة أخرى).

كان عارسيب ماركير قد وضع للذكرات جاساً، لكنه كان يحفظ لرواية بعنوان ذاكرة غانياني الحزينات (التي ظهرت بالإسبانية بعنوان ذكريات غانياني الحزينات (Memories of My Melancholy Whores) مسد سين طويلة، في لأفل مد ربع قرن من الرماد وعندما بقيه في هافانا سنة 1997، كان هو هذا الكتاب الذي

بفكر فيه حالياً، ولما تحدثنا بعد مرور ستة تيين أنه قطع شوطاً في الكتاب لكن من الأرجح كثيراً أنه أكمل نسخة أولى منه قبل نشر كتاب عشت لاروي بوس طويل، وأنه أدخل تعديلات قليلة، لكن مهمة، بين حربي 2002 و2004 وهو من صدوره أحياناً. لقد كانت فكرة الكتاب الأولى هي أن يكون قصة قصيرة طويلة، وهو ليس أكثر من رواية قصيرة، لكن أعلى عنه كونه رواية، ويعد على هذا الأساس.

في شهر تشرين الأول، وفي حين كانت أميركا اللاتينية كلها ستظر الكتاب، عاد غارسيا ماركيز إلى كولومبيا، وأظهرته الصور في الصحف وهو يسير في شوارع كارثاخيا وقد بدا عليه الشروخ والارتباك برفقة ميرثيديس وشقيقه خافي الذي يعمل حالياً في مؤسسه الصحافه، ومارغريتا روجح خافي، ومدير لمؤسسه مد رمس طويل خافي ايلو. وتوقع الكثيرون أن غارسيا ماركيز س يرجع إلى كولومبيا مرة أخرى أبداً. كانوا مربكين، ومع هذا، فإن الساحر العجوز يظهر على ما يرام.

عندما ظهرت الرواية الجديدة أحياناً، اضطرب معظم قرائه تماماً، لرواية مروية بأسلوب بسيط، وهي تخفي عن رجل يوشك أن يحتفل بدكرى ميلاده التسعين، ويقرر أن يمضي ليلة ماحنة برفقة مراهقة عذراء، ويدفع المال لسيدة ماحور اعتاد أن يروده كي ترتب لبيته. وبالرغم من أنه لم يمض بكثرة الفتاة، إلا أنه أصبح مهووساً بها، ويعزم بما يدرجياً، ويقرر أن يترك لها كل ممتلكاته. ويقدم الرجل نفسه على أنه إنسان عادي، بائع صحف أعرب، لم يفعل ما يثير الاهتمام في حياته كلها إلى أن يجد الحب للمرة الأولى عندما يبلغ التسعين من عمره. مما بحث على الدهشة، أن هذه الروايه هي الرواية الوحيدة التي كتبها غارسيا ماركيز وتدور أحداثها في بارانكيا، وإن لم تكن البسطة تحمل أي اسم في الرواية.

يسد مرجحاً أن هذه الرواية تبدأ بصورتها المثيرة بدلاً من الصورة التي عادها ما تكون مصدر إلهام روايات غارسيا ماركيز. وقد التصق العنوان بعوي غارسيا ماركيز وانتظر على مدى سبعين فرصة أن يتحول إلى رواية. لكن العنوان مشككة بالرغم من ذلك، فهو من جهة بصدم (ويحتمل أنه أراد ذلك)، فكلمة Puta هي

غاية، ذات لمسة أدبية أكثر من كلمة *Prostituta* أي راية، كما أن كلمة راية أقل حيادية وتوحي بازدهار أشد. وقد رفضت بعض محطات الإذاعة والتلفزيون في كولومبيا السماح لمديعها بتطويع كلمة غانية. ثانياً، ليس للعنوان أي صلة من أي نوع كان بمحتوى الكتاب: فالرواية نفسها تؤكد أن ما لسيا هو "قصة حب" وأن "الغنية" الوحيدة التي يعاشرها الراوي لها من العمر أربعة عشر عاماً فيصبح مهروساً بها، ويبدو أنه لم تكن له سابقاً أي علاقة جنسية من أي نوع، مدفوعة الأجر أم غير مدفوعة. ويفتقر ما يتعلق الأمر بالاستنتاج، وإنما ليست "حربة" (كما أنها ليست بقطة، إن وصل الأمر إلى ذلك). إن العنوان يصبح مهموماً أفصح برصه بيناً مكتوباً بحسد خيالات شعرياً متمراً عرف بما وراء عصا شاعر العصر الذهبي الإسباني المدهش بويس دي غونبورا (1561-1627)، وهي التي تفصل أثر الكلمات التي تأتي معاً. ولو كان البيت من عنده لأمكن القارئ أن يفكره إلى "ذكر ياتي الحربة عن الغواني أو حريناً أتذكر العانيات". لكن هذا كله لا يحل المشكلة الخاصة بالجمع: فالعاهرتان الوحيدتان في حشد الرواية الأساس هما ديلعاديا، وهي الفتاة التي أنيد على ذكرها، وروسا كابرار كس مديرة الماخور (إلا إذا كان العنوان وهذا بالغ الأهمية كما سرى - يطوي على إشارة صغيرة في القصة إلى موسم سابقة تدعى كلوتيلدا آرميتا، والأكثر تحديداً، إشارة في سطرين إلى مديرة ماحور أخرى تدعى كاستورينا في نهاية الكتاب) لو كان عارسيا ماركيز في أتم صحة وعافية لألمى حيرة قرائه. فهو يتركها (لعل القارئ المفصود هو المعنى بالصمير هو) وقد ساوره الانطباع بأنه محدوع بعوان يشير إلى كتاب من الأدب المكتشف، بالرغم من أن عدداً كبيراً من القراء قد يذكرون في أن هذا الكتاب مكتشف إلى حد كاف.

قد اعترف غارسيا ماركيز دوماً أنه استمد روح الكتاب من كتاب بيت الجميلات الماعنات لياسواري كاواياتا الذي يدور حول مؤسسة يقصدها كبار النس من الرجال، ليستلقوا بحباب مومسات أعطيت هن محدرات ولا يسمح لؤلاء الرجال بلسمهن⁽³⁴⁾. (وتصدير كتاب عارسيا ماركيز مأخوذ عن هذه الرواية). لكن يمكن أن يكون تأثير هذا الاعتراف لإحفاء حقيقة أن العلاقات الجنسية بين رجال باضحين ومراهقات يعترفون إلى التجربة هو الموضوع المتكرر في كتاب غارسيا ماركيز.

هاك ظاهرتان اجتماعيتان تلتقيان معاً ولكهما بفرقان تحليلياً، الأولى هي الحادية لتي يشعر بها لرجال نحو المرأة بوصفها "فتاة"، وبوصفها المرحلة التي لم تبلغ من العمر حداً (كما هي الحال مع ريميدوس في مئة عام من العزلة، على سبيل المثال)، أو فلما بلغت، كفي ممارسة الحب. (عموماً، إن شخصية الدون جوان المعروفة، تفصل إغواء لباتات الكبرياء في السن ليس أفنهن أو تلك اللواتي يرجعن إلى رجال "حريين مشروحات أو محصونات). أما الظاهرة الثانية فهي الهوس بالمعذرية، فهي قصة موت معلن حد أن العذرية أو عارض الشرف والعار المرتبط بها يشكلان النقطة المركزية في الحدث الدرامي. لكن البطلة الأنثى أنثياً فيكاريو ليست مراهقة. لكن في رواية الحب في زمن الكوليرا لاحظ أن غلوريسو أريشا، وهو في العقد السابع من عمره ويستطيع أن يحتفظ بعظم معظم القراء وملهم إليه، يدرس الحب مع قريبته القاصرات ذات لأربعة عشر عاماً أميركا فوكوا (لتي يتدنى اسمها وكتبها بالحرفين نفسيهما اللذين يتدنى بهما اسم أنثيا فيكاريو) وإن كان - ولحق بقار - أنه كانت له علاقة جسيمة مع كل امرأة يمكن تحيلها.

إن أشهر قصة عن هذا الموضوع في الأدب كله هي قصة لوليتا لباتوكوف، ذلك الكتاب المشير للجدد لكن ما سب انتشار هذا الموضوع في أدب أميركا اللاتينية؟ (إد ليس الهوس بتلميذات المدارس محصوراً برحان أميركا اللاتينية) إنه يستخدم غالباً في الرواية الأميركية اللاتينية بوصفه رمزاً لاكتشاف القارة وفتحها، بوصفه الاستيلاء على ممتلكات محبوبة غير معروفة، وبوصفه رغبة في التجدد، في كل شيء لم يُستغل ويُطور. لكن فيما يخص لنا هذا القوة الواضحة للحاضر عند الرجال الأميركيين اللاتينيين أنفسهم خارج حدود أي خيال أدبي. هناك احتمال معاده أن الفتيات الشابات يتعرضن للإغواء والاعتصاب أو البيع دائماً على أيدي رجال أكبر سناً وأكثر ثراءً وأشد قوة في جميع ثقافات، لكن المراهقين في أميركا اللاتينية يقيمون أولى علاقاتهم الجسدية مع سناء أكبر سنّاً منهم، حادته أو مومس عادةً، ويظل العديد منهم يحنون إلى أول تجربة مع مراهقة بريئة وغير متعلمة ولم يعصوا عليها صدم كانوا. هم أنفسهم مراهقين أبرياء غير متعلمين إن موضوع روميو وجوليت ليس موضوعاً شائعاً في أدب أميركا اللاتينية أو حتى في مجتمع أميركا اللاتينية نفسه⁽³⁵⁾.

قرر عارسيا ماركيز أن يتزوج امرأته عندما كان في التاسعة من عمره (أو
 أحادية عشرة، أو الثالثة عشرة، فانس متباينة). الواضح إنه يحسد نوعاً من المنفعة
 المعارضة أو المحرفة عندما يؤكد أنها ليست إلا في التاسعة (وهو ما تحده مويثيديس
 أيضاً). لكن ربما لم يكن الدافع الحقيقي معارفة أو انحرافاً؛ ربما رغب في حصرها
 نفسه مقدماً، أن الاحتفاظ بها، نقيّة، غير مبنية، له وحده ودائماً. (كان دائي
 سعيداً كي يترك بياتريس من دون أن بلونها هو نفسه).

عندما سافرت غارسيا ماركيز هذه الرواية للمرة الأولى معي، كان قد بلغ
 السبعين. لكن ماريما جيمينا دونان - صديقة عارسيا ماركيز التي أصبحت صحابة
 وهي مراهقة - تذكره وهو يخبرها عن هذا المشروع في باريس عندما كان في
 الخمسين⁽³⁶⁾. وفي الوقت الذي نشر فيه الكتاب اقترب من الثمانين، وبطئه في
 التسعين. ومما هو فريد في الأدب الحديث، أن هذا الروائي المدهش كان يكتب عن
 أناس كبار في السن مد كان في ريعان الشباب. وكلما تقدم به العمر كتب أكثر عن
 حاذية فتيات في ريعان الصبا. ربما ليس مما يعتز على الدهشة أن صباً كان جنّاه
 على درجة بالغة من الأهمية عنده، يصبح مهووساً بتأقصات الشاب والشخرخة
 (وتلك مادة قصص الخوريات) هناك فارق مدهش بين علاف كتاب عشت لأروي
 الذي طُبعت عليه صورة عارسيا ماركيز البالغ من العمر ستة وخمسة والخمسين
 السداس المستعمل في كل الطباعات في جميع أنحاء العالم، والطبعة الإنسانية كتاب
 ذاكرة عانياتي الخزيت الذي تمثل صورة علاف رجلاً عجوراً يرتدي ثياباً بيضاء وهو
 يستند، ربما ليخرج عن حشة المسرح، ربما إلى العطمة الكامنة وداعها: كأنه يولي
 ظهره للحياة للمرة الأخيرة (بالرغم من أن الرواية نفسها تحدى مثل هذا التفسير).
 يتحيز عدم التذكير في العدد الكبير من العقلاء المتعاضدين الذين يطهرون على امتداد
 السموات في رواية عارسيا ماركيز، لكن الصورة تبدو شبيهة بعارسيا ماركيز نفسها
 عرباً: تحيل العود، حفيف الشعر، ولحن المروى، يفتح تلك الرواية قبل تسليمها إلى
 المطبعة. أما إذا كان هناك أحد قد خطط هذا الفارق كله، فهو ما لا نعرفه.

عنا أن الرواية مكتوبة بصير التكلم، فإنها تمتلك خاصية ستملهاها، وهي
 خاصية عربة عن معظم روايات عارسيا ماركيز، إنه ليس معارفة - وهي المسافة

بين اراوي والشخصية - تدفعنا باتجاه نقد البطل أو تفسيره تفسيراً يمكن الاعتماد عليه. بعدما يكتب الراوي - ولنسمه بكنيته موسيتيو كولادو، لأساً لي نعرف اسمه الحقيقي - في الصفحة الأولى أنه قرر في ذكرى ميلاده التسعين أن يمنح نفسه ليلة حب مخنون مع علماء مراهقة، يبدو وكأننا لا نعرف كيف يكون رد فعلنا لهذا. وعندما يتحدث عن أخلاقياته ونقاء مبادئه، فإننا لا ندري هل نحكم عليه من حيث موقعنا نحن اليوم، أم سداً بقول كون مجتمعه (مارانكيا في خمسينيات القرن العشرين) لا يوجد من الناقض ما يجعل منه من الطبقة الوسطى يتكلم بهذه الطريقة.

لم يمارس كولادو الحب من دون أن يدفع الثمن، وهو لا يحب التبعيدات ولا الالتزامات. الفتاة التي اقتيدت به في سن الرابعة عشرة، أصغر منه بست وسبعين سنة، كانت من الطبقة العاملة، يتيمة الأب، مريضة الأم، ويبدو أنه يسر لديها إخوان أكبر منها، ذات بشرة داكنة، لكنّها لكحة الطبقة العاملة، أو تشتغل في معمل أقمشة. يتمي كولادو أن يفكر فيها على أنها حبيبة في الخيال، دمية حية، ولكن غائبة عس الوعي. يدعوها بالاسم ديلعاديا، وهو اسم غريب إلى حدّ ما، لأنّ نصيدة المولاد الإنسانية الشعبية التي تحمل هذا الاسم تحكي قصة ملك منحرف، لا يرحم. يتمنى لو يتهك عرس استه بكدة الحف. لكن كولادو لا يدرك المفارقة. وفي صباح أحد الأيام، ترك له الفتاة رسالة تثبتها على المرأة في غرفة مدقهما: "إلى بابا القبيح"⁽³⁷⁾. فلا يتمي معرفة اسمها الحقيقي (بر ولا حتى حقيقة نفسها).

أحسراً، وبعد سلسلة من الأحداث الميلودرامية التي توضحها رعبات العجوز وفانتازياته، يقرر أنه يحب الفتاة حقاً ويوصي لها في وصيته بجميع ممتلكاته ولكنه لا نوافيه المية في ذكرى ميلاده الحادية والتسعين كما كان يخشى، بل يراه يخرج في صباح اليوم التالي إلى الشارع وهو يشعر بالبهجة والثقة بأنه سيعيش حتى يبلغ المئة عام. (لا بد من أن القارئ يعكّر في أن أفضل شيء للفتاة هو أن يقضي نحيه على المرر). "كانت حياة واقعية في هاية المطاف، ظل فؤادي فيها آمناً ومحكوماً عليه أن يموت بالحب السعيد (لا الحب المموت) وهو يتعذب عذاباً ممحاً في أي يوم يعقب ذكرى ميلادي المئة". لكن الشاب هو الذي يموت من أجل الحب في كتب غارسيا ماركيز؛ الحب يُقي كيار السن على قيد الحياة.

حقاً، ثمة فراغان حكمتان أحريان لم يأت القاد على ذكرهما الأول، هي أن الرجل العجور الذي كان ذات يوم مبعداً، استعلاًياً، عديم الرحمة والإنسانية، بات الآن سريع التأثير بسبب الحب، فتأخذه مديرة الماحور سينة السمعة كإباركاس في سُرعة بعد أن حولت الفتاة العقيمة دينغاديا إلى عاية، وظلت تخادعه بين نهاية حدث الرواية (معرفة الفتاة على الأرجح) وكتابتها إن الرواية لا تعالج حقيقة أن كل ما يعرفه الطفل عن دينغاديا فضلاً عما يحجم عن تخطاته الماحمة وحيالاته غير المسبوبة) بنأى عن تأملات مديرة الماحور التي يمكن أن تكون قد هربك الصاة وحسبها لزبونها مثل أي كاتب يكتب قصصاً رومانسية وردية، أو مثل أشرطة سيميائية هوليوودية لتمتع جمهورها - هو كولادو ها - ما يرغب فيه تمام. ويرفض كولادو التفاصيل الحقيقية عن الماء؛ إنه ساطعة وبكل وضوح لا يريد أن يعرف. وإذا كان المراد من هذه الحبكة الثانوية أن تكون حبكة أولية - أو تصحيحية - فإن الرواية ستحتاج عندئذ إلى بعد الفقد الذاتي المثير للاهتمام حقاً إن أفسس ما يمكن قوله هو إنما تحول الأحمق العجور الساذج إلى موضع احتقار (لا إلى موضع شفقة) من القارئ على وجه التأكيد، ومن القارئ والكاتب ربما.

أما القراءة الأخرى (وهي قراءة لا تستلزمها القراءة الأولى بالضرورة) فهي أن كولادو شخصية عظيمة. ففي سن الحادية عشرة تعرف على نحو لا إرادي إلى أحسن عن طريق امرأة عجوز تمتهن ابغاء أيضاً وفي المبنى نفسه - في الكتاب - الذي كان يشتغل فيه والد كولادو (وهو المبنى نفسه الذي نزل فيه عرسا ماركيز وعاش مع بنات أخوى خلال عمله في صحيفة الصر النور: ناطحة السحاب). التجربة تصيب الصبي بضربة نفسية في بادئ الأمر، وتحوطه إلى مدمن على ممارسة الحب. وما دام عابريل إنخيو هو الذي رتب على ما يبدو مثل هذه التجربة المؤلمة نفسياً لعديته وهو في العمر نفسه، وما دام عارسيا ماركيز إخبار أن يصنع هذا الحرف - التوصيف، المبرر لساحته - في نهاية الكتاب، ربما أراد بذلك أن يقدم تفسيراً لعجز الرجل العجور عن الحب أو عن تطوير علاقات وثيقة. وهو س بالعامرات، ولرغماته عز السوية في اشتها العذراء الشابة التي ربما كان يرويه أن يمارس وإياها أول تجربة حب إذا ما كانت هناك إمكانية لتجديد الرمان، ويعود إلى

مرحلة مرافقته وإذا كانت هذه هي الحالة، فإنها ستدفع القارئ لأن يسأل نفسه إن كان هذا التحليل نفسه يطبق استعادياً على فانتازيات ثمانية في الروايات المذكورة هنا الكاتب، وفي هذه الحالة، فإن هذه الرواية التي يرويها بطل بات الآن "متحرراً آخر الأمر من المودية التي أقتني عدداً مدكت في الثالثة عشرة من عمري⁽³⁸⁾، ستكون قدماً ذاتياً وتكشف عن دواخل النفس بلا رحمة تماماً، مثلاً رواية خريف البطريق التي كتبت قبلها ثلاثين سنة. كما أنها ستشير إلى أن غارسيا ماركيز الذي عمر لأبيه عن وعي بكتابه عشت لأروي استمر، من دون وعي (وربما عن وعي)، بتوجيه اللوم إليه للخدمات النفسية خلال طفولته، والتي استمرت آثارها معه حتى بلوغه سن الرشد. باختصار، وكما حدث في المذكرات التي كتبها غارسيا ماركيز وهو في سن الخامسة والسبعين، وعاد إلى فكرة أن لويسا سانيباجا، التي هجرته، حشيت من عدم معرفه إياها، فإنه في ذاكرة غانياتي الحزينات التي كتبها وله من العمر سبعة وسبعون عاماً، يعود إلى فكرة أن الأب الذي أحد أمه بعيداً وهو لا يزال طفلاً صغيراً إنما أدى بذلك إلى تحرافه وهو في بداية مرافقته.

لعل روايته ذاكرة غانياتي الحزينات هي أقل روايات غارسيا ماركيز إبحاراً. لكس كما هو شأن كل رواياته، فإنها تعثر على ومصت من الخيال، وأحياناً ملكة شعرية تبهق كشعاع كأها من وراء الشاشة العصبية بالرغم من السرد المباشر والعادي. وإذا ما قسنا هذا الكتاب بحسب مستويات الكاتب، فإنه كتاب ضعيف، وفي بعض الأحيان يثير الإحراج باختصار، إنه كتاب غير مكتمل لكن بالرغم من ذلك، وفي ضوء عمق رؤيته للصمية للعالم وبسبب طاقته التي تسمح لكل قارئ وقارئة أن يكمل القصة على النحو الذي يرغب فيه فإن هذا الكتاب يتمتع بمستويات عديدة من الإهم والجمع بين موقعين متنافسين والتعقيد شأن بقية أعماله - بل حتى أكثر من رواية الحب وشياطين أعوى على سبيل المثال، وأكثر من رواية قصة موت معلن - لأن هذا الكتاب يداعب مداعمة لا تعرف الحجل ولا الضعف انفاستاريا واليعد الأخلاقي التقليدي اللذين تفنق إيهما معظم مؤلفاته استقاراً منعهداً. إن الرواية هي إحدى فصوص الحوريات بالرغم من أنها صارخة، ومتوهجة على نحو يثير الارتباك.

عكس للمرء أن يقول إن نهاية الرواية تأخذ غارسيا ماركيز على نحو ما إلى نهاية رحلته الأدبية والفلسفية في الحياة. فعندما أدرك وهو في العقد السادس من عمره أنه مقبل على الموت، قرر أن يحرق كل شيء، بسرعة "من دون أن يضع تسديدة واحدة". وعندما أصيب بمرض لاعلاجي في العقد السابع من عمره أصبح الدافع أشد وأقوى، لكن كان عليه أن يصنع أولويات: وهكذا، فقد غلظ عن كل نشاطاته ليراه من الزمن وأكمل كتابه عشت لأرومي لأنه يعلم أن كتابه مذكراته تمثل هدفه العاجل جداً. ثم ياب واضحاً أن ذكره تتلاشى بسرعة مخيفة، فقرر أن يتناول الأشياء كما تأتي بعد أن تمكن من إكمال سيره الذاتية الراوي في ذاكرة عانياتي الحزنيات غير متعجل في النهاية. لأننا لا نتعجل إلا إلى الموت لكنه وطد العزم على أن يعيش أطول مدة ممكنة وأن يتقبل الأيام يوماً بيوم. وإن كان قد عشت هو أيضاً كي يروي حكاياه. الحجاب لشر لسحر، أو السافسي، في هذا هو أن غارسيا ماركيز لم يصل إلى هذه الحكمة المطوية على صبر - إن كدت حكمه حقاً - إلا عندما لم يعد الواقع المادي يحمله أي حيز آخر.

عندما كتب جون أديك مقالة عن الكتاب في مجلة ذا نيويورك ر في العام 2005، حاول أن يسترجع دوافعه الخفية ببلاغته وبراعته المؤلفين:

إن فطيرة الموت لتذكر قصص غرامه لا تقتصر على فاجوس في العقد العاشر من أعمارهم فمثل هذه الذاكرة تعكس في أثناء الخطاط الحياة البطيء التبر للحظة من الزمان، ونسكت الصوت الذي يهيم في أذن راويتنا: "مهم، فعلت، فإتت في هذه السنة أو في المئة سنة المقبلة، ستوافقك المية إلى الأبد". لقد كتب السعبي غابرييل غارسيا ماركيز وهو لا يزال على قيد الحياة، رسالة حب إلى الضوء الخادبي بحاذيته الحسية ومزاجه المهيب³⁹.

اتضح أن لغارسيا ماركيز سبب رئيس للعودة إلى كارثاجيا في الوقت الذي صدرت فيه الرواية، فهناك اجتماع آخر للمورو إيرو - أميركا (وكانت إسهاماته في مؤتمر كارثاجيا والدخل السياحي سخية). وقبل هذا كله، كان من المتوقع أن يصل إلى المدينة ملك ومعه إسانيا، وقد وصوا إليها فعلاً في الخامس عشر من شهر تشرين الثاني، واتهمك الوغد المحوز في أثناء ريارهما في مروح مع صاحبي الجلالة الإسانيين، وربما أثار حفيظة الرئيس أوريسبي. هذا ما سُئِلَ عن كتابه، فإنه

نما لا شئ فيه سيوضح فائلاً إن قصته مستوحاة من قصة أميرة إسبانية اعتدى على شرفها والدها الملك. حقاً لم يكن يمثل سوى دور المهرج (مقد بدأت تظهر صورته في الصحف بانتظام وقد أخرج لسانه أمام عدسات التصوير).

لم تعد هناك كتب أخرى يكتبها، حياته الجديدة - نهاية حياته، تقاعده - يمكن أن تبدأ في نيسان سنة 2006 وبعد كل لحاؤف، وللمرة الأولى منذ أن دامه المرض، عبر المحيط الأطلسي، ورجع إلى إسبانيا ومرسا ورار شفته في أوروبا مرة أخرى. وكان سبب هذه الرحلة اجتماع فورو إيرو - أميركا في برشلونة، وهو الترام سد الآن فوق الترام آخر. كانت الصحافة قد بدأت تختل مفعماً بعودة غارسيا ماركيز إلى إسبانيا - كان العام يصادف الذكرى المثوية الرابعة لشر رواية دون كخوته - وعلى وجه الخصوص إلى برشلونه حيث كانت السه هي سنة الكتاب. لكن الصحافة أمدت بأنه لدى وصوله بدا متردداً، وأشارت صمماً إلى أنه كان قد فقد هويته الداية.

لم أنصل به منذ ثلاث سنوات. فقد ترددت في الاتصال. لكنني ساهرت جوياً في نهاية حطاف بن مدينة مكسيكو للحديث معه، وكان ذلك في شهر تشرين الأول. كانت ميرثيديس مصابة بالأنفوسراء، لذلك جاء هو لريارقي في المصدق السي كنت مقيماً فيه بدا مختصاً تمام الاختلاف. لم يعد يبدو عليه ما يشير إلى أنه عا من مرض السرطان. كان يحيل العود إلى حدٍ مخيف، قصير الشعر عندما فرغ من تأليف عشت لأروي سنة 2002، أما الآن هذا كما كان يبدو دائماً: إنه نسخة أكثر ساء من الرجل الذي عرفته بين 1990 و1999. لكنه كان كثير السيان، وكان في وسعه، بعد تلقي مناسب، أن يذكر معظم الأشياء من الماضي البعيد - ولكنه لم يتذكر دائماً عاوي رواياته - ويتنادن أطراف الحديث بصورة اعتيادية إلى حدٍ مفعول ومزاج رائع. لكن ذاكرته قصيرة الأمد كانت ضعيفة، وكان يأمر عبي م يظهر من هذا الصعف. ومن المرحه التي تبين أنه مقل عيها. وبعد أن تحدثنا عن عمله وعن خططله لرهة وجيرة، أوضح أنه غير متأكد من أنه سيكتب أي شيء بعد الآن. ثم قال عزز واكتتاب. "لقد كتبت ما يكفي أيس كذلك؟ لا يمكن ديس أن يغيب ظلمهم، ولا يمكنهم أن ينتظروا مني أي شيء آخر. أسس كذلك؟

كما خالسين على مقعدين زرقاوين كبيرين في ردهة فندق معزل عن لأنظار
يطل على الطريق النازلي الجنوبي لمدينة مكسيكو. خارج الفندق، المرن لحادي
والعشرون يخلق بعداً. ثمانية ممرات من الطريق لا تتوقف عنها حركة المرور أبداً.

رمقي وقار

- أتدري؟ في بعض الأحيان أصاب بالاكتماب.

- ماذا؟ أنت يا عابو بعد كل ما حققته؟ لا بد من أنك تخطئ. لماذا؟

وهنا أشار بيده إلى العالم من وراء النافذة (حيث الطريق الرئيس القسيح في
المدينة، والصمت المطبق على كل أولئك الناس الاعتياديين الذين يمشون إلى أعمالهم

في عالم لم يعد عالمه)، ثم ربا إني وعمم:

- لأنني أحرك أذ النهاية اقتربت⁽⁴⁰⁾.

* * *

خاتمة

الخلود: ثيربانتس الجديد

2007-2006

لكن حياة غارسا ماركير لم تنته بعد، وإن كان في وسع المرء أن يساوره مثل ذلك الاعتقاد بعد لعائنا بيضعة أسابيع في مدينة مكسيكو. ففي كانون الثاني سنة 2006 أحرقت معه مقابلة مذهشة لصحيفة لافانغاردنا الصادرة في برشلونة؛ مذهشة في الأثر لأولئك الذين اعتادوا يومئذ على أنه لم يعد يتحدث إلى الصحافة لكن هذه القصة لم تكن ولادة لحظتها، إذ يبدو أن هناك اجتماعاً عُقد وتقرر فيه أن يُعطي غارسا ماركير بعده "مباد ختامي"، في ظل الظروف السائدة آنذاك، ثم عقبه انسحاب من الأصواء، فصمت.

كاتب ميرنيديس حاصرة خلال المقابلة في منزل الأسرة في مدينة مكسيكو - في المقابلة السابقة التي حوت قبل ثلاثة أعوام، كاتب سكرتيرة مويكا هي الحاضرة - وهي التي أكتت الحديث، وهو ما لوحظ من خلال تقرير الصحافيين. لم يقل غارسا ماركير في المقابلة إلا الشيء القليل - وكان التقرير سرداً أكثر مما كان حواراً - وعندما سُئل عن حياته الماضية قال: "عليكم أن توجهوا السؤال إلى كاتب سيرتي الرسمي جيرالد مارنس عن مثل هذا الموضوع. أعقد أنه ينظر شيئاً ما يحدث لي قبل أن يهيئ كتابة سيرتي"⁽¹⁾. صحيح أنني استعرق وقتاً طويلاً، لكن مثل هذا "الصبر الموهج"، كتب جاء في عود رواية بطرسو سكارمنا عن ساحي بريد بابلونيرودا، كوني الآن بمعرفة أنني كنت بعد خمسة عشر عاماً كاتب السيرة "الرسمي" لهذا الإنسان العظيم، وليس مجرد كاتب سيرة "بجاز" وهو ما كنت أنصوه. أه لو كنت أعرف ذلك من قبل!

بدأت القصيدة وكأنها عملية حسابية لمعرفة إلى أي مدى سيتمكن من الظهور أمام الملأ وتحت أي ظروف. فهو لا يمكن الاعتماد عليه ليقدّم إحسانات وصحة أو دقّيقة عن أسئلة مباشرة أو غير متوقعة. وكانت لديه القدرة على أن يسي ما قاله نسل خمس دقائق. إنني لست خبيراً في الأشكال المختلفة التي يتمظهر بها فقدان الذاكرة ولا في تطورها، لكن انطباعي هو أن حالته كانت تسير بثبات. من الصعب جداً أن نرى إنساناً جعل من الذاكرة نقطة الارتكاز الرئيسة في مجمل وجوده الذي يتلى مثل هذا البلاء. لقد ظل غارسيا ماركيز يصف نفسه بأنه "متذكر محترف"، ولكن عندما وافقت الملية أمه، لم تكن تحي من هي ومن هم أولادها. كان نحوه غير الشقيق أيلاردو قد عانى من مرض باركنسون لثلاثة عقود من الزمان ويبدو أن نجاح الأصغر منه دانتشي أصيب بالمرض نفسه. أما إليخيو فقد توفي إثر إصابته بورم في الدماغ، وعاد غوستافو من هزويلا وقد لاحظ عليه ملامح فقدان الذاكرة. والآن، أمامنا حالة عابو. قال حاكمي لي: يبدو أن الأسرة تعاني من مشكلات في الرأس⁽²⁾ ناهي غارسيا ماركيز التاسعة والسبعين من عمره (تخفى عن الادعاء بأنه ولد سنة 1928 منذ الاحتمالات الكبرى بذكرى ميلاده السبعين، ويمكن للمرء أن نقول إنه بدأ يتصرف بصرفاً ملائماً). وبالرغم من حالته العاصفة غير المحددة، التي لم يكن أي واحد من الخلفاء المقربة إليه ميالاً إلى الكشف عنها، والتي التزمت الصحافة بإراءها صمناً خفياً يثير الدهشة، فإنه لا بد من مواجهة ذكرى ميلاده النعابين. كانت لأكاديميه الملكية الإسبانية قد بدأت بعد العام 1992 بنظم مؤتمرات تعقد مرة واحدة كل ثلاث سنوات للاحتفال باللغة الإسبانية وأدائها في العالم لم تتحدث بالإسبانية. وكانت هذه المؤتمرات تمثل جزءاً من برنامج إسباني طويل الأمد لشهر الثقافة. وفي المؤتمر الأول الذي تأخر كثيراً وعقد في ثاباكس في المكسيك في نيسان 1997، اقترح غارسيا ماركيز وجوب تقاعد اسحو ولفظ الإسباني التقليديين⁽³⁾. وبالرغم من أن هذا الاقتراح أثار جدلاً واسعاً، ومواجهة فلك الأكاديمية التي كانت تسلطية جداً في الماضي، باتت الآن مؤسسة ديموقراطية واستراتيجية إلى الحد الذي سمحت به لأديب له مكانة غارسيا ماركيز أن يصبح مربداً، ودعاه لرئاسة الأكاديمية واللقاء المسؤولين فيها خلال زيارة إلى مدريد في

تشرين الثاني من ذلك العام ومع هذا، فقد أعلن سنة 2001 أنه لن يحضر المؤتمر السنائي في تاراكونا (سرقسطة) في إسبانيا احتجاجاً ضد سياسة إسباني التي صالت مواطني أميركا اللاتينية بالخصوص على تأشيرة دخول مسبقاً قبل الدخول إليها، وهو الإجراء الأول من نوعه في التاريخ. وقال إن إسبانيا تدور وقد أعلنت نفسها دولة أوروبية أولاً، (إسبانية تنتمي إلى العالم الإسباني ثانياً). استمر اجدال قائماً سنة 2004 عندما لم توجه إليه لدعوة لحضور المؤتمر الثالث في روساريو في الأرجنتين (وهي الدولة التي ظل يحب زيارتها دائماً يحب من يعتقد بالخرافات). ثم أعلن حوسبه سارامغو البرتغالي الفائز بجائزة نوبل أنه لن يحضر المؤتمر إذ لم توجه الدعوة إلى عارسيا ماركير، وعندئذ صرح الأكاديمية أن هناك خطأ إدارياً، وبالتالي وجهت الدعوة إلى الكولومبي الفائز بجائزة نوبل. لكن عارسيا ماركير لم يحضر، ثم تقرر أن يعقد المؤتمر لثاني سنة 2007 في مدينة كارتاجينا دي اندياس، وهي المدينة التي يملك فيها عارسيا ماركير بنه، رئيس في كولومبيا والذي يشاهي به في روايتين حالدين.

أصدرت الأكاديمية عام 2004 طعة خاصة من رواية دون كيخوته ثيرباتنس احتفاءً بالذكرى المثوبة الرابعة لشر أهم كتاب في تاريخ إسبانيا وأدبها المختلفة. الفكرة عظيمة لو أن الأكاديمية تمكنت مع حلول المؤتمر الثاني في كارتاجينا سنة 2007 من إصدار طعة مائة لرواية مئة عام من العزلة تزامناً مع الذكرى الأربعين لصدورها، والذكرى الثمانين لذكرى ميلاد عارسيا ماركير. فهو أولاً عكري إسباني وأميركي لاتيني أيضاً. من إن عدداً من النقاد قاربوا الرواية الكولومبية بدون كيخوته. الرائعة التي سبقتها، وأكدوا أنها اكسبت، وسظل، الأهمية على مدى المستقبل المظور، أهمية للأميركيين اللاتينيين توازي الأهمية التي اكتسبها كتاب ثيرباتنس، للإنسان أولاً، ثم للأميركيين الإنسان ثانياً مما لا ريب فيه أن هناك من سيعترض. لكن ماداً واحداً ظل غير معجب بعارسيا ماركير صرح بعد مدة قصيرة، وهو يبحث إلى استخدام القياس المنتمي إلى القرن العشرين، بقوله إن رواية مئة عام من العزلة جرت في "الحمص البوي" لثعافه أميركا اللاتينية ولم تعد تعصل عنها منذ صدورها أول مرة عام 1967⁽⁴⁾.

لقد استعور غارسيا ماركيز، شأنه شأن ثيرباتنس، أحلام شخصياته وأوهامها، وهي أحلام إسبانيا وأوهامها في مرحلة تاريخية معينة إبان حقبتها الاستعمارية الكبرى لتصبح، بشكل مختلف، أحلام أميركا اللاتينية وأوهامها بعد الاستقلال كما أنه ابتكر، أيضاً مثل ثيرباتنس، حالة أو مراجعاً من شعوراً بالفكاهة يمكن التعرف إليه مباشرة، وهو في حال ظهوره يبدو وكأنه حاصر دائماً وأنه جزء لا يتجزأ من العالم الذي يعود إليه.

في نيسان 1948 كان غارسيا ماركيز قد هرب من بوغوتا وسافر إلى كارتاجينا للمرة الأولى في حياته. في تلك المدة التي ترقى إلى حقبة الاستعمار، الخمسينية، وإن كاتب بالسة تعيش مرحلة انحطاطها، النقي لرئيس التحرير كليمت ماسريل ثاسالا ودعاه إلى أن يصبح صحافياً في صحيفة أُسست حديثاً بالاسم: الأوفيرسال، الذي ربما كان اسماً مناسباً. وفي العشرين من أيار سنة 1948 حظي القادم الجديد بالترحاب على صفحات بيته الأدبي الجديد. وفي الحادي والعشرين من أيار، أي بعد ثلاثين يوماً وخمسين عاماً على قيام شخص يدعى ميسيل دي ثيرباتنس بكتابة رسالة إلى ملك إسبانيا يطلب فيها وظيفة خارج البلاد "ربما في كارتاجينا". ظهرت المقالة الأولى لقادم الجديد إلى ديار الصحافة⁽⁵⁾. إلا أن ثيرباتنس لم يسافر إلى كارتاجينا مثلما لم يسافر إلى أي بقعة من بقاع جحر الهند، بل لم يشاهد العالم الجديد، وإن كان قد قرر أن يساعد في إنتاج عالم جديد أرحب - عالم الحداثة الغربية - في كتبه، وستسافر تلك الكتب إلى القارة الجديدة بالرغم من الحظر الذي فرضته إسبانيا ضد الإتيار بالروايات وكتابتها في المناطق المكتشفة حديثاً. وفي نيسان سنة 2007، وترامياً مع مؤتمر الأكاديمية الملكية الثالث في كارتاجينا ووصول ملك وملكة إسبانيا إليها، نُصب تمثال جديد لثيرباتنس في واجهة المرفأ الاستعماري القديم.

لقد ظل ثيرباتنس طوال حياته محبباً، لا نجد من يقرّره حق قدره. أما غارسيا ماركيز، ومع اقتراب ذكرى ميلاده الثمانين، فكان واحداً من أشهر الأدباء قطبة على وجه الأرض، ونجحاً مشهوراً قلماً كان في وسعه أن يحقق شهرة وتقديراً أكبر في قارته لو أنه أصبح لاعب كرة قدم أو مغنياً لقد كانت المؤسسة الإسبانية العالمية

تخطيط محله وهو على قيد الحياة. ذلك النمط من التقدير الذي لم يكتسبه سوى ثيرباتس، (ويبدأ رويداً وعلى مدى قرون من الزمان، بعد وفاته، عدم فار عارسيه ماركيسر بجائزة نوبل سنة 1982 استمرت احتفالات التغطية الصحافية للحدث في أميركا اللاتينية سبعة أسابيع منذ اللحظة التي أديع فيها ساء موره في تشرين الأول، وحتى اللحظة التي سلمه فيها ملك السويد الجائزة في شهر كانون الأول. وعدد بلغ من الأسابيع سنة 1997، استمرت الاحتمالات أسبوعاً كاملاً في شهر آذار، رافقتها تقارير إخبارية متواصلة في الصحافة، ثم أسبوعاً آخر في شهر أيلول عدم جرى الاحتمال في واشنطن بالذكرى الخمسين لصدور أول قصة قصيره له، ومب احتفال أقامه الأمين العام لمنظمة الدول الأمريكية وزيارة إلى البيت الأبيض لرؤية صديقه بيل كلنتون. اليوم يوشك أن يحتفل عارسيه ماركيسر بالذكرى ميلاده الثمانين، وبالذكرى استين لظهوره عساً كاتباً، وبالذكرى الأربعين لشر روايه منه عام من العزلة، وبالذكرى الخامسة والعشرين لتسميه جائزة نوبل. وقد بدأ أصلقاؤه والمعجورون به يخططون لاحتمالات تمتد ثمانية أسابيع في شهري آذار وسن 2007 لتضاهي تلك الأسابيع السبعة التي لا تُسى من سنه 1982.

اتخذت خطوات عديدة لتحويل عارسيه ماركيسر إلى نصب حي. فقد عمد الصحافي هيربيرتو فيرويلو من بلدة بارانكا إلى تحويل مشرب ومطعم "الكهف" الذي كان مرتع جماعة بارانكا لعدم إلى متحف من جهة، وإلى مشرب ومطعم من جهة أخرى وجاءت قرارات لإعادة تسمية لمدة اراكاناك إلى اراكاناكا ماكوسو على عرار مسقط رأس تروست. لكن لسوء الحظ، لم يشارك عدد كبير من سكان البلدة في الاستفتاء على إعادة التسمية، وانهار المقترح بالرغم من أن معظم الأهالي بلوا موافقين عليه. واليوم، وافقت السلطات المحلية والقومية على تحويل مسكن غارسيه ماركيسر القديم في اراكاناكا الذي ولد فيه إلى منطقة سياحية كبرى؛ وإن كان قد أصبح قبل الآن متحفاً متداعياً لكنه معمم بالذكريات، وتقرر هدم البيت القديم وإعادة بناء بيت اخر على أسس مدروسة بعناية.

وهكذا حل شهر آذار سنه 2007، وحضر مهر حال كارتاجيا اسسماني السوي لغارسيه ماركيسر. وكانت كوبا البلد الذي ركزت عليه الأصواء على نحو

ملائكم تماماً (وسيجل غارسيا ماركير كاتباً رئيساً على معرض يوعونا للكتاب في الملحظة نفسها التي بدأت فيها كروبوميا تحمل لقب "لعاصمة للدولة لكتاب" وعلى مدى عام كامل. دوائر متداخلة، كل شيء يتزامن كما في حلم). عرّض معظم الأفلام المستوحاة من مؤلفات غارسيا ماركير، وحضر عدد كبير من مخزجيها، من صممهم فيرناندو بيري، وميجيل ليتين، وحلتي هيرموسينو، وجورخه عني نرنا، والميساندرو دو كسي. لكن غارسيا لم يحضر المهرجان بالرغم من أن ذكرى مولده صادفت خلال انعقاد المهرجان. ولما سُئل عن السبب ردّ قائلاً: "لم يوجّه إليّ أحد دعوة". وم تكن هذه واحدة من أنجح مكاته. لكن كيف يمكن ألاّ يسامح على هذا؟ فهي السادس من آذار، أقيم احتفال بذكرى ميلاده رافقه أعالي الفلبينانو في أقيم فندق في كارناخينا، وقد أطلق على الفندق اسم مناسب تماماً هو فندق العرايم، من دون أن يتحضر النصف الرئيس الذي احتفل احتفالاً أكثر هدوءاً مع أسرته في مكان آخر. لكن التوتر بدأ يزداد بعد هذا كله. فقد حملت المصنقات الإعلامية احتفالية الأكاديمية الملكية المعروفة بالإسبانية بالاسم Congreso de la Tongue أي مؤتمر اللغة أو اللسان، صورة غارسيا ماركير صيف شرف المؤتمر، بحسب المصنقات، وقد أخرج لسانه في وجه المشاهد. مما لا ريب فيه أن هذا الإقرار بروح الدعاية التي اشتهر به الأديب المعروف، كانت تهدف إلى الإشارة إلى أن الأكاديمية نفسها لديها روح الدعاية، لكن حتى لو كان ذلك صحيحاً، فإن المشكوك فيه أن تمتد تلك الروح إلى احتمال فشل الضيف الشهير في الحضور إلى الاحتمال الذي حرصوا على إعداده له حرصاً شديداً.

وفي أواسط الشهر، أقيم فعالة أخرى في كارناخينا، وهي الاجتماع السنوي لرابطة الصحافة للدون الأميركية. وكان هناك صيفاً شرف اتنايل عيس، قطب صناعة الحاسوب الذي كان أعني أعياء العالم (بالرغم من أن صديق غارسيا ماركير الملياردير كارنوس سليم حلّ محله بعد بضعة أشهر) وعاريل غارسيا ماركير نفسه، الذي وعد بالحصور وإن لم يكن راغباً في إلقاء كلمة. وقد حصر في اليوم الأخير، لكن ظهوره كان، كمهله، حدثاً مثيراً دفع على الفور يكن المشاركين الآخرين إلى منطقة الظل. كانت لحظة عظيمة لحايي أيلو مدير مؤسسة

الصحافة التابعة لعارسيا ماركيز، ولجاني الآخر، شقيق عارسيا ماركيز الذي أصبح اليوم مساعد المدير. كما كانت لحظة تاريخية للأكاديمية الإسبانية التي تمكنت هي وكولومبيا بمرمتها من نفس الصعداء سرًا.

أفاد شهود عيان أن عابو بدأ بصحة جيدة. وبالرغم من تردده وحيرته، إلا أنه كان رائع المراح، وفي أحسن حال. وعلى عكس تقديراتي في السنة الماضية، بدأ وقد تمكن من أن يحسن حالته مستقرة، وعزم على مواجهة المرض والجمهور - من دون مقابلات صحفية - بكل التفاؤل والبسالة الذين كان يُشهد له بهما في أوقات أكثر مدعاة للراحة. كان الأصدقاء والمعجبون يتقاطرون من جميع أنحاء العالم إلى كارثاخيا، إضافة إلى مئات اللسانيين وغيرهم من الأكاديميين الذين كانوا يحضرون مؤتمر الأكاديمية الملكية. وأقيمت حملات موسيقية كبرى حضرها بحوم الغناء العالمي، وشتمت أيضاً على عروض أقل شأنًا لأغاني الغالياتو، ووفرة من المعالجات الأدبية، وعدد كبير من النشاطات لأخرى على هامش المؤتمر. كان الصقس رائعًا. وكما أقدمت الأكاديمية قبل ثلاثة أعوام على إنتاج طبعة فاحرة من رواية دون كيشوته لتوزعها خلال انعقاد المؤتمر السابق، فقد أصدرت طبعتها النقدية الجديدة من رواية مئة عام من العزلة. ومما لا يبعث على الدهشة أن الطبعة احتوت، من بين ما احتوت عليه، على مقالتي كتبهما أفضل أديبين من أصدقائه وهما أليارو موتيس وكارلوس فويتس. ومما جعل لخصريين يتجادلون أطراف الحديث احتواء الكتاب على مقالة طويلة كتبها - من دون اناس جمعاً - ماريو فارغاس يوسا. هل حدثت مصالحة؟ هذا أكيد، لأن أي مقالة نشرت في هذا الكتاب كان لا بد من أخذ موافقة كلا الرجلين. بالرغم من عدم معرفة شعور ميرثيديس بشأن مثل هذه الموافقة.

أقام حوليو ماريو ساشو دومسغو، أعني رجل أعمال وأكثرهم نفوذاً في كولومبيا، والمالك الحالي لصحيفة الاسكتادور، احتفالاً خاصاً قبل موعد افتتاح المؤتمر ببضعة أيام - وهو أشبه باحتفال ذكرى ميلاد متأخر - كان صيف الشرف فيه عابو وميرثيديس، وقد أقيم في الطابق العلوي من فندق آخر من فنادق كارثاخيا الراقية - وهو الفندق الذي سيحل فيه كل من ملكة وإسبانيا في

الأسبوع التالي - وكان من بين الصيوف كارلوس فويتس، وبرماس إيوي مارتيت، ورئيس جمهورية كولومبيا السابق باسترانا، وجون لي أندرسون من مجلة ذا نيويورك الذي جاء مباشرة من حرب العراق، ونائب رئيس جمهورية بيكاراغوا، السابق والرئيسي سرجيو راميريث، وعدد كبير من الشخصيات من بوغوتا وكارتاجينا وباريكيا على وجه الخصوص. وتناول الجميع المشروبات، قبل صلات أعمالي العالينانو في عمق الليل. ولمس رواد الاحتمال في اميرات والشرفات بالسؤال الكبير: هل يا ترى سيلقي غابو كلمة في الاحتمال لتكرمه في اليوم الأول من المؤتمر؟ وإذا لمي ..

وهل اليوم العظيم: السادس والعشرون من اذار سنة 2007. نوافذ بضعة الآف من الناس إلى مركز المؤتمرات بكارثاجيا الذي شيد على موضع اعتاد عرسيا ماركر أن يأكل ويشرب فيه في وقت متأخر من اسل بعد عمله في صحيفة الأوبيرسال في 1948 و 1949.⁽⁶⁾ وحضر عدد كبير من أصدقائه ومعظم أفراد أسرته. وإن لم يحضر أناؤه، ورؤساء الجمهورية السابقين باستران وعافيريا ويا للهنسة سامير، ورئيس الجمهورية اساق بيتاكور الذي مياحد محه على المنصة مع بقية المتحدثين ومهم رئيس الجمهورية الحالي ألفارو أوريبسي. كان النهار حاراً حائفاً. ومع ذلك، فإن معظم الرجال كانوا يلبسون بذلات سوداء على طراز بوغوتا وكان من المتوقع أن يلقي كارلوس فويتس، اكرتم أبدأ، كلمة تاء خاصة بحسن صديقه. كما كان مقرراً أن يلقي توماس إيلوي مارتيت كلمة بعد أن تاتش للشفاء من ورم دماغي، وكذلك مدير الأكاديمية الملكية هكتور عارسيا دي لا كوتشلا والمدير السابق للمعهد ثيرناس في نيويورك أطلوبو ميوت موليا، ورئيس جمهورية كولومبيا، وملك إسبانيا وكسك عارسيا ماركر.

عندما دلف عارسيا ماركر وميرثديس، محص جميع الحاضرين ووقفوا على أقدامهم وصفقوا عدة دقائق. هذا سعباً ومطمئناً. واتصمت على المقاعد التي رصت على المنصة بمجموعتان: عارسيا ماركر وبطانته (ميرثديس وكارلوس فويتس ووزير الثقافة الكولومبي ألفيرا كيردو دي حارامير)، وبطانة الأكاديمية على الجانب الآخر من خشية المسرح. ولم يصدق جمهور الحاضرين أن الخط أتي بهم إلى هنا.

وروضت شاشة هائلة وراء الأبطال أظهرت وصول ملك وملكة إسبانيا دون خوان كارلوس ودون صوفيا، وشوهدا وهما يرتقيان السلام ويمحطوان على امتداد ممرات مبنى المركز الضخم حتى أُعلن عن دخولهما قاعة المبنى.

ثمة كلمات عديدة أقيمت، ومنها كلمة الملك، معظمها أكثر إثارة مما تتطلبه مثل هذه المناسبات. وكانت الكلمة الأبرز لغارسيا دي لا كوتش الذي كان مهمته تصليح النسخة الأولى من مجلة عام من العزلة بطبعة الأكاديمية الملكية إلى غارسيا ماركيز⁽⁷⁾، وبعد أن استأذن الملك خوان كارلوس، كشف عن سر، وهو أن الأكاديمية فكرت في بادئ الأمر في فكرة تكريم غارسيا ماركيز في هذا المؤتمر، لذا فإن غارسيا دي لا كوتشا طلب من الأديب لإذن كي تقيم الأكاديمية هذه المعالية، فما كان من غارسيا ماركيز إلا أن قال آنذاك إنه يوافق، لكن "الشخص الذي أريد أن ألقاه هو الملك". وفي المرة الثانية التي شاهد فيها غارسيا ماركيز خوان كارلوس، أرسل الرسالة بنفسه: "أنت يا ملئ، عليك الحضور إلى كارثاجينا". وهنا نست هذه الحكاية في صحبة جماعية مدوية تتألف من عدة مكونات اعتماداً على تفسير كل شخص من جهة، وعلى هوية المستمع إذ كان إسبانياً أو أميركياً لاتينياً، ميكياً أو جمهورياً، اشتراكياً أو محافظاً - أعقها وقوف الحاضرين وقفة مطولة ألم يكن هذا الأمر كي اللاتيني يعرف موقعه؟ الأسوأ، هل تراه لم يعرف كيف يخاطب ميكاً؟ أو، وهذا هو الأسوأ: أترأه كان يشعر أنه أرفع شأنًا من ملك إسبانيا وهذا تكلم معه من موقع أعلى؟ تباه أولئك القريبون من المصصة إلى أن غارسيا ماركيز اقترب من الملك وصاحبه وحياء تحية طالب أميركي لاتيني - بالتعاف إلهام رجل حول إلهام الرجل الآخر - كأنه ند له لقد حسر ال بوربون أميركا اللاتينية في مطلع القرن التاسع عشر؛ وآل بذل خوان كارلوس قصارى جهده كي يقدم ترصية أو تعويضاً دبلوماسياً واقتصادياً

كانت أشد اللحظات إثارة للعارفين هي بداية غارسيا ماركيز خطابه. استهل كلمته متلعثماً في بادئ الأمر، وارتبت في جملة الأولى، لكنه سرعان ما انطلق بعد ذلك في الحديث من دون تردد كان خطابه أكثر من حطاب. إنه ذكريات عاطفية عرس الأيام التي أمضاها في لمكسك حيث عاش برفقة ميريديس في فقر مؤملاً أن

بحقق نجاحاً باهراً في يوم ما، وينشر لكتاب الذي سيصبح أكثر الكتب رواجاً. إنه قصة من قصص الحوريات الصادقة "لا أزال عاجزاً عن التعلب على دهشتي بأن كل هذا حدث لي" - وشعر الجمهور أيضاً أنها كانت رسالة شكر وعرفان للرفيقة التي رافقته خلال تلك الأرملة الصعبة وغيرها من الأرملة، في السراء والضراء، على مدى نصف قرن من الزمن الماضي. بدت ميرثيديس وحلة، مكنتة، وبصرعت أن يختار الرجل هذا التحدي أيضاً بعد أن اجتاز تحديات كثيرة. واجتازه، وأهمي كلمته بقصته عندما ذهب إلى دائرة البريد لإرسال نصف المخطوطة من مدينة مكسيكو إلى بوسنس آيرس عام 1966 لأهمها كان أوفر من أن يتمكنا من إرسالها كاملة⁽⁸⁾. واستغرقت وقفة الحاضرين التي حثت إثر احتتام كلمته عدة دقائق

قبل ذلك بوقت قصير، وفي عصم الإجراءات السائدة، أصيب المحصورون في القاعة بالذهول عندما أعلن عن بيا آخر: "سيداتي سادتي، وصل السيد ولیم كلتون رئيس الولايات المتحدة السابق إلى المدينة". فهضر الجمهور، فيما شق أشهر رجل على وجه الأرض طريقه نحو مقدمة القاعة. ملكت إسانيا وحمنة رؤساء جمهورية كولومبيا، والان الرئيس السابق الأكثر شعبية لأقوى دولة في العالم؛ وكر بعض المراهبين أن الحمون الوحيديين الغائبين هما فيدل كاسرو، المريض في كوبا، والباب في روما. اتضح مره أخرى أن السلطة - إن كان عارسيا ماركر مهووساً بها، أو معتمداً - تجذب إليه باستمرار وبغناد. لقد ظل الأدب والسياسة هما الطريقتين الأكثر فعالية في تحقيق الخلود في العالم الزائل الذي أمتحته المدينة العربية هذا الكوكب. إن قليلاً من الناس يعتقدون أن المجد السياسي أكثر دعومة من المجد الذي يتحقق عن طريق تأليف كتب مشهورة

* * *

تمكنا من أن نحظى بأقصر حديث قبل معادرتي كارثائحياء، وكان هدية أشياء كثيرة.

فت:

- يا لها من مناسبة رائعة يا عذو.

قال:

- أليس كذلك؟

قلت:

- أتدري؟ عدد كبير من الناس كانوا ييكون من حولي.

قال

- وأنا أيضاً بكيْتُ، يكيُّ في أعماقي.

قلت:

- حسناً، أعرف أنني لم أنسى هذه المناسبة.

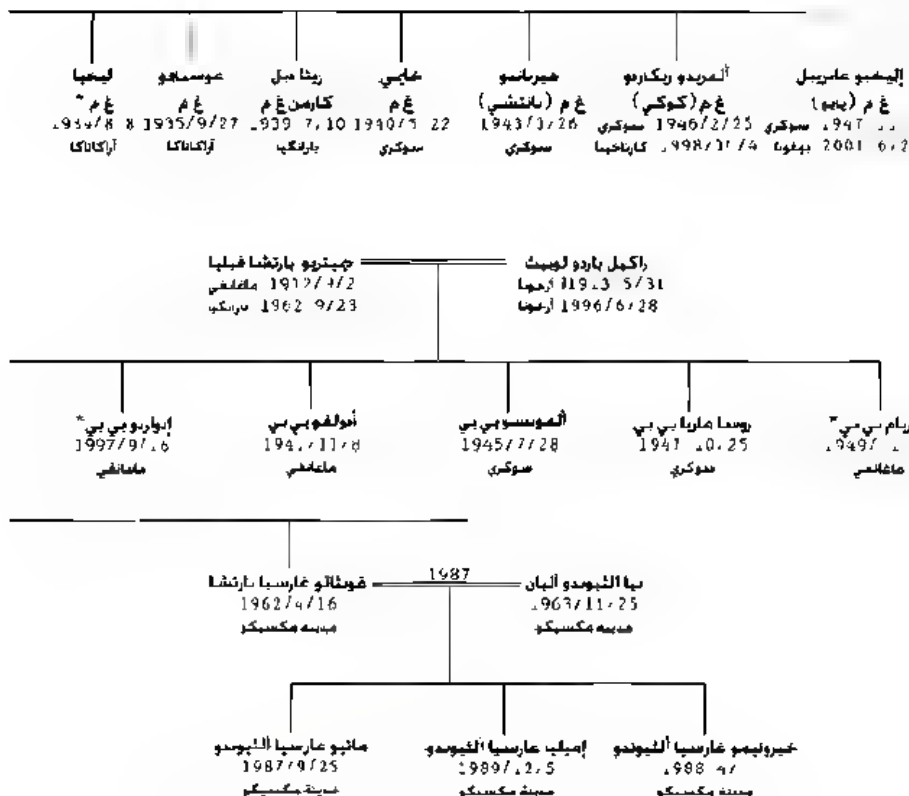
قال

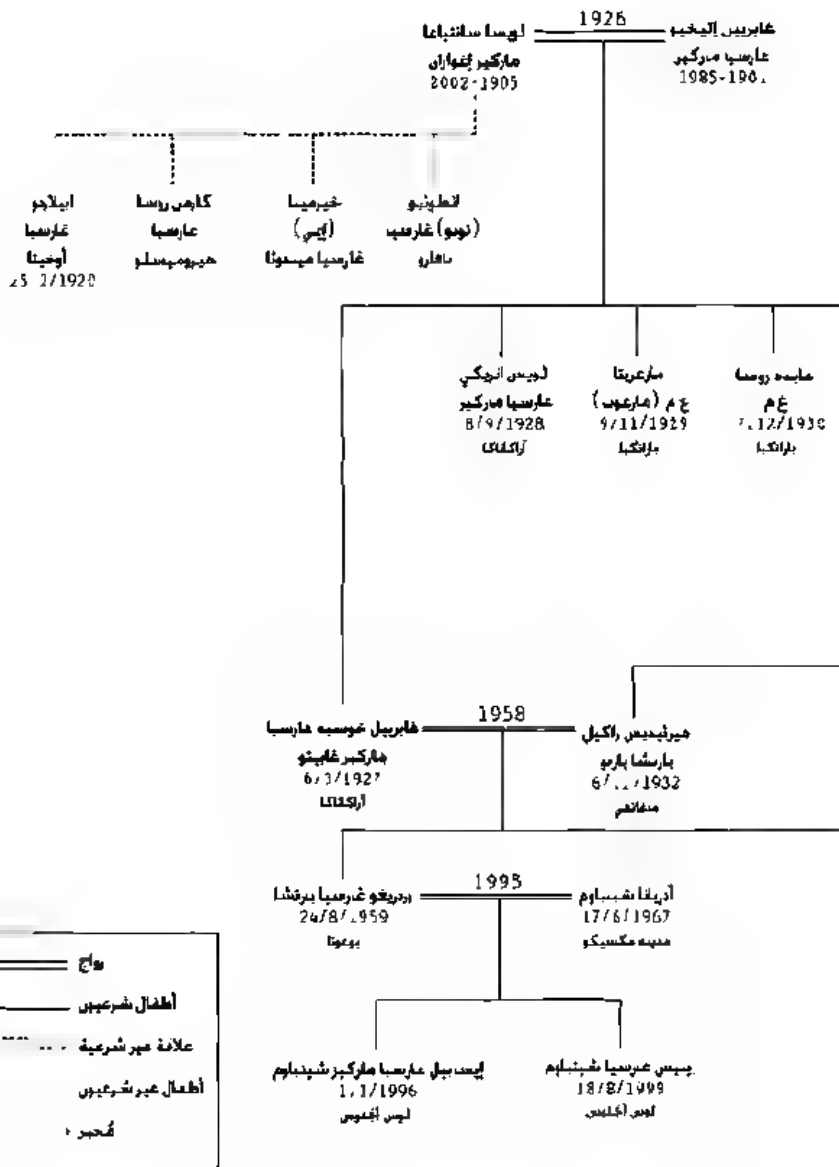
حسناً. شيء جميل أنك كنت حاضراً فيها كي تحرر الناس أما لم يعرفك

القصة

* * *

أسرتا غارسیا مارکیز (غ م) وبارتشا باردو (بی بی)





أسرة غارسيا مارتينيث

سوفيا مارتينيث 840 - لياندرو وغارسيا بينارس 830 - مونتس

1

ريسانا سيني سيني غابرييل مارتينيث (غارديو) 1872 سيني

ليتشيا
مارتينيث
ميثا

باليديو بابلو
مارتينيث
ميثا

ارثالب
مارتينيث
ميثا

فيرمونييس
سول مارتينيث
ميثا

غارسيد
مارتينيث
ميثا

935 -

كارلوس مارتينيث
سبحاهان

ريخايل لوسوريو
مارتينيث *

يدير غارسميا صارتكيز شورويون
لداغر القصد لأول من ضمن التاسع عشر
صهره اصماتها

ماريا دي لويس انجيليس : امپراتور غارسميا
بازينيا بونيفاتيانكي
1853 ميمينيلير
1834 كليمو (موكيري)

أرخيميرا غارسميا باتريما
887 م كليمو 1950 مميني

غابرييل اليخيو غارسميا مارتينيت
901 م مميني 1984 كراتاجيا

لويس إتركي
غارسميا

بيتا
غارسميا

جوليو
غارسميا

إيميركسميتا
غارسميا

أمان وخالو
غارسميا

أليسا
غارسميا

- زواج
- أعمال شرعيون
- علاقة غير شرعية
- أطفال غير شرعيين
- كخير

افعال اومستين
 كوتيس الكثيرين
 (ومهم بيترا)
 كوتيس، اسمه تراكيبيا
 غير الفقيه
 ورجلون أسرة غارديا
 حاكم بكنسولو
 راجدو تيرة
 والفرد لويت
 كينسكيتين
 وميسيد
 لراكسكو
 سوكراس
 ميتس كيتس
 ووت ايت كوتس

بلاسی اغولان
18(5) ریهاتشا

روسیا انطربیا
إغواران هیرتلدیت
78127

أومعصطین کوٹیس
(اُم سلغستری)
B23 ۛ فوہسٹک

نيگولاھن ريکارڊو
مارڪيٽ ميخيا
864 نومبر
1937 سال

— **مړتګلیا**
 إغودلی کوتیس
 ۱۸۶۳ زومانشا
 ۱۹۴۷ سوګی

روسا املوڻا
اغواران گوتهس

اعوان كوئيس

خولی دی ہوس
مارگہز اٹھولان
1944 1945
بہشت (میں کھائیں)

ماركيزا مينياتا
ماركيزا اغواران
1910 1884

لويس سانتياغا
ماركيز اغواران
1903 پيرانكاس-
2002 كراتشي

مارشیرنا مارکیز کاہیرو
1936

الفهره كاهه
(الفهه به بهاسطه
مهاره مانويلا كاهه)

تیگولائن
غومیٹ
ریواسٹڈ
ایبیا غومیٹ

نہایت ہی قوی ہوگا
؟ یوں سمجھو
(جیسے ہی سوچتے)

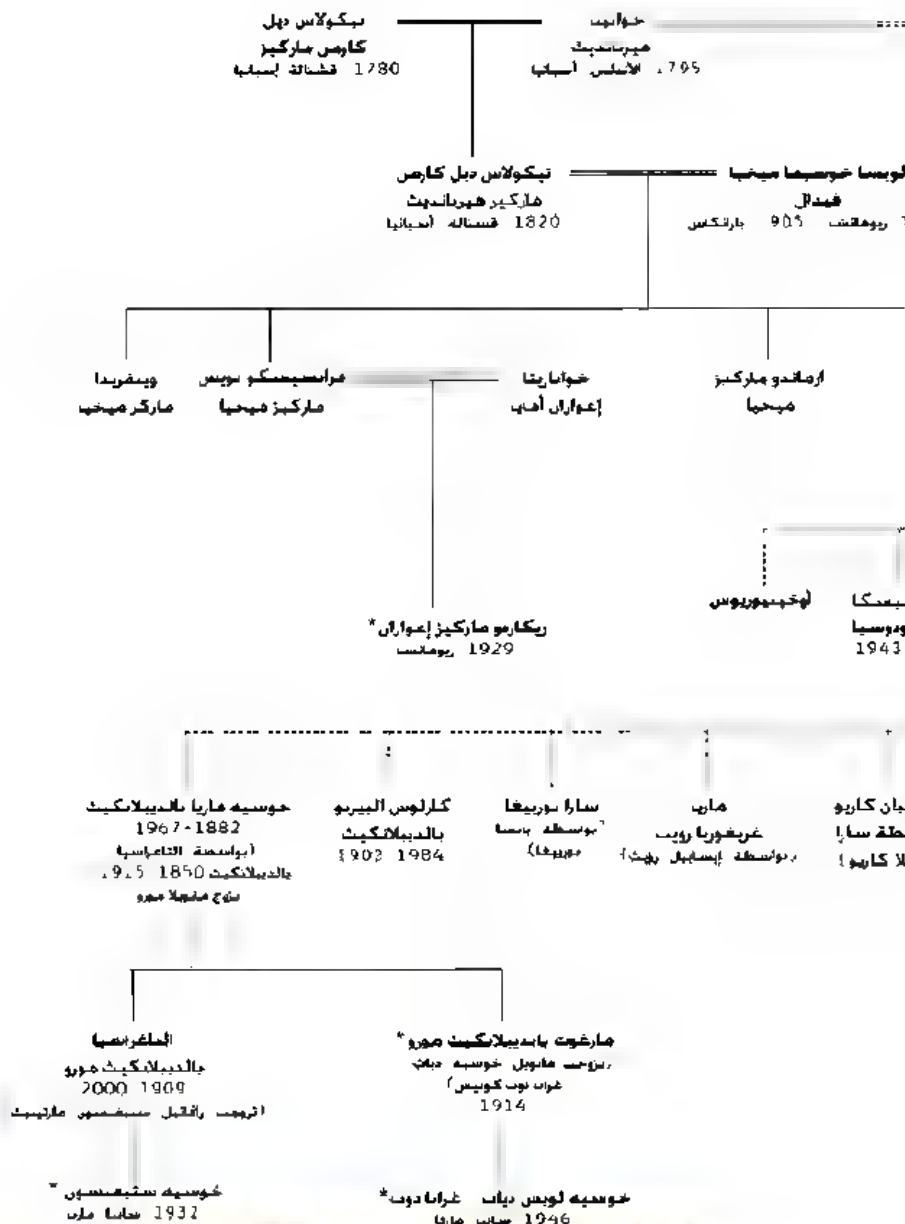
بھارتیہ اور اس
میں

آخری

أوسكار الأكون *

أخبار

أسرة ماركيز إغواران



ملاحظات

مقدمة المترجم

1. كاتب أميركي له روايات امارت بانواقية منها لمن تقويع الأجراس، حاز جائزة نوبل عام 1954
2. روائي أميركي ولد في ميو ألابي عاى مسكلات الإنسان في جويى الولايات المتحدة. تيمر أسنونه بالرمزية والتحليل العمى. من رواياته الصخب والعنف، معبد، نورآب، حار جائزة نوبل عام 1949
3. أدبى وناقد فرسى استوحى أعماله القديس من التراث العربى للألفية والتحليل النفسى وعدم لإسلاء، من كتبه درحة الصف للكتابة وإمبراطورية العلامات ولدة النص.
4. شاعر وروائى غواتيمالى عاى مشكلات بلاده الاجتماعية و'حيا تراثها التاريخى. له 'سطر غواتيمالا واسيد الرئيس حار جائزة نوبل سنة 1967.

مقدمة المؤلف

1. جويس جيمس روائي بربرى. يعبر أحد أعظم الروائى العالمى وأحد أبرز ممثلى الرواية العسية، شهر آثاره بوليسيز
2. روائى فرسى يعد أحد أبرز ممثلى الرواية العسية. أشهر آثاره سباعية دعاها بحثاً عن لزمن المفقود.
3. روائي نمساوى تيمر آثاره بنصير قلب الإنسان الحديث ومحاولة البحث عنها عن طريق للحلاص.
4. روائى بكليرة عرفت بسرورها، هى خروج على عمود التقيد في كتابة الرواية، أصبت باضطراب عقلى فاشترت.
5. روائى بكلبرى يعبر بإجماع القاد أعظم الروائى الإنكىر بلا أسماء، تيمر أسنونه بالعبارة السريعة والسخرية اللادعة. وقد صور في رواياته جانباً من حياة الفراء والمعرض
6. شاعر وروائى وكاتب مسرحى فرسى. اعتقد بقدرة الإنسان على بلوغ الكمال، أشهر آثاره رواية اليوساء.

(*) تجاور عدد صفحات لسيرة الألفين، والهوامش الستة آلاف عندما أدركت في غاية الخطاف أنني ربما لن أفرغ من هذا المشروع. أما هذه السيرة التي أصمها في تناول القراء فهي نسخة مققحة عن سيرة أطول بكثير، فرغت من كتابتها تقريباً، وأريد نشرها بعد مرور بضع سنوات، إذا ما رأيت بها الحياة. لكن يبدو من المعلوم تأخير تلك المهمة الصعبة والعمل على استخلاص كشوفاتي والمعلومات التي حصلت عليها في عطف سردي موجز ومحكم نسباً، في حين أن موضوع هذا الكتاب، الذي ينص رجلاً تجاور النمانين من عمره اليوم، لا يزال حي وفي موقع يمكنه من قرأته. (لؤلؤف)

تمهيد: من أصول مفصورة 1800-1899:

1. يسد هذا القسم من الكتاب، بالرغم من أسلوبه الأدبي، اسددةً ماضراً إلى أحاديث مع لويلا سانتياغا ماركيز في كارثاجيا عام 1991 وفي بارانكيا عام 1993، وعليه ذكرت غابريل غارسيا ماركيز وأخيه مارغريتا التي سشير إليها من الآن تصاعداً بالاسم مارغوت.
2. نشأت هذه المقدمة والفصول الثلاثة القادمة على أحاديث مع جميع أفراد أسره غارسيا ماركيز وعدد كبير من أفراد الأسرة المصدين في السنوات 1991-2008، إضافة إلى العديد من الرحلات حول لساحل الكولومبي وذلك من بلدة سوكرى إلى بلدة ريودنشا وما خلفها، وبعض هذه الأحاديث مع أخوة غابريل غارسيا ماركيز وكاد من أدق من رودني بالمعلومات ليحب غارسيا ماركيز، من طائفة أمورسون، التي رأيت أن واجها يمثل بالبحث في تاريخ أسرتها (وأنا مدين لها بإعداد شجرة العائلة)؛ ومارغوت بالسيلايكيت دي ديث - غرانادوس التي أمضت وقتاً طويلاً في منزل جده العفد ماركيز في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين؛ وريكاردو ماركيز إغوران الذي رودني في عامي 1993 و2008 معلومات قيمة عن تفرع لأسرة في منطقة عوخوا؛ ورافائيل أوسوريو مارست الذي رودني بفهم عميق عام 2007 عن جذور أسرة غابريل إلبير غارسيا في بلدة سيني. أما غابريل غارسيا ماركيز نفسه فلم يكن يملك سوى معلومات عامة إلى حد ما عن تفاصيل تاريخ هذه الأسرة، لكن فهمه لثة النحنة وفعالية عامصة الأسباب مذهش، وتشكل قصص أقرباء عديد، ملعوبين كانوا أم ماركيز، راهية حياتهم كانت أم مثيرة مصعة بالأحداث، أسس هذا لاستهلال القصصي. على وجه العموم، إن كاتب سيرة غابريل غارسيا ماركيز يعتمد أيضاً على استغ اغتباطية من المعلومات تظهر في الصحافة الكولومبية بين حين وآخر. إن كب السيرة الوحيدة التي صدرت سابقاً هي كتاب: Garcia Marquez: la soledad y la Gloria لمؤلفه أوسكار كولاثوس (مرشولة، ثلاثي خايت 1983) وهو كتاب مفيد ولكنه مختصر. أما لكتاب الأهم عن حياة غابريل غارسيا ماركيز حتى سنة 1967 فهو كتاب Garcia Marquez: el viaje a la semilla. La biografia لمؤلفه داسو سالدبار؛ مدريد الفاعايوا، 1997): وأهم ما في هذا الكتاب المعلومات التي يوفرها عن جذور أسرة غابريل غارسيا ماركيز من جهة الأب والأم وعن طفولته وأيام درسه في

اندروسة لكس من الناحية التاريخية تعد الدراسة السيرة الأولى عن سونه هي تلك التي كتبها ماريو فارغاس يوسا بعنوان *Garcia Marquez: historia de un decidio* (برشلونة، بارال، 1971)، وهو كتاب في النقد الأدبي أيضاً. لكن بالرغم من أن الحقائق الواردة فيه لا يعتمد عليها، إلا أنه يحتوي على إشرافات لأن معظم معلومات فارغاس يوسا مصدرها المباشر هو غابرييل غارسيا ماركيز في ستينيات القرن العشرين. ومن الكتب ذات الأهمية الموازية لما أوردناه آنفاً، هو الكتاب الذي ألّفه إليجو غارسيا وهو شقيق غابرييل غارسيا ماركيز وكان بعنوان:

Tras las claves de Melquiades: Historia de "Cien anos de soledad" (بوغوتا، سورما، 2001). أما التأملات في سيرة غابرييل غارسيا ماركيز التي نشرت قبل مذكراته الجمعية وين كانت غير دقيقة في كدبه عشت لأرووي (لند جوماتان كيب، 1993) وصدرها بصورة "الحياة ليست هي ما عاشه المرء، بل هي ما يتذكره، وكيف يتذكره لوروي من جديد، فهي تلك الواردة في كتاب *The Fragrance of Guava* لمؤلفه بليسي أوليو ميندوتا (لند، فير، 1988). كما أن الأعمدة الأسوعية التي كتبها غابرييل غارسيا ماركيز ونشرها في صحيفة الاسكتادور (بوغوتا) وصحيفة الباس (منريد) بين 1980 و1984 فهي، بحملها، عية بالمعومات والإضاءات. إن كتاب ميندوتا *عطر الغواصة* وكتاب غابرييل غارسيا ماركيز *عشت لأرووي* هما الكتابان الأساسيان في سيرة غابرييل غارسيا ماركيز باللغة الإنكليزية، وهناك كتاب مهمان آخران هما:

1. *Gabriel Garcia Marquez: Writer of Colombia* لمؤلفه ستيفن ميتا (لند، جوماتان كيب، 1987) وكتاب *Garcia Marquez. The Man and His Work* مؤلفه جين بيل - ييلادا (تشابل هيل، مطبعة جامعة كارولينا الشمالية، 1990). ويمكن الاطلاع على تحليلات في النقد الأدبي في القسم الخاص بمصادر الكتاب (لا سيما كتابي بيل وودود).
2. في موضوع "الأبناء الضيعيون"، انظر. "Telepatia sin hilos" في صحيفة الاسكتادور (بوغوتا) 23 تشرين الثاني 1980. انظر شجرة العائلة في المحقق الخاص بها من هذا الكتاب لتلاحظ الأسلوب الذي بشر به رواية مئة عام من العزلة إلى تريح أسرة غارسيا ماركيز مارتست وماركيز إغواراك، من حيث العلاقات الشرعية وغير الشرعية.
3. الكريولي شخص أبين متحدر من سراء بعض الولايات المتحدة الأمريكية الفرنسيين أو الإنسان الأولين ولكنه لا يزال يحتفظ بلعته وثقافته الأصلين.
4. انظر كتاب *غيرمو هينريكيث توريس* الموسوم:

El misterio de los Buendia el verdadero trasfondo historico de Cien anos de soledad. (بوغوتا، بيما أميركا/2003، الصعة الثانية المنقحة 2006)، إذ يعتمد هينريكيث، وهو مواطن من تيماغا، أن أسرة بوينديا الوارد ذكرها في رواية مئة عام من العزلة تستند إلى أسرته هو شخصياً، هينريكيث، المسخرة أصلاً من جدور بصلف من اليهود المهاجرين من أمستردام إلى منطقة البحر الكاريبي. وبالرغم من أن عدداً هليلاً جداً من القراء سيصدق ما يقوله هينريكيث، إلا أن كتاب يومر معلومات قيمة عن الإطار العام والأجواء التي تدور فيها أحداث مئة عام من العزلة.

6. انظر كتاب عشق لأروني بعابرييل غارسيا ماركيير (الطبعة الإنكليزية) ص 66 و 67 حيث نجد تفسيراً مستقفاً عن هذه المرحلة، ولم يوثق أي من "الأعمال الصبغية" لنيكولاس ماركيير اسمه، من بعدهم يحملون شهرة أهم.
7. مقابلة، بارانكاس، 1993.
8. أوضح حوسيه لويس ديثا - غرنادوس صلاته بعابرييل غارسيا ماركيير عندما التقته لأول مرة في بوغوتا سنة 1991 حيث قال: "عندما كان العقد ماركيير في الثامنة عشرة من عمره كان قد ررق بولد ذكر من الثاغراسيا بالديلاكيت واسمه حوسيه ماري، وقد حمل لقب أسره أمه بالديلاكيت: وهو والد أمي. وفي وقت لاحق، تزوج العقيد ماركيير ترانكليليا إغوران كوتيس وهي عمة أسي مانويل حوسيه ديثا - غرنادوس كوتيس، ونجت له ثلاثة أطفال آخرين ومنهم لويسا سانتياغا ماركيير إغوران، وهي والده عابرييل غارسيا ماركيير بمعنى آخر، أنني أتصل بصفة هراثة مزدوجة مع عابرييل غارسيا ماركيير. إن هذه القصة مثاث على التشابك الذي صادته في بحثي لا في عواحي "الضربة" وحسب، بل في كل مكان سافرت إليه في كولومبيا في تسعينيات القرن العشرين. الخلق أن حوسيه لويس ديثا غارب تزوج قرية له عام 1972.
9. نبات دائم الخضرة من العنبلة الزيتية، موطنه الأصقاع الجنوبية الدخنة من أميركا الشمالية يصل ارتفاعه أحياناً إلى تسعة أمتار، وهو ذو ورق حشش سمي الشكل، ورهراق عمودية شمعية الملمس بضاء أو صارب لونها إلى الخضرة.
10. ليخيا غارسيا ماركيير، مقابلة، 1991.
11. ثمة سبب يدعو للاعتقاد أن آرجميرا كانت مجرداً ليلالز تبريرا، الشخصية الرئيسية في روايه منة عام من العزلة.
12. إبي مدين معموماتي عن عابرييل ماريبيت عاريدو الذي يعني أن يدعى بالاسم عابرييل عاريدو مارتيتيت إلى حبيبه رافائيل أوسوريو مارتيتيت. لقد جعلني شهادة أدرك أن عابرييل ماركيير كان من سهل أن يخلو عليه سم عابرييل عاريدو ماركيير (أو، عابرييل عاريدو كوتيس)، وجعلني أدرك أيضاً كم كان بعيد النظر هرا عابرييل غارسيا ماركيير بانتمائي مع جذبه اليبيريين المحذرين من عواحي بدلاً من أن ينتمائي مع جذبه مالكي الأرض المحاصرين شحذرين من سيشي (التي كانت تابعة لوليفار ألاك)
13. عندما تزوج عابرييل الأب سنة 1958 واحتاج إلى شهادة ميلاد، أتت الأسرة العيسس في آر كاناكا سعيي "سمي جذبه لأبيه نظهرا عابرييل غارسيا وآرجميرا مارتيتيت.

1 - عقاء وقضايا خاسرة (1899-1927):

1. أرسنتو غونزاليث بيريجيو، مقالة، كرايسر، (بويس آيس) 1972، (أعيد طبعها في كتاب من تحرير ألفونسو ريسيرا مانيليا بعنوان GM habla de GM en 33 grandes repotages (بوغوتا، 1997 Renteria Editores) ص 111 - 117، حيث يقول عابرييل غارسيا ماركيير إنه يريد أن تعرف ثورت أميركا اللاتينية عن طابعها "الاستشهادي" وأنه يريد قارته وشعبها أن تبدأ بالعوز. وما حياته إلا نصياً لهذا الطموح.

2 ديفيد بوشيل.

The Making of Modern Colombia. A Nation in Spite of itse f (بركلي ولوس أنجلوس، مطبعة جامعة كاليفورنيا 1993) إدواردو بوسادا - كاربو: 1870-1950, The Colombia Carribbean A Regional History مصممة كلاريندون 1996)، وهرست، سافورد وماركو باليوس: Colombia Fragmented Land (أوكسفورد، مطبعة أوكسفورد 2001).

3. "كانت حالي مارغريت أكثر من أمي بست عشرة سنة، كما كان هيك عدد من الأطفال صين عمرهم، لكنهم ماتوا كههم خلال الولاة: طمينة، فطمتان توأم، وعبرهن. كان الحال خوايتو يكر أمي سبعة عشر عاماً وكانت سميها "العراب" وليس أخي "انظر ليحيا وهي تحدث في كتاب سلفيا عليش Los Garcia Marquez (بوغوتا، آراندو، 1996)، ص 152.

4. كانت أوثي علاقة لأسرة ماركر إغواران هي تلك التي تربطها بأجويو ريوس وهو ابن أخت بيكولاس وشريكه في التجارة. كانت ابنته آنا ريوس في الثانية من عمره عدد كان لويسا في صيق، لكنها تذكر كل ما كانت تقوله لها أمها أرسيبا كاريو عن تلك الأيام التي أصبحت اليوم أسطورة. وعندما ولدت 'أختها فرانسيسكا لويسا ريوس كاريو في الخامس والعشرين من آب سنة 1925، "عندئذ" لويسا بعد 'سبعين من مولدها، وهكذا، أصبحت ابنة بالعمودية

5 إسي مدين لعوستافو أنولفو راميرث عن نسخة من جريدة المدورية Gaceta Departamental الخاصة بمحذلت لشهر تشرين الثاني 1908 التي تبين أن بيكولاس كان قد سُحج لارتكابه جريمة قتل في ساسا مارت في السابع من تشرين الثاني سنة 1908 ولم يكن قد حُكّم بعد

6. سالدبير: GM; el viaje a la smilla، ص 44.

7. انظر ماريو فارغاس يوسا وعذارين غارسيا ماركير:

La novela America Latina: dialogo (ليما، ميلا بانريس 1968)، ص 14. في رواية مئة عام من العزلة، يؤدي حوسيه آر كاديو بوينديا دور بيكولاس، وتصبح ميرثيديس هي مروتشيو أغويلار.

8. غابريل غارسيا ماركير، حديث في مدينة مكسيكو، 1999.

9 عشت لأروي (الطبعة الإنكليزية) ص 40 للأطلاع على وجهة نظر غابريل غارسيا ماركير عن الموضوع

10. عاصفة الأوراق، ص 51 54. يقدم غابريل غارسيا ماركير وجهة نظر هوكرية رومانسية عما يمكن أن يصطلح عليه بعبارة الأسطورة التي أسسها أسرة غارسيا ماركير، التي تقف باللائمة على "حرب" لما سته من مروح (وهي أهل صراحه وتاريخية من التفسير الذي قدمه لاحقاً في مئة عام من العزلة ولا يزال رومانسياً).

11. هيريكث، El Misterio، يناقش تفسير سالدبير للأحداث التي تقف خط أسرة غارسيا ماركير

12. سر مع آراكاتاكا أربعين متراً عن مستوى سطح البحر وبعد ثمانية وعشرين كيلومتراً عن مدينة سانغا ماروتا، ويتراوح معدل درجة الحرارة فيها ثمان وعشرين درجة وهو السبب الذي يجعل غابريل غارسيا ماركيز يفضل العمل في درجة حرارة عرفة.
13. لانسارو دياغو حول "Aracataca... una historia para contra" (آراكاتاكا، 1989 غير منشور) وهو كتاب قُسم عن تاريخ المنطقة بالرغم من الميل إلى عد أعمال غابريل غارسيا ماركيز الأدبية دليلاً على السيرة الذاتية.
14. هناك خلاف واسع بشأن هاتين الكلمتين في كولومبيا، وإذا ما تدخل أحسب فهو غير التهور. هناك اتفاق عام على أن الساحليين يقصد بهم سكان الأراضي لمدينة المحفظة في الكاريبي أو الأطلسي شمالي البلاد. أما أصل سكان الكانشاكو فهو سكان بوغوتا من أبناء الطبقة العليا، لكن عدداً كبيراً من الساحليين بدأوا يطورون إلى جميع السكان المدين يقطعون السجون الداخلية من البلاد (منطقة الإندير عموماً) على أنهم من الكانشاكو، وفي بعض الأحيان يشتمون على ما يعرف بسكان أنثيوكا (أنطاكيا). انظر مذكرات غابريل غارسيا ماركيز: عشيت لأروي (الطبعة الإنكليزية)، ص 41 42.
15. جوديث وايت؛ Editorial Persencia, Historia de una ignominia: la UFC en Colombia, Bogotá 1979, p. 19-20. ومع هذا، فالعقيد بلا ريب واحد من كبار الليبراليين في المدينة (فقد كن في شأنه رئيس النادي الليبرالي في ريو هاتشا).
16. انظر سالدبار، المصدر السابق، ص 50. وكتاب. White Historia; and Catherine C. Le Grand, Frontier Expansion and Peasant Protest in Colombia, 1850-1936 (Albuquerque, New Mexico, University Press 1986), p. 73.
17. عشيت لأروي، ص 15. يؤكد غابريل غارسيا ماركيز - معالطاً - أن جدّه لأبيه أصبح عمده آراكاتاكا مرتين.
18. المصدر السابق، ص 42، حيث يروي غابريل غارسيا ماركيز أحداث.
19. المصدر السابق، ص 44-60 بخصوص معارلتها مما يعت على الدهشة أن هذا السرد المنطوق أوردته غابريل غارسيا ماركيز بطريقة أخرى في كتابه الحب في زمن الكوليرا، 1985.
20. ليحيا غارسيا ماركيز، في كتاب عالفيس، المصدر السابق، ص 151 52.
21. لا يذكر غابريل غارسيا ماركيز شهرة أبيه مباشرة في مذكراته، وهو أمر يستحق استويه به هنا.
22. يلتقي غابريل غارسيا ماركيز باروما وهو طالب في بوغوتا، حيث كان باروما استاذاً في كلية الحقوق، ويحدث مكية، وأدى دوراً بارزاً في أحداث العنف في بوغوتا سنة 1948.
23. خوسيه هورت كاسترو، معالط، اللاسينوال (كاركاس) تموز 1972، وكذلك خوسيه هورت كاسترو، مقالة، التأسيس (مدريد) 19 كانون الثاني 1986.
24. هذا هو التفسير الذي بطرحه غابريل غارسيا ماركيز في روايته الأولى عاصفة الأوراق.

25 يمكن مشاهدة هذا كله، بامتناء البيت، الذي قُلم في مطبع سنة 2007 لإسحاق الطريق أمام بيت آخر ومتحف.

26 بالإسبانية: "La nina bonita de Aracataca" وقد استخدم هذا التعبير كمن فارغس يوسا والدليار

27. أحسبني لأهالي في أراكاتاك أنهم لم يشاهدوا قط لوبسا ساسيغا خرج إلى الشارع في عشرينيات القرن الماضي

28. تستند رواية الحب في زمن الكوليرا إلى حدث كبير وكما أشرنا آنفاً، إلى العلاقة العاطفية بين غابريل إليخو ولوبسا ساسيغا. ويروي لوبسا ماركيز في عشيت لأروبي أن العمه فرانسيسكا كانت متواظفة مع الشابين. لكن غابريل إليخو كان يصبر دائماً على أنه ألد أعدائهم، وكان يطلق عليه عبارة "كبت الحراسة".

29. انظر:

Leonel Giraldo, *Siete Dias en Aracataca, el Pueblo de "Gabo" GM, Siete Dias* (Buenos Aires), 808, 8 14 December 1982

ليس يتعب غابريل إليخو آنذاً. فقد وُجه إليه وإلى زوجته بعد مرور سنوات طويلة، سؤال عن أحمل ذكر بهما. تجيب لوبسا: "عندما قُدم إلي إليخو الحاتم". أما غابريل إليخو فيقول: "أيام العروبة التي استمتعت بها كثيراً".

30 انظر: ليخا غارسا ماركيز في كتاب عالمي، مقابله مع روث أريثا كوتش، بوغوتا 2007

31. معادلة، خوسيه غوب كاسترو، مدريد 1997.

32. فرغاس يوسا، المصدر السابق

33 انظر عشيت لأروبي (الطبعة الإنكليزية)، ص 59-60. إن بيت الذي أمضى فيه شهر العسل هو منزل أسر ماركيز إغوران المجاور لمنى الحمامات. وحسب ريكاردو ماركيز إغوران، فهو المكان الذي صحبني إليه في حزيران 2008، حيث دُت "رماية غابريل إليخو النارية" إلى الحبل بغابريل غارسا ماركيز في ليلة الثاني عشر - الثالث عشر من حزيران سنة 1926 وبعد مرور أسبوعين، انتقل الإنسان إلى بيت آخر أكثر تواضعاً في الشارع المجاور.

34. الواضح أن ثمة عموم يخص الأسبب التي دفعت ميكولاس للموافقة على الزواج على مصص، والسبب الذي جعل من تاريخ مولد غارسا ماركيز مشكلة دائماً. غير أن التفسير الأوضح، هنا كما في جميع أنحاء العالم، في كل زمان ومكان، هو أن لوبسا ساسيغا حملت به وهي م تكن متروحة شرعاً بعد (هلداً أن تاريخ ارواح لا يبدو مشكوكاً فيه) وأن غابسا ولد قبل السادس من آذار (أو في السادس من دار بعد أن دت موعد ولادته) ولهذا السبب، فإنه لم يُعَمَد ولم يُسَجَل إلا بعد أن بيع ثلاث سنوات (عمماً أن أسرته كانت على كل حال أسرة محترمة جداً، من الموطفين، تطيع القانود وتحشي الله). فلوكد لوبسا ساسيغا أن تزوجت غابريل إليخو وهو ابن غير شرعي لا يخص مولهلاً بالرغم من معارضة بوبها، وهذه قصة مذهنة. وما دام ليس هناك أي شك في

حسبها غابرييل إليخيو، فمماثل أن أسلوبها في صمد موافقة أنويها استرددس كان يمثل بأن تحمل منه. لكن لا يوجد سوى دليل طرقي على هذا.

2 - بيت في أراكاتاكا (1927-1928):

1. مسدوثا، عطر العوافة، ص 17.

2. انظر

John Archer, "Revelling in the Fantastic", *Sunday Telgraph Magazine* (London), 8 February 1981

إن إحدى الوسائل التي جعلتني أبقى هادئاً خلال ليل هو قوهم لي بـني إذا ما تحركت، فإن المراسي سيخرجون من كل حجرة هذا، فعندما كان ليل يهبط، كنت أصاب باطلع، انظر، حيرمان كاسترو كابيلو "El Gabo cuenta a novella de su vida", *El Espectador*, 23 March 1977

إنني لا أحشى الظلام، بل أحشى البيوت الكبيرة، لأن الموتى لا يخرجون إلا من البيوت الكبيرة... ولا أتنازع إلا النوت الصغيرة لأن موتى لا يخرجون منها!

3. انظر: عائدة غارسا ماركيز، في كتاب عالمس، المصدر السابق، ص 99

"ونفي حميد في منزل جدي". يقول الحفيد نفسه في مقابلة مع أحد الصحفيين: "قد سمعتني أنوي إلى جدي كأي هدية، لإدخال السرور إلى نفسيهما" إن هذا التفسير يضع حداً للتناقضات في تفسير أخرى كثيرة.

4. انظر لوريس إيريكي، في عالمس، المصدر السابق، ص 123.

5. انظر: عشيت لأروي (الطبعة الإنكليزية)، ص 32-36 حيث يستذكر غارسا ماركيز الممر، إن وصفي يستند إلى مقارنه متأبه بين مذكرات غابرييل غارسا ماركيز والتحليل المعماري لوارد ذكره في ساندنبار، المصدر السابق، وما أكدته المعماريون المسؤولون عن إعادة البناء عام 2008.

6. انظر: المصدر السابق، ص 34، حيث يقول غارسا ماركيز إن العرفه تحمل النريخ 1925 مقنوت عنها، وهي سه الانهاء من سألها

7. انظر: مازعوت غارسا ماركيز، عالمس، المصدر السابق، ص 65.

8. انظر: عاصفه الأوراق وعشيت لأروي (الطبعة الإنكليزية)، ص 35

9. "يذكر" غابرييل غارسا ماركيز في وقت لاحق رواية أرويسي أرويسي بالرغم من أن الجمرال لفي مصرعه قبل مولده بأربع عشرة سه انظر عشيت لأروي، ص 37

10. كان المعيد، شأنه شأن الشخصيه التي تستند إليه في رواية عاصفه الأوراق كثير التجوال حول منزل، يعيش عن أعمال صغيرة يمكن له أن يعجزها مثل تثبيت المسامير والطلاء. وفي السرات اللاحقه يلجأ غابرييل غارسا ماركيز نفسه إلى مثل هذه الأعمال لتحفف عنه عباء الكتابة من وقت إلى آخر. وكان يرتدي أمالك بدله عمال وهو يكتب.

11. انظر: عشيت لأروي، ص 33 و 73 و 74 يقول غابرييل غارسا ماركيز إننا "شقيقة جنسي الأكبر منه سناً"

12. انظر: GGM, "Watching the Rain in Galicia", *The Best of Granta Travel* (London, Granta/Penguin, 1991), pp. 1-5. حريقة إعدام ترانكيبيا -خمر وأمرني وهو الطعام الذي لم يدف منه مره أخرى حتى زيارة غابيتيا بالرغم من أن تناوله طعاماً مثلاً في برشلونة في ستينيات القرن العشرين أعاد إليه امرته، يمكن كل شيء القلق والحرارة أيام طمولته.
13. انظر: ليخيا عارسيا ماركيز، في عالمي، ص 152. المصدر السابق.
14. انظر: غابرييل غارسيا ماركيز، صحيفة الاسكندرية، 18 كانون الأول 1983.
15. انظر: "Growing up in Macondo. Gabriel Garcia Marquez", *Writers and Places transcript* (BBC2 Film, shown 12 February 1981, Producer John Archer)
16. من ملاحظاتي مع مارغوت ناندسلاكت التي تعتمد على ذكرياتها وعلى صور الأسرة. انظر أيضاً سالدبار، المصدر السابق، ص 96-97، الذي يعتمد إلى ذكريات ماريا إميليا ماركيز.
17. بي بي سي، المصدر السابق
18. مقالة الاسكندرية، 31 تشرين الأول 1982.
19. قصة رومان غابرييل إليخيو لحوميه فوت كاسرو.
20. مبدوناً، عطر العروسة، ص 18.
21. غابرييل غارسيا ماركيز، مقالة الاسكندرية، 16 أيار، 1982. وفيها تذكر غابرييل غارسيا ماركيز احترام جده لصاحم.
22. حسب ملاحظاتي مع مارغوت ناندسلاكت التي استندت إلى ذكرياتها وإلى صور الأسرة. انظر أيضاً سالدبار، المصدر السابق، ص 103-104، المستند أيضاً إلى ذكريات مار إميليا ماركيز.
23. وايت، المصدر السابق، ص 19-20.
24. انظر:
- Gabriel Jonnega, *Bananeras: testimonio vivo de una epopeya* (Bogota, Tercer Mundo n.d.), pp. 27-8.
25. المصدر السابق، ص 191.
26. المصدر السابق، ص 28.
27. انظر:
- Catherine C. LeGrand, "Living in Macondo: Economy and Culture in a UFC Banana Enclave in Colombia", in Gilbert M. Joseph, Catherine C. LeGrand and Ricardo D. Salvatore, eds., *Close Encounters of Empire: Writing the Cultural History of US-Latin American Relation* (Durham, N.C. Duke University Press, 1998), pp. 333-68 (p. 348)
28. غشت لأروي، ص 18.
29. سالدبار، المصدر السابق، ص 54، 522.

30. لا يوجد تاريخ واضح عن هذه الحادثة ولا إجماع عن عدد المدنيين الذين لقوا مصرعهم على يد الجيش، لكن معظم الكتب يظنون إليها وعق إيديولوجيتهم.

31. انظر:

Carlos Arango, *Sobrevivientes de las bananeras* (Bogotá ECOE, 2nd ed., 1985), p. 54

32. انظر:

Maria Tula Uribe, *Los años escondidos: sueños y rebelión en la década del veinte* (Bogotá, CESTRA, 1994), p. 265

33. انظر:

Carlos Cortes Vargas, *Los Sucesos de La bananeras*, ed. R. Herrera Soto (Bogotá, Editorial Desarrollo, 2nd edition, 1979), p. 79.

34. انظر:

Roberto Herrera Soto and Rafael Romero Castaneda, *La zona bananera del Magdalena: Historia y léxico* (Bogotá Instituto Caro y Cuervo, 1979), pp. 48, 65

35. انظر: وايت، المصدر السابق، ص 99.

36. انظر: Herrera and Castaneda, *la Zona bananera*, p. 52

37. انظر: آرنيرو، المصدر السابق، ص 84-86.

38. انظر: قويمبر، المصدر السابق، ص 136-137

39. المصدر السابق، ص 138

40. المصدر السابق، ص 154.

41. انظر: Jose Maldonado, quoted in Arango, *sobrevivientes*, p. 94

42. انظر: وايت، المصدر السابق، ص 151.

43. غابريل عارسيا ماركيز، الأسكندور، 18 كانون الأول 1983

هذا يعرف بأنه لم يكتشف إلا قبل بضعة أعوام أنه (أعربيا) قد اتخذ موقفاً محدداً ومماسكاً جدياً في أثناء إصراب عمال المور ومقتلهم. ومن المدهش أن يكتشف أن غابريل عارسيا ماركيز لم يعرف معظم الحقائق المرسطة بالإصراب: بما في ذلك تصرفات جده ديون، وأعرابنا والقريبيين منه في وقت تأليف رواية مئة عام من العزلة

44. انظر:

Cortes Vargas, *Los sucesos de Las bananeras*, pp. 170-71, 174 182-3 201, 225

هل عرف غابريل عارسيا ماركيز يا ترى شيئاً عن كتابة هذه الرسائل؟

45. نصوص الوثائق من ضمنها شهادة أعربينا، يمكن العثور عليها في:

La Masacre en las bananeras (Bogotá, Los Comuneros, n d)

3 - رفقة جده (1929-1937):

1 انظر عن ذكريات هينري بارباريس في عشت لأروبي، ص 11-13. 122-125

2. المصدر السابق، ص 123، حيث يقول: "إنك لم تعد تذكرني بعد ليوم" لكن ربما تغير النظر إلى هذه العبارة بوصفها مثلاً على المقولة: يحور للشاعر لا يحور للغير.
3. كانت مارعوب طعمة مضطربة اسمرت تأكل التراب حتى بلغت الثامنة أو التاسعة من عمرها. وهي التي أوحى بنحسبي أمارتا ورييكا في سنة عام من العزلة.
4. انظر بي بي سي، المصدر السابق.
5. انظر:
6. انظر "El microsomas de GM", *Excelstor* (Mexico city), 12 April, 1971
7. انظر: مارغوت غارسيا ماركيو، في غالفيس، المصدر السابق، ص 60-6.
8. الواضح أن مارعوب وغايو كانا مدلين جدا. وهو ما يقرّ به في مقالة في صحيفه الاسكتادور في 16 أيار 1981.
9. بسود الاعتقاد بوجه عام في مدينة أراكاتاك أن بيكولاس اشري ميلبي تم أخرها في المنطقة لسي تعرف بالاسم كناناكونيا ثم تحولت إلى إحدى "الأكاديميات" أو قاعد لرقص حيث كان الشرب والجس متوفرين بحرية معه. انظر:
10. Venancio Aramis Bermudez Gutierrez, "Aportes socioculturales de las migraciones en la Zona Bananera del Magdalena" (Bogota, November 1995, Beca Coltura 1994, 1 Semestre, unpublished ms.).
11. بي بي سي، المصدر السابق.
12. عشت لأروي، ص 82، بخصوص خوفه الدائم من الظلام.
13. انظر: Carlota de Olier, "Habla la Madre de GM. "Quisiera volar a verlo . pero le tengo terror al avion", *El Espectador*, 22 October 1982
14. "لو أن أبي عنى قيد الحياة لكان سعيد. وقد فكرت دوماً في أن أموت سيمع من الاستمتاع بتصورات عايتو وفضل إلى أن عايتو سيحقق في الوقت المناسب مكانة مرموقة، فيقول علناً: إنه لأمر يدعو للأسى لأنني لم أكون حاضراً كي أرى إلى أي مدى سيأخذه دكاؤه".
15. غابريل غارسيا ماركيز، مقالة، الاسكتادور، 2 آذار 1983 وفيها إشارة إلى أن معظم روبر المزل كانوا محبين
16. انظر: Nicolas Suescum, "El Pertidigitador de Aracataca", *Cronica* (Bogota), 26 October 1982, pp 24-7
17. وفيها نبأ تصويرها لغابريل غارسيا ماركيز النقص الذي لا تطرف عياه كما تطرف عدسه التصوير السيمائية، ولهذا يستوعب العالم ويظهره ثم يحوله إلى قصص.
18. مارعوب غارسيا ماركيز في غالفيس، المصدر السابق، ص 64-65
19. انظر:

"La Memoria de Gabriel", *La Nacion* (Guadataraja), 1996, p 9

إليسا بوبيا بومشكا، مقابلة، أيلول 1973، في بودو مكسيكو، 1990

<https://doi.org/10.1017/9781009000000>

17. مقالة في الإسبكتاتور، 23 آذار 1977، حيث يحبر غابريل غارسيا ماركيز خيروفا كاسرو كاسيدو أنه كان ينظر إلى انقطاعه وصول الفود إلى باريس على أنه عقس يشبه النهاية.
18. غالفيس، المصدر السابق، ص 64 كتب العقيد مراراً إلى ولده الأكبر نحو سبه موريا بالديلا تيكيت.
19. غابريل غارسيا ماركيز، مقالة، الإسبكتاتور، 18 كانون الأول 1983، وفيها تحدث غابريل غارسيا ماركيز على محبته للمرة الأولى عن بيت الحيران حوسبه روساريو ديوران الذي لا بد من أنه مر به خو والعقيد أو زراه في مناسبات عدة.
20. لمزيد من المعلومات عن "أب أعاريتا راجع بي بي سي، المصدر السابق، وعشت لأروي، ص 84.
21. عن الفسرو بليس في أراكاتاكا راجع: غابريل غارسيا ماركيز، مثالة، الإسبكتاتور 7 أذر 1982، عشت لأروي، ص 43.
22. عشت لأروي، ص 74-72.
23. سالديار، المصدر السابق، ص 67، 71-72.
24. مقابلة مع أنطونيو داكوتي (المحبد)، أراكاتاكا، شريف اثاني 2006.
- راجع أيضاً: عشت لأروي، ص 18، 78-88.
25. عشت لأروي، ص 87-88، 9-92.
26. غابريل غارسيا ماركيز، مدلة، مجلة كاميو (بوغوتا)، 23 حزيران 2000، وعن دون إمييو راجع: مقالة مجلة كاميو في 19-26 حزيران 2000.
27. بي بي سي، المصدر السابق.
28. هريكت، المصدر السابق، ص 283-284.
29. مقابلة مع مارغوت بانديلا تيكيت دي ديات غران دوس، بوغوتا، 1993.
30. عن وصول سعة عشر من أولاد الزى وعلى جبههم رسم رمز الصاري الديني بالرماد. انظر مئة عام من العزلة وعشت لأروي، ص 6، 67.
31. بي بي سي، المصدر السابق.
32. عشت لأروي، ص 62-64.
33. غالفيس، المصدر السابق، ص 59.
34. أقبل ما يقان عن هذه التجربة أنها تثير الإضطراب. فقد ظل غارسيا ماركيز يقول إنه لم "يس" أنه حتى بلغ سن الخامسة. من الواضح أنه لا بد من أنه على هذا أنه "يتذكر". لأنه لا بد من أنه قد رآها في لأمل في إحدى الزيارات إلى مارانكا. على كل حال، إن ذكرياته الأولى، وبصرف لظر عن مدى تكيفها بفعل الذاكرة والرغبة، كانت لحظة محددة من حياته وقد درها في وقت لاحق في روايه عاصفة الأوراق ومدكراته عشت لأروي. وقد أصاب الآن إلى وعيه بمحبته وعشانه والمادامات وعياً مموساً آخر بالشخصية الجديدة: أنه.
35. غابريل غارسيا ماركيز، مقالة، كاميو 16، كولومبيا، 11 كانون الأول 1995.

- لمريد من الاطلاع على ذكريات غابريل غارسيا ماركيز وموقعه من اندرسة انظر: عشث لأروي، ص 94-95.
36. نمسب فوبيرا في Bananeras، ص 96-97، فان بيدرو هيرغسون كان عمدة اراكاتاك سنة 1929.
37. غابريل غارسيا ماركيز، مقالة، الاسكتادور، 25 كانون الثاني 1981.
38. سالديبار، المصدر السابق، ص 120.
39. مقالة، الاسكتادور، 31 تشرين الأول 1987.
40. مقالة مع مارغوت سالديباراكيتش، موعونا، 1991.
41. سالديبار، المصدر السابق، ص 120.
42. سالديبار، مقالة في مجله دياريو 16 (مذريه) 1 نيسان 1989.
43. بخصوص العلاقة بين رسومه المكروه للصور الفعليه ورعته في التمثيل ادم الناس، انظر: ربما غيرت، سبعة اصوات (ميويونوك، فينتج، 1973)، ص 317-320.
44. بي بي سي 2، المصدر السابق.
45. غابريل غارسيا ماركيز، مقالة، الاسكتادور، أيار 1982.
46. لويس إريكي، في عانفيس، المصدر السابق، ص 123-124.
47. توريخ ميلاد أفراد الأسرة وأماكها:
1. عبيتو، أراكاتاكا، آذار 1927.
 2. لويس إريكي، أراكاتاكا، أيلول 1928.
 3. مارغوت، باراكيا، تشرين الثاني 1929.
 4. فاديه روس، باراكيا، كانون الأول 1930.
 5. ليخسيا، أراكاتاكا، آب 1934 (ذكريفغ عن لمسول في كتاب عالميس، اصدر اساس، ص 152).
 6. غوسافو، أراكاتاكا، أيلول 1936.
 7. ريتا باراكيا، تموز 1939.
 8. حانجي، سوكري، أيار 1940.
 9. هيرماندو (باسشي) سوكري، آذار 1943.
 10. ألفريدو (كوكي)، سوكري، شباط 1945.
 11. إينخيو غابرييل (يو)، سوكري، تشرين الثاني 1947.
48. ميلوئا، غطر الفواحه، ص 21.
49. غابريل غارسيا ماركيز، مقالة، صحيفة التيمبو، كانون الأول 1992: الاسكتادور، كانون الأول 1980، حيث بقول غابرييل غارسيا ماركيز إنه كان في سن الخامسة عند حدث هذا كنه. أما في كتاب عشث لأروي، ص 70، فيقول إنه كان في العاشرة.
- وليس في السابعة، كما تشير وقائع الأحداث
50. في رواية عاصفة الأوراق، ص 50-54، يظهر مارتز، لشخصية لمستوحاة إلى حد ما عن شخصية غابريل إلخير، شخصاً مرغياً، (د.مارس شعودة عواجر)، لما فيها غرر

الدبابيس في عيون الدمى). انوضح أنه لم يحك إيريل (الشخصية المستوحاة جزئياً عن شخصية لوب)، لكنه لم يكن يريد سوى الاتصال بالعقيد صعباً سموده وماله؛ ثم رحل قسراً أن يتمكن ولده (الشخصية المستوحاة عن غابريل غارسيا ماركيز جريئاً) من أن يكون له ذكريات عنه وهذا صحيح عن تجربة غابرييل غارسيا ماركيز يستشأن أن غابرييل ينجو أحد لوبس بعيداً أيضاً. أما في رواية عاصفة الأوراق، فإن غابريل غارسيا ماركيز يقي الأم معه وبعد الأب إلى الأبد في محاولة لتحقيق الرعدة.

51. صحيفة *الاسيكتادور*، معالة، 31 تشرين الأول 1982.

52. مارغوت غارسيا ماركيز في عالميس، المصدر السابق، ص 61.

53. عشيت لأروي، ص 85.

54. انظر

Leonel Giraldo, "Siete Dias en Aracataca, el Pueblo de 'Gabo' CM", *Siete Dias* (Buenos Aires), 808, 8-14 December 1982

55. يعاج غابرييل غارسيا هذا الموضوع في عشيت لأروي، ص 82-84

56. مارغوت غابرييل غارسيا ماركيز، في عالميس، المصدر السابق، ص 62، وانظر أيضاً كتاب عشيت لأروي، ص 84-85، وفيهما تأملات غابرييل غارسيا ماركيز عن عوده والديه. لاحظ على وجه الخصوص أنه بالرغم من رفضه توجيه النقد إلى أبيه عملاً، إلا أنه بدأ تحدث عن صوب، وهذا يربط أمه بالعنف (ويقول إن غابرييل إليخو قد اعتذر في ما بعد عن ذلك) مما لا ريب فيه أن معظم الأدباء يعتمدون إلى تطوير أولادهم جسدياً.

57. انظر ذكريات مارغوت في كتاب عالميس، المصدر السابق، ص 68.

58. انظر:

GGM, *Los cuentos de mi abuelo el coronel*, ed. Juan Gustavo cobo Borda (Smurfit Carton de Colombia, 1988).

59. عشيت لأروي، ص 95-96.

60. انظر:

Ramiro de la Esprella, "De 'La casa' fue saliendo todo", *Imagen* (caracas), 1972

61. انظر ذكريات لويس إيريكي الهيجة عن الرحلة إلى سيثي في عالميس، المصدر السابق، وفي عشيت لأروي، ص 96-97.

62. مقابلة مع غابرييل غارسيا ماركيز في مدينة مكسيكو، 999.

63. ررت سيثي مع ألفونسو بويرس روح أخت غارسيا ماركيز عام 1908 (وكان ألفونسو قد تزوج ريتا شقيقة غارسيا ماركيز وقيم في سيثي).

64. مارغوت غارسيا ماركيز في عالميس، المصدر السابق، ص 68.

65. انظر:

Saldivar, "GM: La novella que estoy escribiendo esta localizada en Cartagena de Indias, durante el siglo XVIII", *Diario 16*, 1 April 1989

هذه العبارات على درجة بالغة من الأهمية. فمفصص غابريل غارسيا ماركيز وروايته مهبوسة بالبحث، لكن يبدو أن غابريل غارسيا ماركيز نفسه لم يشاهد جثث الناس المهيمين حتى بعد وفاة أبيه عام 1984. وفي قصة لأولى الاستسلام الثالث، 1947، يعصي الراوي بحبه لكن جده لا يتصالح ولا يُدين.

66. انظر: غيرمو أوتشوا، مقالة، صحيفة إكسيلسيور، 13 نيسان 1971. مما لا ريب فيه أنه م يكن في الثامنة من في العاشرة من عمره عندما توفي جده ويقول "ب الوفاة حدثت وأن م أنجور الخامسة من عمري"، انظر: مجله كامبيو، ص 19 26 حزيران 2000 لكنه كان حقاً في الثامنة عندما أصيب في ذلك الحادث المميت، وأن حياته وصلت إلى غاية المطاف، إذ كانت قددها عودة والديه ودريتهما.

67. مقابلة مع لويس ماركيز، بارانكي، 1993

68. مارغوت غارسيا ماركيز في عالمي، المصدر السابق، ص 69

69. لويس إريكي، في عالمي، المصدر السابق، ص 130.

70. غابريل غارسيا ماركيز، مقالة، الاسكتادور، 10 نيسان 1983. أما بخصوص علاقته بأراكاتاكا، انظر أيضاً: غابريل غارسيا ماركيز، مقالة، الاسكتادور، 18 كانون الأول 1983

4 - أيام المدرسة: بارانكي وسوكري وثيباكيرا (1938-1946):

1. غابريل غارسيا ماركيز، عشت لأروي، ص 29-55.

(*) أعمدة دورية: طرار معماري إعرقي موغل في القدم اتسم ببساطه (المرجم)

2. المصدر السابق، ص 132

3. المصدر السابق، ص 142-143

4. مسنوثا. عطر لعواقة، ص 19

5. عشت لأروي، ص 173.

6. المصدر السابق، ص 163.

7. تفسرو لويسا سانتياغا نحاته إلى أنها أعطته ريت كد الحوت يومياً، انظر. غيرمو أوتشوا، مقالة، إكسيلسيور، 12 نيسان 1972 وكان أبوه يقول: "هوح رائحة السمك من هد الطمن يومياً".

7. إن المقطع التالي عن بلدة سوكري يمسد إلى مقابلات أجريها مع السيدة لويس ماركيز دي غارسيا في كرناتحيا وبارانكي في 1991 و1993، وعلى حديث مع غابريل غارسيا ماركيز نفسه في مدينة مكسيكو عام 1999، وعلى عدد كبير من المقابلات مع جميع إخوانه ونحواته على مدى السن، وعلى مصادر مشهورة مدونة في هذه الملاحظات

8. انظر: Gustavo GM, in Galvis, Los GM, p 185

9. انظر: Living to Tell the Tale, p 155

10. انظر: Vivir Para contrala, p 188

11. Juan Gossain, quoted by Heriberto Fiorillo, *La Cueva. Cronica del grupo de Barranquilla* (Bogota, Planeta, 2002), pp. 87-8.
12. يُعدّ كتاب سالديار أفضل مصدر عن أيام غابرييل غارسيا ماركيز في مدرسة سان غرود. انظر أيضاً:
- Jose A. Nunez Segura, "Gabriel Garcia Marquez (Gabo-Gabito)", *Revista Javeriana* (Bogota), 352, March 1969, pp. 31-6.
- هـ يستعيد أحد المعلمين اليسوعيين في المدرسة بعضاً من كتابات غابرييل غارسيا ماركيز الميكرة.
13. عالقيس، المصدر السابق، ص 70.
14. يذكر غابرييل غارسيا ماركيز هذه التجربة في كتابه *عشت لأروي*، ص 27.
15. م يواصق الأخ الأصغر يو موافقة كاملة: فقد أخبرني يوماً ما أن كل الأطفال الأصغر سناً، المولودين لي سوكري، لا فائدة تُرجى منهم، نحن فيهم هو مصه، ويرجع السبب إلى أنهم الوحيدون الذين ساعد أبوه على ولادتهم!
16. انظر.
- Harley D. Oberhelman, "Gabriel Eligio Garcia halba de Gabito", in Peter G Earle, ed. *Gabriel Garcia Marquez* (Madrid, Taurus, 1981), pp 281-3
- وهذا أخرى أورهيلمان لقاء مع غابرييل إنيغيو لتحديث عن تدرسه الطبي ونجرتة فيه.
17. غييرمو أوتشوا، إكسيليسور، 12 نيسان 1971
18. *عشت لأروي*، ص 224.
19. حديث غابرييل غارسيا ماركيز، مدية مكسكو، 1999.
- 20 انظر:
- Rosario Agudelo, "Conversaciones con Garcia Marquez", *Pueblo*, suplemento, "Sabado Literario" (Madrid), 2 May 1981
- في مواضيع أخرى، يتخصّص غارسيا ماركيز من هذه التجربة النووية بالصحت. أما في *عشت لأروي*، فبعد تفسيراً معتدلاً لها. أم في ذاكرة غانياني الطغريات، فيدم المؤلف شرحاً متعمّلاً لها.
21. نوع من الموسيقى الكاريبية الشعبية يستمد أسوبه من إيقاع الموسيقى الكولومبية القومية التقليدية الرقيقة.
22. انظر:
- Roberto Ruiz, "Eligio Garciz en Cartagena. El abuelo de Macondo", *El Siglo*, 31 October 1969.
23. انظر.
- Gossain in Fiorillo *La Cueva*, p. 88. Gabriel Eligio later denied the intention to trepan.
- 24 انظر:
- EGM, "El cunto del cuento. (Conclusion)", *El Espectador*, 2 September 1981.

يستعيد هنا أيام مرافقته في سوكري ويوضح أنها "أكثر السنوات تحملاً في حياتي". أما
تفصيص موقفه من الموسم، فانظر: كلوديا ديفوري، مجلة بلاي بوي 30: 2 شاط
1983.

25. عشيت لأروي، ص 166.

26. المصدر السابق، ص 168-171.

27. المصدر السابق، ص 174.

28. انظر.

غاريل عارسب ماركيز، مقالة، لاسيكنادور، 21 تشرين الأول 1981.

رار الروائي كريسوهر إيشروود كولومبيا في أربعينيات القرن العشرين. انظر ذكرياته عن
تلك الزيارة في كتابه:

The Condor and the Cows (London, Methuen, 1949).

29. غارميا ماركيز، حبيب البطريق، ص 160.

30. عشيت لأروي، ص 179-180.

31. أصل الذكريات عن هذه الرحلة والوصول إلى بوغوتا في مقالة خيماد كاسترو

كاسيدو، لاسيكنادور، 23 أدر 1977.

32. غاريل عارسب ماركيز، مقالة لاسيكنادور، 18 تشرين الأول 1981.

33. عشيت لأروي، 179-180.

34. أصل مصدر عن اندرس في تياكيرا هو كتاب سالديير. أما القسم الأعظم من

معلوماتي فيسند إلى مقابلة مع رميل عارسب ماركيز في المدرسة حوسيه إسبوسا،

رغونا، 1998.

35. انظر.

Rosario Agudelo, "Conversaciones con Garcia Marquez", *Pueblo*,
suplemento, "Sabado Literario" (Madrid), 2 May 1981.

36. انظر.

Aline Helg, *La educacion en Colombia 1918-1957 una historia social, economica y Politica* (Bogota, CEREC, 1987).

37. انظر.

CGM, "“Estoy comperometido hasta el tuetano con el Pero dismo Politico” Alternativa entrevista a GGM", *Alternativa* (Bogota), 29. 31
March 13 April 1975, p. 3.

38. انظر.

Juna Gustavo Cobo Borda, 'Cuatro horas de Comadreo literario con
CGM' (interview 23 March 1981), in his *Silva Arcinegas, Maus y Garcia Marquez* (Bogota, Persidencia de La Republic, 1997), pp. 469-82
(p. 475).

39. عشيت لأروي، ص 196.

40. انظر.

Quoted by Carlos Rincon, "GGM entra en los 65 años. Tres o cuatro cosas que querría saber de él", *El Espectador*, 1 March 1992.

41. أسمرتي مارغوت غارسيا ماركيز في سنة 1993 عما يأتي: "عندما كانت أمي حاملاً بانتشي، حدث ذلك مرة أخرى. في هذه المرة، أسرعت أمي نفسها. كانت طريقة الفراش في المنزل المؤلف من طابقين في ميدان سركري، ولم تستطع الهبوط من مكانها. في تلك المرة صرخت في وجهه. كنت أمي يداها مريض عجيب دائماً. فصاب بالغيثان وتنقياً، وفي كلا الحميم نفس ورها إنه لأمر مدهش ولكنه حقيقي. وقد أسرعت لمباها اسزغاجاً حقيقياً، وأردت أن أمن شيئاً ما، لكنها لم تكن تسمح لي".

42. لويس إيريكي غارسيا ماركيز في كتاب عالمهم، المصدر السابق، ص 146

43. عشيت لأروي، ص 217-8-2.

44. انظر.

Saldivar, *GM: el viaje a la semilla*, p. 56

45. كتاب داريو سحدر بنوره من بلدة كاريبية صغيرة، وشناً بعيداً عن حصن أمه، راسم أعيد إلى عقيد عجور يروي قصص عن الحرب. وبعد مرور ثلاثين سنة، تصح رواية غارسيا ماركيز خريف البطريق، من بين أشياء أخرى، عملاً من أعمال الثناء والتقدير للغة داريو الشعرية.

46. عشيت لأروي، ص 205.

47. انظر. "La ex novia del Colombiano", *El País* (Madrid), 7 October 2002.

48. انظر. *Vivir Para contrala*, p. 242.

49. غارييل غارسيا ماركيز، مدة عام من العزلة، ص 29-30.

50. عشيت لأروي، ص 204.

51. المصدر السابق، ص 193.

52. المصدر السابق، ص 193.

53. انظر.

Saldivar, *GM: el Viaje a la semilla*, p. 166, and GGM, *Living to Tell the Tale*, pp. 193-4

54. انظر.

German Santamaria, "Carlos Julio Calderon Hermida, el Profesor de GM", *Gaceta* (Bogota, Colcultura), 39, 1983, pp. 4-5

55. في المقابلات التي أجريت معه بعد أن أصبح مشهوراً، أفكر مراراً أنه نظم الشعر انظر على سبيل المثال حديثه مع ماريا إيستر غيليو:

"Escribir bien es un deber revolucionario", *Triunfo* (Madrid), 1977, in Renteria, ed., *GM Habla de GM en 33 grandes reportajes*

56. انظر.

La Casa Grande (Mexico city/Bogota), 1° 3, February-April 1997, p. 45

وهي نشرت لقصيده "بعض من دسو سالدافار في بوردا"



57. انظر: *Living to Tell the Tale*, pp 205-6.

58. انظر: Ligia GM, in Galvis. *Los GM*, p. 165.

عندما أغرم عاينو ميرثيديس كانت يانعة في القائمة من عمرها تصح منراً للأطفال من عمر كمى وعليه رسوم بطات صغرات
59. انظر:

Beatriz Lopez de Barch, "Gabito espero a que yo creciera", *Carrusel*,
Revista de *El Tiempo* (Bogota), 10 December 1982

60. من مشهورات مكور عيد حوميت:

'GM Poeta', *El Tiempo*, *Lecturas Dominicales*, 12 December 1982 See
also Donald McGrady, "Dos sonetos atribuidos a GGM" *Hispanic
Review*, 51 (1983), pp 429-34.

61. غابرييل غارسيا ماركيز، مقالة، الإسكندور، 13 شاط 1983

62. عشيت لأروي، ص 200.

63. انظر:

Vivir Para Contrala, p. 281, GGM, "El cuento del cuento (conclus on)",
El Espectador, 2 September 1981.

وفيها يذكر كيف اكتشف نر ماحور ماريا ايحاسيريا ثيرنانثس تحول إلى مدرسة
راهبات عندما عاد إليه بعد مرور خمسة عشر عاماً

64. عشيت لأروي، ص 236-239.

65. منه عام من العزلة ص 301

66. مقابلة في كارتاجينا، 1991.

67. كاتب لى ميرثيديس في مدرسه في بلدة موموكس صديقة تسعى سرغيا بنيك
سالاس، وكنت تفضل في بلدة سركري أيضاً؛ وسرعان ما ستجد نفسها متورطة في
الأحداث المثيرة التي أحاصت مقتل كاتانو خيني صديق غارسيا ماركيز وأسرته بوي.

68. مقابلة مع جوتروديس براسك دي أمير، ماناغوا، 1991.

(*) هؤلاء الأولاد لا بد من أن يكونوا أولاد غرييل البحر وأخوه غارسيا ماركيز الذي كان
صغير السن بدوره آنذاك، (الترجمه)

69. انظر: GGM, *Cronica de una muerte anunciada* (Bogota, Oveja Negra,
1981), p. 40

70. غابرييل غارسيا ماركيز، مقابلة، الإسكندور، 22 ادر 1981. عشيت لأروي،
ص 239-243.

71. عشيت لأروي، ص 243 244

72. انظر.

Saldivar "GM La novella que estoy escribiendo esta local zada en
Cartagena de Indias, durante el Siglo XVIII", *Diario 16*, 1 April 1989.

73. انظر: بيحيا غارسيا ماركيز، في غالفيس، المصدر السابق، ص 158.

74. انظر: غبريل غارسيا ماركيز، مقابلة، الامبيكاندور، 16 تشرين الثاني 1980 وفيها يقول إن تراكيلا قصت نحتها وقد بلغت مئة سنة تقريباً.
75. عابدة روسا في عالفيس، المصدر السابق، ص 99.

5 - الطلاب الجامعي والخف في بوغوتا (1947 1948):

1. يستند هذا الفصل معلوماته من مختلف المصادر والأحداث، لكن عني لأخص من مقابلات مع عوثانو مالارسو (بوغوتا، 1991) ولويس بيار بوردا (بوغوتا، 1998) ومارعريتا ماركيز كاباييرو (بوغوتا، 1998) وجالده جيلارد (طولوز، 1999، 2004) وعوستافو أدولفو راميريث أرينا (بوغوتا، 2007).
2. يلاحظ غبريل غارسيا ماركيز أن الأكاديمية الكولومبية تنظر إلى الأكاديمية الملكية الإسبانية على أنها "تقدمية"، ويتحدث عن "خدمة" اللغة (حتى ضد إسبانيا). انظر: M Fernandez-Bradso, *GGM: una conversacion infinita* (Madrid, Azur, 1969), p 102
3. كافكا، "رساله إلى أبيه" (نشرين الثاني 1919). لم يقرأ والد كافكا هذه الرسالة التته.
4. مقابلة، بوغوتا/1993، كان ألفونسو لوبيث ميشيليس واحداً من الأقرباء الأقدمين إذ ينصل بسله نكويسيم خلال جد الجد. وهو ما سيكشف في ما بعد عندما يصبح الإنسان صديقاً.
5. مقابلة مع لويس بيار بوردا، 1998، لمزيد من المعلومات عن هذه المرحلة الرمنية انظر أيضاً: غبريل غارسيا ماركيز، مقابلة، لاسيكندور، 18 تشرين الأول 1981
6. انظر: خوان فيردينيث، مقالة، التيصو، تشرين الأول 1982 كان أحد زملائه المهمين في تلك الآونة هو الطالب في كلية الطب الذي يهتد من أصول أفريقية - كولومبية مامويل تاباندا أوليفيا الذي استدعيل في ما بعد في مصره تدخلاً حاسماً في أكثر من مسألة ومن الأصدقاء الساحبين المهمين أيضاً خورخه ألفارو إسبوسا الذي عرف غبريل غارسيا ماركيز إلى رواية يوليسيس لخميس جويس، ودومينيغو مانرييل بيغا الذي أعمره قصة لمسح لكافكا.
7. انظر: Alvaro Muñiz, "Apuntes sobre un viaje que no era Para contar", in Aura Lucia Mera, ed., *Aracataca/Estocolmo* (Bogota, Instituto Colombiano de Cultura, 1983), pp. 19-20
- وفيها يصف ألفارو موتيس مالارسو خلال الرحلة إلى حافرة نوبل سنة 1982 عني أنه "عميداً"، وهو أقدم أصدقاء غبريل غارسيا ماركيز المحدثين من الكانتاشكو في حصة بوغوتا.
8. من أجل تفاصيل مهمة عن كاميلو بوريس وقراره بأن يصبح قسيساً ورحيله في أعذب ددث، انظر:

German Castro Caycedo, "Gabo" cuenta la novella de su Vida. 2", *El Espectador*, 23 March 1977.

9 انظر:

Plinio Apuleyo Mendoza, *La Hama y el hielo* (Bogota, Gamma, 3rd edition, 1989), PP 9-10

10 المترجمه الحرفية للعبارة هي "مص العرف" لأن الصورة هي صورته مائلت لديك وهو يتعرج، استعرازا ومفارقة، في حوصه بشأن عرف المديت:

11 انظر: GGM, "Bogota, 1947", *El Espectador*, 18 October 1981; and "El frenesi del Viernes", *El Espectador*, 3 November 1983

وفيها استدكار لأيام الأحاد الموحشة في بوغوتا.

12. مقابلة مع غوتالو مالارينو في بوغوتا، 1991.

13. صم اجراء الثاني من "جغرافية الأجرام السماوية" في الأول من تموز 1947.

14. انظر:

German Castro Caycedo, "'Gabo' cuenta la novella de su vida. 2", *El Espectador*, 23 March 1977.

وفيها وداغ غارنيل عارسيا مار كير لكاميو تورييس.

15. انظر.

La Vida Universitaria. Tuesday Supplement of *La Razon*, Bogota, 22 June 1947 See *La Casa Grande* (Mexico City/Bogota), 1 3, February-April 1997, p 45.

وفيها نشرت هذه القصيدة مرة أخرى "بفضل من داسو سالديبير ولويس ثيار بورد"

16. انظر: Juna Gustavo Cobo Borda, "Cuatro horas de comadreo literario con GGM", in h s Silva, *Arcelegas, Mutis y GGM* (Bogota, Presidencia de la Republica, 1997), PP. 469-82

حيث نوفر على تفسير آخر للرواية.

17. المؤكد أن هذا ليس أسلوب جده كافكا في الكلام، هذا هو لصرف تماما!

18 انظر: John Updike, "Dying for Love a new novel by GM", in *The New York*, 7 November 2005

يقول أنتديك في هذه المقالة:

إن لمعة رفيقة أن تقرأ هذه الرواية، وإن كان مختلفا في لغتها منها فليس فيها ولمع في اختفاء المونسي يدركنا بالقصص القصيرة مكره الصوح الموهوسة بموت لأحياء التي نشرها عارسيا مار كير في مطلع عشرينيات القرن العشرين

19 انظر:

GGM, *Todos los cuentos* (1947 1972) (Barcelona, Plaza y Janes, 3rd edition, 1976), PP. 17-18

20. انصبر السابق، ص 14 15.

21. انصبر السابق، ص 17-18.

22. يروي غارنيل عارسيا مار كير هذه القصة كامله لجورج كاسترو كاييدو انظر:

"Gabo" cuenta la novella de su vida. 3", *El Espectador*, 23 March 1977

23. انظر

GGM, *Collected Stories* (New York Harper Perennial, 1991), p. 24.

24. انظر

'La Ciudad y el Mundo', *El espectador*, 28 October 1947

25. عشت لأروي، ص 271.

26. يُعَدُّ غوستافو أدولفو راميريث أريتا للعدة لإصدار كتاب بالغ الأهمية عن علاقة غارميا مار كير بانتحارب التي شهدتها في مرغوتا.

27. انظر . GGM, *Collected Stories*, p 190

28. لويس إيريكي في عالميس، لمصدر السابق، ص 132-133.

29. الإصافة azo التي تأتي في آخر الكلمة لإسبانية تعطي فكرة صرية قوية تُسلد من أحد م أو ضد شيء ما.

30. انظر . Gonzalo Sanchez, "La violencia n Colombia: New Research, new question's, *Hispanic American Historical Review*, 65 4 (1985), PP. 789-807

31. يُوصَّح غابرييل غارسيا مار كير بخلاء أن أوفه فقدت في الحريق الذي دمر البرل الذي كان يعطل فيه (مع إشارة خاصة إلى El fauno on la tranv a). انظر .

Interview, Bogota, 1998. In "Bogota 1947", *El espectador*, 18 October 1981

غير أنه يروي القصة بشكل معاير في مذكراته عشت لأروي، ص 288.

32. انظر . Herbert Braun, *Matron a Gatan: vida Public y violencia urbana en Colombia* (Bogota. Norma, 1998), p 326

33. كان أول عمل ثوري يقوم به، وبالمعارفة، هو مساعدة أحد اللصوص في خطم آلة كاتبة. يؤكد غارسيا مار كير لاحقاً لكاسترو أن الآلة الكاتبة كانت ملكه.

34. انظر

Arturo Alape, *El Bogatazo: memorias del olvido* (Bogota, Universidad Centra , 1983).

35. مقاله مع مارغريتا مار كير كابيليو، بوغوتا 1998

36. انظر Rita GM, in Galvis, *Los GM*. p 237

6 - عودة إلى الساحل: صحافي متمرن في كارثاخينا (1948-1949):

1. انظر عشت لأروي (الطبعة الإنكليزية). ص 304 يعتمد هذا الفصل على مغاللات أُخريت مع أسرة غارسيا مار كير، ومع راميرو دي لا إسبيرا (بوغوتا، 991)، وكاربوس أليمان (بوغوتا، 1991)، وحاك جيلارد (حلولور، 1999 و 2004)، وهكتور روكاس هيراثو (باراكيا، 1998) ومارتا يانيس (كارثاخينا، 2007)، إصافه إلى آخرين غيرهم.

2. هناك كتابان ممتازان عن حياة غارسيا مار كير في كارثاخيا وهما:

Gustavo Arango, *Un ramo de nomeovides: Garcia Marquez en "El Universal"* (cartagena, El Universal, 1995) and Jorg Garcia Usta, *Como aprendio a escribir Garcia Marquez* (Medellin, Lealon, 1995).

وقد ظهر هذا الكتاب الأخير بطعة مفتحة وبغزوات معاريف أقل إثارة:

García Márquez en Cartagena: sus inicios literarios (Bogotá Planeta, 2007).

ويرغم الكتاب بتأثير المديح القوي في تطوره الأدبي لا يتسجم مع الترافيق، لكنه من ناحية أخرى يصبحان رأيي الأعلى في أن المرحلة اللاحقة التي أمضاها في باراكيا (1950-1953) هي المرحلة الحاسمة لقد جاء هذا الكتاب رد فعل على كتاب وضعه الباحث الفرنسي جاك جيلارد الذي جمع في سيمييات القرن العشرين بحس كتابات غارسيا ماركيز الصحافية المنشورة في صحيفة *لا ريفرسال* (كارثاجينا) والمجلدات (بارانكيا) والاسبكتادور (بوغوتا) وغيرها وبصرف النظر عن الرأي في الجدل للذات، فإن إسهام جيلارد في الدراسات الخاصة بغارسيا ماركيز لا تضاهيها أي دراسة. كما أن مدمماته التي كتبها للمجلات غاريل غارسيا ماركيز الصادرة بعنوان *Obra Periodística* لا يمكن الاستعانة بها. ولم تظهر باللغة الإنكليزية سوى مجموعة قليلة جداً لا تريد عن عدد أصابع اليد الواحدة من مقالات غاريل غارسيا ماركيز التي تربد عدها عن ألف مقالة ودراسة وحاضرة أدبية نشرت كلها بين 1948-2008، بخصوص هذه حفنة للرمية انظر:

Jacques Gilard, ed., *Gabriel García Márquez, Obra Periodística vol. 1 Textos costenos I* (Bogotá Oveja Negra, 1983)

3. يورود غارسيا ماركيز تفاصيل كثيرة عن تلك الأيام في مذكراته عشت لأروي (لطةمة الإنكليزية)، ص 306-316.

4. انظر صورة فنية عن روحان هيرانو قسم غاريل غارسيا ماركيز في صحيفة الميرالدو (بارانكيا)، 14 آذار 1950.

5. عشت لأروي، ص 313-314 و320-321 وفيها يدعو غاريل غارسيا ماركيز بالاسم غوسيه دولورسي.

6. انظر: *Un domingo de delirio, El Espectador 8 march 1981* وفيها يتحدث غاريل غارسيا ماركيز عن سحر كارثاجينا التي عاد إليها ويكشف عن أن منطقته المنفصلة كاتب وصفت مرفأ ماه دي لاس أنيماس حيث كانت تقع السوق انظر أيضاً: *Un payaso pintado detras de una Puerta, El Espectador, May 1982.*

7. بالرغم من أن الاعتقاد الذي كان سائداً في كارثاجينا هو أن غارسيا ماركيز لم يعترف بعصل ثابلاً عليه لأنه تعلم منه الشيء الكثير، إلا أن غارسيا ماركيز قال لأحد الصحافيين في سنة 1980، ويدعى دونالد بوسا هيرانو، "إن ثابلاً سيد سيل وأنا مدير له بالشكر الكثير". انظر: Arango, *Un ramo de nomenclides*, p. 136.

8. ظهرت المقالات بلا عواد في صحيفه الأوبيرسال، لكن سطر يشير إلى كتابها في 21 و22 أيار 1948 بعد مرور ستة أسابيع على أحداث المص في بوغوتا

9. يمكن العثور على هذه المقالات وبقية المقالات الأخرى من تلك المرحلة في كتاب:

Gilard, ed., *Textos costenos I.*

10. انظر المصدر السابق، أعلاه، ص 94-95.
11. انظر عشث لأروي (الطبعة الإنكليزية)، ص 325-325.
12. انظر ليخيا في غانفيس، المصدر السابق، ص 169.
13. انظر "Arango, *Un ramo de nomeolvides*, p. 178.
14. انظر: Garcia Usta, *como aprendio a escribir Garcia Marquez*, p. 49.
15. العبارة ناسفة للإنسانية Tan modositu (انظر آرango، المصدر السابق، ص 67).
16. المصدر السابق، ص 275.
17. يستشهد المصدر السابق، (ص 178) بهرايكو مويرا، التصحيح مهمة، ففي كولومب العرقية بل في بوغوتا، في أربعينيات القرن العشرين كان الطفل علامة مشفرة عن ثقافته الساحلية عموماً، وثقافة أسود خصوصاً. وما رنباط غارسيا ماركيث الواضح بهذه الآلة الموسيقية إلا علامة على ارتباطه بثقافته الإقنيسية وعلامة تمييز لرأي الكاتشكو بالعالم.
18. انظر: صحيفه الأوبيرسال، 27 حزيران 1948.
19. انظر. مقالة غابرييل غارسيا ماركيث عن بو في صحيفه الأوبيرسال، 7 تشرين الأول 1949 وتخصص علاقته بإسار ميرالانو انظر كويو بوردا: "Cuatro haras de comadreo literario con GGM" المصدر نفسه.
20. انظر: El Universal, 4 July 1948; see Arango, *Un ramo de nomeolvides*, p. 149. وأعيد نشر المقالة في صحيفه الميرالانو (باراكيا)، 16 شباط 1950، بإضافة الاسم السابق.
21. انظر صحيفه الأوبيرسال 10 تموز 1948. وأعيد نشر المقالة باختلاف صغير في صحيفه الميرالانو، 1 شباط 1950.
22. انظر: Arango, *Un ramo de nomeolvides*, PP. 208, 222.
23. مقابلة مع لويس إيريكي غارسيا ماركيث، باراكيا، 1998.
24. مقابلة مع لويس إيريكي غارسيا ماركيث، باراكيا، 1993.
25. عشث لأروي (الطبعة الإنكليزية)، ص 339-333.
26. غابرييل غارسيا ماركيث، مقالة لأوبيرسال، 26 تموز 1949 وفيها إشارة إلى الكاتشكو.
27. انظر أورلاندو لارجينيا ووف (ميورزا)، فيناتج، 2000، ص 167: لكن الحب حسب تعريف لارجينيا لذكور - ثم من يتكلم بقوة أكبر منهم - لا علاقة له بلطفه ووفاء أو الكرم أو الشعر. الحب سسل من صدرية امرء، ولكننا كنا نعرف ما الحب، هل نحن أورلاندو ذلك؟
28. العبارة هي: "Mucha vieja marcha".
- انظر: Arango, *Un ramo de nomeolvides*, p. 220.
29. انظر: Rafael Betancourt Bustillo, *quoted by Garcia Usta*, PP. 52-53.
30. انظر: Arango, *Un ramo de nomeolvides*, p. 231.
3. لكسر من شأن هذا كله أن يطوي على ابتكار ما يسمى الوافعة السحرية، وكان هناك كتابات تزيد أعمارهم عن عمره بمقدار الضعف، مثل معمل إسورييلس (رجال الدرة

1949) وأليخو كاربنسيه (مملكة هذا العام 1949) كدورا يحومون حول هذه المعركة في حين كان غارسيا ماركيز يجاهد في كتابة رواية البيت في بلد الصقر الرومي فيه مختلف نخلها يبحث على الألم حتى تعابير أميركا اللاتينية السائدة يومئذ.

32 انظر: Vivir Para comarla, p 411.

33. انظر مقالات غابريل غارسيا ماركيز عن لاسيريبي في:

Cilard, ed., *Gabriel Garcia Marquez, Obra periodistica Vol. II: Textos costenos 2* (Bogota, Oveja Negra, 1983).

34. انظر:

El gio Garcia, *La Tercera muerte de Santiago Nasar* (Bogota, Oveja Negra, 1987).

35. انظر.

GGM, "La Candida Erendira Ysu abuela Irene Papas", *El Espectador*, 3 November 1982

36. انظر. Fiorillo, *La Cueva*, p. 95.

37. في عشت لأروي (الضعة الإكبرية)، ص 350 يقول إنه يبدأها إلا وفي صفحة 363 يقول إنما ليست سوى مختبرات لا أكثر!

38. انظر: رابعو، المصدر السابق، ص 266

39 المصدر السابق، ص 243:

يسندكم حاكمي أعولوا بوسا أنه هو وغارسيا ماركيز كانا يصادحان بعضهما بعض باليد اليسرى في كارناخيا في تلك الأيام (المصدر السابق، ص 302). وبالرغم من أن القناد جادلوا باستمرار إن كانت قراءة غارسيا ماركيز الروايات الحداثوية قد بدأت في كارناخيا أم في بارانكيا، إلا أن أحداً منهم لم يبد أنه قد نبه إلى أن ثقافته السياسية السبيلة بدأت بلا ريب في كارناخيا، ويرجع سب ذلك أولاً إلى وجود ثابالا ثم إلى راميرو دي لا مورتيد. ولم يكن السياسة هي الاهتمام الأول بين جماعة بارانكا.

40. انظر:

Juan Gossain, "A Cayetano Lo Mato Todo El Pueblo", *El Espectador*, 13 May 1981.

وفيها يتحدث لويس إيريكسي عن القصة المدهشة لماريا أليخاندرينا ثيرينس كان ماحورها الناس في سوكري أشبه مكتب بلتقي فيه كنا خلال الإحار... ولم تكن أمي لتعلق إن مات الوقت أو إن لم يرجع غابيتو إلى المنزل، لأنها كانت تعلم أنه في ماحور ماري أليخاندرينا لا أدري إن كان الناس يهتمون انصحي الذي كانت ننحوه الأمور قبل ثلاثين سنة من دون إثارة فضيحة ..

41. غابريل غارسيا ماركيز، مقال، الأوبير سال، 24 حزيران 1949. إن أهمية الكتاب بلغة عبده، حتى إنه بالغ بلا ريب القبول بأنه عرا مهمه كله إلى طبيعة الرمان في الحياة وفي القصص قراءته السيدة دالوي.

42 انظر: جيرالد، المصدر السابق، ص 7-10؛ وسالديرا، المصدر السابق، ص 556-557.

43. غابرييل غارسيا ماركيز، ممالك صحفه الميراث، 14 آذار 1950.

44. أراسمو، المصدر السابق، ص 237.

45. النرم كل من أراسمو وغارسيا أوسا غدا لخط

7 - بارانكيا وبائع الكتب وجماعة بوهيمية (1935-1950):

1. أراسمو، المصدر السابق، ص 222.

2. المصدر السابق، ص 311. يحدد هذا الفصل في معجماته على مقدمات مع أخوه غارسيا ماركيز وأخوته وألفونسو هريمايور (بارانكيا، 1991، 1993) وحيرومان هارغاس (بارانكيا، 1991)، وأليخاندرو أريغون (كارثاجيا، 1991)، وثينا سيبينا (بارانكيا، 1991)، وسومسي لياريس دي فارغاس (بارانكيا، 1991)، وهيبودورو غارسيا (بارانكيا، 1991)، وغيرمو مارس (بارانكيا، 1991). وكيكي سكول (بارانكيا، 1991)، وكتابيا غونزاليت (بارانكيا، 1991)، ويانسو بوتيا (بارانكيا، 1991) وبس وولفورد (بلدن، 1991)، ورمون إيلاف ناكيا (بارانكيا، 1991، 2007) وأنصوبو ماريا بيالوث (تيرينس، 1991) وراكاناك (1991) وأوبو عارثون ناشيو (بارانكيا، 1993) وخوان رود ومارسا هورنا عيرا دي رودا (بوغوتا، 1993) وجاك جيلارد (طولوز، 1999، 2004) وغيرمو هينريكيت (بارانكيا، 2007) وغيرهم.

3. حديث مذية مكسيكو، 1993

4. تخصص جماعة بارانكيا انظر.

Alfonso Fuenmayor, *Cronicas sobre el grupo de Barranquilla* (Bogota, Instituto de Cultura, 1978) and Fiorillo, *La Cueva*,

وهيه رسومات توضيحية رائعة كما أصدر فيريلو عددا آخر من الكتب المهمة في القصايات الثقافية المحيطة بالجماعة. أما تخصص بييس فانظر:

Jacques Gilard, *Entre los Andes y el Caribe. la obra americana de Ramon Vinyes* (Medellin, Universidad de Antioque, 1989) and Jordi Llado, *Ramon Vinyes Un home de lletres entre Catalunya i el Caribe* (Barcelona, Generalitat de Catalunya, 2006)

5. ماذا؟ أنت سوبراتس؟ سوبراتس مترجم جويس متوسط الكمايه؟ انظر هريمايور:

Cronicas sobre el grupo, p. 43

6. فيريو، المصدر السابق، ص 46، 98.

7. انظر:

Alvaro Mutis, 'Apuntes sobre un viaje que no era para contra', in Mera ed., *Aracataca-Estocolmo*, PP. 19-20.

8. فيريو، المصدر السابق، ص 108.

9. انظر:

Daniel Sampet, Prologue, *Antologia de Alvaro Cepeda Samudio* (Bogota, Biblioteca Colombiana de Cultura, 1977), also Plinio Mendoza, "Requiem", *La flama y el hielo*

10 غارنيا ماركير. مقاله الاسكتندور. 20 نشر في الأول 1982
11. انظر:

"El grupo de Barranquilla", *Vanguardia Liberal*, Bucaramanga, 22 January 1996, quoted by Gilard in *GGM, Obra periodística Vol V De Europa y America I* (Bogota, Oveja Negra, 1984), p. 15.

12. فيوريو، المصدر السابق، ص 96.

13. المصدر السابق، ص 136 137

14. المصدر السابق، ص 58. قبل زمن قصير، كان بواند المعية شاكير محل بيع البوهوت هك

15. رافق ألفونسو فيريمايور مؤلف الكتاب في جولة لا نسي في هذه المنطقة سنة 1993 وذلك قبل وفاته بر من قصير. في العام 2006، رودي ساجي أسو مدير مؤسسة غاريل غارنيا ماركير لصحافة الجديدة الإسبانية - الأمورية مجموعات حديثة فمة

16. لعل رولون هو الذي عرف غاريل غارنيا ماركير إلى عالم الشيوعية انظر
"Estoy comprometido hasta el tuetano con e periodismo politico":
Alternative entrevista a GGM, Alternative (Bogota) 29, 31 March 1975, p. 3

17. انظر الفقرة الأولى من عشت لأروي.

18. فيوريو، المصدر السابق، ص 74. ساحر أوهيا هو مكان آخر يعطي مكتبة حرافية، د يشير إليه غارنيا ماركير في قصة ليلية الكروانات ورواية مئة عام من العزلة. وقد خلد الكثير من أعمال المجاعة اطائشه في الأدب والأسطورة المحلية، مثال ذلك عندما أثر ألفونسو فيريمايور فزع بقاء على شجرة، فسقط من فوقها ليع في ندر تعبي دائما باليخة في الحكايات التي تدور عن مواخير الساحلي في هذا الوقت. فما كان من غارنيا ماركير إلا أن أسرع دوى تفكير في التقاط عطاء قدر كبير جداً ليحدد أن السعاء واجه مصيره عرضاً عن الدجاج في تلك الباحة العليلة. في ما يخص موضوع الدعاية والأدب في بارانكيا، انظر

Adlai Stevenson Samper *povos en La Arenosa. Cultura y burdeles en Barranquilla* (Barranquilla La Iguaña Ciega, 2005)

19. فيوريو، المصدر السابق، ص 93.

20. أخوتي غاريل غارنيا ماركير هذا الأمر في هاتانا سنة 1997.

21. انظر: عشت لأروي (الطبعة الإنكليزية)، ص 363 وفي ذاكرة غانياني الحريات تظهر بالاس كاستوريا

22. في عشت لأروي يظهر بالاس لاسندس وسر دماسو.

23. قال فوكس هذا في لقائبة المشهورة مشهورة في حمة باريس ريفير وتأثر بها غاريل غارنيا ماركير تأثيراً كبيراً. ثم وصف مكر كطاحة السحاب وسكاها في

Plinio Mendoza, "Entrevista con Gabriel Garcia Marquez" *Libre* (Paris) 3 March-May 1972, pp. 7-8

24. انظر: "Una mujer importancia", *El Heraldo*, 11 January 1950

25. انظر: "El barbero de la historia", *El Heraldo*, 25 May 1951

26. انظر: "I llya en Londres", *El Herald*, 29 July 1950

27. انظر: "Memorias de un aprendiz de antropofago", *El Herald*, 9 February 1951

28. انظر: "La peregrinacion de la jirafa", *El Herald*, 30 May 1950

29. انظر: Saldívar, GM *el viaje a la semilla*.

هنا نجد ساندسار رواية غابرييل غارسيا ماركيز وبوكد مما لا يدع مجالاً للشك أن روبرتة برفقة أمه إلى أراكاتاكا كات في العام 1952، وأن غابرييل غارسيا ماركيز قال إن الزيارة حدثت في العام 950. ليحل محل من بارانكا المكان الذي بدأ فيه أول مرة كتابه *عاصفة الأوراق*. ولتحل محل من روبرتة مع أمه إلى المكان مصدر الإلهام هنا؟ عني حين أن الحقيقة هي أن *عاصفة الأوراق* - حسب سالدívar - كتبت أول مرة في كارثانيا عام 1948-1949! ولما كان سالدívar قد أكد هذا، فإن غابرييل غارسيا ماركيز كان يخطط لحمل رحلته مع أمه منطه انطلاق بمحمل مذكراته والتأكيد لقطع عني مهنة الإديبة، فإن مرضية سالدívar متهورة، بل لا أساس لها من الصحة في تقديرى.

30. في وقت لاحق، سينجأ إلى استخدام هذه المذكرة لكتابه قصته *قيلولة الغالقاء* ابنى تدور عس أم لص ميت وأخته اضطروا إلى السير وسط شوارع مأكولولو للمعادية لها من أجل رباره فترة. إن من برأ روايه بيدرو بارامو لليون رومرو (1955) التي أثرت تأثيراً بالغاً في غابرييل غارسيا ماركيز بدءاً من السطر الأول من روايته *مئة عام من العزلة*، لا بد من أهم قد لاحظوا أن أسلوب ومحتوى هذا القسم، إضافة إلى مذكراته عشت لأروي كتب تذكر بوصول حواد برتو دو إلى كوماالا في مستهل رواية *حواء رولمو*. بخصوص أراكاتاكا في تلك الفترة، راجع.

Lazaro Diago Julio, *Aracataca una historia para contra* (Aracataca, 1989, unpublished), PP 198-212.

31. الأمر الذي يبعث على المفارقة هو أن المؤرخ المحلي دابغو حوليو يقول إن سنة 1950 كانت أكثر سرور أراكاتاكا ازدهاراً منذ عشرينيات القرن العشرين (المصدر السابق، ص 215).

32. عشت لأروي، ص 26.

33. مفاسمة مع غابرييل غارسيا ماركيز أجراها بيتر ستون مجلة *ناريس ريميو* في العام 1981، انظر:

Philip Gourevitch, ed., *The "Paris Review" Interviews*, Vol. II (London, Canongate, 2007), PP 185-6.

34. هذا ما قيل لي سنة 1999. انظر أيضاً: أنطوني داي ومار جوري ميلر، *عابو يتكلم: غابرييل غارسيا ماركيز يتحدث عن بلانيا أميركا اللاتينية وصداقه مع فيدل كاسترو ودعوه من الصحافة البيضاء*، مجلة *لوس أنجلوس تايمز* 2 أيلول 1990، ص 33.

35. في عشت لأروي يقول غابرييل غارسيا ماركيز إنه نادراً ما تكلم مع أمه في طريق العودة من الرحلة، لكن، بحسب حواء عوسافو كويو بوردا. فإنه مرعاً ما بدأ يسأها عن قصة الجد وألسرة والأصل الذي حضرت منه

36. غابرييل غارسيا ماركيز، مقالة، المهرالدو، 24 نيسان 1950.
37. فيورييلو، المصدر السابق، ص 20-21.
38. صحيفة المهرالدو، 14 آذار 1950.
39. يعني إسكالبوا أشهر مؤلف لأغاني الغاليانو كما يقف مؤسسه وطنيه، وطني، انظر.
Consuelo Araujonoguera, *Rafael, Escalona el hombre y el mío* (Bogota, Planeta, 1988).
- وهي سيرة كتبها للمرأة التي نظمت مهرجانات الغاليانو التقليدية في بايلونار إلى أن لقيت مصرعها على ما يبدو خلال اشتباكات مسلحة اندلعت بين الجيش ورجال من تنظيم القوات المسلحة الثورية الكولومبية في أيلول 2001.
40. فيورييلو، المصدر السابق، ص 365.
41. عشت لأروي في:
Living to tell the Tale, *Fuenmayor, Crónicas sobre el grupo*, and Gilard, ed., *textos costenos I*
42. فيورييلو، المصدر السابق، ص 186-187.
43. خصوص غابرييل غارسيا ماركيز ومعموي، انظر:
William Kennedy, "The Yellow Trolley Car, Bracelona An interview" (1972), in *Riding the Yellow Trolley Car* (New York, Viking, 1993), p. 261.
44. غابرييل غارسيا ماركيز، مقالة، المهرالدو، 13 تشرين الثاني 1950.
45. انظر، Eligio Garcia, *Tras las claves de melquiades*, PP 360-61.
- (*) المقطع يقتصر إلى علامات التمسك، وفي أماكن متعددة يربط ماركيز الكلمات بعضها ببعض فسدو كلمه واحده طويلة جداً لم يضعف رسمه في العربية. (الترجم)
46. أعطاني كارلوس أليمان نسخة من لرسالة خلال لقائنا في بوغوتا سنة 199. وقد نشرت النسخة لإجابة مره أخرى في كتاب:
Arango, *Un Ramo de Nomeolvides*, PP. 3-271.
47. كما يبحث على الاستعراب أن عيناك كان دهن في باحة مسرله في بوغوتا بسب الخوف من أن يجذب صرخه اهتماماً في غير محله لكل من معجبيه وأعدائه.
48. انظر: "Caricature de Kafka", *El Heraldito*, 23 August 1950.
49. كان مارتى شيرراً ورفيقاً في آن واحد (وكان يدعى إلى استخدام شعوده عرافاً وعرس للديس في عيون البصم).
50. انظر: "El Viaje a la semilla", *El Manifiesto* (Bogota, 1977) in Renteria, p. 161.
51. قال غابرييل غارسيا ماركيز لأليد بونيا تومسكا (في مقابلة نشرت في أيلول 1973 في *Tudo Mexico* ص 224) إنه لم يستطع قط استخدام ميرثيد بس استخداماً أدبياً لأنه يعرفها معرفة وثيمة تجعله لا يملك أي فكرة عنها!
52. تكلمت مع مير' ديلمار عن تلك الأيام في تشرين الثاني 2006.

53. انظر: ليحيا غارسيا ماركيز في غالغيس، المصدر السابق، ص 163-166. حدثني ميرثيدس مالتشي، نفسه في 1991.

54. انظر:

Antonio Andrade, 'Cuando Macondo era Una redaccion', *Excelsior* (Mexico city) 11 October 1970

55. مقابلة مع عابدة غارسيا ماركيز، نارانكيا، 1993.

56. انظر: "El día que Mompox se volvió Macondo", *El Tiem*, 11 December 2002

ترجمت مارعونا تشبكا في سينتليجو في أيار 2003. للحصول على أفضل مصدر للمعلومات عن أسباب هذا الإغتيال وما أعقبه راجع:

Eligio Garcia, *La Tercera Muerte de Santiago Nasar* (Bogota, Oveja Negra, 1987).

57. عشت لأروي، ص 384-386.

58. ليحيا غارسيا ماركيز، المصدر السابق، ص 154.

59. انظر:

Angel Romero, "Cuando GM Dormia en El Universal", 8 march 1983

وهو المصدر الأساس في ما بعد لكاتب أرايغو.

60. جيرالد، المصدر السابق، ص 7

61. غوساهو غارسيا ماركيز في غالغيس، ص 211.

يذكر غابريل غارسيا ماركيز هذا الحادث في صحيفة الاسكندور، 23 اب 1981

62. عشت لأروي، ص 39.

63. انظر: García Lsta, *Como Aprendio a escribir Garcia Marquez*, PP. 34-5.

64. أرايغو، المصدر السابق، ص 274.

65. المصدر السابق، ص 211.

66. غوستافو غارسيا ماركيز، في غالغيس، المصدر السابق، ص 194.

67. غابريل غارسيا ماركيز، مقالة، الاسكندور، 18 آذار 1951.

68. وهي أيضا موكثية بكل وصوح.

69. يقول سالديار إن ريارته كاتب عام 1949. ويبدو أن هذا قد اسند إلى ذاكرة غير

صحيحة لأن غابريل غارسيا ماركيز سكن في كارتاجينا مرتين: في عامي 1948-1949

وفي عامي 1951-1952. وكان موثس شديد الوصوح دائما بتأكيد أنه استخدم مصه

في شركة الخطوط الجوية لاسا لسمير إلى كارتاجينا يلتقي غابريل غارسيا ماركيز ولم

يظل في عمله في الشركة حتى سنة 1950.

70. غابريل غارسيا ماركيز، مقالة النابيس (متردد)، 30 تشرين الأول 1993.

إن حقيقة عدم لقائه موثيس حتى العام 1951 لا تمنع غابريل غارسيا ماركيز من الإعلان

أنه اعتاد أن يجر موثيس ومالاريو عن قصصه في بوغوتا في عامي 1947-1948. انظر

بوغوتا 1947، الاسكندور، 18 تشرين الأول 1981

71. انظر:

Santiago Mutis, *Tras las rutas de Mayröli el Gavlerö* (Cali, Proatres, 1988), p. 366

72. انظر:

Fernando Quroz, *El rino que estaba para mi conversaciones con alvaro Mutis* (Bogota, Norma, 1993), PP. 68-70.

73. فيا الكودومية

عكس التأليف أطروحة كاملة عن هذه الكلمة التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من الشخصية الوطنية الكولومبية، فهي تستعمل بادئ ذي بدء، عندما يكون التكلم عاجزاً عن التلطف بكلمة دقيقة، أو حتى لا يرغب نعمة بالتلفظ بها. على كل حال، ففي سد يكون فيه الكلام دقيقاً على نحو غير مألوف نجد أن استعمال كلمة *Vaina* مقصود تماماً ودالماً (في وقت تبدو فيه عقوبة)، وعادة قومية أو حتى إدمان، وأسلوب في ترك الأشياء غير دقيقة، بل وسيلة لإظهار أن المرء يرمع في أن يكون حراً وليس رداً أو حتى محالاً في بلد حيث يتكلم أهلهم أفضل لغة إنسانية في العالم، والواضح أن كلمة *Vaina*، إذا أردنا أن نعني كل شيء كما هي الحال هنا، وليس كما هو معتاد، فإن شيئاً غير مهم لا يستحق اسماً يظهر اتجاهه بطوي على معارفة وليس حديقاً بالاحترام. إن الكلمة يستعملها كثيراً المتكلمون المذكورين؛ ربما لأن النساء يدركن أنها مأخوذة عن الكلمة اللاتينية *Vagina*، أي الرحم.

74. انظر: *Vivir Para Contarla*, p. 481

75. في مقابلة ترجع إلى سنة 1968 قال غابرييل غارسيا ماركيز إن ييبس واساء عن الرفض. انظر:

Leopoldo Anzacot, "Garcia Marquez habla de politica y literatura", *Indice* (Madrid), 237, November 1968.

لكن ييبس كان قد عذر في بسبب من ذلك العام.

76. لا تزال هناك لحظات أخرى مدمشة، ومنها لحظة خالدة هي شارب الكوكاكولا 24 أيار 1952، بخصوص تحيته لرامون ييبس في أعقاب موته في مرشولة في الخامس من أيار وذلك قبل بلوغه السبعين. إنها شهادة عن الكاتولي المحجور الحكيم، وأيضاً عن رؤية غامبو وأصانته أيضاً، وهو آخر تلامذته الذي وجد طريقه كي يقول وداعاً وهي في الوقت نفسه رؤية لا تطوي على احترام، تسحر من الذات، ومؤثرة وتنتهي بعبارة: اتصلوا بنا من مرشولة يوم السبت الماضي ليخبرونا بوفاته فجلست أتذكر كل هذه الأشياء، إذ قد تكون صحيحة.

77. أجريت لقاء مع بونشو كوتيس في نايدوبار سنة 1993. لتحديث عن علاقتهما انظر:

Rafael Escalona Martinez, "Estocolmo, Escalona y Gabo", in Mera, ed., *Aracataca-Estocolmo*, PP. 88-90.

78. مقابلة مع مايول تابانا أولمبا، بوغوتا، [199]. انظر:

Zapata Olevella, "Enfoque antropológico: Nobel para la tradicion oral", *El Tiempo, Lecturas Dominicales*, December 1982.

79 انظر:

Ciro Quiroz Otero, *El allenato, hombre y cuento* (Bogota, Icaro, 1983).

80. هزت هذه الأعمية بجائزه التأليف في مهرجان المانياتو سنة 1977. وكانت معرفة عارسيا ماركيير بعد السط من أغاني المانياتو المجهولة في أربعينات القرن العشرين قد اودادت بعصل كيميقي مانريل ثابالا ومانويل مابات أوليغيا (وهو القادم من جهة منطقة بوليفار لساحليه) حتى قبل أن ينتقي يسكالرنا، لكنه كان شعوراً دوماً عوسيقى إقليبه الشعبيه.

81 انظر:

GGM. "Cuando Escalona me daba de Comer", *Coralibe* (Bogota), April 1981.

82. انظر على سبيل المثال:

"La Cerania con el pueblo encumbro la novela de America latina", *Excelsior* (Mexico city), 25 January 1988

83. انظر: 499 p. *Viver Para Contarla*,84. انظر: 479 p. *Cobo Borda, Silva, Arcamegas, Mutis y Garcia Marquez*,

85 انظر:

Plinio Mendoza, "Entrevista con Gabriel Garcia Marquez", *Libre*, 3 March-May 1972 p. 9.

ومنه ينتسب عابريل عارسيا ماركيير سطرًا ويعترف أنه ربما كان مصدر إلهام روييه خوريف البطوروك.

86. في قصة موت معلن، تصحح شخصيته المستوحاة في الرواية بانه موسوعة في مرحلة قلقة كنت تحاول فيها أن أفهم شيئاً ما عن نفسي". (لندن: بيكادور، 1983) ص 89.

87. انظر خارجه جانب المحيط الأطلسي الذي تطل عليه كولومبيا/الساحل الكوروسمي.

88 انظر:

Gilard, ed., *Gabriel Garcia Marquez Obra Periodistica Vol. III: Entre Cachacos I*, p. 66.

89. بدكر في رسالة بعث بها عابريل عارسيا ماركيير في مرشولة إلى ألفارو ميديا ساندوب في بارانكيا، 26 آذار 1970. إنني مدين ناشكر لينا سبيدا إذ أعطتني عمى الرسالة.

90. انظر. 504 p. *Viver Para Contarla*, بارعم من أن جيلارد قبل له أن عابريل عارسيا ماركيير هو الذي سهر أولاً (Textos cotenos I, p 25)

91. فار هذا العمل بمثابة القصة القصيرة القومية لعام 1954. انظر عشت لأروي، ص 454، لطمة الإنكليزية، وينص على عادة لا ميلاته بلان وبالجد

92. انظر: 480 p. *Cobo Borda, Silva, Arcamegas, Mutis y Garcia Marquez*,

يقول عابريل عارسيا ماركيير أيضاً إن الروائي الذي يستمتع بقراءة أعماله أكثر من غيره ويجعل دهبه يخلق بعدها هو كوبراد. شكره، بخلدًا، لموتس.

93. انظر: 506-7 p. *V. vir Para contarla*,

8 - عودة إلى بوغوتا: مراسل صحفي من الطراز الأول (1954-1955):

1. مصابلات مع أفعارو موتيس، مدينة مكسيكو، 1992 و 1994 لأعراس هذا المنصب، محدثت أيضاً إلى حوسبه سالعار (بوغوتا، 1991، كارتاجينا، 2007) وخيرمان آرسماس (بوغوتا، 1991) وحواد غوستفو كزوبو بوردا (بوغوتا، 1991) وآنا ماري باسكتيس دي كانو (بوغوتا، 1991) وألفوسو وفيرماندو كانو (بوغوتا، 1993) وألفارو كاستانو (بوغوتا، 1991، 1998، 2007) وناسي بيثيس (مدينة مكسيكو، 1994) وخوسيه فورت كاسرو (مدريد، 1997) وحاك جيلارد (صولور 1999 و 2004) وغيرهم. في 1993 رافقتي باريثيا كاستانو في حوة في جميع الأماكن ذات الصلة بغابرييل غارسيا ماركيز في مركز العاصمة بوغوتا

2. انظر:

Alfredo Barnechea and Jose Miguel Oviedo, "La historia como estetica" (interview, Mexico, 1974), reproduced in Alvaro Mutis, *Poesia y prosa* (Bogota, Instituto Colombiano of cultura, 1982), PP. 576-97.

3. عشت لأروي، ص 439

4. انظر. Oscar Alcaron, *El Espectador*, 24 October 1982. ألقيت في 2007 أوسكار الاركون، أحد الأهرباء من سانتا مارتا قدمه غابرييل غارسيا ماركيز في صحيفة الاسكتادور.

5. عن المقابلة التي أجريتها مع سالغور 1991.

6. انظر: "La reina sola", *El Espectador*, 18 February 1954.

7. انظر: Gilard, ed., *Entre cachacos I*, PP 16-17. مرة أخرى أشير إلى أن كذب جيلارد عن هذه المرحلة لا يستعي عنه

8. انظر: Sorela, *El otro Garcia Marquez*, p 88. لدى سوريل، الصحفي اندي عمل فترة في صحيفة الناس الإنسانية، أفكار رائعة بخصوص صحافة غابرييل غارسيا ماركيز.

9. انظر: جيلارد، المصدر السابق. وفيه يقسو على نقد غابرييل غارسيا ماركيز السماثي

10. الاستقامة والنقة ولصعة الإنسانية هي التي تربطه ارتباطاً قويا بسلمه ثيربنتس.

11. وهو ما كان يسعده أن يقوم به بصورة غير مباشرة، في مراحل متقدمة من حياته، من خلال "ورشي" السينما والصحافة

12. انظر:

Living to tell the tale, p. 450. See also Jose Font Castro, "Gobo", 70 Anos.

"No quiero homenajes postumos en vida", *El Tiempo*, 23 February 1997.

وفيها ذكريات عن تلك المرحلة.

13. مقابلة مع ناسي بيثيس في مدينة مكسيكو، 1994، 1997. بخصوص لويس بيثيس، انظر:

E. Garcia Riera, *El cine mejor que la vida* (Mexico, cal y Arena. 1990), PP. 50-53.

14. فيوريلو، المصدر السابق، ص 262

15. انظر:

Diego Leon Giraldo, "La increíble y triste historia de GGM y la cinematografía desalanda", *El Tiempo, Lecturas Dominicales*, 15 December 1982.

ودلت بخصوص كل من La Langosta Azul وفنقه السينمائي في بارانكيا وبوغوتا وقد أوضح صديقي غوستافو أدولفو راميريث أن أصدقاء غابريل غارسيا ماركيز الساحليين كانوا يترددون على بوغوتا.

16. عشيت لأروي، ص 463.

17. جيلارد، المصدر السابق، ص 52 53.

18. مقابلة غابريل غارسيا ماركيز، الاسكندور، 2 آب 1954.

19. نشرت في الثاني والثالث والرابع من شهر آب سنة 1954 على التوالي.

20. يتذكر غابرييل غارسيا ماركيز هذه الرحلة إلى 'Uraba' في

"Seamos machos: hablemos del miedo al avion", *El espectador*, 26 October 1980; German Castro Caycedo, "'Gabo' cuenta la novela de su vida 4", *El Espectador*, 23 March 1977; *Living to tell the tale*, PP. 440-50; Daniel Samper, "GGM se dedicara a la musica", 1968, in Renteria, PP. 7-21 "GGM: 'Tego permanente germen de infelicidad' atender a la fama", *Cronos*, 1 January .980.

وقد ذهب إلى ما هو أبعد من هذا بقوله (كما نعتل الحقيقة) مما أثار صدمة بعض الصحفيين في صحيفة الباييس

21. انظر مقالة: همسواي، جائزة نوبل، صحيفة الاسكندور، 29 تشرين الأول 1954. المقالة نقلت من اسم كاتبها لكر جيلارد عن ثمناً في اعتقاده أن كاتبها هو غابريل غارسيا ماركيز

22. عشيت لأروي، ص 472 يشير الكاتب إلى أن ذلك كان في مكتب غابريل غارسيا ماركيز في صحيفة لاسكندور.

23. غابريل غارسيا ماركيز، محاضرة ألقى على صحفيين من صحيفة الباييس في الجامعة المستقلة في مدريد، 28 نيسان 1994.

24. مقابلة مع خوسيه فورت كاسترو، مدريد 1997.

25. انظر:

"La desgracia de ser escritor joven", *El Espectador*, 6 September 1981.

بعد صدورها أول مرة، وعندما كان غارسيا ماركيز قد عاد لتمضية مدة قصيرة في بوغوتا في أعقاب نشر روايته **سنة عام من العزلة**، وجد عشرات السع من هذه القطعة معروضة للبيع في مكتبة لبيع الكتب القديمة بسعر بيزوس واحد لكل نسخة، فاشترى أكبر كمية يستطيع شراءها.

26. عشيت لأروي، ص 482.

27 انظر:

Claude Couffon, "A Bogota chez Garcia Marquez", *L'Express* (Paris), 17-23 January 1977, PP. 70-78, especially p. 74

28. انظر: Dante, *Vita Nuova*, chapter 2.

29 كانت ميرتيديس طاسة مختارة في المدرسة الثانوية، وفكرت في دراسة علم الجراثيم في الجامعة، لكن يبدو أن اقترب موعد زواجها المعتصر عابو، والذي كان بلوح في الأفق دائماً، هو الذي جعلها توجل خططها في الدراسة.

30. عشت لأروي، ص 467، 468، 470

31. انظر:

Juan Ruiz, Acipreste de Hita, *El Libro de buen amor* (Fourteenth century).

كان تأثيره بالغا في الثقافة وفي علم النفس الإسباني. إن موضوع "الحب الجوى" يرد ذكره في الصفحة الأولى وصفا بإشارة إلى نقيضه وهو "الحب الوفي" في الصفحة الأخيرة من ذاكرة غاباتي الحزينات، وهي الرواية الأخيرة التي نشرها غابرييل غارسيا ماركيز وله من العمر سبع وسبعون سنة.

32. مدينة مكسيكو، 1997.

33. انظر على سبيل المثال: كلوديا، دريفوس، مجلة بلاي بوي، المصدر السابق، وفيها يوضح أن ميرتيديس قالت إن الأفضل له أن يذهب وإلا سيلومها طوال حياتها، (ص 178)

9 - اكتشاف أوروبا: روما (1955):

انظر: "Los 4 grandes" en Tecnicolor", *El Espectador*, 22 July 1955.

2 يعتمد هذا الفصل على مقابلات مع فيرناندو غوميث أغنيديلو (أجرى باتريشيا كاستانو، بوغوتا، 1991) وعيرمو أنغولو (بوغوتا، 1991، 2007) وفيرناندو بيرري (كرتاخيا، 2007 ولسدن، 2008)، وحاك جيلارد، (طولوز، 1999 و2004) وعلى أحاديث شق مع عدد كبير من رواة الأخبار من صممهم جون كرافياوسكانس

3 انظر: "Los 4 grandes" en Tecnicolor" راجع أيضا ذكريات معايرة عن هذه الرحلة في: "Regreso a la guayaba", *El Espectador*, 10 April 1983.

وفيها يوضح مرة أخرى أن هدفه كان هو العودة إلى كولومبيا بعد بضعة أسابيع.

4 انظر:

صحيفة الاستكتادور، 23 آذار 1977.

يسروود كاسترو كاي سيدو 4 و5 بأفضل التفاصيل عن تحارب غابرييل غارسيا ماركيز في

جسم.

5 مرة أخرى نشر إلى أن كتاب جيلارد على درجة بالغة من الأهمية. انظر:

Gabriel Garcia Marquez, *Obra Periodística Vol. 1° De Europa y America*

1 (Bogota, Oveja Negra, 1988), p. 21

6 المصدر السابق.

7 سوريللا، المصدر السابق، ص 115

8. احتج أن أرملة النانا أضحت شيئاً من الماضي بعد أن طلعت عندما كان غارسيا ماركيز لا يزال في بوغوتا. لكن غابرييل غارسيا ماركيز يصر على هذه الرواية وبمضي في التفاصيل انظر: "Roma en verano", *El Espectador*, 6 June 1982.
9. المصدر السابق، لكن غابرييل يوضح أنه بقي في روما ثمانية أشهر أو سنة، راجع: German Castro Caycedo, "Gabo" cuenta la novela de su vida. 3", *El Espectador*, 23 March 1977.
10. أشارت صحيفة إكسپرس (مدينة مكسيكو)، 19 آذار 1988، أن صحيفة لا ستامب الصادرة في تورين أنادب أن مقالات غابرييل غارسيا ماركيز التي كتبها عن موتس لا تنفي صوغاً جليداً على القصة. الأهم من هذا، وفي ضوء معلومات غارسيا ماركيز، هي إن كانت القصة قد تلخصت تلخيصاً أفضل من أي صحفي آخر.
11. انظر: 1، *El Espectador*, 16 September 1955.
12. Karen Pinkus, *The Montesi scandal: the Death of Wilma Montesi and the Birth of the Paparazzi in Fellini's Roma* (Chicago, Chicago University Press, 2003) p. 2.
13. المصدر السابق، ص 36 عن: عا السينا؟ ساراب.
14. انظر:
- GGM "Domingo en el Lido de Venec a Un Tremendo drama de ricos y pobres" *El Espectador*, 13 september 1955.
15. انظر: صحيفة الإسكندرية، 6 حزيران 1982.
16. صحيفة الإسكندرية، 8 أيلول 1955.
- بعد مرور ربع قرن من الزمان يسافر دوري، الذي كان صديقاً رقيقاً، إلى كولومبيا ليحضر شريطاً سينمائياً عن رواية قصة موت معلن لغابرييل غارسيا ماركيز.
17. انظر: 5-8، *De Europa y America*, ed. Cillard.
18. انظر: غابرييل غارسيا ماركيز، الإسكندرية، 4 أيلول 1983
- تشبه قصة مريلا وقصة رافائيل ريجيرو سلفاً في روم (التي ورد ذكرها في هذا الفصل) إذ سافرت إلى أوروبا لتصبح معلمة كلاسيكية.
19. غابرييل غارسيا ماركيز، مقالة، الإسكندرية، 22 آب 1982 وهي سرد لاعتقاد غابرييل غارسيا ماركيز لحرق بشأن معادته كاديكيو وعدم الرجوع إليها خشية الموت.
20. انظر: مقالته في الإسكندرية، 27 كانون الأول 1981.
- وهيها يوضح بجلاء أن رحلته الأولى والوحيدة إلى تولدا ستعرق أسوعين في عريف العام 1955
21. انظر مجلة كروموس، 2، 203، 31 آب 1959
22. المصدر السابق.
23. انظر صحيفة الإسكندرية، 28 كانون الأول 1955.
24. انظر مقالة غابرييل غارسيا ماركيز، الإسكندرية، 11 كانون الأول 1955.

23. غابرييل غارسيا ماركي، مقالة الاسكتنادور، 6 حزيران 1982. يصف غابرييل غارسيا ماركيير الفنانة عني ألما واحده من انغانيات الحزنيات في هيليا بورخس: حد وستظهر عذرة 'الغانيات الحزنيات' في عنوان آخر رواية من رواياته بعد أكثر من خمسين سنة.

26. انظر صحيفة الاسكتنادور، 14 تشرين الثاني 1982، وفيها يضمن شميلا كير دور كُتب النص السيميائي، وبمطعمهم يجهول باستثناء ثاباتي.

27. انظر: Eligio Garcia, *Tras las Claves de metquarades*, PP 408-9.

28. المصدر السابق، ص 432.

يشير غابرييل غارسيا ماركيير بعد مرور سنوات نقلاً عن ثاباتي وليس هيلي إلى أن "المن في أميركا اللاتينية لا بد من أن يكون له رؤية" لأن واقعاً مهلوس (بكر الرو) ومهلوس (بفتح الراء) في الموقف نفسه. ألم يدخل الشك أحد في أن أكثر مصادر "الواقعية السحرية" في أميركا اللاتينية رجحاً هي رواية "أعحوبة في ميلانو"؟

29. إليخيو غارسيا، المصدر السابق، ص 408.

30. إليخيو غارسيا، المصدر السابق، ص 408.

31. انظر:

Claude Couffon, "A Bogota chez Garcia Marquez", *L'Express*, 17-23 January 1977, p 57

يقول غابرييل غارسيا ماركيير لكونهون إنه توجه مباشرة إلى مدق الغلندر في البسة الأولى.

10 - جاع في باريس: البوهيمية (1956-1957):

يعتمد هذا الفصل على مقابلات مع بلينيو أيبو ميسوتا (بوغوتا، 1991) وهيرنان فيكو (بوغوتا، 1991) وجرمان فارغس (بارنكيا، 1991) وغيرهمو أنخولو (بوغوتا، 1991) و (2007) وتانشيا كويتانا روسوف (باريس، 1993، 1996، 2004) ورامون تشالو (باريس، 1993) وكلود كرفون (باريس، 1993) ولويس ثار بوردا (بوغوتا، 1998) وحاك جيلارد (طولور 1999، 2004) وعدد آخر من رواة الأحبار

2. باريس هي باريس والصلقات قائمة حتى اليوم بالرغم من أن هدف الملائكة تغير اسمه إلى مندق دي تروا كولييج. ثمة علامة تشير إلى أن غابرييل غارسيا ماركيير سرل فيه. وقد حضر ابنه غوتالو وتانشيا كويتانا مراسم إراحة الستارة عن العلامة.

3. بطر:

Plinio Mendoza, "Ret rate de GM (Fragmento)", in Angel Rama *Novisimos narradores hispanoamericanos en 'Marcha' 1964-1980* (Mexico Marcha Gditores, 1981), PP 39-128

4. المصدر السابق، ص 137 انظر أيضاً: صحيفة الاسكتنادور، 27 شباط 1974

5. انظر:

Plinio Mendoza, *La llama y el hielo*; Plinio Mendoza, "GM 18 anos atras", op. cit.

6. مما يدعو إلى الدهشة أن كاناً أميركياً لاتيفاً آخر وصديق غابرييل غارسيا ماركيز مستقبلاً، وهو ماريو فارغاس يوسا، انتهى به الأمر بعد أربع سنوات إلى معرفة عنية اسأجرها من السيدة لأكروا ونسب نفسه.

7. في ما يخص أونيزو سيلفا انظر صحيفة الاسبكتادور، 28 كانون الأول 1980.

8. نلسو مندوتا، المصدر السابق، ص 49-51.

(من سأن La llama y el fielo أن تحدث شقاً بين غابرييل غارسيا ماركيز وميلدوتا وعلى وجه الخصوص بين ميرثيليس وميلدوتا، إلا وجدت في بعض كشوفات خيالة للغة ولصدقهما).

9. انظر:

Antonio Nunez Jimenez, "Garcia Marquez y le las Antillas (o Que conversan Gabo y Fidd)". (Havana, 1984, unpublished manuscript)

وقد طعني تخميني على المحطوة لدى ريارتي هافا في العام 1997 كما أن القصة وردت في مقالة غابرييل غارسيا ماركيز 'Desde Paris on amor' المنشورة في صحيفة الاسبكتادور في 26 كانون الأول 1982. لقد سقط بيرون - الذي لم يكن دكتوراً بأي حال من الأحوال - في أيلول 1955، هذا يلو على الأرجح أن الصرخة كانت موجهة إلى أودربا الذي تخلى عن السلطة في البرو عني مصص في الثامن والعشرين من تموز، أو إلى سومورا الرئيس البيكاراغوي الذي لقي مصرعه في الحادي والعشرين من أيلول.

10. انظر: غابرييل غارسيا ماركيز، صحيفة الاسبكتادور (بوغوتا)، 31 آذار 1956

يمكن العثور على هذه مقالات في كتاب جيلارد: De Europa y America 1

11. مندوتا، المصدر السابق، ص 19-20.

12. انظر:

Consuelo Mendoza de Riano, "La Gaba Revista Diners", (Bogota), no. 80, November 1980.

وفيهما قرأ عن غابرييل غارسيا ماركيز وقد كتب ثلاث مرات سبوعياً إلى ميرثيليس، لكن قبل إنه كانت لديه صديقة إسبانية في باريس.

13. انظر: بيترسون "غارسيا ماركيز"، مجلة هاريس ريفيو، 1981، ص 188

14. ميندوتا، عصر العواقة، ص 56.

15. إليخير غارسيا، المصدر السابق، ص 403.

16. مخصوص مقهى مايون وغيرها من لقاهي وإضافات انظر.

Juan Goytisolo, coto vedado (Barcelona, seix Barral, 1985), PP 12-209

17. يستد هذا المصم إلى متاعلة طوسة في باريس في شهر آذار 993

18. نعل أبهج شرح عن معناه غابرييل غارسيا ماركيز في باريس هو تلك الذي نعهه في.

Jean Michel Fossey, "Entervista a Gabriel Garcia Marquez". Imagen (Caracas), 27 April 1969, see also German Castro Caycedo, "'Gaba" cuenta la novella de su vida. 5, El Espectador, 23 March 1977

- 19 يدعى أصدقاء أوغسطين الثلاثة، وكلهم حيّطون، بالأسماء الفوسو وألفارو وحيرومان، وهي أسماء أصل أصدقاء غابريل عارسيا ماركير من بارانكيا.
20. انظر بليسيو ميسونتا، عطر الغواصة، ص 26.
21. أمضى عمه جوسيه ميريا بالديلاكيت عقوداً من الزمان في الحكومة في بوغوتا، وفي سنة 1993 التقيت عبي مائدة الشرب مع ريكاردو ماركير إغوراني، وهو أحد أقرباء عارسيا ماركير، وكان يعمل مند سواب مع بالديلاكيت في دائرة القاعد في أواخر عقد الأربعينات، 'سوات وسوات' ولم يدفع مرتباً قاعدياً واحداً.
22. تحسري وقائع رواية ليس للعقيد من يكتابه منذ أوائل تشرين الأول وحتى مطلع كانون الأول 1956، ونحن نعلم بهذا بسبب الإشارات إلى أزمة السويس، مما يعني أنها كتبت في الوقت نفسه الذي كانت فيه الأحداث تأخذ مجراها في كولومبيا والشرق الأوسط، فضلاً عن أن غابريل عارسيا ماركير وتانشيا كوستانا كانا معا خلال تلك المدة، 21 آذار وحتى أواسط كانون الأول.
23. بترجمتي.
24. سوريللا، المصدر السابق، ص 133.
25. الرواية مؤطره بالإطار نفسه المستعمل في قصة موت معلن لاحقاً: فأمامنا راو بنسبه غابريل عارسيا ماركير تحدث إلى بيبي في كارتاجينا بعد مرور سوات طويلة ثم يبدأ تعامياً سجلات المستشفى في باريس ليتأكد من تاريخ دخول ساء، ويتحدث إلى أحد العاملين سبي ليهي أن استشاره في لسفارة الكولومبية.
26. غابريل عارسيا ماركير، مقالة. الاسيكنادور، 22 شباط 1984.
27. غوستافو عارسيا ماركير في عالميس، المصدر السابق، ص 206.
28. يناقش ميسونتا هذه المرحية في: *Cronicas sober el grapa de Barranquilla*
- لقد كانت رواية غابريل عارسيا ماركير الأولى عاصفة الأوراق مهددة إلى حيرومان عاريس. أما الأصدقاء في رواية ليس للعقيد من يكتابه بهم الفوسو وألفارو وحيرومان: ومسطهر الرجال الثلاثة في رواية مئة عام من العزلة مع رامو-بييس (وميرثيديس...).
- لما لا يدعو إلى المحب أن غابريل عارسيا ماركير يكرر أمام الصحفيين أنه كتب "كي يحسني أصدقائي أكثر"، ومن يتولاه المحب لرجل به تجربته في الحياة لعائسة في تطوالة، فيشبت بالأصدقاء الذين جعلوه أول مرة يشعر أنه إنسان مسم
29. انظر.
- Silvana Paternostro, "La Mirada de los otros Pagina 12", (Buenos Aires), 5 May 2004.
30. غابريل عارسيا ماركير، جورج براسيس، مقالة، الاسيكنادور، 8 تشرين الثاني 1981.
31. غابريل عارسيا ماركير، لاسيكنادور، 26 كانون الأول 1982 وفيها يتذكر كيف كان يعمل جنبه التحرير الوطني المراثية. (وبعد خمس وعشرين سنة، وفي أثناء احتمالات الاستغلال يقول، إن ذلك اتصال هو الفضل الوحيد الذي محس بسببه).
32. انظر: غابريل عارسيا ماركير، الاسيكنادور، 26 كانون الأول 1982.

33. انظر: كوفود، الإكسبريس، 17-23 كانون الثاني 1977، ص 76.

34. انظر: Plinio Mandoza in Mera, ed., *Aracataca-Estocolmo*, PP. 1-100.

(*) سرسة: هي حسب الأساطير الإغريقية ساحرة عاشت في إحدى الجبال الإغريقية وعند حط أردبسيوس رحاله فيها حُرِّكت سرسة رجاله إلى حائزير فأصبحت بدلت رمز الغواية. (المترجم)

35. انظر. غابريل غارسيا ماركيز، الاسبكتادر، 26 ثور 1981.

11 - ما وراء الستار الحديدي: أوروبا الشرقية إبان الحرب الباردة (1957)

1. انظر: Mendoza, *La llama y el hielo*, p 21. يستل هذا الفصل إلى مقابلات مع سيبو ميلوثا (بوغوتا، 1991)، ولويس ميبار بوردا (بوغوتا، 1998)، وغيرهم وأغرو (بوغوتا، 1991)، وهيرين هيكو (بوغوتا، 1991)، وتانشيا كويسا (باريس 1993)، ومانويل ثابا أولينا (بوغوتا، 1991)، وحاك جيلارد (طولوز 1999، 2004) وغيرهم.
2. يطل غارميا ماركيز حتى في مقالاته المنشورة عن هذه الرحلة، والتي تقصها وهما في سنة 1959، يحمي شخصية سوليداد تحت اسم حاكلي، وهي هانة فرسية تصويرية تنحدر أصلاً من الهند الصينية، ويحمي شخصية بسو تحت اسم فرانكو وهو صحفي إيطالي متقل وفي خمسينيات القرن العشرين كان يستحق على أي كولومبي السفر إلى ما وراء الستار الحديدي من دون المعرفة بعواقب سياسية وشخصية وحيمة، انظر كتاب:

Gilard, ed., *De Europa y America I*, p. 7.

3. انظر: غابريل غارسيا ماركيز: 90 يوماً وراء الستار الحديدي، كروموس 2، 27 ثور 1959.

All these articles are collected in Gilard, ed., *GGM, Obra periodística Vol. V and Vol. VI: De Europa y America I and 2.*

4. انظر: تسعون يوماً وراء الستار الحديدي، كروموس، الحلقة السادسة، 3 آب 1959.
5. انظر: تسعون يوماً وراء الستار الحديدي، الحلقة الثانية
6. انظر: تسعون يوماً وراء الستار الحديدي، الحلقة الثالثة، 10 آب 1959.
7. بعد مرور سواب طويلة يصبح ميبار بوردا آخر سفير كولومبي في برلين الشرقية.
8. في ثور 2004، أحبري حاك جيلارد قتلًا "في يوم من الأيام، أحبري غابريل غارسيا ماركيز أنه ليس متأكد إن كان شيعيًا، لكنه قل إنه يعتمد أنه شيعي. من المؤكد أنه لدى وصوله إلى فيينا سنة 1955 ولقائه مورخه ثالامبا، الذي كان يحضر هناك مؤتمرًا شيعيًا، كان ينظر إلى نفسه على أنه شيعي". لكن هذا لا يعني بصيغة الحال أنه كان عصراً في الحرب.
9. انظر: تسعون يوماً وراء الستار الحديدي، الحلقة الثالثة.
10. انظر: تسعون يوماً وراء الستار الحديدي، الحلقة السادسة. كروموس، 3 آب 1959.
11. المصدر السابق.

12. انصدر السابق

13. أُرْصَح غارسيا ماركيز في مقالاته أن جاكليين وحدها رجعت إلى باريس وأنه مكث هو وفرسكو في برلين وترك السيارة فيها، ووصل سفره بالقطار إلى مدينة براغ. ولم تكن تلك الزيارة لتسهيل زيارة أنانيا في أيار 1957 وحسب، بل زيارة شيكوسلوفاكيا وبرسلا أيضاً. لأن الزيارة المزمع انقيام بها في غورتاب 1957، إلى كل من اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية ومعاربا. وهكذا اعتبرت ثلاث زيارات مفصلة على رحلة واحدة مفرصة تسعون يوماً وراء الستار الخديدي.

14. انصدر السابق، ص 88

كانت المصرفة هي فرقة ديل نادانا الملكلورية التي كتب عنها غارسيا ماركيز مقالة في بوغوتا (الاسكندور، 4 آب 1954) وكانت الفرقة يقصدها عارف الأكورديون وعارف الساكسون.

15. غابريل غارسيا ماركيز، باريس إلى ماتشيا كويتانا، مدريد، صيف 1957

16. يصصف غابريل غارسيا ماركيز هذه الرحلة في مقالته في الاسكندور، 11 تشرين الأول 1981.

17. انظر: تسعون يوماً وراء الستار الخديدي، الحلقة السابعة، كروموس، 7 أيلول 1959. سينشر غابريل غارسيا ماركيز المقالات الأربع الأولى عن اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية في كروموس في بوغوتا عام 1959 بشكل مقالتين اثنتين أول الأمر: "Yo visite Rusia" 1 and 2 in *Momento*, Caracas, 22 and 29 November 1957.

وقد نشرت المقالتان في كتاب جلارد:

Gilard, ed., *Gabriel Garcia Marquez. Obra Periodistica Vol. VI De Europa y America 2* (Bogota, Oveja Negra, 1989).

لكني أستشهد هنا بمجموعة العام 1959 لأن المقالات أكثر اكتمالاً، ولأنها جزء لا يتجزأ من منظور شامل.

18. تم الإطاحة بحوبوتوف في لأول من حزيران 1957.

19. انظر: تسعون يوماً وراء الستار الخديدي، الحلقة الثامنة، كروموس، 14 أيلول 1959.

20. انصدر السابق.

21. انصدر السابق

22. انظر: تسعون يوماً وراء الستار الخديدي، الحلقة التاسعة، كروموس، 21 أيلول 1959.

23. انصدر لسابق، فإن عمالة غابريل غارسيا ماركيز في الاسكندور، 12 أيلول 1982، وفيها يقدش موضوع جنني لينين وستالين ويذكر إيفيتا بيرون وسانثا آنا وبريرون، ويقدر بين أيدي ستالين وميندل كاسترو وتشيتو غيمارز الرفيق.

24. انظر: Mandoza, *La llama y el hielo*, p. 30.

25. يتفق غابريل غارسيا ماركيز لاحقاً برغم آخر معروف في العالم أجمع باسم (بيدل) ويتهم بأنه دكتاتور، وهو ذو يدين رقيقتين وهو يمس بالعم، لكنه صديق ورفيق الجميع. وفي ذلك الوقت كان غارسيا ماركيز قد أمسى صديق أجمع أيضاً "عابو".

<https://t.me/kotokhai>

26. انظر: تسعون يوماً وراء الستار الحديدي، خلقه التاسع، كروموس، المصدر السابق.
27. المصدر السابق.
28. انظر: تسعون يوماً وراء الستار الحديدي، صفحة العاشرة، كروموس، 28 أيلول 1959
29. انظر: غابريل غارسيا ماركيز، معاً، موميتو (كاراكاس)، 15 تشرين الثاني 1957.
30. المصدر السابق.
31. المصدر السابق.
32. المصدر السابق.
33. ميدوثا، المصدر السابق، ص 32.
- غابريل غارسيا ماركيز في لندن إلى لويس ساينغا ماركيز في كارناخا (بواسطة ميرثيديس في بارانكيا)، 3 كانون الأول 1957.
35. انظر: كود كوفون، الإكسريس، باريس، 17-23 كانون اسي 1977، ص 76.
36. انظر: Giard, ed. *De Europa y America I*, PP 8-33.
37. انظر أنطوني داي ومارجوري ميلر، عابو يتحدث. غابريل غارسيا ماركيز يتكلم عن ملابا أموركا اللاتينية وصدائقه بعيد كاسترو وذعره في الصحبة البيضاء، لوس أنجلوس تايمز، 2 أيلول 1990. "كنت إلى حد ما صعبة للدعاية في المرحلة التي كنت فيها طالباً في المدرسة الثانوية، وأول رحلة لي إلى الأفطار الاشتراكية. وما عدت من أوروبا الشرقية عام 1957 انصح لي أن الاشتراكية، بطرناً تمثل نظاماً أكثر عدالة من الرأسمالية. أما من حيث التصديق، فهي ليست بشرية. في تلك اللحظة، اندلعت الثورة الكوبية". (ص 33-34).
38. في الخامس عشر من تشرين الثاني سنة 1957، نشر غابريل غارسيا ماركيز مقالته "ررب هنغاريا" في مجلة "موميتو" وفي الثاني والعشرين والتاسع والعشرين من تشرين الثاني نشر مقالته "كنت في روسيا" انقسم لأول ولثاني في مجله "موميتو" أيضاً وبعد سنتين تقريباً، صد لخدمة ثور وجي غاية أيلول 1959 نشرت به عشر مقالات أخرى بعنوان موحد هو تسعون يوماً وراء الستار الحديدي في مجلة كروموس الأسبوعية المصادرة في بوغوتا: ثلاث مقالات عن ألمانيا، وثلاث مقالات عن تشيكوسلوفاكيا، ومقالة عن بولندا، وأربع مقالات عن اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية، (مكرر: فعلاً المقالات التي سبق أن كتبها عام 1957). لكن مما يبعث على الاستعجاب أنه لا يكرر مقالته عن هنغاريا. لمزيد من المعومات عن إعادة بناء سوانكثا والشر على حو مفصل راجع: Gilard, ed. *De Europa y America I*, PP 8-33
39. مقالة مع تاتشيا كوينانا، باريس، 993.
40. غابريل غارسيا ماركيز، لندن، إلى لويس سانتياغو ماركيز، كارناخا (بواسطة ميرثيديس، بارانكيا)، 3 كانون الأول 1957.
41. جيلارد، المصدر السابق، ص 44.
42. غابريل غارسيا ماركيز، مقالة: الأسبوناك (كاراكاس)، 6 كانون الثاني 1958.
43. غابريل غارسيا ماركيز، مدينه مكسيكو إلى ماريو هارغاس بوسا، لندن، 1 تشرين الأول 1966.

44 غابرييل غارسيا ماركيز من لندن إلى لويسا سانتياغا ماركيز، كارثاجينا (بواسطة ميرثيديس، بارانكيا)، 3 كانون الأول 1957، «مصر كلوديا حريموس». «غابرييل غارسيا ماركيز»، مجلة بلاي بوي، 20: 30، شباط 1983، ص 65 77، 172-178: بلاي بوي. 'كيف كان رد فعل ميرثيديس لراء سفره إلى أوروبا؟'، غارسيا ماركيز: "هد سر من أسرار شخصيتها ولن يكشف لي أبداً حتى اليوم. كانت متأكدة تماماً أنني سأرجع، وكان الجميع يسهموناً بالحب، واني سأجد حدة أخرى في أوروبا. ولي فرس عشت حياة متحررة كل التحرر، ولكنني كنت أعرف أنني سأعود إليها عندما ينتهي ذلك كله. القصيدة ليست قصة شرف بل هي قصة مصير حقيقي، كان شيء قد حدث من قبل.

45. حديث، مدينة مكسيكو، 1993.

46. حديث مدينة مكسيكو، 1999.

12 - فنزويلا وكولومبيا: ولادة الأم الكبيرة (1958-1959):

1. غابرييل غارسيا ماركيز، مقالة، الاسيكنادور، 18 كانون الثاني 1981
تعتمد مادة هذا الفصل والفصل الذي يليه على أحداث مع ملبو ميدوتا (بوغوتا، 1991)، وكوسوبيلو وألمير ميدوتا (بوغوتا، 2007)، وحوسيه فونت كاسترو (ميريد، 997)، ودومينغو ميلباي (بيتربرغ، 1998)، وأليخاندرو برونول (بيتربرغ، 2005)، وحوان أنطونيو هيرناندير (بيتربرغ، 2004 و 2005)، وقرأ هذا الفصل قبل طبعته، لويس هاريس (بيتربرغ، 1993)، وحوسيه لويس ديث، غرابادوس (بوغوتا، 1991 وبعده)، وحوسيه (بيبي) ستيفسون (بوغوتا، 1991، و كارثاجينا، 2007)، وملكولم ديس (أركيمورد وبوغوتا، 1991)، وإدوارد وبوسادا كارو (أكسمورد، 1991) وإدوارد بارتشا باردو (أرجوما، 2008)، وألموسو لوبيث مينشيلين (بوغوتا، 1993)، وغير من أرنيفاس (بوغوتا، 1991)، وراميرو دي لا إسبانيا (بوغوتا، 1991)، وجان جيلارد (طولور، 1991 و 2004)، ورافائيل غيترث (برشلونة، 1992)، وجيوس مارتز باربيو (بيتربرغ، 2000)، ولويس بيتر بوردا (بوغوتا، 1998)، وريت غارسيا ماركيز وعدد كبير آخر من رواة الأحبار.

2. انظر:

Mendoza, *La llama y el hieto*, PP 35-6. See also GGM, "Memoria Feliz de Caracas", *El Espectador*, 7 March 1982.

3. ميلوث، لمصدر السابق، ص 89.

4. انظر:

GGM, "No se me ocurre ningún título", *Case de las Americas* (Havana). 100 January February 1997, PP. 85 9.

5. رجع قائمة رواية غريفي البطريق التي تستمد وادعها بلا أدنى ريب من هذه الاحتمالات في كاركاس.

6. ميلوث، لمصدر السابق، ص 40 41

- يعود غابرييل غارسيا ماركيز إلى هذا الحدث في مقالته في (المسكادور، I تشرين الثاني 1981، تم برؤيتها في روايته خريف البطريق، وقصته موت معلن.
7. ثم يتجاهل آنذاك ولاحقاً، رواية الرئيس لميجيل أنخل أستورياس وهي روايته المستوحاة من صاعية غوايمالا مانويل إيسترادا كابريرا، وأحدثت صحة لدى صلوهرها في بويس آيرس سنة 1948 - عن دار نشر لوساده وهي الدار نفسها التي رفضت نشر رواية غابرييل غارسيا ماركيز عاصفة الأوراق - وحارب الجائزة الدولية لكتاب لدى صدورهما باللغة الفرنسية سنة 1952، وهي الجائزة التي سنّاها رواية فئة عام من العزلة بعد ثمانية عشر عاماً.
8. انظر.
- Mendoza, *The Fragrance of the Guava*, PP. 80-90, Ernesto Gonzalez Bermejo, "Garcia Marquez, ahora doscientos anos de soledad", *Trunfo* (Madrid), 44, 41 November 1970, (See Renteria, PP 49-64).
9. انظر Gilard, ed, *De Europa y America I*, PP 50-51.
10. انظر: غابرييل غارسيا ماركيز، مقالة، مجلة موميتو، 7 شباط 958.
11. مقابلة مع خوسيه فونت كاسترو، مدريد 1997.
12. إليخيو غارسيا، المصدر السابق، ص 232.
- (*) السببسيات: سنة بل سان فواسيس دي سايس الذي أسست على اسمه في مدينة سوربي الإيطالية جمعيه كاثوليكية تنبع كيسة روما في العام 1845 وكانت تهدف أساساً إلى التمشير. (المترجم)
13. ريتا غارسا ماركيز، المصدر السابق، ص 243.
14. فوريولو، المصدر السابق، ص 266.
15. مقابلة مع ميرثيديس بارتش، كارتاجينا، 1991. فارو بياتريث لوبيث دي دارتشا: "gabito espero a qua yo creciera", *Carrusel, Revista de El Tiempo* (Bogota). 10 December 1982.
- في سنة 982. جاء غابو إلى كاراكاس قادماً من باريس "وفي يوم ما دخل المنزل"، وبعد يومين تزوجا.
16. انظر. Castro Caycedo, "Gabo la novella de su vida". وفيها محاولة قصيرة مع ميرثيديس.
17. انظر:
- Alfonso Funemayor, "El dia en que se caso Gabito", *Fin de Semana del Caribe*, n.d. (See Fiorillo, la Cueva, PP 7-265).
18. انظر: Lita GM, in Galvis, *Los GM*, PP. 46-47.
- (*) خطأ يوم، كمية إليخيو غابرييل المولود في سوكري في 14/11/1947 ولتوفي في بوغوتا في 29/6/2001. هو شقيق غابرييل غارسيا ماركيز الأصغر، أي إنه أصغر أولاد غابرييل إليخيو غارسيا مارتيز (1901-1985)، انظر مخطط شجرة العائلة في نهاية الكتاب. (المترجم)

19. انظر:

Eligio Garcia, "Gabriel Jose visto por Eligio, el benjamin" *Cromos* (Bogota), 26 October 1982. PP. 20-21.

20. انظر خورخي كاسترو كايستيو، مقالة، الإبيكاندور، 23 آذار 1977

21. انظر:

Consuelo Mendoza de Riano, "La Gaba", *Revista Dineros* (Bogota), November 1980.

22. انظر دومينغو ميليان، مقالة، لاسيونال، كاراتاس، 31 تشرين الأول 1965.

23. حديث مع ماريو فارغاس يوسا، ستراتفور، إنكلترا، 1990.

24. حديث مع ميرثيديس بارتشا، مديرة مكسيكو، تشرين الأول 1993.

25. انظر: Mendoza, *La llama y el hielo*, p 46.

26. حديث مع ميرثيديس بارتشا، كارتاجينا، 1991.

27. انظر:

Maria Esther Gilio, "Escribir bien es un deber revolucionario", *Triunfo* (Madrid), 1977. (See Renteria, PP 5-14)

28. إيلخيو عرسبا، المصدر السابق، ص 424.

29. انظر: Mendoza, *La llama y el hielo*, p 44.

30. انظر: دومينغو ميليان، لاسيونال، 31 تشرين الأول 1956.

31. انظر:

Cosuelo Mendoza, "La Gaba", *Revista Dineros* (Bogota), November 1980; Beatriz Lopez de Barcha, "Gabito espero a que yo creciera", *Carrusel, Revista de El Tiempo* (Bogota), 10 December 1982, and Clandia Dreifus, "Gabriel Garcia Marquez", *Plyboy* 30 2, February 1983, p 178.

32. انظر: Sorela, *El otro GM*, p. 185.

33. انظر: Eligio Garcia, *Tras las Claves de Melquides*, p. 366.

34. انظر: GGM, "Mi hermano Fidel", *Momento* (Caracas), 18 April 1958.

35. انظر: Nunez Jimenez, "GM y la perla de las Antillas"

36. انظر:

GGM, "No se me ocurre ningun titulo", *Casa de las Americas* (Havana), 100, January-February 1977.

37. انظر: Mendoza, *La llama y el hielo*, p 60.

38. انظر:

Antonio Nunez Jimenez, *En marcha con Fidel* (Havana, Letras Cubanas, 1982).

39. انظر: ميندوتا، المصدر السابق، ص 67.

40. انظر: جيلارد، المصدر السابق، وميندوتا. المصدر السابق، أيضاً ص 67-68.

41. ميندوتا. المصدر السابق

42. تختلف رواية ميدوثا عن رواية غابرييل غارسيا ماركيث. هي الرواية الأولى يقف ميدوثا من وراء العمل كنه في بوغوتا وليس في كاراكاس، ولا وجود لغارسل غارسيا ماركيث في الصورة، وقد وقع ميدوثا بشرط أن التموين صحيح وأن يستأجروا صديقاً من أصدقائه في كاراكاس وبامرتب نفسه، أما غابرييل غارسيا ماركيث فيطرح رأياً معاكساً. راجع: "GM y la perla de las Antillas", Nunez.

43. انظر، نويث، المصدر السابق.

44. انظر ميدوثا، المصدر السابق، ص 71.

45. معاملة مع خوسيه ستيفسون، كارتاجينا، آذار 2007

وتحدث أيضاً إلى إدوارد نارتسا ماركو، شقيق ميرثيديس في أرجونا، سنة 2008. وكان يومئذ طالباً في بوغوتا ثم التحق بوكالة بريسا لاتينا للصحافة. وعي مع أخته وروحها في شفتها في بوغوتا.

46. انظر غابرييل غارسيا ماركيث، مقالة، مجلة موميسو (كاراكاس)، 21 آذار 1958.

47. انظر خوسيه لويس ديات غرادوس. معاملة في بوغوتا، 1991. وانظر أيضاً: كرسويلو ميدوثا "لا عدا" ريفيسا دايررا تشرين الفاني 1980.

48. ميدوثا، المصدر السابق، ص 72

49. انظر غابرييل غارسيا ماركيث، مقالة، إنليت (كاراكاس)، 28 حزيران 1958.

50. انظر:

Mendoza, "Entrevista con Gabriel Garcia Marquez", Libre 3 March-May 1972, PP 13 14

51. انظر Mendoza, *La llama y el hielo*, p. 74.

52. المصدر السابق، ص 71.

53. غابرييل غارسيا ماركيث، قصص مجموعة، ص 184

54. المصدر السابق، ص 200

55. انظر الصورة القصية التي يقدمها هرون ديات عن غابرييل غارسيا ماركيث في الآونة التي كان يشتغل فيها في وكالة بريسا لاتينا للصحافة، ويظهر انتم في السلوك واضحاً ومدهلاً.

56. انظر جيلارد، المصدر السابق، ص 60-63.

57. المصدر السابق، ص 53-54. انظر أيضاً:

Gilard. "Garcia Marquez. un Projet d'ecole de cinema (1960)": *Cinemas d'Amerique Latine* (Toulouse), 3, 1995, PP. 24 38, and "Un carnaval Para toda la vida", de cepeda samudio, on quand Garcia Marquez faisait du montage", *cinemas d'Amerique latine* (Toulouse), no 3, 1995, PP 39-44.

58. انظر.

Daniel Samper, "GGM se dedicara a la musica", *El Tiempo*, December 1968, in Renteria, p. 24; and Saldivar, *GM el Viaje a al semilla*, PP 389-90.

13 - الثورة الكوبية والولايات المتحدة الأمريكية (1959-1961):

1. انظر ميندوتا، المصدر السابق، ص 87-88.
2. انظر:
- E. Gonzalez Bermejo, "Ahora doscientos anos de soledad..", *Triunfo*, November .971 (in Renteria, ed, Garcia Marquez habla de Garcia Marquez en 33 grandes reportajes, p. 50); also Angel Augier, "GM en la Habana", *Mensajes* (UNEAC Havana), I: 17, 10 September 1970
- هذا وسيلو آرولدو وولش في وقت لاحق حقة وصل مهمة بين حويلي كورتاثار والثورة الكوبية.
3. ميندوتا، المصدر السابق، ص 88.
4. بعد مرور ستة عشر عاماً سيدب وولش ويلقى مصرعه في بوسن آيرس على أيدي الحش الأارحتسي لمعارضته لاسلة في أثناء ما سمي ناخراب القدرة انظر رودولفو وولش بقلم غابرييل غارسيا ماركيز، مجلة الثاراتيما ص 124 في 25 ثور - آب 1977. وانظر أيضاً مقالة غابرييل غارسيا ماركيز في صحيفة الاسكتادور في 14 كانون الأول 1981.
5. انصر بويث جيمييث، المصدر السابق، انظر أيضاً مقالة غابرييل غارسيا ماركيز في صحيفة الاسكتادور 14 كانون الأول 1981 ملاحظة العارف في التاصيل
6. انصر ميندوتا، المصدر السابق، ص 84-86.
7. انصر لسابق، ص 81.
8. انصر: آرانغو، المصدر السابق، ص 179.
9. انظر: ليخيو غارسيا، المصدر السابق، ص 474-479.
10. مقابلة مع غارسيا ماركيز أجراها أورلاندو كستيلانوس، إداعة هافانا، وأعيد نشرها في Prisma del meridiano، هافانا، 80، 1-5 تشرين الأول 1976.
11. انصر مقاله غابرييل غارسيا ماركيز، لاسكتادور، 23، كانون الثاني 1983.
12. انصر كينيدي في المصدر السابق، ص 258.
13. انصر مقاله غابرييل غارسيا ماركيز في آرثو، 21 حزيران 1979، ص 31-33.
14. انصر غابرييل غارسيا ماركيز، بقلم ميميل هريناديت، بروسو (مدريد، 1969)، ص 31.
15. انصر مقالة غابرييل غارسيا ماركيز، لاسكتادور، 28 شباط 1982.
16. بويث جيمييث، المصدر السابق.
17. مقالة غابرييل غارسيا ماركيز نيويورك 1961، آرثو، 21، حزيران 1979، ص 33.
18. غابرييل غارسيا ماركيز في نيويورك إلى ألفارو سبدا في باراسكا، 26 سنان 1961، وفيها يأتي على ذكر "العزوات" في هابه الرسالة
19. بما لا ريب فيه أن الماهيين للثورة سبتهمونه في كل لأحوال. انظر: غيرمر كابريرا أنماي في صحيفة التيمبو، 6 آذار 1983، وفيها يدعي أنه واحد من أولئك الذين يعرفون سيرته الحقيقية، ثم يكشف عن غير قصد خطأ هذا الكلام (أو لعله يسعى لتصليه

مستعملة) وذلك عندما يرعى أن غابريل غارسيا ماركيز هرب من ميرورك حان سماعه
عبر عمرو خليج الحماير، إذ حشي أن يسمح الغزو. وقد ردد هذه القصة عدد آخر من
الكتاب الناهضين لثورة مثل كارلوس فرنكو و كارلوس أليخاندرو مودينا، ولكنها قصة
لا أساس لها من الصحة

20. ميسوتا، المصدر السابق، ص 75-106.

21. بويت حيميث، المصدر السابق.

22. ميسوتا، المصدر السابق، ص 75-106

23. رسالة غابريل غارسيا ماركيز من ميرورك إلى ألفارو سييدا، بارانكيا، 23 أيار 1961.

24. رسالة غابريل غارسيا ماركيز من ميرورك إلى بليو ميسوتا، 29 أيار 1961

25. المصدر السابق.

26. ميسوتا، المصدر السابق، ص 106.

27. أرنسو شو، برميلا بلاتا (بويس ايرس)، 234، 20-26 حزيران 1967.

28. غابريل غارسيا ماركيز، الاسكتادور، 23 كانون الثاني 1983.

29. رسالة غابريل غارسيا ماركيز من مدينة مكسيكو إلى بيسو ميسوتا، بوغوتا، 30

حزيران 1961.

(*) لاريديو: مديته في جنوب ولاية تكساس.

14 هروب إلى المكسيك (1961-1964):

1. انظر مقالة غابريل غارسيا ماركيز، الاسكتادور، 23 كانون الثاني 1983، وهي يعلن
أنه لم يمس تاريخ وصوله (2 تموز 1961) لأن صديقاً اتصل به في اليوم التالي ليخبره
عن موت همغوي. لكن رسالة غابريل غارسيا ماركيز إلى بليو ميسوتا، في بوغوتا
مؤرخة بتاريخ الثلاثين من حزيران 1961، ترفض على خطأ أحب الأساطير بشأن
غابريل غارسيا ماركيز، وهي وصوله إلى مدينة مكسيكو في اليوم الذي انتحر فيه
همغوي، وهو تاريخ غير صحيح. انظر أيضاً، في المقالة المسورة في صحيفة الاسكتادور
في 7 كانون الأول 1980، وفيها أخطاء كثيرة عن تواريخ وحسابات أيامه التي أعصاها
في المكسيك، وهكذا قد تخطى أفضل الذكريات.

2. يعتمد هذا الفصل والفصلان التاليان على مقابلات مع بليو ميسوتا (بوغوتا، 1991)
وألفارو موييس (مدينة مكسيكو، 1992 و 1994)، وماريا لويس بيو (مدينة مكسيكو،
1992)، و كارلوس موييس (مدينة مكسيكو، 1992)، وفرانسييسكو (باكو) بوردا
(برشلونة، 1992)، و كارمن باليسيس (برشلونة، 1991 و 1992 و 2000)، وبيرو نافارو
(مدينة مكسيكو، 1992)، وماريا لويسا (الغنية) ميسوتا (مدينة مكسيكو، 1994)،
و كارلوس فويس (مدينة مكسيكو، 1992)، و جيمس بيورث (مدينة مكسيكو، 1992)،
وعونانو غارسيا بارمنا (مدينة مكسيكو، 1992، 1994 و 2004) وبيرو
هيرناندير (مدينة مكسيكو، 1993)، وآلان ماكيساك المالدونادو (مدينة مكسيكو، 1993)،
ونولوا غوميرا غارامبو (بيريرع، 1993)، ومانويل بارماكانو (مدينة مكسيكو، 1994).

ومارغو غلانتر (مدينة مكسيكو، 1994)، وأوغستو (بنو) موستروسو وباربارا
 هاكوس (مدينة مكسيكو، 1994)، ريليت بوياتو هسكا (مدينة مكسيكو، 1994)،
 وغورخه سانتشيت (مدينة مكسيكو، 1994)، وخوان هوجييا ويوسو (مدينة
 مكسيكو، 1994)، وبويس كودورير (مدينة مكسيكو، 1994)، وبينيتو ريليا رورحو
 (مدينة مكسيكو، 1994)، وباسي ينس (مدينة مكسيكو، 1994)، وأغانيو (باتشو)
 ديورا (مدينة مكسيكو، 1994 وبنو 2005) وغيرهم شيريدان (عوادالاهرا ومدينة
 مكسيكو 1997) وغيرهم

3. انظر مقالة غرييل غارسيا ماركير "عودة إلى المكسيك" في صحيفه الاسكتادور، 23
 كانون الثاني 1983

4. انظر:

GGM, "Un hombre ha muerto de muerte natural", *Mexico en la cultura*,
 Novedades (Mexico c ty), 9 July 1961

يقول غرييل غارسيا ماركير في حديثه مع بوث حمس إن أهالي بربيداس هم
 الذين أحروه أن همعواي مات، وهو ما ناله ليلينو ميدوتا في رسالته المؤرخة بتاريخ 10
 تموز 1961.

5. بخصوص مشاعره راء همعواي، انظر تعليقات غرييل غارسيا ماركير في مقالة
 أليخاندرو كييف راميرث بعنوان:

"Garcia Marquez: "El gallo no es mas que un gallo"", *Pluma* 52
 (Colombia), March-April 1985.

نظر أيضا مقالة عن همعواي في الاسكتادور، 26 تموز 1981.

6. غرييل غارسيا ماركير من مدينة مكسيكو إلى بيبيو ميدوتا، بوغوتا، 9 آب 1961.
 انظر أيضا مقالة الاسكتادور في 7 كانون الأول 1980 التي ترسم صوره مشاهة عن
 لمي الذي لا يتزم فيه مصعد، وعن الشقة.

7. غرييل غارسيا ماركير من مدينة مكسيكو إلى بيبيو ميدوتا، بوغوتا، 13 آب 1961.

8. غرييل غارسيا ماركير من مدينة مكسيكو إلى بيبيو ميدوتا، بوغوتا، 26 أيلول 1961.
 غرييل غارسيا ماركير من مدينة مكسيكو إلى ألفارو سيبينا في براكيا، 4 كانون
 الأول 1961 وفيها يكتب "عليك أن تحضر في شهر أيار لتعهد أليخاندرو، التي ستولد في
 واحد شهر نيسان. لا تموت العرصة، لأن هذه هي آخر طعة ناممودية تكسا أن
 قدمها إليك، وبعدما سنعلق الحبل".

9. غرييل غارسيا ماركير، مقالة في الاسكتادور، 14 شباط 1982.

10. غرييل غارسيا ماركير، من مدينة مكسيكو إلى بيبيو ميدوتا، بوغوتا، 13 آب 1961.

11. انظر:

GGM, "Brevcs nostalgias sobre Juan Rulfo", on Rulfo; also El gio
 Garcia, *Tras las Claves de Melquiades*, PP. 9-592

12. غرييل غارسيا ماركير من مدينة مكسيكو إلى بيبيو ميدوتا، بوغوتا، 13 آب 1961.

13. انظر "بحر الزمن الضائع، في قصص مجموعة، غرييل غارسيا ماركير

14. كساد غابريل عارسيا ماركيز يشغل مؤجر في بيورا، حتى وقت متأخر من الليل في معظم الأحيان، في شريط أمارو سيبيدا عن مهر جان بارانكيا السري، بتحويل من شركة سانتو دومينغو اغويلا لشراب الشعير.

15. انظر.

Dario Arizmendi Posada, "E mundo de Gabo 4. Cuando Gabo era pobre", *El Mundo* (Medellin), 29 October 1982.

16. انظر هوريلو، المصدر السابق، ص 105.

17. في مرحلة لاحقة بقص حواد عارسيا بوس مع زوجة أليوندو السامة وأم الابه لتي سيتر وجهها يوماً ما ابن عارسيا ماركيز.

18. انظر إدوارد غارسيا اغويلا

"Entrevista a Emilio Garcia Riera", *Gaceta* (Bogota, Colcultura), no 39, 1983.

19. غابريل عارسيا ماركيز، مدينة مكسيكو، إل تلسو ميدونا، بوعوت، مطلع كانون الأول 1961.

20. غابريل عارسيا ماركيز، مدينة مكسيكو، إل بيبيو ميدونا، بارانكيا، نيسان 1962

21. انظر خاصة مقالة الاسكتادور في 6 أيلول 1981 التي يقول فيها إن قوله هذه الحادثة والحائزة التي سقتها عن "يوم واحد بعد يوم السبت" في 1954 هو الشيء الوحيد الذي نسج عليه في حياته الأدبية.

22. غابريل عارسيا ماركيز، غشت لأروي (الطبعة الإنكليزية)، ص 231

23. انظر:

Bernardo Marquez, "Reportaje desde cuba (I). Gabriel Marquez: pasado y presente de una obra", *Alternativa* (Bogota), 93, 9-16 August 1976

24. رسالة غابريل عارسيا ماركيز من مدينة مكسيكو، إل بيبيو ميدونا، بارانكيا، 16 حزيران 1962

في رسالة من غابريل عارسيا ماركيز، من مدينة مكسيكو، إل ألفارو سيبيدا، بارانكيا، ربيع العام 1963، تحذره يعترف بأنه صدم السيارة وهو في حالة سكر شديد

25. رسالة غابريل عارسيا ماركيز، مدينة مكسيكو، إل ألفارو سيبيدا، بارانكيا، 20 آذار 1962.

26. انظر سالدنيار، المصدر السابق، ص 429. ينقل عن مونيس أنه قال إن غابريل عارسيا ماركيز لم يكتب رواية خريف البطريق في المكسيك، لكن رسالة من غابريل عارسيا ماركيز، مدينة مكسيكو، إل بيبيو ميدونا، بارانكيا، في الأول من ثور 1964، تشير إلى الموضوع على نحو لا يقبل الجدل.

27. خوسيه فوس كاسرو، مقالة بحجة موسو (كاراكاس)، 771، نيسان 197، ص 34
37. وعنها يشير إلى أن غابريل عارسيا ماركيز قرأ عليه المصم الأول من رواية خريف البطريق سنة 1963 (ص 37).

28. رسالة غابريل عارسيا ماركيز، مدينة مكسيكو، إل بيبيو ميدونا، بارانكيا، أواخر أيلول 1962

29 رسالة غابرييل غارسيا ماركيز، مدينة مكسيكو، إلى بليو ميدونا، بوغوتا، 4 نيسان 1962.

30. ليس في أيلول 1963 كما يشير لجميع من صممهم سالديز، انظر رسالة غابرييل غارسيا ماركيز، مدينة مكسيكو، إلى بليو ميدونا، بارميا 17 نيسان 1963

31. انظر مقالة 'طوبو أندراي، صحيفة 'كميسيور' (مدينة مكسيكو) 11 تشرين الأول 1970، وفيها رأي معايير معاده أن انريسا طردب غابرييل غارسيا ماركيز، وسيجة لمطاب متكررة دفعت به بعض المال لقاء نص 'راعي البقر'.

32. انظر:

Raul Renan, "Renan 21", in Jose Francisco Conde Ortega et al., eds., *Gabriel Garcia Marquez celebracion 25° aniversario de "Cien anos de soledad"* (Mexico, Universidad Autonoma Metropolitana, 1992), p 96

33. انصدر السابق، ص 95.

34. أحمر روبريو غارسيا پرتشا قائلاً: "ك دئماً نذهب إلى مدارس تدرس باللغة الإنكليزية. وكان هذا واحداً من هو جس أبي، إذ كانت لديه عقده كثيرة لأنه لا يستطيع الكلام بالإنكليزية، وكان قد وطد العزم على أن يتمكن منها".

35. رسالة غابرييل غارسيا ماركيز، مدينة مكسيكو، إلى بليو ميدونا، بارميا، 8 كانون الأول 1963. يقول غابرييل غارسيا ماركيز إنه أمي كتابة النص اليماني "في هذا الصباح".

36. يقول غابرييل غارسيا ماركيز، به التقى فويتس سنة 1961. ويقول إيجيو غارسيا في سنة 1962، في حين يقول فويتس نفسه إن اللقاء كان في سنة 1963، ويقولون حولاً أوريا إلى اللقاء جرى في سنة 1964.

37. كارلوس فويتس صحيفة الماسيونال، مدينة مكسيكو، 26 آذار 1992 في مدينة مكسيكو، كما في أي مكان آخر، تكون أوتن صلات غابرييل غارسيا ماركيز بأه الأدياء (باستثناء أوكيفو ناب، الذي كان معادياً به عموماً) وكانت أوتن علاقته هي تلك التي جمعتها فويتس و كارلوس مومسياس.

38. انظر:

Miguel Torres, "El novelista que quiso hacer cine", *Revista de cine Cubano* (Havana), 1969

39. رسالة غابرييل غارسيا ماركيز، مدينة باياما، إلى بليو ميدونا، بارميا، أواخر تشرين الثاني 1964.

40. رسالة غابرييل غارسيا ماركيز، مدينة مكسيكو، إلى بليو ميدونا، بارميا، أواخر تشرين الثاني 1994

41. مقاله غابرييل غارسيا ماركيز، 'الاكندور، 16 كانون الأول 1980.

42. انظر:

Emr Rodriguez Monegal, "Novedad y anacronismo de cien anos de soledad", *Revista Nacional de cultura* (Caracas), 185. Ju y-September 1968

43 رسالة غابريل غارسيا ماركيز، مدته مكسيكو، بن بيير ميلوثا، نارانكا، 22 أيار 1965، يقول فيها إنه مرع من كتابة لفص "فص أسوع" وأصبح له الآن عنوان ثابت هو: *Tiempo de morir*.

44 ميعيل نوريس، المصدر السابق، انظر أيضاً إيفيل غارسيا ريرا، 'أريخ السيف المكسيكية الوثائقي' (مدي مكسيكو، جامعة غودالاخارا، 1994) 12 (1964-1965)، ص 229-233.

45 يقول بيير ميلوثا إنه كتب في مدينة مكسيكو بوضوحاً سيمانيه (سيته جداً في رأي الخبراء) وتعمد كل ما يعني به ن يعتمد عن هذه الصاعه و حدودها (ص 13). وأوضح أن من أكثر لمخرجي الدين كان معجاً بهم هما ويلر وكيرساود، لكن من أكثر الافلام التي كن معجاً بها هو حولي وجيم.

46. إمينيو غارسيا ريرا، المصدر السابق، ص 160-165.

47. ميعيل نوريس، المصدر السابق

48. حوسيه دوفوسو، اردهار لأدب أميركي، اللاسي، أريخ شخصي. (نيويورك، مطبعة جامعة كولومبيا 1977)، ص 95-97.

49. سكون غون كتابه هو (شعنا) بالإسبانية، أم بالإكليريكية، فإن العنوان له دلالة تاريخية أكبر في التيار العام

50. إيفيل غارسيا، المصدر السابق، ص 55-56، 469.

51. لويس هارس وديزارة دومان في التار العام حوارات مع أدباء من أميركا اللاتينية. نيويورك، هاربر اندرلو 1967، ص 310

52. المصدر السابق، ص 317.

53. إيفيل غارسيا، المصدر السابق، ص 68، 69.

54. كارمي ريرا، كوكيرا، 27 كانون الثاني 1983، ص 25.

55. إيفيل غارسيا، المصدر السابق، ص 608.

56. يقول ميلوثا إن أول جملة كتبها كان في سن السابعة عشرة!

57. مقالات في كتاب **عصر العواطف** يؤكد غابريل غارسيا ماركيز تأكيداً بأن وقاطف لبسو ميلوثا إنه سدار بالسيارة إلى الحف ("صحيح يعني لم أصل إلى أكابولكو"، ص 74)، لكنه مشير في مقالة في مجلة كاميو (نوعونا)، 20 نيسان 2002، أنه عاد السيارة إلى أكابولكو لمسية عظمة نهاية الأسوع ("لم يهدأ ي دل لحظة واحدة على النشاط") وغدا إلى مدته مكسيكو "في يوم ثلاثاء".

15 - ميلكياداس الفجري: منة علم من العزلة (1965-1966):

1. غابريل غارسيا ماركيز، مقالة، 'لاستنادور، 17 تشرين الثاني 1982

2. ميلوثا، عصر المرأة، ص 80.

3. مقابلة مع بوبيا بومسكا، أنزل، *Todo Mexico*، 1973، ص 218-219

4. 'نصر' لستريد، 'فص الفاريلسك' في كتاب

whereabouts Notes on being a foreigner.

سكاف فرانيسيسكو، نورث هويت بريس، 1987، ص 94-118. مختار ريد بالبراعة في معالجة موضوعي الدقة والاحتمال عند ماركيز.

5. انظر إليخيو غارسيا، المصدر السابق، ص 59. أنخري باكو بوروا في رسالة بعث بها إلي بقور فيها، مما لا ريب فيه أن تجرعه غابو في بونيس أيرس كانت حرة استثنائية ومدهشة وهو يحيا حياة ملوفا بمحة الحماسة والصداقة الحميمة. فالكاتب في الشارع، والمشرح في الشارع، وكان غابو شخصية محبوبة في السوارخ وفي المصلاط التي كدت تقام ليلة إثر ليله ثمة مشاهد تقرب من المستترفا مما يبعث على الدهشة هنا العدد الكثير من السيورات من بونيس أيرس اللواتي قلن إن لدهيس عم أو جد يشبه أربيلانو موبليدي (برشلونة، 6 أيار 1993).

6. كارلوس هويتس، مقالة، سيميري، مدينة مكسيكو، 29 أيلول 1965. (*). وحة طعام الأيا هي طبق مسكّن بالزعفران ويصنع من خيط من الأرز والمخضار والسموم والذجاج والطعام الحري. (المترجم)

7. سالدبار، المصدر السابق، ص 433

8. خوسيه هورت كاسترو، مقالة، مجلة موميتو (كاراكاس)، 771، نيسان 1971، ص 34-37.

9. إليخيو غارسيا، المصدر السابق، ص 617.

10. مقابلة مع مونا توفسكا، أيلول 1973، تودو مكسيكو، ص 195.

11. تحدثت لي ماريا بويسا إيبو عن هذا الموضوع سنة 1992، وإلى عابرين غابو ماركيز سنة 1993.

12. مقابلة مع مونا توفسكا، المصدر السابق، ص 197.

13. كنودي كوفون، مقالة، صحيفة الأكسريس، 17-23 كانون الثاني 1977، ص 77

14. خوسيه هورت كاسترو، المصدر السابق، 771، نيسان 1971، ص 36.

15. انظر: Mendoza, La llama y el huelo, PP 110-111.

16. إليخيو غارسيا، المصدر السابق، ص 88-91. انظر أيضاً مقاله عابرين غارسيا ماركيز في الإسكتادور، 19 حزيران 1983.

17. إليخيو غارسيا، المصدر السابق، ص 505.

18. المصدر السابق، 570-571.

19. كارلوس هويتس، سيميري، (مدينة مكسيكو)، 679، 29 حزيران 1966.

20. بليو ميرو، عطر الغواصة، ص 77

21. سوريلو، المصدر السابق، ص 105-106.

22. المصدر السابق، ص 268-269.

23. كما أشار حورجه روبييني، فإن الطريقة الوحيدة لرواية تأليف هذا الكتاب وشراء واستقالته، هي أن تكون على طريقة قصص الخان (ثالان، فيراكروث) 979.

24. مقابلة مع جيمس يابورث، مدينة مكسيكو، 1994.

25. غابرييل غارسيا ماركيز، مقالة، الاسكتادور، 7 آب 1966.
26. رسالة غابرييل غارسيا ماركيز من مدينة مكسيكو إلى بيبو ميدوتا في بارانكيا، 22 ثور 1966.
27. كسودي كوهون، المصدر السابق، ص 77. لكن غابرييل غارسيا ماركيز يقول في عطر الغواصة لميدوتا إن ميثيديس وحدها هي التي أحدثت الكتاب إلى دائرة البريد (ص 75). (ربما كانت هذه هي الرزمة الثانية).

16 الشهرة أخيراً (1966-1967):

1. ألفارو موتيس، انظر كتاب سالدبار غارسيا ماركيز، ص 498.
2. إليخيو غارسيا، المصدر السابق، ص 618-619.
3. كلودي ديفوس، المصدر السابق، ص 174.
4. إليخيو غارسيا، المصدر السابق، ص 32-33.
5. كتب ظهرت في كتاب إي. داميكرو وأس. فانو للموسوم Retratos y autorretratos، بوبس بريس، 1973 وفي صور انتطت لغابرييل غارسيا ماركيز في بوبس بريس سنة 1967.
6. أرسو شو، مجلة برميلا بلانا (بوبس بريس)، 234، 20-26 حزيران 1967.
7. ماريو فارغاس يوسا، مئة عام من العزلة، مجلة أمارو، لينا، 3، ثور أيلول 1967، ص 71-74.
8. انظر غابرييل غارسيا ماركيز، مقالة، صحيفة الاسكتادور، 25 كانون الثاني 1981، وفيها يخالف هذا الأدب ويعرف بـ روحا معه لا يعرف السب الذي جعله يصعب الحرف بللقوب على العلاف.
9. مقالة بعنوان: Cien años de un Pueblo، مجلة ليحون، 21 ثور 1967، ص 27-29.
10. انظر عنى سيل المثال مقالة De Como Garcia Marquez في صحيفة إيكريلا (نشيلى)، 68، 20 أيلول 1967، ص 29.
11. غابرييل غارسيا ماركيز، مدينة مكسيكو، إلى بيبو ميدوتا، بارانكيا، 30 أيار 1967.
12. سالدبار، المصدر السابق، ص 500.
13. توماس ألوي مارتيت، مقالة في كتاب: خورن غوستهو كوبر بوردا، بوغوتا، سيجلو دي هومبر 1992، ص 24.
14. المصدر السابق.
15. سالدبار، المصدر السابق، ص 501.
16. المصدر السابق، ص 25.
17. المصدر السابق.
18. حوسب إميليو باتشيكو، كاسا دي لاس أمير كاس (هافانا)، 165، ثور - كانون الأول 1987.
19. باتريو سترو، باريس ريفيو، 141.

20. انظر فارغاس يوس، تاريخ فاني، ص 80.
21. المصدر السابق.
22. أمير رودريغيث موبيل في مجلة موندو بيبو (باريس) 17 تشرين الثاني 1967، ص 4.
- 24 (ص 11).
23. سيمان (بوغوتا)، 19 أيار 1987. لاحظ أن رواية مئة عام من العزلة مدراً ما أشارت إليها الصحافة الكولومبية في ذلك الوقت.
24. ميندوتا. المصدر السابق، ص 111.
25. إلبير غارسيا ماركيز في كتاب علفيس، المصدر السابق، 257.
26. انظر على سبيل المثال: فيليكس غراندي Con Garcia Marquez en un miercoles des cen iza (مدريد)، حزيران 1968، ص 632-641.
27. لادر جوالنو، مقالة في صحيفة لاسكندور، 2 تشرين الثاني 1967.
28. ألفونسو مونسييف، مقالة في صحيفه أعلوك أنتراسيونال (بوغوتا)، 8 كانون الأول 1967، ص 39-41. أعيد صبعها في صحيفة اليوم، 14 كانون الثاني 1968، ص 4.
- 17 - برشلونة والانتعاش في أمريكا اللاتينية: بين الأدب والسياسة (1967-1970):
1. رسالة غابرييل غارسيا ماركيز من بوغوتا إلى أمير رودريغيث مونيجال، باريس، 30 تشرين الأول 1967.
2. رسالة غابرييل غارسيا ماركيز من برشلونة إلى بيبو ميندوتا في بارانكيا، 21 تشرين الثاني 1967.
3. تعتمد هذا الفصل والفيصل التاليان على مقابلات مع خرون غوتيسرلو (سند 990)، ولويس وليتشيب ميديوتشي (برشلونة 1991-2000)، وبول جايانو (برشلونة 992)، وجورمان ارثيميلس (بوغوتا، 1991)، وجيرمان فارغاس (بارانكيا، 1991)، ومروغوت غارسيا ماركيز (1993)، وإلبير غارسيا ماركيز (1991 و 1998)، وحانكي غارسيا ماركيز (سات ماريا، 1993)، ومريو فارغاس يوسا (زوشطن، 1994)، وخورخه إدواردو (برشلونة، 1992)، وببيو ميندوتا (بوغوتا، 1991)، وببيس أرقولا دي ميوت سواي (برشلونة 1992 و 2000)، وكارمن بللميس (برشلونة، 1992 و 2000).
- وروب ريعلس (هامانا، 1995)، وبياتريث دي مورا (برشلونة، 2000)، وخوان مارسي (برشلونة، 2000)، وخوسيه مارياس كاسيب (برشلونة، 2000)، وتانشيا كورسانا (باريس، 1993)، وجاك جيلارد (طولور، 1999 و 2004)، وروبيرنو ميرناديث ريتامار (هامانا، 1995)، وزامون تشام (باريس، 1993)، وكلودي كوهون (باريس، 1993)، وفيكور فسوريس أوليا (بروسلس آر. أي، 994)، ورافائيل غيريث وآني مورفا (باريس 1993)، وبانكو بورو (برشلونة، 1992 ورسالة)، وخوان رودا وماري هرايغير دي رودا (بوغوتا، 993)، وألفونسو لويس مينشيليس (بوغوتا، 1993)، وعدد كبير من الأحاديث مع آخرين.

- (*) كاليان، شخصية بعد الشهير في مسرحية العاصفة لشكسبير (المترجم).
4. عن هذا الموضوع وعن إسبانيا عموماً، راجع غابريل غارسيا ماركيز، مقالة في صحيفة «لامسكتادور»، 13 كانون الثاني 1982.
9. لاحظ أن غابريل غارسيا ماركيز صرح عام 1978 لآخيل هارغيندي من صحيفة الناس أنه لو كان إسبانياً لانتسبى إلى الحرب الشيعي الإسلامي. ولا بد من التأكيد على أنه كان يكتب من التأكيد على أن مثل هذه القرارات يعتمد على ظروف خاصة بالقضية.
6. روس ريعاس، مقابلة، هافا، كانون الثاني 1999.
7. لويس وليشيب فيرديشي، مقابلة، برشلونة 1992 و 2000.
8. أخيراً بهذا الأمر كن من رودريغو وعونانو غارسيا برتشف.
9. بول جايلز، مقابلة، برشلونة 1992.
10. كارمن بالسيدس مقابلة، برشلونة 1991.
11. فرسيسكو أورسولو، مقابلة، كوادريون هيسابو أمير كانوس (مدريد)، 232، نيسان 1969، ص 163-168 (ص 63).
12. أصبح كرميه هذا الرجل للعباد هوأ بعد أن مدرس هو معه نفد مدة من الزمن في الصحافة من عام 1947 فصاعداً، بن القدر القاسي أيضاً وما القدر الذي كبه عن كتب يسوبيل كوتيس في أواخر 1949 إلا نموذجاً مثالي، انظر: جيلارد، المصدر السابق.
13. في العام 1973 وافق المخرج السبعاني بير باولو باروليني مع غابريل غارسيا ماركيز سنأناً رواية مئة عام من العزلة ومكرها، لكنه شن بعد ذلك أعنف هجوم برحه ضد المؤلف وروايته. انظر مقالته عن غابريل غارسيا ماركيز في صحيفه النيمو، 22 ثور 1973، وهي مقالة نموذجية عن نظرف بروليني ومناقلته.
14. في مقدمة كتاب مهاجرون غرناطة (1992) يكتب غابريل غارسيا ماركيز أنه حلم بعد بضع سنوات على وجوده في برشلونة خلف غير محرق حياته، وهو أنه كان حاصراً عمليه دونه شخصاً وأنه استمتع بالحديث إن صلاته انطامى حتى حانت لحظه التي أدرك فيها أنهم سيعادرون امكان بعد انتهاء مراسم الدفن، وأنه لن يتمكن من الذهاب معهم.
15. تحدث غابريل غارسيا ماركيز عن هذا الأمر مراراً بعد العام 1967 حتى السرعج عدد كبير من لقاد (بكرى تدر الإسراره أن أباً من هؤلاء القاد لم يكن شهرته). هارن بوب ديلا: يوميات، الجزء الأول (ميوروك، سايمون أند شوستر، 2004): "بعد برهة من الزمن تعرف أن الخصوصية أمر يمكن بيعه، لكنك لا تستطيع شراءه مره أخرى بعد ذلك... الصحافة أظنك كذات عبيها". (ص 117-118)
16. ربما امتد مقت غابريل غارسيا ماركيز لرواية مئة عام من العزلة إلى مدينة نوبس بريس التي حاصرته فيها الشهرة في بداية الأمر وقد تحرق باكو بورو في رسالة بعث بها إبي وهال هيب: "عندما التفت عدو مره أخرى في برشلونة لاحظت بعض التعريفات فعل كل شيء تولد لدي لانتطاع بأن عدو لم بعد يكتم باللقائية التي كان معروفها بها، وأنه كان يسي شخصيته الجسدة. وبعد سنوات، وفي 1977 تخديداً، التفيت في برشلونة

وتكلمت معه ومع ميرثيليس عن تلك الأيام في بويس آيرس. حساً، هذا استرثت في موبولسوج عن روعة تلك الأيام، لكن عذب وميرثيليس أصميا إلى على صمص، ولاحت عليها مارات لاستهجان مما أقول. ثم أدرك لاحقا أن الحتم المشهور الذي ربوده في برشوبه عن حضوره مراسم تشييعه شخصياً، إنما كان مؤشراً على حالات موت أخرى. (برشوبه، 6 أيار 1993).

17. انظر. فرايكو موريتي، الملحمة الحديثة: النظام العالمي من عوته وحتى عارب ماركير (لسند، فروسو، 996) فارن مع رد فعل بروليبي المشار إليه آنفاً، خاصة أن موريتي يؤكد أهمية الرواية السامية.

18. فيردينيث، براسو، غابرييل عارسيا ماركير، ص 27.

19. باريس: ثورة أوبر (المكسيث، إيار، 1968)

20. رسالة غابرييل عارسيا ماركير، من برشلونة، إلى بيبو ميدونا، باراك، 28 تشرين الأول 1976.

21. المصدر السابق.

22. يبدو أن غابرييل عارسيا ماركير لم يصدر عنه أي تعليق عن أحداث ثلاثيولكو حتى في مرسلاته الخاصة. ويبدو هذا الأمر عربياً أول الأمر في ضوء حقيقة السنوات الست التي عاشها في المكسيث (وإن كان من الممكن تفسير ذلك على أنه كان مصعباً على العوده إليها). ليس أنها تشاها مع مدحه ثباتاً عام 1928، وهو الحدث الأشهر والأكثر إثارة للحبل بلا رب الذي أشير إليه في أعماله الكامة.

23. نابرث دي مور، مقابلة، برشوبه، 2000.

24. خوان مارسيد، مقابلة، برشلونة، 2000

25. رساله حول كورتاتار إلى ياكو بوروك 23 أيلول 1968. انظر أيضاً: حول كورتاتار، cartas، ورور بيرنارث، 3 مجلدات (بويس آيرس، ألعافورا، 2000)

26. غابرييل عارسيا ماركير، مقابلة، صحيفة الاسكاندور، 22 شاط 1984

27. كارلوس موييس، جغرافية لروية (المكسيث). هوندو دي كلتورا إيكوموبكا، 1993، ص 99. عسند كان في براغ، تسلم الأدب السابلي ياسوناري كاوانا جائرة بوبل في ستوكهولم، وبات عارسيا ماركير من فراء مؤلفاته المجمعين.

28. كارمن بالسييس، مقابلة، برشوبه، 1991

29. ولد مانيو، وهو أول طفل لمونثالو، عام 1987.

30. اصغر: ريجيس دوريه. الأقعة (باريس، جليمار، 1987) للحصول على نظرة ثامة في أدهان الباريس في سعييت القرن العشرين.

31. رودريغو عارسيا بارتشا، مابل، نيويورك، 1996.

32. انظر مقالة غابرييل عارسيا ماركير في صحيفة الاسكاندور، 13 سباط 1983، وفيها يتذكر كيف تخلى عن التدخين "قبل أربعة عشر عاماً"

33. انظر بوميت إينيجو عارسيا ماركير في "أراكناكة ستوكهولم (ص 22 24)، وفيها يقول: إن فيودتشي هو عمل الألف بعمة، الذي ساعد غابرييل عاريس ماركير بالمواقع

- الكاهن من وراء القتل في قصة موت معلن وساعده على ترك التدخين بالرغم من أنه لم يسكن، وبها للمناقشة من تركه شخصياً".
34. انظر: غوثاليت بيريجيو، مقالة، ترايفو، تشرين الثاني 1971، في ريسول، ص 50.
35. جون ليونارد، نيويورك، "نيويورك تايمز بوك ريفيو"، 3 آذار 1970، وقد نشرت صحيفه نيويورك تايمز مقالة نقدية إيجابية في 8 آذار، ثم عادت فأدرجتها في سنة 1996 بوصفها واحدة من المقالات المهمة للاحتفال بمرور مئة سنة على صدور الصحيفة.
36. انظر: جوسيه دويوسو "تاريخ مرحلة الانتعاش" (برشلونة: سيكس بارل، 1983، طبعه ثانية مطبوعة مع ملاحق من أعداد ماريلا سيرانو (الطبعة الإنسانية) أما الطبعة الإنكليزية فصدرت بعنوان "مرحلة الانتعاش في الأدب الأميركي الإسباني" تاريخ شخصي (نيويورك، مطبعة جامعة كمبرج، مركز الدراسات الأميركية، 1977).
37. كاتب هذه العلاقة حدثاً ميراً منذ البداية وحتى النهاية. انظر: جاك جيلارد وديو رودريغيث أمايا.
- La obra de Marvel Moreno* (Viareggio-Lucca, Maure Baroni, 1977).
- انظر أيضاً رواية بليسيو ميديوتا الموسومة *1985 Anos de fuga* و *La llama y el hielo*.
38. ميديوتا، المصدر السابق، ص 120، وعن برشلونة (علاقات غامبين عارسيا ماركيز في المدينة انظر خصوصاً ص 120-125).
39. انظر: آدم هيشتاين، بانو بيرودا حب الحياة (لندن، سومربري، 2004)، ص 315.
40. غابريل عارسيا ماركيز، من برشلونة إلى بليسيو ميديوتا صيف (أب) 1970.
41. غابريل عارسيا ماركيز يسذكر نالو بيرودا بحبة كروموس (في ريسول، ص 95).
42. حوليو كورتازار، رسالة على إدوارد خوكيبيس، 15 آب 1970، كراكاس، ص 1419.
43. ماريلا بلار سيرانو دي دويوسو، المصدر السابق، ص 134.
44. دويوسو، المصدر السابق، 105-106.

18 - الأديب المستوح يكتب ببطء: خريف البطريق والعالم الأرحب (1971-1975):

1. هوريو، المصدر السابق، ص 14-27.
2. خوان غوساين، مقالة، صحيفة لاسيكندور، 15 كانون الثاني 1971.
3. يسير أنه كان يشير خاصة إلى عاكمة أعضاء حركة بانك الانفصالي (إيتا) في بورغوس، حيث حكم على ثلاثة أشخاص الهمو بالإرهاب بملوث.
4. هذه لمباراة تترجم إلى الإنكليزية ترجمة دقيقة فتصح عطر الغواصة، ومسطهر لاحقاً كتاب يصم مقابلات هذا العنوان
5. خوان غوساين، مقالة، صحيفة لاسيكندور، 17 كانون الثاني 1971.
6. غيرومو أوتشوا، مقالة، صحيفة إكسيلسيور، 13 نيسان 1971.
7. غوثالو عارسيا بارشاش، مقابلة، باريس، 2004.

8. لوندري كامال، قصة باديا (ميامي، يونيفرساين ويبيوراك، ميغال، أتلانتا، 1972)، ص 9، وحوارها إيفاردر: شخص غير مرغوب فيه (نيويورك، ناراعون هاوس، 1993)، ص 220.
9. نشر الاجتماع في الصحف في جميع أنحاء العالم العربي، ومنها صحيفه نيويورك ريمبو أوف بوكس، على سبيل المثال في 6 أيار 1971.
10. سمح في العام 2007 للأكاديمية الإسبانية بأن تدرج مقطعاً من الكتاب في الطبعة الخاصة لرواية هنة عام من الغزلة الصادره في تلك السنة.
11. نشرت المقابلة في صحيفة التيمبو في التاسع والعشرين من أيار 1971 وتكس أهميتها في أنها سرعان ما أعيد نشرها مرة أخرى في بريس لانتينا، حيث صدرت عنها ردود أفعال مختلفة، ثم نشرت في العدد الأول من مجلة لير.
12. عوالم الصراع: 1957-1982 (ننلد، كوارتيت بوكس، 1990)، ص 153.
13. عيوت، سبعة أصوات، ص 330-332.
14. مقابلة مع جوليو روكا، داريو ديل كاريبي، 29 أيار 1971.
15. هنة عام من الغزلة وباء، إستورياس، لا ريباليكا، 20 حزيران 1971.
16. هيليكس عراند، مقالة، غراندونوس هيسيانو أمير كانوس (مدرج) 222، حزيران 1968، ص 632-641.
17. انظر مقالة عن غابر في صحيفة إكسيلسيور (مدينة مكسيكو) 12 ثور 1971.
18. وثيقه في أرشيف كلاس دي لا أميركس، هافانا.
- (*) ثمة خطأ من المؤلف هنا، فاعنون هو بحر الرمس الصائع وليس بحر الرمان للبت (المترجم).
19. انظر قراءة مايو درغاس يوسا لهذه القصة في تاريخ قاتل، ص 457-477.
20. في حزيران 1973 تنشر قصة إيرديرا الريفية في مجلة إسكواير.
21. خايمي ميخيا دوكي، مقالة، صحيفة التيمبو، 4 آذار 1973.
22. قارن حواد بوش، المرشح الدائم لمنصب الرئاسة في جمهورية النوميكان الذي أطاح به الأمريكيون عام 1965، بين غامريل غاريا ماركير وثيرباس في حزيران 1971.
23. بوبيا تومسكا، مقابلة، أيلول 1973، تودو مكسيكو، 202-203.
24. كارمن بالميلس، مقابلة، برشلونة 2000.
25. إليخير غاريا، التيمبو، 15 آب 1972.
26. حديث مع ميريام غارثون، 1993.
27. انظر صحيفة إكسيلسيور، 5 آب 1972.
28. مقابلة في صحيفة إكسيلسيور، 17 آب 1972.
29. مقابلة نشرت في مجلة كروموس إثر وفاة نيرودا، 1973. المصدر السابق.
30. سبق لبرمبي ماركير أن أعلن في مقالته لمجلة لير، 3، (آذار - أيار 1972) ص 29-34، أن السياسة المتبعة هي عدم اتخاذ مواقف مماثلة للسوفييت.
31. ميلوثا، المصدر السابق، ص 196-197.

32. فيوريو، المصدر السابق، ص 162-163.
33. غابريل غارسيا ماركيز، برشلونة إلى فويسايور، بارانكيا، مطبع نشرين الثاني 1972. انظر فيوريو، المصدر السابق، ص 162-163.
34. غابريل غارسيا ماركيز يستذكر بيلو ميرودا، مجلة كرومرس، 1973، ص 96.
35. صحيفة إكسيلسيور، 13 أيار 1973. انظر أيضاً مقالة غابريل غارسيا ماركيز عن الكتاب، كتابته وأهداه وإخارته على مدى أكثر من ربع قرن من الزمان في مجلة كامبيو، 2001.
36. يمكن من هذا احباب مقارنة الكتاب برواية الرئيس لإستورياس (1946).
37. أمير رودريغيث مويغال في: *Narradores de esta America, Tomo II, (Alfadi, Caracas, 1992).*
38. غيرمو شويديان وأرمادو بيريرا "غارسيا ماركيز في انكسبك، 6: 30، شباط 1976
39. المصدر السابق.
40. يوضح غابريل غارسيا ماركيز مقايسه للزمن في: *Odete Lara, "GM", El Escarabajo de Oro (Buenos Aires), 47, Dec 73-Feb, 74, PP 18-21*
41. انظر مفهوم نورثرب فراي عن الشخصيات المعطية في كتابه تشریح المغد (1957).
42. شويديان وبيريرا، المصدر السابق.
43. خوان غوساين، مقالة، صحيفة الاسكنادور، كانون الثاني 1971. فارن يكتب كورنراد النوسوم بومسترومو الذي يموت فيه البطل "بسبب اعرجة".
44. غابريل غارسيا ماركيز هوريف الهطورك (ننلذ، بيكادور، 1978)، ص 45.
45. المصدر السابق، ص 74.
46. المصدر السابق، ص 180.
47. المصدر السابق، ص 205.
48. المصدر السابق، ص 39.
49. المصدر السابق، ص 199.
50. المصدر السابق، ص 200 202.
51. المصدر السابق، ص 203. سبق أن أشهر إستورياس في روايته الرئيس أن شخصيه دكتاتوره (إستورادا كاميرا) كانت ضاح حرمان من الطمولة لم يخفف من غلواها سوى جهود متواصلة بذلتها أمه المتفانية المحدرة من الطبعه العليا.
52. كارمن بالسيس، مقابلة، برشلونه 2000.
53. تاتشيا كويتانا (روسوف)، مقابلة، باريس 1973.
54. كان الإعلان عن المرور قد أعلن في نشرين الثاني في السنة السابقة. انظر صحيفة إكسيلسيور، 19 تشرين الثاني 1972.
55. بوبيا بوفيسك، مقابلة، أيلول 1973، نودو مكسيكو، ص 194.
56. صحيفة إكسيلسيور، 10 أيلول 1973، في حدود هذه المرحية الرمزية يبدو أن غابريل غارسيا ماركيز توصل إلى تفاهم مع صحافيي إكسيلسيور ويظهر أن هؤلاء الصحافيين

تفوا معلومات سرية عن تحركاته منذ هذا الوقت وحظي بتغطية منهم عوف بغطية أي كاتب مكسيكي آخر، بل إنجاية أكثر من أي كاتب مكسيكي آخر أيضاً على مدى السنوات الخمس عشرة القادمة

19 - تشيلي وكوبا: غارسيا ماركيز يختار الثورة (1973-1979):

1. انظر بليو ميدينا: "Fine", in *Gentes, lugares* (بوغوتا، بلاييا، 1986) وفيما يروي قصه غربية عن رحلته إلى تشيلي مع فيما نوريس الذي كان يعمل مصوراً يومئذ، وذلك عقب الانقلاب، وكان ميدينا هو الصحافي الأجنبي الوحيد الذي دخل منزل سرور، وشاهد حخته بعد أربع ساعات من وفاته. وقد أعيد نشر للصور التي التقطها فيم نوريس في جميع أنحاء أميركا اللاتينية
2. أعيد نشرها في صحيفه إكسپريسور، 8 تشرين الأول 1973.
3. أرنستو غونزاليث بومبيجو، مقالة في كرايسر (بويس آرس، 1975) وأعد نشرها في ريسيرا، المصدر السابق. وفي هذه المقالة التي جرت في سنة 1970 قال غاريل عاريس ماركيز: "بني أريد أن منح كوبا، اشتراكية بأحد في الاعتار طروها، اشتراكية تنه كوبا معها؛ إنسانية، منحلة، يمتعة، من دون اشتراكات بيروقراطية".
4. خوان غوسيان، مقالة، صحيفه الأسبكتادور، 17 كانون الثاني 1971،
5. عيرت، المصدر السابق، ص 333 غير أن غاريل عاريس ماركيز يقول في ص 329 إن أمله قد حاب في اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية الذي يسوده نظام 'غير اشتراكي'.
6. لويس سواريث، مقالة، لا كاييه (مدرين)، 1978 (في ريتيريا ص 195-200)
7. بوضح عاريس ماركيز رسالة إلى بليو ميدينا، نيسان 1962 نظرية معاداة ن غراء صحيفة التيمو هم مفتاح لانتخابات الكولومسة.
8. يستند هذا الفصل حثياً إلى مقابلات مع كل من الصحافيين الثلاثة وهم: نطوبو كاباييرو (مدرين، 1991، بوغوتا، 1993)، دانيال سامر (مدرين، 1991)، وإيريكي سانتوس كالديرون (بوغوتا، 1991، و 2007)، وكذلك إلى مقابلات أجريت مع غوسيه ييشي كاتاراي (بوغوتا، 1993)، وألفونسو لوبيث ميتشيلسون (بوغوتا، 1991)، وبيليساريو بيتانكور (بوغوتا، 1991)، وهيرنانو كورل (بوغوتا، 1998)، وحولو أندرياس كاماتشو (كارثاغينا، 1991)، وغوسيه سالير (بوغوتا، 1991)، وغوسيه ستيفسون (بوغوتا، 1991، كرتاجينا، 2007)، وفرندو غوميث أغويديلو (بوغوتا، 1993)، وفيليب لوبيث كاباييرو (بوغوتا، 1993)، ولورا ريسيريو (بوغوتا، 1991)، وخانجي أوسوريو (بوغوتا، 1993)، ولويس تيار بوردا (بوغوتا، 1998)، وخيسوس مارتز باربو (بتربرغ، 2000)، وماريا لويسا ميدينا (مدينة مكسيكو، 1994)، وإيليا بوب بوفسكا (مدينة مكسيكو، 1994)، وغيره.
9. مدعريتا فينال، "غاريل عاريس ماركيز"، 1981، كروموس، مقابلة، أعيد نشرها في *Viaje a al Memoria* (بوغوتا، ياساسا كالسي، 1997) ص 128-139.

10. إيريكى سانتوس كالديرون، مقالة، مجلة الثارديما، 257، 27 آذار 1980 (العدد الأخير).
 11. العدد (1)، 15 شباط 1974 العدد (2)، 15 آذار 1974 ويشتمل على مقال لعابرييل غارسيا ماركيير.
 12. عن النسخة الإنكليزية، "لماذا يتعين على آيندي أن يموت"، مجلة نيو ستيتسمان لندن، 15 آذار 1974، ص 358.
 13. منشوران في 1975
 14. انظر رافائيل هامبرنو مورو ديوران Como el halcon peregrino (بوعوتا، سانتيانا، 1995)، ص 117 يقول مورو إن عابرييل غارسيا ماركيير تأخر عن الحفلة لأنه كان قد ذهب لحضور حفلة ميغيل أنخس ستورياس في مدريد، ولا سألت عابرييل غارسيا ماركيير عن الأمر في سنة 2002، أنكر الواقعة. حقاً كان لتوقيت صائماً بكسي لم أستطيع أن أسأل موريو ديوران عن سبب قوله مثل هذا الكلام قبل أن تواجهه المية في العام 2005 انظر أيضاً جوليا أوركيدي Lo que Varguntas no dijo (لابار، خاناكروث، 1983).
 15. انظر: دونوسو، المصدر السابق، 148-149.
 16. "يسدو هذا عربياً جداً، إذ لظلمنا سفرنا معاً دائماً إلى كل مكان". (روجرديو غارسيا بازتشا، مقالة، نيويورك، 1996).
 17. بويث جيمييث، المصدر السابق.
 18. غابرييل غارسيا ماركيير، مقالة، هجون، 30 كانون الثاني 1975.
 19. إيريكى سانتوس كالديرون، مقابلة، بوعوتا، 1991
 20. أعد نشر المقابلة في مجلة نيويورك ريميو أوف بوكس في السابع من آب 1975.
 21. غير أن سوريك يتخذ موقفاً مختلفاً من علاقة عابرييل غارسيا ماركيير بلويث مينشيلسيو على امتداد السنين.
 22. كان أعف رد فعل من الناقد اليساري الكولومبي حاكمي ميخيا دوكي حيث نشر في مبدلين في تموز 1975 عن دار أويجا ييم، وهي دار النشر التي ستولى مستقلاً إصدار مؤلفات غارسيا ماركيير.
 23. أليساندرو أوتورو؛
- Ulover sober mojado. una reflexion sober la historia*
- (هافانا، ليتراس، كوباناس، 1997)، ص 208
 24. مجلة الثارديما، 40، 30 حزيران 7 تموز، عابرييل غارسيا ماركيير: البرتغال، الأرض الحرة في أوروبا، القسم الثاني، 42، 14 21 تموز، "البرتغال" الأرض الحرة في أوروبا، القسم الثالث.
 25. صحيفة إكسپيسور، 5 حزيران 1975.
 26. صحيفة إكسپيسور، 30 حزيران 1975.
 27. صحيفة إكسپيسور، 17 حزيران 1975.

28. انظر مجلة النارباميا، 38، 16، 23 حزيران 1975.
29. نوبست جيمبيث، المصدر السابق، انظر أيضاً، غارييل غارسيا ماركيز، مقالة، صحيفة 'الاسيكنادور'، 11 تشرين الأول 1981 وهي أيضاً قصة حصار دات صلة لمحارلات نسي غيرا لإيجاد بدلين عن الكوكا في الأيام الأولى من الثورة.
30. انظر مجلة النارباميا، 51، 15، 22 أيلول 1975، 52، 22، 29 أيلول 1975، 53، 29 أيلول - 6 تشرين الأول 1997.
31. رودريغو غارسيا ناريتا، مقابلة، نيويورك، 1997.
32. إريكسي سانسو كالديرو، مقابلة، بوغوتا، 1991.
33. انظر على سبيل المثال مقالة مارن بويسا ميوتو، كمنسيور، 8 تموز 1981.
34. هذا هو السؤال الذي قيمته 64 ألف دولار الذي يرغب معظم الصحفيين وعاد كبير من القرء في مناقشته مع كاتب سيرة غارسيا ماركيز غير المخطوط حال لسانهم به.
35. لم يرغب أي من الرحلى في مناقشة القصة، لكنني ناقشت هدد لحادثة مع عدد من شهود العيان ومنهم مريثيس ناريتا ومع زملاء مقربين لكلا الرحلى. وفي سنة 2008 نشر ماريو فارغاس يوسا مسرحية بعنوان Al Pie del tam ses عنك في الطل في صديق لكمة إلى أعر أصدقائه من خمسة وثلاثين عاماً، ولم يره منذ ذلك الوقت.
36. يوري أندرسون، مقالة ديشين، 26 كانون الثاني 2004، وهي مقاربة معمعة بين الرحلى تشدد إلى قراءة مذكرتها مرة أخرى، يحرق فيها غارييل غارسيا ماركيز.
37. بوبيث جيمبيث، المصدر السابق.
38. المصدر السابق.
39. انظر إلى شهادته الشخصية (سليمي، سايبا، 1987).
40. بوبيث جيمبيث، المصدر السابق.
41. فيليب غوشاليت، مقالة، مجلة النارباميا، 29، 29 آب 5 أيلول 1977.
42. فيليب، صحيفة الاسيكنادور، 2 كانون الثاني 1983، وفيها يستذكر غارييل غارب ماركيز هذا اللقاء الأول في بوغوتا.
43. غارييل غارسيا ماركيز وريثيس دوبريه، مقالة، مجلة النارباميا 146، 147، 26 كانون الأول؛ 20 كانون الثاني 1977 - 1987.
44. غارييل غارسيا ماركيز، مقالة، مجلة النارباميا، 117-12-5 حزيران 1977.
45. غارييل غارسيا ماركيز، مقالة، مجلة النارباميا، 126، 8، 15 آب 1977.
46. غراهام عرس العرف إلى الجرنال (لندن، بودلي هيد، 1984)، وهو كتاب يتصدره هيد إلى أصدقاء صديقي عمر توريجوس في نيكاراغوا والسامادور وباناما.
47. غارييل غارسيا ماركيز، مقالة، الاسيكنادور، 27 كانون الثاني 1982 ومقالة أخرى في الاسيكنادور أيضاً 16 كانون الثاني 1983.
48. رامون تشلو، مقال، ترايمو (مدريد) 24 نيسان 1978، ص 54-56.
49. فيدل كاسرو، مقابلة، هافانا، كانون الثاني 1997.
50. النارباميا، 94، ص 23-30 آب 1978.

- (*) بيلاطس النبطي: الحاكم الروماني لبلاد "اليهودية" أيام السيد المسيح حاكم المسيح وأمر بقتله بضغط من اليهود. (المترجم)
51. سوريل، المصدر السابق، ص 229، وتحدث عن علاقة غابريل عارسيا ماركير بقيادة سانديستا.
52. غابريل عارسيا ماركير، مقالة، الاسبكتادور، 19 تموز 1981.
53. غابريل عارسيا ماركير، مقالة، إكسپسيور، 1 أيلول 1978 وكاتب المقالة الرئيسة على الصفحة لأولى من صحيفة ذلك النهار.
54. غابريل عارسيا ماركير، مقالة، الاسبكتادور، 19 تموز 1981.
55. صحيفة إكسپسيور، 21 كانون الأول 1978.
56. مجلة التارانتيا، 194، 25 كانون الأول 1978 - 22 كانون الثاني 1979.
57. مقابلة في باريس مع رامون تشو وإغنايو راموبيت في تشرين الأول 1979، مجلة التارانتيا، 237، 1-8 تشرين الثاني 1979. يوضح غابريل عارسيا ماركير أن توليت ليبرون ورفاقها من بورتوريكو أطلق سراحهم كارترو، وإن لاعتبارات اتحدية لا أكثر.
58. مجلة التارانتيا، 201، 26 شباط 1979، وفيها تعلل أن غابريل عارسيا ماركير التقى البابا يوحنا بولس الثاني في 19 كانون الثاني وملث وملكة سانيا في 3 شباط.
59. صحيفة التيمو، 8 شباط 1979.
60. مجلة التارانتيا، 218، 21-28 حزيران 1979.
61. حدث هذا في الوقت الذي نُشر فيه نص سيماني كتبه غابريل عارسيا ماركير بعنوان Viva sandino.
62. نشاو وراموبيت، مجلة التارانتيا، 201، 26 شباط 1979.
63. على تقرير ماكزويد انظر مقالة غابريل عارسيا ماركير "مهمة بابل" صحيفة الاسبكتادور، 2 تشرين الثاني 1980، انظر أيضاً سوريل "عارسيا ماركير الآخر" ص 250، وفيها تأكيد على حدوث ثمانية اجتماعات في 1980-1981: أربعة في باريس واجتماع واحد في كل من ستوكهولم ودينبرغ ودهلي وركوبلوكو.
64. في نهاية المطاف، استاء غابريل عارسيا ماركير ورميه التشيلي جوان ساموفيا، الذي أصبح في ما بعد الأمين العام لمنظمة العمل الدولية، من التسوية التي توصلت إليها اللجنة، فأرسلها تعقياً على ذلك.
65. أثبتت هذه الملاحظات خلال طعام عشاء في مدينة مكسيكو أقامه لاتحاد الأمريكي اللاتيني لرئيس المكسيكي خوسيه لوبيث بورتيلو.
66. غابريل عارسيا ماركير، مقالة، الاسبكتادور، 9 تشرين الثاني 1980.
67. انظر مقالة نشرت في بوهيميا (هافانا)، 1979، في ريسون، ص 201-209: "لم تعد لدي أفكار أخرى للأليف الكتب. ألي بكون اليوم الذي أستعبد فيه الأفكار عظيمًا"
- 20 - عودة إلى الأدب: قصة موت مطن وجائزة نوبل (1980-1982):
- 1 انظر غابريل عارسيا ماركير، مقالة لاسبكتادور، مهمة بابل، 2 تشرين الثاني 1980.

2. كارمن غالديو وكارلوس هانيللا، ثاني المقاتلين المشورة في أيل ديا (مدينة مكسيكو) 7 أيلول 1981.
3. غابريل غارسيا ماركيز، مقالة الاسكتادور، 26 كانون الأول 1982. للعديد من مقالات تلك الحقبة موضوعات باريسية
4. ماريا جيسينا دوتاك، مقابلة، بوغوتا، 1991.
5. إيريك سدنوس كالديرون، مقابلة، بوغوتا، 1991.
6. كوسيلو ميسون دي ريبو، مقالة، ريفيسنا دايرر (برغوتا) نشرى الثاني 1980.
7. إكسيلير، 20 آذار 1980
8. صحيفة الأوتيفرسل، 17 أيار 1980.
9. آل رابديع، للتوره موضوع رئيس عند غارسيا ماركيز، نيويورك دكر، 22 أيار 1980
10. حسوان عوسين، مقالة، الاسكتادور، 13 أيار 1981. ص 7، مقابلة مع لويس إيريكى غارسيا ماركيز.
11. إليحيو عرسيا: Corinca de la cronica وفيها مقارنة للأحداث مع الرواية، والأحداث الرئيسة بالشريط استعماي والأحداث التي رافقت إنتاجه.
12. غابريل غارسيا ماركيز، الاسكتادور، 23 آب 1981، 30 آب 1980.
13. سوربلا، المصدر السابق، ص 255، حصوص معالات 1980-1984.
14. كتب غابريل غارسيا ماركيز رسالة إلى نيبو ميدونا، 22 ثور 1966 يقول فيها عام 1966، بعد كمال كتابه مدة عام من العزلة ولكن قبيل نشرها مباشرة، إنه يروقه أن يمارس هذا النمط من الصحافة.
15. جود سورب: Notas sobre Notas de prensa 1980-1984، 18 (1988) ص 27-37.
16. نشرت لمقالات الأربع في صحيفة الاسكتادور بين أواسط أيلول ومطلع تشرين الأول 1980.
17. غون ميسن تفريري أميركي في هنو رمية لاحقة.
18. الاسكتادور، 16 كانون الأول 1980.
19. غابريل غارسيا ماركيز، الاسكتادور، 8 آذار 1981.
20. كوبيو نوردا: سيلفا وارثيغيس وموتيس وغارسيا ماركيز. ص 419-427.
21. سوربلا، المصدر السابق، ص 259-262. يقول بخصوص هذه الحادثة إنه يعرف تمام المعرفة أن غابريل غارسيا ماركيز كان على صواب بشأن التهديد.
22. إكسيلير، 12 أيار 1981.
23. فيدل، المصدر السابق، ص 128-139.
24. الاسكتادور، 3 أيار 1981.
- (*) هذا هو المعنى الحرفي، ولكن المقصود منه بحراً الشخص الناهض المتحدر من أسره محرمة أو الذي يشين سمعة أسرته. (المترجم)
25. إكسيلير، 12 أيار 1981.
26. إكسيلير، 7 أيار 1981.

27. غابرييل غارسيا ماركيز، "ميتزان الآخر، الرئيس"، الاسكتادور، 24 أيار 1981.
28. فليبي غونزاليث، مقابلة، مدريد، 1997.
29. إكسيلسيور، 4 آب 1981.
30. "نورغوس"، الاسكتادور، 9 آب 1981.
31. بيانريث لوبيث دي بارتشا، اليسو، 10 كانون الأول 1982.
32. بفلأ عن حوسيه بلدو، Muro de confesiones (كاراكس، الأكاديمية الوطنية لتاريخ 1985)، ص 9-18.
33. انظر صحيفة اليسو، 23 أيار 1982.
34. غابرييل غارسيا ماركيز، الاسكتادور، 14 آذار 1982.
35. صحيفة الاسكتادور، 11 نيسان 1982.
36. صحيفة الاسكتادور، 31 كانون الثاني 1982.
37. صحيفة الاسكتادور، 28 آذار 1982.
38. صحيفة الاسكتادور، 4 نيسان 1982.
39. صحيفة الاسكتادور، 6 كانون الأول 1981.
40. كلودي ديفوس، بلاي بوي، 2 30 شباط 1983، ص 65-77، 172-178.
41. بيلير أبولو ميديوا، تحرير، El olor de la guayaba (برشلونة، بروغرو، نيسان 1982).
42. ماريا إيستر غيليو، مقالة، ترايمو، (مدريد)، 1977، في ريتريا، ص 141-146.
43. سند هذا القسم إلى بويث خيمييث، المصدر السابق، ص 69-103 المصدر السابق.
44. المصدر السابق.
45. صحيفة الاسكتادور، 29 أيلول 1982.
46. ألويسو فونمايور، أراكاتاكا ستوكهولم، ص 30-33.
47. انظر مقالة مجلة كروموس، 26 تشرين الأول 1982، ص 20-21.
48. غابرييل غارسيا ماركيز، مقالة وليم غولديغ، صحيفة الاسكتادور، 9 تشرين الأول 1983، وفيها يتذكر غابرييل غارسيا ماركيز اللحظات التي سمع فيها سأ هوز غولديغ بخاترة بابل.
49. إلخيو غارسيا، ريفيستا دايررو، بوغوتا، تشرين الثاني 1982.
50. غابرييل غارسيا ماركيز، صحيفة الاسكتادور، 20 تشرين الأول 1982.
51. غابرييل غارسيا ماركيز، صحيفة الاسكتادور، 7 تشرين الثاني 1982.
52. انظر على سبيل المثال صحيفه لانيي أميركان تايمز لشهر كانون الأول 1982.
53. جوريث هارمس، مجه نيوزويك، 1 تشرين الثاني 1982.
54. سمعان رشدي، ماركيز الساحر، صحيفة صديا تايمز، (لندن).
55. انظر مير، أراكاتاكا - ستوكهولم، وفيها دراسة معمقه عن تجربة حائزة نوبل، ومعرافها بالنسبة إلى كولومب.
56. بيبيو ميسوتا، المصدر السابق، ص 96-103.
57. غييرمو كانو، صحيفة الاسكتادور، 5 كانون الأول 1982.

58. «طوري دي وماجوري ميدي، عابو يتحدث» غابرييل غارسيا ماركيز يتكلم عن مصاب
أمر كا اللاتينية وصداقته مع فيدل كاسترو وأهوال الصمحة البيضاء، مجلة نوس أنوس
لغمر، 2 أيلول 1990.

59. ميراء المصدر السابق، ص 30

60. مبلوثا، المصدر السابق، 96

61. إليخيو غارسيا، مجلة كروموس، 14 كانون الأول 1982.

62. غابرييل غارسيا ماركيز، الاسكتادور، 19 كانون الأول 1982.

63. آنا ماري كانو، صحيفة الاسكتادور، 13 كانون الأول 1982.

64. نسو مبلوثا، صحيفة التسمو، 12 كانون الأول 1982

65. مبلوثا. في ميراء أراكاناكا - ستوكهولم، ص 103

66. آنا ماري كانو، صحيفة الاسكتادور، 13 كانون الأول 1982.

67. نسو مبلوثا، صحيفة التسمو، 12 كانون الأول 1982

68. مبلوثا. في ميراء أراكاناكا - ستوكهولم، ص 103

69. مقالة في مجلة حيت (بويس آيس) كانون الأول 1982.

70. يوم هاشير الماشر، (لند، سكادور)، 2005، ص 128-129

71. برو بويث، في ميراء أراكاناكا - ستوكهولم، ص 91-95

72. غوريا نريانا، صحيفة الاسكتادور، 6 تشرين الأول 2002

73. غابرييل غارسيا ماركيز، صحيفة لاسكتادور، 12 كانون الأول 1982.

74. ألكساندرا بيينا، صحيفة الاسكتادور، 12 كانون الأول 1982

75. صحيفة الاسكتادور، 10 كانون الأول 1982.

76. ريتا غارسيا ماركيز في عالميس، المصدر السابق، ص 249.

77. إليخيو غارسيا، El Mundo al Vuelo، 64، شباط آذار 1983.

78. المارو مويث، أراكاناكا - ستوكهولم، ص 19-20.

79. صحيفة التسمو، 12 كانون الأول 1982.

21 - نوبة الشهرة وعطر الغواصة: الحب في زمن الكوليرا (1982-1985):

1. غابرييل غارسيا ماركيز، هيبس، صحيفة لاسكتادور، 2 كانون الثاني 1983.

2. حوار عابو وفيليب غوباليت، صحيفة التسمو، 27 كانون الأول 1982.

3. ليو براودي، نوبة الشهرة الشهرة وتاريخها (نيويورك، فيسج، 1986، 1997)

4. سوريللا، المصدر السابق، ص 250.

5. روبرتو بومبو، سمانا، (بوغوتا)، كانون الثاني 1997.

6. ديفيد سترينغفيلد، مقالة، الواشطن بومست، 10 نيسان 1994.

7. غوان كروث، مقالة، اسابيس (مريدي)، 11 كانون الثاني 1993.

8. روجوليو برستي، مقالة، حيت (بويس آيس)، 15 كانون الثاني 1997.

9. غابرييل غارسيا ماركيز، الاسكتادور، 16 كانون الثاني 1983.

10. غيرمو كابريرا إيفانتي، Mea cuba (لندن، فير أند فير، 1994)، ص 210.
11. غابريل عارسيا ماركيز، الاسكتادور، 23 كانون الثاني 1983.
12. غابريل عارسيا ماركيز، الاسكتادور، 10 كانون الثاني 1983.
13. ألفونسو بويرو ميرندا، Colombia no alienada (بوغوتا، نيرثر مولدو) 1995.
14. بريت نيمبيث، المصدر السابق.
15. غابريل عارسيا ماركيز، الاسكتادور، 10 نيسان 1983.
16. رد غابريل عارسيا ماركيز على غير عدته في الاسكتادور 24 نيسان 1983.
17. غابريل عارسيا ماركيز، الاسكتادور، 5 حزيران 1983.
18. غابريل عارسيا ماركيز، الاسكتادور، 10 غور 1983.
19. بوماس إيلوي ماريبيث، باغيا (بريس آيرس)، 21 آب 1988.
20. غابريل عارسيا ماركيز، لأقف، الاسكتادور، 23 تشرين الأول 1983.
21. ماريا تريسا هيران، الاسكتادور، 5 تشرين الثاني 1983.
22. لور ريسنويو، معالة، بوغوتا، 1991.
23. غابريل عارسيا ماركيز، الاسكتادور، 18 كانون الأول 1983.
24. كلوديو دريغوس، المصدر السابق، ص 172.
25. ريتيس دويريه، المصدر السابق، ص 26-28.
26. آرغزو، المصدر السابق، ص 247.
27. المصدر السابق، ص 120.
28. ماريسين سلغوسر، أفضل سنوات عمره، مقابلة مع غابريل عارسيا ماركيز، نيويورك تايمز بوك ريفير، 0 نيسان 1988.
29. إكسبسيور، 16 تشرين الأول 1984.
30. قصة موت معلن (الطبعة الإنكليزية)، ص 136.
31. ر.مو، المصدر السابق، ص 136.
32. إرنك بيو موثيو، النابس، 28 آب 1984.
33. مارغوت عارسيا ماركيز، في غاليمس، المصدر السابق، ص 67.
34. إليجو عارب ماركيز، المصدر السابق، ص 285-286 مما ينير الدهشة أن قيا با كانت حاضرة في ذلك الوقت ثم وفعتها المنية بعد عام من ذلك.
35. حنكي عارسيا ماركيز، المصدر السابق، ص 55.
36. إليجو عارسيا ماركيز، المصدر السابق، ص 286.
37. غابريل عارسيا ماركيز، الاسكتادور، اب 1982. في هذه المعاله تكمن جدور الحب في زمن الكوليرا (1985) وذكرة عائيتي الخزيات (2004).
38. ماريس سلغوسر، اليسر 14 نيسان 1985، وفي عام 1988 يتفقيه سلغوسر مرة أخرى، المصدر السابق.
39. ياسوماري كاواماتا.
40. ماريا أليرا سامير، سيمان، 13 أدر 1985.

41 أوضح إشارة هي كتاب هيرميا ماركير لغاري لارود (باريس، 1911) عن فتاة كولومبية حساء تعيش في فرنسا وقصص الحب التي كانت تكتبها الآخرين. وقد جذب العنوان اهتمام غابرييل غارسيا ماركير، مثلما استحوذت الحكمة بعد ذلك على حياته

(*) النفاذة الكبير The Big Apple: هي نيويورك، ويقال إن هذه التسمية تعود إلى عصر الجار في ثلاثينيات القرن العشرين عندما كانت كلمة نفاذة تعني الارتباط، وكان الارتباط الذي يسعى إليه كل للموسقيين هو الارتباط بنويورك. فأصبحت المدينة نفاذة كثيرة بمعنى مركز النشاط الثقافي العالمي. (المترجم)

42. ميمانا، 9 كانون الأول 1985.

43 هيرنان ديات، ريفيسا داهرو (بوغوتا)، أيلول 1985

44. بيبي ريو بيتاكور، مقابلة، بوغوتا، 1991 ملاحظ أن كتاب غابرييل غارسيا ماركير غير مختطف (1996) يستعيد هذه الظروف كي يصح السياق السياسي للأحداث (1990-1993) التي يرويها بنفسه.

45. "أفقد نطل من الأمر نصف قرن من الزمان كي أكتب عن الحب"، إكسيسيور، 17 كانون الثاني 1986.

46. توماس بيشتون "عهد الحب الأبدي"، نيويورك نايم بوك ريفيو، 10 نيسان 1988.

47. غابرييل غارسيا ماركير، حدث، مله مكسيكو، 1999.

22 - خلافاً للتاريخ الرسمي: بوليفار غارسيا ماركير (الجنرال في مناهته) (1986-1989):

1 كولومبيا على حافة محرفة، غارسيا ماركير، إكسيسيور، 28 ثور 1986.

2 انظر الطبعة البرازيلية من مجلة بلادي بوي، وفي ماطرة مع عنت غراس في مايو المؤتمر الخامس والأربعين لنادي القلم، الذي عقد في مدينة نيويورك في كانون الثاني 1986.

3. رويث جيميث، المصدر السابق

4. مقابلات مع مدلل كاسترو وتوماس غونيرث آليا، وهيرماندو بيري، والكيمياء يينا، وكاتشو بالرو، وماريا لويسا بيمرع، وإليسيو أليروتو. وجورخه علي ترانا، وأليساندرو دركي، وحلتي هيرتو هيرموسيلو، وجورخه سانتيث، وأغاشيو ديوارن، وماريو غارسيا، وبرتسا بانارو، وأحدث مع حوليو غارسيا إسبيوسا، ودولوريس كالغيو، وستيلا مالاغون، ومارقا بوسيو، وميغيل لينث.

5. أشهر لينث بقصة The Jackel of Nabueloro، 1971. لكنه صور أيضاً قصة غارسيا ماركير أرمنسة مونيل في المكسيك سنة 1978 مع حير الدين نشابلث التي مثلت الدور الرئيس.

6. غابرييل غارسيا ماركير، مري في دشيني (كيمرج، غراشا، 1989)

7. أبعد هذا العدد غابرييل غارسيا ماركير عن ميتران. كانت فرنسا لا تزال بحري التجارب جنوبسي المحيط الهادئ. وفي ثور 1985، أعرق عملاء فرنسا، وهذا ما عرفه الآن،

أوامر من ميزران نفسه عليه ريسو وزير التابعة جماعة السلام الأحصر في مرعا أوكلاند.

(*) رجل من حاشية ديونيسيوس حاكم سيراكوزا في القرن الرابع ق. م. دعاه الحاكم إلى وليمة، وعلق فوق رأسه سيفا مربوها بشعرة حصاة ليس له أن سعادة الظالم معرفه أبدا للأخطار، وكلمة عارسيا ماركيز في المؤتمر أعلاه واضحة الدلالة في هذا الشأن. (لمرحم)

8. التيمبر، 7 آب 1986، انظر خطاب عابريس عارسيا ماركيز بعنوان "حالته دوميقيس"، مؤتمر إكستابا، 1986، (بوعوت، أوييخا نيمرا، 1986).

9. سروح غوثاليو ريبا في 1987 أما ابنهما ماثيو، وهو أول حميد لعارسيا ماركيز، فقد ولد في أواخر أيلول.

10. أندرو باكسمان، مقابلة، مجلة فارايتي 25 31 آذار 1996.

11. مايكل براندو، صحيفة اليومود، تموز 1986.

12. لادانوك، بويسس آيرس، 7 كانون الأول 1986 وفيها نص خطاب عابريل عاريس ماركيز.

13. ماريا جيمينا دوتان، مقابلة، بوغوتا، 1991.

14. مارلوس سالغوسر 'عارسيا ماركيز عن الحب والأوبة والسياسة"، نيويورك تايمز، 21 شباط 1988.

15. هوجو كويناريس، صحيفة الناسيونال، 22 شاط 989، في كاراكاس

16. روبرت ريفورد معجب بعارسيا ماركيز، إكسپيسور، 15 شريس الأول 1988.

17. إليس مغين ميوت، "في مناعة الكاتب: أيام رواية الفصص مع عابو"، ميشيكان كوارتلي ريفيو، 2: 34، 1995، ص 173 193، مخصوص عمل عابريل عارسيا ماركيز في صاندانس، آب 1989.

18. عابريل عارسيا ماركيز، الاسكتادور، 21 نيسان 1982.

19. من أعلام نيوبل السابقة "أربع حملات رفاق وجنارة"، دوي براسكو وهاري بربر وكلس البار.

20. انظر على سبيل لثال لادوي روهتر، "عارسيا ماركيز" كلمات في شريف سيماني، ميويورك تايمز 13 آب 1989.

21. ليس للتعقيد من بكاتبه (المكسيك، جامعة فير كروث)، 1999.

22. إكسپيسور، 7 آب 1990. مقالة في نيويورك تايمز عن اقتباس سالغادور مافورا لنفسه موت معل في المهر حد اللاهبي.

23. عابريل عارسيا ماركيز، مقالة عن بيدل كاسرو، البابس، 6 آذار 1988، انظر "العمل بالكلمة"، مجلة ماكلا، 2 آب 1990

24. عابريل عارسيا ماركيز، Distribia de amor contra un nombre sentido (بوعوت، ارانغوا، 1994).

25. أوسالديو سوريانو، مقالة، باجيا 12، (بويسس آيرس) 21 آب 1988

26. أوسيلنو كيروغا، مقالته. لا باسيو (بويس آيرس) 21 آب 1988
27. تردّد في تلك الأثرة أن موبيك عيّنت فكترت في عرض مسرحية في روما خلال ذلك العام وفي وقت لاحق، قدمت لمسرحية في يوغوسلافيا ومشت فيها لورا غارسيا دور غرائيل. وفي 2005، أدت الدور نفسه لمثله والمعبة آنا بيلس في إسبانيا، وفي كانون الثاني 2006 قدمت غرائيل دورها المسرحية في بويس بريس بالرغم من كل مصادمها. ويبدو أن المثلاث اسمعن لتمثيل الدور بالرغم من تحفظات اسعد.
28. صحيفة أوكسيدنت، 3 كانون الأول 1989
29. صحيفة الاسكتادور، 11 تموز 1987.
30. إكسپرسور، 2 تموز 1987.
31. انظر إلى شكره أو اسمه لخائل في الطبعات المنشورة
32. سوران كاتو، برونيو (مدينة مكسيكو) 3 نيسان 1989.
33. غابريل غارسيا ماركيز، صحيفة لاسكتادور، 25 آذار 1981.
34. صحيفة التيمبو، 19 شباط 1989، في التاسع والعشرين من تموز 1975، التقى رئيس جمهورية كولومبيا لويث ميتشيليس في الذكرى الأربعمئة والخمسين لمدينة تأسيس مدينة سانتا مارنا مع رئيس جمهورية فروبلا كارلوس أندرياس بويث، ورئيس جمهورية بانما عمر بورتغوس في مدينة سان بيدرو ألينديريو. وأحيوا ذكرى وفاة بوليفار الذي قصي هناك عام 1930. لمة لوحة حتمى بالذكرى ويصبح هؤلاء الرجال الثلاثة من أقرب أصدقاء غابريل غارسيا ماركيز في العقد الثاني من الزمان
35. بيلساريو بيلانكور، باجينا 12، (بويس آيرس) 2 نيسان 1989
36. إكلير، 21 آذار 1989.
37. ماريا أليغرا سامير، إكسپرسور، 5 نيسان 1989.
38. انظر على سبيل المثال أوسكار بيسر هيت غوشايت لا ريدميكا (كولومبيا)، 14 أيار 1989 وديغو ميلير، كلاير (بويس آيرس)، 22 حزيران 1989.
39. صحيفة التيمبو، 19 دس 1989.
40. صحيفة التيمبو، المقالة الافتتاحية، 5 نيسان 1989.
41. صحيفة إكسپرسور، 28 آذار 1989، طر أيضاً عدد الصحيفة الصادر في 28 حزيران 1989
42. صحيفة الاسكتادور، 28 آذار 1989.
44. ميويورت تالكر، 27 كانون الأول 1988.
45. الجنرال في مفاوضات (لجنة الإنكليزية) لندن، جونثان كيب 1991، ص 230.
46. كان القرار قد اتفق بالإجماع بالرغم من رغبة أعداء كاسترو أنه أدى الدور الرئيس. ورغموا أيضاً أنه كان لا بد من قتل أوشوا لإحشاء اتهام فدل كاسترو ورؤول كاسترو بتجارة المخدرات في الكاريبي.
47. 16 تموز، العنوان الرئيس لصحيفة صدي مرور. "نسخ رثّ الثياب في وليمة"، مقالة حماري أنطونيت.

48. صحيفة الاسكتلاندور، 15 ثور 1989.
49. جيومري مانسور، "وباء العنف بسبب أمراض الجبال السحري"، صحيفة المارديان (بلد)، 3 يول 1989.
50. صحيفة التيمو، 20 آب 1989.
51. صحيفة إكسيلبور، 22 كانون الأول 1989.

23 - عودة إلى ملكوندو، خبر كارثة تاريخية (1990-1996):

1. معظم هذه الحوادث المذكورة، بالاختصار أو بالتفصيل، في كتاب غابريل غارسيا ماركيز غير احتفال (لندن، جوثان كيب، 1997).
2. إكسيلبور، 3 تشرين الثاني 1989.
3. أنطوي دي ومارجرري مير: "عذب يحدث" مجلة لوس أنجلوس الأميركية 2 أيلول 1990، ص 10، 35. وفيها يوضح أن الولايات المتحدة "مصابة بحوس منتهك تقريباً بكاسرو" (ص 34) ركة أنه لولا وجود كاسرو لأحاح الولايات المتحدة أميرك اللاتينية حتى بتاغويا.
4. إكسيلبور، 9 ساط 1989.
5. داي وميلر، غير شحدث، ص 33.
6. إكسيلبور، 10 آذار 1990.
7. صحيفة التيمو، 10 آذار 1990.
8. يوجين مارل، "سوشيت صالغ في ماهه"، الفاشال فايمر، 25 تشرين الثاني 990.
9. ورد احير في وكالة برينسا الصحفية، 5 أيلول 1990.
10. صحيفة إكسيلبور، 3 أيلول 1990.
11. (* المقصود هم لاكسترا ديتاميس Extraditables وهم مجاميع من المجرمين وغير المحذرات في كولومبيا قتال هم حكومة الولايات المتحدة من دون أن تملك كولومبي قدرة على سيمها إياهم (المرجم).
12. صحيفة إكسيلبور، 27 كانون الثاني 1991، صحيفة التيمو، 27 كانون الثاني 1991.
13. صحيفة التيمو، 20 حزيران 1991.
14. الاسكتلاندور، 3 آذار 1991.
15. ريانو وافيو، لا جورناد، 25 تشرين الأول 1998.
16. لا جورناد، 18 كانون الثاني 1997.
17. إكسيلبور، 15 سباط 1992.
18. ناري ماتش، 14 ثور 1994.
19. إكسيلبور، 31 ثور 1992.
20. سباط، 14 ثور 1992.
21. سباط، 0 آب 1992.
22. سباط، 17 تشرين الثاني 1997.

22. سيمانا، 29 أيلول 1992
23. التيسو، 23 تشرين الثاني 1992.
24. الياس، 14 كانون الأول 1992.
25. الاسكتادور، 11 كانون الثاني 1993.
26. بيل كيبست، العطاء: كيف يمكن لكل واحد منا أن يغير العالم (لندن، هاتشيسون، 2007)
27. الاسكتادور، 28 كانون الثاني 1993.
28. إكسيلسيور، 29 كانون الثاني 1993.
29. إكسيلسيور، 18 حزيران 1993
30. جيمس بروث، "وقع الكوكابين بعلم عارسيا ماركيز"، نيويورك تايمز، 11 آذار 1994.
31. 24 آذار 994 صدر البيان بصفة نشرة صحيفة.
32. ديفيد سريتمند، "عزلة غابريل عارسيا ماركيز لمعقدة" صحيفة الراشطل بومست، 10 نيسان 1994.
33. كلمنة غونزالو مالاريو في معرض بوغوتا لكتاب في الشأن على كتاب غابريل عارسيا ماركيز الجديد (22 نيسان 1994)، نشرت في صحيفة الاسكتادور، 25 نيسان 1994.
34. جاد فرسا فوجيل "ثورة القلب"، صحيفة اللوموس، 27 كانون الثاني 1995.
35. إي. أس. بيان، "ماخود بالحب"، نيويورك ريمو أوف بوكس، 28 أيار 1995.
36. بير كيمب، "الشجرة والكلب"، صحيفة الصاندي تايمز (سند)، 2 ثور 1995.
37. روسامورا، الاسكتادور، 7 نيسان 1994.
38. سيلفان باتر بوسترو، مقالة، ليترا أنترواسيونال (مدريد)، أيار/حزيران 1997، ص 13.
- يستذكر كاسترو بنفسه هذا الحدث في صحيفة عرما في ثور 2008.
39. أونوما سوبو (مدينة مكسيكو)، 25 ثور 994
40. أريستو سامبر، سيمانا، 3 آذار 1987. أجريت مقابله مع سامبر في بوغوتا في نيسان 2007.
41. غابريل عارسيا ماركيز، مجلة باري ماتش، 14 ثور 1994.
42. صحيفة التيمبو، 8 آب 1994.
43. سيمانا، 6 أيلول 1994.
44. لا جورناد (مدينة مكسيكو)، 14 أيلول 1994.
45. هوريلو، المصدر السابق، ص 85.
46. غابريل عارسيا ماركيز، باري ماتش، 14 ثور 1994.
47. سورانا كانون، مجلة كامبيو، 16، 6-13 أيار 1996
48. كامبيو، 16، 24 شباط 1997.
49. بوريرتو فويسس، De la Habana traigo un Mensaje 13 آذار 1996. ويظهر شريط فرينسسر Dulces Guerrilleros cubanos في 1999 ربؤدي غابريل عارسيا ماركيز دوراً كبيراً فيه

50. بيلار لوثانز، صحيفة اليايس 16 نيسان 1996

51. إيريكي سوس كالديرون، التمسو 5 أيار 1996 بين سوس كالديرون أب مجلة بيور ويت قد اوردت مؤخراً أن غابريل غارسيا ماركيز مهووس سابلو إسكوبار لأنه يمثل السلطة، وهي هاجس غابريل غارسيا ماركيز الحقيقي، وليس السياسة. انظر فرجيه بالبحو:

diando a Escobar, Amando a Pablo (مدينة مكسيكو، راندوم هابس موند، دون، 2007)، وفي تفاصيل دقيقة عن السياسة واجتمع في كولومبيا خلال حقبة إسكوبار.

52. روبرتو بوسادا غارسيا بيتا، التمسو، 22 أيار 1998

53. غابريل غارسيا ماركيز، خبر اختطاف، ص 129-130. سؤيد تنظيم القوات المسلحة الثورية الكولومبية هذا البيان بممارسة الخطف من أجل مدية على مدى السنوات القادمة. في العام 2008، يلقى التنظيم سلسلة من الصربات المدمرة، مما فيها موت وعيجه مانويل مارولاند، في أثناء قصف الشخص الثاني في القيادة راؤول ريس، وتحرير القوات للساحة الكولومبية إيريدي بيندكور.

54. انظر على سبل المثال، جوردن آي. بيغ، "واقعة لا سحرية"، كومو بويل، 16، 26 أيلول 997. ونشارلز بلي، الكاتب في متلته، يوريابليك، العدد 217، 25 آب 1997. راجع أيضاً مالكوم ديس "أمة كل السر"، لندن ريميو نوف بوكس 30 تشرين الأول 1997.

24 - غارسيا ماركيز في السبعين وما بعدها: مذكرات وغايات حزينات (1996-2005):

1. داريو أريستيدي، مجلة كروموس، 13 حزيران 1994

2. صحيفة اليايس، 15 أيار 1996.

3. روسمورا، اليايس، 20 أيار 996.

4. ريكاردو سانت ماريا، سيمانا، 27 آب 1996.

5. رودولفو برباني، جيت (نويس آمريس) 15 كانون الثاني 997

6. جان فرانسوا فوجل، صحيفة التوموند، 27 كانون الثاني 1995.

7. اليايس، 7 حزيران 1998.

8. بيلار لوثانز، اليايس، 3 آذار 1997.

9. الإيبكادور، 12 أيلول 1997

10. التمسو، 7 حزيران 1998.

11. الإيبكادور، 23 تشرين الأول 1998.

12. الواسطن بومس، 29 تشرين الأول 1998.

13. سحب غابريل غارسيا ماركيز زملاؤه عرصهم وهم مقتضون أن سامير سيفرصة. لكن سامير أكبر في مقابلة أجرتها معه في نيسان 2007 أن هناك قراراً عند ذلك العدد، لكنه أوضح بجلاء أن "ما من حكومة في أي بقعة من بقاع العالم الديمقراطية مضطرة إلى محاربة حصومها".

14. لاري روهتر، "غابرييل غارسيا ماركيز يختص حياً قديماً (هذا خبر)"، نيويورك، نيك، 3 آذار 1999.
15. مجلة كامبيور، شباط 1999.
16. الديس، 3 كانون الثاني 1999.
17. روسامورا، الديس، 19 آذار 1999.
18. كسب في إنكسرا عندما اتصل بي غارسيا ماركيز من بوغوتا في الثامن والعشرين من حزيران بعد التشخيص كان يعلم أنني كنت قد أصبت بورم ليفياري في سنة 995 وهال. "ثم أشهر يوماً في حياتي بإعياء كالإعياء الذي لارمي منذ بداية هذا المرض ولم تعد لدي ذرة واحدة من الطاقة. ثم تحدثنا عن المرض وكيفية مقاومة الفرد له بأكثر قدر ممكن، وكيف يأكل وكيف يفكر وكيف يعيش. فقال لي: "حسناً لقد أصبحت نا وأنت رمبليس". أحسست أنه أصيب بضربة، لكنه بعد العزم على القتال. لكنني كنت أيضاً أدرك أنه في النهاية والسعي من عمره.
19. جون بي أندرسون، "سطة غارسيا ماركيز"، مجلة دا بيوروكر، 27 أيلول 1999.
20. التيمو، 23 أيلول 1999.
21. راجع هذا الجزء من قراءة الصانع في رواية غوييف البطوريك (1975)، ص 181 (الطبعة الإنكليزية).
22. سيمانا، 14 تشرين الثاني 2000.
23. غوانا كروث، الديس، 2 كانون الأول 2000.
24. غومو أنطولو، مدينة، بوغوتا، نيسان 2007.
25. 27 شباط 2001، نشرت الرسالة في جميع أنحاء العالم.
26. تاحر هرورد عس دهن أبيه، فراوده حلم بشعره بالذهب من جراء ذلك. ثم أحقن في حضور تشييع جارة أنه بلديعة سوء حالته الصحية.
27. رينشارد إيلمان عن جويس: "إن حياة العناد، خاصة مثل حياة جويس، تختلف عن حياة غيره من الأشخاص من حيث إن أحداثها تصبح مصادر هيبة حتى إن كانت تستحوذ على اهتمامه الزاهي". (جيمس جويس) طبعة جديدة ومصححة، نيويورك، مطبعة جامعة أكسفورد، 1983، ص 3.
- (*) نربسوس Narcissus في ايتولوجيا الإغريقية هو ابن سيمبوس، شاب لمي الطلعة رأى انعكاس وجهه في يسوح ماء قطعه حورية المكاء حاول عينا الإمساك بوجهه حتى داب أنسى وحسرة. وعندما جاءت الحوريات لقتل جنته ودهنه، لم يجدن سوى رهرة أفلس عليها اسمه وهي رهرة الرجنس. نقل في هذه القصة أرميد وغيره أما بلونارك، فيقول إن الاسم مشتق من كلمة narke الإغريقية وتعني حذر، وهو ما يباست كلمة narcosis أي الباب الذي يسبب الخدر. (المترجم)
28. مايندا، سانشيث، كلاوي، (بويس آيرس)، 24 آذار 1998.
29. إكسيلسيور، 12 تشرين الثاني 1981: "انتهى المطاف بغارسيا ماركيز وهو نتحدث عن مذكراته التي كان يأمل في كتابها في القريب العاجل. وهي المذكرات التي سيكون فعلاً

- (مذكرات كادام) ذلك لا يروي قصة حياته كك حدثت، ولا كيف يمكن أن تكون، بل كما كان يظنها
30. كاليب باخ، لقطات قريبة عن عابرين عارسي ماركيز، أمير كاس، أيربرجران 2003.
31. النيس، 19 ثور 2003
32. سمعان، تشرين الثاني 2003.
33. في وقت لاحق، بين برنامج أوبرا ويفري رواية الحب في زمن الكوليرا.
34. عابرييل عارسي ماركيز، مقاله في لاسيكثادور، 19 آب 1982 وقد اقتبس لاحقاً لتكون قصة من قصص مهاجرون غويين.
35. ماريا لمؤلف إسحق. تعد استثناء جرياً.
36. ماريا حيمبيث دونان، مغبه، بوعونا، 1991
37. عابرييل عارسي ماركيز، ذاكرة غاتاني الحزبات (بيوبورك، ألفريد اي بوف، 2005).
- ص 74
38. المصنوع السابق، ص 45
39. جون أدميث، الموت من أجل الحب: رواية جديدة لغارسي ماركيز" دا بيوبورك، 7 تشرين الثاني 2005
40. لدى وصولي البيت، كنت أفكر في هذا الحديث، ففتحت كتاب الجرال في ماتهته، إن كاتب أسعره لأخيرة، حسماً نذكر، نشيداً آخر من أناشيد ألق الوجود. كان بوليمار مدحولاً وهو يختصر بسبب ألق حياته الأخير الذي لم يتكرر ثانية أبداً. قارن هذا بالمقالة الواردة في صحيفة الاسيكثادور، 1 أيار 1982 والتي يستذكر فيها عابرييل عارسي ماركيز عواطفه المأجحة أيام شبابه المألن مع اقرباء الصحر في كل يوم في كارناحيا

خاتمة: الخلود - ثيربانثس الجديد (2006-2007):

1. ابي انان، لافانغاديا (برشلونة)، 29 كانون الثاني 2006.
2. خاتمي عارسي ماركيز، حديث، كارتانغيا، آذار 2007.
3. لا جورناد، 8 نيسان 1997.
4. آلان ستيفامر، "غارسي ماركيز وروايته الشمه" كروبيكل أوف هايبر إيديوكيشن، 15 حزيران 2007. قل عامين من ظهور نص ستيفامر، كرر كريستوفر دومبييث في ليراس المكسيكية (كانون الأول 2004) عبارة سابقة مدعها أن عابرييل عارسي ماركيز هو هوميروس أميركا اللاتينية وعسى نحو مشابه، أشار روبيرتو غوتشليت إيتشيباري في مقاله متميز في برميلا ريمستا (بيوبورك) كانون الأول 2007 - كانون الثاني 2008. أن روايته مئة عام من العزلة عذت على الفور مائة كلاسيكية كاملة وكسابا بات علاقته بحيرة في حياته وأدبه وبعد هؤلاء التقاد الثلاثة من اعداد الميادين إلى سرعة التشكك والصرامة، ولا يكتفون حسب المرح لكتانة شيكات بقضية بيضاء، ولا يكون المديح المقيت الذي يطوي على رياء لأدباء يقفون إلى يسار الوسط.
5. آرنغو، المصنوع السابق، ص 91

- 6 نظر مقالة عابرييل عارسيا ماركير، الاسبيكتادور، 10 آذار 1981، وفيها يسحر من فكرة إقامة مركز مؤتمرات في كارثاجيا للمدركات كثيرة.
- 7 عابرييل عارسيا ماركير، فئة عام من العزلة، طبعه تذكارية، (مدريد)، الأكاديمية الملكية الإنسانية، 2007.
- 8 أوضح في هذا النص أنه أرسل هو وميرثيسيس عبر البريد النص الثاني من المخطوطة عن خطأ أول الأمر، وأن الناشر باكو بوروا ندي كان يوافق إلى قرية النصف لأول، أرسل إليهما المموذ التي كان بحاجة إليها، ومن خلال تكرم الأكاديمية له، فقد ربطته ربطت معكم بالرواية التي بدل قصاري جهده كي يهرب منها، ولم تكن كمنه كلمة شكر سرحته وحسب، بل كانت أيضاً حزن من انفصاله مع الكتاب الذي غم من حباهما قبل أربعين سنة.

حقوق الصور ونصوصها

- Colonel Nicolás R. Márquez (*Family Archive-Margarita Márquez Caballero*)
Tranquilina Iguarán Cotes de Márquez. (*Family Archive-Margarita Márquez Caballero*)
Colonel Nicolás R. Márquez on a tropical day out in the 1920s (*Family Archive-Margarita Márquez Caballero*)
Luisa Santiago Márquez Iguarán. (*Family Archive-Margarita Márquez Caballero*)
Gabrie. Eligio García and Luisa Santiago, on their wedding day, 11 June 1926. (*Gustavo Adolfo Ramírez Ariza (GARA-Archive)*)

GGM on his first birthday (*Family Archive-Margarita Márquez Caballero*)
The Colonel's old house in Aracataca. (*GARA-Archive*)
Elvira Carrillo, 'Aunt Pa' (*GARA-Archive*)
A la GM, Luis Enrique GM, Gabito, cousin Eduardo Márquez Caballero, Margot GM and baby Ligia GM, 1936. (*Photo by Gabriel Eligio García, courtesy of Family Archive-Margarita Márquez Caballero*)

Gabito at the Colegio San José, Barranquilla, 1941 (*GARA-Archive*)
The Liceo Nacional in Zipaquirá where GGM studied between 1943 and 1946 (*GARA-Archive*)
The GM brothers, Luis Enrique and Gabito, with cousins and friends, Magangué, 1945. (*Family Archive-Ligia García Márquez*)
Argemira García and her daughter Ena, early 1940s. (*Family Archive-Ligia García Márquez*)
GGM, mid-1940s. (*GARA-Archive*)
Berenice Martínez, mid-1940s. (*GARA-Archive*)

Mercedes Barcha at school in Medellín, late 1940s. (*GM Family Archive*)
Steamship *David Arango* (*Photo by William Caskey*)
Fidel Castro and other student leaders during the *Bogotazo*, April 1948. (<http://www.latinamericanstudies.org>)
Barranquilla, April 1950. Farewell for Ramon Vinyes. (*GARA-Archive*)
Barranquilla, in the *El Heraldo* office, 1950. (*Photo by Quique Scopell, courtesy of El Heraldo*)
GGM, Bogotá, 1954. (*El Espectador*)

GGM, Paris, 1957 (Photo by Guillermo Angulo, courtesy of GARA-Archive)
Tachia Quintana in Paris. (Photo by Yossi Bal, courtesy of Tachia Rosoff)
GGM and friends, Red Square, Moscow, summer 1957. (GARA-Archive)
The Soviet invasion of Hungary, Budapest, 1956 (Hulton-Deutsch Collection/CORBIS)
Caracas, 13 May 1958. (Beitmann/CORBIS)

GGM working for Prensa Latina, Bogotá, 1959 (Photo by Hernán Díaz)
Mercedes Barcha in Barranquilla (GARA Archive)
Cuba, December 1958 Che Guevara and comrades relax. (Popperfoto/Getty Images)
GGM and Pimio Mendoza working for Prensa Latina, Bogotá, 1959 (El Tiempo)
GGM and Mercedes, on Séptima in Bogotá, 1960s. (GARA Archive)

Havana, January 1961 (Getty Images)
Havana, 21 April 1961. (Beitmann/CORBIS)
Mexico, 1964 GGM in glasses. (GARA-Archive)
GGM in Amacatoca, 1966. (GARA-Archive)
Valledupar, Colombia, 1967 (Photo by Gustavo Vásquez, courtesy María Elena Castro de Quintero)
Camilo Torres. (GARA Archive)

Wizard or dancer? GGM in Barcelona, crowned by the famous cabalistic cover of
OHYS, 1969. (Colita/CORBIS)
Mercedes, Gabo, Gonzalo and Rodrigo, Barcelona, late 1960s (GM Family Archive)

Soviet invasion of Czechoslovakia, August 1968. (dpa/CORBIS)
GGM Barcelona, late 1960s. (GARA-Archive)
GGM and Pablo Neruda, 1972 (GARA Archive)
Boom couples, Barcelona, 1974. (Photo by Colita)

GGM, Barcelona, 1970s. (Photo by Rodrigo García)
GGM and Carlos Fuentes, Mexico City, 1971. (Exelsior)
GGM and Mercedes, 1970s. (Exelsior)
Cartagena, 1971: GGM visits his parents. (Exelsior)

Writers of the Boom. (Photo by Silvia Lemos)
Julio Cortázar, Miguel Angel Asturias and GGM, West Germany, 1970. (GARA-Archive)
Paris, 1973. Wedding of Charles Rosoff and Tachia Quintana. (Tachia Rosoff, Personal Archive)
Santiago de Chile, 11 September 1973 President Salvador Allende (Dmitri Balstermanus/
The Dmitri Balstermanus Collection/CORBIS)
Santiago de Chile, 11 September 1973. General Pinochet and his henchmen
(Ullsteinbild - dpa)

Cuban troops in Angola, February 1976. (AFP/Getty Images)
Castro, President of Cuba, 1980s. (Exelsior)
General Omar Torrijos, 1970s. (AFP/Getty)
GGM interviews Felipe González in Bogotá, 1977 (Alternativa)
Bogotá, 1977: GGM, Consuelo Araujonogueva ('la Carica') and Guillermo Cano, editor
of El Espectador. (El Espectador)
GGM, Carmen Bacells and Manuel Zapata Olivella, 1977 (GARA-Archive)

- Mexico City, 1981. GGM buried by press attention following his self-exile from Colombia. (Beitmann/CORBIS)
- Alvaro Muñoz chauffeurs GGM. (GARA Archive)
- Stockholm, December 1982. Jaime Castro, German Vargas, GGM, Charles Rosoff, Alfonso Puenmayor, Plinio Mendoza, Eligio García and Hernán Vieco. (GM Family Archive)
- Stockholm, December 1982. GGM in costume 'sombrero vueltiao'. (Photo by Nervo López, courtesy of the Biblioteca Nacional de Colombia)
- Stockholm, December 1982. GGM in the chalk circle. (GARA Archive)
- Cartagena, 1993. Luisa Santiaga and her children. (Family Archive-Ligia García Márquez)
- GGM and Fidel Castro, by the Caribbean, 1983. (Photo by Rodrigo Castaño)
- Havana, 1988. GGM and Robert Redford. (Excelsior)
- Bogotá, mid-1980s. GGM and Mercedes with President Betancur and his wife. (GARA Archive)
- Berlin, November 1989. (Ragh Bassu/Sygma/Corbis)
- Bogotá's Palacio de Justicia in flames, 6 November 1985. (<http://alvaroduque.wordpress.com>)
- Bogotá, 1992. GGM salutes his admirers in the Jorge Eliécer Gaitán Theatre. (GARA-Archive)
- GGM, 1999. (GARA-Archive)
- GGM and Mercedes, October 1993. (GARA-Archive)
- Barcelona, c. 2005. Carmen Balcells in her office. (© Carlos González Arnaute)
- Havana, 2007. GGM and Fidel Castro. (Diario El Tiempo/CORBIS)
- Cartagena, March 2007. GGM and Bill Clinton. (Cesar Carrion/CORBIS)
- Cartagena, March 2007. GGM and King Juan Carlos I of Spain. (AFP/Getty Images)
- Cartagena, March 2007. GGM waves to admirers during his eightieth birthday celebrations. (STR/AFP/Getty Images)

The author and publishers gratefully acknowledge Gabriel García Márquez and the Agencia Literaria Carmen Balcells, S.A., for permission to quote extracts from copyright material by Gabriel García Márquez throughout this book, and also for the English translations of the original Spanish-language editions of various of his works, as follows: *One Hundred Years of Solitude* (1970); *No One Writes to the Colonel* (1971); *The Autumn of the Patriarch* (1971); *Leafstorm* (1979); *In Evil Hour* (1980); *The Story of a Shipwrecked Sailor* (1986); *Love in the Time of Cholera* (1988); *Clandestine in Chile* (1989); *The General in His Labyrinth* (1991); *Collected Stories* (1991); *Strange Pilgrims* (1993); *Of Love and Other Demons* (1995); *News of a Kidnapping* (1997); *Living to Tell the Tale* (2003) and *Memories of My Melancholy Whores* (2005).

In addition, the author and publishers gratefully acknowledge the copyright holders of the following texts: Plinio Apuleyo Mendoza (ed.), *The Fragrance of Guava. Conversations with Gabriel García Márquez* (London, Faber & Faber, 1998); Plinio Apuleyo Mendoza, *La llama y el hielo* (Bogotá, Gamma, 1989). By permission of the author; Gustavo Arango, *Un ramo de nomenclóides* (Cartagena, El Universal, 1996). By permission

of the author; Guillermo Cabrera Infante, *Más Cuba* (London, Faber & Faber, 1994); José Donoso, *The Boom in Spanish American Literature: A Personal History* (© Columbia University Press, 1977) Claudia Dreifus, 'Gabriel García Márquez', *Playboy* February 1983 (© *Playboy* 1982). Reprinted by permission; Heriberto Fiorillo, *La Cueva: crónica del grupo de Barranquilla* (Bogotá, Planeta, 2002). By permission of the author; Silvia Galvis, *Los García Márquez* (Bogotá, Arango Editores, 1996). By permission of the author Elgío García, *Tras las claves de Melquíades* (Bogotá, Normal, 2001). By permission of the Agencia Literaria Carmen Balcells, S.A. Rita Gilbert, *Seven Voices* (New York, Vintage, 1973) Reprinted by permission. Luis Harris and Barbara Dohmann, *Into the Mainstream: Conversations with Latin-American Writers* (New York, Harper and Row, 1967), Antonio Núñez Jiménez, 'García Márquez y la perla de las Antillas (o "Qué conversan Gabo y Fidel")' (unpublished manuscript, Havana, 1984). By permission of the author; Gabriel García Márquez, *Paris Review* Writers at Work interview by Peter H. Stone, Issue 82, winter 1981 and Solitude and Company An Oral Biography of Gabriel García Márquez' by Silvana Paternostro, *Paris Review*, no. 166, summer 2003. Reprinted by permission of the Wylie Agency; Elena Poniatowska, 'Los Cien años de soledad se iniciaron con sólo 20 dólares' (interview, September 1973), in *Todo México*, 1 (Mexico City, Diana, 1990).



نرانيكينا إواران
كوتيس دي ماركيو
1863 - 1947
حدة غابرييل غارسيا
ماركيو



الكولومبي نيكولاس
غابرييل ماركيو
(1864 - 1937)
جد غابرييل غارسيا
ماركيو (عام 1814)



الكولومبي نيكولاس ماركيو بكافس أناسه عام 1920



غابرييل إليسيو غارسيا
(1905 - 1984) والد
ولادة غابرييل غارسيا
ماركيو يوم زفافهما -
سانت مارت
11 حزيران 1926

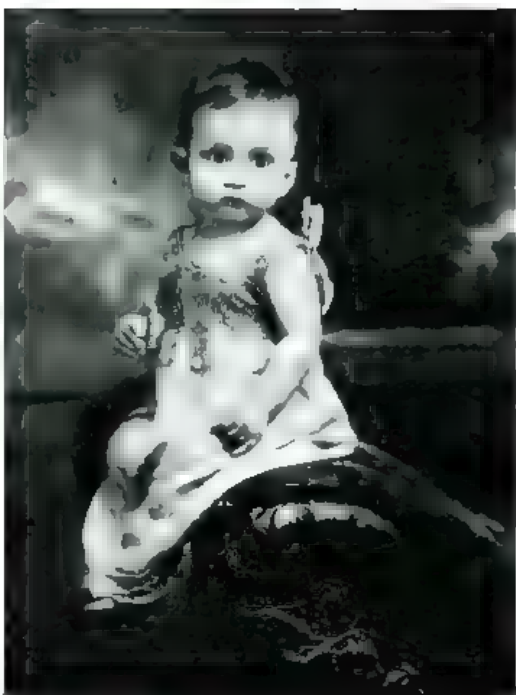


ويسا سانتيغا ماركيو إواران
(1905 - 2002) والدة غابرييل
غارسيا ماركيو قبل الزواج

THE GARCIA MARKOV FAMILY



قسم من المدرس القديم للكتولويين في
اركتاكا قبل اي ترميم اضيف عليه



غابونين غارسيد ماركيو
في ذكرى ميلاده الاولى



(من اليسار الى اليمين) عايدة لويس عدينو بن العم ادواردو مارغوت - والطفلة لويجي اركتاكا 1936



هيدى صديقة
عبريين غارسيا ماركيز
منتصف 1940



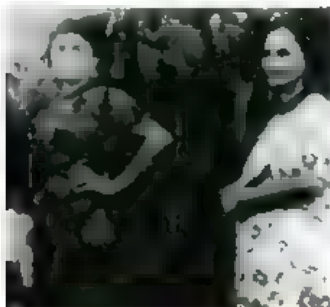
غابرييل غارسيا ماركيز في
منتصف 1940



جوتو في مدرسة سان خوسيه
أليكس 1941



أخوة غابرييل ماركيز لويس تريكي وعابينو يمين مع أولاد النعم والصدقة في ماساغوي عام 1945



أرخبير غارسيا (1887 - 1950) جدة
عبريين غارسيا ماركيز (يمين) في
سببسي مع ابنتها بيلا التي توفيت عام
1944 وهي في الرابعة والعشرين



اسمعة البخارية «ديفيد ار محو» التي استقلها عدريين غارسيا
ماركيز من كوست إلى بورغوتا عام 1940



من اليسار) غابرييل - ألفرو سبيدا ألفريدو
ديغادو - رافايل إسكانوب والفونسو فوينمايور
في مكتب الهيئتين في بارانكيا



فيد كاسيرو يسار) مع طلاب قياديين في أثناء «يو كناسو» بيري 1948



مورتيديس بارش في لباس
الدرسة في ميديلين عام 1940



الصحفي عدريين غارسيا ماركيز في
«الاسبكتادور» بوعوتا 1954



حفلة وداعية إلى رامون هيمبير ويبدو غابرييل غارسيا ماركيز
في الوسط في (بارانكيا)



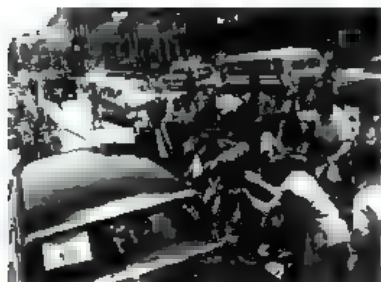
تاشنشا كويتدا هي باريس



عابريين غارسيا ماركيز هي فندق هلاندر
هي باريس عام 1957



عابرييل مع اصدقاء (لويس فيلار بوردا - إلى اليسار)
الساحة الحمراء - موسكو - صيف عام 1957



كاراكاس، 13 ايار عام 1968 المظاهرة
يهاجمون سيارة نائب الرئيس ريتشارد
نيكسون صرخة في وجه سياسة اميرك
تجاه اميركا اللاتينية



ميريديس بارشا في باراكيب قبل رواجها من
عابريين غارسيا ماركيز



عابرييل غارسيا ماركيز يحمل لبريتزا لاتينا
بوعونا عام 1959



ماركيز مع ميريديس في بوعونا عام
1960



عابريين غارسيا ماركيز ويدييو ميموتا في بريت لاتينا،
بوعونا 1969



هاتف، 21 نيسان 1961 الكوبيون المدعومون من أميركا
يوجدون إلى السحب بعد خسارتهم في معركة خليج الخنازير
في هذا الوقت يخطط غابرييل غارسيا ماركيز لترك برابرو
لاتيف للسفر إلى مكسيكو



هابرييل كولومبيا 1967 غابرييل غارسيا
ماركيز مع اصدقائه



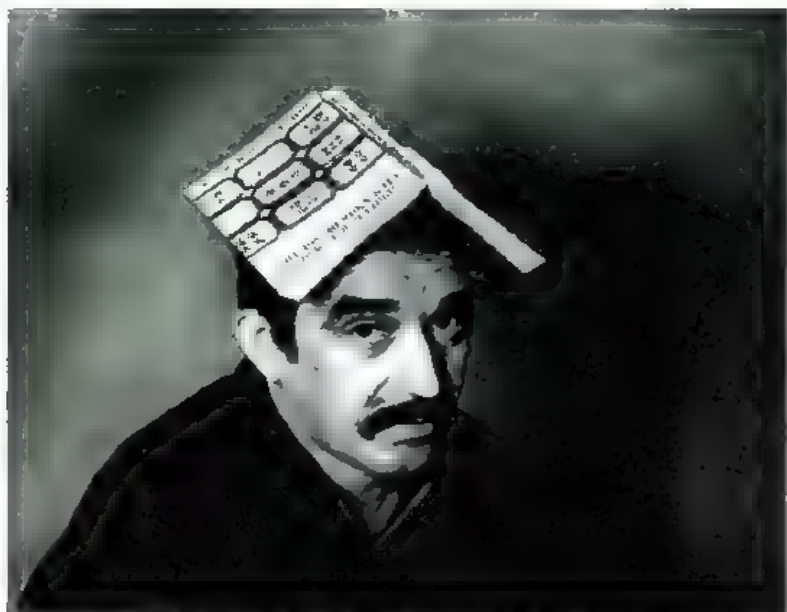
مكسيكو 1964 غابرييل
غارسيا ماركيز (يصبح
انبطارة) مع اصدقائه



كاميلو توراس،
صديق غابرييل في
الجامعة والذي عدد
ايه رودريغو،
اصبح انصار الكنسي
الأول في أميركا
اللاتينية وهن عام
1968



غابرييل غارسيا ماركيز في ار كاتانكا عام
1968 هذه المناسبة كانت البيرة لاحتفالات
«الليمانتر» في هاليو بار



مبارزين عارضا صاكيو في برشلونة يتوج نفسه بعلاف كتاب «مكة عام من الحرية» 1969



ميرثيديس، نايو، غومثاليث وروسكو في برشلونة أواخر عام 1960



عابريين، غارسيد، ماركيز في
يرشونة أواخر عام 1960



المنصور (من اليسار إلى اليمين) ماريو بوسا مع زوجته ماريشيا، ميريديس، خوسيه دويسو مع زوجته مارييا
و ميريديس عرسيا ماركيز أواخر عام 1970



عابريين، غارسيد
ماركيز مع بيبو
ديروا في حديقة منزل
ديروا في النورماندي
عام 1972

غابرييل غارسيا
ماركيز يكتب
روايته «خريف
البطاريك»
برشلونة 1970



غابرييل غارسيا ماركيز مع ميرتيديس عام
1970



غابرييل غارسيا ماركيز مع كارنوس فوميتس مدينة
مكسيكو 1971



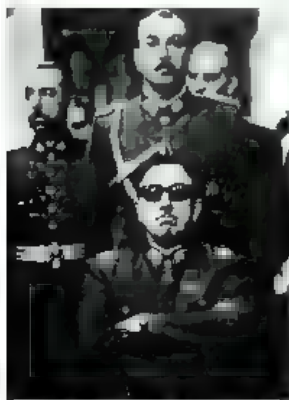
كارثاغينا عام 1971 غابرييل غارسيا
ماركيز يزور دويته غابرييل ايجيو ولويسا
سانتياغا مع ابنة غونزالو والصحفي
المكسيكي غييرمو أوتشوا



الروادهيون انكبار (من انيسار لي
الييمين؛ ماريو هاريس كارلوس
فوينس مابرييل ماركيز وخوسيه
دوماسو الحاسد الوحيد خوليو
كورتازار



خوليو كورتازار ميجيل اسكل وعابرييل ماركيز لمسيب العربية 1970



سانتياغو تشيلي ايلول 1973 العنوان
بيموشيه مع تباعه



ماريس 1973 روح دشارلز روسوف وانشيا كويندات مع عابرييل
ماركيز



سانتياغو، تشيلي 11 يول 1973
الرئيس سلفادور آلندي يدامع من قمر
عويدها ضد قوت المتمردين وحنقه
دابلو بورتولين اندي سجد من اسوت
«بعكس لندي» وأصبح صديقا حميما
لغابرييل ماركيز في هاسا



فيلد هو ملك، كاسترو رئيس كوبا 1980



القوات الكوبية في أنغولا شباط 1976



الجنرال عمر تورخيوس رئيس
پاناما عام 1970



عڤريڤين ماركيڤ ريڤاوير فيليپ غونثالڤه في بوعوت 1977



بوعوت 1977 عڤريڤين ماركيڤ مع القمڤس أڤرڤير
وعڤيرسو كڤو عروءه الاسيكتڤاور الاول قتل عام
1980 والثابءة أءءمت عام 2001



عڤريڤير ماركيڤ مع كارمن باسيلس ومانويل شابا
أوبيقڤر؛ مطار إلمورادو، بوعوتا 1977



مدينة مكسيكو تشرين الأول 1982 ألعارو موتيس يقفد
عابريين ماركيو وهيرثيديس لإبعاثهم عن ابتياء الإعلام



مدينة مكسيكو 1981 عابريين ماركيو محاط
بالصحافة بعد معفاء الاخباري إلى كومونيب



ستوكهولم، كانون الأول 1982
غابرييل ماركيو يحتفل بجائزته



ستوكهولم كانون الأول 1982 (من اليسار إلى اليمين جيم لاسفرو خيريس
ماريس عابريين ماركيو تشا ولر روسوف (خلف)، ألعونسو فوينتابور،
بييجو ميسوتا، إليخيو غارسيا (خلف) وهيرس ميكو



ستوكهولم
كانون الأول 1982 عابريين غارسيا
ماركيو في لدائره والملك عوستاف
السادس عشر يصفق



كارن خيف 1993 لويسا سانتياغا وأولاف الصف اختفي من اليسار إلى اليمين)
جيم، أنفريدو، ليخيه، غابرييل ماركيز، غوستافو، هيرناندو، إلبثيرو، لوس إسويكي
(الصف الأمامي من اليسار إلى اليمين) خيرون، مارتوت، لويسا سانتياغا ريب،
عائدة



هافانا عام 1988 غابرييل ماركيز مع روبرت ريفور



بوغوتا منتصف عام 1980 غابرييل ماركيز
وميرثيديس مع الرئيس بيناكوند وزوجته روزا



غابرييل ماركيز مع هيدل كاسترو في الكاريبي عام

1983



قصر العدل في بوغوتا تلتهمه ليزان في 6 تشرين
الثاني 1985 (خلال رئاسة بيتانكو) بعد أن أخطى
الجيش المتمردون

بوغوتا عام 1992:
غابرييل غارسيا ماركيز
يلوح إلى مريدوه في
مسرح جورج جيتان.



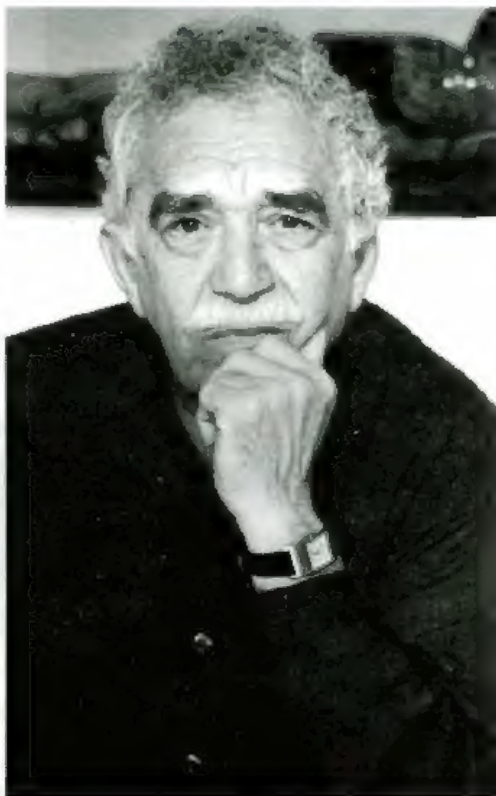
غابرييل غارسيا ماركيز مع ميرثيديس
بوغوتا عام 1993.



برشلونة عام 2005: كارمن بالسياس في
مكتبها وتظهر صورة لغابرييل خلفها.



غابرييل غارسيا ماركيز، 1999.



<https://t.me/kotokhatab>

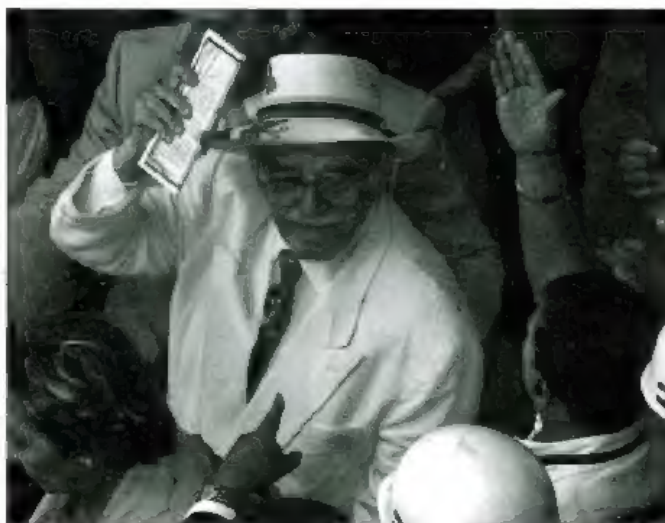
ماقاتنا عام 2007 غابرييل بزور
صديقه المريض فيدل قبل سفره
إلى كارثاجينا لمناسبة ذكرى
مولده الثمانين.



كارثاجينا، آذار 2007: غابرييل ماركيز مع الملك الإسباني
خوان كارلوس.



كارثاجينا، آذار 2007: غابرييل ماركيز مع
بيل كلينتون



كارثاجينا، 26 آذار
2007: غابرييل
ماركيز يلوح إلى
محببه بمناسبة بلوغه
الثمانين من عمره.

<https://t.me/kotokhatab>

رسالة مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم

عزيزي القارئ:

في عصر يتسم بالمعرفة والمعلوماتية والانفتاح على الآخر، تنظر مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم إلى الترجمة على أنها الوسيلة المثلى لاستيعاب المعارف العالمية، فهي من أهم أدوات النهضة المنشودة، وتؤمن المؤسسة بأن إحياء حركة الترجمة، وجعلها محركاً فاعلاً من محركات التنمية واقتصاد المعرفة في الوطن العربي، مشروع بالغ الأهمية ولا ينبغي الإمعان في تأخيرها.

فمتوسط ما تترجمه المؤسسات الثقافية ودور النشر العربية مجتمعة، في العام الواحد، لا يتعدى كتاباً واحداً لكل مليون شخص، بينما تترجم دول منفردة في العالم أضعاف ما تترجمه الدول العربية جميعها.

أطلقت المؤسسة برنامج «ترجم» بهدف إثراء المكتبة العربية بأفضل ما قدمه الفكر العالمي من معارف وعلوم، عبر نقلها إلى العربية، والعمل على إظهار الوجه الحضاري للأمة عن طريق ترجمة الإبداعات العربية إلى لغات العالم.

ومن التباشير الأولى لهذا البرنامج إطلاق خطة لترجمة ألف كتاب من اللغات العالمية إلى اللغة العربية خلال ثلاث سنوات، أي بمعدل كتاب في اليوم الواحد.

وتأمل مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم في أن يكون هذا البرنامج الاستراتيجي تجسيدا عمليا لرسالة المؤسسة المتمثلة في تمكين الأجيال القادمة من ابتكار وتطوير حلول مستدامة لمواجهة التحديات، عن طريق نشر المعرفة، ورعاية الأفكار الخلاقة التي تنمو إلى إبداعات حقيقية، إضافة إلى بناء جسور الحوار بين الشعوب والحضارات.

للمزيد من المعلومات عن برنامج «ترجم»، والبرامج الأخرى المنصوية تحت قطاع إنتاج المعرفة، يمكن زيارة موقع المؤسسة www.mbrfoundation.ae

عن المؤسسة

انطلقت مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم بمبادرة كريمة من صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، وقد أعلن صاحب السمو عن تأسيسها، لأول مرة، في كلمته أمام المنتدى الاقتصادي العالمي في البحر الميت - الأردن في أيار/مايو 2007. وتحظى هذه المؤسسة باهتمام ودعم كبيرين من سموه، وقد قام بتخصيص وقف لها قدره 37 مليار درهم (10 مليارات دولار).

وتسعى مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، كما أراد لها مؤسسها، إلى تمكين الأجيال الشابة في الوطن العربي من امتلاك المعرفة وتوظيفها بأفضل وجه ممكن لمواجهة تحديات التنمية، وابتكار حلول مستدامة مستمدة من الواقع، للتعامل مع التحديات التي تواجه مجتمعاتهم.

GABRIEL GARCÍA MÁRQUEZ

A Life

GERALD MARTIN

في مطلع شهر آب / أغسطس 1966، ذهب غارسيا ماركيز بصحبة زوجته ميرثيديس إلى مكتب البريد ليرسل إلى العاصمة بوينس آيرس مخطوطة كتابه الجديد «مائة عام من العزلة». كانا في حالة يرثى لها وأشبه بناجين من كارثة. ضمت الرزمة 490 صفحة متضدة. «اثنان وثمانون بيزوساً»، طلب موظف البريد. راقب غارسيا ماركيز ميرثيديس وهي تبحث في حقيبة يدها عن المال. لم يكن لديهما سوى خمسون بيزوساً، لذلك لم يكن باستطاعتها إرسال سوى نصف الكتاب: فجعل غارسيا ماركيز موظف البريد يقتطع الصفحات من المخطوطة كما تُقْتَطَع شرائح اللحم المقدّد حتى بقي ما يمكن إرساله بخمسين بيزوساً. وعندما عادا إلى المنزل، رهنا جهاز التدفئة، ومجفف الشعر والعصارة، ثم عادا إلى مكتب البريد لإرسال ما تبقى. عند خروجهما من مكتب البريد، توقفت ميرثيديس والتفتت إلى زوجها قائلة: «غابو، لا ينقصنا الآن سوى أن يكون الكتاب سيئاً».

ISBN 978-9953-87-892-8



9 789953 878928



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb www.aspbooks.com



ترجم

عُيُودَةُ كُتُبِ الرَّابِعَةِ الْمَشْرِقِيَّةِ

<https://t.me/kotokhtab>